العنوان
حي الورود - شارع عمر الجاسر - هاتف ٤٦٢١٠١٠
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

ج ١، ٢ س ٢٤ رجب/ شعبان ١٤٠٩هـ ـ شباط/آذار (فبراير/ مارس) ١٩٨٩م

عبدالله بن العَجْلَان النّهدِي
حياته وماتبقى من شعره

ليس سهلاً على الإنسان أن يكتب شعراً فيه خلود العاطفة ، وليس سهلاً عليه أن يختار المواقف الحادَّة في حالات الشوق ليصوغ فرائد باقيةً ، يتهافت على قراءتها العُشَّاق ، ويتداول أبياتها الرواةُ والمغنون ، وينشدونها كل ما وجدوا متسعاً من الوقت أو فسحةً من الراحة ، أو استجابة نفسية ، وليس سهلاً على الإنسان أن يَنْقُلَ هذه الأحاسيس إلى دائرة الآخرين ، ليضعهم فيها ليتحسسوا الحالة المعاشة أو يجسدوا اللحظات الحالمة ، وينعموا بما تفرضه عليهم أُسبابُ الانتشاء ، وقد تكون هذه الحالات بعيدةً عن المتعة الحيَّة ، وخارجةً عن إطار اللحظات السعيدة ، التي يدركها الإنسان ، وهو غير قادر على مواجهتها بما يتناسب من اعتبارات ويتفق من أهمية ، لأنَّ الإحساس العاطفي الذي تسرَّبَ عَبْرَ قنواتِ الشعر الخالد ، وقُراً في فرائد القطع الأدبية الرائعة ، ونُقل من خلال الأحاديث التي حملها العشاق على امتداد التاريخ ، تؤكد أنَّ الخلود لا يكمن في التعبير المباشر ، ولا يصاغ من خلال اللحظات العابرة ، ولا يعيش في إطار المُتع الزائلة ، وإنما هناك لغة غير هذه اللغة ، وتعبير يختلف عن هذا التعبير ، وصوت له رنينه ، وكلمات لها وقعها ، وإشارات لها صمتها وبَوْحُها . . كل هذه الصور تعطي الإنسان قدرةَ الإيحاء ، وترسم له جلال الموقف ، وتمنحه قوة غير قادر على امتلاكها في الأوقات الاعتيادية ، إنَّها حاسَّةٌ أُخرى من حواس البشر ، وقوة إلهام لا يقوى على دفعها . وقد تكون هذه القوة هي الوجد الذي اصطلح عليه المتصوفة ، والإلهام الذي عبر عنه الشعراء ، والسكوت الذي تعقد عنده الألسنة ، وتقف في حضرته كل الكلمات حائرة واجفة ، مرتعشة مضطربة ، لأن

مبعث الكلمات لا يوافق حالاتها وهي تقال في المواقف الاعتيادية ، وجوهرها الذي تنطلق منه يتداخل في تراكيب لم يألفها حتى صاحبها . من هنا كان حديث الشعراء الذين وُهِبُوا قدرة التعبير وهم في حالات غير اعتيادية يُمَثِّلُ الحديث الإنساني المبدع ، وينقل الصوت الشعري النقي . إن وجود الحوار الذي يستطاب في ظل المواقف غير الاعتيادية يعطي النسغ الدافق ويحكي روعة الوداعة الحالمة التي يراها الشاعر ، ومن يسمع بوح حديثه ، وينصت لرنين ألفاظه ، ويستجيب لدعوة معانيه وأسرار عباراته وتراكيبه ، وفي غمرة النشوة الشاعرة وهي في ثنايا موجات التعاطف غير المنظور ، وكلاهما يرى الأمور بوضوح ، ويتفاعل مع الأحداث بوجدان خاص ، فاللقاء هو الوجه التعبيري عن اللحظات الصامتة ، والوقت المطلق في نطاق المحادثة أو الْمُعَاش في إطار الزمن المحصور يتهاوى على إحياء دفقات الشوق ، ويكبر في دائرة الإحساس بامتلاك الزمن على أية صيغة كانت ، وهذا الشعور يعطي الزمن بُعْداً مختلفا ، ويضفي على الكلمات رداءً جديداً ، ويسكب عليها من وجدانه المحسوس مايتركها قادرة على أن تتداخل في كل تركيب ، لتأخذ الشكل الموحيَ ، والصوتَ النغمي المطلوب . إن هذا الإحساس يمكن أن يقال في كل لون من ألوان القصائد الخالدة التي رددتها الأجيال ، ووقفت عندها قلوبُ العشاق ، لتقرأ في دفقاتها أصوات حِسِّهَا ، وترى في مواقفها الحية ألوانَ مشاعرها وهي تمر في ذات اللحظة ، وخفقات وجدانه المرتعش في عين الموقف ، وتحس موجات إحساسه المرهف تتساقط ألفاظاً غير مفهومة ، وتتراكم عباراتٍ تنتهي عندها المعاني المطلوبة ، وتلتحم أصوات الألفاظ موجة من التناغُمِ غير معبرة عن أيّ ائتلاف منطقي . وتتزاحم في ذاتها صورة اللقاء الخالد وهو يتجدد بعيداً عن الزمان والمكان ، وخارجاً عن إطار الإحساس المادي ، لأن صورة الوفاء والبقاء والخلود والتواجد وبكل المفاهيم التي اكتسبتها وهي تمر عبر خفقات القلوب ، والصور التي عرفتها وهي تتحدد في نطاق التعامل الذاتي هي التي تعطي اللحظات قوتها في اختراق المسافات ، وتمنحها واجهة التواصل الإنساني لتظل حَيَّةً في كل ضمير يدرك دوره في حُب الحياة وأهميته في إنعاش النفس الخالدة عند الوداع أو الاستذكار .

إنَّ هذه الحقيقة تؤكد الاستمرار الإنساني في التلقي والمتابعة في الاستذكار

والتوحد في حالة الاستثارة . فالإنسان هو ، والعاطفة هي ، والمنهج المرسوم للسلوك العام هو ، ومن غير المعقول أن يكون القلب المتلهف عند الشعراء واقعاً في دائرة المساومة ، أو محسوباً في نطاق المتغيرات ، أو عاملاً خاضعاً لما تخضع له الوسائل غير الإنسانية . وهي مسألة لابُدَّ أن تُحسب في إطار المعادلة الدائمة في مبادلة العواطف ، وقائمة في اعتبارات الإحساس الإنساني بكل استجابة مؤثرة ، وإذا كان شاعرنا قد حمل بعض قصائده نفحات العَبَقِ الشعري وهي تتصل وحياً ، وتتجدد مشاعر ، وتتحد قلباً وعاطفة ، فإن القلوب ماتزال ظامئة تستعيد الذكريات العذبة ، وتتلمس المعاني الندية لتزيح عن كاهلها اتعاب السنوات الثقال ، وتخفف عنها هموم الحياة التي بقيت مصدر إرهاق ، ومبعث تعب ، وينبوع اخفاقات . وليس غريباً أن تظل المشاعر البشرية الأصيلة متواصلة في الدفق الحياتي ، ومتماثلة في كثير من حقائقها الثابتة ، وزاخرة بالعطاء العاطفي النابع وهو يجود حنيناً وذكريات وهموماً . وإذا استطاع شاعرنا أن يتفرد عن أقرانه الشعراء بابتعاده عن المسحة الحزينة أحياناً ، والتي علقت بعض قصائد الشعراء أو كانت موضع استثارة لبعضهم ، وهو يدخل دائرة الفراق أو الوداع أو الوقوف على الديار ، فإنه قدم لنا نموذجاً يجمع بين طرفي المعادلة ، ويوحد بين أجزاء المفاضلة ، ويختار منها ما يعطيه ابتسامة الثقة ، ويضفي على نفسه رجاحة السماحة ، ووجاهة التعاطف بما يقنع به ذاته ، ويترك له الخيار في انتقاء الجانب المقبول ، والشاعر يمهد من خلال هذه المباشرة ، والألفاظ الموحية بالبعد والإحساس ، ولابد أن تكون ثقتهُ معبرةً عن الرد المناسب الذي تعود عليه وهو ينتهي إلى النتائج ، وحاله وهو يقبل الحل المعقول هو الدليل على السماحة التي لازمته عند كل تأزم ، ووافقت مزاجه بعد كل تواصل روحي . ويحاول الشاعر وهو يعقد المقارنة أحياناً أن يكشف عن ادراكه الحقيقي للحب ، ويرفض الإطلاق في تحديده ، ويأبى أن يقترنَ الحديث عن كل الشعراء الذين تغنوا به بنفس الأسلوب ، وبذات الطريقة ، وبعين الكيفية ، لأنه يرى التفاوت الواضح في التعبير والإدراك والإحساس ، والمخالفة الحادة في كل حالة ، والتضاد المحسوس في كل انعكاس ، وقد دفعه هذا الشعور إلى الاستغراق في تعبيره ، والتواصل في الحديث عنه ، والتعاطف مع كل خفقة من خفقاته ، وهو من جملة

المتيمين والعشاق عبر العصور الطويلة ، وحتى في المفهوم الخاص به يجد تعاوناً لأنه يدرك أن التعبير الحادّ والحاسمَ له أوقاته وله خصائصه ، وأن الإنسان يتحول فيه إلى عالم آخر ، يبتعد فيه عن كل الأجواء ، ويطيف به خياله حتى يتناسى العالم المحيط به ، ويستحيل إلى تراتيل وأناشيد وأدعية ، وتتبدل حاله إلى انغام تتناسب فيها الألفاظ ، وتوحي بها المشاعر ، وتتفق الوحدات اللفظية تركيباً وإيحاء واحساساً ، وهو الدرجة السامية من درجات الوصول ، ولم يَتَهيَّا له هذا العالم إلا من خلال التواجد والاستغراق ، والتذكر والحديث الموحي ، والنغم المنساب في مسارب كل تعبير . . إن حديث الشاعر عن هذه الظاهرة تدفعنا إلى أن صاحبنا يتحدث بلغة أصحاب التصوف وإن لم يكن معروفاً في زمانه .

إن صوت الفراق الذي ظل يلوي إرادة الشاعر هو صوت له حكمه في كل حركة من حركاته ، ولكنه يؤمن بأن الزمن القابل وصوت اللحظات التي يتلمسها ــ وهي تنطلق عند كل لقاء ــ تعيد إليه الثقة بأن العشق الكبير سيتجلى في دواخلهما وفق أشكال معقولة ، ليضيء الجوانب التي ستصبح بأمس الحاجة إلى لقاءٍ أبديٍّ تستعاد به صورة الحديث الهاديْ ، والصمت الناطق ، والهمسة المعبرة ، وخفقة القلب التي هي أشدُّ اتصالاً من كل الخفقات الأخرى مهما كانت متقاربة .

إنها إرادة القدر الذي وضع الشاعر فيه ، وإرادة القلوب التي التقت في مرحلته ، وإرادة الصدق التي استطاعت أن تجد جذوة العشق في قلبيهما ولم تجده في القلوب الأخرى ، وهذا مايدفعه إلى أن يظل حريصاً على الآمال الكبيرة التي تتجدد عند كل جلسة ، وتقال عند كل لقاء ، وتتجسد في كل حديث . .

فالشعر والبلاغة ــ كما يقول ابن قتيبة ــ لا يقصرهما الله على زمن دون زمن ، ولاَ خَصَّ بها قوماً دون قوم بل جعل ذالك مشتركاً مقسوماً بين عبادهِ في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره .

ولم تكن نظرتنا لشعر عبدالله بن العجلان بعيدة عن نظرة ابن قتيبة وإن كانت متأخرة عنه وهو يصنف للشعراء كتابه بعد أن ابتعد عن النُظرة التقليدية التي ظلت تتحكم في كثير من المقاييس ، وتحدد درجات الشعر وفق المنطق الذي

يجعلهم أقرب إلى المألوف على الرغم من مخالفته، وتقليدهم للمعروف وهم يدركون فساده، وإذا كان الحديث عن النص والاقتراب في تناول المعاني يدخل في إطار التقويم الحقيقي لما يمكن أن يقدم فإن نظرتي إليه وقراءتي لشعره كانت خارجة على إطار الزمن الذي نظر إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره فكانت ـ وكما قال ابن قتيبة ـ نظرتي نظرة عدالة بين الفريقين، فأعطيته حَظه بما يستحق، ووفرت عليه حقه الذي يستأهله. إنها الحقيقة التي عاشت في نفسي وأنا اتحدث عن الشاعر برغم الزمن الطويل الذي قطعته أخباره.

ويبقى حديث الإبداع معادلة بين طرفين ووجهاً لمعادلتين يأخذ التكرار جانباً منها ويتمسك الإبداع بوجهها الآخر لتظل المعادلة قائمة، وليبقى النص الموحد الذي تدور في إطاره حكاية الأشباه والنظائر مادة للحديث، فالأوائل من الشعراء رسموا رسوماً تبعها من بعدهم، وعوّل عليها من اقتفى أثرهم، وإذا كان للتاريخ والزمن حصة في هذا المجال فإن عبدالله بن العجلان يُعَدُّ نَمُوْذَجاً متقدماً استطاع أن يرسم الحدود البعيدة، ويعطي الذات الإنسانية حقها في الحياة.

وإذا كان للتاريخ والزمن حِسٌّ ووجدان وخوافق فإن للصوت في شعر النهدي ألوان أخرى يثير في أعماقه نوازع، ويؤدي مهمات، ويوحي بما توحيه الكلمة، ويعبر عنه التركيب ويستحوذ عليه أحياناً حتى لا يترك له مجالاً في المخاطبة، ولا يمنحه فرصة التعبير عند الحوار الصامت، فتصبو له حواسه، وتهفو له جوانحه، وتنتهي عند مقاطعه كل الأحاديث التي كان ينوي إيصالها أو الحديث عنها أو نقلها نقلاً مباشراً فالصوت له في ذاته ترنيمات والمقاطع لها في وجدانه توافق، والنغمات التي تصاحب الكلمات تثير في نفسه مالا تثيره أشد القصائد عاطفة وأكثرها تأثيراً، لأن قصيدته التي تضم كل أحاسيسه هي النموذج الذي يستمع إليه، ورائعته التي نستمتع بأبياته هي الكل الذي تتكامل فيه الأجزاء وتجتمع الآحاد وتقف عند رحابة كل المعاني والمفردات.. إنها الحالة التي لا يطيق احتمالها وهو يصمت في دائرة الحديث المشترك، والظاهرة التي يندر وجودها وهو يرويها في أحاديث البشر، فقد عاش الحب بجوارحه، وأدرك سِرَّ الخلود في جديته، فكان التواصل حديثاً لا ينتهي، وكان اللقاء الذي تستعاد به

الذكريات لا ينقطع تلوي على لحظاته عواطف الزمن ، وتذوب في فيض تجلياته كوامن القسوة التي تخلقها الأيام . . ويكتب على هذا العاشق الغريب أن ينطوي ، وتبقى في نفسه وهجات حيَّةً تنير ظلام الغربة ، وتشرق قسماتها بِتَأَلُّقِ المحبة والتواجد ، فيخرج من عزلته مرة بعد كل انقطاع لا يرى من العالم إلا هذا ، ولا يتحدث مع أحد من البشر عداها ، ولا يودع بعد حديثه الذي يستغرق كل الزمن المحسوب في وهدة الانقطاع إلا صورتها فيصبح حديثها الزاد الذي يتزود به ، وتكبر في نفسه الحياة التي أوشك الانقطاع أن يذهب ببعض إشراقها ، ويعود بعد حديثه أكثر شوقاً إليها وأشدَّ التصاقاً بحديثها ، وأعظم إيماناً بحبها الذي لا ينتهي . . والزمن في هذه الدائرة لا يحدد بالرغم من امتدادها ، واللقاء لا يؤرق بما علق به من خوافق التعامل الذي فرض عليهما الواقع الذي لم يَحُلْ دون أخذهما من متاع الدنيا ما يغني ، ولم يقف في طريق الحوار الذي تبسط فيه الكوامن وتسرد فيه أعزّ الأماني وأصدق الأحاديث .

إن استمرار الإحساس بحيوية القصيدة ، وجدية معانيها ، وأصالة عواطفها التي تجد فيها الأجيال صوتها وهي تفاخر ، وارتياحها وهي تتحمس ، وعواطفها وهي تعشق ، وسخريتها وهي تهجو ، وإعجابها وهي تمدح ، تؤكد التعبير الوجداني الحي الذي تلتقي فيه الأبيات ، والوجه المقبول الذي تتفق على قسماته وهي تستعيد بعض أبياتها ، وتختار فيها مايوافق مشاعرها يمثل الامتداد الزمني الواضح والنابض الذي يكمن في أسرار قدرتها ، وهو ما ظلت تتواصل به القصيدة العربية في أحاديث النقاد العرب وهم يواكبون القصيدة شرحاً موجزاً أو تفصيلياً ، ويستطردون في ذكر المعاني المتلاحقة ، ويتقاربون في جمع ماتشابه منها ، وتوحدت فيه لأن مجرى الإيحاء واحد ، وتَوَجُّهُ الإحساس مُتَقَارِبٌ ، فتصبح المعالجة ــ في إطار حدود المتداول منها ــ قريبة المأخذ ، بينة المعالم ، متوافقة من حيث الإطار الذي تعامل فيه الشاعر ، وهذه المحاولة لا تحول دون قدرة الشاعر الإبداعية ، لأن الإبداع يبرز في الإجماع على اختيار الصورة البارعة والمثيرة ، والاجماع على صدقها المتميز في التقويم ، والاتفاق على اعتبارها أكثر الأبيات قدرة على التعبير وأشدها مطاوعة لما يمكن أن تتملكه من إغناء ، وإرضاء للحاجة

الزمنية التي تتفاوت أقدارها في تمثيل الحالة ، وشدة اختراقها للحجب الكثيفة التي تمسك بزمام المستقبل ، وهو مايحققه النص الذي يتجاوز هذه الحالات ، ويعبر المسافة الخيالية التي تبدو لنا قرونا ، ولكنها في احتساب المشاعر متصلة لا تحد ، ممتدة لا يوقفها إحساس الغربة أو شعور بالاغتراب ، وهذا ما عليه الحركة المناسبة لما يعانيه الإنسان مع أحوال غير محصورة بزمن ، أو محددة بمعاناة فردية . فالشمولية التي تمتلكها الأبيات أو المقطعات ذات إحساس داخلي واحد ، ينطلق من المعايشة الحقيقية ، التي تلامس كل نفس ، وتنبعث مع كل نفثة تثيرها ذكرى ، وتحللّها لهفة عاشقة . . ويتمثَّلُ البعد الحقيقي في قصائد الشاعر في الانقطاع من جانب واحد ، والاعتزال عندما تشتد حالات التأزم والإحساس بالاغتراب عندما يجد نفسه في وضع حبيس ، تتجاذبه سورات الإخفاق ، وتغرقه لحظات الشعور بحالة البعد غير المتوقع ، وتتقاسمه هموم الأرق الشجي وهو يعاني من انقطاع حاد في لحظات غير محسوبة ، وتراجع عن مواقف حُسِمَتْ نتائُجها منذ فترات ، وانتهت أحاديثها بعد قناعات هي الحالة التي تعطي صاحبنا هذا التأرجح ، وتترك له خيار التوقيت لما يحاول أن يتخذه من مواقف ، أو يرتضيه من أحكام ، ولكنه يبقى مُصيرًّا على الموقف الذي حدده لنفسه ، ويبقى متعلقاً بالأمل الكبير الذي ترسمه له من خلال التعبير الهادئ كلماتُها العذبة ، وصوتها الدافئ ، ورقتها التي لم تمنحها لكل الآخرين . . إنها النغم الذي اعتاد سماعه ، والأنشودة التي يظل يحلم بها في كل مرة ، هي الرّد الوحيد الذي يبدد أوهامَ التراجع أحياناً ، وينهي ألوان الاحتمالات التي تتكاثف في دروب الرؤية غير الواقعية . . إنه الوهم الذي تثيره لحظات الاشتياق الحاد ، والشوق الحائر ، واللهفة الصادقة ، فتستحيل الأجزاء الصغيرة عالماً كبيراً ، وتتبدل الوداعة الصامتة إحساساً بالغربة لا يلوي صولتها إلا التأمل الكريم الذي يعطي الهاجس فرصة المراجعة ، والإيحاء النبيل ــ الذي عودته عليه ــ الذي يضمن للشاعر بقايا الأمل . . وتتباعد خطوات الرحلة الطويلة ، وتتناثر أصوات الشاعر الواله ، وتستفيق ذكريات الموروث التاريخي أحزاناً وهواجس ومخاوف ، وعندها يتحول الحديث إلى وهج من النظرات الموحية ، وألَقٍ من النور المشع ، وهدوءٍ تستجيب له كل الحواس ، واستعطاف في الملامح تفصح عنه الإيماءة ، وتفضي به الحركة

الوديعة ، ويحاول بعد أن يتمالك نفسه بعض الشيء ، أن يعيد بعض ما أراد إعادته .

فالحديث عن النموذج (الحبيبة) يأخذ مساحته الواسعة ، ويكاد ينفرد به لما توصل إليه الشاعر من اعتقاد ، وآمن به من نظرة ، وعرفه من خلال الإحساس الكامل بهذا النموذج ، حتى أصبح الحديث عنه لا يبتعد بأي شكل ، والوقوف عنده هو الحالة الراهنة ، والتفكير به هو الصورة القريبة ، والتطلع إليه هو الأمل الوحيد . . إنه تحوّل واضح ، وتكثيف غير اعتيادي ، وتفرد كانت نفحاته تملأ الأبيات ، وصور الوداع توشك أن تنتهي في قاموس المفردات ، وهواجس التردد تصبح أشباحاً متضائلة في الحسابات التي كنت أقفُ عليها وأنا أُتابع قصائده ومقطعاته .

فالحديث عن فراق العشاق من الأحاديث الطريفة في الأدب العربي ، لما يصاحب هذا الفراق من حالات أقرب إلى المأساة منها إلى الحياة المألوفة ، وغالباً ماتنتهي بحالة الموت التي تشفع بِجَوٍّ من الألم وواقع من الذهول ، وغشية من الموت وغيرها من الحالات التي تعطي الظاهرة وجهاً عاطفياً حياً ، وتملأ الصورة بكل ما يجعلها معبرة عن هذا الشوق القاتل ، والوجد المميت ، والتضحية النادرة ، وكثيراً ما نجد الصورة تتكرر عند الشعراء الذين يجبرون على الفراق ، ويقعون تحت طائلة الظروف الصعبة التي تحملهم على الطلاق من أَعَزِّ النساء اللواتي ارتبطت حياتهن بحياة الشعراء ، فشهروا بأسمائهن ، وعرفوا بحبهم الفريد ، وتضحياتهم النادرة ، وهيامهم الذي لا نجد له نظيراً في حياة الآخرين ، وهنا تكبر حالة المأساة ، وتتسع دائرة الألم ، وتأخذ الزاوية بُعْدَهَا الواسع بعد أن تمتلئ بأخبار غريبة ، وأحداث لا يتصورها الإنسان ، لما يرافقها من وفاء صادق ، وإخلاص عزيز ، وتضحية فريدة ، لأفكار لا نراها إلا عند اؤلئك الذين عاشوا الوفاء إيماناً ، وبذلوا العمر تضحية ، وتحملوا ألم الفراق والغربة ثواباً واحتساباً ، لأن عفتهم التي عُرفوا بها ونزاهتهم التي التزموا بأصولها حملتهم على أن يظلوا رموزاً لهذا الوفاء ، ونماذج من طرازٍ خاص لعالم الإنسان الذي اتسعت مجالاته للحياة المادية ، وفقد الإنسانُ فيها أسباب النزوع إلى الخلود . . .

إن هذه الحالات التي تمثلت عند كثير من الشعراء تُحَدِّدُ الطريقَ لهذه المجموعة التي ذاقت الحبَّ بِأرقِ عواطفه ، وتلمست العشق بأدق أوصافه ، فعرفوه حق معرفة ، وقدروه عظيم قدرة ، فهانت عليهم الحياة إكراماً لمثلهم ، وسَهُلَتِ التضحياتُ اعتزازاً بنشوة استمرأوا مذاقها ، وحديث استطعموا لذته ، فعاشوا أسيري هذا الواقع الذي لازمهم في كل تصرف ، وسايرهم في كل مرحلة ، وعاش معهم في كل لحظة .

وعبدالله بن العجلان رائد للشعراء الذين مروا بالتجربة ذاتها ، وتحملوا الشوق بغصصه ، وكابدوا العشق بمرارته ، فرسم لأولئك العشاق طريق الخلود ، وحدّد لكل المؤمنين بقيم الحياة مسالك الوفاء ، ودروب السعادة التي لا تنتهي عند حد ، ولا تتوقف عند نقطة فاصلة .

وقد عبر شعر عبدالله عن هذه الظاهرة بما جعله من المتقدمين على أؤلئك الذين أُخضِعُوا لها . وليس أَمَرَّ على الإنسان من أن يضطر لمغادرة حالة لا يريد فراقها ، ويهجرَ مسألة تعلق بها ، فهذه التي تعلق بها كانت أحبَّ الناس إليه ، وأحظاهم عنده ، مكثت معه سنين سبعاً أو ثمانيا لم تلد . . وهنا تبدأ عقدة الموضوع التي هيأت فرص الحديث لمن يجد في الولد عنصر قوةٍ لأنها التقاليد المفروضة ، وهو السيد في قومه ، وابن سيد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني نَهْدٍ مالاً ، وهو الوحيد لأبيه . . لقد تراكمت المسببات التي تسوغ للوالد الحديث بعد أن اتضح لهم أنَّ هندا عاقراً ، ولم يكن الحبّ في قلب الشاعر العاشق مرتبطاً بالإنجاب ، أو محصوراً بالنسل أو الولد . وإنما السعادةالتي عاشت في وجدانه ، وهو يحقق الحياة مع المرأة التي كُتِب عليه أن يتعلق بها . ومع أن الرواية التي أُحِيطتْ بها حياةُ هذا الشاعر قد امتدت لتأخذ مجالها في الخيال ، أو حِصَّتَهَا في أسباب التسويغ ، إلا أنها ترسم خَطًّا للأسلوب الذي دُفِع إليه الشاعر ليكون ملائماً لرغبته ، ومنسجماً مع جزئيات القصة الغريبة التي تكتنف تلك الحياة .

لقد كانت حالةُ الرفض التي يبديها الشاعر ، وحالة الإصرار التي يرومها صورةً لرسم البعد الإنساني المتمثل في هاتين الحالتين ، وهذا يدفع الوالد إلى أن يتخذ الموقف المضادَّ لرغبة الابن والمناهض لفلسفته في الحياة ، وقد بررتِ المعادلة

التقاط الزمن الذي يقرر فيه الابن دون إرادته ، ويوافق على مواقف لا يملك فيها حرية التصرف ، فكانت قصة الطلاق التي شهدها مجلس والده ، بحضور مشيخة الحي وفتيانهم ، وما تعرض له من تناول بالألسنة ، والتعبير بالضعف والخضوع والانصياع ، وما واجهه من استفزاز لم يتحمل ضغطه ، ولم يقاوم قومه ، ولم يزالوا به حتى قال كلمته التي نَدِم عليها وبكَىٰ من أجلها ، وعاش حياته كلها يذكر حالة الضعف التي اعترته ، وكلمة الطلاق التي اسْتُفِزَّ بها ، وقد استغرقت من شعره مساحة كبيرة ، وسفح من أجلها الدموع الغزار ، وعاش يذكر أيامها وأحاديثها .

ولم يبتعد وهو في غمرة هذه الحالة من الإشادة بفروسيته ، والحديث عن بلاء قومه ، وهو كعادة الفرسان يستشهد بالخيل على مطاردة الخصوم .

وبقيت حالةُ المروءة التي تمثل بها نابضةً لا يقدر على التخلي عنها ، ولا يجد المجال بعيداً عن مغادرتها . وفي أعماقه كانت المأساةُ تُلْهِبُ مشاعره ، وكان حبُّ هند يتأجج كلما ذكر اسمها أو خطر طيفها ، أو استذكر ساعة من ساعاتها . . حتى كُتِبَ عليه أن يعيش الزمن الباقيَ غُصَصاً يتجرع مرارتَها ، وآلاماً يشرق بها ، وقد دفعه حبه إلى أن يخاطر بنفسه وضاقت به السبل . فلما اشتد عليه الألم من السقم خرج سِرًّا من أبيه مخاطراً بنفسه ، حتى أوفى أرض بني عامر ، لا يرهب ما بينهم من الشر والتِّراتِ ، حتى نزل ببني نُمَيْرٍ ، وقصد خِباءَ هِنْدٍ ، فلما قارب دارها رآها جالسة على الحوض ، وزوْجُها يسقي ويذود الإبل عن مائه ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمي بنفسه من بعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، وأقبلتْ تشتد إليه ، فعانق كل واحد منهما صاحبه ، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند لينظر ماحالهما ، فوجدهما ميتين .

وقيل : إن عبدالله بن العجلان أراد المضي إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخَوَّفَهُ الثاراتِ ، وقال: نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحج وحج أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت ، وأثر كفِّها في ثوبه بخلوق ، فرجع إلى أبيه في منزله ، وأخبره بما رأى ، ثم سقط على وجهه فمات .

نهد قبل البعثة النبوية : يمتد تاريخ نهد في أخبار القبائل امتداداً واسعاً لما عرفت به من أمجاد ، وهم أبناء زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، كما يذكر البكري ، وتشير المصادر التاريخية إلى أنَّ نهداً وعُذْرَة وجُهينة وحَوْتكة نزلوا من الْحِجْرِ إلى وادي القُرى[1] وقيل : إن قضاعة كلها ظعنت من غور تهامة[2] وكان أول من طلع من قضاعة إلى أرض نجد فاصحر في صحرائها جُهينة ونَهْدُ وسعد هُذَيم . . . ولم تستقر نَهْدٌ في موضع شأنها شأن كثير من القبائل التي كانت تجد في الجزيرة العربية أرضاً لها ، وفي كل شِعب من شعابها أو وادٍ من وديانها مسكناً تستقر فيه ، ولكنها وجدت في وادي الْقُرىَ وما والاه من البلاد مواطناً ، فلم يزالوا حتى كثروا وانتشروا ووقعت بينهم حرب افترقوا على أثرها في أرض العرب ثانية ، حتى انحدرت جَرْمٌ ونَهْدُ إلى بلاد اليمن ، فنزلوا أرضاً تلي السراة يقال لها أديم ، وأمرهم يومئذ جميع وكلمتهم واحدة[3] ولحقت جَرْمٌ بِنَهْدٍ ، وحالفوا في بني الحارث ، وقيلت في ذالك أشعار كثيرة تشير إلى ذالك الحلف[4] ولم تزل جرم ونهد بتلك البلاد ، وهي على ذالك الحلف حتى ظهر الإسلام ، ومن هنالك هاجر من هاجر منهم وبها بقيتهم[5] .

وتُؤكِّد المصادر التاريخية وكتب الأنساب عراقة نَهْدٍ في الرياسة ، وتُشير وصيته لبنيه واهتمام قومه بها إلى المكانة التي كانت تتمتع بها بين بطون القبائل الأخرى ، واحتفاظ الرواة بما قيل بشأن هذه الوصية لما تركته من أثر في نفوس الآخرين حتى قال هُبيرة بن عمرو بن جرثومة النَّهْدِيُّ فيها[6] :

وأوْصَى أبُـونَـا فَـاتَّبَعْنَـا وِصَـاتَـهُ ... وَكُلُّ امْرِئٍ مُوصٍ أبُوهُ وذَاهِبُ
فَـأوْصَى بِـألاَّ تُسْتَبَـاحَ دِيَـارُكُمْ ... وحَامُوا كَمَا كُنَّا عَلَيْهَـا نُضَارِبُ
إذا أُوْقِدَتْ نَارُ الْعَدُوِّ فَلاَ يَزَلْ ... شِهَابٌ لَكُمْ تُرْمَى به الْحَرْبُ ثاقِبُ
يُفَـرِّجُ عَنْ أبْنَـائِنَـا وَنِسَـائِنَـا ... جِلاَدٌ وَطَعْنٌ يَرْدَعُ الْخَيْلَ صائِبُ
ومَـاذَادَ عَنَّا النَّـاسَ إلاَّ سُيُوفُنَـا ... وخَـطِّيَّـةٌ مِمَّـا يُتَـرِّصُ زَاغِبُ[7]
وكندة تَهْدِي بِـالوَعِيْـدِ ومَذْحِجٌ ... وشَهْرانُ مِنْ أهلِ الْحِجَازِ وَوَاهِب

وقال عمرو بنُ حِلِّزَةَ بنِ مالِكِ النَّهْدِيُّ :

رَحَلْتُ إلىَ كَلْب بِحُـرِّ بِلاَدِهَـا ... فَلَمْ يَسْمَعُوا في حَاجَتِي قَوْلَ قَائِلِ

وَكَانُوا كَـظَنِّيْ إِذْ رَحَلْتُ إِلَيْهِمُ وَمَـا عَالِمٌ بِـالْمَكْرُمَـاتِ كَجَاهِـلِ
رَهَنْتُ يَمِينِي فِي قُضَـاعَـةَ كُلِّهَـا فَأُبْتُ حَمِيداً مِنْهُمُ غَـيْرَ حَافِـلِ
بِذَالِكَ أَوصَانِي زُوَيُّ بنُ مَالِكٍ وَنَهْدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
وَأَوْصَى بِـأَلَّا تُسْتَبَـاحَ دِيَـارُكُمْ وَحَامُوا عَلَيْهَا تَنْطِقُوا فِي الْمَحَافِلِ
وغَـالُوا بِـأَخْذِ المَكْـرُمَـاتِ فَـإِنَّهَا تَفُوزُ غَدَاةَ السَّبْقِ عِنْدَ التَّفَاضُلِ

وكان حنظلة بن نهد من أشراف العرب ، وكانت له منزلة بعكاظ في موسم العرب وتهامة والحجاز ، وعاش الدُّوَيْدُ واسمه جذيمة بن صبح بن زيد بن نَهْدٍ زماناً طويلاً ، لا تذكر العرب من طول عُمُرِ أحدٍ ماتذكر من طول عمره ، وزعموا أنه عاش أربع مئة سنة ، وقال حين حضرته الوفاة(٨) :

الْيَـومَ يُبْـنَى لِـدُوَيْـد بَيْـتُـهْ
يَـارُبَّ غَـيْـلٍ حَسَنٍ ثَـنَـيـتُـهْ
وَمِـعْـصَـمٍ مُـوَشَّـمٍ لَـوَيْـتُـهْ
ومَـغْـنَـمٍ فِي غَـارةٍ حَـوَيْـتُـهْ
لَـوْ كَـانَ لِلدَّهْـرِ بِـلىً أَبْلَيْتُـهْ
أَوْ كَـانَ قِـرْنِي واحِـداً كَفَيْتُـهْ

لقد وجدت هذه القبيلة في وصية نهد حافزاً للدفاع عن مجدها ، وتوثيباً للوقوف بوجه خصومها ، وهو يحدد لهم فلسفته في الحياة ، ونهجه في تأمين مستقبل أبنائها ، لأن استباحة الديار إسقاط لهيبة القبيلة ، وإذلال لكبريائها ، واستهانة بقيمها ، مشيراً إلى أنهم ظلوا يحمون حماها ، ويصونون شرفها ، ويذودون عن حياضها ، وأن المواجهة الحاسمة والموقف الحازم هوالذي يفرج عن الأبناء والنساء ، وأن السلاح وحده هو الصوت الذي يرتفع لِرَدِّ الغزاة الطامعين ، ودفع شرهم . . . وهي كالآلات تؤكد سمو منزلة القبيلة ، وعلو كعبها بين القبائل ، وعزتها في صدّ الذين تسول لهم أنفسهم بالتجاوز عليها ، وقد أَمَدَّتْ هذه الخصالُ شعراءَ نهدٍ بخصائص ظلوا يرفدون قصائد فخرهم بها ، ويغنون مضامين مديحهم بما يجدونه فيها من أسباب التمادح ، وعوامل التوثيب ،

وقد بقيت أصداءُ الوصية في شعرهم نشيداً من أناشيد الاعتزاز ، ولحناً من لحون التفاخر . .

وظهر فيهم شعراء منهم عبدالله بن دهشم النهدي ، وهُبيرة بن عمرو وخالد بن الصقعب .

أما بيوت الرياسة فكانت في حنظلة بن نهد ، وهو أول بيت في قُضاعة ، وكان صاحب فتاحتهم (الحكم في الخصومات) وهو حَكَمُهُمُ الذي يحكم بينهم ، وكان صاحب فُتَاحَةِ تهامة وصاحب العرب بعكاظ ، حين تجتمع في أسواقها وكان عزّ قضاعة وشرفها بني نهد[٩] .

وللهمداني رأي آخر في ارتحالها وتفرقها حيث يذكر ان نهداً ارتفعت إلى نجد العليا وقد كانت دهراً بتهامة[١٠] .

ويبدو أنها استقرت بين رضوى وعَزْور وهما ــ كما يقول البكري ــ جبلان ينبتان الشوحط والنبع والقرظ ، وفيهما مياه وأوشال ، تخرج من شواهق لا يعلم متفجرها ولهم فيها يسار ظاهر ويصب الجبلان في وادي غَيْقَة ، وغَيقَةُ تَصُبُّ في البحر ولها مُسُكٌ تُمسك الماء[١١] . واتخذوا من الصفراء قرية تسكنها جُهينة والأنصار ونهد وهي كثيرة المزارع والنخل ، ماؤها عيون يجري فضلها إلى ينبع[١٢] ، وتتخذ فيها البقول والبطيخ .

ومن الظواهر الجلية في شعر عبدالله بن العجلان ظاهرة المقطعات التي لم تكن نتيجة قِصَرِ نفسه أو خِصِّيصةً من خصائص شعره وانما هو الزمن الذي اقتطع منها ما اقتطع وأبقى منها ما أبقاه ، لتظل هذه البقايا أشلاء قصيرة توحي بما أصابها وتدلل على ما اجْتُزِيَ منها . . حتى بدأنا نشعر بالحيف الذي لحقه والضياع الذي انتاب حياته وشعره ، فوصلت إلينا أجزاءُ شعره وهي تحمل ألم التجزئة ، وتؤكد حالة الانقطاع ، وقد عمت هذه الظاهرة شعره وغلبت عليه ، ولم تقتصر على بعض قصائده التي وصلت إلينا ، وانما شملت شعره برمته ، حيث امتدت إليه فلم يبق من شعره إلا مقطعات قليلة لا تكفي للأحكام التي قيلت فيه ، والشهرة التي عُرِفَ بها والمنزلة التي وصل إليها بين الشعراء العشاق .

ويمكن حصر ماتبقى من شعره بظاهرتين بارزتين الأولى تمثلت في تغنيه بهند ، وهي الصفة الغالبة ، والثانية تمثلت في فخره بقومه وهم ينازلون خصومه من بني عامر الذين تزوج أحدهم هنداً التي أُجْبُرَ على طلاقها كما ذكرنا . . ويكاد الغرضان يتوافقان من حيث الإحساس المباشر والتأثير العاطفي والوجدان الذاتي .

وفي قراءة سريعة لما تمكنت من جمعه من الشعر المتبقي وجدت مجموعة من المفردات التي يأتي على ذكرها وهي توحي بغلبتها وتؤكد تأثيرها النفسي في حياته ، وملازمتها له ، وهو يعيش الغربة ، ويقاسي الشوق ، ويعالج الحنين (فهند) لها ثمان مفردات ويكرر (الذكر) ثلاث مرات و (الندم) ثلاث مرات و (العين) و (الأتراب) . والأفعال (نأت) و (عاد) مرتين ، وتأتي مفردات (النوىَ) و (شطْتْ) و (فارق) و (الشوق) في سياق شعره وهو لا يخرج في أوصافه لهند عن أوصاف الشعراء الآخرين الذين وجدوا في صويحباتهم من اللطف والرقة ، ودبيب القطا ، والميس بين الأتراب ، والتطلع إلى المرآة ، وخفة المسك والتطيب بالمداك والحياء والخوف من الرقباء ، والبراءة والحديث الملذ ، والجدائل المستقرة على متنها ، والسرور عند العناق . . وهي المعاني التي تعارف عليها الشعراء ، وهو يجد في ذكرها وذكر أوصافها تعبيراً عن حالته ، وفي ترديدها راحة في نفسه ، وفي قراءتها أسباباً من أسباب تخفيف مايكابده من لوعة ، ولو حاولنا تجميع هذه المفردات ، وإعادة صياغتها وفقَ ما تؤديه لوجدنا الصورة المؤلمة التي كانت ترافقه وهو يحس بالندم القاتل ، ويعيش الغربة المميتة ، ويتجرع الفراق المفزع ، وفي طرفي الحالتين اللتين تحققنا في داخله واللتين تؤججان النوازع الهائمة فإنه كان يحاول التنفيس عن الحالة بما يعينه عليها شعره ، وتسر به إلى الآخرين نفثات حَرَّى ولواعج لاهبة ، وهو يشعر بطول الشوق ومعاودة الذكرى التي تهيج له الصورة الخالدة ، التي ظلت ملازمة له ، وعاشت في حياته رمزاً من رموز الحياة التي لا تمحى ، والرسوم التي لا تذهب ، وهو يعلم كل العلم أنه غير قادر على مقاومة هذه الحالة التي أصبح عليها بعد أن ظلت عناصر الفروسية أساساً من أسس حياته ، وأسبابُ القوة عاملاً مُؤثراً من عوامل بطولته التي عرف بها . . إنها

حالة التراجع التي يضطر الإنسان إليها وهو لا يمتلك أسباب المقاومة ولا يستطيع أن يتجاوز حالة العشق التي غلبت عليه .

لقد كان الشاعر عبدالله نموذجاً ، حيث حدد الطريق لكل العشاق الذين سلكوا مسلكه ، فاتخذوا منه صورة في بناء القصيدة ، وشكل التعبير ، وانسيابية العواطف ، وحالة التأثر ، وكأنه أعطى هذا النمط الشعري من الحياة طريقاً لمن أراد أن يسير فيه ، أو ينهج نهجه ، وأصبحت قصته بداية لكل المظلومين من الشعراء ، الذين كتب عليهم أن يضطروا لمفارقة أحِبَّتِهِمْ ، ويبتعدوا عن الموحيات اللواتي أثرت فيهم عواطف الحب وفجرت دوافق العاطفة ، وهيأت الفرص لأولئك الرجال الأماجد الذين لم تَلْوِ حُبُّهُمْ قطيعة ، ولم تضعف انْدِفَاعَهُمْ فرقة ، ولم تبدد أحلامهم طوارق الحياة التي فرضت عليهم فكانت قلوبهم مليئة بما عاشوا له ، ونفوسهم عامرة بما حفظوا من ود . . . أما الحبيبات اللواتي تَحَمَّلْنَ العبء وأُخْضِعْنَ لما أُجْبِرْنَ عليه فكانت مأساتهن أشد ، وأشواقهن أمضى وأمدّ ، ولكن الحوائل تحول دون التعبير ، وإن استطاع بعضهن أن يتجاوز حدود المواجهة ـ وكانت لهن أجواؤهن المريرة ، وحياتهن الغريبة ، وأصواتهم المخنوقة التي لم تكد تجد فرصتها حتى تذوب حرقة ، وتكون شهقة الموت الأخيرة هي المتنفس الحاسم لما كابدنه من مرارة .

إنها صورة الحياة التي لازمتْ قيسَ لُبْنَى ، والمجنون وغيرهما ممن وقعوا في دائرة العشق القاتل ، لينتهوا النهاية التي عاشت في ذاكرة العشاق قصة لها ذكرياتها الخالدة ، وإنسانيتها العفيفة ، ومروءتها العزيزة ، ولكنها بقيتْ تحمل نفحَ العفة ، وأطيابَ الوفاء ، وعِزَّ المروءة التي سجلت على صفحات التاريخ لوحاتٍ مليئة بكل ما يجعل النفس الإنسانية معبرة عن الخير ، حاملة عناصر التضحية ، التي لا تنتهي إلى حدود ، ولا تقف عند مسلمات . لقد استطعت أن أتلمس أنفاسه فيما تبقى من شعره وهو يوصي كل الذين يمرون على هند أن يزوروها ، وينقلوا إليها نسمات الوفاء التي يحملها إليها ، وهو يعلم أنَّ الطريق التي يجتازونها لا تهدي إلى ديارها ، ولكنه يشعر بأن حق الرعاية والوفاء يمليان عليه أن يؤديه ، لأن فرص الحياة ذاهبة ، والزمن له أحكامه ، والقلوب لها حقها في مسالك

التكريم ودروب الخير والسعادة .

وتبقى قصيدته التي قالها بعد طلاقه من هند صرخة عاطفية حادّةً عبَّرَ فيها عن ندمه ، وأفاض من خلالها بما كانت تطويه خوافقه من أشواق . وكانت ومضات الفروسية تتجلى في ثنايا القصيدة التي يشير فيها إلى بني نهد (من قومه) . . ولكنها نفثات محزون ، وصرخات متألم . . ويشير في بيتين انفرد بهما ياقوت في « معجم البلدان » إلى أن هنداً أصبحت عامرية ، وأصبح نَهديًّا بنجدين ، ويبدو أن بني نمير من بني عامر كانوا يَحلُّونَ الرِّيَاض .

أما الظاهرة الثانية التي وضحت في شعره فهي فخره بأيام قومه ، وهزيمة عامر الذين كانت لهم منازلاتهم المتواصلة ، وقد احتفظ شعره بقطعة طويلة (أربعة عشر بيتاً) وهي أطول مقطوعة في شعره ، وتذكر الأخبار أنه قالها يوم انهزام عامر بعد أن أرسلته هند لينذر قومها قبل أن يأتيهم بنو عامر ، وقد افتتحها بالنسيب ، ولم تكن هند بعيدة عن هذه المقدمة . . وقد زخرت القصيدة بمفردات الفروسية التي عرف بها الشاعر فكانت لغة (صمّ القنا) و (الدماء) و (الخيل تنحَطُّ في القنا) و (العوالي) و (الرماح) و (صرعى) وغيرها من المفردات هي التي تحرك معاني القصيدة ، والتهديد الذي ضمنه بعد أن رفضت عامر السلام ، وهو إحساس بالروح الخيِّرة ، التي كانت تسم حياة الشاعر ، ويقف مرة أخرى في أبيات ثلاثة عند وقعة أخرى ببني عامر ، ويفخر فيها ببطولته وبلائه ، ولكننا لم نعثر إلا على مقدمة الأبيات .

ولم أجد إشارة إلى شعره أو ديوانه فيما توفر لدي من المصادر وربما يكون ضياع شعره وقلته في عصر التدوين قد حالت دون جمعه أو شرحه ، وهي ظاهرة لم تقتصر على شاعرنا وحده . . وإن كانت هناك إشارة إلى شعر نهد في بعض المصادر .

لقد كانت حياة الشاعر عبدالله نموذجاً للشعراء الأخرين ، حيث أصبح رمزاً يضرب به المثل ، ويقتدى بعشقه الذي ذاع صيته فهو من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقاً[١٣] وقد ذكره بعض الشعراء فقال :

ان مـتّ مـن الحـبّ فقـد مـات ابن عـجـلان

وقال ابن سيرين : ما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا . يعني عبدالله[١٤] . وقيل : إنه شاعر مفلق وناطق مذلق رقيق أديب[١٥] ونقل عن « بلغة الإشفاق في ذكر أيام العشاق » لأبن رشيق أن عبدالله هذا أقل العشاق أياماً ، عاش يكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة ، وهو جاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة فقيل :

فَمَا وَجَدَتْ وَجْدِي بِهَا أُمُّ وَاحِدٍ وَلاَ وَجَدَ النَّهْدِيُّ وَجْدِي عَلَى هِنْدِ
وَلاَ وَجَدَ الْعُذْرِيُّ عُرْوَةُ فِي الْهَوَى كَوَجْدِي وَلاَ مَنْ كَانَ قَبْلِي وَلاَ بَعْدِي

وقال الفرزدق[١٦] :

غَزَالَةُ الشَّمْسِ لاَ يَصْحُو الْفُؤَادُ بِهَا حَتَّى تَرَوَّحْتُ لأْياً بَعْدَ إِيْصَالِ
كَـأَنَّمَـا طَـرَفَتْ عَيْنَيَّ كَـاحِلَةٌ فِي الدَّارِ ، مِنْ سَرَبٍ بِالْمَاءِ مِسْيَالِ
أَوْ كَابْنِ عَجْلاَنَ إِذْ كَانَتْ لَهُ تَلَفاً هِنْـدُ الْهُنُـودِ بِمِقْـدَارٍ وَآجَـالِ

وقال البحتري[١٧] :

هَـوًى لاَ جَمِيـلٌ فِي بُثَيْنَـةَ نَـالَـهُ بِمِثْلِي وَلاَ عَبْدُ بْنُ عَجْلاَنَ فِي هِنْدِ

وسماه ابنُ قتيبة بالعجلاني ، وقال : عبدالله بن عجلان ، وعن عبدالرحمن عن الأصمعي قال : هو نهدي جاهلي[١٨] .

وفـــاته :

ينفرد صاحب « تزيين الأسواق » حيث يذكر أنه توفي في النزهة قبل عام الفيل بأربعة أعوام [١٩] .

إن هذه الأخبار المتباعدة ، والصور الشعرية المتألقة في بعض مجاميع الشعر أو كتب الأدب ، لا ترسم الصورة الكاملة التي تراكمت في أحداثها عاطفةُ الشاعر المشبوبة أو تزاحمت عند مواردها نهلات عاطفته الدافقة ، ولكنها تُحَدِّدُ الإطار العام لحياة شاعر احتفظت به أخبار التاريخ وأسفار الأدب بأعتباره صفحة مشرقة

من صفحات الوفاء ، ولوحة خالدة من لوحات العشق البريْء والتضحية النادرة والإخلاص الحي .

[الحواشي] :

(١) البكري « معجم ما استعجم » ١/٢٣ ـ ٣٨ .
(٢) البكري « معجم ما استعجم » ١/٢٥ .
(٣) البكري « معجم ما استعجم » ١/٣٨ ـ ٤٠ .
(٤) البكري « معجم ما استعجم » ١/٤٢ ـ ٤٣ .
(٥) البكري « معجم ما استعجم » ١/٤٣ .
(٦) البكري « معجم ما استعجم » ١/٣٣ .
(٧) زاغب : رجل من حِمْيَر كان يثقف الرماح .
(٨) البكري « معجم ما استعجم » ١/٣٣ ـ ٣٤ .
(٩) البكري « معجم ما استعجم » ١/٥١ .
(١٠) ن. م ١٠/٥٢ .
(١١) البكري « معجم ما استعجم » ١/٦٥٦ .
(١٢) [ليس ماء الصفراء يجري إلى ينبع بل إلى البحر ، مارًا بِبَدْر ، ثم بالبحر بقرب ميناء الرايس ، جنوب ميناء البُرَيكة ـ والمسافة بين مفيض وادي الصفراء في البحر وبين ينبع لا تقل عن ستين كيلًا ـ « العرب »] .
(١٣) ابن قتيبة « الشعر والشعراء » ١/٧١٦ .
(١٤) أبو الفرج « الأغاني » ٩/٥٤ ـ ٢٢ .
(١٥) الانطاكي « تزيين الأسواق » ١/١٤٠ .
(١٦) الفرزدق « الديوان » ٢/٦٦ .
(١٧) البحتري « الديوان » ٢/٦٦ .
(١٨) ابن قتيبة « الشعر والشعراء » ٢/٧١٦ .
(١٩) الانطاكي « تزيين الأسواق » ١/١٤٢ ـ كذا (النزهة) ولعلها (الفترة) ـ « العرب » .

الشـــعر :

(١)

وقال عبدالله بن العجلان النَّهدي :

إني وَمَـا مَـارَ بِـالْـفُـرَيْـقِ ومَـا   قَـرْقَـر بِـالْجَلْهَتَـيْنِ مِنْ سُـرُبِ(١)
من شَعَـر كـالْغَلِيـلِ يُلْبَـدُ بِـالْـ   ـغِسْلِ وَمَا مَارَ مِنْ دَمٍ سَرَبِ(٢)
والعِـتْرِ عِتْرِ النَّسِيْـكِ يُخْفَـرُ بِـالْـ   ـبُـدْنِ لِحِلِّ الإِحْـرَامِ والنُّصُبِ(٣)

(٢)

قال عبدالله بن العجلان النهدي :

قَـدْ طَـالَ شَـوْقِي وَعَـادَنِي طَـرَبِي ... مِـنْ ذِكْـرِ خَـوْدٍ كَـرِيمَـةِ الْحَسَـبِ
غَـرَّاءُ مِـثْـلُ الْهِـلَالِ صُـورَتُهَـا ... أَوْ مِثْـلِ تِمْثَـالِ صُـورَةِ الـرُّهُـبِ

(٣)

وعن أبي عُبَيدة ، عن يُونُسَ قال : قال بَلَغَنِي عن أبي وَجْزَةَ أنَّه قال : لقيت النَّسابةَ البكريَّ بمِنًى ، فسألته ، فإذا هو أعلم النَّاس ، فقلت له : أيُّ الشعراء أغْزَلُ ؟ قال : أصدقهم وَجْداً ، الذي إنْ سَمِعْتَ شِعْرَهُ أَوَيْتَ لقائِله ، أما نَفَثَ في سَمْعِكَ قولُ حِجازِيِّكُمُ ، عبدُالله بن عَجْلان النَّهْدِيِّ ، واستَخَفَّه مرَّة الوَجْدُ فهَرَب ، فوَقَع ببلادِ بني فَزارةَ ، فقال :

بَكَى فَـرِثَتْ لـه أَجْبـالُ صُبْـحٍ ... وأَسْـعَـدتِ الْجِـبـالَ بهـا مُـرُوتُ
حِـجَـازِيُّ الهَـوَى عَلِقٌ بِـنَـجْـدٍ ... جَـوِيٌّ لا يَـعِـيـشُ ولا يَمُـوتُ
فَـتَـرْدَعُـه الـدَّبُـور لهـا أَجِيـجٌ ... ويُـسْلِمـه إلى الـوَجْـدِ المَـبِـيتُ
كـأَنَّ فـؤادَه كَـفَّـا غَـرِيـقٍ ... تَـنـازَعَـهُ بِشَطِّ الـبَـحْـرِ حُـوتُ
لِهِـنْـدٍ منْـكَ عَـيْنٌ ذاتُ سَـجْـلٍ ... وقَـلْبٌ سَـوْفَ يُـفْـقَـدُ أو يَـفُـوتُ
إذا اكْـتَـنَـفَـا بِـضَـرِّهِـمَـا سَـقِيـمـاً ... يُـعـادِي الـدَّاء ليس لَـهُ مُـقِيـتُ

(٤)

وقـال :

لقد كنتُ ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَهِمَّةٍ ... إِذَا شِئْتُ لَمْساً لِلثُّريَّا لَمَسْتُهَا
أَتَتْنِي سِهَامٌ مِنْ لِحَاظٍ فَأَرْشَقَتْ ... بِقَلْبِي وَلَوْ أَسْطِيعُ رَدًّا رَدَدْتُهَا

(٥)

أسر عبدالله بن العجلان رجلاً من بني الوحيد فمَنَّ عليه واطلقه ووعده الوحِيدِيُّ الثوابَ فلم يَفِ فقال عبدالله :

وَقَـالُوا : لَنْ تَنَـالَ الدَّهْـرَ فَقْـراً ... إِذَا شَكَـرَتْـكَ نِعْمَتَـكَ الْـوَحِيـدُ
فَيَـا نَـدَمـاً نَـدِمْتُ عَـلَى رِزَامٍ ... وَمُخْـلِفَـةٍ كَـمَا خُـلِعَ الْـعَـتُـودُ

(٦)

قال عبدالله بن العجلان :

خَلِيْلَيَّ زُوْرَا قبل شَحْطِ النَّوى هِنْدَا ... وَلاَ تَأْمَنَا مِنْ دَارِ ذِي لَطَفٍ بُعْدا
ولاَ تَعْجَلاَ لَمْ يَدْرِ صَاحِبُ حَاجَةٍ ... أَغَيًّا يُلاَقِي فِي التَّعَجُّلِ أَمْ رُشْدَا
ومُرَّا عَلَيْهَا بَارَكَ الله فِيْكُما ... وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لِوَجْهَيْكما قَصْدَا
وَقُولاَ لَهَا لَيْسَ الضَّلالُ أَجَازَنَا ... ولَكِنَّنا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا
غَداً يَكْثُرُ الباكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ ... وتَزْدَادُ دارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بُعْدا

(٧)

قال عبدالله بن عجلان النهدي :

خَلِّ يَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَسْوَهُمْ ... وَيكُفُّهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَاهِدِ
مِنْ سَيْبِ ذِي فَجَرٍ يُقَسِّمُ مَالَهُ ... فِينا ويَشكُد فوقَ شُكْدُ الشاكِد
ومَعِيَّةُ العُلَمَاءِ يُخْشَى فَافُها ... أَسْوًا وأُمُّ دِمَاغِهَا كالْفَاسِدِ
أَبْرأْتَهَا إِذْ كُنْتَ أَنتَ طَبيبهَا ... حَتَّى تُؤَدِّيَها كَعَهْدِ العَاهِدِ

(٨)

وقال عبدالله بن العجلان بعد انهزام عامر في يوم من أيام نَهْدٍ بعد أن أرسلته هند لينذر قومها قبل أن يأتيهم بنو عامر :

عاوَدَ عَيْنِي نَصْبُهَا وَغُرورُها ... أهمٌّ عَرَاهَا أم قَذَاها يَعُورُهَا
أم الدار أَمْسَت قَدْ تَعفَّت كأَنَّها ... زَبُورُ يَمَانٍ نَقَّشَتْهُ سُطُورُهَا
ذَكَرتُ بها هِنْداً وأَتْرابَها الأُلَى ... بِهَا يُكْذَبُ الْوَاشِي ويُعْصَى أميرُهَا
فَمَا مُعْوِلٌ تَبْكِي لِفَقْدِ أَلِيفِهَا ... إِذَا ذَكَرَتْهُ لاَ يَكُفُّ زَفِيرُهَا
بِأَسْرَعَ مِنِّي عَبْرَةً إِذْ رَأَيْتُهَا ... يُخِبُّ بِهَا قَبْلَ الصَّبَاحِ بَعِيرُهَا
أَلَمْ يَأْتِ هِنْداً كَيْفَما صُنْعُ قَوْمِها ... بَنِي عَامِرٍ إِذْ جَاءَ يَسْعَى نَذِيرُهَا
فَقَالُوا لَنَا : إِنَّا نُحِبُّ لِقَاءَكُمْ ... وَأَنَّا نُحَيِّي أَرْضَكُمْ ونَزُورُهَا
فَقُلْنَا إِذَنْ لاَ نَنْكُلُ الدَّهْرَ عنكُمْ ... بِصُمِّ الْقَنَا اللاَّئِي الدِّمَاءَ تُميرُها

فَلا غَرْوَ أَنَّ الخَيْلَ تَنحطُ فِي القَنا ... تَمَطَّرُ مِنْ تَحْتِ العوالي ذُكُورها
تَـأَوَّهُ بِمَـا مَسَّهـا مِـنْ كَـرِيهَـةٍ ... وتُصْغِي الخُدُودَ وَالرِّمَاحُ تَصُورُها
وأَصْحَـابُها صَرْعى بِبُـرْقَةِ أَخْـرَبٍ ... تُجَـرِّرُهُـمْ ضِبْـعَـانُها ونُـسورُهـا
فَـأَبْلِغْ أَبـا الحَجَّـاجِ عَنِّي رِسَالَـةً ... مُـغَـلْغَـلَةً لَا يُـفْلِتَـنْـكَ بُسُـورُهـا
فَـأَنْتَ مَنعتَ السِّلْمَ يَـوْمَ لَـقِيْتَنـا ... بِكَفَّيْـكَ تُسـدِي غَـيَّـهُ وتُنـيْـرُهـا
فَذُوقُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْ فَرْطِ إِحْنَةٍ ... حَـلائِبَنَا إِذْ غَـابَ عَنَّـا نَصِـيرُها

(٩)

قال يذكر وقعة قومه ببني عامر :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي الْـعَجْـلَانِ عَـنِّي ... فَـلَا يُنْبِيـكَ بِـالْحَـدَثـانِ غَيْـرِي
بَـأَنَّـا قَـدْ قَتَلْنَـا الخَيْرَ قُـرْطـاً ... وَجُـلْنَـا فِي سَرَاةِ بَـنِي نُمَـيْرٍ
وأَفْلَتَنَـا بَنُـو شَكَـلٍ رِجَـالاً ... حُـفَـاةً يَـرْبَـؤُوْنَ عَـلَى سُـمَـيْرِ

(١٠)

ومن مختار ماقاله ابن العجلان في هند :

أَلَا أَبْلِغَا هِنْداً سَلامِي ، وَإِنْ نَأَتْ ... فَقَلْبِي بِها مُذْ شَطَّتِ الدَّارُ مُدْنَفُ
وَلَمْ أَرَ هِنْداً بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ ... بِأَنْعَمَ فِي أَهْلِ الـدِّيَارِ تُـطَوَّفُ
أَتَتْ بَيْنَ أَتْرَابٍ تَمَايَسُ إِذْ مَشَتْ ... دَبِيْبَ الْقَطَا أَوْهُنَّ مِنْهُنَّ أَقْطَفُ
يُبَـاكِرْنَ مِـرْآةً جَلِيًّـا وَفَـارَةً ... ذَكِيًّا وبِالأَيْـدِي مَدَاكٌ وَمِسْـوَفُ
أَشَـارَتْ إِلَيْنَا فِي خَـيَاءٍ وَرَاعَهَا ... سَرَاةَ الضُّحَى مِنِّي عَلَى الحَيِّ مَوْقِفُ
وقالَتْ : تَبَاعَدْ يَا ابْنَ عَمِّي فَإِنَّنِي ... مُنِيتُ بِذِي صَوْلٍ يغارُ ويَعْنُفُ

(١١)

وقال في طلاق هند :

فَـارَقْـتُ هِـنْـداً طَـائِـعـاً ... فَـنَـدِمْـتُ عِـنْـدَ فِـرَاقِـهَـا
فَـالْـعَـيْنُ تُـذْرِي دَمْـعَـهَـا ... كَـالـدُّرِّ مِـنْ آمَـاقِـهَـا

مُتَحَلِّباً فَوْقَ الرِّدَا ءِ، يَجُولُ مِنْ رَقْرَاقِهَا
خَوْدٌ رَدَاحٌ طَفْلَةٌ مَا الْفُحْشُ مِنْ أَخْلَاقِهَا
وَلَقَدْ أَلَذُّ حَدِيثَهَا وَأَسَرُّ عِنْدَ عِنَاقِهَا

وفي هذه القصيدة يقول :

إنْ كُنْتِ سَاقِيَةً بِبُزْ لِ الأُدْمِ أَوْ بِحِقَاقِهَا
فَاسْقِي بَنِي نَهْدٍ إذَا شَرِبُوا خِيَارَ زِقَاقِهَا
فَالخَيلُ تَعْلَمُ كَيْفَ نَلْحـ ـقُهَا غَدَاةَ لِحَاقِهَا
بِأَسِنَّةٍ زُرقٍ صَبَحْنَـ ـا القَومَ حَدَّ رِقَاقِهَا
حَتَّى تَرَيْ قِصَدَ الْقَنَا وَالْبِيْضَ فِي أَعْنَاقِهَا

(١٢)

وقال عبدالله بن عجلان النَّهْدي :

وَحُقَّةِ مِسْكٍ مِنْ نِسَاءٍ لَبِسْتُهَا شَبَابِي وَكأسٍ بَاكَرَتْنِي شَمُولُهَا
جَدِيدَةُ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا سَقِيَّةُ بَرْدِيٍّ نَمَتْهَا غُيُولُهَا
ومُخْمَلَةٍ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونِ ثَوْبِهَا تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطِّوَالُ تَطُولُهَا
كَأَنَّ دِمَقْساً أو فُرُوعَ غَمَامَةٍ عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيلُهَا
وأَبْيَضَ مَنْقُوفٍ وَزِقٍّ وقَيْنَةٍ وَصَهْبَاءَ فِي بَيْضَاءَ بَادٍ حُجُولُهَا
إذَا صُبَّ في الراوُوقِ مِنْهَا تَضَوَّعَتْ كُمَيْتٌ يَلِذُّ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا

(١٣)

وأورد الهجريُّ في كلامه على ريش السهام من حديث طويل ما نَصُّه : ولا يصلح أن يكون في سهم واحد ظِهَارٌ وبطَانٌ ، وهو شرٌّ من اللغب . قال عبدالله بن العجلان النَّهْدِيّ :

وَلٰكِنَّهَا تَرْمِي الْقُلُوبَ إِذَا رَمَتْ بِسَهْمَيْنِ رِيشَا رِيْشَ لَغْبٍ مِنَ الْكُحْلِ

ومعنى ذالك ــ والله أعلم على مافسره لي النهدي وغيره ــ انه التقى باطن الجفنين الأعليين إذا غَمَّضَ الناظر عينيه ، فكأن الجفنين جناحين ، يمين ويسارٌ ، وهو حسن في العين ، لغب . . . ــ ثم كلام طويل لم يتضح في المصورة .

(١٤)

وقال الصُّحَاريُّ في « الأنساب » : وفي عَبْدِ كُلَالٍ بن عَرِيْبٍ يقول الشاعر عبدالله بـن عجلان ، فارس بني نَهْد :

وعَبْـدُ كُـلَالٍ حَـازَ كُلَّ عَـظِيْمَـةٍ   سَـمِعْـتُ بِهَـا فِي حِمْـيَرٍ وكَفِـيلِهَـا

(١٥)

خرج عبدالله بن العجلان في الجاهلية فقال :

أَلَا إِنَّ هِنْـداً أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمَا   وأَصْـبَحْـتَ مِنْ أَدْنَى حُمُـوَّتِهـا حَمـا
فـأصبحتَ كـالمقمـور جَفْنَ سِـلاحِـه   يُقَلِّبُ بِـالْكَفَّـيْنِ قَـوْسـاً وأَسْـهُـمَا

(١٦)

وذكر صاحب « الوحشيات » أن هذه القطعة تروى لعبدالله بن عجلان النهدي وتروى لعبدالرحمن القيني وتروى للسموأل وتروى لأبي الوليد . .

إِنِّي لَعَمْـرِكَ مَـا أَخْشَى إِذَا ذُكِـرَتْ   مِنِّي الخَـلَائِقُ فِي مُسْتَنْكَـرِ الـزَّمَنِ
أَنْ لَا أَكُونَ إِذَا مَـا أَزْمَـةٌ أَزَمَتْ   مُـرَبِّباً ذَا قَـرِيْضٍ أَمْلَسَ الْبَـدَنِ
وَلَا أُبَـالِي إِذَا لَمْ أَجْـنِ فَـاحِشَـةً   طُـوْلَ الشُّحُـوبِ وَلَا أَرْتَـاحُ لِلسِّمَنِ

(١٧)

وقال عبدالله بن العجلان النهدي :

الا أن هنـداً أصبحت عـامـريـةً   وأصبحتُ نهديـاً بنجـدين نـائيـا
تُحلُّ الـريـاضَ في نُمير بن عـامرٍ   بـأرضِ الـربـاب أو تحـلُّ المـطاليا

بغداد : الدكتور نوري حمودي القيسي
عميد كلية الآداب ــ جامعة بغداد

التخريج والشرح :

(١) الأبيات في « حيوان » الجاحظ ٥/٣٧٦ .
السُّرُبُ : جماعة من القطا وغيره واحدتها سُرْبة ، وعبر بها هنا عن الحجاج وعنى بالقرقرة تلبية الحجيج ورفعهم أصواتهم بالدعاء .
الخَليل : القَتُّ والنوى والعجين تعلف الإبل ، والسَّرْب : السائل .

العتر : ما عُتر أي ذبح والعُتْر : الصنم يعتر له والنسيكة : الذبحة .

(٢) البيتان في « الأغاني » ٢٤٤/٢٢ .

« وتزيين الأسواق » ١٤٣ ورواية الأول وعاذلي .. والثاني .. صورة الرهب .

(٣) البيت الأول والرابع مع اختلاف في الحماسة البصرية ١١٥/٢ .

(٤) البيتان في تزيين الأسواق ١٤١ .

(٥) البيتان في « الأغاني » ٢٤٨/٢٢ .

(٦) الأبيات [١ ـ ٥] في « تزيين الأسواق » ١٤٤ وفي « مختار الأغاني » لابن منظور ٤٠٣/٥ ورواية الرابع : ليس الطريق أجازنا .

الأبيات [١ ـ ٤] في الأغاني ٢٥٣/٢٢ ـ ٢٥٤ .

(٧) الأبيات في « الوحشيات » ١٢٧ .

الفجر : الجود الواسع والكرم من التفجر في الخير المعروف .

الشكد : العطاء والمنح .

(٨) الأبيات [١ ـ ١٤] في الأغاني ٢٤٩/٢٢ ـ ٢٥٠ .

(٩) الأبيات في الأغاني ٢٤٧/٢٢ .

(١٠) الأبيات [١ ـ ٦] في الأغاني ٢٥٢/٢٢ ـ ٢٥٣ .

ورواية الثالث : ... اقطف وأظنه تحريفاً والصحيح : ألطف ..

والأبيات [١ ـ ٦] في تزيين الأسواق ١٤٤ وفي رواية بعض أبياتها اختلاف بائن .

(١١) الأبيات في « الأغاني » ٢٤٦/٢٢ ـ ٢٤٧ .

وهي في « تزيين الأسواق » ١٤٢ وفي رواية بعض أبياتها اختلاف .

(١٢) الأبيات في « حماسة أبي تمام » (التبريزي) ١٢٩/٣ ـ ١٣١ والأربعة الأولى في المرزوقي ١٢٦٠ وذكر التبريزي في شرحه أنَّ النمري حين تكلم عن البيت الرابع ذكر خلافاً منه لما قبله إذ كان البيت المتقدم ـ كما يقول في صفة امرأة ـ وهذا البيت يجب أن يكون في صفة ناقة ، ولاشك أنه قد سقط منه شيء يصله بما قبله ، ولم يذكر ذالك أحدٌ منهم .

والأبيات (وحقت) و (جديدة) . و (كأن) في « اللسان » ـ جدل ـ و (غيل) و (سقى) والغيول ـ هنا ـ جمع غيل ، وهو الماء يجري بين الشجر ، لأن الماء يسقي والأجمة لا تسقي ، والسُّقِيُّ البَرْدِيُّ الناعم .

(١٣) « النوادر والتعليقات » المخطوطة الهندية ٤٨٣/٤٨٤ .

(١٤) ج ١ ص ١٨٠ .

(١٥) البيتان في « الشعر والشعراء » ٧١٦/٢ ونسبت لعبدالله بن عجلان .

وفي « الأغاني » ٢٥٤/٢٢ و « مصارع العشاق » ١٥ ـ ١٦ منسوبين إلى عبدالله بن العجلان وفي « اللسان » [حمر] وقال رجل كانت له امرأة فطلقها وتزوجها أخوه ورواية البيت :

لقد أصبحت أسماء حجراً مُحرماً واصبحتُ .....

وينظر ج ٥٣/٩ ـ من « الأغاني » حيث يذكر نسبها إلى عبدالله بن العجلان .

ويذكر صاحب « تزيين الأسواق » رواية أخرى تؤيد نِسْبتها إلى عبدالله بن العجلان ويروي بيتين آخرين فيهما بعض أوجه الشبه وتنظر تفاصيل الرواية في « تزيين الأسواق » ١٤٣ .

(١٦) الإبيات في الوحشيات ١٦٥ .

وقال المحقق الفاضل المرحوم الميمني .. ولكن لا أثر لها في ديوان السموأل وشك في اسم عبدالرحمن القيني .

(١٧) البيتان في « معجم البلدان » ٧٤٧/٢ (رباب) .

كتابـان .... وملاحظـات

ـ ١ ـ

أغناطوس كراتشكوفسكي «دراسات في تاريخ الأدب العربي» منتخبات . ترجمة عن الروسية . دار النشر (علم) . موسكو ١٩٥٦ ـ ٢٢٣ ص+ ١ .

١ ـ في الكتاب خمسة بحوث مختارة من آثار كراتشكوفسكي هي: الشعر العربي (كتبه سنة ١٩٢٤) ، البديع عند العرب في القرن التاسع (١٩٣٠) ، الحضارة العربية في اسبانيا (١٩٣٦) ، الشعر العربي في الأندلس (١٩٤٠) ، أقدم تاريخ لقصة المجنون وليلى في الأدب العربي (١٩٤٦) .

المقالات ـ البحوث قيمة لم تفقد قيمتها وقوتها، وتريك علم الرجل واستيعابه وتمكنه .

وقد أحسن المترجمون فقدموا البحوث وكأنها كتبت هكذا باللغة العربية لأول مرة . ترجم الأول والثاني والرابع محمد المعصراني ؛ والثالث ك.ع فاسيليفا ـ وهي كلثوم عودة فاسيليفا زوجة المستشرق الكبير وقد طبع الكتاب تحت إشرافها ـ وترجم الرابع : النجفي .

٢ ـ ص ٥ قال: (العالم اللغوي أبو عمرو لتلاميذه منذ القرن الثامن . . . : (ماوصلكم من لغة العرب إلاّ القليل) .

لم يرجع المترجم إلى الأصل العربي، وهذا القول يرويه محمد بن سلام ـ في كتابه «طبقات الشعراء» عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء هكذا : (ماانتهى إليكم مما قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعر كثير) .

٣ ـ ص ١١ (ويمر الشاعر في طريقه على مكان كان في السابق مقاماً لقبيلته (. . .) ويرى فيه الأطلال والأثافي التي كان يوضع عليها قدر الطعام والنؤي المتهدم الذي كان يصد ماء المطر عن الخيمة (. . .) النؤي الذي عفى عليه العشب . . .).

قد يفهم من كلمة (يصد) مالا يدل عليه النؤي حقيقة، كأن يفهم مرتفعاً من

الأرض، وماهو كذالك . جاء في «القاموس»: النؤي . . . الحفير حول الخِباء أو الخيمة يمنع السيل . ونلاحظ ـ للفائدة ـ أن (القدر) مؤنثة . وقال (بوضع) لوجود الفصل بالجار والمجرور .

٤ ـ ص ١٧ : (وجميل بثينة ـ سليل بني عذرة الذين خلدهم هايني) .

هايني أو هاينة Heine هو الشاعر الألماني (١٧٩٧ ـ ١٨٥٦) . وياحبذا لو ذكر كيف خلده . . . وأين ؟

٥ ـ ص ١٨ : (بانتهاء عهد الأمويين تنتهي الحقبة العربية المحض من تاريخ الخلافة الإسلامية . ولهذا كان أحد العلماء الألمان على حق تام عندما أسمى كتابه الذي وضعه لهذه الحقبة بـ «الدولة العربية وسقوطها) .
يقصد: (قُلها وزن) ـ والكتاب مترجم إلى العربية ـ ولعله ترجم مرتين .

٦ ـ ص ١٩ : (ويكثر الشعراء من وصف الخمرة ومجالس اللهو وبخاصة أبونواس البارع الذي يُشبَّه بهايني ولكن في غير حق) .

أ ـ ياحبذا لو عرَّفنا العارفون بالأدب الألماني ماهو حق وماهو غير حق من تشبيه أبي نواس بهايني . ومن الذي شبهه ؟ ولماذا ؟

٧ ـ ص ٢٠ : (الحلاج الشهير الذي صلب في أوائل القرن العاشر لزندقته) . .
أصح وأدق كم قولنا : (لزندقته) أن نقول : مُتَّهَمَاً بالزندقة . لأن في القول الأول إثباتاً للزندقة عليه . ولهذا جاء على ص ٩٤ : الحب الالهي . . . الوجد: (وراح ضحيته الحلاَّج الذي اعتبر زنديقاً) وهو تعبير أصح من سابقه . وقد يعود الاختلاف إلى المترجم .
٨ ـ ص ٢٠ : (ابن المعتز . . . يستعمل الرجز لوصف الصيد ويقوم بتجربة في الشعر الملحمي الذي لا نرى له على الصعيد العربي إلا انعكاساً باهتاً ، بل قُلْ: معدوماً على وجه العموم) .

٩ ـ ص ٣٠ : (ومن الظواهر التي تميز الشعر الحديث (. . .) بدأ يتطور شعر الملاحم ، أو على الأصح شعر القصص . وكان نقل «الألياذة» إلى اللغة العربية

في أوائل القرن العشرين ، حدثاً ضخماً جـدّاً يثير الاهتمام العام . وقد ظهرت بتأثير «اليادة» قصيدة «حريق سان فرنسيسكو» لأمين خير الله السوري الذي يعيش في أميركا . وتقرب من هذا النوع قصيدة أحمد شوقي «الحرب اليونانية التركية» . . .) .

لم نطلع على قصيدة «حريق سان فرنسيسكو» .

وصحيح ماورد لأحمد شوقي أن يعد تاريخاً و(قصصاً) ـ والمؤلف يتسهل كثيراً في مصطلح «الملحمة» كما هي ، وكما كانت .

١٠ ـ ص ٧٢ : (انتقال العلم والشعر إلى أوربا) ـ موضوع جدير أن يطلع عليه طلبة الدراسات المقارنة ، ويفيدوا ـ خاصّةً ـ من المصادر المذكورة في ذيله .

١١ ـ ص ١٠٣ : (وتنسب للغزال ـ يحيى بن الحكم البكري ٧٧٠ ـ ٨٦٤ ـ إحدى المحاولات الأولى للقصائد الملحمية . فعندما عاد من عند النورمنديين اضطر إلى البقاء شهرين في (سنت ياغو) في شمالي اسبانيا . فانتهز هذه الفرصة لنظم أرجوزة عن فتح الأندلس . ويقول المؤرخ ابن حيان (٩٨٧ - ١٠٧٠) الذي يعرفه جيِّداً ، إن هذه الأرجوزة (جميلة وعظيمة تعرض لأسباب الفتح ووقائع الحرب بين المسلمين وأهل الأندلس (. . .) وأنها مكتوبة بلغة جميلة . . .) ولكن هذه الأرجوزة لم تصل إلينا) .

ويبدو أن العناية بالشعر الملحمي كانت على أشدها في ذالك العهد . فتمام ابن العلقم (٨٠١ ـ ٨٩٦) أصغر معاصري الغزال (. . .) تنسب إليه أرجوزة أخرى لها المحتوى نفسه تقريباً . . . ولكن هذه القصيدة . . . لم تصل إلينا .

وهكذا ، يقرب كراتشكوفسكي الأرجوزة العربية من الشعر الملحمي كلما طالت وتضمنت وقائع حربية أو تاريخاً سياسياً . وهو ـ على عادته يتسهّل في مدلول مصطلح (الملحمة) الحقيقية .

والملاحظ أنه لم يصف أرجوزة ابن عبد ربّه (٨٦٠ - ٩٤٠) بالملحمة وإنما

اكتفى بالقول: (وقد أنشأ على سبيل التقليد ـ أرجوزة بقيتْ حتى أيامنا هذه هي بمثابة تاريخ لغزوات عبدالرحمن الثالث السنوية . . .).

١٢ ـ ص ١٠٨ : (ابن دراج القسطلي (المتوفى عام ١٠٣٠) الذي شُبِّه أيضاً بالمتنبي وذاع صيته في حياته ، فوصل إلى نيشابور حيث قال فيه الثعالبي (المتوفي عام ١٠٣٨) . . . (بلغني أن القسطلي عندهم في الأندلس كالمتنبي في الشام) .

نيشابور هكذا بالشين عند أهلها ، أمَّا العرب فيلفظونها بالسين : نيسابور ، والثعالبي عندنا نيسابوري وليس نيشابوري . . وتاريخ وفاته هجرياً سنة ٤٢٩ . ونص كلام الثعالبي: (كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام) وقول المؤلف (أيضاً)يشير إلى (ابن هانىء الأندلسي) فهو عند أهل الأندلس كالمتنبي .

١٣ ـ ص ١٠٩ : (كان ابن دراج مثالاً للكاتب الشاعر لا في الحضارة الأندلسية وحدها بل في الحضارة العربية كلها) .

ليس هذا التعبير عربياً وإنما هو من آثار الترجمة ، ويمكن قوله هكذا : كان ابن دراج مثالاً للكاتب الشاعر في الحضارة الأندلسية وفي الحضارة العربة كلها . . . ـ أو ماأشبه .

١٤ ـ ص ١٤٨ «أغنية Las tres morillas التي كانت كصوبة الطريق لريبيرا في دراسته التاريخية لموسيقى القرون الوسطى . . .).

احسب أن (صوبة)، من التوهم أو الخطأ المطبعي، وإن صحيحها : صُوَى والصوى العلامات الدالة ، مفردها صُوَّة ـ بضم الصاد وتشديد الواو ، ولا يبعد أن يكون المؤلف ـ أو المترجم ـ قد أراد بـ (صوبة) الطريق: صُوَّة الطريق ـ على الإفراد .

١٥ ـ ص ١٨٦ : (البحث الواسع الذي قام به شوارتس ونشره (١٨٩٣ ـ ١٩٠٩) حول شاعر مكة الكبير ، عمر بن أبي ربيعة . . .)

شاعر مكة : شاعر المدينة ـ وكانت إشارة سبقت ص ١٧ إلى المدينة، قال وهو يتحدث عن (أشعار في الغزل قائمة بذاتها): (وكان مركز هذا الشعر مدينة يثرب

حيث الأرستقراطية التجارية (. . .) فعمر بن أبي ربيعة مثلاً (أبرز شعراء الحب عند العرب) كما يقول روكيرت ، وأكبر أعلام هذا الشعر ، لم يكن يحتاج إلى التكسب بشعره) .

١٦ ــ تبقى بحوث كراتشكوفسكي قيمة، ومناسب أن نذكر هنا لكراتشوفسكي بحثه «الأدب العربي» الذي نشرته مجلة الرسالة في أعدادها ١٧٠، ١٧١، ١٧٤ ، ١٨١ من مجلداتها ١٠، ١١، ١٢ ــ القاهرة ١٩٣٦ ــ ينظر الدكتور جميل صليبا ــ اتجاهات النقد الحديث في سورية، القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٧٤ .

ــ ٢ ــ

رحلة ابن بطوطة ــ بيروت: دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩/ ١٩٦٠ ــ ٧٤٩ ص مع الفهارس ــ كتب التعريف بابن بطوطة ــ كرم البستاني ، ومعلوم أنه هو الذي يشرف على هذه السلسلة .

١ ــ قولنا كرم البستاني (يشرف) يخرجه عن التحقيق، وليس النشر تحقيقاً ، ولا من إشارة ــ أو صورة ــ إلى مخطوطة وأكبر الظن أنه أفاد من طبعة سابقة ونقل الأوربية بعد أن جردها من سمات التحقيق العلمي!! واحتفظ بقليل من الهوامش . والعجيب أن تقرأ في الهوامش (كما في ص ١٩١) (هكذا في الأصل) ترى ماالأصل؟ وأين الحديث عنه أو وصفه ؟!

٢ ــ ص ١٧٥ : (نزلنا موضعاً يعرف بالمساجد فيه ثلاث مصانع): ثلاثة .

٣ ــ ص ١٨٥ : مدينة البصرة: (دخلنا ضحوة النهار إلى مدينة البصرة (. . .) وكنت رأيتُ عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناء عالياً ، مثل الحصن، فسألت عنه فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه ، وكانت البصرة من اتّساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها ، وبينه الآن وبينها ميلان ، وكذالك بينه وبين السور الأول المحيط بها نحو ذالك ، فهو متوسط بينهما) . ص ١٨٦ : (وأهل البصرة . . . يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين علي (. . .) ثم يُسد فلا يأتونه إلا في الجمعة) .

ينفع هذا الخبر في موضوع (المِرْبد) ــ وينظر معجم البلدان لياقوت، وفيه

(. . . نحو ثلاثة أميال . . .).

ولنتذكر أن ابن بطوطة ــ بدأ رحلته بالخروج من طنْجة سنة ٧٢٥هـ ، وتقع حياته بين ٧٠٤ ـ ٧٧٩هـ .

٤ ــ تعرف رحلة ابن بطوطة بـ: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ــ ولم يشر البستاني إلى ذالك .

٥ ــ قال البستاني معرفاً: (هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي» والصحيح : محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم. . ــ ابن بطوطة .

٦ ــ ومن الحواشي ماجاء ص ٢٢٧ ـ ٨ عند (ذكر سلطان العراقين وخراسان . . . بها درخان . . . ابن خذابنده (. . .) وقيل إنما هو خَرْ بنده وتفسير خَرْ بالفارسية الحمار ، فمعناها غلام الحمار (. . .) وقيل: إن سبب تسميته بهذا الأخير هو أن التتريسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته . فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزّمال وهم يسمونه خر بنده . . .) .

في الهامش (الزمال) الضعيف الجبان، ولعلهم يعنون الحمار، يدل على ذالك ماتقدم من معنى الاسم) .

الذي يعرف اللهجة العراقية المعاصرة لايُتْعِبُ نفسه لأن الزُّمال فيها هو الحمار ليس غير .

وورد في النص خذا بنده . . . خذا بالفارسية اسم الله . . . وبنده غلام أو عبد . . .) والصحيح كتابتها بالدال: خذا بنده . . . خدا . . .

٧ ـ ص ١٩١ : قال بعد أن ترك البصرة إلى أرض اللور: (وصلنا بعد أربعة أيام إلى بلدة ماجول على وزن فاعول وجيمها معقودة . وهي صغيرة على ساحل هذا الخليج . . .) .

وفي الحاشية: (قوله: وجيمها معقودة ، هكذا في الأصل ولم نجد لهذه اللفظة معنى موافقاً ، ولعل المراد أنها تلفظ كالجيم المصرية) .

وقال ص ١٩٩ : (مدينة اصفهان من عراق العجم (واسمها يقال بالفاء الخالصة ويقال بالفاء المعقودة المفخمة) .

وفي الحاشية: لعل المراد بالفاء المعقودة أنها تلفظ كحرف الفاء الذي يوضع عليه ثلاث نقط) ــ يقصد الـ V . ومعلوم من ياقوت ــ وغيره ــ أن أصفهان تلفظ بالفاء وبالباء (P) والمعقودة هنا الباء ــ وإذا افترضنا أن (المعقودة) تعني ثلاث النقاط من اسم أعجمي أمكن أن نستنبط أن الجيم المعقودة من ماجول هي الجيم الانكليزية الجيم بثلاث نقاط Ch

ونعود إلى الحاشية لنشير إلى مايمكن أن يكون من خطإ النسخ أو الطبع لدى ورود (أصفهان . . . ويقال بالفاء المعقودة) وأن الصحيح : (. . . ويقال بالباء المعقودة) أي الباء ذات ثلاث النقاط (وهي الپاء P) .

٨ ـ ص ١٩٥ : (ملك ايذج. . . يبعث. . . هدية لملك العراق في كل سنة، وربما وفد عليه بنفسه) .

تنفع من يؤرخ لاستعمال: (بنفسه) .

وتكررت ص ٣٦٧: (وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربته. .)، وتنظر ص ٢٩٠ .

٩ ــ ص ٢٥٨ : (ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حِدَة) تنفع من يؤرخ لاستعمال: (على حدة) .

١٠ ــ ص ٢٦٠ : من (كُلْوا: (ومن عوايدهم الحسنة التّصافح في المسجد. .) ، عوايدهم: عوائدهم . أما كُلْوا فيقول ياقوت: (كِلْوَةَ بالكسر ثم السكون وفتح الواو والهاء بلفظ واحدة الكلى) ــ ولعل ابن بطوطة ــ نقلها (كُلوا) كما سمعها ؟

١١ ــ ص ٢١٦ : لخطيب ظفار ــ (جوار مسميات بأسماء خدّام المغرب . إحدهن اسمها بخينة . . .).

الشكل من البستاني وإلاّ فهي من اَلبَخْت وهي بَخِيتة أو بُخيتة ــ في أقل تقدير .

١٢ ــ ص ٢٦٦ : (مرسى): نستعملها كما نستعمل اليوم ميناء .

١٣ ــ تذكرت أن مرّ بي اسم (عبود) فاستغربته لذلك الزمان. . . ثم عدت أبحث عن مكانه ، واستعنت بفهرس الأعلام فوجدته لا يذكره .

١٤ ــ ص ٢٧١ ــ ٢ : (وصلنا بلاد عُمان . . . ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد، وهي مدينة نَزْوَا . . . ومن مدن عُمان مدينة زَكى لم أدخلها ، وهي على ماذكر لي مدينة عظيمة منها القُريّات وشبا وكلبا . . . وصحار . . .).

تكتب نزوا هذه الأيام: نزوى .

وصحيح زكى : أزكى .

١٥ ــ ص ٢٧٩ : (ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين في خَوْر راكد . . . فإذا كان شهر أبريل وشهر مايه تأتي إليه القوارب).

ص ٣٩٣ : (بعد نزول المطر بأرض السند والهند ، وذالك في أوائل شهر يوليه) وهكذا يدل على استعمال قديم (ونحن في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد) لهذه الشهور (وشرحها البستاني: نيسان، أيار، تموز) . ويبدو أنه يستعملها لعلاقة مناخية .

وألا فهو يستعمل الشهور العربية كذالك (ص ٣٩٣ مثل: سلخ ذي الحجة. . . المحرم) .

١٦ ــ يمكن أن تقوم دراسة على (لغة) رحلة ابن بطوطة فتسهم في خدمة «المعجم» .

١٧ ــ ص ٤٦ : (الحويزا على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة) ص ٦٤٩ (الحويزا) .

ص ٢١٨ : (الحويزاء . . . بينها وبين البصرة مسيرة أربع) .

الكلمة هي هي وردت مرتين (الحويزا) ومرة (الحويزاء) ــ والمعروف جيداً ، وعلى مر التاريخ أنها: الحويزة .

←

شرح الكافية البديعية
في علوم البلاغة ومحاسن البديع
لصفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ
تحقيق الدكتور نسيب نشاوي
من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٠٣هـ

عرض صاحب الكتاب للأجناس البديعية في كتابه هذا ، والأنواع البديعية تتجاوز مانعرفه منها في « علم البديع » الذي هو قسم من أقسام علوم البلاغة وهي : المعاني والبيان والبديع ، ذالك أنه عرض للاستعارة والتشبيه والمجاز ، وهذا شيء من مواد علم البيان ، وعلى هذا فدلالة « البديع » في كتاب الصفي الحلي دلالة قديمة تعني أشتات علوم البلاغة ، ويتحقق ذالك على سبيل المثال في « البديع » الذي صنعه ابن المعتز .

لقد جمع الشعر في كتابه واحداً وخمسين ومئة نوع من الأنواع البديعية جاءت في خمسة وأربعين ومئة بيت ، وهي عدة أبيات قصيدته التي حبسها على مدح الرسول الكريم وآل بيته الطاهرين معارضاً فيها بُردة البوصيري المشهورة التي مطلعها :

أمِن تـذكُّـر جـيرانٍ بـذي سَلَمِ ‏ ‏ ‏ ‏ مزجتَ دمعاً جَرَى من مقلةٍ بدَمِ

لقد أعجب صفي الدين بقصيدة البوصيري هذه فعارضها بوزنها وقافيتها وغرضها فقال في مطلع قصيدته :

← ذكر ص ٤٦ : من علماء مصر: (الشيخ جمال الدين الحويزائي ، والحويزا. . .) ، وص ٢١٨ (الحويزاء . . . ومن أهلها الشيخ الصالح جمال الدين الحويزاني شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة) ولابُدَّ من حصول تصحيف (في الثانية). أترى جمال الدين هذا . . . هو من الحويزة فعلاً ؟

١٨ ــ ص ٧١ : (قال أبو الفتيان بن جبوس): حَيُّوس .

بغداد : ‏ ‏ ‏ علي جواد الطاهر

إنْ جئتَ سَلْعاً فسَلْ عَن جِيرةِ العَلَمِ   واقْرَ السَّلامَ عَلى عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ

كما عارض البوصيري طائفة من الشعراء المتأخرين .

وقد جعل الصفيّ الحليّ كل بيت من أبيات قصيدته مادة لنوع من أنواع البديع ، ورُبما جاء في البيت الواحد نوعان أو ثلاثة ، وهو حين يذكر البيت يؤيده بما ورد من شواهد في ذالك النوع في آي القرآن الكريم وفي الشعر القديم في عصوره كلها . وعلى هذا فالكتاب مصدر من مصادر الدراسة البلاغية .

ولنعرض للنوع الأول ليكون مثلاً أو نموذجاً من نهج المؤلف في كتابه .

جاء في الصفحة (٥٧) بعد فاتحة الكتاب ومقدمة المؤلف قوله :

براعة المطلع

إنْ جئتَ سَلْعاً فسَلْ عن جِيرةِ العَلَمِ   واقرَ السلامَ على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

أما « براعة المطلع » فهي عبارة عن سهولة اللفظ وصحة السبك . ووضوح المعنى . . . . وشرطه في النظم أن يكون المطلع دالاً على مابُنِيَتْ القصيدة عليه من غرض الشاعر كقول أبي تمام :

السَيف أصدق أنباءً من الكتب   . . . .

وكقول أبي الطيّب:

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ   . . . .

هذا هو نهج المؤلف ، حتى اذا انتهى من « براعة المطلع » انتقل إلى النوع الثاني وهو الجناس فجرى على ماجرى عليه من بسط الحدّ مؤيداً بالشواهد .

وقد أغرى صنيع صفي الدين الحلي في كتابه هذا جماعة من الشعراء فنظموا قصائد في الغرض نفسه ، وهو مدح الرسول الكريم ، ذاهبين في شرحها إلى بسط الأنواع البديعية فَسُمِّيت قصائدهم بل كتبهم « البديعيّات » ، ومن هؤلاء ابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧هـ ، وابن جابر الأندلسي المتوفى سنة ٧٨٠هـ ، وعزالدين الموصلي المتوفى سنة ٧٨٩هـ وغير هاؤلاء ، وقد أشار إلى هذا محقق

كتاب الصفي الحلي هذا . وقصائد هاؤلاء كلها جاءت معارضة للأصل وهي قصيدة البوصيري المشهورة في وزنها وقافيتها وغرضها .

هذا ما اعتزمت ان أبسطه من مادة الكتاب ونهجه . وقد وجدت أن من المفيد أن أتناول هذا الكتاب ناقداً فأبينِّ العلم المفيد في هذا النمط من التأليف ، وجهد المحقق فيه فأقول :

١ ــ جاء في الصفحة (٤) من مقدمة المحقق قوله :

ومع أنه خصص الشرح لـ « علم البديع » فهو لم يفرّق بينه وبين « علم البيان » فتجد في الكتاب الاستعارة والتشبيه والمجاز . . .

أقول : لقد اشرت إلى ان مصطلح « البديع » لم يكن مقصوراً في العصور القديمة وفي عصر الصفي الحلي ، على الأنواع البديعية المعروفة كالجِناس والطباق ونحوهما ، بل كان عامًّا يشمل الأنواع المختلفة من مادةالبلاغة العربية .

واستعمال المحقق في قوله : « ومع أنه » ، وهو استعمال فاشٍ في العربية المعاصرة ، وكأنه شيء من أسلوب الشرط بدلالة مجيء الجواب مقترناً بالفاء ، فقد قال المحقق في الجواب : فهو لم يفرِّق بينه وبين . . . . وكأنَّ هذا الأسلوب الجديد يفيد « إذا » الشرطية ، فالمراد : واذا خصّص الشرح لـ « علم البديع » فهو لم يفرّق . .

٢ ــ وجاء في الصفحة (١١) في الكلام على «ترجمة المؤلف » :

ولد بالحلة بالعراق يوم الجمعة . . . . . وهي قرية مشهورة في طرف دُجَيل بغداد . . . . .

وهذا هو كلام ياقوت في مادة « الحلّة » .

أقول : والحلّة هذه هي الحِلة السّيفية ، حلة المزيديّين الأسديين فهم الذين مصّروها . انظر « الكامل » لابن الأثير .

٣ ــ وجاء في الصفحة (١٥) قول المحقق :

أمّا القصيدة الأخيرة فقد ضمنها خلاصة الحكمة والتجربة الحياتية (كذا) .

أقول : ولابد من الوقوف على « الحياتية » التي هي نسبة إلى « الحياة » . وقد شاعت هذه النسبة في لغة المعاصرين ولغة الصحف . وهي من الخطأ ذالك ان الصواب أن يقال : التجربة الحَيَويّة . فكما لا يجوز ان نقول : العادَتية ، والصلاتية ، والزكاتية ، كذالك لا يجوز ان نقول : الحياتية ، ولكن ما العمل ، وقد جَرَت الألسنة على الخطأ الذي مرده الجهل بالعربية . وإني لأغضّ الطرف عن هذا الخطأ الشائع في أساليب المعاصرين ، ولكني لا أغتفره لمن يكتب في علوم العربية كصاحبنا محقق الكتاب .

٤ ــ وجاء في الصفحة (١٨) قول المحقق :

ولعل هذه الزيارة كانت من « المؤهبات الرئيسة » للشعر الديني . . .

أقول : جاء هذا في الكلام على أبيات لصفي الدين الحلي أشار فيها إلى زيارته لقبر الرسول ﷺ .

وقول المحقق : من « المؤهبات الرئيسة » يستدعي وقفة قصيرة للكلام على « المؤهبات » ثم على « الرئيسة » . « المؤهبات » من « الأُهبة » وهي العُدّة ، وتأهَّب بمعنى استعَدّ ، يقال : أخذ لذالك الأمر أُهبته ، وليس في هذه الكلمة شيء على « فاعَلَ » مثل « آمَن » ، وعلى هذا فالمؤهبات مما ولدّه المحقق ، وليس شيء منه في العربية .

وأما الرئيسة « فهي فعيلة » كالعظيمة والنفيسة ونحوهما ، ولكن المعربين أضافوا إلى هذا الوصف ياءً مشددة والياء زائدة وليست للنسبة إلى الرئيس ، وليس لنا أن نقول : ان الرئيسي والرئيسية من الخطأ ، فمن مذاهب العرب هذه الزيادة ، ومن ذالك قول العجاج : « والدهر بالإنسان دوّاريٌّ » ، والأصل : دوّار .

٥ ــ وجاء في الصفحة (١٩) من « مقدمة » المحقق البيت :

إنْ جئتَ سَلْعاً فَسَلْ عن جيرةِ العَلَم   واقرا السلامَ على عُربٍ بذي سَلَمِ

أقول : والبيت مطلع القصيدة التي عارض بها الصفي الحلي بُردة البوصيري . . وجاء فيها :

« واقرا » كذا بالألف بعد الراء . والذي أراه ان الفتح هو الصواب ، وهو الأمر من « قَرَا » « يَقْرا » بتسهيل الهمزة ، وهو شيء اقتضته الضرورة ، فاذ سُهِّلَت الهمزة تحولت إلى ألف مد ، وعلى هذا فالوجه أن يكون عجز البيت : « واقرَ السلامَ . . . . . » .

٦ ــ وجاء في الصفحات (٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) في الكلام على نهج القصيدة في « مقدمة » المحقق :

وكثيراً ما يأتي على مدح أصحاب الرسول الكرام ثم يعود إلى مدح الرسول ثانية .

وقد ذكر المحقق الأبيات التي استدل بها على قوله ، ثم قال : وكان لأصحاب النبي ﷺ وآله نصيب من المدائح يمدحهم بلا استثناء أو تفريق بين أحد منهم ، وقد يرينا شعره ان الفاروق عمر بن الخطاب هو أحبّ الأربعة الراشدين إليه اذ يقول :

قيل لي : « تعشَقُ الصحابةَ طُرّاً ... أم تفرَّدتَ منهم بفريقِ
. . . .
. . . .
فإلى من تميلُ ؟ قلت : ... إلى الأربع لاسيّما إلى الفاروق

أقول : وقد مدح آل البيت ــ رضوان الله عليهم ــ في قصائد عدّة ، وهو القائل في أمير المؤمنين علي ــ عليه السلام ــ :

جُمِعَتْ في صفاتك الأضدادُ ... فلهذا عزَّتْ لك الأندادُ
أنت سِرُّ النبيّ والصِّنْوُ وابنُ ... العمِّ والصِّهْر والأخ المستجاد

والقصيدة طويلة في الديوان .

أقول : اذا كان هذا فهل يحق للدارسين في عصرنا أن يحملوا الصفيّ الحلي على شعراء الشيعة ؟

ونحن نعلم انه انقطع إلى مدح السلطان الملك ناصر الدين محمد بن قلاوون ، من المماليك في قصائد كثيرة تؤلف شيئاً من ديوان ، واتصل بالأرتقيين في ماردين ومدحهم وعلى رأسهم الملك الصالح بن المنصور ، وكان على صلة وثيقة بأبيه الملك المنصور بن غازي صاحب ماردين الذي رثاه وهو في العراق حين بلغه نبأ وفاته ، وجملة هذه القصيدة دُعِيَت « الارتقيات » .

وبعد هذه « المقدمة » للمحقق نباشر الكتاب فنقرأ فيه « مقدمة » المؤلف التي عرض فيها الصفيّ الحليّ للسبب الذي دعاه إلى نظم القصيدة ، ثم عاد فشرحها فجعل منها كتاباً في الأنواع البديعية وأشار إلى من سبقه في هذا التأليف كما أشار إلى مصادره التي أفاد منها .

ولابد لي من وقفات يسيرة على شيء من مادة الكتاب فأقول :

١ ــ جاء في آخر مقدمة المصنف في الصفحة (٥٦) قوله :

وأعوذ بالله أن أكون ممن زكىّ نفسه أو . . . . . . وأنما أشرت إلى حسن الاختيار لا إلى الإحسان في الاختبار . فقد قيل : اختبار المرء شاهد عقله . . . . . .

أقول : والصواب : « اختيار المرء شاهد عقله » ، وهذا معروف .

٢ ــ وجاء في الصفحة (٥٨) بيت أبي تمام :

السيف كان أصدق أنباءً من الكتب . . . .

أقول : وزيادة « كان » تفسد الوزن ، والبيت مشهور !!

٣ ــ وجاء في حاشية هذه الصفحة في التعليق على بيت أبي تمام :

تمامه : « في حدّه الحدُّ بينَ الجدِّ واللعِبِ » وهو مطلع القصيدة الشهيرة في مدح

الخليفة . . . ، وهو في «شرح ديوان أبي تمام» ، و«بدر التمام» ، و« التنبيه على حدوث التصحيف » و « معجم الأدباء » لياقوت و « تحرير التحبير » و « المثل السائر » و « الإيضاح » للقزويني .

أقول : وهذه الحاشية الطويلة ليست من فضائل التحقيق ، وشهرة البيت تغني عن هذه الحاشية الطويلة ، وقصيدة أبي تمام هذه أشهر من « قفا نبك » كما قيل ، فهل من حاجة إلى هذا التزيُّد ، ولو تسمَّحنا فأشرنا إلى « الديوان » ، ألم يكن ذلك كافياً ، وأي إفادة في ذكر هذه الكتب ، ثم اننا حين نذكر هذه الكتب فلابد أن نعلم أن البيت مذكور في عشرات أخرى من المصادر فلِمَ اجتزأنا عن كلّها بسبعة منها ؟!

٤ ــ وجاء في حاشية هذه الصفحة تعليق على شطر ورد في النص للمتنبي ، وهو قوله :

« لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ » .

فعلق المحقق في حاشيته وصنع كما صنع في بيت أبي تمام المتقدم فأشار إلى عجز البيت وإلى وروده في ديوان المتنبي في طبعة (نشرة صادر) ، وفي الديوان (شرح العكبري) ، و « الإيضاح » للقزويني ، و « نهاية الأرب » للنويري ، و « نفحات الأزهار » للنابلسي ، و « خزانة الأدب » للبغدادي ، و « التلخيص » للقزويني ، و « المثل السائر » .

ماذا أقول في هذا النمط من التحقيق ، وهل استوفى المحقق المصادر التي جاء فيها هذا البيت شاهداً ؟ غفر الله له ، لقد نسي ديوان المتنبي (شرح الواحدي) !!

أقول : وقد صنع المحقق هذه الصنعة غير المفيدة في جميع الشواهد التي مرت في الكتاب فما أظن أن القاريْ محتاج أن يعرف قول النابغة « ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه . . . . . . » وموقعه في الديوان ، لأنه مشهور ، ألا يكفي ان ينص عليه الصفي الحلي فيقول : كقول النابغة ؟

وهل من حاجة ان نعرف ان البيت في « الشعر والشعراء » ، و « طبقات فحول الشعراء » ، و « أخلاق الوزيرين » ، و« فصل المقال » ، و « الإيضاح » .

سامحك الله أيها الأخ المحقق ، فقد تزيدت وتكثّرت وعانيت نَصَباً ، وذهبت شَطَطا . ومثل هذا كثير .

٥ ــ وجاء في الصفحة (٦٠) في الكلام على « الجناس » قول أبي الفتح البُسْتي :

أروم في أيسام غيرك بسطة   في الجاد لي إني لَعَينُ الجاهلِ

أقول : الجناس في هذا أسماه المؤلف « تجنيس التركيب » وهو قول الشاعر :

« الجاه لي والجاهِلِ » . وهو ضرب من العبث بل من اللعب ، والسعي نحو هذه الألاعيب قد حمل الضيم على أدبنا القديم ولاسيما في العصور المتأخرة ، وهذا نظير ماورد في مطلع قصيدة الصفي الحلي .

« إنْ جئت سَلْعاً فسَلْ عن جيرة العَلَمِ »

فقوله : « سَلْعاً » وقوله « سَلْ عن » من هذه الألاعيب التافهة .

٦ ــ وجاء في الصفحة (٦١) في الكلام على « تجنيس المطلق » :

وسماه قوم « تجنيس المشابهة » فهو ما اختلف في الحروف والحركات فاشتبه بالمشتق الراجع معناه إلى أصل واحد ، وليس ذلك من أصناف التجنيس كقوله تعالى : ﴿ أزِفَت الآزفة ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فأقِمْ وجهَك للدِّين القيم ﴾ .

ومثال المشتبه قوله تعالى : ﴿ يا أسَفَى على يوسف ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأسلمتُ مع سليمان ﴾ .

أقول : تعالى الله عن هذه الألاعيب غلوًّا كبيراً ، إذ كيف لنا ان نجعل هذه الآيات البليغة السمحة من هذا الذي اضطرب فيه المؤلف فقال : ومثل هذا قولي في المطلع :

واقر السلام على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

وذلك في جمع « السلام » و« سَلَم » في عجز البيت .

٧ ــ وجاء في الصفحة (٦٢) في الكلام على « تجنيس التلفيق » قول البُستي :

إلى حتفي سعى قَدَمي أرى قَدَمي أراق دَمي

أقول : ومن هذا العبث قوله : أرى قَدَمي أراق دمي .

ومن غير المعقول أن نجعل الآية السمحة : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ من « التجنيس المذيل واللاحق » كما ورد في الصفحة (٦٣) . وجعل من هذا قوله في القصيدة :

« إضَم » و« وَضَم » في قوله :

أبيتُ والدمع هامٍ هاملٌ سَرِبٌ والجسمُ في إضَمٍ لحمٌ على وَضَمِ

وقوله : « هامٍ » و« هامل » من هذا أيضاً .

وكيف يسوغ لنا ان ندرج قوله تعالى : ﴿ ويومَ تقوم الساعة يُقْسِمُ المجرمون مالبثوا غير ساعة ﴾ في باب التجنيس (التام والمطرَّف) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ والتفَّت الساقُ بالساقِ إلى ربِّكَ يومئذٍ المساق ﴾ .

٨ ــ وجاء في الصفحة (٦٥) في باب التجنيس « المصحَّف والمحرَّف » :

أقول : وكيف يكون منه قوله تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعا ﴾ ، وجعلوا منه أيضاً قوله ﷺ : « اللَّهُم حسَّنتَ خَلْقي فحَسِّن خُلُقي » !!

وكيف لي أن أدرج هذا الأدب العالي في هذا الباب وأجعله نظير قوله في البيت الشاهد من قصيدته :

من لي بكل غريرٍ من ظبائِهِمُ عزيز حُسْنٍ يُداوي الكَلْم بالكَلِمِ

أنى يكون هذا !!

٩ ــ ويذهب المؤلف في الصفحة (٦٦) في باب « اللفظي والمقلوب » فيجعل

منه قوله تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرة ، إلى ربِّها ناظرة ﴾ .

أقول : وهذه المشابهة بين «ناضرة» و « ناظرة » في الآية الكريمة تَسَبَّبت من أن المعربين جهلوا الفرق بين نطق الضاد ونطق الظاء ، فلما كان هذا الخطأ تشابه الصوتان ، وليس في الأصل من شَبَه .

١٠ ــ وجاء في الصفحة (٧٥) في باب « المقابلة » قول صفي الدين :

كان الرضى بدُنوِّي من خواطِرهمْ فصار سخطي لبُعدي عن جوارِهِم

والمقابلة هي في « الرضى » و « السُّخط » و « الدُّنوّ » و « البعد » .

أقول : ان مجيء هذه المواد في البيت تشعر ان الشاعر قد قصد إليها وتكلفها ، ولم تأت إليه عفو الخاطر ، وليس من ذلك قول المتنبي :

أزورُهم وسَواد الليلِ يشفع لي وأنثني وبياض الصبحِ يُغري بي

وسعة ذرع المتنبي تشعرنا أنه لم يُعَنِّ نفسه في السعي وراء هذه الفذلكات ، فهو القائل :

أنامُ مِلْءَ جفوني عن شواردها ويَسهَرُ الخَلْق جَرّاها ويختصمُ

١١ ـ وجاء في الصفحة (٧٨) في باب « الالتفات » بيت النابغة :

يادارَ ميَّة بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ أقوتْ ، وطال عليها سالفُ الأبَد

أقول : هل كان هذا البيت المشهور محتاجاً إلى أن يوثقه المحقق فيذكر « الكتاب » لسيبويه ، و « الأضداد » لأبي الطيب اللغوي ، و « رصف المباني » للمالقي ، وهذا كله زيادة على « الديوان » !؟

١٢ ــ ومن ألاعيب البديع ما أسماه المؤلف « التفويف » في الصفحة (٧٩) وجعل منه قوله :

أقصِرْ ، أطِلْ ، اعذِرِ ، اعذِلْ ، سَلِّ ، خَلِّ ، أعِنْ
خُنْ ، هَنِّ ، عَنِّ ، تَرَفَّق ، لُجَّ ، كُفَّ ، لُمِ

واستشهد عليه بالغثّ من قول المتنبي :

أَقِلْ ، أَنِلْ ، اقطَعْ ، احْمِلْ ، عَلِّ ، سَلِّ ، أَعِدْ
زِدْ ، هَشِّ ، بَشِّ ، تَفَضَّل ، ادْنِ ، سُرَّ ، صِلِ

هذا هو التفويف ، ولو قلت : هذا هو التقبيح ، ما جُرتَ على الحق .

١٣ ـ وجاء في الصفحة (٨٥) في باب « الهجاء في معرض المدح » قول المؤلف :

« كقول الحماسيّ » ....

وقد علق المحقق على « الحماسيّ » فرجع إلى « ديوان الحماسة » بشرحيهما فقال : « البيتان لقريط بن أنيف وهو .... ثم وثق البيتين بورودهما في جملة من المصادر الأدبية .

أقول : وهذه حاشية مفيدة ، والقارئ محتاج ان يعرف « الحماسي » . غير أن المحقق قد ذكر في مصادر توثيق البيتين : « التنبيه » لابن جنّي ، ولعله أراد « المنبه » في شرح أسماء شعراء الحماسة ، والكتاب رسالة صغيرة مطبوعة طبعة قديمة وأظنها في دمشق ، ولم أجد « التنبيه » المزعوم لابن جني في فهرس المصادر الذي صنعه المحقق ، كما اني لم أجد « المنبه » أيضاً .

١٤ ـ وجاء في الصفحة (٨٨) في باب « التهكّم » :

قول بعضهم :

فيالـه من عَمَـلٍ صـالحٍ يـرفعُـه الله إلى أسفَـلِ

وقد علق المحقق على البيت فقال : نُسِبَ إلى ابن الرومي في « تحرير التحبير » ، و « نهاية الأرب » و « نفحات الأزهار » .

أقول : وأين ديوان الشاعر في طبعته الجديدة ، وطبعته القديمة (كامل كيلاني) ؟

ومثل هذا جاء في الصفحة التالية (٨٩) في الاستشهاد على « الإبهام » من أنواع البديع ، قول الشاعر :

خــاط لي عــمــرو قُـبــاء لــيــتَ عــيــنَــيــه سَــواء

وقد علق المحقق على البيت فقال : هو لبشار بن برد ، وهو في « العقد الفريد » و « الإيضاح » و « قطر الغيث المُسْجَم » و « نهاية الأرب » و « حدائق السحر » للوطواط و « تحرير التحبير » و « نفحات الأزهار » .

ولو ان المحقق ذكر الديوان لأغنانا عن ذالك ، وإذا كان البيت لا يوجد في الديوان ، وأظنه كذالك ، كان عليه أيضاً أن يشير إلى أنه ليس في الديوان .

وقد ضبط « قباء » بضم القاف والصواب بالفتح .

١٥ ـ وجاء في الصفحة (١١٠) في باب « الاستدراك » :

كقول الأرَّجاني : ....

وقد علق المحقق فقال : لم أجد البيتين في ديوان الأرجاني المطبوع ببيروت ١٣٠٧هـ .

أقول : هذا التعليق مفيد ، ولكن المحقق لم يعلم أن الديوان قد طبع طبعة محققة استدرك فيها صاحبها على الطبعة الأولى ، وكان على المحقق أن يرجع إليها ، فان لم يكن البيتان في الطبعة الجديدة حقّ له أن يذهب إلى ماذهب إليه .

١٦ ـ وجاء في الصفحة (١٣٤) في باب « التكرار » قوله :

الطاهرِ الشِّيَمِ ابن الطاهر الشِّيَمَ ابـ ـنِ الطاهرِ الشيَمِ ابن الطاهرِ الشِّيَمِ

أقول : كيف يكون هذا « التكرار » الثقيل من « البديع » .

وكيف صحّ أن يستشهد المؤلف على هذا بقول ابن المعتز :

لــســاني لِسرّي كــتَــوَمٌ كَــتــومُ ودمــعــي بِـحُــبّــي نَمــومٌ نَمــومُ

ما أبعد هذا عن بيت المؤلف المتقدم .

١٧ ـ وجاء في الصفحات (١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦) أنواع هي : المبالغة والإغراق والغلوّ والإيغال . وليس لنا أن نعدّ هذه من « المحسِّنات » .

وكيف يكون من « المبالغة » قوله تعالى : ﴿ يومَ ترونَها تذهَل كلُّ مرضعةٍ عما أرضَعَت ، وتَضَع كلُّ ذات حَمْل حملها ﴾ !!

وكيف يكون من « الإغراق » قوله تعالى : ﴿ وإن كان مكرُهم لتزولَ منه الجبال ﴾ !!

وكيف يكون من « الغلوّ » قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتُها يُضيء ولو لم تمسَسْهُ نارٌ ﴾ !!

١٨ ـ وجاء في الصفحة (١٦٤) « الترشيح » من أنواع البديع ، واستشهد له المؤلف بقول التهامي :

وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنما تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ

قال المؤلف : فلولا ذكر « الشفير » لما كان في « الرجاء » تورية بـ « رجاء البئر » ولكان من « رجوت الأمرَ » .

أقول : ولا وجه للتورية ، فأمّا ماكان للبئر فهو « رَجَا » بالقصر ، وإن جاز مَدّ المقصور . ولا أرى التهامي إلا قصد « الرجاء » على حقيقته ، وقوله : « شفير هار » لا يدعو أن يكون « الرجاء » للبئر .

١٩ ـ وجاء في الصفحة (٢٣٣) في باب « ائتلاف اللفظ مع الوزن » قوله :

في ظلِّ منصورِ اللواءِ له عَدْلٌ يؤلِّف بين الذئب والغَنَمِ

قال المؤلف : وهذا النوع لا مثال له ، لأنه عبارة عن ألاّ يضطر الشاعر للوزن إلى أن يقدم بعض الألفاظ ويؤخر بعضها فيفسد تصور المعنى ويذهب رونق اللفظ كما قال الفرزدق :

وما مثلُهُ في الناسِ إلاّ مُمَلَّكاً أبو أمِّه حيٌّ أبوه يقاربُه

أقول : وهذا البيت يدخل في سوء التركيب ، وقد استشهد به البلاغيون وعدّوه من العيوب لأنه يدخل في باب « التعقيد » . ←

توجيهات نحوية للحديث النبويّ

« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا . . . »

« الحديثُ الشريف » هو المصدرالتالي لـ « القرآن الكريم » في ميدان التشريع الإسلامي ، وثاني أدلّة الأحكام ، وهو مثل ذالك في ميدان اللغة والنحو والتصريف ، لما بينهما من ترابط وتَوَاشُجٍ في المسلك والقصد ، لأنَّ الحديث الشريف أفصحُ كلامٍ نَطَقَ به العربُ ، وهو مع ذالك يتميز بمادة غزيرة ، وثراء لفظي ، ولهجات عربية ، وتراكيب تقف مصاقع العرب عن أن تأتي بمثلها ، وأساليب يعجز البلغاء عن مجاراتها في أدبها وبيانها وسحرها .

← وقال المؤلف : والّا يضطر الشاعر الوزن إلى فساد اللغة بتغيير صيغها كقول الشاعر :

حتى اذا خَرَّت على الكَلْكالِ

ويريد « الكَلْكَل » .

أقول : وهذا شيء تفرضه لغة الشعر بسبب الوزن والقافية ، فقد يبدلون حرفاً بآخر من أجل القافية ، وقد يستحدثون مالا يجوز في العربية ، وباب هذا طويل . أليس من سلطان القافية ، وتحكُّمها أن يقول العجّاج :

قواطناً مكّةَ من وُرْقِ الحمي

وأصل « الحمي » الحَمام فحذف الألف ، وأبدل الميم الثانية ياءً . . . . .

وقد ورد هذا الشاهد في نص الكتاب فجعله المحقق « الحَمى » (كذا) بفتحةٍ على الميم وفاتته بذالك النكتة ، وسقط الاستشهاد بهذا الرجز لصنعة المحقق . والرجز من شواهد النحو القديم ، وهو مذكور في كتب النحو كافة .

وبعد فهذا جملة ماوددت أن أقف عليه مجتزئاً بالمهمّ من المسائل عن كثير غيرها .

صنعاء : د. إبراهيم السامرائي

لذا فالنحويُّ مُلْزَمٌ بالرجوع إلى معينه الفياض ، ومورده العذب الزُّلال ، لتزداد معرفته بالشواهد العربية النثرية ، وليطلع على الرصيد العربي الضخم الذي ورِثْناهُ من سيِّدِ ولد عدنان ﷺ .

فـ « الحديث النبوي » حافظٌ لِلُّغةِ العربية ــ بعد كتاب الله تعالىٰ ــ وللهجاتها ، وغريب ألفاظها من الضياع والاندثار .

و « الحديث النبوي » قدَّم للغة العربية ألفاظاً جديدة ، وتراكيب رفيعة لم تكن من قبلُ .

ولا يجوز الطعنُ في لغة صادرة عن عربي فصيح ، وإنْ كانت خارجةً عن القواعد النَّحْوية العامَّة .

قال ابن جني في « الخصائص » (١ : ٣٨٥ ــ ٣٨٦) : (باب فيما يرد عن العربي مخالفاً لما عليه الجمهور : إذا اتفق شيءٌ من ذالك نظر في حال ذالك العربي وفيما جاء به . فإن كان الإنسان فصيحاً في جميع ماعدا ذالك القدر الذي انفرد به ، وكان ما أورده مما يقبله القياسُ ، إلَّا أنه لم يرد به استعمالٌ إلَّا من جهة ذالك الإنسان ، فإن الأولى في ذالك أن يُحسن الظنُّ به ، ولا يُحمل على فساده .

فإن قيل : فمن أين ذالك له ، وليس مسوغاً أن يرتجل لغةً لنفسه ؟

قيل : قد يمكن أن يكون ذالك وقع إليه من لغة قديمة ، قد طال عهدها ، وعفا رسمها ، وتأبدت[1] معالمها . . قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : كان الشِّعر علم القوم ، ولم يكن لهم علم أصحُّ منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولَهيت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب في الأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا[2] إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذالك وقد هَلَكَ من العرب من هلك . . .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلَّا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير) . انتهى .

فقد بحث ابن جني مسألة مخالفة العربي الفصيح ماعليه الجمهور .

وأفاد بأنه يقبل منه ، ولا يرد عليه ، ويحمل كلامه على أنه لغةٌ قديمةٌ قد طال عهدها وعفا رسمها ، وتأبدت معالمها . . .

هذا بالنسبة للعربي الفصيح ، فما بالك بحديث أفصح العرب ، وصفوة البشر محمد ﷺ الذي مدت عليه الفصاحة رُوَاقَها ، وشدت به البلاغة نطاقها ، وازدهرت به لهجاتها .

لذا أقول : لا يجوز الطعن في فصاحة الحديث النبوي على الإطلاق ، ولوكان خارجاً عن القواعد النحوية العامة ؛ لأن الحديث النبوي سبق وضع القواعد النحوية ، والقواعد خاضعة في مقاييسها للحديث الشريف ، كما أنها خاضعة لكلام العرب ، وليس الحديث النبوي ، خاضعاً للموازين النحوية .

فقد جاء في « خزانة الأدب » (١ : ١١ ــ ١٢) : قال أبو حيان الأندلسي ــ ٧٤٥هـ : (ونعلم قطعاً من غير شك أنَّ رسول الله ﷺ كان أفصح العرب ، فلم يكن يتكلم إلاَّ بأفصح اللغات ، وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها ، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذالك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز ، وتعليم الله ذالك له من غير معلم) . انتهى .

* * *

والحديث عن الحديث ، ذو شجون ، لذا أَوَدُّ أن أقصر حديثي على حذف النون في الأفعال الخمسة في (لا تدخلوا) و (لا تؤمنوا) من الحديث الشريف ، الذي خصصتُ هذا المقال له .

● فأقول ــ وبالله التوفيق ــ :

أَخْرَجَ الحديث أحمدُ في « مسنده » (٢ : ٢٤٢) من حديث أبي هريرة يرفعه : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تُؤْمِنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا » . ومثله في « مسنده » (٢ : ٣٩١) دون « والذي نفسي بيده » .

وكذلك أخرجه البغويُّ في « مصابيح السنة » (٢ : ١٠٠) بإثبات النون في

(تدخلون) و (تؤمنون) .

والحديثُ بهذه الرواية موافق للقواعد النحوية المشهورة .

وأخرج الحديثَ الشريف مسلمٌ في « صحيحه » في (كتاب الإيمان ــ باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون . . .) (١ : ٧٤) من حديث أبي هريرة ، يرفعه بلفظ : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتّى تَحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أَفْشُوا السلامَ بينكم » .

وأورده بعده في نفس الباب برواية : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا . . . » .

قال محيي الدين أبو زكريا يحيىٰ النووي ــ ٦٧١هـ في « شرحه على مسلم » (٢ : ٣٦) : قوله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا » هكذا في جميع الأصول والروايات . و « لا تؤمنوا » بحذف النون من آخره ، وهي لغة معروفة صحيحة .

وقال شهابُ الدين ، أحمدُ بنُ عمرَ ، أبو العباس القرطبي ــ ٦٥٦هـ في كتابه « المفهم » (جـ ١/ق ٤٤) : قوله : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » كذا صحّة الرواية هُنَا . و « لا تؤمنوا » بإسقاط النون ، والصواب إثباتها كما وقع في بعض النسخ ، لأن (لا) نَفْيٌ ، لا نَهْيٌ ، فلزم إثباتها .

وأخرجه أحمدُ في « مسنده » (٢ : ٤٩٥) بنحو رواية مسلم من حديث أبي هريرة يرفعه : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتّى تُؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتّى تحابُّوا » .

وفي « مشكاة المصابيح » لـ التبريزي (٣ : ١٣١٦) بإثبات نون « تدخلون » ، وبحذفها في « لا تؤمنوا » .

وأخرجه أبو داود في « سُنَنِهِ » في (كتاب الأدب ــ باب في إفشاء السلام) كما في « مختصر سنن أبي داود » (٨ : ٦٧) من حديث أبي هريرة يرفعه بلفظ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا » .

● فالروايات المتقدمة إمَّا بإثبات (نون) الرفع في (تدخلون) و (تؤمنون) .

وإمَّا بإثبات (نون) الرفع في (تدخلون) وحَذْفها في (تؤمنون) .

وإمَّا بحذف (نون) الرفع في (تدخلون) وإثباتها في (تؤمنون) .

● وهناك فريق من علماء الحديث أورد الحديث بحذف (النون) في (تدخلون) و (تؤمنون) معاً ، وإليك هذه الروايات :

أخرجه أحمد في « مسنده » (١ : ١٦٧) بلفظ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتّى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . . . » .

وبهذا اللفظ أخرجه ابنُ مَاجَه في « سننه » في المقدمة (١ : ٢٦) ، والترمذيُّ في « صحيحه » في (أبواب الاستئذان والآداب ــ باب ماجاء في إفشاء السلام) كما في « عارضة الأحوذي » (١٠ : ١٦٠) ، وابنُ حِبَّانَ ، في « صحيحه » كما في « الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان » (باب ماجاء في صفات المؤمنين ــ ذكر نفي الإيمان عمن لا يتحابُّ في الله ــ جل وعلا) (١ : ٢٢٩) ، والديلميُّ في « الفردوس » (٤ : ٣٦٩) .

وأخرجه أحمدُ في « مسنده » (٢ : ٥١٢) بلفظ : « والله لا تدخلوا الجنة حتى تحابُّوا . . . » .

وأخرجه الجميع من حديث « أبي هريرة[٣] » .

* * *

ومن لا دراية له بلغة العرب ولهجاتها يجعل هذا الحديث من قبيل اللحن في الكلام ، وأنه صادر من العَجَمِ الذين يَرْوُوْنَ بالمعنىٰ ، ولا يفقهون العربية[٤] .

نعم هذا « الحديثُ الشريف » برواية حذف (نونِ) الرفع مشكلٌ معضل ، مخالفٌ للمعروف والمشهور من القواعد النحوية .

والقاعدة في ذالك هي : إذا اتَّصل بالفعل المضارع ألفُ اثنين ، أو واو جمع ، أو ياءُمخاطبة ، فعلامة رفعه نونٌ مكسورة بعد الألف ، نحو : (تذهبانِ) ،

ومفتوحةً بعد الواو والياء ، نحو : (تذهبونَ) و (تذهبِينَ) .

وحذف هذه النون علامةٌ للجزم ، نحو : (لم تذهبا) ، وعلامةٌ للنصب ، نحو (لن تذهبًا) .

وما رُوي من حذف (نون) الرفع في الأفعال الخمسة له وجوه :

الوجه الأول : أنه لغةٌ معروفة صحيحة ، نص عليها النوويُّ كما مر . والسجاعيُّ ، في « حاشيته على شرح القطر » (ص : ٣٠) . وقال في (ص : ٣٧) : قد ورد حذفُ النون لغير ناصبٍ وجازمٍ نثراً ونظماً لكنه غير مقيس[٥] .

الوجه الثاني : أن حذف (نون) الرفع في موضع الرفع لمجرد التخفيف ثابتٌ في الكلام الفصيح نثره ونظمه .

قاله ابن مالك في « شواهد التوضيح والتصحيح » (ص : ٢٢٨) .

وقال : فمن ثبوته في النثر مارواه البغوي من قول النبي ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

وماذكره أبو الفرج في « جامع المسانيد » من قول وفد عبدالقيس : (وأصبحوا يُعَلِّمونَا كتابَ الله[٦]) .

ومن ذالك قولُ عقبة بن عامر ــ رضي الله عنه ــ للنبيِّ ﷺ : إنَّكَ تَبْعَثُنَا فَنَنْزِلُ بقومٍ لا يَقْرُونَا[٧] والأصل : لا يقرونَنَا .

ومن ذالك قول ابن عباس والمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ وعبدالرحمن بن أَزْهَر ــ رضي الله عنهم ــ لرسولهم إلى عائشة ــ رضي الله عنها ــ يسألون عن الركْعَتَيْنِ بعد العصر : بَلَغَنَا أنَّك تصليها[٨] ، والأصل : تصلينها .

ومن ذالك قولُ مسروق لعائشة ــ رضي الله عنها ــ : لِمَ تأذني له[٩] ؟ يعني حسان ــ رضي الله عنه ــ . والأصل : تأذنين .

واستشهد ابن مالك في « شرح التسهيل » (١ : ٥٧) بقوله تعالىٰ : ﴿ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَّاهرا ﴾[١٠] بتشديد الظاء ، وأصله تتظاهران ، فأُدْغِمَ التاء في

الظاء ، وارتفع (ساحران) على أنه خبرُ مبتدإٍ محذوف ، أي : أنتما ساحران تظاهرا[١١] . أ هـ .

ومن ثبوته في النظم قولُ الراجز :

أَبِيْتُ أَسْــرِيْ وتَبِيْـتِي تَــدْلُكِـي وَجْهَكِ بِالْعَنْبَرِ والْمِسْكِ الذَّكِي[١٢]

والأصل : تبيتين ، وتَدْلكين . حذفت النونان دون جازم ولا ناصب .

ومن ذالك قولُ أبي طالب :

فإنْ يَكُ قَوْمٌ سَرَّهُمْ مَـاصَنَعْتُمُ سَيَحْتَلِبُوهَا لاَقِحاً غَيْرَ بَاهِلِ[١٣]

أراد : فسيحتلبونَها .

الوجه الثالث : أنه عملت (لا) النافية الجزم حملا على (لم) .

قال السيوطي في « عقود الزبرجد » (ص : ٦٠٧) : قال ابن هشام في « تذكرته » : قد تعمل (لا) حملا على (لم) في مثل « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا » في أحد القولين[١٤] .

قال الرَّضيُّ في « شرح الكافية » (٢ : ٢٥٢) :

وقد سُمع عن العرب الجزم بـ (لا) النفي ، إذا صلح قبلها (كي) نحو : جئته لا يكنْ له عليَّ حجة ــ ولا يكونُ[١٥] .

الوجه الرابع : أنه عملت (لا) النافية الجزم تشبيهاً بالناهية .

قال السيوطي في « عقود الزبرجد » (ص : ٦٠٧) : قال ابن الصائغ في « تذكرته » : أجاز ابن أبي الربيع في قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » أن تكون (لا) نافية ، وقد أعملها تشبيهاً بالناهية ، لاجتماعها في ارتفاع الحكم معها .

الوجه الخامس : كون (لا) ناهِيةً .

قال السيوطيُّ في « عقود الزبرجد » (ص : ٦٠٧) : أجاز ابنُ أبي الربيع أن

تكون (لا) في « لا تدخلوا » و « لا تؤمنوا » ناهية .

وقد أوقع الجملة الطلبية موقعَ الخبرية على حدِّ قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « فَلْيَتَبَوأْ[١٧] » .

وقال أبو عبدالله محمدُ بن خِلْفة الوشناني الأُبّيّ[١٨] ـ ٨٢٧هـ في « إكمال إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم » (١ : ١٦٢) : يصحّ النهي في « ولا تؤمنوا » على أن يكون الإيمان الثاني هو الأول ، والمراد به المطلق ـ أي : الذي هو التصديق ـ ، ولم يذكر الثاني من حيث الوقف عليه بل من حيث النهي عن الاقتصار عليه .

فالمعنى : لا تدخلون الجنة حتى تصدقوا ، ولا تقتصروا على التصديق بل حتى تضيفوا إليه التحاب .

فإن قلت : وقف الإيمان على التَّحَابِّ إنْ كان التحابُّ من الجانبين ، كما تقتضيه المفاعلة لزم التكليف بفعل الغير ولا يجوز ، وإن كان من جهةٍ واحدةٍ لزم التكليف بالأمر الجبلي ؛ لأن المحبة جبليّة .

قلت : فعل الغير إن كان سببه من المكلَّف صحَّ التكليف به ، وينصرف التكليف إلى ذالك السبب ، والسبب هنا إفشاء السلام .

الوجه السادس : أنه ضرورة نثرية .

قال ابنُ عصفور في « ضرائر الشعر » (ص : ١٠٩) : ومنه ـ أي : من الضرورة ـ حذفُ النون الذي هو علامةٌ للرفع في الفعل المضارع لغير ناصب ولا جازم ، تشبيهاً لها بالضمة من حيث كانتا علامتي رَفْع ، نحو قول أيْمَنَ بنِ خُرَيم :

وَإِذْ يَغْصِبُوا النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ   إِذَا مَلَكُوهُمْ وَلَمْ يُغْصَبُوا

وقولِ الآخر :

أَبيتُ أَسْرِي وَتَبِيتِي تَدْلُكِي   وَجْهَكِ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الذَّكِي

وقول الآخر ، أنشده الفارسي :

والأرضُ أورثَتْ بني آداما ... مايَغْرُسُوها شجراً أيّاما

ألاَ ترىٰ النون قد حذفت من (يغضبون) و (تبيتين) و (تدلكين) و (يغرسون) لغير ناصب ولا جازم ، كما فعل بالحركة في (أشرب) من قوله :

فاليومَ أشْرَبْ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ[١٩] ....

ولا يُحْفَظُ شيءٌ من ذالك في الكلام[٢٠] إلاَّ ماجاء في « مسلم[٢١] » في قتلىٰ بدر حين قام عليهم رسول الله ﷺ فناداهم .. الحديث .. فسمع عمرُ قول النبيِّ ﷺ فقال : يارسول الله ، كيف يَسْمَعُوا ، وأنَّى يجيبوا وقد جَيَّفُوا ! فحذف النون من (يسمعون) و (يجيبون) . انتهى[٢٢] .

وسبب الضرورة بحذف (نون) الرفع في الحديث الشريف الذي نحن بصدد الحديث عنه : المشاكلةُ في اللفظ ، والتجانسُ الصوتي ، واعتدالُ نَسَقِ الكلام ، وحُسْنُ موقعه من النفس ، والتناسب والازدواج . وهذه الأمور سِمَاتٌ بارزةٌ في اللغة العربية ، وهي أمر مطلوب قد يُرْتَكَبُ لها أمورٌ من مخالفة الأصول ؛ لأنَّ العربَ يعتنون بالألفاظ كاعتنائهم بالمعاني .

والذي حسَّنَ حذف النون في (لا تدخلوا) و (لا تؤمنوا) وقوعُ فعلٍ مضارعٍ قد حذفت منه النون للناصب بعد كلِّ فعلٍ[٢٣] .

وهذا الوجه أَمِيلُ إليه ؛ لأن مخالفة المألوف من القواعد للتناسب والازدواج له شواهد من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلامِ العرب ، ولا يتسع المقام لذكرها وسردها وشرحها[٢٤] .

* * *

وأختم مقالي بأن كلامه ﷺ سديدُ المنهج ، واضحُ المعالم ، مشرقُ المعاني ، محكمُ الأداء ، والفصاحةُ تتجلىٰ في كلِّ لفظة من منطوقِهِ ، وتتبارى[٢٥] ألفاظُه ومعانيه إلى الأفهام ، وتكاد تشقُّ طرقها إلى القلوب قبل الأسماع ، ووجود الروايات في « الحديث الشريف » لا يعني أن النبيَّ ﷺ قال لفظاً واحداً ، وباقي

الروايات حاصلة من تغيير الرواة . فاختلاف ألفاظه قد يكون لاختلاف المناسبات والأحوال . ومن المستحيل أن يعيد ﷺ حديثَهُ بلفظه في كلِّ مرة .

قال علي القاري في « شرح نخبة الفكر » (ص : ١٤٧) : (وأما قوله ـ أي : ابن حجر ـ : ويدل عليه ـ أي : على وجود الرواية بالمعنى ـ أيضاً رواية الصحابة ، ومَنْ بعدهم القصة الواحدة بألفاظ مختلفة ، فَمَدْفُوْعٌ بأنه إما مَحْمُولٌ على تعدد الروايات ، أو على نقل المعنى بالضرورة) ، انتهى .

و « الحديثُ النبوي » الذي نحن بصدد التشرف بالكلام عليه حديثٌ خرج من مشكاة النبوة بألفاظه المتعددة ، للمناسبات المختلفة . وكلها فصيح صحيح ، لها وجوه ملاح .

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين . . .

الدكتور محمود فجال

أستاذ النحو العربي المشارك

ورئيس قسم النحو والصرف بكلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ أبها

مصادر البحث ومراجعه :

- « الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان » ترتيب الأمير علاء الدين ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الباز ، الأولى ١٤٠٧هـ .
- « إكمال إكمال المُعْلِم في شرح صحيح مسلم » لـ « الأُبِّي » ، تصوير بيروت عن طبع السعادة ١٣٢٧هـ .
- « البحر المحيط » لأبي حيان ، مصور عن طبع السعادة ١٣٢٨هـ .
- « بغية الوعاة » للسيوطي ، حققه محمد أبوالفضل إبراهيم ، طبع عيسى الحلبي ١٩٦٤ .
- « التصريح بمضمون التوضيح » لخالد الأزهري ، طبع عيسى البابي الحلبي .
- « حاشية السجاعي على شرح القطر » طبع عيسى البابي الحلبي .
- « خزانة الأدب » للبغدادي تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٨٧هـ .
- « الخصائص » لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، طبع دار الكتب ١٣٧١هـ .
- « رصف المباني » للمالقي ، تحقيق د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، الثانية ١٤٠٥هـ .
- « سنن ابن ماجه » تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، طبع عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢هـ .
- « السيرة النبوية » لأبي محمد عبدالملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وزميليه ، تصوير بيروت .
- « شرح التسهيل » لابن مالك ، تحقيق د. عبدالرحمن السيد ، الإنجلو ، الأولى ١٣٩٤هـ .

- «شرح الكافية» للرضي، مصورة عن طبع إستانبول ١٣٠٥هـ.
- «شرح الكافية الشافية» لابن مالك، تحقيق د. عبدالمنعم أحمد الهريدي، مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ.
- شرح نخبة الفكر» لعلي القاري، طبع إستانبول ١٣٢٧هـ.
- «شفاء العليل في إيضاح التسهيل» للسلسيلي، تحقيق د. الشريف عبدالله الحسيني، الفيصلية مكة المكرمة، الأولى ١٤٠٦هـ.
- «شواهد التوضيح والتصحيح» لابن مالك، تحقيق د. طه محسن، طبع وزارة الأوقاف (العراق) ١٤٠٥هـ.
- «الصحاح» للجوهري تحقيق أحمد عبدالغفور العطار، القاهرة ١٣٧٧هـ.
- «صحيح البخاري» طبع إستانبول، تصوير دار الفكر.
- «صحيح مسلم» بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبع عيسى البابي الحلبي، الأولى ١٣٧٤هـ.
- «صحيح مسلم بشرح النووي» المطبعة المصرية بالقاهرة ١٣٤٩هـ.
- «ضرائر الشعر» لابن عصفور، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، الأولى ١٩٨٠م.
- «عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي» لابن العربي، نشر دار الكتاب العربي.
- «عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد» للسيوطي، مخطوط (الرباط).
- «كتاب سيبويه» تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- «لسان العرب» لابن منظور، دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ.
- «مختصر سنن أبي داود» للمنذري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، تصوير دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ.
- «مسند الإمام أحمد» المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية ١٣٩٨هـ.
- «مشكاة المصابيح» للتبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الثانية ١٣٩٩هـ.
- «مصابيح السنة» للبغوي، دار القلم، بيروت.
- «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي، مخطوط العثمانية برقم ١٢٣ (حلب).
- «همع الهوامع» للسيوطي، تصوير دار المعرفة، بيروت.

●●●

[الحواشي]:

(١) أي: جُهِلَتْ، من قولهم: تأبَّدَ الرسمُ، أي: أوحش وأقفر وتنكر. انظر «الصحاح» (أبد ٤٣٩/٢).

(٢) أي: يراجعوا، وهو مضارع «آل».

(٣) وبما أوردته من الروايات يُعلم أن «الحديث الشريف» لم يُرْوَ في الصحاح، والسنن، والمسانيد بلفظ: «لن تدخلوا.. ولن تؤمنوا..».

(٤) ولستُ في هذا الموطن متعرضاً بالدَّرس لمسألة (الرواية بالمعنى)، وأنها غير جائزة إلَّا في حالة الضرورة، وأن الرواية بالمعنى مقيدة بعصر التدوين للحديث الشريف قبل فساد اللغة.

كما أنني لا أريد الخوض في أن علماء الحديث من الأعاجم كـ «البخاري» وأمثاله على دارية كافية في اللغة العربية، وأن علماء الأصول والمصطلح لم يشترطوا في صحة الرواية أن يكون الراوي عربياً، وأنهم لم ينصوا على أن رواية العجمي لا تجوز.

ومن أراد الوقوف على ذالك فعليه بالرجوع إلى كتابيَّ «الحديث النبوي في النحو العربي» و «السير

الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي » طبع « نادي أبها الأدبي » ففيها غُنية للمنصف ، ومَقْنَعٌ لمن يَنْشُدُ الحقيقة .

(٥) وانظر « همع الهوامع » (١ : ٥١) .

(٦) أخرجه « أحمد » في مسنده (٤ : ٢٠٦) بلفظ : « وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا » .

وأما « جامع المسانيد » فهو كتاب استوعب غالب « مسند أحمد » و « صحيحي البخاري ومسلم » و « جامع الترمذي » ألفه ابن الجوزي ، أبو الفرج ، جمال الدين ، عبدالرحمن بن علي بن محمد المتوفى ببغداد سنة ٥٩٧هـ .

توجد منه نسختان بتونس : أولاهما في (العبدلية) برقم (٦٨٣) ، والأخرى بـ « العطارين » برقم (٥٥٣٨) . وكُتبتا بخط مشرقي .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب المظالم ـ باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه . .) (٣ : ١٠٢) وروى أبوذر : « لا يقروننا » أي : لا يضيفوننا .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب المغازي ـ باب وفد عبدالقيس) (٥ : ١١٧) برواية : « وأَنَا أُخبِرْتُ أنكِ تُصَلِّيها » . ورواية الكُشْمَيْهَنِيِّ : تُصَلِّيْنَهُا كما في حاشية البخاري (طبعة) اليونيني (٥ : ٢١٤) .

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب المغازي ـ باب حديث الإفك) (٥ : ٦١) .

(١٠) القصص : ٤٨ ، قرأ الجمهور « تظاهرا » فعلاً ماضياً ، وقرأ طلحة والأعمش : « اظَّاهرا » بهمزة الوصل وتشديد الظاء . وقرأ محبوب عن الحسن ويحيى بن الحارث الذماري وأبو حيوة وأبو خلاد عن اليزيدي : « تظَّاهرا » بالتاء وتشديد الظاء . « البحر المحيط » (٧ : ١٢٤) ، وانظر « البحر » (٢ : ٤٩٢) .

(١١) انظر « شفاء العليل في إيضاح التسهيل » (١ : ١٢٥) .

(١٢) البيتان من الرجز ، وهما في « الخصائص » (١ : ٣٨٨) ، و « شرح التسهيل » لابن مالك (ص : ٥٧) و « شرح الكافية الشافية » (١ : ٢١٠) ، و « البحر المحيط » (٢ : ٤٩٢ ، ٦ : ٦٣) ، و « رصف المباني » (ص : ٤٢٣) ، و « التصريح » (١ : ١١١) ، و « همع الهوامع » (١ : ٥١) .

(١٣) اللاقح : التي قبلت اللقاح من الإبل ، والباهل من أبهل الناقة إذا أهملها من غير صرار ولا خطام ولا سِمة عليها ، أي : فهي مباحة . انظر « لسان العرب » (بهل ١١ : ٧١ ـ ٧٢) .

هكذا روي البيت في « شرح التسهيل » لابن مالك (ص : ٥٧) ، و « شرح الكافية الشافية » (١ : ٢١١) ، وروايته في « شواهد التوضيح » (ص : ٢٣) هكذا :

فإنْ سرَّ قوماً بعضُ ما قد صنعتم ستحتلبوها لاقِحاً غيرَ باهلِ

وروايته في « السيرة النبوية » (١ : ٢٩٧) هكذا :

فَإنْ نَكُ قَوْماً نَتَّئِر ماصنعتُمْ وتَحْتَلِبُوهَا لِقْحَةً غَيْرَ بَاهِلِ

نَتَّئِر : نأخذ بثأرنا منكم ، ويروى : نبتئر أي : ندخره حتى ننتصف منكم .

(١٤) لعله يريد في إحدى روايتي الحديث الشريف .

(١٥) أوردت هذا النص للاستئناس .

(١٦) هو محمد بن عبدالرحمن ، شمس الدين ، النحوي ، المتوفى سنة ٧٧٦ ، فاضل بارع ، قوي البادرة ، دمث الخلق ، له « التذكرة » في عدة مجلدات في النحو ، مترجم في « بغية الوعاة » .

(١٧) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم ـ باب إثم مَنْ كَذَبَ على النبي ﷺ (١ : ٣٥) بلفظ : « من تعمَّد عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار » .

←

لمحات وانطباعات
عن مشاهداتي في السروات

[محاضرة ألقيت في ليلة الأربعاء (١٤٠٨/١١/٢١هـ) في مدينة الباحة ضمن البرنامج الثقافي الذي نظمته إمارة الباحة] .

خَيْرُ ما استفتح به هذا الحديث حَمْدُ الله مستحقِّ الحمد ، والصلاةُ والسلام على خير خلقه ، سيدنا محمد وعلى كل سائرٍ على نهجه .

ثم أتوجه بالشكر الجَمّ لهذا الأمير الشهم :

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير **محمد بن سعود بن عبدالعزيز**

هذا الفرع الباسق من فروع هذه الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، فقد هَيَّأ لي فرصة طيبة أستجلي خلالها ملامح ذكريات رحلةٍ مضى عليها ثمانية عشر عاماً ، سعدتُ فيها بالاستمتاع بمشاهدة هذه الربوع الطيبة من وطننا الحبيب ، بما استفدته عنها من علم ومعرفة ، باللقاء بإخوة أحبة ، غمرني من فضلهم ، وشملني من حسن استقبالهم ، وكرم ضيافتهم ، مالا يستغرب منهم .

---

(١٨) له ترجمة في « توشيح الديباج » (ص : ٢٠٤) .

(١٩) صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : إثماً مِنَ الله ولا وَاغِلِ .
وهو في « الكتاب » (٤ : ٢٠٤) ، و« الخصائص » (١ : ٣٨٨) .
قاله حينما أدرك ثأر أبيه ، فتحلل من نذره أن لا يشرب الخمر حتى يثأر به .
استحقب : اكتسب . الواغل : الداخل على القوم في شرابهم .
الشاهد : تسكين الباء في (أشربْ) في حال الرفع والوصل . ويروى (فاليوم أسقى) و فاليوم فاشربْ ، ولا شاهد في هاتين الروايتين .

(٢٠) بل يحفظ الكثير ، ومذاكرته كاف للمتأمل .

(٢١) في صحيحه في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ــ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه . . .) (٤ : ٢٢٠٣) .

(٢٢) انظر « خزانة الأدب » (٨ : ٣٤٠) .

(٢٣) انظر « عقود الزبرجد » (ص : ٦٠٧) .

(٢٤) اقرأ مقالي بعنوان « قضايا نحوية حول التناسب في الفاصلة القرآنية » (ص : ٧٧٥) من (مجلة العرب) ج ١١ ، ١٢ جمادى الأولى والآخرة ١٤٠٨هـ .

(٢٥) أي : تتسابق .

وها هي المناسبة تُتاحُ لِي مرةً أخرى لتتجدد المعرفة ولأُضِيف بهذا اللقاء المبارك بهاؤلاء الإخوة الأحبة الجديد المفيد إلى ماكان لهم فضل تفصيله عن مشاهدتي في كتابي « في سراة غامد وزهران » الذي نُشر عام ١٣٩١هـ إثرِ رِحْلَةٍ لم يَحُلْ قِصَرُ زمنها عن عمق أثرها ، وكان لأمير هذه البلاد ــ في ذالك العهد ــ الأمير سعود بن عبدالرحمن السديري ــ طيب الله ذكره ــ بما أضفاه عليَّ من فضل ، وما بذله من عونٍ طيلة أيام الرحلة ، ما يستدعي الذكر ، ويستوجب جزيلَ الشكر .

وما أسعدني ــ أيها الإخوة ــ الآن بالتحدث إليكم حديثَ المستزيد من المعرفة ، المشارك في البحث ، لإثارة مافي نفوسكم من رغباتٍ عن إيضاح جوانب ذاتِ صلةٍ بتاريخكم أنتم بإدراكها ومعرفتها أعمقُ مني صلةً ، وأقوى إدراكاً ، وأوسعُ علماً ، ومن هنا فلن أستغل الوقت في التحدث إليكم ، ولن يستغرق حديثي من الزمن ما يُحْدِثُ إملالا أو سأماً ، ولكنني سأصغي للاستماع لأحاديثكم إصغاء ارتياح واستزادة واستفادة .

ولئن كان الطعام يستطاب لتقديم بعض التوابل (المقبلات) التي قد تيسر سهولة هضمه ، فإن من ذكريات تجوالي بين ربوعكم الكريمة مايضفي على جفاف الحديث نعومة ورقة .

١ ــ لم تزد أيام الرحلة على أيام الأسبوع ، وكان الدليل سديرياً (من إقليم سدير) تميمياً ، ولا عيب فيه سوى عيب ممدوحي النابغة الذبياني :

وَلَا عَيْبَ فيهم غيرَ أَنَّ سيوفَهُمْ ... بهِنَّ فُلُولٌ من قِـراعِ الْكَتَائِبِ

والدليل الكريم يهوي أن يكون آمراً لا مأموراً ــ وهذه من صفات الرجولة ــ ويرغب انتهاء الرحلة على أسرع وجه ، وكنت أودُّ الاختلاط بمن التقي بهم من سكان القرى ، وأن أطيل الجلوس بينهم لأستمع إلى أحاديثهم ، وأسجل بعض لهجاتهم ، وأُدرك مقدار مايلمون به من ثقافة ، وما يتناقلونه من أشعار وأخبار ، وذالك مما فاتني في تلك الرحلة ، ولعل حرص التميمي الدليل على راحتي دفعه إلى الحيلولة دون الالتقاء بأولئك .

٢ ــ من أجمل البقاع التي رأيتها فَرْعَةُ دَوْسٍ ، وهي أعلى قمة في سراة

زهران ، وهناك بلدةُ دوس الشهيرة (تَرُوق) وعلى مقربة منها موقع معبودهم قبل الإسلام (ذي الخَلَصَةِ) الذي ورد فيه الحديث « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوسٍ على ذي الخلصة » وفي تلك الفرعة تقع قرية (رَمَسٍ) وعلى مقربة منها مكانٌ اعتاد أهل القرية الجلوس فيه ، وممارسة بعض مايزجون به أوقات الفراغ من ممارسة بعض ألعابهم ، ويتوسط المكان صخرة كبيرة رسم فوقها خطوط متقاطعة للعبة المعروفة في نجد باسم (أم الخطوط) .

وتُعرف عندهم باسم (الخَطّ) وهذا من أسمائها في اللغة العربية ، كما تعرف أيضاً باسم (القِرْق) ــ بكسر القاف وإسكان الراء ــ و (السُّدَّر) ــ بضم السين وفتح الدال المشددة ــ وقد رأيتُ أمير تلك الجهة الشيخ عبدربه بن فرحة من بني علي من دوس وبعض جماعته يلعبونها ، وأنا ممن يجيد لعبها ، فطلبت من الشيخ أن نتبارى بلعبها ، وكأنه لم يأخذ كلامي مأخذ الجد ، احتراماً أو احتشاماً ، ولقد كان أبو هريرة الصحابي الجليل الدوسي ــ وهو من أهل هذه البلاد ــ يَمُرُّ على لاعبيها فلا ينكر عليهم[1] .

٣ ــ من بين قرى أعلى وادي أبيدة (بيدة) قرية رغدان ، وسوقها يقام يوم الأحد ، وهو اليوم الذي مررنا فيه بهذه القرية ، فرأيت من فواكهها الموز ، فَأُعْجِبْتُ بمنظره إذ الأصبع منه بحجم الباذنجانة المتوسطة الحجم ، وكان ذَكِيَّ الرائحة ، مما دفعني إلى حمل عدد من الأصابع ولكن موظف الجمرك في بيروت حرمني من إتحاف أبنائي بها .

٤ ــ في وادي بطحان من فروع وادي أبيدة يجود الرمَّانُ بحيثُ يضاهي رُمَّانَ لِيَّةَ ، ويقول البطحاويون : إنه يفوقه ، ومع صغر بساتين هذا الوادي إلا أنها نضرة مما يدل على جودة التربة .

٥ ــ حين شاهد أخي ورفيقي في الرحلة الأستاذ محمد سعيد كمال قريتي الطَّرَفَيْنِ المطلتين على وادي العلي لبني ظبيان من غامدٍ ــ أُعجب بهما أَيَّمَا إعجاب ــ ، وطلب من سائق السيارة المكوث لحظة لاستجلاء منظرهما قائلا : إنَّ القريتين شبيهتان بقرية (كيفون) الواقعة بسوق الغرب في لبنان .

٦ ــ اتجهنا من قرية حوالة وبعد مسيرة ميلين ، سِرْنَا نحو قرية الحمران ــ من غامد ــ وقد قام أهل القرية بإصلاح الطريق رصفاً وغرساً بالأشجار على جانبيه ، حتى اتصل ببساتين قريتهم الجميلة ، التي بدت نظيفةً مضاءةً بالكهرباء ، بيوتها حديثةُ البناء ، واقعةً على ضفاف واد صغير وعلى مقربة منها يشاهد المرء تهامة تحته في انخفاضٍ عميقٍ جدًّا يحدث الرهبة في القلب .

٧ ــ وفي بلاد بني فَهْم بن غَنْم بن دَوْس واد معروف هو وادي بَرَخْرَحَ ، ومنه عقبة تفضي إلى قرية الْبَعْرَةِ لآل الطُّفَيْل ، قاسينا الأشدين ، وذُقنا الأمرين في اجتيازها في الذهاب والإياب ، ولم نَمُرَّ أثناء تجوالنا في هذه البلاد عقبة أشد منها ، ولكن هون ماقاسيناه استجلاء ذكريات عزيزة من تاريخنا المجيد ، فقد مرَّ الصحابيُّ الجليل أبو هريرة الدوسي بهذه العقبة وقاسى منها أشد مما قاسينا ، وتمثل وهو يزحف فيها في ظلمة الليل :

يَــاطُـولَهَــا مِنْ لَيْلَةٍ وَعنَــائِهــا   عَلَى أَنَّهَا مِنْ بَلْدَةِ الكفر نَجَّتِ

وذالك في طريق هجرته إلى المدينة حين دعاه ابن عمه الطفيل بن عمرو إلى الإسلام .

وبعد فلقد كادت جوانبُ الموضوع وأطرافه تستأثر بالوقت ، وتثير الملل ، فلنقتصر على وقفتين في لُبِّ الموضوع :

الوقفة الأولى : صراحة أنساب سكان السروات :

لعل أبرز ظاهرة تتضح لمن يُعْنَى بدراسة أحوال سكان هذه السروات هو صراحة نسبهم ، ذالك أنَّ القبيلة عندما تكون بلادُها حصينة تحافظ على كيانها ، وليس الأمر كذالك بالنسبة للقبائل التي تسكن في الأمكنة التي تكون عرضة لهجرات القبائل ، فما أيسر مايضعف هاؤلاء السكان ويختلطون بغيرهم ، ومن ثم ينحل كيانهم ويندمجون في قبائل أخرى ، وليس معنى هذا أن القبائل الأخرى التي لا تسكن في السروات تضيع أنسابها ، ولكنها تختلط بقبائل أخرى ذات أنساب صحيحة ، ومن هنا يحدث تغير أسماء القبائل ، كما يتضح هذا من دراسة أنساب

القبائل التي تعيش وسط الجزيرة أو في تهامة ، مع مقارنتها بأنساب القبائل التي تسكن السروات ، حيث يتضح بقاء أسماء القبائل الأخيرة ثابتة منذ العهود القديمة بخلاف أسماء القبائل الأخرى .

السـراة :

ولكي يتضح هذا الأمر يحسن استعراض سكان السراة لمعرفة أصولها بعد إيراد تعريف موجز للسراة .

السراة : لُغَةً هي أعلى كُلِّ شيء وظهره ووسطه ، وسراةُ القوم خيارهم ، قال الشاعر :

لَا يُصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ ... وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوْا

واسم السراة يطلق على هذه السلسلة العظيمة من الجبال التي تمتد من اليمن جنوباً إلى الشام شمالاً والتي تعرف أيضاً باسم الحجاز[٢] ، وهي في جانبها الشمالي ذاتُ جبالٍ ليس لرؤوسها من الفروع ما يصلحُ للاستقرار والاستيطان ، ولهذا ينتشر سكانها في أوديتها وما يقرب تلك الأودية من السهول ، وما بينها ، وفيها من شوامخ الجبال وعظيم الهضاب ما خلد التاريخ ذكره ، وازدان الشعر القديم بالتغني بمآثر سكانه ، ومن أشهر تلك الجبال جِسْمَى ، وشَيْبَان (هضب الزبالة من بَلِيٍ) ، ورَضْوَى ، والأَجْرَد والأَشْعر (الْفِقْرَة) وَوَرِقَان وقُدْسُ وآرةُ ويَسُومَانِ (مثنى يسوم) وغَزْوان ــ جبل الطائف ــ .

أما الجهة الجنوبية من هذه السراة الواقعة من الطائف شمالاً حتى بلاد اليمن فَإِنَّ أعالي الهضاب والجبال تكثر فيها المنبسطات والْفُرُعُ الواسعةُ من الأرض الصالحة للسكنى ، ولهذا أُطلق عليها اسم السروات ، وعرفت كل سراةٍ منذ القدم بسكانها[٣] .

وسأحصر الكلام في هذا الجانب الذي شاهدت كثيراً من معالمه ممثلاً في سراتي زهران وغامد وما حولهما .

سكان السروات : عند استعراض سكان السراة في العصر الحاضر بإيجاز

يتضح أن القسم الموالي للطائف وما حوله تسكنه بطون من القبائل العدنانية ، ثم تنتشر الفروع القحطانية في السروات كلها كلما اتجهنا جنوباً شرقياً ، وهاهي أسماء القبائل مرتبة على حروف المعجم[٤] :

١ ـ ألمع :

عدَّ ابنُ جرير في تاريخه[٥] والهمدانيُّ في كتاب « صفة جزيرة العرب »[٦] وغيرهما قبيلة ألمع من سكان السراة مع بارق وغامد ، ولعل القصد أنهم كانوا ينزلون بقرب هاتين القبيلتين ، وهذا صحيح إذا لاحظنا أن قبيلة غامدٍ تمتدُّ بلادها إلى أغوار السراة التهامية ، فمنازل ألمع تنتشر على روافد وادي حلْيٍ المنحدرة من السراة نحو تهامة .

ومتقدمو النسابين يعدُّون قبيلة ألمع من الأزد ، ولكنهم يختلفون إلى أيِ فرع من فروع الأزد تُنْسَبُ ، فابن دُرَيْدٍ يعدُّهم من بطون بارق كما في « الاشتقاق »[٧] ، وابن الكلبي يعدهم من أبناء عمرو بن الأزد .

٢ ـ بارق :

من القبائل التي ذكر المتقدمون أنها أُزدية سكنت السراة[٨] ، وبارق تنزل في وادٍ يعرف باسمها ينحدر من جبلي أُثْرُبَ وريدان ، مغرباً حتى يصب في وادي حَلْيٍ ، ولهم هناك ما يقرب من خمسة عشر قرية في الشمال الغربي من بلاد بني شِهْرٍ .

٣ ـ بجيلة :

هذه القبيلة من أقدم القبائل في سكنى السراة على ماذكر المتقدمون ، وكان قسم من السراة يعرف بسراة بجيلة ، وهي التي تعرف الآن ببلاد بني مالك ، وبنو مالك هاؤلاء بيت ببجيلة قديماً ، ومنهم جرير بن عبدالله البجلي ، وقد طغى اسم بني مالك على القبيلة حتى صار اسم بجيلة يطلق على قرية من قراها .

٤ ـ البُقُوم :

عدهم الهمداني وغيره من الأزد من سكان السراة ، وكونهم من الأزد من

الأمور المعروفة ، فهم بنو باقم بن حوالة بن الهنو بن الأزد[٩] .

ويفهم من قصة أوردها صاحب « الاغاني »[١٠] ان بلادهم متصلة ببلاد غامد ، وعلى هذا فبلادهم القديمة لاتزال هي هي ، فهم ينتشرون على ضفتي وادي تربة ، وتربة هي قاعدة بلادهم .

٥ ــ ثقيــف :

هذه القبيلة عدنانية كما هو معروف ، وكثير من فروعها منتشر في السراة في أعالي أودية الطائف غرباً وجنوباً وشرقاً بامتداد تلك الأودية .

٦ ــ ثمــالة :

هم من قبائل الأزد ، كما في كتب النسب هم وبنو لِهْبٍ وبنو القَرْنِ ــ باسكان الراء ــ أبناء أحجن ، وأحجن أخو زهران ، وبلاد ثمالة متصلة ببلاد ثقيف في جنوبها وشرقها ، منحدرة في سفوح الأودية الشمالية الشرقية من السراة ، ولكن لاتصال بلادها ببلاد ثقيف أصبحت معدودة منها .

٧ ــ جَنْــب :

لمّا ذكر الهمداني بلاد خولان قال : أغوارها داخلة في تهامة وفي أعلى السراة ، إلى سراة جَنْبٍ ، وذكر أن قرية جنب في هذه السراة الكبيبة[١١] ، وفصّل منازل هذه القبيلة ، وجَنْبٌ من مذحج وتعرف سراتهم باسم سراة عبيدة ، إذ عبيدة فرع من فروع جَنْبٍ كما يطلق على فروع مذحج التي في هذه السراة اسم قحطان .

٨ ــ بَلْحَارِث (بنو الحارث) :

هذه القبيلة من سكان السراة في عهدنا ، ولم أر لهم ذكراً فيما اطلعت عليه من كتب المتقدمين باعتبارهم من سكان السراة ، ولعل هذا ناشئٌ عن كون هذه القبيلة لم تنفصل عن القبيلة الأم التي هي أزد السراة إلا في عهود متأخرة ، وفي القديم هناك فرعان يعرفان ببني الحارث أحدهما من زهران نفسها ، والثاني من الأزد أصل زهران ، ويظهر أنه حدث بين بني الحارث وبين قبيلة دوس من

الحروب ماكان سبباً في انفراد بني الحارث في المنزل ، ولا يمنع هذا من اندماج فروع عدنانية كثيرة في بني الحارث ، ومن أشهرها بنو ناصرة وغيرهم ، ومنزل بلحارث من السراة كان يعرف قديماً بسراة عدوان ، بين سراة الطائف وسراة الأزد جنوباً وشمالاً ، وسراة بجيلة غرباً ، وقد يكون بنو ناصرة من بقايا قبيلة عدوان ، إذ من فروع القبيلة من يسمى ناصرة ، كما أنه اسم فرع من بني سعد ابن بكر بن هوازن ، ومن هاؤلاء حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ ، وقد تكون الفروع الثلاثة اختلطت بسبب اطلاق اسم واحد عليها ، ولهذا أمثلة بين القبائل العربية .

٩ ـ الحَجْـــرُ :

الحجر من فروع أزد السراة المشهورة ، وسراتهم على ما حدد الهمداني تقع بين سراة جنب بشرقٍ، وسراة بني القرن من الشمال ، إذ قال بعد ذكر سراة جنب ، ثم يتلوها سراة عنزٍ ، وسراة الحجر ، نجدها خثعم وغورها بارق . أي أن سراة عنزٍ تفصل بينها وبين سراة جنبٍ ولاتزال قبيلة الحجر في مساكنها القديمة .

١٠ ـ بنو حوالة :

وهاؤلاء من الأزد من سكان السراة ، وبلادهم على ماذكر الهمداني[١٢] بجوار ثمالة ، وحوالة هو الهنو بن الأزد وإخوته وغيرهم ، ومن أبناء حوالة : باقم أبو البقوم .

١١ ـ خَثْعَــمُ :

قوم عبدالله بن الدُّمَيْنَةِ الأَكْلُبِي الذي يحسن أن نُزِيلَ سأَمَ المستمع الكريم بإيراد أبياتٍ من شعره في ذكر قومه :

وخَثْعَمُ قَوْمِي مَا مِنَ الناسِ مَعْشَرٌ ... أعمُّ ندىً منْهُمْ ، وأَنْجَى لِخَائِفِ
وأَفْـدَى لِمغلول ، وأَوْفَى بـذمَّــةٍ ... وأَوْقَى لِضَيْمٍ عَنْ نَقِيلٍ مُحالفِ
وأَجْـبَرُ للمولى إذَا رَقَّ عَـظْمُـهُ ... وأَسْرعُ غَوْثاً يَوْمَ هَيْجا لِخائفِ
إذَا حَارَبُوا شَدُّوا على ثَرْوَةِ الْعِدَى ... جِهَاراً ولَمْ يَغْزُوا فُرُودَ الخَوالِفِ
وإنْ يَسْأَلُوا الْمَعْرُوفَ لَمْ يَبْخَلُوا بِهِ ... ولم يَـدْفَعُوا طُـلَّابَـهُ بِـالحَسَـائِفِ

وخثعم من أقدم من سكن السراة هم وبجيلة ، والخلاف في نسب القبيلتين معروف ، إلاَّ أنَّ الراجح أنهما من قحطان .

وكانت منازل خَثْعَمَ مابين بيشة وتربة وماوالا تلك البلاد بعد أن أنزلوا من جبال السراة وحلتها أُزد شنوءة غامد وبارق ودوس وتلك القبائل من الأزد ، ولاتزال تلك بلادهم إلا أنهم امتدوا جنوباً حتى بلاد عسير ، ومن أثرى فروعهم شهران العريضة .

١٢ ــ دَوْسُ :

هم فرع من قبيلة زهران ، ونظراً لأنهم يحلون من بلاد زهران اعلاها فقد نسب الهمداني السراة إليهم فقال(١٣) : ثم يتلوها سراة غامدٍ ثم سراة دوسٍ ثم سراة فهمٍ وعدوان .

وسراة دوسٍ تحد جنوباً بسراة غامد ، وشمالاً بسراة بني مالك (بجيلة) وشرقاً ببلاد إخوتها من زهران ، وغرباً تمتد في أودية السراة التهامية إلى قرب البحر .

١٣ ــ زَهْــران :

القبيلة الأزدية المشهورة التي تحل سراتها منذ القدم ، فيما بين سراة إخوتها من غامدٍ جنوباً وشرقاً ، وسراة بني مالكٍ من الشمال الغربي ، وغرباً تشمل أغوار سراتهم وفروع أوديتها التهامية .

١٤ ــ ســلامان :

عدَّ الهمدانيُّ وغيره بني سلامان من سكان السراة(١٤) ، وسماهم سلامان بن مفرج من زهران(١٥) . ولم أسمع أثناء رحلتي لهاؤلاء ذكراً بين فروع قبيلة زهران ، ولكن في قبيلة الحجر فرعٌ كبير يدعى بهذا الاسم . فبنو شهر أكبر فروع الحجر فرعان بنو سلامان وبنو أُثلة .

١٥ ــ سَــنْحَان :

يفهم من كلام الهمداني أنَّ منازل سنحان من السراة تجاور بلاد جنب من

الجهة الشرقية الجنوبية فيما بينها وبين بلاد يام أي في طرف السراة الجنوبي الشرقي ، ولايزالون في بلادهم القديمة الواقعة على ضفاف وادي راحة المنحدر من السراة ، ويجاورهم شمالاً وشرقاً شريف وجنوباً وادعة وغرباً جنب .

وسنحان فرع من قبيلة جنبٍ من مذحج من كهلان من قحطان ، وينبغي التفريق بين هاؤلاء وبين سنحان الخولانية .

١٦ ـ شَبَابَة :

عدَّ الهمدانيُّ هذه القبيلة من سكان السراة فقال : سراةُ بني شَبَابَةَ وعَدْوَانَ وغورهم اللَّيْثُ ، ومركوب ، ونجدهم فيه عدوان مما يصلى مطار . ويفهم من نصٍ آخر أورده الهمداني في « صفة الجزيرة »[١٦] أن شَبَابَةَ وبني علي وفهماً وعدوان مختلطون في سراة واحدة . وتُعرف سراة بني شبابة باسم سراة بني سَعْدٍ على ماذكر الفاسي في كتابه « العقد الثمين »[١٧] عن عبد بن أحمد الهروي (٣٥٥/٤٣٤) أنه تزوج بالسراة سراة بني شبابة ، وهي سراة بني سعد بجهة بجيلة . وهذه السراة هي قسم من سراة بلحارث الآن ، تحله قبيلة ناصرة التي تقدمت الإشارة أنها ربما تكون ناصرة عدوان ، كما ان شبابة هو ابن فهم بن عمرو ابن قيس عيلان وعدوان هو ابن عمرو .

ويطلق اسم شبابة في عصرنا على مجموعة من القبائل يجمعها التحالف لا النسب[١٨] ، وهم بنو سعد الذين كان يطلق عليهم الاسم ، ثم عتيبة كلها ، وبنو الحارث وزهران وحرب وقحطان ، ويقابل شبابة خندف يجمع قبائل ثقيفٍ والبقوم وسُبَيع والجحادلة والشيابين ومطير وهذيل وبنو مالك ، وغامد .

١٧ ـ شِمْرَان :

قبيلة شمران في الأصل من جنب وتقدم ذكر سراة جنبٍ إلا أن شمران في القرن الماضي وربما قبله بزمن قصير أصبحت معدودة في قبيلة خثعم على ما ذكر ابنُ بُشر في « عنوان المجد » في حوادث سنة ١٢٣٠ ، ولعل ذالك للجوار ، إذ المعروف أن شمران قبيلة قائمة بذاتها ، وتقع بلادها جنوب بلاد غامدٍ مجاورة

لها ، ويجاورها جنوباً خثعم وبلقرن ، وشرقاً شهران من خثعم ، وغرباً بلاد غامد ، وتتصل بلادها بتهامة . وقد يكون اسم (شمران) في تاريخ ابن بشر تصحيف (شهران) إذ هاؤلاء هم الذين من خثعم .

١٨ ــ بنو شِهْر :

هاؤلاء فرع من قبيلة الحجر وتقدم ذكر منازلهم .

١٩ ــ شَـهْران :

فرع من فروع خثعم ، وتقدم الكلام على خَثْعَم .

٢٠ ــ عَبِيْـدَةُ :

قبيلة من جنب من مذحج (المعروفون الآن باسم قحطان) يضاف إليها القسم الجنوبي الشرقي من السراة الذي كان معروفاً باسم سراة جنب ، فسمي الآن سراة عبيدة ، وتقع بلاد عبيدة جنوب بلاد شهران ، ويجاورها في الشمال بنو بشر وبنو شريف وجنب وسنحان .

٢١ ــ عَـدْوَان :

عدوان كما هو معروف قبيلة عدنانية ، وسراتها تلي سراة الطائف جنوباً ، وكانوا مختلطين مع شبابة في سكنى أعلاها ، ولكن حل هذه السراة الآن فروع من بني سعد من هوازن ، وانحدرت عنها قبيلة عدوان أسافلها شرقاً ، حيث تنتشر أودية الطائف قبل مغيضها في سهل ركبة .

٢٢ ــ بنو عَمْـرو :

ذكر المتقدمون أن بني عمرو من سكان السراة ، وهاؤلاء من الأزد ، وبلادهم كانت تقع في غور سراة دوس وغامد ، مما يدل على أنهم انتقلوا إلى تهامة في زمن متقدم .

وهناك بنو عمرو من الحجر وهم غير هاؤلاء ، وبلادهم داخلة في بلاد قومهم الحجر .

٢٣ ـ عَنْـــز :

سراة عنز تقع بين سراة جنب جنوباً وسراة الحجر شمالاً ، نجدها خثعم وغورها بارق ، وهي المعروفة الآن بسراة عسير ، نسبة إلى أحد أجدادالقبيلة وهو من عنز بن وائل من ربيعة ، وكما قال الهمداني : عسير يمانية تنزرت[١٩] .

٢٤ ـ غامـــد :

لاتزال في سراتها القديمة مع اتساعها شرقاً وغرباً وجنوباً بحيث شملت سراة شكر التي كانت تفصل بين بلادها وبلاد بلقرن ، وشكر هاؤلاء قبيلة أزدية عدها بعض النسابين من بارق ، ولا وجود لها الآن ، وقد تكون اندمجت في غامد .

٢٥ ـ فَهْـــم :

ذكر أبوحنيفة الدينوري في كتاب « النبات » أن فَهْماً من سكان السراة ، واسم فهم يطلق على عدد من فروع القبائل ، ولعل المقصود بهاؤلاء فهم الذين هم إخوة عدوان ، ولايزال لهم بقية في أسافل السراة بين بلاد ثقيف شمالاً وبلاد الجحادلة غرباً ، ومن أشهر فروعهم بَجَالة التي لاتزال معروفة ، وذكر الهجري أن بجالة ثلثا فَهْمٍ .

٢٦ ـ بَلْقَرْن (بنو الْقَرْنِ) :

ـ باسكان الراء ـ وهاؤلاء من الأزد ، ولايزالون في بلادهم القديمة ، وسراتهم تقع بين سراة الحجر وسراة شكر ، وقاعدة بلادهم العلاية .

٢٧ ـ هُـــذَيْلُ :

ولبطون من هذيل جانب من سراة الطائف فيما بينها وبين مكة ، وهي تسكن في هذه السراة منذ العهد القديم ، وهذيل من أصرح القبائل العدنانية نسباً وأقربها إلى قريش ، ومن بلادها الهدأة (الهدة) التي أصبحت من أشهر مدن السراة بمنطقة الطائف .

٢٨ ـ هـــوازن :

حين عدَّ ابنُ خلدون[٢٠] جشم وغزية وعُصيمة قال : كانت مساكنهم بالسراة

متصلة بسروات هُذيل ، وانتقل معظمهم إلى المغرب . كذا قال ، والواقع أنَّ أطراف السروات الواقعة جنوب الطائف وشرقه لايزال يسكنها فروع من قبيلة هوازن كبني سعد وغيرهم ، كما أن بني جشم منتشرون في الأودية الواقعة في أطراف السراة شمال الطائف ، مثل وادي السيل وأعالي وادي العقيق ، وما بقرب هذه الأماكن ، أما بنو عُصَيْمة (العُصَمَة) فمنازلهم كانت خارج السراة شرق الطائف .

٢٩ ــ وَادِعَــة :

وعلى سفوح سراة الحجاز الشرقية في أعالي روافد وادي حبونن (حبونة) تحل قبيلة وادعة في بلاد تدعى ظهران الجنوب ، ووادعة هذه قبيلة همدانية فصل الهمداني نسبها في كتاب « الأكليل »[٢١] .

الوقفة الثانية ـ صفاء لغة أهل السراة :

عُرِفَ سكانُ السروات منذ القدم بكونهم من أفصح العرب ، فقال أبو عمرو ابن العلاء الامام اللغوي المعروف (٧٠/١٥٤هـ) : أفصح الناس أهل السروات وهي ثلاث الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، أولها لهذيل ، وهي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد ــ أزد شنوءة ــ وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد[٢٢] . انتهى . ويقصد ببني كعب زهران وغامد وبلقرن وشمالة ، وفروع هذه القبائل ، وترجع فصاحة سكان السروات إلى كون بلادهم بعيدةً عن الاختلاط بمن ليس عربياً ، فطرق القوافل التجارية وطرق الحجاج الذين يأتون من خارج الجزيرة كلها لا تمر بهذه السروات ، ومن هنا قل اختلاط أهلها بالأعاجم ، فصفت لغتهم ، وخلصت من العجمة ، ولكن حين انتشرت وسائل الحضارة الحديثة كالسيارات والطائرات وغيرها كثر الاختلاط بين سكان الجزيرة شرقها وغربها ، وقويت صلتهم بالعالم خارج جزيرتهم ، وتمكن الأجانب من الوصول إلى هذه البلاد ، وتعلم أهلها في مدارس خارجها ، واختلطوا بغيرهم ، فتغيرت لغتهم ، باستثناء بعض سكان الأمكنة النائية في تلك البلاد .

عتب ... وأمل :

ولتكن الخاتمة أيها الإخوة كلمة حب بل همسة عتبٍ موجهة إلى جامعاتنا السبع ، لانصراف المهتمين بالدراسات الاجتماعية فيها عن الاتجاه إلى هذا العالم المجهول ، واعني به عالم السراة ، واسمحوا لي بأن أدعوه (مجهولا) فلم أسمع أنَّ جامعة من تلك الجامعات هيأت الوسائل لإحدى الجهات المعنية بالدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية أو الجغرافية فيها ، للتغلغل داخل هذا العالم المجهول ، لتمد الباحثين بوسائل جديدة من وسائل العلم والمعرفة عن هذا الجزء الحبيب من وطننا .

ولم أقْرَأ لِأحَدِ الدارسين في إحدى الجامعات من أبنائنا أية دراسة علمية لنيل شهادة عالية عن مظهر من مظاهر الحياة في هذه السروات ، مع كثرة الدراسات وتنوعها ، وبعدها عما نحن بحاجة إلى معرفته مما يتصل بحياتنا ، ويرتبط بأرضنا التي خُلقنا منها ، ولانزال ننعم ونعيش فوق ترابها ، ويجب أن نُقَوِّيَ كُلَّ الوسائل لارتباطنا بها .

ولكن الآمال ــ لاتزال ــ وستبقى دائماً معلقةً على هذه الصفوة الممتازة المثقفة من رجال جامعاتنا وشبابها إذ هُمْ ــ بعد الله سبحانه ــ مناط الرجاء ، وبجهودهم وأعمالهم النافعة تُحَقِّقُ الآمال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) انظر عن هذه اللعبة كتاب « في سراة غامد وزهران » : ٥٧ و ٥٨ .
(٢) « المناسك » : ٥٣٤ و « صفة جزيرة العرب » : ٨٥ .
(٣) « لسان العرب » رسم (سرا) .
(٤) لتفصيل انساب قبائل السراة يحسن الرجوع إلى كتاب « في سراة غامد وزهران » .
(٥) القسم الأول ص ٢٢٨ .
(٦) : ١٢١ .
(٧) : ٤٨١ .
(٨) « صفة الجزيرة » : ٢١١ و « معجم البلدان » رسم (بارق) . ←

سلامان .. والشاعر الشنفرى

وذكرني الابن الكريم النقيب الطيار عبدالله بن مرضي الزهراني في جريدة « الجزيرة » (ع ٥٧٩٦ ـ الخميس ١٤٠٨/١٢/٢٩هـ) ذكره الله بخير مايحب ، بمناسبة ما تحدثت به ليلة الأربعاء (١٤٠٨/١١/٢١هـ) في أحد محافل مدينة الباحة قاعدة بلاد زهران وغامد ، عن انطباعات مشاهداتي في السروات ، أثناء زيارتي لتلك البلاد قبل تسعة عشر عاماً ـ في شهر صفر ١٣٩٠ ـ ذكرني ذكر المفضل الفاضل ، وأضفى علي من الثناء ماينم عن كرم خُلُقٍ ، وسماحة نفس ، ورغبة في الاستفادة والاستزادة من المعرفة .

إلا أنه استغرب قولي : (إنني لم اسمع عن سلامان ذكراً بين فروع قبيلة زهران) . وأوضح سبب الاستغراب بقوله : (مع العلم أنه يوجد قرية في زهران بهذا الاسم ، وقد ورد ذكرها كثيراً خاصة عندما تعرض المؤرخون لتاريخ الشاعر الشنفرى قبل فترة حيث ذكر بعضهم انه يرجع إلى سلامان) .

حقًّا هناك فرعٌ من فروع قبيلة زهران يدعى سلامان ، وهناك قرية من قرى هذه القبيلة تدعى سلامان أيضاً ، فهل هما واحد ؟! لقد عرفت الكثير عنهما فقد سبق لي أن اشرفت على نشر كتاب الابن الحبيب الأستاذ علي بن صالح السلوك

---

(٩) « الأغاني » ٤٧/١٢ طبعة الساسي .
(١٠) ج ٢١ ص ٨٨ .
(١١) انظر عن الكبيبة مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٥٦٨ .
(١٢) « صفة جزيرة العرب » : ٢١١ .
(١٣) المصدر السابق : ١١٩ .
(١٤) المصدر السابق : ١٢١ و ٢١١ .
(١٥) « في سراة غامد وزهران » : ٢٤٨ .
(١٦) : ١٢١ .
(١٧) ج ٥ ص ٥٤١ .
(١٨) « في سراة غامد وزهران » : ٤٦٤ .
(١٩) « صفة جزيرة العرب » : ١١٨ .
(٢٠) « العبر » ج ٢ ص ٦٤٢ .
(٢١) ج ١٠ ص ٦٥ و ٨٩ .
(٢٢) « معجم البلدان » رسم (السراة) .

سلامان .. والشاعر الشنفرى

وذكرني الابن الكريم النقيب الطيار عبدالله بن مرضي الزهراني في جريدة « الجزيرة » (ع ٥٧٩٦ ـ الخميس ١٤٠٨/١٢/٢٩هـ) ذكره الله بخير مايحب ، بمناسبة ما تحدثت به ليلة الأربعاء (١٤٠٨/١١/٢١هـ) في أحد محافل مدينة الباحة قاعدة بلاد زهران وغامد ، عن انطباعات مشاهداتي في السروات ، أثناء زيارتي لتلك البلاد قبل تسعة عشر عاماً ـ في شهر صفر ١٣٩٠ ـ ذكرني ذكر المفضل الفاضل ، وأضفى علي من الثناء ماينم عن كرم خُلُقٍ ، وسماحة نفس ، ورغبة في الاستفادة والاستزادة من المعرفة .

إلا أنه استغرب قولي : (إنني لم اسمع عن سلامان ذكراً بين فروع قبيلة زهران) . وأوضح سبب الاستغراب بقوله : (مع العلم أنه يوجد قرية في زهران بهذا الاسم ، وقد ورد ذكرها كثيراً خاصة عندما تعرض المؤرخون لتاريخ الشاعر الشنفرى قبل فترة حيث ذكر بعضهم انه يرجع إلى سلامان) .

حقًّا هناك فرعٌ من فروع قبيلة زهران يدعى سلامان ، وهناك قرية من قرى هذه القبيلة تدعى سلامان أيضاً ، فهل هما واحد ؟! لقد عرفت الكثير عنها فقد سبق لي أن اشرفت على نشر كتاب الابن الحبيب الأستاذ علي بن صالح السلوك

---

(٩) « الأغاني » ٤٧/١٢ طبعة الساسي .
(١٠) ج ٢١ ص ٨٨ .
(١١) انظر عن الكبيبة مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٥٦٨ .
(١٢) « صفة جزيرة العرب » : ٢١١ .
(١٣) المصدر السابق : ١١٩ .
(١٤) المصدر السابق : ١٢١ و ٢١١ .
(١٥) « في سراة غامد وزهران » : ٢٤٨ .
(١٦) : ١٢١ .
(١٧) ج ٥ ص ٥٤١ .
(١٨) « في سراة غامد وزهران » : ٤٦٤ .
(١٩) « صفة جزيرة العرب » : ١١٨ .
(٢٠) « العبر » ج ٢ ص ٦٤٢ .
(٢١) ج ١٠ ص ٦٥ و ٨٩ .
(٢٢) « معجم البلدان » رسم (السراة) .

الزهراني عن (بلاد غامد وزهران) في سلسلة المنشورات التي اصدرتها بعنوان « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وكان الحلقة الثانية من تلك السلسلة التي صدر منها سبعة عشر جزءاً ، وصدر سنة ١٣٩١هـ وأشرفت على طبعه وتصحيح تجاربه ، وذاكرت مؤلفه الفاضل في كثير مما اعترضني من مباحثه .

وفي هذا الكتاب ــ ومؤلفه من أعلم من عرفتُ ببلاد قومه زهران وفروعهم ــ لم يرد مايشير إلى وجود هذا الفرع الذي يدعى (سلامان) ولكن ورد ــ ص ١٢٩ ــ ماهذا نصه : (سلامان بلفظ مثنّى سلام : قرية من قرى عويرة ، من قرى بالطفيل ، وتقع شمال بلدة عويرة بمسافة كيل واحد) .

ولهذا فأنا لم أنف سماعي باسم هذه القرية ، ولا علمي بها .
وقبل صدور كتاب الأستاذ علي بن صالح الزهراني صدر كتابي « في سراة غامد وزهران » وقد ورد فيه ذكر سلامان باعتباره من فروع قبيلة زهران في أربعة مواضع من كتاب ــ في الصفحات ١٩٤/ ٢٤٨/ ٢٧٤/ ٤٦١ ــ وبعثت نسخاً من تجارب طبعه (البروفات) إلى من توسمت فيه العلم والمعرفة من أبناء القبيلتين الكريمتين ، ومنهم الإخوة الأستاذ علي بن صالح الزهراني والأستاذ محمد ابن مسفر الزهراني ــ مدير مكتب التعليم في الأطاولة في بلاد زهران ، وله مؤلف عن « بلاد زهران في ماضيها وحاضرها » والأستاذ علي بن معجل بن سعد الغامدي مدير التعليم في بلاد غامد وزهران ، وقد رجوت كل واحد ممن بعثت إليه بنسخة من مسودة الكتاب التفضل بإمدادي بما يراه فيه من خطإ أو نقص أو ملاحظة ، وما من الإخوة الثلاثة المذكورين إلا وقد كتب إليَّ كتاباً بما رآى ، أوردته بنصه في آخر الكتاب ، وكان مما قلت فيه عن فرع سلامان الزهراني ــ ص ٤٦١ ــ : انني أثناء رحلتي لم أسمع لهم ذكراً بين فروع زهران ــ وما واحد من الإخوة ولا غيرهم أبدى أية ملاحظة على هذه الجملة تثبت وجود هذا الفرع ، ثم مضى الوقت الطويل الذي تلقيت خلاله بعض ملاحظات من بعض القراء حول الكتاب ، سوى تلك الجملة ، ومن اولئك القراء علماء أجلاء كالشيخ سعيد بن عياش رئيس محكمة خميس مشيط ، فقد كتب إليَّ باستدراكات قيمة نشرتها في مجلة « العرب » س ٨ ص ٦٢٦ ــ .

وبعد ذالك وردت تلك الجملة في الحديث الذي أشار إليه الكاتب الكريم ، وكان قد طبع ووزع على مجموع من حضروا للاستماع عليه ، ليتوجهوا بما يرون حوله من استيضاحات أو استدراكات ، وفيهم عِلْيَةُ القوم ومثقفوهم من أبناء تلك القبيلة التي ينسب الفرع إليها ، مع إفساح المجال للإجابة على الأسئلة ، ورجاء التفضل بإبداء أية ملاحظة يمكن أن تعالج إصلاح خطإ وقع مني في الحديث أو في الكتاب الذي أفكر في إعادة طبعه .

كما أسعدني الحظ بالالتقاء بعدد من الإخوة الأحبة حيث أكرمني الابن الحبيب الأستاذ علي بن صالح الزهراني بالدعوة لتناول العشاء في بيته ليلة الأربعاء ، فبحثت معه ومع بعض المثقفين في أمور تتعلق بتاريخ هذا الجزء الطيب من بلادنا ، ومنهم من وعد بالكتابة إليَّ عن العقبة التي ورد ذكرها في حديث إسلام الصحابي الجليل أبي هريرة الدوسي ، وعن موقع المعدن في وادي العقيق ، ولاأزال أتطلع إلى ما يفضل به اؤلئك الإخوة من معلومات توضح جوانب من ماضي هذه البلاد ، ولهذا فقد أعاد لي الأخ النقيب عبدالله بن مرضي الزهراني بما كتب به إليَّ ذكريات حبيبة إلى نفسي أسعى دائماً لتنميتها وتقويتها ودوام اتصالها .

وكنت أود لو أن الأخ الكريم اطلع على ماكتبت عن (سلامان) باعتباره فرعاً من فروع زهران ، في كتابي ليدرك أن ما أشار إليه عن هذا الفرع ، بل أكثر منه لم أكن على جانب من الجهل به ، لقد ذكرت في هذا الكتاب :

١ ــ ص ١٩٤ ــ : بنو سلامان من زهران ، وهو سلامان بن مُفْرِجِ بن مالك ابن زهران ــ ذكرت هذا في معرض سرد بطون زهران على حروف الهجاء .

٢ ــ ص ٢٤٧ ــ : وولدَ مالكُ بنُ زهران مُفْرِجَ ، فولد مُفْرِجُ سلامان ــ بطن ــ والحارث وهو كُدَادة ، منهم حاجزُ بن عوف بن الحارث بن الأختم بن عبدالله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج الشاعر .

٣ ــ ص ٢٤٨ ــ : الحاشية ــ نقلت عن « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم : بنو مالك بن زهران منهم سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران ، بطن

كان منهم الشنفرى الفاتك ، وكان يغير عليهم لأن رجلاً منهم قتل أباه فلم يطلبوا بثأره ، فلحق ببني فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر ، وكانوا أخواله ، وفي ذالك يقول :

جَزَيْنَا سلامانَ بْنَ مُفْرِجَ قَرْضَهَا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمُ وَأَزَلَّتِ
وهُنِّئَ بِي قَوْمٌ ومَا إنْ هَنَأْتُهُمْ وأَصْبَحْتُ فِي قَوْمٍ ولَيْسُوا بِمَنْبِتِي

من هنا يتضح أن ما أشار إليه الأخ عبدالله حول الشنفرى الشاعر لم يغبْ عن ذهني ، بل إنني حاولت أن أقدم لقراء ذالك الكتاب طرفاً عن حياة ذالك الشاعر في الصفحات ٢٥ إلى ٢٨ .

٤ ــ ص ٢٧٤ ــ : في سياق الحديث عن تحالف دوس وقريش وثقيف نقلت عن كتاب « المنمق » : والذين حالفوا في قريش من دوس هم بنو سلامان بن مفرج ، وبنو منهب ، وبنو مالك ، وعامة نبيش ، ولم يحالف سائر دوس . انتهى .

وهنا إشكال في عدِّ بني سلامان من دوس ، وتقدم ذكر نسبهم ، وأنهم من بني مالك بن زهران ، بينما دوس من بني عُدْثَان بن عبدالله بن زهران ، وصاحب كتاب « المنمق » محمد بن حبيب من قدماء العلماء ، ومن تلاميذ إمام علم النسب هشام بن محمد الكلبي ، إلا أن التثبت من صحة ماجاء في كتاب « المنمق » يحتاج إلى مصادر أخرى .

٥ ــ ص ٤٦١ ــ : سلامان هاؤلاء على ماذكر الهمداني وغيره من سكان السراة ، وسماهم سلامان بن مُفْرِج ، وهاؤلاء من زهران كما تقدم ، غير أنني أثناء رحلتي لم أسمع لهم ذكراً بين فروع قبيلة زهران ، وفي قبيلة الحجر فرع كبير يدعى بهذا الاسم ، فبنو شهر ــ أكبر فروع الحجر ــ ينقسمون إلى قسمين ، هما بنو سلامان وبنو أثلة ، وشيخ سلامان العسيلي ، وإذا صح ما نقله الأستاذ عمر رفيع في كتاب « في ربوع عسير » أن الشنفرى كان يتصيد رجال بني سلامان في وادي حظوة ، وبين أشجاره المتشابكة ــ وأرى له وجها من الصحة ــ فإن بني سلامان انفردوا عن زهران في العهد القديم ، وانضموا إلى قبائل الحجر ، للصلة

في النسب ، وقرب الجوار ، وحظوة واد خصيب في بلاد بني سلامان من بني شهر من الحجر ، وصاحب « الأغاني » أورد أنَّ الشنفرى من ربيعة الحجر ، أو الأواس ، منهم ، فهو حجري .

ويبقى الحديث عن صلة قرية (سلامان) التي ذكرها الأستاذ علي السلوك الزهراني في كتابه ، وعدها من قرى بالطفيل ـ صلتها ببني سلامان الذين هم من فروع زهران .

ما من شك أن كثيراً من القرى سميت باسم ساكنيها ولاتزال تسمى ، وخاصة في جنوب الجزيرة ، وقد يزول الساكن ويبقى اسمه يطلق على المكان الذي كان يسكنه ، ومن ذالك اسم (بجيلة) الذي كانت تعرف به قبيلة من أشهر قبائل السراة ، زال هذا الاسم عن القبيلة ، وحل محله اسم (بني مالك) لشهرة هذا الفرع من فروع القبيلة ، وانحسر اسم (بجيلة) في قرية صغيرة من قراها ، ومثل هذا (سدوس) في نجد كان يطلق على قرية تدعى قرية بني سدوس ـ أحد أحياء بكر بن وائل ، فزال الحي ، وعرف المكان باسم (سدوس) . وهناك منازل كثيرة من أودية وقرى في جنوب البلاد لا تعرف إلا بأسماء ساكنيها .

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : هل سكان قرية سلامان المذكورة هم من بني سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران ؟ إن المعروف الآن أن تلك القرية من قرى بالطفيل ـ أي بني الطفيل ، وهاؤلاء منسوبون إلى الصحابي الجليل الطفيل بن عمرو بن عبدالله بن مالك بن عمرو بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران ، وبنو سلامان الذين تقدم ذكرهم ليسوا من دوس بن عبدالله بن زهران ، بل من بني مالك بن زهران كما تقدم ـ إلا على رأي صاحب كتاب « المنمق في اخبار قريش » وعلى هذا الرأي فلماذا جهل انتسابهم وعدهم من فروع دوس الباقية مادام اسمهم لايزال يطلق على قريتهم مع بقاء أكثر فروع القبيلة القديمة معروفة ، إذ لاتزال محافظة على كيانها ، ولم تخالطها فروع أخرى من غيرها ككثير من القبائل التي لم تستقر في بلاد حصينة ؟!

أما عن صلة الشاعر الشنفرى بقرية سلامان ، وبفرع سلامان الزهراني فهذا ←

مِنْ شعراء ضَمَد

في كتاب « مطلع البدور »

[بلدة ضَمد بمنطقة جازان ، من أقدم قرى المنطقة ، فقد ورد ذكرها في الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ ونصه على ماورد في « معجم البلدان » : أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن البداوة فقال : « اتق الله ولا يضرّك ان تكون بجانب الضمد من جازان » ، وكانت من مراكز العلم والأدب في تلك المنطقة ، وفيها لخصه الأستاذ الحبشي من كتاب « مطلع البدور » ما يوضح جوانب من الحياة العلمية في فترة من الزمن ، وقد يتصدى أحد أبناء هذه البلدة الكريمة للتوسع في الموضوع فيمد الباحثين بما يلقي أضواء على الحياة الثقافية في المنطقة كلها] . .

في المطالعة السريعة لمخطوطة « مطلع البدور ومجمع البحور[1] » لمؤلفه العلامة المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرِّجَالِ المتوفى سنة ١٠٩٢ اتفق لي الحصول على مجموعة من شعراء ضَمَد بالمخلاف السليماني ، وكانت مجموعة لا بأس بها ، ما أحقها بالإفراد بهذا المقال فقمت بجمع ما عَنَّ لي بانتخاب هذه الفئة من الشعراء .

وقبل الدخُول بطرح مافي جُعْبتنا مما اخترناه من الكتاب نقف قليلاً عند العلامة ابْنِ أبي الرِّجَال صاحب « مطلع البدور » .

هو : أحمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن محمد المعروف بابن أبي الرجال ، ولد ليلة الجمعة من شهر شبعان[2] سنة ١٠٢٩ بجهات (الأهنوم) ، وكان من شيوخه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم ، والسيد إبراهيم بن محمد بن أحمد بن

← ما آمل من أحد الإخوة من مثقفي تلك الناحية في زهران أو الحجر أن يتناول حياته بالدراسة المفصلة ، اعتماداً على ماوصل إلينا من شعره وأخباره . مع محاولة تطبيق هذا على ماهو متناقل بين الرواة المعاصرين ، وما هو مشاهد ومعلوم في تلك البيئة التي عاش فيها الشاعر .

وللابن الكريم النَقيب الطيار عبدالله بن مرضي ، ولأسرة هذه الصحيفة الحبيبة إلى النفس أطيب تحية .

[عن جريدة « الجزيرة » في ١٤٠٩/١/٢هـ] .

الرياض : حمد الجاسر

عزالدين المؤيدي ، والسيد عز الدين بن دُرَيْب ، والسيد محمد بن الحسن ، والقاضي أحمد بن سعد المَسْوَري وغيرهم .

قال الشوكاني : برع في كثير من المعارف ، وهو صاحب كتاب « مطلع البدور ومجمع البحور » ترجم فيه لأعيان الزيدية فجاء كتاباً حافلاً ، ولولا كمال عنايته واتساع اطلاعه لما تيسر له جمع ذالك الكتاب ، وكان من العلماء المشاركين في فنون متعددة ، وله أبحاث ورسائل منها :

ـ بغية الطالب وسوله ، في سبب نزول ﴿ إنّما وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ ﴾ .

ـ « تيسير الإعلام ، بتراجم تراجمة التفسير الأعلام » .

ـ « الدُر النَّظِيم » بشرح العقيدة الصحيحة للإمام المتوكل على الله إسماعيل مخطوط في مكتبة جامع صنعاء برقم ٥٤ وأخرى بالأمبروزيانا B١٣٣ .

ـ «الرياض الندية في أن الفرقة الناجية هم الزيدية» في الأمبروزيانا B ١٣٣ .

ـ « الموازين الرجيحة شرح العقيدة الصحيحة » ـ ولعله غير السابق ـ .

ـ « تفسير الشريعة لوراد الشريعة » مخطوط في جامع صنعاء : ١١ مجاميع وأخرى مخطوطة سنة ١٠٧٠ بالمتحف البريطاني برقم ٣٨٥٢ .

ـ « رسالة في الرّد على العلامة الحسن بن أحمد الجلال » في مسألة الزكاة لأهل البيت مخطوطة سنة ١٠٩٢ بالمتحف البريطاني .

ـ حاشية على ألفاظ « الأزهار » في تتبع ألفاظ « الأزهار » من جهة اللغة والتعريف ، وهو مفيد ، أطلع عليه أحد أقربائه فقال : (هو موجود بخطه ـ بلغ فيه إلى كتاب الوضوء) .

ـ « الجواب الشافي للصَّديْ ، إلى عبدالعزيز الضَّمَدِي » .

ـ « الوجه الأَوْجَهُ في حكم الزوج الذي ضَيَّع الزَّوجة » .

ـ « الهداية إلى من يجب ، والهداية إلى من يحب » ؟

ـ « تذكرة القلوب التي في الصُّدور في حياة الأجسام التي في الظُّهور[٣] » .

ـ « مجالس التفهيم المُبوّئَةُ لمنازل التكريم » ، مخطوط في جامع صنعاء برقم ٩ مجاميع .

ـ « مجاز من أراد الحقيقة من مُراد حُماة الحقيقة » مخطوط بمكتبة الفاتيكان بإيطاليا برقم ١٢٠ .

ـ « إعلام المُوَالِي بكلام ساداته الموالي » مخطوط في المتحف البريطاني برقم ٣٨٥٢ وأخرى بجامع صنعاء في سنة ١١٠٢ برقم ٤٩ مجاميع (ترقيم قديم) .

ـ « إنْبَاءُ الأبناء بطريقة سلفهم الحسنى(٤) في تراجم أعيان أسرته » ، تعليق على مُشَجَّر صلاح بن أحمد الجلال مخطوط في الأمبروزيانا ٦٨ A .

ـ « النصوص الظاهرة في إخراج اليهود الفاجرة » نشرها العلامة المغربي عبدالهادي التازي ، بتحقيق جيد .

وهذا ما وقفنا عليه من مؤلفاته وله غيرها وتوفي سنة ١٠٩٢(٥) .

وإليك ما جمعناه من كتابه « مطلع البدور » :

القاسم بن علي بن هُتَيمل :

هو أقدم من ترجم له من شعراء ضمد قال : البليغ الذي يعد في البلغاء بالخنصر ، والسابق الذي يطول على كل شاعر ولا يقصر ، تصبو له المعاني إذا دعاها أجابته كاعبات ومُعصر ، القاسم بن علي بن هُتيمل ، الضَّمدي الفصيح ـ رحمه الله ـ هو أحد مفاخر اليمن على الشام ، والمغني بومضه على كل بارق ، فما أحَدٌ لبارق من بعد بارقه شام ، روي انه لما وصل ديوانه إلى مكة المشرفة اتفق أدباؤها على تفضيله على مشاهير الشعراء ، قال قائلهم : قد جاء ديوانٌ من اليمن يُغني عن كل هذه الدواوين ، وقد أنشد من شعره العماد الكاتب ، وهو عصريهُ شيئاً من الشعر ، ونسبه إلى غيره ، وما أظنه إلا انتحال ، والانتحال ـ كما قال السّعد التفتازاني أمرٌ يصبو إليه اللبيب ، وللأرض من كأس الكرام نصيب ، فذكر العمادُ القصيدة التي طالعها :

أنا مِنْ نَاظِرِي عَلَيْكَ أَغَارُ

وهي من غُرَرِ القصائد ، وأظُنُّ من جملتها في مديحه للإمام أحمد بن الحسين عليه السلام :

طَالِبِيٌّ يَكَادُ مِنْ طَلَبِ الثَّأْرِ تَلَظَّى من مُقْلَتَيْهِ النَّيَارُ
حَسَنِيٌّ لِوَجْهِهِ حُسْنَ الذُهْـ ـرُ وَلَوْلاَهُ مَا أُقِيلَ عِثَارُ
قَاسِمِيٌّ فِي كَفِّهِ يُقْسَمُ الرِّزْ قُ وَمِنْهُ تُسْتَوْهَبُ الأَعْمَارُ

وكان ممدوحهُ في الجبال الإمام الشهيد أحمد بن الحسين ، وأولاد الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، وفي الغور الأشراف أهل المخلاف ، وأمراء حلي بن يعقوب ، وأخبرني بعض الحفاظ أن له قصيدة في مديحهم ، وذالك أنه كان له خصلتان في المديح غير محمودتين إحداهما أَنَّهُ يُبالغ في الممدوح حتى يهين من سواه ، كقوله في الإمام :

إلى مَنْ لو وَزَنْتَ الخَلْقَ طَرًّا بِظُفْرٍ مِنْهُ ما وَزِنُوا قُلاَمَهْ

والثانية أنه ما مدح أحداً إلاّ رثاه لأنه تَعَمَّرَ طويلاً ، وقال في قصيدة له في صاحب حَلْيٍ :

إنَّ الملوكَ بَنِي يَعْقُوبَ قَاطِبَةً طَرًّا وَكُلُّ ملوكٍ غيرهم سَوَقُ

فبلغت السُّلطان المُظَفّر ، فَأنِفَ ، وأرسل له جريدة خَيْلٍ ، فجاءُوْا به من قطر تهامة ، والسلطان يومئذٍ بزبيد ، فباتوا ليلة في محل الشريف سليمان بن وهاس الحسني ، وكان الشريف في حضرة السلطان ، وليس في البيت إلا غلام من أولاده يفعة ، ما اختط له شارب ، فشكا إليه ابن هتيمل ، فقال الولد للرُّسل : هذا قد استجار بي والسُّلطان يحب رعايتنا وأبي في حضرته فاتركوه ، وللسلطان في القضية رأيه ، فلم يساعده الرسل فكان بينهم بعض الشرّ ، وركب الولد ، ونكاهم بعض النكاية ، فتركوا ابن هتيمل وعزموا إلى السلطان ، وذكروا أن سليمان بن وهاس لقاهم خيلاً استخلصوه من أيديهم ، فعاتب السُّلطان الشريف سليمان ، فقال مافي بيتي إلا ولد ما يصلح لهذا ولا أَمَرْتُهُ بشيءٍ فأمر السلطان

باحضاره ، فلما حضر أنكر الرسلُ أنه الذي استخلص ابن هتيمل مُتفرداً ، وأن عنده غيره من الفرسان ، فقال الولد : هذا الفرس ، وهذا الميدان ، يخرج الرسل ، وأنا أخرج ، فظهر للسُّلطان نجابة الولد ، فلم يعذر عن حضور ابن هُتيمل ، فحضر وعاتبه فقال : ماقلتُ في غيرهم (سوقُ) إنما قُلْت : وكل ملوك غيرهم (سبقوا) فاستحسن ذالك السُّلطان وتركه للشريف ، فقال في الشريف قصيدته السِّيْنية ، وهي في الديوان ، واستمر في الحضرة السُّلطانية من وجوه أهلها وأعيانهم ، وكان على المظفر إلى مصر مال يُسلم في السَّنة يأتي له رسول من صاحب اليمن من جملته دُرُوعٌ فيها أربعة مختارة ، فاتَّفق أنَّ السلطان لم يتيسر الرابع من الأربعة ، ومن صفتها أن تكون في الأرض مرتفعة مثل المستقيمة ، فجمع المال في الديوان ، وأعيان الدولة مجتمعون ، والمال في الوسط ، والسُّلطان في المخزان فسأل : مابال السُّلطان لم يخرج ؟فقالوا : إنَّه مُطالبٌ في الدِّرع الرابع ، فهو مطلبُهُ فَسَلَّ الشريفُ سَيْفَهُ ، وضرب الأدراع الثلاثة حتى قَدَّها بالسيف وقال : قُلْ لصاحبك ليس عندنا غير هذا !! فبلغ المظفر فقال وقد أغناه وجوده : نعم !! ماقال الشريف ليس عندنا غير هذه الضربات ، فعزم رسول صاحب مصر ، ولم يأت من بعده رسول .

وكان بين ابنُ هُتيمل وبين صاحب الحاح(٦) مشاعراتٌ ، وكان ابنُ جِمْير مُجيداً غير أنَّ هذا لا يُلحق ، وما يُناظر شعره إلا شعر أبي فراس ، ولقد امْتحنتُ جماعة من الأدباء بأبيات من شعره ، أقول : لمن تظنون هذا الشعر ؟ فيقع في الغالب أفهامُهُمْ على أبي فراس ، وله شعر غالبُهُ الإشعار (؟) وله في الغزليات ما يسترق الطبع ، وكان يجاز بالجوائز السِّنِيَّات الجزْلة ، ومع ذالك مات وهو من فقراء المسلمين المتربة ، وقد سبق ما أجازه به القاسم الذَّرَوِيُّ ، واشتهر في النَّاس جائزة الإمام له في قصيدته التي اشتهرت وطارت كل مطار وهي :

إِذَا جِئْتَ ٱلْغَضَا ولَكَ السَّلاَمَةْ فَـطَارِحْ بِـالتَّحِيَّـةِ رِيْمَ رَامَـةْ

وهي شهيرة فيقال : إن الإمام أجزل عطيته ، ويذكر الناس قدراً ما رأيته في التاريخ(٧) والله أعلم بالحقيقة .

قال بعض الفُضلاء : يكفي هذه القصيدة قول السيد البليغ الهادي بن إبراهيم رحمهما الله فيما كتبه إلى الإمام المنصور مُتشفعاً في الإمام المهدي بقصيدة أجاد فيها :

وهاكَ قصيدة غَرَّاءَ تحْكِي :
(إذَا جِئْتَ الْغَضَا ولَكَ السَّلاَمَهْ)[٨]

وله دُرَرٌ منَ القَصائد أتَبَرَّكُ[٩] بمراثيه للإمام الشَّهيد لا لأنَّها نُخَب شعره ، بل للتبرك ، وقال ــ رحمه الله ــ بعد قتل الإمام عليه السلام :

أقْسَمْتُ أحْلِفُ صَادقاً وأنَا الَّذِي مَـاقَطُّ أحْـلِفُ آثمـاً بِـيَمـيْـنِي
إنَّ الشَّجاعَةَ والسَّمَاحَةَ والنَّـدى حلَّتْ بِقَـبـرٍ فِي رُبَى ذِي بِينِ

علي بن يحيى الضَّمديُّ :

الفقيهُ العلامة المحقق إمام العلوم بأسرها ، الملتقط لفرائدها من بحرها ، جمال الإسلام ، علي بن يحيى بن إبراهيم الهُذلي الضَّمدي ــ رحمه الله تعالى ــ أحدُ العيون ، كانَ عالماً في العلوم سيَّما النَّحو ، قرأ على الإمام المهدي لدين الله أحمد بن . . . وقرأ على الشريفة العالمة دهماء بنت يحيى ، وله فيها مدائح ومقاطيع مراسلة غاب عني ما ينبغي رقمه ، ولم يبق في ذِهْني إلا ما أملاه الأخ الصالح العارف الحسين بن محمد بن يحيى الضَّمدي ــ رحمه الله تعالى ــ قال : كان يحيى الهذلي منقطعاً إلى الشريفة دهماء ، وكانت تجري نفقته من دارها فاتَّفَقَ أن نائب البيت أنفذ إلى علي بن يحيى قوته من خير الشعير ، فكتب إليها كلاماً من جملته :

يَـابِنْتَ مَنْ حَنَّ إلَيْـهِ الْبَعِـيْرْ عَشـايَ بِـالأمْسِ خَـيْرُ الشَّعِـيْر

وأقام في الجبال مدة ، ويخرج فيها ، وحاضر في الأئمة ، وجالس أكابر العلماء ، وتَعمّر إلى زمان الإمام عزالدين بن الحسن ، وكان من عيون أصحابه ، ومما كتبه إلى الإمام قبل الدَّعوة أبياتاً منها :

وإنَّـا لَنَرْجُـو عَاجِـلاً أنْ يُقِيمَهُ إلـهٌ بِهِ قَـامَتْ سَمَاوَاتُـهُ السَّبْعُ
يُعيدُ نِصَابَ الْمُلْكِ فِي مُسْتَقَـرِهِ وَيَخْلَعُ عَنْهُ مَنْ يَحقُّ له الْخَلْعُ

ومن مقاماته في العلم المشهورة ما أخبرني به الأخ الصالح الحسين بن محمد ـ رحمه الله ـ وقد فاتني جمهور ماحكاه ، إلا أني أكتبُ الباقي لِئلاَّ يلحق بالماضي ، فَآفَةُ العلم النِّسيان ، قال : قدم إلى أبي عريش رجل واسع العلم في النحو خصوصاً ، من البصرة فطلب علماء المخلاف السليماني لامتحانهم في هذا العلم ، فوصل إليه المشار إليهم بها ، فما قام في وجهه أحد منهم إلا وظهر عليه القصور ، وأنكر على المخلاف ، وتبجح الآفاقي المذكور ، ثم قال : الآن لم يبق في الجهة أحد قال قائل : بل بقي الفقيه علي بن يحيى الهُذَلي الضِّمَدِيُّ في ضمد فقال أرسلوا إليه ، فأرسلوا إليه ، فوصل وهو رث الثِّياب كما قيل في صفة أمثاله :

رَثُّ الثِّيـابِ حَدِيـْدُ القَلْب مُسْتَتِرٌ ... في الأَرْضِ مُشْتَهِرٌ فَوقَ السَّماسمة(١٠)

فدخل إلى حضرة الرجل فوقف في طرف المحل ، حيث انتهى به المجلس ، وكان البصريُّ على سريره ، فقال له : من أنْت ؟ فتعرف له حتى قال : لعلك الفقيه الذي نُعِتَ لنا بأنه يعرف النحو؟ فقال : نعم قال : فبم قرأت ؟ قال في « الحاجبية » قال : كتابٌ وُضع لتأديب الأطفال ، ثم قال : وفي أيِّ شيء : قال شرحه « الموشح » . قال : ارتفعت عن هذا الحضيض بقليل ، ثم مازال يذكر الكتب مترقياً في ذكرها حتى قال : ثم فيم ؟ قال : في « التسهيل » فقال البصريُّ : الله أكبر كُفْؤٌ كَرِيْم ، ووثب من ظهر السَّرير ، ثم أورد كل واحد وأصدر ، والفقيه يجلِّي عبارة المشكلات الأكدر ، ويضرب للبصري الأمثال ، ومن جملة ماقاله في مسألة أُعْوزت إلى الحذف والتقدير ما لفظه : لولا الحذف والتقدير لفهمته الحمير ، ومازال العجاج يثور وبضاعة البصري تبور ، فانْخَزَل البَصْرِيُّ عن النِّضال ، وعرف أنَّ أُمامَ الرجال رجال غير أن المجري في الخلاء يُسر ، وإنما يعرف الذهب بالمحك ويُختبر ، فافترقا ، وأصبح البصري خاوياً ومنزله عنه خالياً ، قد ركب خوف العار عيرانه ، وعرفه الفقيه علي ـ رحمه الله ـ ميدانه .

وكان الفقيه رحمه الله ـ مُجَابَ الدعوة لما اتفق عليه من الشريف الأمير دعيس

[بياض] القطبي ما اتفق من الأذِيَّةِ وقل نَاصِرُهُ فقال قصيدة وهي :

إِذَا لَمْ أَنْتَصِفْ مِمَّنْ تَجَنَّى عَلَيَّ فَإِنَّ لِي فِي اللهِ ظَنَّا
إِذَا اسْتَشْعَرْتُ مِنْهُ شِعَارَ خَوْفٍ رَجَوْتُ اللهَ يُبْدِلُ مِنْهُ أَمْنَا
سَأَطْلُبُ ذَا الْمَعَارِجِ كُلَّ يَوْمٍ وَأَجْأَرُ فِي الدُّعَا للهِ وَهْنَا
فَمَا خَسِرَ امْرُؤٌ فِي اللهِ وَالَى وَلَاذَ بِعِزِّهِ كُلُّ مُعَنَّى
أَفَاطِرَهُنَّ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعٍ وَمُبْتَدِيَّ الْوَرَى إِنْساً وَجِنَّا

وهي طويلة ، أوردها مؤرخنا ابن أبي الرِّجَال كاملة قال : وأنشدها بباب المسجد بِضَمَد ، فانْهَدَّ بَيْتُ الشريف في الحال ، أو احترق (غاب عنّي) وهو ــ رحمه الله تعالى ــ صاحب القصيدة الشهيرة الطائرة الصِّيْتِ ، ومَدَحَ سَيِّدَ البشر صلوات الله عليه وهي :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الغَادِيْ او السَّارِي عَرِّجْ قَلِيلاً لأَقْضِ بَعْضَ أَوْطَارِي
واحْمِلْ سَلَامِي إِلَى أَرْضٍ كلِفْتُ بِهَا حِيْناً وَطَالَ لَهَا شَوْقِي وَتَذْكَارِي
وَانْزِلْ مِنَ الرَّوْضَةِ الْغَنَّا بِمَسْجِدِهَا تَنْزِلْ هُنَاكَ بِجَنَّاتٍ وَأَنْهَارِ

وهي طويلة كسابقتها انظرها في مصدرها ، وهو مشهور ــ ولله الحمد ــ .

محمد بن أحمد الضَّمدي :

قال في إطرائه : العلامة البليغ الْمُفَوَّهُ ، لسان الحق ، بدر الدين محمد بن أحمد ابن جناح الضَّمدي ، هو من بيت بالفضل معمور ، ومن منار عَلاَ ظاهرها غير مغمور ، لهم في التشيع غُرر باذخة ، وذُرَا دور شامخة ، وفيهم الأعقاب ، والبقية الصالحة إلى يومنا هذا ، وكان هذا الفاضل لساناً متكلماً ، كما هو منهاج أهله ، بل منهاج بلده ، فلله بلدة ضمد ماحوت من ماحوت من كرام ، ومما اتفق بين هذا العلامة وبين أهل زمانه من الشافعية في البيع الذي يزاد في ثمن المبيع لأجل المنسية أشعارٌ مرت بنا أيام القراءة بصعدة ، ولم يبق عندي مما دار غير جواب هذا المنطيق ، ولعله خاتمة ما دار من تحقيق ، هذا عرف ماسبقه من الأشعار ، وقد رأيت إثباته لجودته :

أجابَ عَلى مَقَالَتِنا الْقَوِيَّهْ بِتَحْرِيم الزِّيَادَةِ في النَّسِيَّهْ
أُنَاسٌ حَاوَلُوا نَيْلَ الثُّرَيَّا وطَمْسَ شُمُوسِ مَذْهَبِنَا الْمُضِيَّهْ

محمد بن أحمد النعمان الضَّمدي :

هو الفقيه العارف البليغ بدر الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم النّعمان الضمدي ــ رحمه الله ــ من أهل البلاغة واللسَنِ ، والأدب والعرفان والفضل والكمال ، ولي أعمال (يَنْبُعَ) للإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين عليه السلام ، ومدح الإمام بجيِّدٍ من الشعر ، فمما أنشده ضحوة يوم الأضحى بدار (الشكران) السعيدة بقصر غُمدانَ ، هذه القصيدة :

وَحَقِّ الْهَوَى[11] الْعُذْرِيِّ مَالِيَ مِنْ عُذْرِ إِذَا لَمْ أَمُتْ مِنْ حُبِّ مُخْجِلَةِ الْبَدْرِ
مُثَقَّلَةِ الأَرْدَافِ مُخْطَفَةِ الْخَصْرِ (بَعِيدَةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ)
فُوَيْتِرَةِ الأَلْحَاظِ خَمْرِيَّةِ الثَّغْرِ
بَرَهْرَهَةٍ رَوْدٍ رَشِيقَةِ الْقَدِّ مُعَقْرَبَةِ الأَصْدَاغِ وَرْدِيَّةِ الْخَدِّ
تَلَمُّظُهَا ظَلْمٌ أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ وَمَبْسِمُهَا الدُّرِّيُّ أَبْهَى مِنَ الْعِقْدِ
أَذَابَتْ فُؤَادِي فِي الْهَوَى وَهْيَ لاتَدْرِي

والقصيدة طويلة ، ولولا سقم المخطوطة التي بأيدينا لنقلناها كلها .

الحسن بن أحمد النعمان :

العلامة الحسن بن أحمد النعمان ، الفقيه ، اللِّسان البليغ ، من مشاهير المخلاف وعيون أهله ، من البيت المعمور بالعلوم ، قدم صَنْعاء ، وله أشعار ، منها قصيدته في الإمام شرف الدين ، وقُرِئتْ هذه بمسجد (الحشحوش) بالجراف :

عَلَى الرَّمْلَةِ الْوَعْسَاء ريح لي قدًا (؟) فَقَدْ فُؤَادِي (...) جَهْرَةً قَدَّا
وَأَضْرَمَ نَارَ الْحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ لِقَتْلِي فما كَانَتْ سَلَاماً وَلَا بَرْدا
وَأَسْبَلَ لَيْلَ الْجَعْدِ فَوْقَ مُتُونِهِ بِزَوْرَةِ صَبٍّ ذَابَ مِنْ صَدِّهِ وَجْدَا
وَحَاوَلَ أَنْ يَخْفَى عَلَى رُقَبَائِهِ فَنَمَّ بِهِ الْخَلْخَالُ إِذْ أَبْصَرَ الْبَدَا

فَيَـامَنْ لِصَبٌ كُـلُّ شَيْءٍ يَـرُوْدُهُ   يُـرَدِّدُهُ عَـنْ سُؤْلِ بَهْجَتِـهِ رِدًّا

وهي أكثر من ذالك .

الحسين بن محمد بن يحيى الضمدي :

قال في شأنه : هو الفقيه العارف شرف الدين الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضَّمَدي النعمان ــ رحمه الله ــ من أدباء الوقْت حُفَظَةٌ نَبِيهاً في غاية النباهة ، وواسع الإملاء للأدبيات على أنواعها ، وأجناسها يملي أدبيات المصريين ومقاطيعهم ، والقصائد الطنانة عن ظهر واعية لذالك ، ولما شابهه من الكلام المخالف والمؤالف في الأدب والقصص والكائنات ، وتلقينا عنه العجائب من أخبار علماء ضَمَد الأحياء منهم والأموات ، وقد أضعنا من ذالك لطول الزمان كثيراً مما أملاه رحمه الله ، وكان من أهل الوقار والتأنّي ، والرجاحة ، وكانت له في العبارات فصاحة وبلاغة ، كأنما يملي من صحيفة ، ولقي أعيان بلده كالفقيه العلامة المطهر بن علي النعمان ، وكان يراسله بالفوائد إلى صَعْدَةَ ، وماحدث وعلمه المطهر كتبه إليه ، ولقى العلامة الوجيه سيدنا عبدالعزيز الضمدي قاضي بندر (المخا) وهو من كملة الرجال من المصنفين ، وقد مر له ذكر ، وهاؤلاء كلهم من بيت واحد قرابة وشيجة ، وقرأ الحسين العربية والفقه ، وكان ألمعياً ذكياً ، وله أشعار كثيرة منها إلّهيات ، ومنها نبويات ، وإخوانيات ، ومنها مدائح وله مواعظ فمن إلّهياته :

يَـامَنْ يُقِيْلُ عِثَـارَ الْمُذْنِبِـينَ أَقِلْ   عِثَارَ عَبْدٍ بِـهِ قَدْ زَلَّتِ الْقَـدَمُ
قَدْ قُلتَ يارَبَّنَا : ادْعُوني اسْتَجِبْ لَكُمُ   فَقَدْ دَعَوْنَـا سَمِيعاً مَـابِهِ صَمَمُ

ومنهـا :

مَـاذَا أقُولُ لِـرَبِّي حِينَ يَسْـأَلُني   عِنْدَ الْحِسَابِ وَنَارُ اللهِ تَضْطَرِمُ
وَقَدْ أَتَيْتُ بِذَنْبٍ مَا يُطِيقُ عَـلَى   حَمْلٍ لَهُ (يَذْبُلٌ) كَلَّا ولَا (نُقُمُ)

أحمد بن جناح الضمدي :

قال عنه : السيد الفاضل شهاب الدين أحمد بن جناح الضمدي ــ رحمه الله ــ

هو من بيت ثابت العماد في الخير والخيار ، وهذه الهجرة الضمدية ــ عمرها الله بالتقوى ــ مطالع لشموس العلم والأدب ، حتى اشتهر أنه لا يخلو عن مجتهد وشاعر ، وهو كذالك لم يعرف ، ولم يُسمع أنه قد خَلا ، هذا زماننا فيه : العلامة الصَّدر وجيه الإسلام عبدالعزيز بن أحمد النعمان من كبار العلماء ، وصدور الحكام إليه قضاء زبيد المحروسة ، وبندر المخا ــ عمرها الله بالعدل ــ وهو من عباد الله الصَّالحين ، وفضلاء الكملاء ، مجتهد متضلع من العلوم ، وله مؤلفات منها « شرح الموشح » في النَّحو سَمَّاه « البغية » ومنها في أصول الفقه « شرح المعيار » كتاب الإمام المهدي ، ومنها « تخريج أحاديث الشفاء » في الحديث من كتب المحدثين ، وعَزْوِ كل حديث إلى كتاب من كتبهم ، وإن كان أئمتنا لهم روايات ورجال غير أولئك إلاّ أنّ هذا من فضل الله اتفاق المروي ، وقد اعتنى أيضاً بحاشية على « الشفاء » . على ذكره ، أذكر رؤيا رآها ــ أطال الله عمره ــ لأنها موعظة ، وهو وحيد الزَّمان ، كامل الصفات ، لقيته بصعدة وهو من عيون العلماء ، وأنا إذْ ذاك حدث السِّنّ ، وله تلاوة وخشوع ، وصفات حميدة ، وله عدة رسائل في أمور متعددة ، منها رسالة في المقامات المعروفة عند الكعبة ، ومنها رسالة ينحو فيها نحو الملامة للأقوال ، ورسالة أرسلها إليَّ فيما يأخذه الإمام من الرعية . نعم ، وهذه الرؤيا هي ماحكاه أبقاه الله ــ قال : نمت ليلة السبت ثاني عشر من صفر سنة ثمان وثلاثين وألف ، وحصل معي ألم فأمسيت تلك الليلة قلقاً متكدر الخاطر ، فرأيت تلك الليلة من يعطيني ثلاثة أبيات ــ أوردها ــ .

ولابد من كتابة من عرفت اسمه من علماء أولئك ، وقد كان القاضي فخر الدين عبدالله بن علي النعمان كتب كتاباً سماه « العقيق اليماني ، في ذكر أهل المخلاف السليماني » وقفت عليه مرة بأبي عريش ، ولم يتيسر لي النقل منه ، وهذا ابن جناح لا أعرف جناح المذكور هل هو علم ، أو لقب فقد أثبت اسمه هكذا ، ومن جملة هذا البيت جناح المقبور بصنعاء الذي يعتقد فيه الناس ، وعليه مسجد معمور ، وكان عاميًّا لا فضيلة له ، وأظن القاضي أحمد بن جناح ، هذا في زمان الإمام صلاح الدين والقصيدة التي إلى الإمام استنصاراً على صاحب جازان أولها :

بِبِيْضِ الْمَواضي لاَ بِبِيْضِ الْكَوَاعِبِ

وهي طويلة ، وهي من غرر القصائد له ، وأغارت خيل الإمام معه من صعدة ولكنها سبقت غارة صاحب مكة قبل الإمام ، والقصة مشهورة .

وعلى ذكر ضمد هذه المباركة أذكر ماحضرني من شعر العلامة ابن قنبر من علمائها وفصحائها له قصائد سحارة ، إن يسَّر الله نقلت شيئاً منها قال رحمه الله :

مَا ضَمَدُ يَاصَاح إلاَّ جَنَّةٌ وهَلْ تساوى جَنَّةٌ جَهَنَّمْ
نَسِيْمُهَا وتُرْبُهَا مِنْ عَنْبَرٍ وَمَاؤُهَا الْكَوْثَرُ عَذْبٌ شَبِمْ
إذَا تَغَنَّى سَحَراً قَمْريُّهَا أيْقَظَ مِنْها مِنْ نيام تغنمِ (؟)
وإنْ تلاَ الأسْحَارَ في مِسْجِدِهَا تَالٍ بِهِ عَنْك يَزُوْلُ السُّقَمْ
لاَيَنْتِكُونَ حُرْمَةَ الجَارِ ولا يُعَرفُ عَيْبٌ مِنْهم وفِيهم (؟)

ولعلها طويلة .

ولنعد إلى ذكر أحمد بن جناح ــ رحمه الله ــ كان مجيداً في الشعر ومن شعره ما أفاده بعض شيوخي ــ رحمه الله ــ وقال هي أطول من هذا .

رَكِنْتُ إلى الدُّنْيا مَعَ الْعِلْمِ أنَّني سَاصْبحُ في بطْنِ الثَّرىَ مُتَوسِّدَا
وجاهَرتُ بِالْعِصْيَانِ لله عالِماً عُقُوبَتَهُ للظَّالِمِيْنَ لَهُ غَدَا
وخُضْتُ بُحُورَ الْمُهْلِكَاتِ تَعَمداً مَعَ الْعِلْم مِنِّي أنَّ في خَوْضِها الرَّدَى
عَلِمْتُ طَرِيْقَ الْحَقِ ثُم هَجَرْتُهَا عيَاناً وَلَمْ أمْدُدْ إلَيْهَا يَدَا

وهي طويلة أوردها في كتابه .

مُطَهَّر بن علي النعمان الضَّمَدي :

كان عارفاً فصيحاً رحَّالاً مُتنزهاً عن الخصال الذميمة ، وقرأ على مشائخ أجلاَّء وله قصائد جليلة القدر ، وخَمَّسَ قصيدة العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي التي في الزيدية بهذا التخميس البديع وأورده .

وله قصيدة رائية في علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ .

وهي طويلة وله قصيدة حسنة جامعة لسور القرآن .

وغير ذالك لكنه عَدَل بعد هذا إلى مطالعة أسفار هي كُتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فعظمها وأجلها ، وأنزلها منزلة الدليل المحلل المحرم ، وأحلها ، ولما وصل العلامة محمد بن عزالدين المفتي ذكره بشيء من ذالك فنفر منه غاية النفور ، وصده عن القراءة فتوجه إلى الفقيه أحمد بن مطير لسماع بعض الأمهات التي رام سماعها على السيد المذكور ، وله عدة كتب منها كتاب في الطب ، وكتاب سماه « النَّفحات المسكية في الأفعال الثلاثية » اختصره من « الضياء » و « المنقح » و « شرح الموشح » و « الفرات النَّمير » كتاب فيه عبارة حسنة وتكلم في وجوه الإعراب والبلاغة .

وكان الفقيه مطهر من أهل الذكاء والفطنة الوقادة والحافظة الحسنة والسليقة المطواعة ، وله الأشعار البليغة في الإخوانيات والغزليات ، يأتي بكل معنى لطيف لولا خوفي الإطالة لذكرت مقاطع سُكرها نباتي قد روقهُ بزلال صافي ، ومن تحفه : أنه كان لمولانا السيد العلامة جمال الإسلام صلاح بن أحمد بن المهدي عَبْدٌ شديد السواد يُسمى (سَوَّاد) بوزن فَعَّال بتشديد العين ، وكان يعطي الأصحاب في الحضرة القهوة أو نحوها ، فسكت عن الفقيه مطهر ، وأخره فقال بديهة :

جَمَعْتَ سَوَادَ الْوَجْهِ والْقَلْبِ يَافَتَى ... فَمِنْ أَجْلِ ذَا سَمَّاكَ أَهْلُكَ سَوَّادَا

وكان بينه وبين السادة الكرام من آل المؤيد مطارحات أدبية ومفاكهات حسنية ، على أساليب أولئك السادة الصِّيْد ، ولم يحضرني إلا ما أنشده الفقيه مطهر عقب رحلة السيد صلاح الدين من أبي عريش عقب فتحه له من يد الأرْوَام :

إنْ كَانَ أَحْبَابُنَا بِالْهَجْرِ قَدْ طَابُوا ... قَلْبِـاً فَسِيَّانِ أَعْـدَاءٌ وأَحْبَـابُ
شَدُّوا الْمَطَايَا غدَاةَ الْبَيْنْ فَارْتَحَلَتْ ... نَفْسِي كَأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنْ اقْتَابُ (؟)
وَثَـارَتِ الْعِيْسُ بالأَظْعَـانِ رَاعِيةً ... يَوْمَ النَّوَى فَاسْتَوَى رَاعٍ وَنَعَّابُ
لله رُوْحِي وقَلْبي بَعْـدَ بُعْدِهِم ... ورَحْمَـةٌ لِعُيُـوني غِبَّ مَـا غَـابُــوا

فَالرُّوحُ طَائِرةٌ وَالْقَلْبُ قَد فُتِحَتْ سمَاؤُهُ فِهْوَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَبْوَابُ

إلى آخرها .

وأجابه السّيد صلاح الدين رحمه الله فقال :

مَاطِبْتُ مِنْ بَعْدِ أَصْحابٍ لنَا طَابُوا نَفْساً وَلاَ آبَ نَوْمِي بَعْدَما غَابُوا

إلى آخر أبياته رحمه الله ، والسّياق لمعرفة مكانة الفقيه في الشعر ، وله أبيات :

وَيلاَهُ مِنْ جَفْنِهِ السَّقِيْمِ وَخَدِّهِ الأَبْلَجِ الْقَسِيم
يَلُوحُ صُبْحُ الجَبِينِ مِنْهُ تَحْتَ دُجَا شَعْرِهِ الْبَهِيْمَ
كَأَنَّمَا الْخَدُّ مِنْ نُظَارٍ وَالثَّغْرُ من لُؤلُؤ نَظِيْمِ
كَأَنَّمَا اللحظ مِنْه موسى يَجْرَحُ في قَلْبِيَ الْكَلِيم
إذَا رَآهُ الْوُشَاةُ قَالوا تبارَكَ الله مِنْ حَكِيْمِ
يَقُولُ إنْ رُمْتُ وَصْلَهُ ما لِظَالِمٍ قَطُّ مِنْ حَمِيْمِ
مُعْتَزِلي (رَافضي) لِهَذا لاَ يَعْرِفُ (الْجَبْر) لِلنَّدِيْمِ

وهي طويلة حضر عند الرقم هذا اليسير ، والقليل إلى الكثير يشير ، ودخل (عدن) للاعتبار والتنزه ، ولما وصل لَحْجاً أنشد :

تَقُولُ عِيْسي وَقَدْ وَافَيْتُ مُجْتَهِداً
لَحْجاً وَلاَحَتْ لَهَا الأعلاَمُ مِنْ عَدَنِ
أَمُنْتَهَى الأَرْضِ يَاهَذَا تُرِيْدُ بِنَا
فَقُلتُ كَلاَّ ولكِنْ مُنْتَهى الْيَمَنِ

توفي بضمد الهجرة المشهورة بتهامة ، أظن ذلك سنة تسع وأربعين وألف .

علي بن الحسن النعمي :

السّيد العلامة علي بن الحسن الحسني النعمي – رحمه الله – قاضي المِخْلاف ، وعامل إقْليمِهِ ، كان سيداً سَرِياً فاضلاً كاملاً ، يَهْتَزُّ للآداب والعلم ، ويحفظ الأخبار ، ويطلع على القصص المتقدمة والمتأخرة ، وكان يأتي على أكثر

« الكشاف » غَيْباً ، وعُمر فانتفع به أهل الإقليم ، ومسكنه جهة سلفه بنحو (شرف) و (السلام) واتخذ بيتاً بِعِتْوَدَ ، وكان عليه مدار ذالك المخلاف ، وكان واسع الصدر ، وله فصاحة ، ومن شعره قصيدة نبوية وهي : [بيّض المؤلف لهذه القصيدة] .

وله أولاد نجباء أعيان ، منهم السيد العلامة عزالدين بن علي قاضي أمير المؤمنين المتوكل على الله المُوجَّه كل عام لفصل الخصومة مع ركب الحج ، وهو من نجباء السادة وفضلائهم ، وله شعر متين وإخوته الأجلاء شمس الدين أحمد ، والحسن وإبراهيم ، وجماعة فضلاء ـــ رضي الله عنهم ـــ .

وبهذه الترجمة نختم ما أورده العلامة المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال من تراجم لشعر ضمد ، وهو الكثير الطيب ولله الحمد .

صنعاء : عبدالله بن محمد الحِبْشي

[الحواشي] :

(١) سماه في « فوائد الارتحال » : « مجمع البحور ، ومطالع البدور » .

(٢) كذا في « البدر الطالع » : ٥٩/١ بدون تحديد اليوم من الشهر وفي كتاب « فوائد الارتحال ونتائج السفر » لابن فتح الله ـــ ص ٦٧٢ مخطوطتي : (مولده ليلة الجمعة إحدى ليالي شعبان سنة تسع وعشرين وألف بالسبط من بلاد ذرى من جهات الأهنوم) ويظهر أنه اقتبس هذا من ترجمة كتبها أخو المترجم محمد بن صالح فقد ذكر أنه أفرد ترجمته في مؤلف « العرب » .

(٣) في « فوائد الارتحال » : إلى « التي في القبور » .

(٤) في « فوائد الانحال » : « بطريقة تبلغهم الحسنى » ـــ جامع نسب آل أبي الرجال ـــ .

(٥) في « فوائد الانحال » : توفي ليلة الثلاثاء خامس شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وألف بصنعاء ، وقبر بروضة حاتم شرقي داره ـــ رحمه الله ـــ .

(٦) كذا .

(٧) يعني سيرة الإمام الشهيد أحمد بن الحسني وهي من النوادر .

(٨) كذا اكتفى بمطلعها ، وفيه الشاهد حيث ضمنه مطلع قصيدة ابن هتيمل للدلالة على مكانتها .

(٩) التبرك بكلام الله وبالدعاء المأثور وبحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام . لا بشعر المراثي « العرب » .

(١٠) كذا ولعل الصواب (السماوات) .

(١١) القسم بغير الله لا يجوز ، ولكن ما أكثر انحرافات الشعراء عن النهج القويم « العرب » .

رحلة الصايغ إلى الدرعية
بين الشك واليقين

نشرتْ مجلة «العرب» بعضَ المقالات عن رحلة فتح الله الصايغ إلى الدرعية (العرب س ١٩ ص ١٥٢ ، ٦٩٧ ، وس ٢٠ ص ٧٧٥). وفي بحث[١] قيّم بقلم صاحبها الشيخ حمد الجاسر تناول هذا المؤرخ العربي الكبير بالنقد رواية من يدعي أن الأمبراطور الفرنسي (نابوليون الأول) كان أرْسَلَ بكتاب إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز ، يدعوه إلى عقد معاهدة صداقة وولاء . ولاشك عندي أن أسْتَاذَنا الجاسر على صواب تام بإنكاره هذا الادّعاء . وإضافة إلى الأدلة التي قدمها نقول: إننا لانجد أثراً لمثل هذا الكتاب في مخابرات (نابوليون)، وقد طبعت جميعها في نحو خمسة وعشرين مجلداً تحت رعاية (نابوليون الثالث) ولايسع الناقد أن يعول على كلام بُوْنْوَا مِيْشان ، إذ لايذكر المصدر الذي أخذ عنه . أما محفوظات وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية فالله أعلم بالوقت الثمين الذي أضعته في مكتبتها، باحثاً عن هذه الضالة المنشودة دون جدوى .

إلا أن علامتنا الشيخ حمد الجاسر لايكتفي بهذا النقد الصائب، بل يذهب إلى أبعد من ذالك ، فنراه يقف موقف الشكّ ، مرتاباً من صحة رحلة الصايغ إلى الدرعية ولايُحْجِمُ عن القول: إنّها مزورة[٢]. وكنا نتمنى لو أن أستاذنا قدّم الأدلة المقنعة على هذه التُهْمة الشنيعة. ونرى من الاجحاف التام بحقّ هذا الرحالة السوري أن نَنْسب إليه الكذب والبهتان ــ وإن جمح به الخيال أحياناً ، ووقع بأخطاء تاريخية جسيمة ــ دون أن يُقدِّمَ الناقدُ البراهينَ المقْنعة .

ولا جَرَمَ أن صاحب مجلة «العرب» قارن بين ماجاء في مذكرات الصايغ (التي أعدَدْتُها للطبع) وماكتبه الروائي (جان سوبلان) عن الموضوع نفسه، فوجد خلافاً كبيراً بين الروايتين، مما يثير الشك والظنون . إلا أنَّ كتاب «لاسكاريس العرب» الذي قام بترجمته إلى العربية الأستاذ فريد جحا لايمكنُ للمؤرخ أن يوليه ثِقَتَهُ ، فإنْ هُو إلاّ قصة روائية ، ولايصح أنْ نعتبره مصدراً تاريخياً . وقد حرص المؤلف على إيضاح هذه النقطة الهامة لكي لايقع أيُّ الْتِباسٍ في الأذهان ، فوضع على

غلاف الكتاب بالأحرف الكبير كلمة (Roman) ونحن على ثقة بأن مؤرخاً مثل الشيخ حمد الجاسر، عُرف بدقته وتحريه الحقيقة، ماكان ليستشهد بمثل هذا الكتاب، لوكان على علم بالتمويه الذي يعرض له من لايرجع إلى الأصل الفرنسي[٣].

لِنَعُدْ إذنْ إلى مذكرات الصايغ، فهي اليوم - وإلى أن يجود الزمن بأوراق (لاسكاريس) المصدر التاريخي الوحيد عن رحلة عامل (نابوليون) إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم، لِنَتَبَيَّنَ منها صدقَهُ من كذبه في حديثه عن الدرعية. وقد قُمْتُ بإعداد هذه المذكرات للطبع بعد بحث وتحقيق طويلين، لما فيها من معلومات قيمة نادرة من تاريخية وجغرافية واجتماعية، واتضح لي أنَّ الصايغ قد جمح به الخيال أحياناً، إلا أنه صدقه في أماكن كثيرة من كتابه، ووصف ماشاهده بكل دقة فأفاد.

فَهَلْ كان صادقاً في حديثه عن الدرعية ؟ إذ يظهر من كلام أستاذنا حمد الجاسر أنَّ تُهْمَةَ التزوير محصورة في كلام الصايغ عن عاصمة الوهابيين. فهو يشك في صحتها، ويطعن فيها، ويدلي ببرهان قد يكون حاسماً لولا أننا أثبتنا ضعفه في مقال نشرته العرب[٤]. ومع ذالك فإن أستاذنا يستشهد بتعليق الشيخ أحمد بن رُشَيْدٍ الحنبلي على الترجمة التي قام بها المستشرق (فرنيل) من الفرنسية إلى العربية، فيقول الشيخ: إن الصايغ لم يصدق في شيء، وأنه كذاب مزور أشِرٌ بَطِر، لم يصل قط إلى الدرعية.

كنتُ أتمنّى لو أن مؤرخنا الكبير أتى بغير هذا الدليل على التُّهْمة الشنيعة التي يلصقها بالصايغ، إذ كنْتُ ناقشتُ كلام الشيخ وأثبتُّ أنه أدلى بحكمه الصارم بناء على الترجمة الخاطئة - المحشوة بالأغلاط - التي عُرِضَتْ عليه، وبوسع القارئْ الكريم أن يعود إلى مقالنا المنشور في «العرب» أو إلى بحثنا في «مجلة التاريخ الديبلوماسي» الصادرة في باريس (بالفرنسية) ليتبين مواطن الضعف في كلام الشيخ الحنبلي. وليس في الإعادة إفادة.

إنَّما نريد اليوم أن نُثْبِتَ أوَّلاً أن الشيخ المذكور قد تَعثَّر في أماكنَ عديدةٍ من

نقده ، بصرف النظر عن سوء الترجمة ، بنوع إنَّ المؤرخ لايسعه أنْ يعول على كلامه ، وثانياً أن الصايغ وصف الدرعية وصفاً دقيقاً لايمكن أن يكون وليدَ الخيال ، فإن هو لم يختلق هذا الوصف فعنْ مَنْ أخذه ؟ أو بعبارة أخرى: إنْ كان ناقلاً فَعن من نقل؟

نقول أولاً : إن الشيخ الحنْبلي قد تعثر في أماكن كثيرة من نقده ، بصرف النظر عن الأخطاء التي وقعتْ من جَرَّاءِ سوء الترجمة ، وأولى هذه العثرات قوله: (يُدْخَلُ إلى الدرعية مِنْ واد مفتوح مِنْ غير سُورٍ ولا أبواب)[٥] وكرر مرتين قوله: (ليس للدرعية باب) ، وذلك ردّاً على قول الصايغ : إنه دخل الدرعية من بابها . والواقع أن مايقوله الشيخ الحنْبلي هو من نوع المغالطة إذْ يتبادر إلى الذهن أنْ الدرعية كانتْ مدينة مفتوحة من غير سور ولا أبواب، مع أنّها كانتْ محاطة بوسائل دفاعية هامة لأنها كانت مُهَدَّدة بالحروب والغزوات . ويعلمنا المؤرخ الفرنسي (مانجان) أن الدرعية كانت مكونة من خمس بُلَيْدات شبيهة بالأحياء ، وأن لكل واحدة منها سوراً ، وأبراجاً ، وهي غَصِيبة وطُرْفيّة وسَهْل وقسَّيْرين وطُرَيْف . وكانت غصيبة وطُرْفية مبنيتين قرب جبل وكانت تحميها قلعة حصينة[٦]. وعندما هاجم إبراهيم باشا الدرعية صمدتْ له القواتُ الوهابية وسَدَّتْ بعض العناصر (بوابة سمحان في الطرف الشمالي من القلعة حيث تمركز عبدالله نفسه داخل الأسوار . وفي الخامس من تشرين الثاني شنّ إبراهيم باشا هجوماً شديداً مُرَكَّزاً على حصون المدينة من جميع الجهات)[٧].

فمنَ الواضح الجلي بعد هذه الشواهد أن قول الشيخ الحنبلي أن الدرعية ماكان لها سور ولا أبواب لا معنى له لأنها كانت مقسومة إلى أحياء وكل حي منها كان محاطاً بالأسوار والأبراج ، ويُدْخَلُ إليه منْ باب حصين . ولم يغادر إبراهيم باشا الدرعية إلا بعد أن دمَّرها ودمر حصونها وأبراجها .

ومن تلك العثرات أيضاً قول الشيخ الحنبلي ردّاً على قول الصايغ: إنَّ الإمام الوهابي كان حرَّم لبس الحرير (وكل ماله رائحة من زهو الترك): (سعود لايحرم عادة الترك ولاغيرهم بل يحرم ماحرمه الله ورسوله على قدر معرفته. وهو وأهل

مملكته يلبسون الكشمير وجُبَبَ الجوخ والبابوج ، وكثير مما يلبسه الترك) . ويناقض هذا الكلام مايقوله حافظ وهبة: (وأمر [سعود] بترك لبس الحرير والذهب)[٨]. ويظهر أنَّ هذا التحريم كان يسري فقط على الرعية . جاء في كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب»: (كان [سعود] يحمل السيف دائماً ، وسيفه عليْه من الفضة والذهب والجواهر ، مرصع غلافه بها على صفحات الذهب من جانب أعلاه وأسفله . . . وأما لباس نسائه . . . فغالبه من الحرير الهندي المصنوع بالذهب . . . وقد جَمَّلَهُنَّ من الحلي شيء عظيم من الذهب المرصع بالجواهر النفيسة) .

وأنكر أيضاً الشيخ الحنبلي أن يكون سعود أخذ من على قبر النبي في المدينة جوهرة نادرة كبيرة الثمن فقال ردّاً على الصايغ: (قبر النبي لم يعلق عليه شيء ولا يَتوصل إليه أحد) . إلا أنَّ السائح (بوركهارت) الذي كان اعتنق الإسلام وزار مكة والمدينة سنة ١٨١٤ يعلمنا أن سعوداً عندما فتح المدينة المنورة نهب مال الحُجْرة . ومن جملة الجواهر النادرة التي أخذها: (نجمة رائعة مرصعة بألماس كانت معلقة على قبر النبي . وكثيراً مايتحدث العرب عن هذه الجوهرة وهم يسمونها الكوكب الدري)[١٠].

ومن ذالك أيضاً قول الشيخ: (ماكان سعود يأكل ألواناً إلا صحفة فيها الفتَّة والرز واللحم سواء ، أوْ فاكهة كل فاكهة في إناء) إنَّما يُناقض هذا الكلام ماجاء في «لمع الشهاب»: (وكان سعود يترف في المأكول كما يترف في الملبوس . . . واتخذ له أناساً من أهل الأحساء أو القطيف يصنَعون له الأطعمة الحسنة من اللحوم المقليَّة والطيور المحشيَّةِ ، والحلويات الخبيصة بالسكر والبلوج . هذا في بيته . وأمَّا في المجلس العام . . . فأكله مع ذالك اللحم والثريد وأما عبدالله ــ أي ابن سعود ، الذي يتكلم عنه الصايغ فإنه مشى على خطوات أبيه في اللبس والأكل ، (إلا أنه كان يظهر الأطعمة الفاخرة في مجلسه الخاص والعام)[١١].

بِوُسْعِنَا أنْ نأتي بأدلة أخرى على عثرات الشيخ الحنبلي، ولاعَجَبَ من ذَالك لأن عمره كان أربى على الخامسة والتسعين لما عُرِضَتْ عليه الترجمة العربية

الخاطئة، وللشيخوخة أثرها ، أولها النسيان لاسيما وأنه سُئِل عن حوادث جرتْ قبل خمس وعشرين سنة، لاَ أَهَمِّيَّة لها، نسيها الناس ولم يهتمّ بها أصحاب اليوميات . وأذكرُ بهذه المناسبة أني حاوَلْتُ عبثاً أن أجد عند المؤرخين اليمنيين من القرن الثامن عشر سطراً واحداً عن زيارة (نيبور) لليمن سنة ١٧٦٢ مع أنه أقام في هذا الربع نَحْوَ ستة أشهر ، وحلَّ ضيفاً على الإمام في صنعاء . وكذالك لم أجد ذكراً لزيارة الوفد الفرنسي للإمام صاحب المواهب[١٢] بدعوة منه سنة ١٧١٢ ولولا الوثائق الغَرْبية لجهل اليمنيُّون هاتين الزيارتين . وماهي أهمية الشيخ الدُّريعي بن شعلان إذا قِيْسَتْ بالمركز العالي الذي كان يتمتع به (نيبور) وأصحابه أو أعضاء الوفد الفرنسي ، فإنْ هو إلا شيخ من شيوخ البادية العديدين، الذين كانوا يَفِدُوْن على الدرعية ولا يؤبه لهم . فلا لوم على الشيخ الحنبلي إذَا خانَتْه الذاكرة ، ولا عتْب علينا إذا رفضنَا شهادته لضعفها .

إني أُجِلُّ رأي علامتنا الشيخ حمد الجاسر أعلى منزلة ، ولاشك عندي أنه لايتهم الصايغ بالتزوير إلا على بَيِّنة ، ولكن من المؤسف أنه لم يُدْلِ بها مكتفياً بحكم الشيخ الحنبلي وفيه من التَّعَسُّفِ مافيه .

بقي علينا أن نتكلم عن وصف الدرعية كما جاء في مذكرات الصايغ . فهل أنصف أستاذنا الجاسر هذا الرحالة عندما يقرر أنه وصف عاصمة الوهابيين (وماشاهد فيها بعبارات هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة) . مما لاشك فيه أن الصايغ كان يميل إلى المبالغة وكثيراً مايطلق العنان لمخيلته كما في حديثه عن أثواب الحيَّات . إلا أنه في كلامه عن الدرعية ونخلها وبساتينها وصناعاتها وعادات أهلها واصطبلات ابن سعود والخيول الأصايل التي فيها ، كان مُتَحَفِّظاً جدّاً يُرَاعِي الأمانة . ولايسعنا إلا أن نأتي بأمثلة لهذا الوصف: (ثم ثاني يوم دُرْنَا بالبلد ، وهي بلدة صغيرة بها مياه وافرة داخل البلد ، عماراتها من الحجر الأبيض ، تحتوي على سبعة آلاف نسمة . . . وأما صنائعهم فحياكة الخام، وشغل المشالح السود والبيض والدسمانات والزنانير المقلمات بأبيض وأحمر ، وهناك أيضاً دكاكين سيوفية و(قند قلجية) لأجل شغل (التفنك). ودكاكين بياطرة ودكاكين صناع حوائج الجمال ومسرجات الخيل من لُبَّاد ، لأنهم يصنعون كثيراً من اللُّبَّاد في بلدهم . . .

(عندهم بساتين خارج البلد في الوادي، بها أنواع الفواكه مثل الموز والتين والرمان والبلح والليمون والبردقان وقصب المص والبطيخ الأصفر والعجور وجوز الهند، ومأكولهم لحم الجمل، وحليب النوق، ولحم الضأن قليلاً. ويزرعون الحنطة سقياً، وأكثر ماعندهم الذرة البيضاء والصفراء ويستعملونها للخبز والطبخ أيضاً، ويكثر عندهم الدجاج... ولهم مواشي وخيل).

(والشيء الذي ينقصهم مهما كان يجلبُه لهم أهالي ينبع بَحْراً إلى مكا [مخا]، كرسي اليمن، المحل الذي يخرج منه كميات القهوة... لأن كل نهار أربعاء يوجد سوق بالدرعية للبيع والشراء...).

فليس في هذا الكلام أو غيره مايدعو إلى الظن أنه من عمل الخيال ولنقرأ ماكتب الصايغ عن النقود في العاصمة الوهابية: (وأما عملة الدرعية فالريال الفرنجي، وذهب مَشْخَص، وذهب مجر، ونصف ريال وربع ريال وذهب جنزرلي صنع مصر قديم، وذهب أبو وردة قديم، ومصريات فرط. أما عملة العثماني فلا يتعامل بها قط). ويختم الصايغ وصفه بهذه الملاحظة الهامة: (ثم عند المساء رجعنا إلى المنزل وقيدتُ جميع مارأيته وسمعته في اليومية) (المخطوطة ص ١٠٩/٢ إلى ١١٠/٢).

فهذا الوصف الدقيق لا يتأتّى إلا لشخص رأى الأشياء بأم عينيه، وسجّل بأمانة مارآه. وكيف يأتي الصايغ على ذكر ذهب مَشْخَص(١٣) لو لم يره. فهذه القطع الذهبية الكبيرة كانَتْ متداولة في اليمن أيام العصر الرسولي وبعده وغير معروفة في سورية.

وهناك أمثلة عديدة تشهد أن مايقوله الصايغ عن الدرعية ليس وليدَ الخيال، ويذكرني أحياناً بوصف ابن بشر للعاصمة الوهابية. ولكن هيهات أن يكون الصايغ اطلع على «عنوان المجد». فهل أخذ عن كتاب آخر؟ إننا نستبعد هذا الرأي، إذْ ليس بين المؤلفات التي بين أيدينا مايثبت هذا الظن.

وأخيراً وإزالة للشكوك نعود إلى الكتاب الذي أرسل به عبدالله بن سعود إلى الدريعي بن شعلان يدعوه للحضور إلى الدرعية. يرى أسْتاذنا الجاسر أن

الكتاب حرر (بأسلوب لايشك من قرأه بأنه مختلق) . ولعله على حق ، ولكن علينا أن نذكر أوّلاً : أن الكتاب موجه إلى شيخ بدوي لا يحسن الكتابة والقراءة ، وأنه من وجوه البيان أن يكتب المرء بأسلوب يكون على مستوى فهم المرسل إليه . وثانياً : أنَّ الكتاب بقي في حوزة الدريعي ، أما الصايغ فإنه سجل في يومياته محتوى هذا الكتاب ثم صاغه من جديد بأسلوب بدوي يوم كتب مذكراته . والذي يهمنا هو المعنى ــ أي وصول الكتاب والدعوة للحضور إلى الدرعية ــ وليس المبنى . ولكنه يعلمنا في الوقت نفسه أنَّ الكتاب من غير ختم: (هذا من جملة عادات الوهابيين ، أنهم يبقون مكاتبهم مفتوحة من غير ختم . وكان طول المكتوب نَحْو شبر ، وعرضه ثلاث أصابع ، وهذا من جملة نظام الوهابي أن يصغّر مكاتيبه حتى تكون بضد مكاتيب العثماني وفرماناته الكبار) . وهذه الدقة في وصف الكتاب تزيل الشبهات وتفيد التاريخ .

أجل إنَّ الصايغ كان يجمح به الخيال مما يثير الشكوك ويدعو إلى التحفظ . ولكن من يقرأ مذكراته بإمعان يلاحظ أنَّ الخيال يخون صاحبها عندما يكون عرضة للأخطار . فكم من مرة أشرف على الموت ، كم من مرة نَجَا بأعجوبة من مخالب الـحُمَام . أمَّا في وصف مشاهداته فيخلد إلى السكون ، ويؤدي عمله بكل رصانة وأمانة .

إلَّا أنَّ صاحبنا لم يكنْ مُنصفاً بحق الوهابية ، إذ كان مُتَأَثِّراً بالدعاوة العثمانية التي كانت تنظر إلى الإمام سعود نظرها إلى عدوِّ الدولة والدين ، ولم يحجم الأتراك عن تدمير الدرعية وقطع رأس الإمام عبدالله كما هو معلوم . وهذه الدعاوة حملت الصايغ على الطعن بالوهابية والتنديد بها ، والتكلم عنها بكلام يدل على أنه يجهل تماماً أصول هذه العقيدة وأحكامها . ولكنه أنصف الإمام الوهابي بعد أن زار الدرعية ، وأبدى إعجابه به وبعلمه وفصاحته فوصفه مادحاً وأفاد بذالك القاريْ والتاريخ : (أمَّا بخصوص ابن سعود فهو فصيح جدّاً متكلم ، ديوان حكي ، وعنده علماء عارفون بأمور ديانتهم، وربما بلغك أيها القاريْ أنَّ الوهابي كان أرسل قديماً عالماً مجادلاً للشام ، وغلب علماء الشام جميعهم . وهذا شيء مشهور عند كافة الناس . وحين كان يتكلم معي ويسألني كان عنده بعض العلماء ، فما فتح أحدٌ منهم فَمَهُ ليقول كلمة واحدة . وبما أنَّه هو الذي كان يتكلم فلم يَجْرُؤْ أحدٌ

من الحاضرين أنْ يتكلم بشيء مامِن غير إذنه . فبعد ذالك انفرط الديوان وذهب كل واحد إلى محله) (مخطوطة ١ /١١٢).

إن الأمثلة التي قدمناها ـ وهناك غيرها ـ تدلُّ بوضوح على أن وصف الدرعية ـ كما جاء في مذكرات الصايغ ـ ليس وليدَ الخيال، ونراه يصور بدقة أسواق هذه المدينة، وعملتها وبساتينها وأحوال أهلها . ونحْن نُردد ماقلناه سابقاً من أن الصايغ لم يكن حريصاً على الأمانة التاريخية ، لأنه أراد بادىء بَدْءٍ أنْ يكتب قصة رحلة ، فَنَمّق وزاد ، واتخذ أحياناً أسلوباً روائياً . وعلى الرغم من الأخطاء التي وقع فيها فإنَّ في كتابه من الفوائد الجمة والأوصاف الدقيقة والمعلومات الهامة التاريخية والجغرافية والإجتماعية مايجعلهُ مرجعاً لكل من يدرس أحوال البادية وقبائلها أو يَبْحَثُ عن الدعوة الوهابية . وإني أميل إلى تصديقه عندما يتحدثُ عن الدرعية لأن الشكوك التي أثارتها هذه الرحلة تَضْمَحِلُّ مَتَى عرضنَاها على مِـحَـكِّ النقد السليم .

باريس: د. يوسف شلحد

المراجع :

١ ـ حمد الجاسر، نابوليون والدولة السعودية الأولى، العرب س ٢٣، ص ١٤٥ .
٢ ـ حمد الجاسر، العرب، س ٢٣ ص ١٥٠ .
٣ ـ وضع المؤلف الفرنسي في مطلع كل فصل من الكتاب جملة صغيرة مأخوذة من كتاب أو مرجع تاريخي ، إلا أنَّ باقي الفصل لاعلاقة له بهذا المرجع . وقد يتبادر إلى ذهن القاريْ أنَّ قصة لقاء الصايغ بعد عودته من الدرعية بصاحبه لاسكاريس مأخوذة من محفوظات وزارة العلاقات الخارجية، مع أن لا أثر لها في هذه المحفوظات .
٤ ـ العرب، س ١٩، ص ٦٩٧ ومابعدها .
٥ ـ العرب س ١٩ ص ١٥٦ ـ ملاحظة : سقطت كلمة أبواب في هذا المقال .
٦ ـ (مانجان) تاريخ مصر ، ج ٢، ص ١١٨ (بالفرنسية).
٧ ـ عبدالله فيلبي: (تاريخ نجد) ص ١٥٣ و ١٥٩، بيروت، المكتبة الأهلية .
٨ ـ حافظ وهبة: «الجزيرة العربية في القرن العشرين» ص ٢١٦، القاهرة، ١٩٤٦.
٩ ـ «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب» ص ١٧٦ .
١٠ ـ بوركهارت: «رحلة إلى الجزيرة العربية» ج ٢، ص ٦٢ من الترجمة الفرنسية .
١١ ـ «لمع الشهاب» ص ١٧٨ .
١٢ ـ العرب، س ١٩، ص ٧١٩ ومابعدها .
١٣ ـ علي بن حسن الخزرجي «العقود اللؤلؤية» ج ٢، ص ١٢٤، تحقيق محمد بسيوني عسل ، مصر ، ١٩١٤ . إسماعيل الأكوع «المدارس الإسلامية في اليمن» ص ١٩٤، هامش ١، منشورات جامعة صنعاء ، ١٤٠٠هـ .

دُجنا والثنية

ذكر بعض مؤرخينا القُدَامَى أن دُجنا اسمٌ لعقبة مسلوكة بين مكة المكرمة والطائف، إلا أنهم لم يعينوا موقعها تعييناً بيناً ولم يربطوها بما حولها من الأماكن الشهيرة والأسماء المعروفة ليتمكن الباحث في عصرنا هذا من تحديد موقعها على ضوء ماهو معروف من تلك الأماكن، بل إن بعضهم أبدل الدال بالتّاء وأسماها تجنا ومن هؤلاء الكتاب جمال الدين العبدري الشيبي إذ ضَمَّنَهَا بيتين من الشعر حيث يقول:

رأى صاحبي أثمار وج فقال لي	ترى هذه الأثمار تسقط أو تُجنى
فقلت له كلها هنيئاً فإنما	أطايبها تجنى وتأتيك من تُجنا

ولكن أستاذي الكريم الشيخ حمد الجاسر حفظه الله ، أفادني في رسالة خاصة إلى صديقي وأستاذي الشيخ محمد سعيد حسن كمال بأنه اطلع في كتاب ـ «البحر العميق في العمرة والحج إلى بيت الله العتيق» ـ وهو من مخطوطات مكتبة الحرم الشريف لمؤلفه ابن الضياء الحنفي، أن دجنا تسمى تجنا وأنّها بجنب جبل طاد ، وعلى ضوء هذه الرواية اتضحت لي الرؤية عن هذه العقبة ومكانها.

فطاد جبل معروف من القديم، وقد ذكره القطبي في تاريخه «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» ـ وذالك عند حديثه عن مآثِر السيدة زبيدة وعيون مكة المكرمة، ويحسن هنا أن أورد ماذكره قال: (وكانت هذه العين ـ يعني عين حنين ـ ترد إلى مكة وينتفع بها الناس، ومنبع هذه العين من ذيل جبل شامخ يقال له طاد ـ بالطاد المهملة والألف بعدها دال مهملة ـ من جبال الثنية، من طريق الطائف، وكان يجري الماء إلى أرض يقال لها (حُنَين) ليسقى به نخيل ومزارع مملوكة للناس، وإليها ينتهي جريان هذا الماء ، وكان يسمى حائط حنين، يعني بساتين حنين، وهو موضع غزا فيه النبي ﷺ المشركين، ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين، وخبرها مذكور في كتب سير النبي ﷺ ، فاشترت زبيدة هذا الحائط ، وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقّت له القناة) إلى آخر ماذكر .

فجبل طاد هذا لايزال معروفاً إلى الآن، ويقع في الشمال الشرقي عن عقبة الثّنية ، بالغرب منها إلا أن العامة تؤنثه فتسميْه (طادة) وعلى ضوء ماتقدم من نصوص ترجح عندي أن عقبة دجنا هي الثنية، لأنها كانت إحدى الطرق الرئيسة بين مكة والطائف إلى عهد قريب.

وأما دَحْنا التي ظن بعض الباحثين أنها تصحفت عن دجنا فهي موضع آخر يقع في شمالي مزارع (رحاب) وهي بعيدة عن الثنية بعداً كبيراً، ويقع بينهما جبال ووهاد وقرى ومزارع ووديان كثيرة ، ولكنني أعتقد أنهما يقعان على خط مستقيم من الشرق إلى الغرب دحنا في شرقيه والثنية في غربيه.

طريق الثنية من الطائف: طريق الثنية الذي كان مسلوكاً إلى أمد غير بعيد، كان سالكه بعد خروجه من الطائف يتجه إلى الشمال الغربي حتى يصل مزارع (رحاب) ثم منه ينعطف إلى الغرب فيقطع وادي قرن من ثمة، ويرتقي سراة طويرق من ثقيف، فيمر على ريع يعرف بريع النَّجْد ثم يقطع وادي صَـرٍّ ، ويمر على قرية الـمُبَيْرِزِ يجعلها عن يساره، ثم يسلك شعباً هناك يعرف ــ بالسُّيَعاء ــ بالياء المثناة التحتية ــ ويخرج منه على قرية مُمْلكة ــ بميمين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة ــ جاعلاً لها أيضاً عن يساره، ومنها طريق آخر يصعد إلى وادي المحرم، ثم الطائف لمن لم يرد أن يسلك طريق رحاب، وهذه المسميات جميعها في ديار طويرق، وبعد أن يتجاوز سالك هذه الطريق قرية مملكة يمر على مزارع للاشراف ذوي جازان تعرف بالشُّهْرَاء ، والـمَسْلَمة، وبعد تجاوزها يَمُرُّ بأسفل وادي الخليصة لطويرق، ومنه يخرج الى شعب ضَيِّق يعرف بالزقاق، ومنه يصل إلى رأس الثنية وهي تقع في ديرة الأشراف ذوي جازان من آل أبي نُمَيّ الثاني.

ويقع عن شمالي الثنية عقبة تعرف ــ بِتُنْضُبَة ــ بتاء مضمومة بعدها نون ساكنة ، وضاد معجمة مضمومة وباء مفتوحة وهاء مربوطة ــ وعن جنوبها عقبة أخرى تعرف باسم ــ خُرُوب ــ بخاء معجمة مضمومة بعدها راء مضمومة ثم واو ساكنة فباء موحدة تحتية .

كان يسلك هذه العقاب بعض المخفّين من أهل تلك الناحية، وأمّا المثقلون فليس لهم مناص من سلوك طريق الثنية.

وطرق هذه العقاب جميعها تلتقي بأسفل عقبة الثنية بواد يسمى الأُميلح كانت به بئر يردها من يسلك هذه الطرق.

وهذا الوادي غير وادي مُليح الذي مر به الرسول ﷺ في صعوده إلى الطائف بعد غزوة حنين، فذلك يقع شرقي وادي قرن على طريق نخلة اليمانية وهذا يقع في اصدار جبال الثنية.

وبعد أن يتجاوز الدرب بئر الأميلح ينحدر مع وادي جدعان ـ يَدَعان قديماً ـ حتى يصل إلى مزارع الشرايع، ومنها تفترق الطرق فمن أراد جعرانة تَيامن، ومن أراد عرفة تياسر، ومن أراد مكة سلك الطريق العامة المارة بأعلام الحرم، جاعلاً جبل حراء عن يمينه وثبير غينا عن شماله، وهو مايعرف اليوم عند أهل مكة بجبل الرخم.

هذا مااستطعت تدوينه عن الثنية وطريقها من الطائف إلى مكة المكرمة راجياً أن يجد فيه الباحث مايفيد.

الطائف: الشريف محمد بن منصور ال عبدالله

العرب: لقد أوضح الأخ الشريف موقع ثنية تجنا، وهذا اسم صحيح فصحيح، ورد في كلام أبي سفيان بن حرب فيما نقله الأزرقي في «أخبار مكة» وورد بنصه [« العرب » ص ٢٣ ص ٨٠٠] ومما تقدم يتضح أن دحنا غير تجنا، ويبقى التفريق بين دَحْنا ـ بالحاء المهملة ـ ودجنا ـ بالجيم ـ ومعرفة المراد بكلام الفاكهي، وأيها التي مَـرَّ بها رسول الله ﷺ في ذهابه إلى الجعرانَة مارّاً بقرن المنازل فنخلة اليمانية ـ على ماذكر الواقدي في «المغازي».

ان دحنا ـ الواقعة بين رحاب وريحة ـ هي الواقعة على طريق قرن المنازل بخلاف (تجنا) الثنية ـ فهي منحرفة جنوباً حيث تنزل على وادي الصَّدْر، ثم على يدعان (جدعان) أعلى وادي الشرائع غرب جنوب قرن المنازل ونخلة اليمانية.

دجنا غير دحنا

[وكانت مجلة « العرب » قد نشرت س ٨ ص ٨٦٩ تفصيلاً وافياً عن ثنية دجنا (تجنا) وأوردت شواهد من أقوال العلماء وأشارت إلى الأختلاف بين دجنا ودحنا ، إلا أن أحد الأخوان أنكر وجود دجنا ـ بالجيم (تجنا) مع النصوص الواردة عنها في أقدم كتابين في تاريخ مكة بين يدي الناس اليوم وهما كتابا الأزرقي والفاكهي .

وقد نشر الأخ الشريف محمد بن منصور هذه الكلمة في جريدة « الندوة » بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ـ في الموضوع ـ .]

كنت قرأت في بعض المراجع ان ـ دُجنا ـ عقبة سالكة بين الطائف ومكة المكرمة وكانت مشهورة إلى القرن العاشر تقريباً ، حتى ان أحد شعراء مكة الشيخ جمال الدين الشيبي ذكرها ضمن بيتين له يتغنى فيهما بفواكه الطائف وهي قوله :

رأى صاحبي أثمار وج فقال لي
تـرى هـذه الأثمار تلقط أو تُجنى
فقلت له كلها هنيئاً فإنما
أطايبها تجنى وتأتيك من تجنى

ولكنني قرأت مؤخراً في الجزء الثالث من « معجم معالم الحجاز » ص ٢٠٨ ـ لأخي وصديقي الأستاذ عاتق بن غيث البلادي ، بعد إيراده للبيتين المذكورين قوله : (والصواب دحنا بالحاء المهملة) ثم انه في تعريف دحنا أتى بما ذكره ياقوت في « معجم البلدان » وزاد بقوله : (وبعد السماع وهذه النصوص القديمة فلا وجه للقوي بأن اسمها تجنى أو دجنا) . انتهى .

والحقيقة ان ـ دحنا ـ غير دُجنا ـ فدحنا منطقة واسعة تقع في شمالي مزارع رحاب ، بها آثار سدود وعين وعمارة قديمة ، يحدها من الغرب وادي قرن ومن الشرق مزارع رَيَّة وحزومها، ومن الشمال الحجرة المعروفة بحزيم فواز ومن الجنوب رحاب ، وقد قام بها في وقتنا الحاضر مزارع حديثة كثر تعتمد في سقياها على ماحفر بها من آبار ، وقد ذكرها ابن هشام في السيرة على طريق الرسول ﷺ عند رجوعه من حصار الطائف ولازالت معروفة حتى الآن باسمها هذا .

وأما دُجنا أو تجنى ـ فهي عقبة مسلوكة بين مكة المكرمة والطائف وهي مايعرف اليوم باسم الثنية وهي تقع في ديرة الأشراف الجوازين .
←

فلبي : رحلاته في البلاد العربية

الكاتب الكريم إبراهيم يوسف الشتلة الذي نشرت « المجلة العربية » في عدد ذي القعدة ١٤٠٨هـ/ تموز ١٩٨٨م له بحثاً بعنوان (تاريخ الاكتشافات الأثرية في شبه الجزيرة العربية) يظهر أنه رأى الموضوع من السعة بمكان بحيث يصعب معه التعمق فيه بحثاً ودراسة للوصول إلى حقائق مجهولة أو معروفة بحاجة إلى إيضاح، فاكتفى بلمحات موجزة قد لاتشبع نهم القارئ ولا تمد الباحث بما قد يتوق لمعرفته .

← والدليل على انها عقبة هو مانقله العجيمي في « اهداء اللطائف » ـ ص ٥٣ ـ عن المرجاني عند ذكره لدجنا (قال المرجاني وهي اسم عقبة دجنا بالجيم ويروى بالمهملة واليوم تعرف بتجنا بالتاء المثناة من فوق والجيم ـ سلكتها في آخر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة وتحتها من جهة مكة وادي الطود ، ويقال له وادي الطاد وهو أول بلاد بني ريشة) فهذا النص أكد انها عقبة تنزل على وادي الطاد ـ وزيادة لام التعريف هنا أعتقد انه وهم أو سبق قلم لأن الاسم الصحيح هو طاد بدون تعريف ـ وطاد جبل معروف يقع بقرب عقبة الثنية في الشمال الشرقي عنها ولازال معروفاً حتى الآن . والمرجاني أكد في نصه هذا انه سلكها بنفسه وانها تعرف بتجنى وانها تنزل على بلاد بني ريشة وبنو ريشة من هذيل ، وهم لازالوا في تلك الناحية حتى الآن .

وعلى ضوء هذا النص ظهر ان دجنا أو تجنى ـ عقبة بين مكة والطائف وأما دحنا فهي مخلاف من مخاليف الطائف كما ذكر ياقوت في معجمه ، والمخلاف في عرف الأقدمين لا يطلق إلا على منطقة بها ضياع وقرى وعمارة . فمن هذا اتضح ان الاسمين ليسا محرفين من اسم واحد ولا هما لمسمى واحد .

هـذا ما أحببت ان أعقب به على ما قرأته في كتاب أخي وصديقي الأستاذ عاتق البلادي قاصداً التصويب والتصحيح خدمة لتاريخنا المجيد أرجو أن لا يضيق صدر أخي به ، وله مني كبير الحب وجزيل التقدير .

الشريف محمد بن منصور

والواقع ان الحديث عن تاريخ الاكتشافات الأثرية في شبه الجزيرة العربية قد أشبع بحثاً ، ومما ألف فيه كتاب « اكتشاف جزيرة العرب » للباحثة الفرنسية جاكلين بيرين الذي عَرّبه الأستاذ قدري قلعجي وكتبتُ مقدمته قبل عشرين عاماً ، وأعيد طبعه في (منشورات الفاخرية) في الرياض منذ عهد قريب فصدر في أكثر من ٤٣٠ صفحة .

إن الذي يقف عنده القارئ من بحث الأستاذ الشتلة ورودُ عبارات لا تتفق مع ما يتطلع إليه من يعنى بالبحث عن حقائق ثابتة عن حياة أولئك الرحالين الذين أثروا هذا الموضوع بما قدموه من دراسات .

وسأكتفي بايراد مثال واحد على هذا :

١ ـ ص ٤٣ ـ : (أما جون فلبي فقد حضر إلى الجزيرة العربية عام ١٩٣٧م وقام برحلته الشهيرة التي بدأها من ميناء جدة عبر عسير ونجران حتى الجنوب وشبوة وتريم في ظفار باليمن) ـ كذا !! ـ .

ومعروف أن صلة فلبي بجزيرة العرب لم تبتدئ بعام ١٩٣٧م بل كانت قبل ذالك بفترة طويلة أقام خلالها فيها ، وألف بعض مؤلفاته ومنها كتابه « قلب الجزيرة العربية The heart of Arabia » الذي نشر سنة ١٩٢٣ وكان من مصادر الأستاذ أمين الريحاني في مؤلفه عن « نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل » الذي ألفه في سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) .

وتاريخ قدوم فلبي الى بلادنا ليس كما ذكر الكاتب سنة ١٩٣٧م بل كان في اليوم السابع عشر من تشرين الأول سنة ١٩١٥م حيث قدم من البصرة إلى البحرين ، ثم انتقل على ظهر زورق شراعي إلى ميناء العقير ، وسار إلى الاحساء ومنها اتجه إلى الرياض ، حيث اجتمع بالملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وقد فصل ذالك في كتابه « أيام بلاد العرب Arabian Days » الذي قام بتلخيصه الأستاذ خيري حماد في كتابه « عبدالله فلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث » الذي نشر في بيروت سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) .

وقد قام فلبي برحلات كثيرة ألف عنها مؤلفات منها « الربع الخالي » الذي صدر سنة ١٩٣٣م و« فتيات سبأ » ١٩٣٩م و« النجود العربية » ١٩٥١م .

أما الرحلة التي وصفها الكاتب بان فلبي بدأها من ميناء جدة عبر عسير ونجران فيظهر أنه يقصد تلك الرحلة التي قام بها في شهر ايار سنة ١٩٣٦م وأصدر عنها كتابيه « فتيات سبأ » ثم « النجود العربية » .

ولكن هذه الرحلة لم يبتدئها من ميناء جدة وانما من بلدة السُّلَيِّل في أسفل وادي الدواسر ، بعد انتهاء رحلته من الربع الخالي التي فصلها في كتابه « الربع الخالي The Empty Quarter » الذي صدر سنة ١٩٣٣ وقيامه بتلك الرحلة كان بتاريخ ١٤/٣/١٩٣١م كما ذكر في الفصل الأول من كتابه « النجود العربية » .

لفلبي رحلات أُخرى لعل من أهمها « أرض مدين » الذي عرب خطأً باسم « مدائن صالح أو أرض الأنبياء » مع أنه لا صلة لهذا الكتاب بمدائن صالح .

٢ ـ ويعود الأستاذ إبراهيم الشتلة فيقول ـ ص ٤٤ ـ : (في عام ١٩٥١م زار جون فلبي الجزيرة العربية مرة ثانية ووصل حتى حضرموت وجمع مايقرب من اثنى عشرة الف نص عربي قديم) . . . الخ . ولم يذكر الكاتب الكريم من اين استقى هذا ، ولم أر في مؤلف خيري حماد عن فلبي مايوضحه ، ولكنني أراه تكراراً للرحلة الأولى التي أشار إليها الكاتب ، والتي سجل فيها الرحالة مشاهداته في كتابيه الآنفي الذكر ويتضح هذا من استعراض أسماء مؤلفاته :

من مؤلفات فلبي :

١ ـ Arabia of the Wahhabis طبع في لندن سنة ١٩٢٨م ويقع في ٤٢٢ صفحة .

٢ ـ Forty Years in the Wilderness طبع في لندن سنة ١٩٥٧م ويقع في ٢٨٦ من الصفحات .

٣ ـ Saudi Arabia طبع في لندن سنة ١٩٥٥م ويقع في ٣٩٣ صفحة .

٤ ـ Arabian high lands طبع في نيويورك سنة ١٩٧٦م وبلغت صفحاته ٧٧١ .

٥ ـ Arabian Jubilee طبع في لندن سنة ١٩٥٤م في ٢٨٠ صفحة .

٦ ـ The Heart of Arabia طبع في نيويورك سنة ١٩٢٣م ويقع في جزءين

٧ ـ Nijran inscriptions طبع في لندن سنة ١٩٤٤م في ١٢٩ صفحة .

←

حَجر : (وادي السائرة) : قراه وسكانه

تنحدر فروع وادي حجر من (قرا) بني عبدالله الواقع بامتداد الحرة من الناحية الغربية ، وأشهر تلك الفروع : وادي الصدارة ، ووادي حَمّ ، ووادي الرَّيّان - غير ريان الفُرَع - ووادي السَّيف - بفتح السين - ووادي المِلحة .

ويتجه الوادي شمالاً ثم ينحرف غرباً حتى يلتقي بوادي مَرٍّ (وادي رابغ) وبعد الالتقاء يلتقي بوادي نَدَا .

ويقع حوض وادي حجر في أغوار تهامة بين وادي الأكحل وبين وادي قديد ، غرب الطريق الحديث السريع وشرقاً عن مدينة رابغ بحوالي تسعين كيلاً .

ووادي حجر من أغنى الأودية في تهامة بالمياه والنخيل والزراعة وفيه أكثر من مئة بئر قديمة وحديثة ، وفيه عشر عيون ، اندثر منها أربع ، ويجري منها ست إلى هذا التاريخ وهذا بيان أسماء تلك العيون :

١ - عين الجُوية . ٢ - عين البيار (الآبار) .

---

٨ - Three new inscriptions from Hadhramaut طبع في لندن سنة ١٩٤٥م في ١٣٣ صفحة .

٩ - the Recent history of Hijaz طبع في لندن سنة ١٩٢٥م في ١٧ صفحة

١٠ - the Empty Quarter طبع في لندن سنة ١٩٣٣م في ٤٣٣ صفحة .

١١ - Sheda' s daughters طبع في لندن سنة ١٩٣٩م ويقع في ٤٨٥ صفحة .

١٢ - the Queen of Sheba طبع في لندن سنة ١٩٨١م في ١٤١ صفحة .

١٣ - A Pilgrim in Arabia طبع في لندن سنة ١٩٤٦م في ١٩٨ صفحة .

١٤ - Arabia طبع في لندن سنة ١٩٣٠م ويقع في ١٩٨ صفحة .

١٥ - Aradian days طبع في لندن سنة ١٩٤٨م في ٣٣٦ صفحة .

١٦ - the land of Midian طبع في واشنطن سنة ١٩٥٥م في ٢٨٦ صفحة .

١٧ - Arabian oil Ventures طبع في واشنطن سنة ١٩٦٤م في ١٣٤ صفحة

١٨ - the backgrond of Islam طبع في الاسكندرية سنة ١٩٤٧م في ١٥٢ صفحة .

حمد الجاسر

٣ ـ عين المازنية .　　　　　　　　٤ ـ العين الخرماء .

٥ ـ عين خيف السوق نسبة إلى سوق قديم كان عليها .

٦ ـ عين العمري .

٧ ـ عين الزبيري نسبة لصاحبها الزبير بن عزيز بن وائل من بني عزيز .

والذي يقول فيه القائل :

تلقى شموس الرحيمي　　　　والزبيري مقدي الأظعان

٨ ـ عين يسير .　　　　　　　　٩ ـ عين رايــن .

١٠ ـ عين السليمية .

يحتوي وادي حجر اليوم على (٣٥) قرية وهي :

١ ـ النبعة .　　　　　　　　٢ ـ الجُوبة .

٣ ـ البيار (الآبار) وبها عدة مرافق ، وبها مقر رئيس قبيلة زبالةبن ذكوان .

٤ ـ المازنية وبها بعض المرافق ومقر الحاكم الإداري ومقر رئيس قبيلة بني يزيد ـ من مزينة .

٥ ـ جُليّلَة .　　　　　　　　٦ ـ الـدُّف .

٧ ـ خيف السوق .　　　　　　　　٨ ـ ابو فُلَيح .

٩ ـ الزُّويراء (تصغير زوراء) .　　　　١٠ ـ العمري .

١١ ـ المَرْخة .

١٢ ـ القُصارية وبها مقر رئيس قبيلة بني يسلم .

١٣ ـ الزبيري .　　　　　　　　١٤ ـ يسـير .

١٥ ـ رَاين (بالياء المثناة التحتية بعدها نون) .

١٦ ـ أم العظام .　　　　　　　　١٧ ـ الحشيفات .

١٨ ــ القُويلات . ١٩ ــ السُّليمية .

٢٠ ــ عِنْيِبُ . ٢١ ـ الحَرَاج .

٢٢ ــ مُغَيسل . ٢٣ ــ المَجْرَمَة .

٢٤ ــ أبو لَصَفَة (من اللُّصَفَ نوع من النبات ينبتُ في أطوار الجبال) .

٢٥ ــ غَصَـلَةُ . ٢٦ ــ الشاروق .

٢٧ ــ الدَّوَّارَة . ٢٨ ــ مَدْشُوس .

٢٩ ــ العِلـب . ٣٠ ــ الحَلْقَة (بإسكان اللام) .

٣١ ــ الهَـدَبة . ٣٢ ــ المحطة .

٣٣ ــ اللُّصَيْب . ٣٤ ــ يَنَـاعِم .

٣٥ ــ الملقا ، وهو التقاء وادي مرّ بوادي حجر .

سكان وادي حجر في هذا العهد :

١ ــ قبيلة بني يزيد بن عبد المازني وتتفرع إلى أربعة أفخاذ :

(أ) فخذ الشّراب ومنهم القشاردة وفيهم الرئاسة لابن حُضَيِّض .

(ب) المزارقة ودخل فيهم بالحلف المديني من الجلاس من عنزة .

(جـ) الحسنان .

(د) المخالدة .

وينطوي في مسمى بني يزيد بحكم الجوار والمصاهرة : المراعشة من بني عمر من حرب . . ويتفرع المراعشة إلى ثلاث أسر :

(أ) ذوي صمعون .

(ب) ذوي إمام .

(جـ) الجمادين .

٢ ــ قبيلة بني يسلم من مزينة وهم الآن معدودون من حرب ويتفرعون إلى فرعين :

(أ) المناقيش وفيهم رئاسة أسلم (لابن طما) .

(ب) الحوايصة ، ويلحق بهم بعض الشيوخ أهل البرزة .

٣ ــ قبيلة زُبَالة بن ذكوان ، ويرجع نسبهم إلى قبيلة سليم بن منصور وتتفرع قبيلة زُبالة إلى خمسة أفخاذ : وهم من قبيلة حرب :

(أ) النجاجير وفيهم الرئاسة لابن شويش ، وأبناء عمهم (النجاجير) في ساية من بني سليم .

(ب) الحُمَــدة . (جـ) الطوارشة .

(د) النّخْـلان . (هـ) الكراعنة .

٤ ــ بعض من بني عبدالله من قبيلة مطير :

(أ) الصّوّاغة من القمشان من الشلالحة من بني عبدالله .

(ب) العساسيف من بني عون من بني عبدالله .

(جـ) العَزّايزت (التحوت) من بني عزيز ، سُمّوا بذالك لأن منازلهم تحت جبال السراوات بينما قبيلتهم الأم في مرتفعات الْقَرَا وفي منطقة المهد .

الآثار الموجودة في وادي حجر :

١ ــ حصن المازنية ، وهذا الحصن قصر كان مقاماً على قمة جبل صغير يشرف على عدة قرى ومنازل وتهدمت اطلاله وبقي منه مايدل عليه إلى اليوم .

٢ ــ قلعة ابن جبرين شيخ بني عون من بني عبدالله من مطير ، التي تقع على مرتفع من الحرة تشرف على منازل بني عبدالله كان ينزلها في فترة صرام النخيل من كل عام .

٣ ـ قلعة المراعشة المقامة على جبل في موضع يسمى شعب المراعشة ، وهاتان القلعتان قائمتان إلى هذا التاريخ .

هذا بالإضافة إلى أربعة حصون قامت ببنائها الدولة التركية في وادي حجر وهي حصن عُفير، وتغير اسمه فيما بعد باسم قلعة مُجَمَّلة ، والحصن الثاني في قرية البيار . والثالث حصن الزبارة في قرية العمري اجترفه السيل فيما بعد . والرابع حصن أم العظام في قرية أم العظام ، ويعتقد ان بناء هذه الحصون في القرن العاشر الهجري على أثر حروب قامت بين أهل وادي حجر من مزينة وبين بني عزيز بن وائل ومعهم البعض من قبيلة بني عبدالله ، ويقول الشاعر المزيني في تلك الحرب بحضرة قائد الحملة التركية بعد أن مُنُوا بالهزيمة هم ومن معهم من عساكر الترك :

يـامصـطفى لا واحـلالاه يـارجـالنـا　　بعد ضللونا في البيوت الضلائل
جونا وجيناهم وحدونا على الْعَضَا　　بـدهم الفرنـج وموشيـات الفتائـل(١)
لاعـادت الجـدعـا ولا عـادوا أهلهـا　　ولعل مايطرى عزيز بن وائل(٢)

فرد عليه شاعر آخر على لسان مصطفى بقوله :

هـذي علوم مـا يصـيرن كـلهن　　وان كان صارت ياعلوم الهوايل
ثلاث غِـزِّيـات انـا الـلي غـذيتهن　　لو كان صاير علم جَنِّي جقائل(٣)

الرياض : ماجد بن طاهر المطيري

[الحواشي] :

(١) العضا : المكان الوعر .
(٢) الجدعا : ابل العزايزت احتجزها قائد الحملة التركية بعد أن وردت على عين خيف السوق . عزيز بن وائل يقال انه شيخ وفارس بني عزيز في ذالك الوقت .
(٣) الْغِزِّيات : خيل سباق مخصصة لرد الخبر السريع أثناء سير المعارك . جني : جاءت إلي .

مِنَ الضائع
من معجم الشعراء للمرزباني

وأحسن أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم السامرائيُّ صنعاً بتتبع المَظَانّ في المؤلفات لجمع ما فُقد من كتاب « معجم الشعراء » للمرزباني حيث عثر على مجموعة من تراجم الشعراء تبلغ ثمانيا وخمسين ومئتي ترجمة ، من مصادر سماها ، ثم نشرها في كتاب أتحف به الباحثين .

— ١ —

ولقد تمنيت أن أستاذنا أطلع على مخطوطة كتاب « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار » للعالم الأندلسي عبدالله بن علي اللخمي الرشاطي ، المتوفى سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة ، ولهذا الكتاب مختصران أحدهما في مكتبة الأزهر لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الإشبيلي ، والثانية في مكتبة عاشر أفندي رئيس الكتاب ، اختصار اسماعيل بن إبراهيم البلبيسي ، والبلبيسي هذا جمع بين كتاب « اللباب في الأنساب » لابن الأثير ، وكتاب الرشاطي ، وقد تصفحت كتاب البلبيسي ، فرأيت الرشاطي ينقل عن « معجم الشعراء » ومن أمثلة ذالك ماذكره في رسم (الزُّهَيْرِيّ) ونَصُّهُ : وفي طَيِّءٍ زهير بن ثعلبة بن سلامان بن ثُعَل بن عَمْرِو بن الغوث بن طيِّءٍ .

قال ابن الكلبي منهم الجرنفش بن عبدة الشاعر .

وقال أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني في « معجم الشعراء » له : بدل عبدالله سلاما كذا ، ثم قال : الزهيري من طيء ، وأحسب أن اسمه هذا لقب ، وهو القائل :

ومن الجواء درار عينك بدلت سُهْدَ الهُموم فما تُرِيد غِرارا
كانتْ تنام إلى رجال أصبحوا تحت القبور أعِفَّةً أبرارا
غَمَزَ الرجالُ حَدِيْدَتي لفراقهم فَوُجِدتُ لا قَصِفاً ولا خَوَّارَا

نفضوا وَسَرِ حلت(؟) الْعَدَاوَةُ بعدهم ليت القبور تُخَبِّرُ الأخبارا
أبني الجُرَنفَشِ إنَّ بَكْراً أصبحوا متعاونين عليكم أنصارا

ولا يعدم المتتبع الباحث في هذا الكتاب تراجم أخرى ، فأنا لم أُعْنَ بالبحث عما فيه من ذكر لكتاب « معجم الشعراء » .

— ٢ —

وعلى ذكر كتاب أستاذنا « من الضائع من معجم الشعراء » لمحت في (ص ٩٢) : عبدالله بن سبرة الجُرَشي — مضبوطاً بالحركات — بضم الجيم المعجمة — ومثل هذا ورد في « الإصابة » لابن حَجَرٍ في ترجمته ، نقلاً عن الهجري ، وتلك الترجمة في القسم الثالث من حرف العين ، ولكن ابن حَجَر ترجمه ترجمة أخرى في القسم الثاني من باب العين في كتاب « الإصابة » نفسه نقلاً عن « الأمالي » للقالي ، وورد الاسم في هذه الترجمة (الحرشي) بالحاء المهملة ، وكذا وقع في « الأمالي[١] » إلا أنَّ محقق الكتاب قال : إنه منسوب إلى موضع في اليمن . والواقع أن كلمة الجرشي — بالجيم — خطأ ، وقول محشي « الأمالي » إنه منسوب إلى موضع في اليمن خطأ أيضاً ، فالموضع الذي يعنيه هو (جُرَش) بالجيم المضمومة . وأن الصواب ماذكره ابن قُتيبة في كتاب « المعارف[٢] » من أنه من بني الحَرِيش بن كعب ، وإذَنْ فهو الحَرَشي — بالحاء المهملة المفتوحة — وقد حدث تصحيف هذه النسبة لعبدالله بن سبرة في كثير من المؤلفات المطبوعة .

— ٣ —

ولايزال التصحيف بَلِيَّة البَلايَا في الأسماء العربية ، بل في الكلمات بصفة عامة ، ومن ذالك ماورد في كتاب أستاذنا السامرائي في الصفحة الـ (٦٤) بما هذا نصه : (٩٥ — رُشَيد بن ربيض العذري : ذكره المرزباني وقال : مخضرم وهو القائل في مُحْرِزِ بن المُكَعْبَرِ الضبي :

لقد زَرِقَتْ عيناك يا ابْنَ مُكَعْبِرٍ كَمَا كُلُّ ضَبِّيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ أَزْرَقُ

قال : وله أشعار في يوم الشياطين ، وهو يوم كان لبكر بن وائل على بني تميم ،

في عهد رسول الله ﷺ ـ « الاصابة » ـ ٢٢١/٢ ـ انتهى .

وفي هذه السطور القليلة تصحيف شنيع في ثلاث كلمات غيّرت المعاني :

١ ـ الكلمة الأولى : (ربيض) وصواب هذا الاسم (رُمَيْض) بالميم بدل الباء ، قال في « القاموس وشرحه » ـ رسم (رمض) ـ ورُشَيد بن رُميض مصغَّرَيْن ـ : شاعر ، نقله الصاغاني قلت : وهو من بني عَنْزِ بن وائل ، أو من بني عَنَزَة . انتهى .

وجملة قلت للشارح مرتضى الزَّبيدي . وانظر « خزانة الأدب » ج ٧ ص ١٤١ .

٢ ـ الكلمة الثانية : (العذري) صوابه (العَنَزِي) بفتح النون منسوباً إلى عَنَزَة بن أسد بن ربيعة لا إلى عَنْزِ بن وائل كما ورد في أول كلام صاحب « تاج العروس » ، يدل على هذا اشتراكه في يوم الشُّيَّطَيْنِ ، وهو يوم كان لبكر بن وائل ومعهم عَنَزةُ ، لا عَنْز بن وائل ، فعنزة هي التي انتقلت فروعها مع بني وائل ، ودخلت فيهم كما ذكر ذالك البكريُّ في « معجم ما استعجم » في المقدمة إذ قال : وانتشرت بكر بن وائل وعَنَزَة وضُبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق ـ إلى آخر ماذكر ـ .

أما عَنْز بن وائل فقد اتجهوا إلى جنوب الجزيرة ، وجاوروا وخالطوا القبائل القحطانية .

٣ ـ الكلمة الثالثة : (يوم الشياطين) الصواب (يوم الشُّيَّطَيْنِ) وهما موضعان لايزالان معروفين ، واحِدهما شَيِّطٌ ، ويقعان في أسفل الصَّمَّان ، وقد حددتهما في قسم المنطقة الشرقية من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ، ومن شعر رُشَيْد بن رميض في يوم الشُّيَّطَيْنِ قوله من قصيدة طويلة :

فَمَا كَانَ بين الشُّيَّطَيْنِ ولَعْلَعٍ لِنِسْوَتِنا إلَّا مَنَاقِلُ أَرْبَعُ
فَجِئْنَا بِجَمْعٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ يَكَادُ لَهُ ظَهْرُ الْوَرِيْعَةِ يِضْلَعُ

فأجابه مُحْرِزُ بن ٱلْمُكَعْبِرِ الضَّبِّيُّ :

فَخَرْتَ بِيَوْمِ الشَّيِّطَيْنِ وَغَيْرُكُمْ يَضُرُّ بِيَـوْمِ الشَّيِّـطَيْنِ وَيَنْفَـعُ
وَجِئْتُمْ بِهَا مَـذْمُـومَـةً عَنَـزِيَّـةً تَكَـادُ مِنَ ٱللُّؤْمِ ٱلْمُبِينِ تَضْلَعُ

وانظر « النقائض » ـ ص ١٠٢٠ ـ .

وورد اسم رشيد في « معجم ما استعجم » ـ : (رويشد) :

والوريعة : أرض واسعة واقعة شرق الشَّيِّطَيْنِ ، لاتزال معروفة .

إن استاذنا الجليل الدكتور السامرائي عول على مطبوعتين من كتاب « الإصابة » احداهما قديمة وهي مطبوعة في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨هـ ، والثانية مطبوعة حديثة وهي مطبعة نهضة مصر التي حققها الأستاذ علي محمد البجاوي ـ رحمه الله ـ وترجمة رُشيد فيهما وردت في القسم الثالث ـ رقمها في الأولى ٢٧٣٩ وفي الثانية ٢٧٤١ ـ .

وما نقله استاذنا الدكتور السامرائي ، هو نَصُّ مافي المطبوعتين سوى كلمة (الشياطين) فقد صححت في المطبوعة الثانية فوردت (الشَّيِّطَيْنِ) .

ـ ٤ ـ

ورأيت في إحدى الحواشي(٣) مانَصُّهُ : خازِمُ اسمُ وَادٍ . وأنشد المرزُبانيُّ لِلرَّقَّاصِ الكلبيِّ ـ واسمه خيثَمَةَ :

حَمَلْتَ على الرَّقَّاصِ حَمْلاً ولَمْ يَكُنْ لِيَحْمِلَـهُ مَـادَامَ يَـدْفَـعُ خَـازِمُ

انتهى مافي الحاشية . وفي كتاب « نسب معد واليمن الكبير(٤) » لابن الكلبي في نسب كلب : وعَدِيُّ بن غُطَيْفَ بن تُوَيْلِ الشاعِرُ ، وابنه جُشَمُ ـ وهو الرقَّاص ـ وهو الذي يقول لمسعور بن بَحْر الزُّهَيْرِيُّ :

حَمَلْتَ على الرقَّاصِ ثُقْلاً ولَمْ يَكُنْ لِيَحْمِلَهُ مادام في الناسِ حَازِمُ

انتهى . وَفَرقٌ بِيْنَ رِوَايَتَي البيت .

— ٥ —

وفي كتاب « اقتباس الأنوار » للرشاطي(٥) : وحكى أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المَرْزُبَاني أنَّ عَمْرو بن عدي الخصفي ولقبه الكَيْذبان شاعر جاهلي ، وسمي الكيذبان لأنه لقيه جيش فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا وأصحابٌ لي خرجْنا نريد الغارةَ ، قالوا : وكم أنتم ؟ قال : إذا كُنَّا ومثلنا ومثل نصفنا كنا كذا وكذا ، فشغلهم بالحساب ، ومَرَّ على وجهه فاملس منهم فسمي الكيذبان .

— ٦ —

وقد أورد استاذنا السامرائي في الكتاب ترجمة جندب بن عمار — ص ٤٢ — نقلاً عن « الإصابة » لابن حجر ، ولكن يلاحظ على هذه الترجمة وكأنَّ ابنَ حجر نقلها عن الرشاطي :

١ — أنه لم يصل نسب جندب إلى قبيلته كما فعل الرشاطي فيما نقله عن المرزُباني ، فقد عَدَّهُ من بني لأم من طيٍّء ، وأوصل نسبه هناك .

٢ — ورد البيت الثالث من أبيات جندب هذا مخالفاً لما أورده أستاذنا ، فقد جاء بهذا النص :

لو يضرب الطُّنبور تحْتَ جِرَانِها   زَجَلاً أَجَشَّ إذَا ترنَّم جُنَّتِ

وتحية من أعماق القلب لأستاذنا الجليل السامرائي .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

(١) ج ١ ص ٤٧ طبعة دار الكتب .
(٢) ص ٩٠ طبعة دار المعارف بمصر — تحقيق الأستاذ ثروت عكاشة .
(٣) مخطوطة (مكتبة الأزهر) من كتاب « معجم ما استعجم » رقم (٢٦٢) — ج ٢ ص ٣٠ — .
(٤) ج ٢ ص ٥٧٥ تحقيق الدكتور ناجي حسن .
(٥) مخطوطة المكتبة العامة في تونس .

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ٥٦ —

٢٥٤ — بابُ حُرْفٍ، وجُرُفٍ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : — بَعْدَ الحَاءِ المَضْمُومَةِ رَاءٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ فَاءٌ —: رُسْتَاقُ حُرْفٍ مِنْ نَاحِيَةِ الأَنْبَارِ ، يُنْسَبُ إليها أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ سَهْلِ بْنِ كَثِيرٍ الوَشَّا الحُرْفِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُلَيَّةَ ، وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ، وَحَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّد . رَوَى عَنْهُ ابنُ السَّمَّاكِ ، وأَبُوبَكْرٍ الشَّافِعِيُّ .

وأَبُو سَعِيدٍ الحَسَنُ بْنُ جَعْفَرٍ الحُرْفِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي شُعَيْبٍ الحَرَّانِيِّ وَغَيْرِهِ[٢] .

وأَمَّا الثَّانِي: — بِضَمِّ الجِيْمِ والرَّاءِ —: مَوْضِعٌ قُرْبَ المَدِيْنَةِ ، جَاءَ ذِكْرُهُ فِي غَيْرِ حَدِيْثٍ[٣] .

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي كتاب الجيْم : (بَابُ الجَوْفِ، والحَوْفِ، والجُرُفِ، والحُرْفِ).

(٢) لَمْ يَزِدْ نَصْرٌ عَلَى قَوْلِهِ : (وَأَمَّا بِضَمِّ الحَاءِ المُهْمَلَةِ: رُسْتَاقُ حُرْفٍ بِالأَنْبَار، وأَيْضاً : آرامٌ سُودٌ مُرْتَفِعَاتٌ أَظُنُّهَا فِي بِلَادِ سُلَيْمٍ) .
وأَوْرَدَ يَاقُوتُ فِي «المعجم» — بَعْدَ يَزِيدَ بْنَ هَارُون —: وغَيْرِهما، رَوَى عَنْهُ ابنُ السَّمَّاك ، وأَبُوبَكْرٍ الشَّافعيُّ ، وَمَاتَ فِي ذي القعدة سنة ٢٧٨ — ثم أَوْرَدَ كَلَامَ نَصْرٍ عن الآرام بِلَفْظِهِ : قال نَصْرٌ : أَحْسِبُهَا فِي مَنَازِلِ بَنِي سُلَيْمٍ . ولَمْ يَزِدْ . وفي «الأنساب» ٤/١٢٧ — بَعْدَ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ —: رَوَى عنه أَبُو الحُسَيْنِ عمرُ بنُ الحسن الأُشْنانِي وأبو عَمْرِو بْنِ السَّمَّاك ، وأَبُوبَكْر الشافعي ، ثم ذكر الآخر المنسوب إلى حُرْف، وأطَالَ عَنه وقالَ: مَاتَ فِي رَجَبٍ سنة خَمْسٍ وسَبْعِينَ وثلاث مئة . والرُّسْتَاقُ: — عَلَى مَاذَكَرَ يَاقُوتُ فِي مُقَدِّمة «المعجم» —: كُلُّ مَوْضِعٍ فيه مَزَارِعُ وقُرى، ولايُقَالُ ذالِكَ لِلْمُدُن كالبَصْرة وبغداد، فَهُوَ عِنْدَ الفُرْسِ بِمَنْزِلَةِ السَّوَادِ عِنْدَ أَهْلِ بغْدَاد . وأَصْلُ الكلمة فارسيَّة .
وَالأَنْبَارُ هُنَا على مايُفْهم من كَلَامِ صاحِبِ «بُلْدانِ الخلافَةِ الشرقية» — ١٧ — مَدِينَةٌ قديمَة عَلَى الفُرَاتِ في خطِّ عَرْضِ بَغْدَاد غَرْبَهُ ، أَكْبَرُ المُدُنِ الآهِلَةِ في إِقْليم العِرَاق في أيامَ بَنِي العَبَّاسِ .

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ: — وأَمَّا بِضَمِّ الجِيْمِ والرَّاءِ المُهْمَلَة —: قَرِيبٌ من المَدِيْنَة، وأيْضاً: بالحِيرة حَيْثُ مَنَازِل آلِ المُنْذِرِ، وايضاً: قُرْبَ مكَّةَ ، بِهَا كَانت الحَرْبُ بَيْنَ سُلَيْمٍ وهُذَيْل . انتهى .
الجُرُفُ — تُضَمُّ رَاؤهُ وتُسَكَّنُ في الأَصْلِ وَصْفٌ لِلْمَكَانِ الَّذِي جَرَفَتْهُ السُّيُولُ أَوِ الرِّيَاحُ من جَوَانِب الأَوْدِيَة او الجِبَال او غَيْرِها مِنَ الأرض، والامكنة التي بِهذه الصِّفَة كثيرةٌ ، ثُمَّ أُطْلِقَ الوَصْفُ عَلَماً لمواضِعَ ، ذَكَرَ مِنْهَا يَاقُوتُ المَوْضِعَ الَّذي بِقُرْبِ المَدِيْنَة قائلاً : عَلَى ثلاثَة أَمْيَالٍ من المَدِيْنَة نَحْوَ الشَّام ، كانَتْ بِهِ أَمْوَالٌ =

وأيضاً: مَوْضِعٌ قُرْبَ مَكَّةَ كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ بَيْنَ هُذَيْلٍ وَسُلَيْمٍ(٤).

= لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، ولِأَهْلِ المدِينَةِ ، وفِيهِ بِئْرُ جُشَمٍ ، وبِئْرُ جَمَلٍ ، قَالُوا: سُمِّيَ الجُرُفَ لِأَنَّ تُبَّعاً مَرَّ بِهِ فَقَالَ: هذا جُرُفُ الأَرْضِ ، وكَانَ يُسَمَّى العِرْضَ ، وفِيهِ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :

إِذَا مَا اقْتَبَطْنَا العِرْضَ قَالَ سَرَاتُنَا: عَلَامَ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ العِرْضَ نَزْرَعُ؟!

وَذُكِرَ الجُرُفُ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ، قَالَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ اليَهُودِيُّ :

وَلَنَا بِئْرٌ رَوَاءٌ جَمَّةٌ مَنْ يَرِدْهَا بِإِنَاءٍ يَغْتَرِفْ
كُلُّ حَاجَاتِي بِهَا قَضَّيْتُهَا غَيْرَ حَاجَاتِي عَلَى بَطْنِ الجُرُفْ

وأطَالَ السَّمْهُودِيُّ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كتابِ «وَفَاءِ الوفاء» الحَدِيثَ عَنِ الجُرُفِ وَمِمَّا قَالَ فِي تَحْدِيدِ العَقِيقِ — ١٠٣٩ —: أَنَّ الجُرُفَ مَابَيْنَ مَحَجَّةِ الشَّامِ إِلَى القَصَّاصِينَ — أَيْ أَصْحَابِ القَصَّةِ — وأَنَّ العَرْصَةَ مَابَيْنَ مَحَجَّةِ يَيْنَ إِلَى مَحَجَّةِ الشَّامِ ، وأَنَّ العَقِيقَ مِنْ مَحَجَّةِ يَيْنَ فَاذْهَبْ بِهِ صُعُداً إِلَى العَقِيقِ . وذَكَرَ — ١١٧٥ — أَنَّ المِقْدَادَ مَاتَ بِالجُرُفِ عَلَى ثَلاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ المَدِينَةِ فَحُمِلَ عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ حَتَّى دُفِنَ بِالبَقِيعِ ، وأَنَّ العَرْصَةَ الكُبْرَى الَّتِي فِيهَا بِئْرُ رُومَةَ تَخْتَلِطُ بِالجُرُفِ فَتَتَّسِعُ . ونَقَلَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَقْطَعَ الزُّبَيْرَ الجُرُفَ ، وأَنَّ عُثْمَانَ خَلَجَ خَلِيجاً حَتَّى صَبَّهُ فِي بَاطِنِ بَلَدٍ مِنَ الجُرُفِ ، اسْتَعْمَلَ فِيهِ ثَلاثَةَ آلافٍ مِنْ سَبْيِ بَعْضِ الأَعَاجِمِ . ومُجْمَلُ القَوْلِ أَنَّ الجُرُفَ مُتَّسَعٌ مِنَ الأَرْضِ جَرَفَتْهُ السُّيُولُ المُنْحَدِرَةُ مِنَ العَقِيقِ وغَيْرِهِ ، وقَدْ أُحْيِيَ ذَلِكَ المَكَانُ فِي صَدْرِ الإِسْلامِ فَحُفِرَتْ فِيهِ الآبَارُ ، وزُرِعَتْ أَرْضُهُ ، وكَانَ لِكِبَارِ الصَّحَابَةِ فِيهِ أَمْلاكٌ ، وعُرِفَ بِاسْمِ العِرْضِ كَمَا اسْتَشْهَدَ يَاقُوتُ بِشِعْرِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الصَّحَابِيِّ ونَصُّهُ — عَلَى مَا فِي «السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ» لِابْنِ هِشَامٍ — ١٣٣/٢ :

وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالعِرْضِ قَالَ سَرَاتُنَا: عَلَامَ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ العِرْضَ نَزْرَعُ

وذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشاً وَمَنْ مَعَهُم فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ نَزَلُوا أَسْفَلَ الجُرُفِ عَلَى شَفِيرِ الوَادِي، وهُوَ العِرْضُ، والعِرْضُ لُغَةً الوَادِي الَّذِي تَنْتَشِرُ فِيهِ القُرَى والزُّرُوعُ ، وَخَلَطَ البَكْرِيُّ بَيْنَ الجُرُفِ هَذَا وبَيْنَ الجُرُفِ الَّذِي فِي بِلادِ هُذَيْلٍ ، ونَقَلَ عَنِ الزُّبَيْرِ بن بَكَّارٍ أَنَّ الجُرُفَ عَلَى مِيلٍ مِنَ المَدِينَةِ ، فَلَعَلَّ المَقْصُودَ بِهَذَا مَاوَالَى المَدِينَةَ مِنْهُ، وكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَمْتَدَّ عُمْرَانُ المَدِينَةِ فِي عَصْرِنَا فَيَشْمَلَ جَانِباً مِنَ الجُرُفِ ويَتَجَاوَزَهُ إِلَى ضَفَّةِ الوَادِي الغَرْبِيَّةِ، إِذْ أُدْنَى الجُرُفِ إِلَى المَدِينَةِ كَانَتِ العَرْصَةُ وهِيَ أَعْلَى الجُرُفِ ، وأَسْفَلُهُ مُجْتَمَعُ سُيُولِ أَوْدِيَةِ المَدِينَةِ — «معجم ما استعجم» — ١٣٣٣ .

(٤) الجُرُفُ الَّذِي قُرْبَ مَكَّةَ لَمْ يَرِدْ يَاقُوتُ فِي تَحْدِيدِهِ عَلَى مَا فِي كِتَابِ الحَازِمِيِّ ، وفِي «معجم ما استعجم»: الجُرُفُ — بِضَمِّ أَوَّلِهِ وثَانِيهِ —: مَوْضِعٌ قد حَدَّدْتُهُ فِي رَسْمِ النَّقِيعِ ، وهُوَ قَرِيبٌ مِنْ وَدَّانَ ، وهُوَ مِنْ مَنَازِلِ بَنِي سَهْمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ مِنْ هُذَيْلٍ ، وهُنَاكَ أَوْقَعَ بِهِمْ عَزْعَزَةُ بْنُ عَاصِيَةَ السُّلَمِيُّ فِي قَوْمِهِ بَنِي سُلَيْمٍ — ثم أَوْرَدَ مِنْ شِعْرِهِ :

أَلَا أَبْلِغْ هُذَيْلاً حَيْثُ كَانَتْ مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ عَنِ الشَّفِيقِ
مُقَامَكُمُ غَدَاةَ الجُرْفِ لَمَّا تَوَاقَفَتِ الفَوَارِسُ بِالمَضِيقِ

وَفِي شِعْرِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ مَايَدُلُّ عَلَى أَنَّ الجُرُفَ مِنْ دِيَارِ عَبْسٍ ، وأَحَالَ إِلَى رَسْمِ حَرَّى — حَيْثُ أَوْرَدَ لِكَعْبٍ : =

٢٥٥ ــ بابُ حَرَمٍ ، وحَرِمٍ ، وَجِرْمٍ ، وَحَزْمٍ ، وَخُرْمٍ ، وَخُرَّمٍ[(١)]

أَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِفَتْحِ الحَاءِ والرَّاءِ : مَكَّةُ حَرَمُ اللهِ تَعَالَى ، وَالْمَدِيْنَةُ حَرَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٢)] .

وأَمَّا الثَّانِي: ــ بِكَسْرِ الرَّاءِ ــ : وَادٍ مِنْ نَاحِيَةِ اليَمَامَةِ فِيْهِ نَخْلٌ وَزَرْعٌ ، وَقَدْ يُقَالُ بِفَتْحِ الرَّاءِ[(٣)]

= فَلَوْلاَ ابْنَةُ العَبْسِيِّ لَمْ تَلْقَ نَاقَتِي كَلاَلاً وَلَمْ تُوضِعْ إِلَى غَيْرِ مَوْضَعِ
فَتِلْكَ الَّتِي إِنْ تُمْسِ بِالجَرْفِ دَارُهَا وأُمْسِ بِخَرْزَى تُمْسِ ذِكْرَتُهَا مَعِي

ــ وخَزْرَى مِنْ مواضع المَدِيْنَةِ المَشْهُورَةِ ــ وقد خلط البكريُّ في رَسْمِ (الجُرُف) بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ المَوضِعِ الَّذي بقُرْبِ المَدِيْنَةِ ، والآخر اللذي مِنْ مَنَازِلِ هُذَيْلٍ . ولَمْ أَجِدْ في كتاب «شَرْحِ أَشْعَارِ الهُذَلِيِّيْنَ» خبرَ وَقْعَةِ بَنِي سُلَيْمٍ بِهُذَيْلٍ والخَبَرُ مُفَصَّلٌ في «الأغاني» ٢/١٠٠ ط : الثقافة ــ ولَمْ يَرِدْ فِيهِ ذِكْرُ وَدَّانَ ، ولكِنْ ذُكِرَ أَنَّ بَنِي سُلَيْمٍ غَزَوْا بَنِي سَهْمٍ ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ بِلاَدَ بَنِي سُلَيْمٍ تَقَعُ وَرَاءَ وَدَّانَ ، وأَنَّ بِلاَدَ هُذَيْلٍ فِيْمَا بَيْنَ وَدَّانَ وبَيْنَ مَكَّةَ ، ولَهُمْ بِلاَدٌ جَنُوبَها أَيْضاً ولاَ يُسْتَبْعَدُ أَنْ تَكُونَ مَنَازِلُ بَنِي سَهْمٍ الهُذَلِيِّيْنَ مُوَالِيَةً لِبِلاَدِ بَنِي سُلَيْمٍ بِقُرْبِ وَدَّانَ الوَادِي المعروف الواقع في المُنْتَصَفِ بَيْنَ مَكَّةَ والمدِيْنَةِ .

وممَّا ذَكَرَهُ نَصْرٌ في هذا البَابِ :

١ ــ الجَوْفُ ، قَالَ: ــ أَمَّا بِفَتْحِ الجِيْمِ ــ: وَادٍ بِاليَمَنِ ، مِنْ أَرْضِ سَبَإٍ ، وأَيْضاً مِنْ بِلاَدِ بَنِي تَمِيْمٍ جَوْفُ طُوَيْلِعٍ ، وأَيْضاً: في دِيَارِ كَلْبٍ . وَتَرَبُ الجَوْفِ بِالبَصْرَةِ . انتهى .

الجَوْفُ : ــ هُوَ المَكَانُ المُنْخَفِضُ مِنَ الأَرْضِ ، فَهُوَ وَصْفٌ لأَمْكِنَةٍ كَثِيْرَةٍ مِنْهَا المَوَاضِعُ الثَّلاثَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا نَصْرٌ ، فَجَوْفُ اليَمَنِ بِقُرْبِ مَأْرِبَ في شَرْقِيِّ اليَمَنِ لاَيَزَالُ مَعْرُوفاً ، ويُدْعَى جَوْفُ مُرَادٍ ، مُضَافاً إِلَى القَبِيْلَةِ الَّتِي تَسْكُنُهُ ، وَجَوْفُ طُوَيْلِعٍ ــ ويُقَالُ: جَوُّ طُوَيْلِعٍ في أَسْفَلِ الصَّمَّانِ ، وَيُدْعَى الآنَ الضَّبْعِيَّاتِ ــ مُنْخَفَضٌ مِنَ الأَرْضِ بَيْنَ آكَامٍ فِيهِ آبَارٌ قَرِيْبَةُ القَعْرِ ــ (انظر قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» والذي في بلاد كَلْبٍ هُوَ الجَوْفُ الإِقْلِيْمُ المَعْرُوفُ في شَمَالِ الجَزِيْرَةِ ، وكَانَتْ قَاعِدَتُهُ (دومَةَ الجَنْدَلِ) والآنَ (سُكَاكَة) .

أَمَّا تَرَبُ الجَوْفِ الذي بِالبَصْرَةِ فقد ذَكَرَ يَاقُوتُ بَعْضَ المَنْسُوبِيْنَ إِلَيْهِ مِنْ مُتَقَدِّمِي المُحَدِّثِيْنَ ، بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ مَحَلاَّتِ البَصْرَةِ القَدِيْمَةِ ، فَأَحَدُ المَنْسُوبِيْنَ إِلَيْهِ يَرْوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

٢ ــ الحَوْفُ ، قال نَصْرٌ: ــ وأَمَّا بِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ: ــ مَوْضِعٌ بِمِصْرَ . وَهَذَا المَوْضِعُ لاَيَزَالُ مَعْرُوفاً في تِلْكَ البِلاَدِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ بَعْضُ المَشَاهِيْرِ ، عَرَفْتُ منهم الأستاذَ الدكتور أَحْمَد الحَوْفِيّ عُضْوَ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ، وتوفي مُنْذُ ثلاثةِ أَعْوَامٍ ــ رحمه الله ــ

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: (بَابُ الحَرَمِ ، والحَزْمِ ، وحَرِمٍ ، وجِرْمٍ ، وخُرْمٍ ، وخُرَّمٍ) .

(٢) قَالَ نَصْرٌ: أَمَّا بِفَتْحِ الحَاءِ والرَّاءِ: ــ فَمَكَّةُ ، وَأَفْنِيَتُهَا الأَرْبَعُ الَّتِي وُضِعَتْ بِهَا الأَنْصَابُ تَحْدِيْداً له ، والحَرَمَانِ: مَكَّةُ والمَدِيْنَةُ . انتهى . وأَطَالَ يَاقُوتُ الكَلاَمَ عَنِ الحَرَمِ ، وَفِي كُتُبِ الحَدِيْثِ والفِقْهِ مِنْ تَفْصِيلِ ذَلِكَ مَاهُوَ مَعْرُوفٌ .

(٣) قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِفَتْحِ الحَاءِ وكَسْرِ الرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ ــ: وَادٍ مِنْ أَقْصَى عَارِضِ اليَمَامَةِ ذُو نَخْلٍ وَزَرْعٍ ، وقَدْ تُفْتَحُ الرَّاءُ . انتهى . وَقَالَ يَاقُوتُ: حَرِمٌ ــ بِكَسْرِ الرَّاءِ بِوَزْنِ كَبِدٍ ــ: والحَرِمُ أيضاً: الحَرِمَانِ . . . =

وَأَمَّا الثَّالِثُ : ـ بِكَسْرِ الحاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ ـ : أَحَدُ الحِرْمَيْنِ ، وَهُمَا وَادِيَانِ يُنْبِتَانِ السِّدْرَ والسَّلَمَ ، يَصُبَّانِ فِي بَطْنِ اللَّيْثِ ، مِنَ اليَمَنِ(٤).

وَأَمَّا الرَّابِعُ : ـ بَعْدَ الحاءِ المَفْتُوحَةِ زَايٌ سَاكِنَةٌ ـ : في عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْهَا حَزْمُ الرِّقَاشِيِّ قَالَ : ـ

أَلاَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَرُودَنْ نَاقَتِي ... بِحَزْمِ الرِّقَاشِ مِنْ مِثَالِي هَوَامِلِ

وحَزْمُ الأَنْعَمَيْنِ [بِمَكَّةَ، وَحَزْمُ حَدِيد] وحَزْمُ خَزَازَى مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ أَمَامَ خَطْمِ الحَجُونِ مُتَيَاسِراً عَنْ طَرِيقِ العِرَاقِ(٥).

= وَقَالَ نَصْرٌ: حَرِمٌ ـ بِكَسْرِ الرَّاءِ ـ: وَادٍ بالْيَمَامَةِ فِيهِ نَخْلٌ وَزَرْعٌ ، ويُقَالُ: بِفَتْحِ الرَّاءِ . وَقَالَ أَبو زِيَادٍ: حَرِمٌ فَلْجٌ مِنْ أَفْلَاجِ اليَمَامَةِ، ورَوَاهُ ابْنُ مُعَلّ الأَزْدِيّ حَرَمٌ وحَرُمٌ ـ بِفَتْحِ الرَّاءِ وضَمِّهَا ـ جَمِيعُ ذَالِكَ فِي مَوْضِعٍ بِالْيَمَامَةِ فِي قَوْلِ ابْنِ مُقْبِلٍ:

حَيِّ دَارَ الحَيِّ لَا دَارَ بِهَا ... بِأُثَالٍ فَسِخَالٍ فَحَرِمْ

حَرِمُ الَّذِي فِي اليَمَامَةِ يَظْهَرُ من كَلَامِ أَبِي زِيَادٍ أَنَّهُ فِي مِنْطَقَةِ الأَفْلَاجِ ، وتِلْكَ فِي أَقْصَى عَارِضِ اليَمَامَةِ مِنَ الجَنُوبِ ، إِلَّا أَنَّ القَوْلَ بِأَنَّهُ وَادٍ يُفْهَمُ مِنْهُ أنه مَوْضِعٌ آخَرُ ، وفِي أَقْصَى عَارِضِ اليَمَامَةِ (جَبَلُ طُوَيْقٍ) مِنَ الشَّمَالِ وَادٍ ذَكَرَهُ صَاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ العَرَبِ» ـ ٢٦١/٢٥١ ـ بِاسْمِ الحَرِيمِ قَائِلًا : ثُمَّ بَطْنُ الحَرِيمِ ، وهُوَ وَادٍ لِبَلْعَنْبَرِ بِالفَقْءِ . انتهى والفَقْءُ هُوَ إِقْلِيمُ سُدَيْرٍ ، وَيَظْهَرُ أَنَّ هذا الوَادِي هُوَ وَادِي حَرْمَةَ . عَلَى أَنَّ البَكْرِيَّ أَوْرَدَ فِي «مُعْجَم مااسْتُعْجِمَ»: حَرِمٌ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وكَسْرِ ثَانِيهِ بَعْدَهُ مِيمٌ ـ: ثَنِيَّةٌ فِي خِيَمٍ ، وخِيَمٌ جَبَلٌ بِعَمَايَتَيْنِ ، قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ :

وَفَى الخَيَالُ وَمَا وَافَاكَ مِنْ أُمَمٍ ... مِنْ أَهْلِ قَرْنٍ فَأَهْلِ الضَّيْقِ مِنْ حَرِمِ

والضَّيْقُ مَوْضِعٌ هُنَاكَ انْتَهَى وهَذَا يُؤَيِّدُ كَوْنَ حَرِمٍ فِي الجانب الجَنُوبِيِّ من اليَمَامَةِ فِي جِهَةِ الأَفْلَاجِ حَيْثُ عَطَفَهُ الشاعِر على قَرْنٍ وهُوَ هُنَا مِنَ الأَفْلَاجِ ، فِي الجَنُوبِ مِنْهَا على ماحَدَّدَهُ صاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ العَرَبِ» وعَمَايَتَانِ جَنُوبَ الأَفْلَاجِ وهُمَا جَبَلَا عَمَايَةَ وصَاحَةَ ، ويعرفانِ الآنَ بِاسْمِ الحَصَاتَيْنِ ، وخِيَمٌ وادٍ مَعْرُوفٌ بَيْنَهُمَا .

(٤) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ ومِثْلُهُ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» بِزِيَادَةِ : (فِي أَوَّلِ أَرْضِ اليَمَنِ) بَعْدَ اللَّيْثِ . واللِّيثُ بِكَسْرِ اللَّامِ وإِسْكَانِ المُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ : مِنْ أَشْهَرِ الأَوْدِيَةِ الوَاقِعَةِ جَنُوبَ مَكَّةَ ، المُنْحَدِرَةِ من السَّرَاةِ مُخْتَرِقَةً تِهَامَةَ حَتَّى تَصُبَّ فِي البَحْرِ الأَحْمَرِ عِنْدَ مِينَاءِ اللِّيثِ ، وكَلِمَةُ (اليَمَن) يُقْصَدُ بِهَا المَعْنَى اللُّغَوِي لِمَا وَقَعَ جَنُوبَ مَكَّةَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ اليَمَنِ ، والشَّامِ لِمَا وَقَعَ شَمَالَهَا .

(٥) عِنْدَ نَصْرٍ : وَأَمَّا بِفَتْحِ الحَاءِ وسُكُونِ الزَّايِ المُعْجَمَةِ : مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ أَمَامَ خَطْمِ الحَجُونِ مُتَيَاسِراً عَنْ طَرِيقِ العِرَاقِ ، وَحَزْمَا شَمَنْصِير ، وحَزْمُ خَزَازَى ، وحَزْمُ جَدِيدٍ ، وحَزْمُ الأَنْعَمَيْنِ . انتهى . ومابَيْنَ المُرَبَّعَيْنِ [. . .] زيادة من المَخْطُوطَةِ الثانية من كِتَابِ الحازِمِيِّ ، ولَعَلَّهُ أَثْبَتَهَا أَوَّلاً نَقْلاً عَنْ كتابِ نَصْرٍ ، ثم حَذَفَهَا من أَصْلِ المخطوطة الَّتِي هِيَ الأَصْلُ ، ويظهر أَنَّهُ لَمْ يُحَرِّرِ العِبَارَةَ المُتَعَلِّقَةَ بِـ (حَزْمٍ) . الحَزْمُ لُغَةً وَصْفٌ لِلأَرْضِ المرتَفِعَةِ الخَشِنَةِ أَوْ كَمَا نَقَلَ يَاقُوتُ: الحَزْمُ مِنَ الأَرْضِ مااحْتَزَمَ مِنَ السَّيْلِ مِنَ =

وَأَمَّا الخَامِسُ : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ ـ : مَوْضِعٌ بِكَاظِمَةَ(٦) .

وَأَمَّا السَّادِسُ : ـ بَعْدَ الخَاءِ المَضْمُومَةِ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ مُشَدَّدَةٌ ـ : مِنْ رَسَاتِيقِ أَرْدَبِيلَ(٧) .

= نَجَوَاتِ الأَرْضِ والظُّهُورِ ، والجَمْعُ الحُزُوْمُ ، وَفِي بِلَادِ العَرَبِ حُزُوْمٌ كَثِيرَةٌ ، عَدَّ يَاقُوتُ بَعْضَهَا ، وَمِنْهَا مَاذَكَر نَصْرٌ والحَازِمِيُّ :

أ ـ حَزْمُ الرُّقَاشِيِّ ، لَمْ يُحَدِّدْهُ يَاقُوتُ وأَوْرَدَ البَيْتَ غَيْرَ مَنْسُوبٍ كَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الحَازِمِيِّ . وأَوْرَدَهُ البَكْرِيُّ فِي «مُعْجَم مااسْتَعْجم» ـ رَسْم الرُّقَاشِ ـ قَائِلاً : الرُّقَاشُ بَلَدٌ ، أَنْشَدَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَلَا لَيْتَ شِعْـرِي هَـلْ تَـرُوْدَنَّ نَـاقَتِيْ ... بِحَـزْمِ الرُّقَـاشِ فِي مَثَـالِ هَـوَامِـلِ
هُنَالِكَ لَا أُصْلِيْ لَهَا القَيْدَ بِالضُّحَى ... وَلَـسْـتُ إِذَا رَاحَـتْ عَـلَيَّ بِعَـاقِـلِ

قَالَ قَاسِمٌ : الرُّقَاشُ بَلَدُهُ الَّذِي فِيهِ أَهْلُهُ . يَقُولُ: لَا أُطِيلُ لَهَا القَيْدَ وَلَا أَعْقِلُهَا لِأَنَّهَا تَصِيرُ إِلَى أُلَّافِهَا مِنَ الإِبِلِ فَتَقِرُّ ، وَقَدْ وَرَدَ هذَا الاسْمُ فِي شِعْرِ يَزِيْدَ بْنِ الطَّثَرِيَّةِ مُثَنًّى ـ ثُمَّ أَوْرَدَ قَوْلَهُ ، وفِي كتاب «بِلَادِ العَرَبِ» ـ ١٥١ ـ وَرَدَ مُثَنًّى فِي شِعْرِ نَاهِضِ بْنِ ثُوْمَةَ الكِلَابِيِّ ، ونَقَلَ عَنِ العامِرِيِّ أَنَّ الرُّقَاشَيْنِ وَرَاءَ جَبَلَي الضَّمْرَيْنِ فِي قِبْلَتِهِمَا مِنْ وَرَائِهِمَا عَلَى يَوْمٍ أَوْ أَكْثَرَ. والرُّقَاشَانِ لايَزَالَانِ مَعْرُوفَيْنِ باسْمِهِمَا ، وهُمَا جَبَلَانِ مُتَعَدِّدَا الرُّؤُوسِ ، وبِقُرْبِهِمَا حُزُومٌ كَثِيرَةٌ فِي الجَنُوبِ الغَرْبِيِّ مِنْ عالية نَجْدٍ ، وانظر عَنْ تَحْدِيدِهِمَا قِسْم (عَالِيَة نَجْدٍ) من «المعجم الجغرافي للبلاد العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة» رَسْم الرُّقَاش .

ب ـ حَزْمُ الأَنْعَمَيْنِ [بِمَكَّة]: كلمة بِمَكَّةَ لَمْ تَرِدْ فِي الأَصْلِ ، ولكِنْ فِي النُّسْخَةِ الثَّانِيَةِ ، ومَاأُرَاهَا صَحِيحَةً ، فَالأَنْعَمَانِ ـ مُثَنَّى أَنْعَم ـ عَلَى مَاذَكَرَ يَاقُوتُ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، قَالَ: وَادِيَانِ هُمَا الأَنْعَمُ وعَاقِلٌ أَيْ فِي جَنُوبِ القَصِيمِ ، وتِلْكَ الجِهَةُ بَعِيدَةٌ عَنْ مَكَّةَ ، وشَاهِدُ حَزْمِ الأَنْعَمَيْنِ وَرَدَ فِي شِعْرِ المَرَّارِ بْنِ سَعِيدٍ ، وأَوْرَدَهُ يَاقُوتُ .

جـ ـ حَزْمُ حَدِيدٍ ، وَفِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرٍ : حَزْم جَدِيدٍ ، وفِي «معجم البُلْدَان» حَزْمُ حَدِيدَا مَقْصُورٌ فِي شِعْرِ المَرَّارِ :

يَقُـولُ صِحَـابِيْ إِذْ نَـظَرْتُ صَبَـابَـةً ... بِحَـزْمِ حَـدِيْـدا مـابِـطَرْفِـكَ تَسْمَـحُ

ـ كَذا أَوْرَدَ البَيْتَ ولَعَلَّ صَوَابَهُ : مالِطَرْفِكَ يَسْفَحُ ؟ والغَرِيبُ أَنَّ يَاقُوتاً لَمْ يُورِدْ (حَدِيدَا) فِي مَوْضِعِهِ مِنَ «المعجم» فِي حرف الحاء ولا الجيم ، مِمَّا يَحْمِلُ على الظَّنِّ بِأَنَّهُ شاك فِي صِحَّةِ الاسْمِ . ومَعْرُوفٌ أَنَّ المَرَّارَ بْنَ سَعِيْدٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وبِلَادُهُمْ فِي شَمَالِ وادي الرُّمَةِ وعَلَى شعابِهِ ثم عَلَى طَرِيقِ الحَجِّ العِرَاقِي .

د ـ حَزْمُ خَزَازَى : القَوْلُ بِأَنَّهُ بِمَكَّةَ مِنْ أَبْعَدِ الأَقْوَالِ عَنِ الصَّوَابِ ، فَخَزَازَى ـ بِالأَلِفِ المَقْصُورَةِ ـ يَظْهَرُ أَنَّهُ فِي شمالِ الجَزِيرَةِ فِي حُدُودِ الشَّامِ لِوُرُوْدِهِ فِي شِعْرِ عَدِيِّ بْنِ الرِّقَاعِ العامِلِيِّ ، وقَدْ يُقْصَدُ بِهِ خَزَازُ الجَبَلُ المَشْهُورُ المَعْرُوفُ الآنَ فِي شَمَالِ القَصِيمِ ، يُشَاهَدُ مِنْ هِجْرَةِ دُخْنَةَ هُوَ وإِمَّرَةُ وكِبْرُ رَأْيِ العَيْنِ .

هـ ـ أَمَّا الحَزْمُ الَّذِي ذَكَرَ نَصْرٌ والحَازِمِيُّ بِقُرْبِ مَكَّةَ فَقَدْ أَوْرَدَ الأَزْرَقِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّة» ٢ / ٢٧٦ ـ قَوْلَ الحَارِثِ بن خَالِدٍ المَخْزُومِي :

←

الشيخ عبدالله الخيال
وصداقة ستين عاما

كل صداقة تقوم على أساس تبادل شيء من المنافع سرعان ماتزول بزوال تلك المنفعة ، أما ماينبني من الصداقات على الألفة المنبعثة عن تلاؤم في الصفات ، وتوافق في الطبائع ، وتشابه في الأخلاق ، فإنها غالباً ما تستمر وتبقى ، ولهذا كانت صلتي بالشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخيال ــ رحمه الله ــ طيلة مايزيد على ستين عاماً ثابتة لم تتغير ، ولم يشبها شيء من الفتور ، ولعل أبرز سبب لذالك انه ــ رحمه الله ــ كان يُنْصف من نفسه ، وكان يسير مع اخوانه واصدقائه سيرة انسان مقدر للصداقة ، وعارف بحقوقها ، مع أنه مع كل أحد تغلب عليه

← أَقْوَى بِـنِ آلِ فُطَيْمَةَ الحَزْمُ فَـالـعَـبْـرَتَـانِ فَـأَوْحَشَ الخَـطْـمُ

قائِلاً : خَطْمُ الحُجُونِ يُقَالُ لَهُ الخَطْمُ ، والَّذِي أَرَادَ الحَارِثُ الخَطْمَ دُونَ سِدْرَةِ آلِ أُسَيْدٍ ، والحَزْمُ سِدْرَةُ امامه تَتَيَاسَرُ عَنْ طَرِيقِ العِرَاقِ . وقال ــ ٢/٢٨٢ ــ: سِدْرَةُ خَالِدٍ هِيَ صَدْرُ وَادِي مَكَّةَ مِنْ بَطْنِ السِّرَرِ ، مِنْهَا يَأْتِي سَيْلُ مَكَّةَ إِذَا عَظُمَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سَيْلُ السِّدْرَةِ الى آخِرِ ماذَكَر مِمَّا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الحَزْمَ بَعِيدٌ عَنْ خَطْمِ الحُجُونِ ، وأَنَّهُ يَقَعُ فِي أَعْلَى وَادِي مَكَّةَ مِمَّا يَلِي مِنَى ، يَسَارَ الآتِي مِنْ طَرِيقِ الحَجِّ العِرَاقِي القَدِيمِ ، والَّذِي أَوْقَعَ الخَلْطَ بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ وُرُودُهُمَا فِي شِعْرِ الحَارِثِ ، فالحَزْمُ خَارِجَ مَكَّةَ والخَطْمُ دَاخِلَهَا . وكَلَامُ يَاقُوتٍ فِي تَعْرِيفِ هذا الحَزْمِ مُوهِمٌ ايضاً ، وَنَصُّهُ : الحَزْمُ ــ من غَيْرِ إِضَافَةٍ ــ: وهُوَ مَوْضِعٌ أَمَامَ خَطْمِ الحُجُونِ الَّذِي دُونَ سِدْرَةِ آلِ أُسَيْدٍ ، يَسَاراً عَلَى طَرِيقِ نَخْلَةَ والحَاجِّ العِرَاقِي . انتهى فهو بَعِيدٌ عَنْ خَطْمِ الحُجُونِ .

(٦) خُرْمٌ : قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِضَمِّ الخَاءِ المعجمة وسُكُونِ الرَّاءِ : مَوْضِعٌ بِكَاظِمَةَ . انتهى . ذَكَرَ يَاقُوتُ أَنَّ الخُرْمَ أَنْفُ الجَبَلِ وجَمْعُهُ خُرُمٌ كَسَقْفٍ وسُقُفٍ ، وَنَقَلَ عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ ــ وَهُوَ الأَزْهَرِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ «تَهْذِيبِ اللُّغَةِ» ــ: الخُرْمُ بِكَاظِمَةَ جُبَيْلَاتٌ ، وأُنُوفُ جِبَالٍ . انْتَهَى والأَزْهَرِيُّ مِمَّنْ عَرَفَ تِلْكَ البِلَادَ عَنْ مُشَاهَدَةٍ ، وفي كتاب «بِلَادِ العَرَبِ» ــ ٣٢١ ــ: ثَنِيَّةُ المِجْزَرِ هِيَ الَّتِي تَهْبِطُ مِنْهَا عَلَى كَاظِمَةَ ، وهِيَ تُسَمَّى خُرْماً كَاظِمَةَ . وكَاظِمَةُ تَقَعُ شَمَالَ مَدِينَةِ الكُوَيْتِ غَيْرَ بَعِيدَةٍ عَنْهَا ــ انظر لتحديد موقعها قسم (المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» .

(٧) خُرَّمُ : قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِضَمِّ الخَاءِ وفَتْحِ الرَّاءِ وتَشْدِيدِهَا ــ: مِنْ رَسَاتِيقِ أَرْدَبِيلَ ، وأَظُنُّ الخُرَّمِيَّةَ الَّذِينَ كَانَ مِنْهُمْ بَابَكُ نُسِبُوا إِلَيْهِ ، وقِيلَ: هُمُ الخرمدِينِيَّةُ فَارِسِيٌّ ، لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَيَسْتَبِيحُونَهَا . انتهى . وفي «معجم البلدان»: خُرَّمُ بضم أَوَّلِهِ وتَشْدِيدِ ثَانِيهِ ، وتَفْسِيرُهُ بالفَارِسِيَّةِ المَسْرُورُ: وَهُوَ رُسْتَاقٌ بِأَرْدَبِيلَ ثم أَوْرَدَ بَقِيَّةَ كَلَامِ نَصْرٍ مَنْسُوباً إِلَيْهِ ولكنْ آخِرَهُ : وقِيلَ: الخُرَّمِيَّةُ فَارِسِيٌّ مَعْنَاهُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَيَسْتَبِيحُونَهَا . انتهى وفي «تاج العروس»: وخُرَّمَةُ كَسُكَّرَةٍ بَلْدَةٌ بِفَارِسَ ، بَلْ نَاحِيَةٌ قُرْبَ اصْطَخْرَ قاله نَصْرٌ: مِنْهَا بَابَكُ الخُرَّمِيُّ الطَّاغِيَةُ الَّذِي كَادَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى المَمَالِكِ زَمَنَ المُعْتَصِمِ ــ الى آخر ماذكر ــ وأَخْبَارُ بَابَكَ مُفَصَّلَةٌ فِي كُتُبِ التاريخ . والرُّسْتَاقُ تَقَدَّمَ إِيضَاحُهُ ، وأَرْدَبِيلُ كَانَ قَاعِدَةَ أَذْرَبِيجَانَ .

المجاملة في كثير من تصرفاته ، بدرجة تلجئه ليتحمل في سبيل ذالك من الأمور ماقل ان يقدر على تحمله غيره ، ثم يقابل كل ذالك بدون امتعاض أو تأثر من أمر مّا ، مما يخرجه عن طوره المعتاد ، إنه يحاول دائماً ان يعالج الأمور بهدوء وتؤدَةٍ وتروّي ، ولاشك أن هذه الصفات من الأسباب التي مدّتْ حبال الصداقة بينه وبين كثير من اخوانه .

لقد كان أول ما عرفت الشيخ عبدالله وهو شاب قد تجاوز منتصف العقد الثاني من عمره بيسير وذالك في عام ١٣٤٦هـ حين قدمت مدينة الرياض وهو احد طلبة العلم في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم ــ رحمه الله ــ وكان يسكن في غرفة في هذا المسجد (بيت الدرجة) وكان قدم إلى الرياض ــ على ماقال لي ــ في شوال ذالك العام من بلدة الدرعية التي كانت أسرته تقيم فيها ــ جاء بتوجيه من إمام مسجد تلك البلدة محمد بن عبدالعزيز الهلالي حيث توسم فيه من الذكاء مادفعه إلى ترغيبه في الانضمام إلى طلبة العلم والكتابة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم بذالك .

ثم يدور الزمان دورته ويتولى الشيخ الخيال عملاً في المكتب الخاص لفيصل ــ رحمه الله ــ في مكة ، وكنت في ذالك العهد أحد طلبة المعهد في مكة المكرمة فتزداد الصلة ، وتقوى المعرفة ، ثم يعود إلى الرياض ليتولى عملاً في إدارة المالية فترة من الزمن يلتحق بعدها هو والأستاذ عبدالله الملحوق بالبعثات السعودية في مصر سنة ١٣٥٥هـ حيث يكمل دراسته في (دار العلوم) في القاهرة ويعود سنة ١٣٥٩هـ ليتولى (إدارة التعليم) في الاحساء بعد أن عرضت عليه (مديرية المعارف) العمل في تلك الوظيفة أو في التدريس في مدرسة تحضير البعثات كزميله الشيخ إبراهيم السويّل ، ولكنني رغّبته بالوظيفة الأولى لإداركي ما يتصف به من كفاءة ومقدرة ، فكان أن تولى العمل في المحرم سنة ١٣٦٠هـ فعالج ما اعتراه من ضعف وسوء إدارة بحكمة وإصلاح حتى استقرت أمور التعليم في تلك المنطقة ، ثم خلفه فيها الأستاذ عبدالعزيز المنصور التركي ــ رحمه الله ــ .

وحدث أن عُيّنَ الأستاذ طاهر رضوان المتخرج من (دار العلوم) في سنة ١٣٦١هـ في وظيفة من وظائف الشعبة السياسية بواسطة خاله الشيخ يوسف

ياسين فجرى بحثٌ في الديوان الملكي حول من تخرج من الطلاب السعوديين ممن يصلح لِيُرَشَّحَ في شيء من وظائف الخارجية ، فكان أن ذُكِر اسمُ الأستاذ الخيال والأستاذ السويل بين من ذكرت اسماؤهم ، فتم تعيين الأستاذ الخيال في شهر المحرم سنة ١٣٦٢هـ في وظيفة في المفوضية (قبل أن تكون سفارة) في بغداد ، وتدرج في الأعمال حتى صار سفيراً ، ثم نقل سفيراً في واشـنطن ، ثم سفيراً في الامارات العربية المتحدة ثم في النمسا حتى سنة ١٤٠٣هـ حيث أحس بأنه في حاجة إلى الراحة بعد أن أمضى في خدمة بلاده أكثر من أربعين عاماً في الشؤون الخارجية ، واكتسب خلالها خبرة قل أن يتاح لغيره اكتسابها .

وقبل تعيينه سفيرا في (الإمارات) تولى إدارة (الأشغال العامة) في الرياض فلم يرتح لهذا العمل ، فاستقال واستقر في بيروت فترة من الزمن ، قويت صلتي به .

لقد حرص اثناء عمله أن يُنَمِّي ما لديه من معرفة ، فكان أن التحق وهو في القاهرة بمدرسة (برلتس) لتعليم اللغة الانجليزية ، فأصبح لديه المام بها ، ومازالت معارفه تزداد بكثرة المطالعة حتى قلَّ أن يصدر كتاب بهذه اللغة له صلة ببلادنا دون أن يقتنيه ويطالعه مطالعة استفادة ، بحيث جمع ذخيرة طيبة من المؤلفات التي من هذا القبيل ، يضاف إلى هذا أن دراسته في (دار العلوم) مكنته من التزود بقدر واف من العلوم اللغوية والأدبية ، وحببته إلى مطالعة مؤلفات القدماء واقتنائها .

ولقد فكر في أيامه الأخيرة أن يراجع ماجمعه من وثائق ومعلومات ذات صلة بالأعمال التي تولاها وأن يدون شيئاً مما يراه مفيداً ، وان ينشر منها مايراه جديراً بالنشر ، فاستأجر مكتباً في احدى البنايات في محلة (العُلَيّا) ونقل إليه بعض مارغب في مطالعته من مؤلفات أو أوراق ، ولكن الأمر لم يتم له حيث عاجله قضاء الله وقدره .

ولاشك أن لدى ابنيه الكريمين فهد وفايز من عمق الإدراك والبر بوالدهما

ما يقوّي الرجاء من أن يستفاد من تلك المعلومات التي خلفها والدهما بعد اعدادها بالطريقة التي تهيء الاستفادة منها .

لقد انتابته الأمراض واعتورته شتى الآلام فنخر داء السكر جسمه ، وتصلبت بعض شرايين قلبه ، وأصيبت رئته في عهد شبابه بداءٍ سبب استئصال جزء منها ولكن ذالك أحدث له آلاماً في الصدر ظلّت تنتابه في فترات فتقضُّ راحته وتنغص حياته ، وقد تأثرت معدته بقرحة استؤصلت بطريقة جراحية ، ومع كل ذالك فقد كان يغالب تلك الأمراض ويتحملها بصبر وجلد ــ فالله يثيبه ثواب الصابرين ويجزيه ما وعدهم .

ولقد هيأ الله له زوجة صالحة كانت تحنو عليه وترأف به كرأفة الأم الرؤوم ، كانت تراعي ما يجب ان يتناوله من غذاء ودواء فتهيئه له وتحول دون ما عداه ، وكانت تلازمه في اسفاره وتتولى جميع شؤونه . أجزل الله لها المثوبة وأعظم أجرها .

ولقد كان نبأ وفاته بالنسبة لي مفاجئاً إذ قرأته في عدد يوم الاثنين من جريدة « الجزيرة » ــ ع ٥٧٣٠ في ٢٢ شوال ١٤٠٨/٦ حزيران ١٩٨٨م ــ وانه توفي يوم الأحد ٢١ شوال ١٤٠٨هـ ولم أكن عالماً بمرضه ، وكنت قد اتصلت به في آخر شهر رمضان فقررنا الاجتماع في إحدى ضواحي النمسا فترة من الصيف ــ كالعام الماضي ــ ، وما علمت انه رحمه الله أصيب في شهر شوال بمرض شديد سبب له غيبوبة تامة بحيث لم يشعر بحضور أسرته عنده .

لقد كان ذا عناية بنفسه من حيث التغذية والعلاج ولكن :

واذا المنية أنشبتْ أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسبغ عليه شآبيب الرحمة والغفران ، وأن يجبر من أصيب بفقده ويحسن عزاء أسرته ومحبيه ، ويجعلهم من الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

حمد الجاسر

الشيخ عبدالله بن سليمان السياري
١٣٥٢/١٢٨٠هـ

هو أبو محمد عبدالله بن سليمان بن سليمان بن محمد بن سليمان بن محمد السياري .

ولد رحمه الله في القويعية قاعدة بلاد العرض في نهاية العقد الثامن من القرن الـ ١٣ ونشأ في كنف والده في أسرة كريمة كانت تحترف الزراعة ، ولما اشتد عوده وآنس من نفسه الرغبة في العلم ، رحل لتلك الغاية إلى الرياض وإلى حوطة بني تميم ، وذالك إبان الاضطراب السياسي الذي حدث بين سعود وعبدالله ابني الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله فتلقى العلم في الحوطة عن الشيخ إبراهيم بن عبدالملك وكان من أقرانه الشيخ الصرامي وقد آثر عن الشيخ عبدالملك قوله : (القراءة للسياري والعلم للصرامي) لما كان يتمتع به السياري من حسن الصوت وجودة القراءة ، كما كان الصرامي يتمتع بحسن الخط وجودته .

وفي الرياض أخذ العلم عن الشيخين حمد بن فارس وعبدالله بن عبداللطيف ، الذي رشحه فيما بعد للقضاء في منطقة العرض بكاملها وكان ذلك في عهد الإمام عبدالعزيز عام ١٣٢١هـ بعد أن استتب الأمن واستقام الأمر للإمام ابن سعود في البلاد .

وبقي رحمه الله في هذا المنصب إلى أن وافته المنية في بلدة ضرما عند سيد بني عمه فيها عبدالله بن مهنا السياري رحمهما الله في ٢٧ شعبان من عام ١٣٥٢هـ بعد أن أمضى مايقارب اثنين وثلاثين عاماً في عمل القضاء .

وقد رثاه الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد هو والشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل معيوف الباهلي قاضي الوشم حيث ماتا في تلك السنة .

رحمهما الله وأسكنهما واسع جناته .

الرياض : عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله السياري

هذيل : بعض فروعها

قرأت في مجلة « العرب » س ٢٣ ص ١٨٩ مقالاً لأخينا الأستاذ راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي عن (هذيل أصولها ومنازلها القديمة) وقد شغل حوالي خمس وعشرين صفحة استعرض فيها بطون قبيلة هذيل القديمة وأصولها وقد ناقش كل بطن مناقشة تامة ، ولا أشك ان الأستاذ راشداً بذل قُصارى جهده حتى أصبح بحثه مرجعاً حافلاً عن تاريخ القبيلة .

قال الأخ الفاضل راشد في الأسطر الأولى من بحثه : وفي هذا البحث ذكرت فروع هذيل القديمة مع إشارة خاطفة إلى من يمثلها من فروع هذيل الحديثة مع التأكيد ان هذا البحث يختص ببطون هذيل القديمة ، إذ تركت الشطر الثاني من هذا البحث الذي يدور حول قبيلة هذيل وفروعها الحديثة لأخينا محمد بن علي بن هلال الحتيرشي .. الخ ما ذكر :

ان أخي راشداً أحسن الظن بي واولاني ثقة عظيمة فطلب مني الخوض في الخضم وأنا لا أقوى على ركوب اليم ، حيث أسند إلي الشق الثاني من بحثه . مع انه أجاد وأفاد ولم يترك مقالاً لقائل ، و (لا عطر بعد عروس) ومع ذالك فأحب ان اشير إلى مانشر لي من محاولة عن نسب قبيلة هذيل في هذه المجلة [س ٢٠ ص ٥٥٥] بمساعدة بعض مشائخ القبيلة وبعض الإخوة العارفين بنسبها ، وذكرت فيه قبائل هذيل الحديثة .

وحتى لا أخيب ظن أخي فساوضح بعض ما أرى حول الموضوع مؤيداً ومستدركاً على بعض ما نقله عني :

١ ــ ذكر أقسام قبيلة هذيل الرئيسة (أي القديمة) .

٢ ــ بنو سعد بن هذيل . ٣ ــ عُمير بن هذيل .

٤ ــ بنو لحيان بن هذيل . ٥ ــ بنو هرمة بن هذيل .

٦ ـ بطون هذلية أخرى .

والذي أرى أن لهذيل بن مدركة ولدين : سعد ولحيان . ومما يؤيد هذا اننا لو فتشنا في كتاب « ديوان الهذليين » لوجدنا أن الشعراء يرجع نسبهم إلى سعد أو إلى لحيان الا ما شذ ، وكانت الكثرة الكاثرة في بني سعد .

ومن جهة الديار نجد ديار قبيلة لحيان تعادل ديار بقية هذيل أو تزيد ، حيث كانت تمتد ديارهم إلى وادي غُران وبلدة رهاط ، وتتوغل في الحرم حتى الحجون على ما سمعت ، والشميسي كان يعد من ديارهم .

وساق الأخ راشد بطون بني سعد بن هذيل وفصلها تفصيلاً وافياً ورد بعض الشبهات حول نسب بعض الفروع مثل بنو مخزوم ولحيان .

وممن ذكر : الطلحيون نقلاً عن الأزرقي .

قلت : هم قبيلة الطلحات من هذيل اليمن .

ثم ذكر بني سعود ونباتة وزليفة وبني كعب وجميعهم معروفون ومشهورون من هذيل الحديثة .

أما ماذكره في ثنايا بحثه ، مثل آل أبي طرفه الذين كانوا مقيمين في مكة وبني زبيد بن مخزوم وبني شَمْخ بن فار وبني حارث بن مخزوم وبني ملاص بن صاهلة وبني المقعد وبني المعترض وغيرهم . فيظهر أنها كانت أفخاذاً صغيرة ترجع في البطون الكبيرة مثل بني تميم وخناعة وقرد وغيرهم .

وقال عن الصلهان : ينتسبون إلى صخر الغي .

ولا أدري ما وجه الاحتهال وربما يكون صخر الفي ـ بالفاء ـ فإن من الصلهان فرعاً يسمى صليم الفي(*) .

ولكن المتعارف عندهم أنهم ابناء محمد بن شفيع بن صليم بن فليت الهذلي .

ذكر العصمة وقال : ذكرهم الهجري وذكرمنهم أبا محمد العصمي من قرد من هذيل .

وأقول : لعلهم كانوا سكان جبل عصم ، وهو في أسفل وادي رَهْجَان من جهة الغرب ويسكنه الآن دعد من هذيل أو سكان جبل قُرَى عصم ، جنوب الزيمة متصل بجبل الأشعر .

وذكر من بطون لحيان بني عامر بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان .

قلت : يوجد بطن من لحيان النسبة إليه العامري لعلهم هم .

ثم ذكر دعداً ونقل ما قال الهجري عنهم . .

قلت : ذكرهم الجزيري صاحب كتاب « الدرر الفرائد المنظمة » في أحداث عام ٨٢٨هـ ـ ١/٧١٢ ـ حيث قال :

وفي ليلة التاسع من ذي الحجة خرج قطاع الطريق من صاهلة وهذيل ودعد والندويين على الحاج بمضيق منى وأخذوا قاضي مكة بهاء الدين أبا البقا محمد بن أحمد بن الضياء الحنفي العمري وعياله وسلبوهم ، وأخذوا جمالهم . . الخ ، قلت : صاهلة ودعد والندويون جميعهم من هذيل كما ذكر في أحداث عام ٩٦٠هـ الكباكبة وصاهلة والظهوان (وهم فرع من السراونة هذيل أهل نعمان) فقال ـ ٢/٩٢٣ ـ : ومن الحوادث في هذه السنة غضب الشريف ابي نُمي على أهل بجيلة فجهز لهم تجريدة حافلة ، من الدروع والبنادق وثلاث عجلات وقيل خمس مدافع لهدم حصونهم ، وأمر عربان تلك الجهة هذيل والكباكبة وظهران (كذا جاءت مصحفة والصواب ظهوان بعد الهاء واو وهم من السراونة من هذيل أهل نعمان ، ويجاورون الكباكبة) وعدوان وصاهلة ويعيد ثقيف . . الخ .

ومما نقله الأستاذ راشد عني : ان المطارفة أبناء مطرف بن عائذة الهذلي .

لقد قرأت في كتاب « نقائض جرير والأخطل » المنسوب لأبي تمام ص ٣٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت : في معنى كلمة (حره) : قال وأخبرني جماعة عن عائذة بن مطرف الهذلي عن أبي عبيدة قال : وجد كتاب يقال له المجلة . . الخ ومن هنا قلت ما تقدم عن المطارفة .

هذا ما أردت الإشارة إليه ، مشفوعاً بالتحية الطيبة للأخ راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي الهذلي .

مكة المكرمة : محمد بن علي بن هلال الحتيرشي الهذلي

(*) العرب : لقب صخر الغي ــ بالغين المعجمة ، لا بالفاء ــ لُقّب به لغوايته وليس علماً أو لقباً لأحد آبائه .

الزِّيَرَةُ في الزبير : من وائل

أنا أحد متابعي القراءة في كتب أنساب القبائل والعشائر ، ومن محبي هذا النوع من الثقافة . وهذا مادعاني لكتابة نبذة مختصرة عن نسب أسرتنا وعن الأسر التي تناسبنا معهم (بالمصاهرة) كي يتضح لك بعض الغموض .

إن أسرة الزِّبْر في حريملاء ثم في الزبير من بني وائل من عنزة من بشر من الحسنة من آل (أبو ربّاع) وهم من ذرية علي بن سليمان آل حمد من أهل حريملاء .

وكانت لهم الرياسة في بلدة حريملا ، ومنهم إبراهيم بن ناصر الزبر رئيس آل حمد أهل بلد حريملا قتل سنة ١٢٣٤هـ قتله آل راشد أهل حريملا ، والذي قتله ناصر بن محمد بن ناصر آل راشد ، ونُهبت جميع بيوت آل حمد ، وأجلوا من البلد ــ على ماذكر ابن بشر في « عنوان المجد » في حوادث السنة المذكورة .

وأسرتنا الآن معروفة في بلد الزبير من حيث النسب والأصل والمكانة المرموقة ، حيث أن آل إبراهيم آل راشد أهل حريملا الذين في الزبير في ذالك الوقت أبناء عمومتنا أصلاً ونسباً ، وهم الذين حكموا بلد الزبير أزمنة متفاوتة ، ولنا معهم مصاهرة ، ومع كبار أسر نجد الموجودين في الزبير .

وجدّي الشيخ ناصر بن إبراهيم الزِّبر شيخ علم ودين ، معروف بأخلاقه الحميدة . وكما قال عنه مؤلف كتاب « إمارة الزبير بين هجرتين » ج ١ ص ٢٥٢ هو من خيار الرجال . ولكن لم يذكر نسبه من أسرتنا ، إذ خصص الكلام عن الأنساب في الجزء الثاني من الكتاب .

وقد أفادني مؤلف كتاب « الزبير » قبل خمسين عاماً الأخ يوسف بن حمد البسام

أن لديه كتاباً قديماً ورد فيه ذكر أسرة الزير أهل حريملا أصلهم ونسبهم والأخ يوسف يسكن مدينة الدمام . وقد وعدني بأن يبعث لي صورة مما يتعلق بنسب الأسرة .

أما الأسر التي صاهرناها من أهل الزبير فمنها :

١ ــ العلي : معروفون في الزبير (بالليفة) هم من قبيلة سُبيع من أهل العودة في سدير ناسبهم أبوجدي وعمي .

٢ ــ اليحيا : من شمر من عبدة من أهل الغاط في سدير ناسبهم جدي .

٣ ــ العنقري : من بني تميم من أهل أثيثية في الوشم ، ناسبهم عمي .

٤ ــ الحمّاد : من الدواسر من الوداعين ، من أهل العودة في سدير ناسبهم عمي .

٥ ــ العوّاد : من بني تميم من جنوبية سدير ، ناسبهم عمي وأخي وابن عمي .

٦ ــ الدّباس : من الدواسر من الوداعين ، أهل العودة في سدير . ناسبهم والدي فهم أخوالي .

٧ ــ العودة : من عنزة من المدلج من بني وائل من أهل حرمة في سدير ، ناسبهم ابن عمي .

٨ ــ العنزي : من عنزة من الرولة ، ناسبهم ابن عمي .

٩ ــ العمران : من قبيلة بني تميم ، ناسبهم ابن عمي .

١٠ ــ آل فيحان : من بني حسين من أهل الأرطاوية ، ناسبهم ابن عمي .

ومن الأسر المعروفة انسابها ممن صاهرونا فتزوجوا منا : آل عمران من البدارين من الدواسر وآل راشد من آل حمد من وائل من حريملاء ، والعناقر من تميم ، وآل دِبَاس من الوداعين الدواسر ، من أهل عودة سدير ، وآل أبا بُطَيْن من عائذ من قحطان من روضة سدير ، وآل مُهَيْدب من تميم من جلاجل ، وآل بشر من أهل شقراء ، وغيرهم من الأسر التي لا نطيل بذكرها .

الرياض : عبدالرزاق بن عبدالله بن ناصر الزير

الظل الممدود
في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود

[انظر « العرب » س ٢٣ ص ٤٣١]

. . . من رسالة إلى مجلة « العرب » من الأستاذ الدكتور عبدالمنعم الجميعي :
وبعد : فإن الزخم الثقافي ، والحضور الفكري والتميز العلمي ، الذي تتمتع به مجلتكم هو الذي دفعني للكتابة إليكم .

لقد أدهشني تعليق مجلتكم الغراء في عددها المؤرخ (ذوا القعدة والحجة ١٤٠٨هـ) حول كتاب « الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود » الذي حققه الدكتور عبدالله أبو داهش ، وترجع دهشتي من هذا التعليق إلى مايلي :

١ ــ من يقرأ الكتاب قراءةً متأنية يجد به العديد من الأخطاء التي تزيد عن المئة ، ومنها أخطاء صارخة ، مثل أن المحقق في ص ٧٨ من الكتاب يوضح أن بئر إدام هو بئر إرم ، مع أن بئر إدام هو من أودية مكة المكرمة ، وعلى بعد ٥٧ كيلاً من جنوبها ، في حين أن بئر إرم كما ذكرها الهمداني توجد في منطقة حِسْمَى في ديار جذام وبالقرب من ديار ثمود .

٢ ــ ان المحقق قام بتغيير اسم مؤلف المخطوط ، وصوره في الكتاب المطبوع على أنه الاسم المكتوب في المخطوط ، فرفع اسم (آل الحفظي) وكتبه (العجيلي) والحقيقة وكما تعلمون أن ذالك لا يتفق مع الأمانة العلمية من ناحية المحافظة على الأصل المكتوب والتعليق في الهامش إذا كان هناك تعليق .

٣ ــ ادهشني أن مجلتكم الغراء نعتت المحقق ــ في العدد المذكور ــ بأنه : (مَعْنِيٌّ حقًا بتاريخ هذه المنطقة) أي منطقة عَسير ، في حين أنه في الحقيقة أديب ، أي متخصص في الأدب ، وليس في التاريخ ، وأن للتارخ رجالاته الذين يستطيعون الكتابة فيه ، ويؤكد قولي أن المحقق لم يقم بتحليل الأحداث التاريخية الواردة في المخطوط كما يجب ، كما أنه لم يتعرض لوصف حال العصر الذي كتبت فيه المخطوطة ، مما أخرج لنا تحقيقاً يشوبه (؟) الكثير من الموضوعية وعدم تَوَخي الدِّقة ، وإلى جانب ذالك فإن المحرر بمجلتكم الغراء لقب المحقق بأنه استاذ دكتور في حين أنه دكتور فقط .

أكون شاكراً لو نشرتم تعليقي هذا في مجلتكم الغراء ، وجزاكم الله خير الجزاء .

أبها : د. عبدالمنعم إبراهيم الجميعي
أستاذ التاريخ الحديث المعاصر ــ كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية

أسر قبيلة سبيع
في الحريق ونعام والحوطة والحلوة

نشر أحمد آل سليمان في « العرب » س ٢٢ ص ٦٨٩ مقالاً بعنوان « أنساب أسر بلدتي الحريق ونعام » ، وقد وقع في مقاله ملاحظات بخصوص الأسر السبيعية التي ذكرها مما حدى بي أن أكتب مقالاً في « العرب » س ٢٣ ص ٤١٠ بعنوان « الأسر المتحضرة من سبيع في الحريق ونعام » .

ثم ظهرت لي ملاحظات هامة على مقالي ، فأعدت صياغته وتوسعت فيه ليشمل الأسر السبيعية في الحريق ونعام وحوطة بني تميم أيضاً على هذا النحو :

١ ـ آل خثلان : قدموا من الرمحية ، ويسكنون الحريق منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري . وفروع آل خثلان هي :

(أ) آل زيد .	(د) آل رشيد .	(ز)آل فرحان .
(ب) آل سليمان .	(هـ) آل عزام .	(ح)آل حمادي .
(جـ) آل حمد .	(و) آل حنتوش .	(ط) آل ربيش بالأحساء .

وآل خثلان هم بنو راشد بن رشيد بن عبدالله ، من الجبور من الخضران من بني عمر من سبيع من عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان من عدنان .

٢ ـ آل هويدي : قدموا من الرمحية ويسكنون الحريق ، وقد انتقل معظمهم من الحريق إلى المزاحمية .

وهم بنو هويدي بن شويشان من الجبور من الخضران من بني عمر من سبيع .

٣ ـ آل الطلاسي : قدم الطلاسي من الرمحية وسكن الحريق ورزق بعثمان وعلي وهم بنوالطلاس بن ناصر بن دخيل بن وهيطان من الجبور من الخضران من بني عمر من قبيلة سبيع ، ويسكنون الحريق والرياض وهم غير آل ابن طلاس .

٤ ـ آل مسعد : قدموا من رماح ويسكنون الحريق ، وهم بنو مسعد الصيبفي من النبطة من الخضران من بني عمر من سبيع .

٥ ـ آل وطيان : قدم جدهم من رماح ، ويسكنون الحريق وهم من النبطة من الخضران من بني عمر من سبيع .

٦ ـ آل دُهَيم : قدموا من رَنْية ، ويسكنون الحَرِيق ، وهم من المفالحة من آل عمير من سبيع .

٧ ـ آل قويزاني : يسكنون الحريق ، من القبابنة من الشميسات من الزكور من قبيلة سبيع .

٨ ـ آل فارس : قدموا من العطّار ، ويسكنون نعام وهم من آل اسماعيل بن رميح من العرينات من الخضران من بني عمر من قبيلة سبيع .

٩ ـ آل حركان : قدموا من رماح ، ويسكنون نعام وهم من المدارية من الصعبة من بني عمر من سبيع .

١٠ ـ الروافع : يسكنون نعام وهم من آل محيميد من المشاعبة من آل عمير من سبيع .

١١ ـ آل إدريس : يسكنون نعام وقال د. محمد الدبل أنهم من آل رميان من سبيع وأن الحقيل ذكرهم من عائذ ، ولكن الصحيح ما ذكرنا . هذا قول الدبل . « منطقة الحريق تاريخها وحاضرها » ص ٧٥ ، ط ١ . ولكن علي الصرامي ذكرهم من عائذ في كتابه « حوطة بني تميم ، جغرافيتها وتاريخها » ص ٦٠ ، ط ١ .

١٢ ـ آل دخنان : قدموا من رَنْية ويسكنون حوطة بني تميم وهم من الوِزْرَان من الزكور من سبيع .

١٣ ـ آل مسرع : قدم جدهم من رنية ويسكنون الحلوة ، وهم بنو محمد بن زيد بن حمد بن عيسى بن حمد من الشميسات من الزكور من سبيع .

١٤ ـ آل ابن علي : قدم جدهم من رنية ويسكنون الحلوة وهم بنو علي بن حمد بن عيسى بن حمد من الشميسات من الزكور من سبيع .

١٥ ـ آل عامر : قدم جدهم من رماح ، ويسكنون الحلوة وهم من آل بليدان

من الجهالين من الصعبة من بني عمر من سبيع .

١٦ ــ آل خطيب : قدموا من رماح ويسكنون أسفل الباطن بالحوطة وهم من آل علي من الصعبة من بني عمر من سبيع .

١٧ ــ آل بعيجان : قدموا من رماح ، ويسكنون أسفل الباطن بالحوطة وهم من آل علي من الصعبة من بني عمر من سبيع .

١٨ ــ آل ذَوَّاد : بالحريق ونعام وهم من القواودة من بني عامر من قبيلة سبيع ، وكانوا أمراء الحريق ونعام سابقاً .

وفي أسفل الباطن بالحوطة أُسر سَهْلِيَّة من القبابنة من الشميسات من الزكور من سبيع . ومنهم :

١٩ ــ آل جليميد .	٢١ ــ آل مساعد .	٢٣ ــ آل عوضة .
٢٠ ــ آل دابان .	٢٢ ــ آل فراج .	٢٤ ــ آل عمر .

ويلاحظ أن معظم قبيلة السُّهول من سُبيع مثل الظهران والمحلف والقبابنة وآل منجل وآل محيميد وآل مرصوع والزقاعين وغيرهم . . مما لا يتسع المجال لذكره .

الرياض : عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

الشثور في بلد الأفلاج

كتب إلى صاحب « العرب » الأخ الكريم الأستاذ محمد بن ناصر الشثري كتاباً حول نسب أسرته (آل الشثري) وأرفق هذا الكتاب بوثيقة بخط الشيخ صالح ابن محمد الشثري المتوفى سنة ١٣٠٩ ، يجدها القاريُّ مصورة مع هذا ، ومما جاء في كتاب الأخ : إن الشثور المنسوبين إلى زياد ــ المذكور في تلك الوثيقة ــ موجودون في بلاد بني جَعْدَةَ منذُ عُرِف تاريخهم ، وهم الذين عَمَروا مدينة لَيْلاَ في حدود سنة ثماني مئة ، وقد بنوها على أنقاض الهيصمية بلدة بني كعب بن ربيعة ، وكان للشثور الإِمْرَةُ على معظم الأفلاج إلى حدود القرن الحادي عشر الهجري . انتهى وحبذا لو أن الكاتب الكريم زاد إيضاحاً في هذه المعلومات المتعلقة بتجديد

عمران مدينة ليلا على أنقاض الهيصمية ، وعن عهد الشثور في هذه البلاد وماذا يعرف من تاريخهم .



[illegible]
توءمل بن زياد بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة
بن قيس عيلان واسم قيس الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وفي قيس عيلان قبايل
كثيرة فمنهم فزارة وغطفان ومن غطفان ذبيان المنسوب اليهم النابغة الذبياني ومنهم
[illegible]
هكذا وجدته بخط الشيخ العلامة ناصر بن عثمان الشثري مفتي ديار [illegible]
نقلته من الشجرة التي وضعها في نسب قبايل بني شثر [illegible]
الشثري والله اعلم
[illegible]

[صورة الوثيقة]

وقد سبق لصاحب هذه المجلة أن نشر في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » ـ في الكلام على نسب الشثور ـ مضمون هذه الوثيقة نقلاً عن ورقة بخط الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود قاضي قطر .

وبعد ذالك اطلعت على نسب لهذه الأسرة الكريمة (آل الشثري) في كتاب مؤلف حديث هذا مُلخصه :

إبراهيم بن حمد الشثري (١١٨٠ ـ ١٢٦٣) وُلد في الأفلاج ويعود جده الأعلى شـــتر بن محمد بن مزحل بن زيد بن علي بن عليش بن عادي بن جمعان ابن هادي بن مسعود بن مبارك بن فالح ، ويلتقي مع بني لحيان بن سبفر بن عازب في (فالح) ، وفالح فرع من آل سرب بن سالم بن راجح (السربة) ، وسرب يجمع آل شتر وآل سهل بن ناجح بن محمد ، والسربة بطن من بني جحيش بن زيد أحد بطون آل سليمان بن زيدان[1] أحد عشائر حرق بن زارب (الحرقان) ، وحرق بن زارب بن أثير بن طلق من بطون بني قيس بن دعاس بن عاصم بن ربيع من بني مرمض من زبيد من بني الحارث بن كعب المذحجي ، وتحالف بنو حرق وبنو زهير مع طلق وأصبحوا في عدادهم ، وطلق من ولد الحارث بن كعب .

وتحولت قبيلة آل سرب (السربة) إلى نجد مع آل ضيغم بن شهوان بن منصور بن ضيغم بن منيف الجنبي مع قبائل قحطان ، واستقر معظمها في الأفلاج وحوطة بني تميم إثر حروب جرت بينهم وبين بني عقيل وحلفائهم من عدوان ، وزعب ، وخالد ، ولام ، أيام الأمير عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن غانم بن صقر اليزيدي عام ٧٦١ عندما دخلت قواته الوادي ، والأفلاج ، وحجر اليمامة ، وانتهت بانتصار آل سرب وأحلافهم من سبيع بقيادة بدر بن معن المعني الزعبي في موقعة (شتر) و(شيتّر) وهما جبلان يقعان جنوب (سقمان) بمرحلة ، وتصاهر الشتور مع بني زعب فيما بعد . وغدت إمارة الأفلاج والوادي لبدر بن معن الزعبي من قبل الأمير عبدالرحمن بن عبدالوهاب إلى أن انتزعها منه شريف مكة حسن بن أبي نمي ، وأمّر عليها الشريف حامد بن ياسين القاسم في مطلع القرن التاسع .

وبرز من الشتور علماء أفاضل ، وشعراء نبلاء ، وقد بسط والدي شأنهم وذكر تراجمهم وتراجم أعيان الأفلاج والوادي ، وحوطة بني تميم من (مضبطة) دفعها

الشيخ إبراهيم بن حمد بن محمد المشار إليه إلى جدي ويسطها والدي في كتابه « متعة الناظر ومسرح الخاطر » المقتضبة منها هذه السطور .

وعندما قام الإمام فيصل بن تركي حاول ضم وادي الدواسر ومناطق جنوبي نجد بالقوة ، وأرسل حملة بإمرة حمد بن محمد بن عبدالله بن عياف بن مقرن فلم تظفر بشيء ، ثم تم الصلح بين الطرفين في السنة التي تلت حيث أوفد فيصل وفداً برئاسة الأمير سعود بن إبراهيم بن عبدالله بن فرحان(٢) ، وعبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن فرحان ، والأمير مشاري بن عبدالله بن محمد بن عياف(٣) إلى عائض بن مرعي للتفاهم ، وتمّ الاتفاق على أن يبقى الوادي لعسير كحدٍ ، وعندما رأى عائض بن مرعي إمام عسير أن فيصل بن تركي يقاوم الترك ، ويحتاج إلى دعم وإمداد بالرجال ، وجد من الأفضل أن يلتحق الوادي بالإمام فيصل ليستعين بأهله ، وبمن يحتاج إليهم من الرجال ، وقد تم ذلك وانتقل ابن ضبعان إلى بيشة ، ولما هُزم فيصل بن تركي ، وأخذ أسيراً إلى مصر عام ١٢٥٢ عاد الأفلاج والحوطة ، والوادي وما جاوره من البلدان إلى تبعيتها الأولى تحت نظر الإمام عائض بن مرعي أمير عسير فعين عليه الأمير أحمد بن ضبعان لحماية تلك المناطق من الترك .

ولما فَرَّ الإمام فيصل بن تركي(٤) من مصر ورجع إلى نجد يقاوم الأتراك ومن والاهم فبدأ الأتراك أيضاً بمضايقته فطلب من الإمام عائض بن مرعي مساعدته بقوة ، فأمر الإمام عائض عامله ابن ضبعان الارتحال عما تحت يده والعودة ثانية إلى بيشة وذلك عام ١٢٦٠ ، وفي هذه الأثناء أرسل الشيخ إبراهيم بن حمد الشتري إلى الإمام عائض هذه القصيدة ، وحملها إليه وفد من أهل المنطقة منهم : الشيخ راشد بن رشود بن سعيد آل مهيض ، والشيخ الشريف إبراهيم بن محمود ابن منصور آل حامد ، والشيخ حمد بن علي بن عتيق ، وعبدالله بن عجلان ، ومبارك الصخيري ، ومحمد بن ناصر الكبري ، وكان قد سبقهم وفد من حوطة بني تميم بإمرة الشيخ تركي بن عبدالله بن تركي الهزاني وغيره من أعيان المنطقة ، ووجهاء الشترية ، وآل فوزان ، وآل خريف ، وآل حسين ، إذ أن معظم بلدان نجد قد اعتادوا ارتياد المنطقة لما بينهم من ارتباط ، ولموقعها التجاري ، وقد

استضاف الشيخ سحمان بن مصلح ووالدي هذا الوفد بإذن من الإمام عائض ، وبقوا في مدينة أبها حوالي ثلاثة أشهر ، فوفد عليهم طلاب العلم ينهلون من معارفهم ، وكان لهم حلقات في مسجد مناظر ، ورحبة شدا .

وكان الشيخ إبراهيم ــ رحمه الله ــ أبيض ، طويلاً ، نحيل الجسم ، دائم الابتسامة ، جهوري الصوت ، ذا شعر جيد ، وفيه جزالة وقوة ، ومعانٍ رفيعة ، سلسل العبارة . وذكر والدي في (متعته) عدة قصائد له في ترجمته مع بعض أفراد عائلته .

وتوفي الشيخ إبراهيم عن ستة أولاد هم : عيسى ، وسليمان ، وعلي ، وعبدالعزيز ، وعبدالله ، ومحمد . . . وهم من العلماء الأفاضل الذين ترجم لهم والدي . وكان الوادي ومنطقة جنوبي نجد قد انضمت إلى عسير أيام الأمير سعيد ابن مسلط وبقيت تتبعها أيام الأمير علي بن مجثل ، والأمير عائض بن مرعي ، وذلك عندما استولى الأتراك على نجد ، ولم يبق في جزيرة العرب من يقاومهم ويناهضهم سوى عسير التي يحمل قادتها دعوة التوحيد والتجديد حتى أطلق الأتراك عليهم (شيوخ الوهابية) في عسير . انتهى .

[الحواشي] :

(١) ينقسم آل حرق إلى عدة فروع منها : آل سليمان ، وآل سلمان ، وآل الغمر ، ويتفرع من آل سليمان خمسة بطون وهي : آل كناد ، آل قنفذ ، آل سلطان ، آل أبو جمعة ، آل جحيش ، ويتفرع آل جحيش إلى خمسة افخاذ وهي : آل سرب (السربة) ، وآل حسن بن زايد ، وآل عجيبة ، وآل الطميران ، وآل الورك ، وكانت مساكن آل السربة مع قومهم بوادي العرين بـ (طريب) في تثليث ، ولهم قرى : العلوب ، وقيان ، والعرقة ، والمضيق وغيرها ، هذا عدا الفرع من الحرقان الموجود في اليمن في (براد) وقد دخل في آل منيف من الضياغم من ولد روح ، ودخل قسم من آل جحيش مع قسم من آل معمر وآل سلطان مع بني زبيد العراق .

(٢) ومن أحفاد سعود تركي وناصر وبهما انحصرت ذرية آل فرحان . أما أخوه عبدالله فلم ينجب ، وكان قد سجن مع فيصل بن تركي ، وسار معه إلى الرياض عام ١٢٥٩ تحت حراسة عدة أشخاص من قبيلة روق ابن جحدر بن عبدالله بن سنحان ، وهم اللذين اختارهم والي مصر للحفاظ على فيصل لاستغلال ثوراته في نجد لبقائه والياً على مصر لأن احداث نجد مرتبطة به .

(٣) ومن أحفاد مشاري : حسن بن عبدالعزيز بن مشاري ، والعالم الورع الأصولي اللغوي الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مشاري ويعد عالم آل مقرن في هذا العصر ، ومن أبرز علماء نجد ، وفيهما انحصرت ذرية آل عياف .

(٤) انحصرت ذرية تركي في أولاده : فيصل ، وجلوي ، وعبدالله ، وانحصرت ذرية فيصل في ولديه سعود وعبدالرحمن ، وفي ذرية عبدالعزيز بن عبدالرحمن انحصر ملك آل سعود .

■ نسب معد واليمن الكبير :

سبقت الإشارة إلى مسارعة محققين جليلين لنشر هذا الكتاب هما الدكتور ناجي حسن من بغداد ، والأستاذ محمود فردوس العظم من دمشق ، فيما نشر في مجلة العرب س ٢٣ ص ٨٤٨ عند الحديث عن صدور هذا الكتاب بتحقيق الدكتور ناجي .

وهاهو الجزء الأول من تحقيق الأستاذ محمود فردوس العظم يصدر في مجلد كبير الحجم ، بلغت صفحاته ٤٢٤ ، وانتهى عند انتهاء نسب خَثْعم ، وقد سار الأستاذ محمود في تحقيق هذا الكتاب على الطريقة التي سار عليها في تحقيق كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي بغزارة الحواشي ، أما الأصل فقد نسخه بخط يده

النعت الأكمل

جاء في مجلة « العرب » س ٥ ص ٨٨٥ مانصه : (ولابن حميد مؤلف آخر هو « النعت الأكمل ، في تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ») . انتهى .

وهذا خطأ ، فكتاب « النعت الأكمل في تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل » أَلَّفَهُ أَوَّلاً كمال الدين محمد بن محمد الْغَزِّي .

ثم ألف الشيخ عبدالله بن علي بن محمد بن حُمَيد المتوفَّى سنة ١٣٤٦ كتاباً بهذا الاسم ، جعله ذيلاً على كتاب « السحب الوابلة » الذي ألفه جَدُّهُ الشيخ محمد ابن عبدالله بن حُميد (١٢٣٦/١٢٩٥هـ) ، ولهذا الحفيد منسك هو « تحفة الناسك لأداء المناسك » مطبوع بمطبعة الترقي الماجدية العثمانية بمكة لصاحبها محمد ماجد الكردي مع مجموع رسائل لبعض علماء مكة .

وقد جرى التنبيه على هذا الخطإ في الكلام على ترجمة صاحب « السحب الوابلة » ـ [العرب : ٦٤١/١٢] .

ثم صُوِّرَ ، ولهذا فقد سلم من التطبيع (الأخطاء المطبعية) وإن لم يسلم من الهفوات اليسيرة المتعلقة بضبط الأسماء ، ومهما يكن الأمر فَجُهْدُ المحقق جدير بأن يُذْكر فَيُشْكَرَ .

والنسخة التي أعتمدها المحققان أصلا لها وحيدةٌ وهي مخطوطة مكتبة (دير الاسكوريال) وهي كثيرة الأخطاء ، وحبذا لو رجعا إلى مخطوط « مختصر الجمهرة » نسخة مكتبة راغب باشا فهي مثال في الدقة والصحة ، ولعل مما يَسُرُّ المعنيين بالمؤلفات عن الأنساب العربية القديمة قيام الأستاذ محمود فردوس العظم بنشر هذا الكتاب ، عن تلك النسخة ، أعني « مختصر جمهرة النسب » التي تمنيت أن تنشر مُصورة بدون زيادة ولا نقصان ، فهي من الصحة على درجة لا تحتاج معها إلى أيِّ عمل سوى وضع فهارس في آخرها كما كان يفعل بعض المستشرقين في بلاد الروس ، عند نشر شيء من المؤلفات القديمة ، ولا أزالُ أتمنى ذالك بعد اطلاعي على مسودة كتبها الأستاذ العظم بخط يده الجزء الأول من الكتاب .

■ النكت في تفسير كتاب سيبويه :

وقام (معهد المخطوطات العربية) في الكويت بنشر كتاب « النكت في تفسير كتاب سيبويه » لأبي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشُّنْتَمَرِي الأندلسي ـ المتوفى سنة ٤٧٦هـ ـ بتحقيق الأستاذ زهير عبدالمحسن سلطان ، ويُعَدُّ هذا الكتاب من المصادر الأصيلة لتفسير الكتاب الذي هو أشمل كتاب وأوفاه في علم النحو ، وللأعلم الشُّنْتَمَرِيِّ يَدٌ طُولَى في الاطلاع على مصادر الأدب العربي القديم ، وله اهتمام وعناية خاصة بكتاب « الحماسة » لأبي تمام .

وقد صدر هذا الكتاب في مجلدين ، بلغت صفحاتها (١٤٧٨) تقع الفهارس المفصلة ابتداء من صفحة (١٢٧٩) والتحقيق يَنُمُّ عن جُهْدٍ ، والطباعة حسنة ، ومايبذله (معهد المخطوطات العربية) في سبيل إحياء التراث من الجهود البارز أثرها ، العامّ نفعها ، وقد طبع في الكويت ـ وصدر سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .

■ فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن :

وقام (المجمع العلمي العراقي) في بغداد بنشر كتاب « فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن » لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي البغدادي (٥١١ ـ ٥٩٧هـ) بتحقيق الأستاذ الدكتور رشيد عبدالرحمن العُبَيدي ـ الأستاذ في كلية التربية في جامعة بغداد ، والكتاب كما يدل عليه عنوانه ـ يتعلق بعلوم القرآن ، التي تزخر المكتبة العربية بالمؤلفات فيه من مخطوط ومطبوع ، وابنُ الجوزي ـ رحمه الله ـ من العلماء المكثرين من التأليف في كل فَنّ ، بحيث بلغت مؤلفاته من الكثرة بدرجة لا يصدقها العقل ، وقد ذكر ابنُ خلكان في ترجمته أن مؤلفاته لو قسمت على أيام حياته لخرج لكل يوم عدد من الكراريس ، ويظهر أنه كان يستعين بتلاميذه بالتأليف في موضوعات يختارها ، ويكتفي بعد ذالك بإلقاء نظرة على ذالك ، ثم ينسب الكتاب إليه .

ولقد صدر هذا الكتاب في (٣٦٤) صفحة بمقدمة ضافية وفهارس مفصلة ، وتحقيق حسن ، وطباعة لا بأس بها ـ بمطبعة المجمع العلمي العراقي ـ وصدر عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) .

■ رحلة أوليفييه إلى العراق :

أوليفييه (OLIVIER) رحالة فرنسي تجول في عدد من أقاليم الدولة العثمانية فيما بين سنتي ١٢٠٨ ، ١٢١٢ ، أي من سنة ١٧٩٣ حتى سنة ١٧٩٧ ، وزار العراق مرتين خلال سنتي ١٧٩٤ ، ١٧٩٦ ، فمر بالموصل وإربل وكركوك ، وبغداد والحلة فالبصرة ، كما مر ببعقوبة والمقدادية ، وقد نشرت رحلته باللغة الفرنسية ، وتعتبر مرجعاً لتاريخ العراق في تلك الفترة .

وقد قام الأستاذ الدكتور يوسف حُبِّي بترجمتها إلى اللغة العربية ، لا كُلَّ الرحلة ولكنه اختار فصولاً منها تتعلق بالعراق ، بمقدمة عن وصف الرحلة وترجمة الرحالة ، وذكر محتويات الرحلة ، وفيما عربه الدكتور يوسف حبي إمتاع وطرافة ، واستهواء للقاريْ الذي لا يُسْئِمُ ذِهْنَهُ بالكدّ والتعب بالاستغراق في

التفكير ، وقد ألحق المعرب بالرحلة بعض الرسوم المصورة ، ومخططاً جغرافياً (خريطة) كان أحسن صنعاً لو رسمها باللغة العربية ، ثم فهارس للاعلام والأماكن والنبات والحيوان ، بعدها فهرس الكتاب بإيضاح موضوعاته كاملة .

وجاء ذالك كله في (٢٧٨) صفحة مطبوعاً بمطبعة (المجمع العلمي العراقي) في بغداد ، وصدر عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) .

تاريخ التراث العربي : [انظر «العرب» س٢٣ ص٥٤٢/٧١٩]

وصدر المجلد الثامن من كتاب « تاريخ التراث العربي » تأليف الأستاذ فؤاد سزكين وهذا المجلد يتضمن المؤلفات في علم اللغة منذ بدء التدوين إلى حوالي سنة ٤٣٠ ، وقد نقله إلى اللغةالعربية الدكتور عرفة مصطفى وراجعه الأستاذ مازن عماوي ، وقامت بنشره جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وطبع في مطبعتها عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) ويقع هذا المجلد في جزءين صفحاتها ٧٢٨ وقد أُلحق بالجزء الأخير مستدركٌ على المجلد السادس عن مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم ، ويحوي تقارير وفهارس في هذا الموضوع من ص ٥٣٠ إلى ٥٥٧ ثم فهارس هذا المجلد تتضمن أسماء المؤلفين الذين ورد ذكر شيء من مؤلفاتهم ، ثم فهرس أسماء الكتب فأسماء المؤلفين والمحققين والدارسين من المحدثين ، وقعت الفهارس من ص ٥٥٨ إلى آخر المجلد .

وممن راجع هذا المجلد كما يتضح من الصفحة الأخيرة منه الدكتور بدوي طبانة .

ولقد كان من المستحسن أن يطبع كل قسم من هذا الكتاب متسلسل الصفحات كما حدث في هذا المجلد ، لا أن يوزع أجزاء صغيرة لكل جزء صفحات محدودة مرقمة ، كما حدث في المجلدين الأول والثاني بأجزائهما ، لأن هذا مما يربك القارئ ، وفي الوقت نفسه يوقع الحيرة في البحث عن المترجمين في ذالك القسم من الكتاب ؛ هذا إذا لم يَتَيَسَّر ترقيم جميع صفحات أقسام الكتاب كل قسم بأرقام متسلسلة .

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف ٤٦٣١٦٠٤
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٣، ٤ س ٢٤ رمضان/ شوال ١٤٠٩هـ - آذار/آيار (مارس/ أبريل) ١٩٨٩م

نظرة في المعاجم العربية الحديثة

اللغة أبرز مقوم من مقومات الأمة، تنمو وتتطور في إبَّانِ رقيها وازدهارها، وتجمد وتتوقف فيها الحياة في أيام انحطاطها وخمولها. إنها صورة الأمة تعكس تفكيرها وخيالها ومهاراتها.

ذالك بِأَنَّ اللغة والفكر تَوْأَمَانِ لا ينفصلان، وتتسع اللغة وتغنى بقدر مايقدمه أبناؤها من خبراتهم ومبدعاتهم في ميادين الحضارة والتقدم.

وهذه المكانة السامية التي تحتلها اللغة في حياة الأمة هي التي تُفْصِحُ عن الأسباب العميقة الكامنة التي تدفع الأمم جميعاً أن تُولِي لُغَاتِها العنايةَ البالغة، وتحرص الحرص الشديد على ازدهارها وتطورها.

ولقد عرفت اللغة العربية بسعتها وثرائها، وماتملك من وسائل النُّمُوِّ والتطور.

وإنَّ التراث العربي بخصبه وتنوعه وغزارته وكثرة مبتكراته لشاهِدُ عَدْلٍ ينطق بقدرة اللسان العربي وطواعيته لإسْتيعاب أنواع العلوم والمعارف، ودليلٌ مبينٌ يكشف عن كفايته في التعبير عن أدقِّ المعاني وأجلّها على السواء.

إن الخطوة الأساسية الأولى التي لابُدَّ منها في تأصيل العلوم وتوطينها لتمضي الأمة العربية في طريق النهضة العلمية وتشارك فيها، هي اصطناع العربية لغة التعليم والتأليف والبحث، إلى جانب اصطناعها لغة الحديث والإعلام والحياة اليومية.

ومثل هذا الاصطناع يتطلب تَظَافُرَ الجهود في عدة ميادين، يُضَمُّ بَعْضُهَا الى

بعض في تعاون وثيق ، لتقوى اللغة العربية على القيام بمهمتها الحضارية على الوجه الأمثل .

ويأتي في مقدمة مايحسن القيامُ به للنهوض بالعربية وَضْعُ المعاجم الحديثة ، التي تلبي رغبة الباحث المتعمق ، والمثقف الدارس ، والطالب الناشئ ، تقدم لهم التفسير الدقيق المحدد لما يغمض عليهم من ألفاظ ، وتقربها إليهم واضحة سهلة ، فتغنى بذلك ثروتهم اللغوية ، ويصبحون أقدر على التعبير عن المعاني التي تخالجهم ، والخواطر التي تراودهم .

كذالك فإنَّ المعجم يُسْعِفُ في ضبط الألفاظ وتحديد دلالاتها ، ويجنب الناس خطأ التعبير الذي يُؤَدِّي إلى سوء الفهم .

وَلِـمَا للمعجم من شأن كبير في حفظ اللغة وضبط معانيها ، فقد كثرت عناية الأمم بوضع المعاجم ، وافْتَنَّتْ في تنويعها ، وحرصت على تجديدها لِتُلَبِّيَ الحاجات المتجددة ، وتستجيب للمتطلبات التي يفرضها التطور ودواعي العصر .

وحين انبعثت النهضة العربية الحديثة كان مِنْ أول ما قام به دعاتها ومفكروها نشر التراث العربي والاهتمام بالمعاجم التي أولوها عناية بالغة . وقد مضوا في طريقين :

١ ــ أولهما : طبع المعاجم العربية القديمة بأنواعها المختلفة :

(١) كـ «جمهرة اللغة» و«الصحاح»، و«لسان العرب»، و«القاموس المحيط»، و«تاج العروس» وأمثالها من معاجم الألفاظ العامة الشاملة.

(٢) وكـ «المصباح» للفيومي، و«المغرب» للمطرزي، و«طلبة الطلبة» للنسفي، وأمثالها من معاجم الألفاظ الخاصة .

(٣) وكـ «المخصص» لإبْنِ سِيده، و«فقه اللغة» للثعالبي ، وأمثالها من معاجم المعاني .

(٤) وكـ «جواهر الألفاظ» لقدامة، و«الألفاظ الكتابية» للهمَذاني وأمثالها من كتب الألفاظ والتعابير المترادفة .

(٥) وكـ «مفاتيح العلوم»، لأبي عبدالله محمد الخوارزمي، و«التعريفات»، للجرجاني، و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي، و«الكليات» لأبي البقاء الكفوي، و«جامع العلوم في اصطلاحات الفنون» (الملقب بدستور العلماء) للقاضي الأحمد نكري، وأمثالها من معاجم المصطلح.

وهو باب واسع افْتَنَّ فيه العربُ، وأكثروا من التأليف فيه، من أمثال كتب الغريب، واصلاح المنطق (تثقيف اللسان، ولحن العامة....)، والفصيح، والنوادر، والأضداد، والهمز، والأبنية، والإبدال، والإتباع، والمثنى، والفروق...

وليس من هَمِّنَا حصر ذالك وتعداد أنواعه، وإنما هي الإشارة الدالة على نماذج من التآليف المعجمية العربية القديمة التي طُبعت في العصر الحديث، وكان لها أثرها في النهضة اللغوية الحاضرة[1].

٢ ـ وأما الطريق الثاني الذي نهجه علماء اللغة في عصر النهضة الحديثة تعزيزاً لعنايتهم بالمعجم العربي فهو التأليف، كي يصبح المعجم العربي حديثاً مُلَبِّياً لحاجات العصر ومتطلباته، متضمناً كل ماجدٌ في اللسان من مصطلح وأساليب دارت على ألسنة العلماء، واصطنعها الأدباء والمؤلفون في كتبهم ورسائلهم.

وقد تنوعت المعاجم في العصر الحاضر تنوعاً كبيراً استجابة لمطالب العصر، وسلك المؤلفون طرائق شتى ليلبوا الحاجات المتزايدة المختلفة.

ثم إنهم لم يكتفوا بالمعاجم الآحادية اللغة، ينهجون في تأليفها وجوها شتى، بينها العام الشامل، وبينها المتخصص، ومنها مايقتصر على اللغة الخالصة وحدها، ومنها مايُمِدُّ من آفاقه لِيَضُمَّ إلى اللغة الأعلام وماشابهها.

بل افْتَنُّوا في تأليف معاجم ثُنَائيةِ اللغة وثُلاثيتها وفوق ذالك، تسهيلاً للباحثين والدارسين، واستجابة لمطالب العلم والتطور والنهضة.

ولن أعرض في كلمتي لهذا الفيض الدافق من المعاجم باتجاهاته المختلفة فلذالك موضع آخر[2]. ويكفيني هنا أن أحصر بحثي في عرض أشهر ماأُلِّفَ من المعاجم العامة الشاملة في العصر الحديث، أُلِمُّ بها إلمامةً سريعة، توطئة لبيان

الضرورة في تأليف المعجم المتوسط المرتقب ، الذي أسفر عنه الاجتماع الخاص الذي عقد في الكويت في مقر (الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي) في المدة (١١ ــ ١٣/٧/١٩٨٨م).

١ ــ «محيط المحيط»: لبطرس البستاني :

يعد المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ ــ ١٨٨٣م) رائد التأليف المعجمي في العصر الحديث . ألف معجمه «محيط المحيط» وأصدره في مجلدين (١٨٦٦ ــ ١٨٧٠م). وصرح في مقدمته بأنه يقدم كتابه هدية للسلطان العثماني عبدالعزيز خان .

رتب البستاني مواده اللغوية على أوائل الحروف ، وأوضح الطريقة التي نهجها في تأليف معجمه فقال: (إذا شئت كشف لفظة ، فإذا كانت مجردة فاطلبها في باب أول حرف منها، وإذا كانت مزيدة فَجَرِّدْها أولاً من الزوائد ، ثم اطلبها في باب الحرف الأول مما بقي . وإذا كان في الكلمة حرف مقلوب عن آخر فاطلب تلك الكلمة في مكان الحرف الأصلي المقلوب عنه . وكل ذالك يسهله الاستعمال والممارسة . واعلم أن ج مقطوعة من جمع) .

وبيَّن المؤلفُ أن معجمه يحتوي على مافي «القاموس المحيط» للفيروزابادي من مفردات اللغة، وعلى زيادات كثيرة، وقد ألحق بذالك اصطلاحات العلوم والفنون، وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد ، وغير ذالك مما لا يتعلق بمتن اللغة . وذكر كثيراً من كلام المولَّدِين ، وألفاظَ العامة ، مُنَبِّهاً في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة[٣].

ولهذه الإحاطة الشاملة سمَّى البستاني كتابه «محيط المحيط» . ويُحِسُّ مطالعه بالجهد الكبير الذي بذله المؤلف ، وكثرة الكتب والمظان التي استعان بها . وساعده في ذالك معرفته بالسريانية واللاتينية والايطالية والعبرانية وغيرها من اللغات .

وفي المعجم فوائد كثيرة لا تكاد تجدها في معجم سابق . وتناثرت فيه أشعار العرب الأقدمين والمولدين ، وكلام البلغاء والكتاب ، ونقل من «مقامات

الحريري» وأمثالها شواهد وأمثلة ، وفسر كثيراً من ألفاظ الدين المسيحي .

ومما أُخِذَ عليه أنه لم يلتزم ببيان العامي وتمييزه من الفصيح ، كما وعد ، ووقع في هفوات كثيرة ، أشار إلى جملة منها الشيخ إبراهيم اليازجي في كتاب «التنبيهات»(٤).

ونبه سعيد الشرتوني على أن «محيط المحيط» قد دُسَّ فيه من الكلمات العامية بلا تنبيه على عاميتها ، وجُعِلَتْ جملةٌ من الألفاظ العامية مولدةً ، وحكم فيه على بعض الفصيح أنه عامي . وتابع ماوقع في «القاموس المحيط» من غلط(٥).

ويقال: إنَّ من أسباب وقوع البستاني في الزلل استمداده من «المعجم العربي اللاتيني» الذي ألفه جورج فريتاغ(٦).

٢ ــ «قطر المحيط»: لبطرس البستاني :

وقد ألفه البستاني في عام ١٨٦٩م، وهو موجز عن كتابه «محيط المحيط»، وغايته من تأليفه تسهيل اللغة وتقريبها إلى الطلاب . فالكتاب يَرْمِي إلى غرض تعليمي خالص . يقول البستاني: (فمن طلب قرب الطريق والمناولة ، فعليه بكتابنا المسمى بـ«قطر المحيط» الذي ــ مع أنه أخصر منه مقالاً وأقرب مجالاً ــ لا يقصر عنه في الفوائد المتعلقة باللغة الأصلية والنوادر الصرفية والنحوية. . . .)(٧).

٣ ــ «أقرب الموارد، في فصح العربية والشوارد»: لسعيد الشرتوني :

ألف سعيد الشرتوني معجمه «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد» وأصدره في مجلدين سنة ١٨٩٠م(٨).

وقد رمى من تأليف المعجم إلى غاية تعليمية ، ليساعد الطلاب في تعرف المعاني ومايليق بها من الألفاظ ، وتتراءى لهم بلاغة كلام المتقدمين .

وسلك المؤلف في ترتيب معجمه طريقة سلفه المعلم بطرس البستاني في «محيط المحيط» و«قطر المحيط» فأورد الألفاظ منسوقة على أوائل أصولها ، وقدم للمعجم بما يساعد قارئه على الإفادة منه ، وعدد مصادره التي استقى منها مادة كتابه وهي :

(١) «لسان العرب» لابن منظور، (٢) «أساس البلاغة» للزمخشري، (٣) «الصحاح» للجوهري، (٤) «المصباح المنير» للفيومي، (٥) «مفردات القرآن» للراغب الاصفهاني، (٦) «المغرب» للمطرزي، (٧) «تاج العروس» للزبيدي، (٨) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، (٩) «المجمل» لابن فارس، (١٠) «مختار الصحاح» للرازي[٩].

وكان من مصطلح المؤلف لتسهيل المراجعة في كتابه أن وضع كل مادة في صدر السطر، مكتنفة بنجمين، وكذلك فعل بكل فرع من فروعها فحصره بين هلالين[٩].

ويعد معجم «أقرب الموارد» من أكبر المعاجم التي ظهرت في القرن التاسع عشر.

الذيـــل :

ثم أضاف الأستاذ الشرتوني إلى معجمه «أقرب الموارد» ذيلاً ضمنه ثلاثة أمور :

(١) ـ ماكان أهمله وذهل عنه من الكلم الوارد في كتب أهل اللسان.
(٢) ـ مانَدَّ عنِ التدوين في المعاجم.
(٣) ـ إصلاح ماوقع من الأغلاط في معجمه «أقرب الموارد».

وأصدره في مجلد واحد عام ١٨٩٤م. وصرح في مقدمته بأنه يهدي كتابه إلى السلطان العثماني عبدالحميد خان[١٠].

وقد آثر البستاني والشرتوني فيما ألفاه من معاجم التَّقَيُّدَ بعبارات الأقدمين اللغوية، وعبارة صاحب «القاموس» خاصة. وصرح الشرتوني بذالك وعلله. قال: (وقد تحريت المحافظة على عبارات الأقدمين... فهم أَرْحَبُ منا فهما لمعاني كلام العرب...)[١١].

٤ ـ «معجم الطالب»: لجرجس همام الشويري :

صدر «معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات

العلمية والعصرية» لجرجس همام الشويري في عام ١٩٠٧م (المطبعة العثمانية ــ بَعْبَدَا / لبنان)[١٢].

وقد رمى مؤلفه إلى جمع الشائع من الألفاظ ، وضمَّ مااستحدث من المصطلحات العلمية في معجم : (يجمع بين غزارة المادة. . . وتحرير العبارة)، ويلبي حاجة طلاب المدارس ومقتضيات العصر ، ويبرأ من التعقيد .

وقد استعان الشويري في عمله بـ «لسان العرب» و«تاج العروس» و«الصحاح» و«أساس البلاغة»، و«المصباح» و«محيط المحيط» وغيرها[١٣].

والحق أن مؤلف معجم الطالب قد أفاد من كتاب «محيط المحيط» في جمع مادة كتابه وترتيبها .

٥ ــ «المنجد»: للأب لويس المعلوف:

أخرج الأب لويس المعلوف معجم «المنجد» عام ١٩٠٨م ، وقد نهج في ترتيب مواده نهج «محيط المحيط» و«أقرب الموارد»، وأفاد منهما كثيراً .

ولكنه تقدم خطوات جديدة في الترتيب، فقسم كل مادة إلى فصائل وفقاً للمعاني ، واصطنع اصطلاحات للدلالة على صيغة الكلمة أو صفتها ووضعها مثل :

(فا = اسم الفاعل، ج = الجمع، مث = المثنى، فك = علم الفلك. . .).

وجاء في ختام المنجد رسالة صغيرة بعنوان : (فرائد الأدب في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب).

وقد أقبل الطلاب على «المنجد» وتداولوه لحسن ترتيبه ، وسهولة المراجعة فيه ، فطبع مراراً ، وعني المشرفون عليه بتحسينه ، والإفادة من التقنيات الجديدة في طبعه واخراجه .

وألحق بـ «المنجد في اللغة» في عام ١٩٥٦م (الطبعة العاشرة) «المنجد في الأعلام».

وصدرت طبعة «المنجد في اللغة والأعلام» السابعة والعشرون عام ١٩٨٤م .

ومن حسنات «المنجد» عنايته بالصور والخرائط التي تعين في إيضاح المراد وبيانه . وعلى ماناله «المنجد» من رواج فإنه تعرض لنقد لاذع، دَعَا إليه ماتورط فيه من أغلاط في اللغة ، وأوهام في الاعلام[١٤].

وفي عام ١٩٤١م أصدر الأستاذ فؤاد أفرام البستاني مختصراً للمنجد في اللغة سماه «منجد الطلاب» .

٦ ـ «المعتمد»: لجرجي شاهين عطية :

صدر معجم «المعتمد في مايحتاج إليه المتأدبون والمنشئون من متن اللغة العربية» لجرجي شاهين عطية في عام ١٩٢٧م (مطبعة صادر ـ بيروت)[١٥].

وبيّن المؤلفُ في مقدمته أن الحاجة ماسّةٌ إلى معجم جديد يستوفي شروط الدقة والإحكام ، مع سهولة المأخذ ، وحسن الأسلوب ، ليستجيب لمتطلبات النَّشْءِ الحديث في المدارس، ويُمَكِّنَهم من الوقوف على مفردات اللغة ، والإحاطة بمعاني كلماتها دون عناءٍ .

وعُنِي المؤلف بالدلالة على الألفاظ المولدة والدُّخِلية ، مشيراً في المعرب منها إلى اللغة التي هو منقول عنها .

وأدمج من الألفاظ الدالة على المخترعات الحديثة والمصطلحات العلمية ماتَمَّ عليه اتفاق علماء العصر وكتابه .

وكان معتمده الأول في معجمه «لسان العرب» و«تاج العروس»، واجتنب ماتساهل فيه بعض مؤلفي المعجمات من إثبات الألفاظ العامية أو التي لم يوافق جهابذة النقد وأمراء البلاغة على استعمالها[١٦].

وقد زين المعجم بصور قليلة تعين على إيضاح المراد .

٧ ـ «البستـان»: لعبدالله البستاني:

قام عبدالله البستاني (١٨٥٠ ـ ١٩٣٠م) بتأليف معجم «البستان» وأصدره في

جزأين مابين سنتي (١٩٢٧ ـ ١٩٣٠م/ المطبعة الأميركانية - بيروت)[١٧].

قضى المؤلف في تهيئة كتابه زهاء عشر سنين (١٩١٧ ـ ١٩٢٧م)، وقد فرغ من تبييضه (١٩٢٧م) ليقدمه إلى المطبعة ، ولم يُتَحْ له أن يضع مقدمة لكتابه يكشف فيها عن بواعث تأليف المعجم، ويوضح المزايا التي وفرها لعمله، فقد أرجأ كتابة المقدمة حتى يتم طبع الكتاب، ولكن المنية وافته قبل إنجاز طبع الجزء الثاني من كتابه بعشرة أيام[١٨].

وقد استعان عبدالله البستاني في جمع مواد كتابه بمعاجم اللغة كـ «اللسان» و«التاج» وغيرها من كتب المتقدمين، كما أفاد من كتابي «محيط المحيط» و«أقرب الموارد» وماتلاهما من كتابات أكابر النقاد اللغويين . ولَمْ يُجَارِ في كتابه صاحب «محيط المحيط» في إثبات الألفاظ العامية .

٨ ــ «فاكهة البستان»: لعبدالله البستاني :

توخى البستاني في معجمه «فاكهة البستان» تلبية حاجة طلاب المدارس إلى معجم يفي بمتطلباتهم ، ويسهل عليهم معرفة مفردات اللغة ، فاختصر كتابه المطول «البستان» وأصدره في جزء واحد سنة ١٩٣٠م (المطبعة الأميركانية - بيروت)، وسمّاه: « فاكهة البستان »[١٩] .

٩ ــ «المعجم المدرسي»: لزين العابدين التونسي :

ألف الأستاذ زين العابدين التونسي معجماً صغيراً[٢٠]، يعين طلاب المدارس في الكشف عن معاني المفردات اللغوية، ويؤهلهم لمطالعة المعاجم المبسوطة . وقد طبع الكتاب غير ما مرة ، وعني مؤلفه بتيسير عبارته وتقريبها إلى الناشئة .

١٠ ــ «معجم متن اللغة»: للشيخ أحمد رضا :

كلّف (مجمع اللغة العربية بدمشق) العلامة الشيخ أحمد رضا (١٨٧٢ ــ ١٩٥٣م) عضو المجمع وضع معجم مبسوط في اللغة، وصدع الشيخ أحمد بالأمر ، وأكبّ على عمله يجمع ويهيِّئ مدة عشر سنين (١٩٣٠ - ١٩٣٩م)، مستعيناً بأمهات كتب اللغة ، ولاسيما «لسان العرب» و«تاج العروس» ويليهما

«أساس اللغة» للزمخشري و«مختار الصحاح» للرازي، و«المصباح المنير» للفيومي، فإذا نقل عن غير هذه الكتب الخمسة نبّـه على ذالك وأشار إليه[٢١].

ثم إنه أعاد في عمله وأبْدَأ منقّحاً مهذباً حتى استقام له كما يجب سنة ١٩٤٧م . وكان المأمول أن ينهض المجمع بطبع المعجم عام ١٩٤٨م، طبق الاتفاق المبرم بينهما . ولكن أموراً قاهرة حالت دون ذالك . وتوفي الشيخ أحمد رضا رحمه الله قبل أن يرى كتابه النور .

وشاء الله أن تتألف لجنة لطبع آثار الشيخ ، وفي مقدمتها معاجمه اللغوية الثلاثة: «متن اللغة» و«الوسيط»، و«الموجز».

وصدر كتاب «متن اللغة» في خمسة مجلدات ، مابين سنتي (١٩٥٨ - ١٩٦١م / دار مكتبة الحياة - بيروت)[٢٢].

وكتاب «متن اللغة» يعد صفحة جديدة في حركة المعجم العربي الحديث . إنه من أوسع المعجمات وأوثقها وأدقها واضبطها . وللمؤلف مقدمة طويلة بين يدي الكتاب ، تناول فيها أبرز قضايا اللغة العربية ، ثم عرض لبيان الطريقة التي اختارها في ترتيب كتابه : رتبه على أصل المادة المجردة من الزيادات في الحروف ، على نسق الحروف الهجائية . وبدأ في المادة بذكر الفعل الثلاثي المجرد ثم المزيد . ثم عقب بذكر الأسماء على نسق معلوم . وهكذا مضى يوضح المنهج الذي اختاره لترتيب مواد معجمه[٢٣].

وأثبت المؤلف في معجمه الألفاظ الدخيلة التي شاعت في العصر العباسي ، وتداولها الكتاب في عباراتهم ، والمصنفون في كتبهم . ولكنه لم يذكر اصطلاحات العلوم والفنون وكأنه أرجاها إلى معجم خاص بها فعل السابقين من علماء اللغة . ويؤنس بذالك أنه أفرد للكلمات المحدثة كتاباً خاصاً سماه: «التذكرة في الأسماء المنتخبة للمعاني المستحدثة»[٢٤].

١١ ــ «المعجم الوسيط»: (صدر بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة):

طلبت وزارة المعارف بمصر إلى (مجمع اللغة العربية) سنة ١٩٣٦م أن يضع

معجماً لايقل في نظامه عن أحدث المعجمات الأجنبية ، يقدم إلى القارئ المثقف مايحتاج إليه من مواد لغوية، في أسلوب واضح ، قريب المأخذ، محكم الترتيب ، سهل التناول، يشتمل على مصطلحات العلوم والفنون، ويستعين بالصور لكل مايحتاج شرحه إلى تصوير ، واتفق على أن يسمى هذا المعجم : «المعجم الوسيط» .

ووكل المجمع إلى لجنة من أعضائه وضع هذا المعجم، فَدَأَبَتِ اللجنة على العمل ، تجمع وتهيِّئ ، ثم تنقح وتهذب وتنسق حتى استكملت مانهدت له ، وأوفت على تمامه .

وصدر «المعجم الوسيط» في جزأين ، مابين سنتي (١٩٦٠ ـ ١٩٦٢م) يحوي نحو (٣٠) ألف مادة ، ومليون كلمة، وست مئة صورة[٢٥].

ويعد «المعجم الوسيط» نموذجاً فَـذّاً بين المعاجم العربية الحديثة . انه معجم لم ينهض به عالم وحده ، بل كان عمل لجنة من العلماء أشرف عليهم ووجه نشاطهم مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وكان صدور «المعجم الوسيط» إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في حركة المعجم العربي الحديث .

وأوضحت اللجنة في التقديم الخطة التي انتهجتها في عملها: أهملت الألفاظ الحوشية الجافة، وبعض المترادفات، وعنيت باثبات الحي المأنوس من الكلمات والصيغ، وآثرت في الشرح الأساليب الحية ، وأدخلت في متن المعجم الألفاظ المولدة والمحدثة والمعربة والدخيلة لتطوير اللغة وتنميتها ، ونسقت ترتيب مواد المعجم، فقدمت الأفعال على الأسماء ، والمجرد على المزيد، واللازم على المتعدى . . . واصطنعت الرموز للايجاز ، مثل (ج =الجمع، مو= المولد، مع = المعرب، د = الدخيل، مج = اللفظ الذي أقره مجمع اللغة العربية)[٢٦].

وقد حظي المعجم بعناية العلماء والأدباء واهتمامهم، فتعقبوا مواده بالنقد والتصحيح، وتلقى المجمع آراء الباحثين الناقدين بصدر رحب ، وأفاد منها، وأثبت مااطمأن إلى سلامته .

وقد تجلّى ذالك حين أصدر المجمع «المعجم الوسيط» بطبعته الثانية (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣م)، ففي مقدمته إشارة واضحة إلى أن اللجنة التي وكل إليها المجمع معاودة النظر في المعجم قد أعادت قراءة مواده مادة مادة ، وراجعت الشروح والتفسير[٢٧].

مما انتقد به المعجم التزامه سرد المواد الأصول، مجردة من زوائدها ، منسوقة على الترتيب الهجائي ، وقد وقف المجمع من هذا النقد الموقف الحازم، وأوضح في تصديره أنّ المجمع قد استقام له منهج في التأليف المعجمي يتمشى وطبيعة اللغة العربية ، فهي لغة اشتقاقية تقوم على أسر من الكلمات، وليس من الملائم أن نفرق شمل هذه الأسر[٢٨]. فأكد بذالك سلامة منهجه وصحة طريقته .

ومما انتقد فيه المعجم أن لجنة المعجم الأولى قد أفرطت في اثبات العامية الدارجة من مثل قولهم: (البكس): كلمة مولدة بمعنى الضرب بقبضة اليد ، واستعملوا منها فعلاً فقالوا: باكَسَهُ مباكسة في رياضة الملاكمة . ومِنْ مِثْلِ إثباتهم كلمات مثل : القلاووظ ، والبدروم[٢٩]. ويبدو أنَّ المشرفين على الطبعة الثانية استجابوا لبعض ذالك ورفضوا بعضه ، فقد حذفوا: البكس، وباكسه، من طبعتهم الثانية، ولكنهم احتفظوا بمثل كلمتي: القلاووظ والبدروم، بل زادوا الكلمة الثانية شرحاً وتفسيراً[٣٠].

ثم صدرت الطبعة الثالثة من «المعجم الوسيط» عام ١٩٨٥، وأرى أن مثل هذا العمل العظيم مازال ينتظر دراسات أخرى جادة فوق ماقام حوله من دراسات[٣١].

١٢ ـ «المعجم الكبير»: (يصدر باشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة):

وهو عمل كبير جداً . بدأ به مجمع اللغة العربية بالقاهرة نحو سنة ١٩٤٥م ، ووضع له خطته ، ورسم منهجه ، وتخير المحررين القادرين ، واستعان بالخبراء المتخصصين . وفي عام ١٩٥٦م ، استطاع أن ينشر من معجمه الكبير جزءاً في نحو خمس مئة صفحة من القطع الكبير ، عده تجربة ، دعا المتخصصين في اللغة من عرب ومستعربين إلى النظر فيها ، وابداء ملاحظاتهم حولها .

وقد صدر الجزء الأول من «المعجم الكبير» عام ١٩٧٠م ، مشتملاً على حرف الهمزة ، (عدد صفحاته ٦٧٤ صفحة من القطع الكبير)، وفي مقدمته بيان واضح للطريقة التي اتبعها واضعو المعجم ، والغاية التي توخوها[٣٢].

وصدر الجزء الثاني من «المعجم الكبير» عام ١٩٨١م ، مشتملاً على حرف الباء (عدد صفحاته ٧٤٣ صفحة من القطع الكبير)، وفي مقدمته صورة واضحة للمراحل التي يتطلبها اعداد المعجم وجمع مادته ، ومايقتضيه من بحث وتمحيص[٣٣].

١٣ ــ «المعجم الوجيز» : (صدر باشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة):

لقد بينت اللجنة التي ارتضاها المجمع للنهوض بتهيئة المعجم الوجيز أنها اختارت من مادة «المعجم الوسيط» مارأت فيه الوفاء بحاجة الطالب في هذا المستوى من التعليم ، وأن ماوعاه المعجم من مادة اللغة زهاء خمسة آلاف مادة ، صُوِّر منها مايحتاج توضيحه إلى تصوير من نحو نبات أو حيوان أو آلة ، فاشتمل على أكثر من ست مئة صورة .

ونهجت اللجنة في ترتيب مواد «المعجم الوجيز» المنهج الذي ارتضاه المجمع في معجميه الكبير والوسيط[٣٤].

١٤ ــ «المعجم المدرسي»: (صدر باشراف وزارة التربية السورية):

لقد نهض بِعِبْءِ تأليف المعجم المدرسيّ الأستاذ محمد خير أبوحرب ، وقد راعى المؤلف أن يكون المعجم واضح الأسلوب ، محكم التبويب ، والتزم الدقة والوضوح في شرح ألفاظه وتعريفها ، واستعان بالصور التي تدعو الحاجة إلى تصويرها للايضاح .

رتب «المعجم المدرسي» المواد (الجذور) على أوائل الحروف ، منسوقة على الترتيب الهجائي وذُكرت في المادة الأفعالُ ثم مشتقاتها ، وقدم المَجَرَّدُ منها على المزيد ، واللازم على المتعدى . . . ورتبت الأسماء المعربة ذات المنشإ الثلاثي بعد الأفعال الثلاثية ، وذات المنشإ الرباعي بعد الأفعال الرباعية . . .

وقد صدر المعجم المدرسي سنة ١٩٨٥م[٣٥].

١٥ ــ «المعجم العربي الأساسي»: (اعداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم):

تلقينا منذ مدة قليلة خبراً من مؤسسة (لاروس بفرنسا) أنها قامت باصدار «المعجم العربي الأساسي» الذي أعدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وهو ثمرة عمل وجهدٍ امتدَّ ثماني سنوات (١٩٨١ ـ ١٩٨٨م). ويشتمل المعجم على نحو من خمسة وعشرين ألف مدخل، مرتبة ترتيباً هجائياً على جذور الكلمات، ومفسرة بإيجاز ووضوح، ومعززة بالشواهد.

ويضم المعجم أيضاً الكلمات المولدة والمعربة والدخيلة التي دخلت الحياة، واستعملها رجال الفكر والثقافة، وأقرتها المجامع اللغوية العربية.

لَمْ أُعَرِّجْ في هذا العرض على ذكر المعاجم التي ألفت مكتفية بترتيب الكلمات مجردة ومزيدة على أوائل الحروف، فتذكر: أربى وارتاب وارتأى وارتاح وأحور وأحول وأحوى في حرف الهمزة دون النظر إلى الأصول (جذور الكلمات) فتشتت الكلمات عن أسرها.

من هذه المعاجم: «الرائد» لجبران مسعود[٣٦]، و«القاموس الجديد للطلاب»: لعلي بن هادية ورفيقيه[٣٧].

أما كتاب المرجع للأستاذ عبدالله العلايلي فقد اختار صاحبه منهجاً وسطاً، ذكر المصطلح في موضعه من النطق، وأثبت تصريف الأفعال مجردة ومزيدة تحت الجذر، لأن العربية كأخواتها الساميات قائمة على الترابط العضوي، أما المشتقات فتذكر وفق لفظها[٣٨].

وقد صدر المجلد الأول من المرجع سنة ١٩٦٣م (بيروت).

دمشق : الدكتور شاكر الفحام

الحواشي :

(١) للاطلاع على افتنان العرب في التأليف المعجمي، يحسن الرجوع إلى:

ــ «المعجم العربي» (نشأته وتطوره) للدكتور حسين نصار (القاهرة ــ ١٩٦٨م ، ط ٢) ١ : ٣٧-٣٩٦، ٢ : ٤٠٤-٧١٠

ــ و«معجم المعاجم» لأحمد الشرقاوي اقبال (بيروت ـ ١٩٨٧م).

ــ و«اللغة ومعاجمها» في المكتبة العربية للدكتور عبداللطيف الصوفي (دمشق ـ ١٩٨٦م): ١٥-٢٦١

ــ و«المعاجم العربية» للدكتور عبدالسميع محمد أحمد (القاهرة ـ ١٩٦٩م)/ الكتاب الأول: ٣-١٦٥

(٢) للاطلاع على نماذج من تأليف المعجم العربي الحديث ، يحسن الرجوع إلى:

ــ «المعجم العربي» للدكتور حسين نصار ٢: ٧١١-٧٤٤

ــ و«اللغة ومعاجمها» في المكتبة العربية: ٢٧١-٣١٩ ، من أجل المعاجم الشاملة الأحادية اللغة . كذلك يحسن الرجوع إلى:

ــ كتاب «المعجمات العربية» للأستاذ وجدي رزق غالي (القاهرة ــ ١٩٧١م) للاطلاع على المطبوع من معجمات اللغة بشتى أنواعها الأحادية والثنائية والثلاثية وفوق ذلك .

(٣) «محيط المحيط» (ط ١) ١ : ٢، ٨٤٧-٨٤٨ (ختام باب الراء)، ٢: ٢٣٠٧-٢٣٠٨ (ختام الكتاب). «محيط المحيط» (بيروت - ١٩٧٧م/ط ٣): مقدمة الكتاب. وقد جمع الناشر فيها ماتفرّق في الطبعة الأولى في المواضع الثلاثة ، بعد أن أسقط وحذف .

(٤) اسم الكتاب: «تنبيهات اليازجي على محيط البستاني» . وكان اليازجي قد أثبت هذه التعليقات على هوامش نسخته من كتاب «محيط المحيط» فجمعها وحُلّ رموزها بعد وفاته الدكتور سليم شمعون وجبران النحاس . وطبع الكتاب في الاسكندرية .

(٥) «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد» لسعيد الشرتوني ٣:٧م .

(٦) ألف جورج ولهلم فريتاغ معجماً كبيراً عربياً لاتينياً ، وأصدره في أربعة مجلدات عام ١٨٣٠م . وقد صورته مجدداً مكتبة لبنان (بيروت - ١٩٧٥م).

(٧) «محيط المحيط» (ط ١) ٢: ٢٣٠٨ (ختام الكتاب).

(٨) «أقرب الموارد» للشرتوني ٢: ١٥٠٣ .

(٩) «أقرب الموارد» للشرتوني ١: ٦م .

(١٠) «ذيل أقرب الموارد» للشرتوني ٣ : ٣ ، ٥٣٩ .

(١١) «أقرب الموارد» ١ : ٧م .

(١٢) عدد صفحات المعجم (١٢٧٢) صفحة أقرب إلى القطع الصغير . وفي صدره رسالة مستقلة بعنوان «اللمع النواجم في اللغة والمعاجم» لطاهر خير الله الشويري ، تقع في (٧٧) صفحة .

(١٣) مقدمة «معجم الطالب»: (أ ـ د)، والجدول الملحق في ختامه ، والمتضمن الكلمات المحدثة والاصطلاحات العصرية .

(١٤) أصدر الأستاذ ابراهيم القطان كتاباً بعنوان «عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام» ـ (الكويت ـ ١٩٧٢م) . وأصدر الأستاذ عبدالله كنون كتاباً بعنوان: «نظرة في منجد الأداب والعلوم» ــ القاهرة ــ ١٩٧٣م).

(١٥) عدد صفحات المعجم (١٠١٨) صفحة، أقرب إلى القطع الصغير .

(١٦) «المعتمد» المقدمة (أ ـ ب) .

(١٧) صفحات الجزأين (٢٧٨٤) صفحة من القطع الكبير .

(١٨) «البستان» ١ : ٥م ، ٢ : ٢٧٨٤ .

(١٩) يقع «فاكهة البستان» في (١٦١٤) صفحة من القطع الكبير .

(٢٠) طبع «المعجم المدرسي» أولى طبعاته سنة ١٩٤٧م ، (المطبعة الهاشمية ـ دمشق) . وعدد صفحاته (٨٠٦) صفحة من القطع الصغير .
←

كتاب « قوانين الدواوين »

[للأسعد بن مَمّاتي الوزير الأيوبي المتوفى سنة ٦٠٦هـ ١٢٠٩م .

جمعه وحققه عزيز سوريال عطية أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية ، القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٤٣] .

١ ــ مثلٌ جيّدٌ في التحقيق العلمي ، ومحققه عارف بآخر ما استقر عليه (علم التحقيق) على يد المستشرقين . جاء في مقدمته ص ٧ ــ ٨ : (كتاب « قوانين الدواوين . . . مخطوطاته من النوع الذي يلتزم فيه الباحث مقارنة كل عبارة وكل كلمة بل كل حرف من جميع المتون التي يعمل على أساسها في نشر الكتاب . فمتى قرّ رأيه على قراءة معينة ، أخذ بها في النص ، ثم قيد ماعداها من الاختلافات في الحواشي . وهذه القاعدة وإن كانت قانون العلم الحديث لذاته ، ومن المفروض

---

(٢١) «معجم متن اللغة»: ١ / ٧٧ .

(٢٢) عدد صفحات المجلدات الخمسة (٣٥٠٠) صفحة من القطع الكبير .

(٢٣) «معجم متن اللغة: ١ / ٧٢-٧٨ .

(٢٤) «معجم متن اللغة»: ١ / ٧، ٧٥، ٧٧ .

(٢٥) «المعجم الوسيط» (طـ ١) ١ : ٧، ٨، ١٠، وقد بلغ عدد صفحات المعجم (١٠٨١) صفحة من القطع الكبير .

(٢٦) «المعجم الوسيط» (طـ ١) ١ : ١٠-١٤ .

(٢٧) «المعجم الوسيط» (طـ ٢) ١ : ٦ .

(٢٨) «المعجم الوسيط» (طـ ٢) ١ : ٣-٤

(٢٩) «المعجم الوسيط» (طـ ١) ١ : ٤٣، ٦٧، ٢ : ٧٦١ .

(٣٠) «المعجم الوسيط» (طـ ٢) ١ : ٤٣، ٢ : ٧٥٥ .

(٣١) من الدراسات التي اطلعت عليها بأخرة: «المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد» للدكتور عبدالعزيز مطر (في المعجمية العربية المعاصرة: ٤٩٥-٥٢٨)، مشاكل الترتيب المنهجية في المعجم العام العربي الحديث للدكتور إبراهيم بن مراد (مجلة المعجمية ، ع٣ / ١٩٨٧م ، ص ١١ - ٣٩)، حول المعجم العربي الحديث لأحمد شفيق الخطيب: ٢١ - ٣٠ .

(٣٢) «المعجم الكبير» ١ : (هـ - ر) .

(٣٣) «المعجم الكبير» ٢ : ٣ - ٦ .

(٣٤) «المعجم الوجيز»: ٥ - ١٥ ، ويبلغ عدد صفحات المعجم الوجيز (٦٨٧) صفحة .

(٣٥) «المعجم المدرسي»: ١٧ - ٢٤ ، وقد بلغت صفحات المعجم المدرسي (١١٨٣) صفحة .

(٣٦) صدر ببيروت (طـ ١ / ١٩٦٤م)، (طـ ٢ / ١٩٦٧م) ، عدد صفحاته (١٦٣٧) صفحة .

(٣٧) صدر بتونس (طـ ١ / ١٩٧٩م) . عدد صفحاته (١٥٠٥) صفحة .

(٣٨) «المرجع»: ١ : (ح) . وعدد صفحات المجلد الأول من المرجع (القسم العربي): ٧٣٦ صفحة ، وهو ينتهي في أثناء حرف الجيم .

على كل باحث جاد في عمله ألا يتهاون بها مثقال ذرة ، إلا أن لها قيمتها الخاصة في صَدَدِ كتاب « قوانين الدواوين » نظراً لاحتمال وقوع الاختلاف في الرأي بين القارئ والناشر على الأخذ بقراءة كلمة أو عبارة ، فإما أن يأخذ القارئ بما أقره الناشر في صلب المتن ، أو يرجع إلى الاختلافات والمقارنات الكثيرة التي أثبتناها برمتها من بقية المخطوطات في الهوامش ، فينتخب من بينها ما يستسيغه هو ، أو مايقوده إليه بحثه الشخصي . وتسهيلاً للوصول إلى هذه الغاية أرجعنا كل اختلاف من الاختلافات إلى أصله الخطي بإثبات مكانه من الورقة والصفحة والسطر ، حتى يستطيع المنقِّبُ أن يُراجع أيَّ كلمة في أي أصل شاء ، دون كبير مشقة .

ومهما يكن من شيء فإن رائدنا في العمل هو محاولة إظهار هذا الكتاب كما دونه مؤلفه ، لا كما يريد بعضهم من إدخال أي اصلاح أو تنميق حديث مصطنع على نصهِ ، فاحتفظنا بكل مافيه من ألفاظ واصطلاحات وعبارات قد تبدو غريبة ، وتركنا أخطاءه اللغوية والنحوية والإملائية ، عدا ما لا يمكن التهاون فيه ، وأسلوبه الأثري دون تغيير ، وهذا قد يَعُدُّهُ البعضُ تقصيراً من الناشر ، إلا أننا رأينا العمل على تلك القاعدة واجباً لا مَفرَّ منه تقضي به الأمانة الأدبية) .

ونلاحظ على هذا المنهج :

أ ــ الدقة لدرجة المبالغة ، والأمانة لما يتعدى الحدود ، وأن عمل المحقق يقف عند المقابلة والترجيح من غير تعليق أو شرح أو زيادة أو تعريف .. ومنطق المحقق سليم لأن المسألة مسألة نص المؤلف ، وليس نص المحقق .

ويسخر آخرون من هذه الطريقة ولاسيما أولئك العلماء الذين لم يتشبعوا بالمنهج العلمي الحديث ولم ينالوا العلم بالدراسة الحديثة ، فهم يشرحون ، ويعلقون ويتصرفون ، ويقدمون ويؤخرون ويبلغون أحياناً درجة وكأنهم فيها هم المؤلفون المالكون للحقوق كلها ..

وللطريقتين محاسنها والمآخذ عليها ... ويمكن التوسط على أية حال .

ب ــ طبع الكتاب سنة ١٩٤٣ ــ ويبدو أن مصطلحات التحقيق العربية لما تستقر

بعد ، وتأخذ حدودها المقررة ؛ فهو يقول : جمعه وحققه ، وصحيح أنه حققه بمعنى قابل بين نسخه وأعده للطبع . . . الخ وهذا هو الذي صار مصطلحاً .

أمّا جمعه ، فهو يقصد : جمع مخطوطاته المتناثرة في أنحاء العالم فكانت ثماني في غوطة Gotha واستانبول والقاهرة وباريس ولندره ودمياط ثم درسها ووصفها ، وشرح طريقة عمله (ص ٤٠ ـ : الأصل الأول في المتن هو المخطوطة (غ) إلا في الحالات التي فصلناها في الحواشي) .

جمعه ـ إذَنْ ـ تعني لديه ـ كما يفهم ـ جمع مخطوطاته . .

أما (جمعه) اليوم فتعني التحقيق الذي يقوم به محقق بجمع مادته ـ كتاباً كان أم ديواناً ـ من بطون عشرات (ومئات) الكتب ليؤلف بينها ويعدها للنشر . . . عندما تكون مخطوطات ذالك الكتاب مفقودة ، أو أنها لم تكن أصلاً ويتولى المحقق الجديد تأليفها .

واستعمل (المتون) ـ كما هو الاستعمال العربي ـ لما نقصد به اليوم إلى النصوص ، أي النصوص الواردة في كل نسخة من المخطوطات .

واستعمل المتون لأنه سيستعمل الهوامش . . والحواشي .

واستعمل للمحقق كلمة (الناشر) متأثراً بالمصطلح الأجنبي .

وإلا فقد صار الناشر ـ وهو لدى الغربيين قبلنا بهذه الصيرورة ـ يعني الذي يتولى الطبع والتوزيع .

والهوامش والحواشي لديه بمعنى واحد في مقابلة المتن (المتون) . . . وقد ظلت كذالك لدينا ، وكانت الحواشي في الحضارة العربية تعني الشرح والإضافة والتعليق وبيان الخطأ ، تكتب على البياض الباقي في أطراف الصفحة بعد أن يستوعب المتن منها مايستوعب ، وقد تكون على اليمين ـ كما هو الغالب فيما يبدو لي ـ وقد تكون في أي مكان من الأعلى والأسفل .

أما الهوامش أو الحواشي الحديثة فهي في أسفل الصفحة من المتن (النص)

وأولى بنا أن نتبنى لها كلمة الذيل ، فهي كالذيل من القميص بالنسبة للمتن في الصفحة .

واستعمل الاختلافات ترجمة للكلمة الأجنبية .

٥ ــ مقدمة المحقق مَثَلٌ جيدٌ في بابها .

٦ ــ كنا ننتظر أن نجد صفحات مصورة للمخطوطات الثماني ، ولكننا لم نَرَ إلّا صورة لغلاف (س) وصورتين من (غ) وهذا غير كافٍ بالطبع .

٧ ــ للمحقق خِبْرةٌ سابقة بالتحقيق (١٩٣٩) ، فقد جاء له في مراجع الكتاب باللغة الأجنبية : « ديارات مصرية » تحقيق وترجمة (Ed. and Tras.) بالاعتماد إلى مخطوطة غير منشورة من كتاب « الديارات » للشابشتي Bulletin de La Soeiètè d' Areh 'eologie Copte, T.V. (1939) .

٨ ــ جاء الباب الثامن (ص ٢٩٧ ــ ٣٠٦) (في أسماء المستخدمين من حملة الأقلام ، ومايلزم كل منهم [. . . .] وهم ناظر ؛ متولي ديوان ؛ مستوفي ؛ معين ؛ ناسخ ؛ مشارف ؛ عامل ؛ كاتب ؛ جهبد ، شاهد [. . . .] ؛ خازن [ص ٣٠٤] الجهبد كاتب برسم استخراج المال وقبضه وكتب الوصولات به وعليه عمل المخازيم والرزنمجات والختمات وتواليها ، ويطالب بما يقبضه ، ويخرج مايرفعه من الحساب اللازم له) .

ومن الحواشي على هذا المتن : (. . . الجهبد . . . الجهبد عبارة عن) . .

وقد يكون الاستعمال المصري أيام المؤلف (ابن مُمّاتي المتوفى سنة ٦٠٦) لكلمة (الجهبد) بالدال كما وردت في المخطوطات كافة . ومهمة المحقق ــ كما رأينا ــ تقف عند المقابلة فقط . . . والكلمة على هذا (الجهبد) ولا نقاش أو تعليق .

ولكننا نعلم ــ وربما كان الأستاذ المحقق يعلم قبلنا وخيراً منّا ــ أن الكلمة استعملها العرب مبكراً بالذال فهي لديهم ، وفي كتبهم : الجهبذ .

٩ ــ وتتكرر الحال في أكثر من كلمة ، يحل الدال فيها محل الذال ، من ذالك آدار ص ٢٤٩ ، أدار ص ٢٥٩ ، دراع ص ٧٦ .

١٠ – ويبالغ المحقق في إبقاء الرسم الذي لا يدل على اللفظ الصحيح . ومن ذالك : الثنا ص ٥ ، سحايب ص ٥٣ ، العجايب والغرايب ص ٥٥ ، الضرايب ص ٣٢٤ ، بضايع ص ٣٢٧ ، صحايف ص ٥١ ، الشوايب ص ٦٠ ، فضايل ص ٧١ ، ماية ص ٧٧ .

١١ – ويبقى الخطأ في استعمال العدد كما هو ، من ذالك أربعة سنين ص ٥٦ ، ثلاثة عشر ساعة ص ٢٥٦ ، خمس عشر ساعة ص ٢٥٢ ، اثنا عشر ساعة ص ٢٤٧ .

١٢ – جمع تُوْعَة مرة يورده في المتن (تراع) ص ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٥٦ ومرة (ترع) ص ٢٠٦ ، ٢٠٩ .

١٣ – يدخر ابن مَمَّاتي في خطبة كتابه أي ماجاء لديه بعد البسملة مادة مهمة لدارس منهج البحث عند العرب ، فقد تميز بأن ذكر في هذه الخطبة أو بعدها خطة كتابه بأبوابها وماشتملت عليه الأبواب من فروع تكون فصولها ، وكأنه يعوض بذالك عن فهرس تفصيلي .. بهذه الخطة التفصيلية .

والملاحظ أنه عدد خمسة عشر باباً بمحتوياتها ، ولكن الكتاب وصل إلينا بنسخه الثماني في عشرة أبواب هي الأبواب العشرة التي وردت في الخطبة ، وقد تنبه إلى ذالك الدكتور عطية فقال ص ٤٠ : (وهناك ملاحظة لابُدَّ من توجيه الأنظار إليها ، وهي أن الأبواب الخمسة الأخيرة الواردة في جدول محتويات الكتاب ساقطة من جميع النسخ ، ولم نعثر لها على أثر في أي مخطوطة من المخطوطات) .

والأبواب الخمسة هي : الباب الحادي عشر في أنواع الحسبانات (الحسابات) .. الثاني عشر : في ذكر ... الدواوين ... الثالث عشر : في أقسام الكلام المنثور ، الرابع عشر : في إشارة إلى أنواع من الورق . الخامس عشر : في مختصر أصول الحساب ..

وهي أبواب مُهمة وان استهان بها الأستاذ المحقق (ص ٤٠) ولم يحاول تعليل هذا النقص (الكبير) ويبدو لنا أن المؤلف ابن مماتي وضع الأبواب الخمسة في

خطته وأحضر موادها ولكنه لم يجد الوقت للكتابة عنها فكأنه على هذا ـ لم يتم كتابه ، وان الكتاب بقي ناقصاً .

وإلا فنحن بانتظار مايمكن أن تُفاجئنا به الأيام من العثور على مخطوطة ذات خمسة عشر باباً ـ وليس ذالك بمستحيل إذا كان ابن مَمَّاتي قد عالجها في كتابه .

١٤ ـ وردت ص ٥٢ : (الدولة . . . التي أمن الله . . . وأصفى مشاربها ، وأخدم المضا مضاربها ، وملكها مشارق الأرض ومغاربها) .

وقال المحقق في الحاشية بصدد (وأخدم المضا مضاربها) : كذا في جميع الأصول ولعلها (القضا) .

وأقول : ولعلها (وأخذم المضاء مضاربها) .

١٥ ـ وردت كلمة (الحسبانات) فأثبتها مرة في المتن ص ٥٨ ولم يكن فيها اختلاف ، وانزلها مرة ص ٣٠١ في الحاشية واثبت في المتن (الحساب) وقد ورد الاختلاف في النسخ .

١٦ ـ ينظر كتاب الدكتور محمد مندور ـ « في الميزان الجديد » (ط ٢ ، مكتبة نهضة مصر ، د.ت ، ص ص ١٧٠ ـ ١٨١) منطلقاً من (أصول النشر) ، وإذا وجدت للكتاب صورتان أي أنه حرر مرتين : الأولى في عهد صلاح الدين والثانية في عهد خليفته الملقب العزيز عماد الدين ، وفي الثانية زيادات مهمة ، وجب على المحقق أن يعتمد على التحرير الثاني . ولكن الدكتور عزيز سوريال جانب هذه القاعدة ، واعتمد على التحرير الأول ـ لملاحظات مندور قيمتها العلمية وإن عرضها في حماسة وشدة .

بغداد : علي جواد الطاهر

نظـرات نحــوية
في لغة بني الحارث بن كعب

(بنو الحارث) أو (بلحارث) من القبائل اليمنية التي نزلتْ حول نجران في السروات ، مجاورة لـ (خثعم) . وهم قبيلة عظيمة من قبائل العرب من قحطان . كما يُعرف من نسبهم ، فأبوهم هو : الحارث بن كعب بن مَذْحِج بن كَهْلان بن سبَإٍ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان[1] .

وفي « الكتاب » ــ ٤ : ٤٨٤ : (ومن الشاذِّ قولُهم في بني العنبر ، وبني الحارث : بَلْعَنْبَرِ ، وبَلْحَارِثِ ، بحذف النون ، وكذالك يفعلون بكلِّ قبيلة تظهر فيها لامُ المعرفة ، فأما إذا لم تظهر اللامُ فيها فلا يكون ذالك ؛ لأنها لما كانت مما كَثُرَ في كلامهم وكانت اللامُ والنون قريبتي المخارج حذفوها وشبَّهوها بـ (مَسْتُ) ؛ لأنهما حرفان متقاربان ، ولم يصلوا إلى الإدغام كما لم يصلوا في (مَسِسْتُ) لسكون اللام)[2] .

مراده بقوله : (تظهر فيها لامُ المعرفة) اللام القمرية .

***

وبعد هذه النبذة في التعريف بـ (بني الحارث) ، أودُّ أن أدرس لغتهم ولغة من أشبههم فيها في لزوم المثنى (الألفَ) ، وكذلك الأب ، والأخ ، والحَمُ من الأسماء الستة ، وكذالك في كلِّ ياءٍ انفتح ماقبلها .

وليس الغرض من هذه الدراسة أن نحذو حَذْوَ هذه اللغة في مجاراتها ، ومحاكاتها ، والقياسِ عليها ، وإنما الغرض من معرفة هذه اللغة معرفة الكمِّ الضخم من ميراث أُمَّتنا الذي يكمن وراء دراسة لغات القبائل العربية ، لِمَالَهَا من اتِّصال وثيق بعلوم القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف وروایاته ، وكلام العرب : نثره ، وشعره .

ففي « الإتقان » ــ ٢ : ١٠٣ ــ : (قال ابنُ عبدالبر ــ ٤٦٣هـ في « التمهيد » : قول من قال : نزل القرآن بلغة قريش ، معناه عندي الأغلب ،

لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات ، من تحيق الهمزة ونحوها ، وقريش لا تهمز .

وقال ابن مالك : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلاّ قليلاً فإنه نزل بلغة التميميين . .)

فبحثي لم يكن مقصوداً لذاته ، وإنما هو وسيلة يُلْتَمَسُ لغيره من الغايات النبيلة .

***

من المعلوم أنَّ (المثَّنى) يرفع بالألف ، ويجر وينصب بالياء المفتوح ماقبلها ، المكسور مابعدها ، هذا هو المشهور عند جمهور النحاة .

وأما بنو الحارث فيجرون (المثنى) وشِبْهَهُ مُجْرَىٰ ٱلْمَقْصُورِ ، فتثبتُ ألِفُهُ في النصب والجر ، كما تثبت في الرفع .

وبنو الهُجَيْم وبنو العَنْبَر يوافقون بني الحارث في لزوم ألف المثنى[٣] .

وكذالك عُزيت هذه اللغة لـ (كنانة) وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل ، وزُبَيْد ، وخَثْعمَ ، وهمْدان ، وفَزَارة ، وعُذْرة[٤] .

وأثبت هذه اللغة أئمة كبار كأبي زيد الأنصاري ، وأبي الخطاب الأخفش ، وأبي الحسن ، والكسائي ، والفرَّاء[٥] .

***

ومن المعلوم أيضاً أن في (الأسماء الخمسة) ثلاث لغاتٍ :

اللغة الأولى :

تُعرب بحروف المَدِّ على سبيل النيابة عن الحركات . فترفع بالواو ، وتنصب بالألف ، وتجرُّ بالياء ، أي : فالأحرف نفسها هي الإعراب ، وأنها نابت عن الحركات ، وهذا مذهب قُطْرُبَ ـ ٢٦٦هـ ، والزيادي ـ ٢٤٩هـ ، والزجاجي ـ ٣٣٩هـ (من البصريين) ، وهشام ـ ٢٠٩هـ (من الكوفيين[٦]) .

قال ابنُ مالك في « شرح التسهيل » (١ : ٤٦) : (وهذا أسهلُ المذاهب ، وأبعدُها عن التكلف ؛ لأن الإعراب إنما جيء به لبيان مقتضى العامل . .) .

ويشترط لإعرابها بالحروف أربعة شروط عامة ، وشرطٌ خاص بكلمة (فم) ، وآخر خاص بكلمة (ذو) .

فأما الشروط العامة فهي :

(١) أن تكون مفردة ، فتخرج المثناة والمجموعة .

(٢) أن تكون مكبَّرة ، فتخرج المصغرة .

(٣) أن تكون مضافة ، فتخرج غير المضافة .

(٤) أن تكون إضافتها لغير ياء المتكلم . فتخرج المضافة إلى ياء المتكلم .

أما الشرط الخاص بكلمة (فم) فهو حذفُ الميم من آخرها .

وأما الشرط الخاص بكلمة (ذو) التي بمعنى (صاحب) فهو أن تكون إضافتها لاسم ظاهر ، دالٍّ على الجنس .

وهذا الذي قدّمته هو أشهر اللغات في الأسماء الستة ، إلاَّ كلمة (هَنٍ) فإنَّ الأكثر فيها مراعاة النقص في آخرها ، ثم إعرابها بالحركات الظاهرة .

ففي « الكتاب » ــ ٣ : ٣٦٠ ــ : (ومن العرب من يقول : هذا هنوك . ورأيت هناك ، ومررت بهنيك) .

قال ابن مالك في « شرح التسهيل » ــ ١ : ٤٨ ــ : (وهو قليل ، فمن لم يُنَبِّهْ على قِلَّتِهِ فليس بمصيب ، وإنْ حَظِيَ من الفضائل بأوفر نصيب) .

والمراد بمراعاة النقص في آخرها أن أصلها : (هَنَوٌ) على ثلاثة أحرف ، ثم نقصت منها الواو بحذفها للتخفيف سماعاً ، وصارت الحركات تجرى على النون ، وكأنها الحرف الأخير تجرى على الكلمة ، وحكمُها في حالة الإضافة كحكمها في عدمها .

اللغة الثانية :

القصرُ في ثلاثة أسماء وهي (أبٌ) و (أخٌ) و (حَمٌ) . والقصر معناه : إثبات ألفٍ في آخر الاسم في جميع الأحوال ، مع إعرابه بحركات مقدرة على الألف رَفْعاً ونصباً وجرًّا .

وعُزيت هذه اللغة إلى (بلحارث بن كعب[٧]) .

وهذه اللغة تأتي في المرتبة الثانية بالنسبة للغة الأولى .

اللغة الثالثة :

النقص في (أبٍ) و (أخٍ) و (حَمٍ) و (هَنٍ) .

والنقص معناه : الإعراب بحركات ظاهرة على آخر الحرف الظاهر ، وأساس هذه اللغة مراعاةُ النقص في الكلمات الثلاث الأولى .

فقد كان آخرُ كل واحدة منها في الأصل (الواو) : أَبَوٌ ، أَخَوٌ ، حَمَوٌ ، حذفت الواو تخفيفاً ، فلا ترجعُ عند الإضافة .

قال الأنباري في « الإنصاف » ـ ١ : ١٨ ـ : (قد يحكى عن بعض العرب أنهم يقولون : هذا أَبُكَ ، ورأيت أَبَكَ ، ومررت بأَبِك ، من غير واو ولا ألف ولا ياء ـ كما يقولون في حالة الإفراد من غير إضافة) .

وعلى هذه اللغة يقال في التثنية : (أبان) ، وفي الجمع : (أبون) .

وعلى هذه اللغة جاء قول رُؤْبَةَ يمدح عَدِيَّ بن حاتم :

بأَبِهِ اقْتَدىٰ عَدِيٌّ في الكَرَمْ وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ[٨]

وفي « شفاء العليل في إيضاح التسهيل » ـ ١ : ١١٨ ـ : (وفي إعراب (هَنٍ) بالحروف خلافٌ ، فلم يلحقها بهنَّ إلاَّ سيبويه ، والمشهور النقص فيعرب بالحركات كما روي أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوْه بِهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا[٩] » .

وقال علي ــ رضي الله عنه ــ : مَنْ يَطُلْ هَنُ أبيه يَنْتَطِقْ به أي : يَتقَوَّى بإخوته .

***

وبعد هذا التمهيد عرفنا أنَّ لغة بني الحارث في إعراب المثنى ، وإعراب الكلمات الثلاث : (الأب ، والأخ ، والحم) إلزام ذالك الألف في حالة الرفع والنصب والجر . كما أنهم يقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ماقبلها ألفاً .

فقد جاء في « الكتاب » ــ ٣ : ٤١٣ ــ : (وحدثنا الخليل أنَّ ناساً من العرب يقولون : عَلاَكَ ، ولَدَاك ، وإلاَكَ) .

والأصل : عليكَ ، ولَدَيْكَ ، وإليكَ .

وفي « الإنصاف » ــ ١ : ١٨ ــ : (قد يحكى عن العرب أنهم يقولون : هذا أباك ، ورأيت أباكَ ، ومررت بأباك ــ بالألف فيجعلونه اسماً مقصوراً) .

وفي « خزانة الأدب » ــ ٧ : ٤٥٢ ــ : (يقولون : أخذتُ الدِّرْهَمَانِ ، واشتريتُ ثوبَانِ ، والسلام عَلاَكم . قاله أبو حاتم والأخفش في « شرح نوادر أبي زيد ») .

وقد سُمع من ذالك قولُهم : (ضربتُ يداه(١٠)) .

ويُحكى عن الإمام أبي حنيفة ، أنه سُئِل عن إنسان رمى إنساناً بحجر فقتله : هل يجب عليه القود(١١) ؟ فقال : لا(١٢) ، ولو رماه بأباقُبَيْس(١٣) ــ بالألف ، على هذه اللغة(١٤) لأن أصله : أَبَوٌ ، فلما تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبوها ألفاً بعد إسكانها إضعافاً لها ، كما قالوا : عصاً وقَفاً ، وأصله : عصَوٌ ، وقَفَوٌ .

وجاء في المثل : (مُكرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ(١٥)) .

و (أخاك) مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف، و (بَطَلٌ) : معطوف بـ (لا) على (مكره) ، و (مكرهٌ) : اسم مفعول خبر مقدم .

قال ابن جني في « الخصائص » ــ ٢ : ١٤ ــ : (باب في العربي يسمع لغة

غيره ، أَيُرَاعِيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها ؟ .

قال أبوزيد : سألت الخليل عن الذين قالوا : (مررت بأخواك ، وضربت أخواك ، فقال : هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا في (يِيْأس) : (يَاءَسُ) ، أبدلوا الياء لانفتاح ماقبلها .

قال ـ يعني الخليل ـ : ومثله قول العرب من أهل الحجاز : (يَاتَزِنُ وهمَ ياتَعِدُون) فَرُّوا من يَوْتَزِنُ ، ويَوْتَعِدُونَ .

فقوله : أبدلوا الياء لانفتاح ماقبلها يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون يريد أبدلوا الياء في (ييأس) .

والآخـــر : أبدلوا الياء في أخويك ألفاً .

وكلاهما يحتمله القياس هاهنا ، ألا ترى أنه يجوز أن يريد أنهم أبدلوا ياء (أخويك) في لغة غيرهم ممن يقولها بالياء ، وهم أكثر العرب ، فجعلوا مكانها ألفاً في لغتهم استخفافاً للألف ، فأما في لغتهم هم فلا . وذالك أنهم هم لم ينطقوا قطُّ بالياءِ في لغتهم فيبدلوها ألفاً ولا غيرها .

ويؤكد ذالك عندك أن أكثر العرب يجعلونها في النصب والجر ياء ، فلما كان الأكثر هذا شاع على أسماع بلحارث فَرَاعَوْه ، وصنعوا لغتهم فيه ، ولم تكن الياء في التثنية شاذَّةً ولا دخيلة في كلام العرب فيقل الحفل بها ، ولا ينسب بلحارث إلى أنهم راعوها ، وتخيروا للغتهم عليها .

فإن قلت : فلعل الخليل ، يريد أن من قال : (مررت بأخواك) قد كان مرَّة يقول : (مررت بأخويك) كالجماعة ، ثم رأى بعد أن قَلَبَ هذه الياء ألفاً للخفة أسهل عليه وأخفُّ ، كما قد تجد العربيَّ ينتقل لسانُه من لغته إلى لغةٍ أخرى .

قيل : إنَّ الخليل إنَّما أخرج كلامه على ذالك مخرج التعليل للغة من نطق بالألف في موضع جر التثنية ونصبها ، لا على الانتقال من لغة إلى أخرى . وإذا كان قولهم : مررت بأخواك ، معللاً عندهم بالقياس فكان ينبغى أن يكونوا قد سبقوا إلى ذالك منذ أول أمرهم ؛ لأنهم لم يكونوا قبلها على ضعف قياس ، ثم

تداركوا أمرهم فيما بعد ، فقوي قياسهم . وكيف كانوا يكونون في ذالك على ضعف من القياس والجماعة عليه ! أفتُجمع كافة اللغات على ضعف ونقص ، حتى ينبغ نابغٌ منهم فيرد لسانه إلى قوة القياس دونهم ! نعم ، ونحن أيضاً نعلم أن القياس مقتضٍ لصحة لغة الكافة ، وهي الياء في موضع الجر والنصب ، ألا ترى أن في ذالك فرقاً بين المرفوع وبينهما ، وهذا هو القياس في التثنية ، كما كان موجوداً في الواحد . ويُؤكده لك أنا نعتذر لهم من مجيئهم بلفظ المنصوب في التثنية على لفظ المجرور ، وكيف يكون القياس أن تجتمع أوجه الإعراب الثلاثة على صورة واحدة !

فقد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره . وذالك لأن العرب وإن كانوا كثيراً منتشرين ، وخلقاً عظيماً في أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين ، فانهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة . فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته ، كما يراعي ذالك من مهم أمره . فهذا هذا .

وإن كان الخليل أراد بقوله : تقلب الياء ألفاً : أي في (يياس) فالأمر أيضاً عائد إلى ماقدمنا ، ألا ترى أنه إذا شبه (مررت بأخواك) بقولهم : (يياس) و(ياءسُ) فقد راعى أيضاً في (مررت بأخواك) لغة من قال : (مررت بأخويك) فالأمران إذن صائران إلى موضع واحد . ولهذا نظائر في كلامهم ، وإنما أضع منه رسماً ليرى به غيره بإذن الله .

وأجاز أبوالحسن أن يكون كانت العربُ قِدْماً تقول : (مررت بأخويك وأخواك جميعاً) ، إلاَّ أن الياء كانت أقيس للفرق ، فكثر استعمالها ، وأقام الآخرون على الألف ، أو أن يكون الأصل قبله الياء في الجر والنصب ، ثم قلبت للفتحة قبلها ألفاً في لغة بلحارث بن كعب . وهذا تصريحٌ بظاهر قول الخليل الذي قدمناه) .

ثم تَمَّمَ ابن جني بحثه في « سر صناعة الإعراب » ـ ٢ : ٧٠٢ ـ ٧٠٦ ـ بقوله : (فإن قلت : فإذا كانت الألف في التثنية حرف إعراب ، فَهَلاَّ بقيتْ في

الأحوال الثلاث ألفاً على صورة واحدة ، كما أنَّ ألف (حُبلى) و (سَكْرى) حرفُ إعراب ، وهي باقية في الأحوال الثلاث على صورة واحدة في نحو قولك : (هذه حُبلى) و (رأيت حُبلى) و (مررت بحبلى) .

فالجواب : أن بينهما فرقاً ، وذلك أنَّ الأسماء المقصورة التي حروف إعرابها ألفاتٌ ، وإن كانت في حال الرفع والنصب والجر على صورة واحدة ، فإنه قد يلحقها من التوابع بعدها ما يُنبِئُ على مواضعها من الإعراب ، وذالك نحو الوصف في قولك : (هذه عصاً مُعوجةٌ) و (رأيت عصاً مُعوجةً) و (نظرت إلى عَصاً مُعوجةٍ) ، فصار اختلاف إعراب (مُعوجَّة) دليلاً على اختلاف أحوال (عصاً) من الرفع والنصب والجر .

وكذالك التوكيد نحو قولك : (عندي العصا نَفْسُها) و (رأيت العصا نَفْسَها) و (مررت بالعصا نَفْسِها) فاختلاف إعراب (النفس) دليلٌ على اختلاف إعراب (العصا) .

وأنت لو ذَهبت تصفُ الاثنين لوجب أن تكون الصفة بلفظ التثنية ؛ ألا تراك لو تركت التثنية بالألف على كل حال لوجب أن تقول في الصفة : (رأيت الرجلان الظريفان) و (مررت بالرجلان الظريفان) فيكون لفظ الصفة كلفظ الموصوف بالألف على كلِّ حالٍ ، فلا تجد هناك من البيان ماتجده إذا قلت : (رأيت عصاً مُعوجةً أو طويلةً أو قصيرةً) أو نحو ذالك مما يبين فيه الإعراب .

وكذالك البدل نحو : (رأيت أخواك الزيدان) و (مررت بأخواك الزيدان) .

فلا تجد في التابع بياناً يدل على حال المتبوع ، فلما كان ذالك كذالك عدلوا إلى أن قلبوا لفظ الجر والنصب إلى الباء ليكون ذالك أدل على تمكن الاسم واسحقاقه الإعراب .

ونظير قلبهم الألف في التثنية ياءً في الجر والنصب قولهم : (هُدَيَّ) و (عَصيَّ) ، ألا ترى أنهم قلبوا الألف ياءً لما كانت ياءُ المتكلم يُكسر ماقبلها . فاعرفه .

على أنَّ من العرب من لا يخاف اللبس ، ويُجْرِي الباب على أصل قياسه ، فيدع الألف ثابتة في الأحوال الثلاث ، فيقول : (قام الزيدان) و (ضربت الزيدان) و (مررت بالزيدان) وهم بنو الحارث بن كعب ، وبطن من ربيعة ، . وأنشدوا في ذالك :

تَزَوَّدَ منّا بينَ أُذْنَاهُ طَعْنَةً دَعَتْهُ إلى هَابِي التُّرابِ عَقِيمِ(١٦)

وقال الآخر :

فَأَطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّما(١٧)

وقال الآخر :

أَعْرِفُ مِنْهَا الجِيدَ والْعَيْنَانَا ومَنْخِرَيْنِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا(١٨)

يريد العينين . ثم إنه جاء بالمنخرين على اللغة الفاشية .

وروينا عن قطرب :

هِيَّاكَ أن تُمْنَى بِشَعْشَعَانِ خَبِّ الْفُؤَادَ مَائِلِ الْيَدَانِ(١٩)

وقال الآخر :

إنَّ أَبَاهَا وأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا في الْمَجْدِ غَايَتَاها(٢٠)

وفيها :

واشْدُدْ بِمَثْنَى حَقَبٍ حَقْوَاهَا

وعلى هذا تتوجه عندنا قراءة من قرأ : ﴿ إنَّ هذانِ لَسَاحِرَانِ ﴾) .

وقد حمل على هذه اللغة قول الشاعر :

أَخَاكَ الَّذِي إنْ تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ يُجِبْكَ لِمَا تَبْغِي ، ويَكْفِيكَ مَنْ يَبْغِي
وإنْ تَجْفُهُ يَوْماً فَلَيْسَ مُكَافِئاً فَيَطْمَعَ ذُو التزوير والْوَشْيِ أَنْ يصْغِي(٢١)

وقالوا : ضَرَبْتُ بَيْنَ أُذْنَاهُ ، وَمَنْ يَشْتَرِي الْخُفَّانِ(٢٢) ؟ .

وبعد أن استعرضت الشواهد من كلام العرب شعره ونثره على صحة ورود لغة

بني الحارث ، فإنني أبين أن قراءة ﴿ إنَّ هذانِ لساحرانِ ﴾[٢٣] بتشديد إنَّ محمولة على هذه اللغة في أصَحّ الأقوال :

وللنحاة في تخريج هذه القراءة أقوال :

القول الأول :

أنها لغة بني الحارث ، وزبيد ، وخثعم ، وكنانة بن زيد .

يجعلون الاثنين في رفعها ونصبها وخفضها بالألف[٢٤] .

فـ(أنَّ) حرف مشبّه بالفعل . و (هذان) اسمها ، واللام لام الابتداء ، و (ساحرانِ) خبرها .

قال الفراء في « معاني القرآن » ــ ٢ : ١٨٤ ــ : (وأنشدني رجل من الأسْدِ عن بني الحارث :

فأطرقَ إطراقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغاً لِنَابَاه الشُّجَاعُ لصمَّمَا

قال : وما رأيت أفصح من هذا الأسدي . وحكى هذا الرجل عنهم : (هذا خَطُّ يَدَا أخِي بعينه) .

وذالك ــ وإن كان قليلاً ــ أقْيَسُ ؛ لِأنَّ العرب قالوا : (مسلمون) فجعلوا الواو تابعة للضمة لأن الواو لا تعرب . ثم قالوا : (رأيت المسلمين) فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم . فلما رأوا أنَّ الياءَ من الاثنين لا يمكنهم كَسْرُ ماقبلها ، وثبت مفتوحاً تركوا الألف تتبعه ، فقالوا : (رجلان) في كل حال .

وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في (كلا الرجلين)[٢٥] في الرفع والنصب والخفض ، وهما اثنان ، إلاَّ (بني كنانة) فإنهم يقولون : (رأيت كلي الرجلين) و (مررت بكلي الرجلين) . وهي قبيحة قليلة ، مضوا على القياس) .

قال أبوجعفر النحاس[٢٦] : (وهذا القول من أحسن ماحملت عليه الآية إذْ كانت هذه اللغة معروفة ، وقد حكاها من يُرْتَضَى بعلمه وأمانته) .

وقال النحاس : ومن أَبْيَنِ مافي هذا قولُ سيبويه[٢٧] : (واعلم أنك إذا ثَنَّيْتَ

الواحد لحقته زيادتان : الأولى منهما : حرفُ المد واللين وهو حرف الإعراب . . .) .

ثم قال : (فقول سيبويه : وهو حرف الإعراب ، يوجب أن الأصل أن لا يتغير ، فيكون ﴿ إنَّ هذَانِ ﴾ جاء على أصله ليعلم ذالك ، كقوله تعالى : (﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾[٢٨] ولم يقل : استحاذ ، فجاء هذا ليدل على الأصل) .

وهذا القول هو أجود الوجوه وأوجهها . واختاره أبو حيان[٢٩] وابنُ مالك والأخفش وأبوعلي[٣٠] .

وقال ابن يعيش في « شرح المفصل » ــ ٣ : ١٣٠ ــ : وهذا أَمْثَلُ الأقوالِ فيها .

القول الثاني :

أن يكون (إنَّ) بمعنى : نعم ، ومابعدهما مبتدأ وخبر .

وفي « الكتاب » ــ ٣ : ١٥١ ــ : (وأما قول العرب في الجواب : (إنَّه) فهو بمنزلة : أَجَلْ . وإذا وصلت قلت : (إنَّ يافتى) ، وهي التي بمنزلة : أجلْ . قال الشاعر :

بَكَـرَ الـعَـوَاذِلُ في الـصَّـبُـو ... ح يَـلُمْـنَـنِي وأَلُـومُـهُـنَّـهْ
وَيَـقُـلْنَ : شَـيْـبٌ قَـدْ عَـلاَ ... كَ وَقَدْ كَبِرْتَ فقُلْتُ : إنَّهْ)[٣١]

أي : إنَّه كذالك ، والمعنى : نعم قد علاني الشيب . وإنما ألحقوا الهاء كراهية أن يجمعوا في الوقف بين ساكنين لو قالوا : إنَّ .

وقال الشاعر :

قَـالُوا : غَـدَرْتَ فَقُلْتُ : إنَّ ، ورُبَّمَا ... نَـالَ العُلَى وشَفَى الغليـلَ الغادِرُ[٣٢]

وأنشد ثعلب :

لَيْتَ شِعْـرِي هَـلْ لِلْمُحِبِّ شفـاء ... من جَـوَى حُبِّهِنَّ إنَّ اللِّقَـاءُ[٣٣]

القول الثالث :

أن يكون في (إنَّ) ضمير شأن محذوفاً . وما بعدها مبتدأ وخبر .

● وضعف بعضهم القول الثاني والثالث ، من أجل اللام التي في الخبر ، لأنه إنَّما يقال : (نعم زيدٌ قائمٌ) ، ولاتكاد تقع اللام هاهنا .

وإنما يجيءُ مثل ذالك في ضرورة الشعر .

وقال الزجاج : التقدير : لهما ساحران ، فحذف المبتدأ[٣٤] .

القول الرابع :

قال أبوجعفر النحاس : سألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية ، فقال : إنْ شئت أجبتك بجواب النحويين ، وإن شئت أجبتك بقولي ، فقلت : بقولك ، فقال : سألني إسماعيل بن إسحاق فقلت : القول عندي أنه لما كان يقال : (هذا) في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة ، وكانت التثنية يجب أن لا يغير لها الواحد ، أُجريت التثنية مُجرى الواحدة[٣٥] .

القول الخامس :

قال الفراء[٣٦] : (وجدت الألف من (هذا) دعامة وليست بلام الفعل ، فلما ثنيت زدت عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول على كل حال ، كما قالت العرب (الذي) ثم زادوا نوناً تدل على الجمع ، فقالوا : (الذين) في رفعهم ونصبهم وخفضهم ، كما تركوا (هذان) في رفعه ونصبه وخفضه) .

● ولقد عرضت أقوال النحاة في هذه القراءة لأستوفي درسها ، ولأوضح أنَّ القول الأول ، وهو ظاهرة إلزام المثنى الألف هو المرجح ، وعليه المعول عند النحاة .

ومما حمل على ذالك قوله تعالى : ﴿ ولا أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾ (يونس : ١٦) في قراءة ابن عباس والحسن وابن سيرين : (ولا أَدْرَأْتُكُمْ به ﴾[٣٧] .

وقال أبوحاتم : يريد الحسن : ولا أدريتكم به ، فأبدل من الياء ألفاً على لغة بني الحارث بن كعب .

لأنه يقال : دَرَيْتُ ، أي : علمت ، وأَدْرَيْتُ غيري ، ويقال دَرَأْتُ[٣٨] .

قال المهدوي : ومن قرأ : (أدرأتكم) ، فوجهه أنَّ أصل الهمزة ياء ، فأصله : أدريتكم ، فقلبت الياء ألفاً وإن كانت ساكنة ، كما قال (يابس) في (ييبس) و (طائِيّ) في (طيِّئ) . ثم قلبت الألف همزة على لغة من قال في (العالم) : (العألم) ، وفي (الخاتم) : (الخأتم)[٣٩] .

وقال النحاس : ويجوز أن يكون من (دَرَأْتُ) أي : دفعت ، أي : ولا أمرتكم أن تدفعوا وتتركوا الكفر بالقرآن[٤٠] .

● ولقد شاهدنا أن اللغة الحارثية وردت في بعض القراءات القرآنية ، ونطق بها عدد غير قليل من الشعراء .

وهنا نتساءل : هل نقلت لنا كتب الحديث الشريف والآثار شيئاً من كلام رسول الله ﷺ ، وكلام أصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ يوافق هذه اللغة ؟

والجواب : أجل قد جاءنا ذالك من كلام النبوة ، وكلام الصحب الأطهار ، وإليك الشواهد :

ــ فمن ذالك قوله ﷺ : « إيَّاكم وهَاتَان الكعْبتانِ الموسومتانِ[٤١] » .

وعلى اللغة المشهورة : إياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين .

ــ وقوله ﷺ : « إنِّي وإيَّاك وهذانِ وهذا في مكان واحد يوم القيامة[٤٢] » .

على اللغة المشهورة : إنِّي وإيَّاك وهذَيْنِ .

ــ وقوله ﷺ : « لا وِتْرانِ في ليلةٍ[٤٣] » .

الشاهد فيه : « لا وِتران » .

ولأجل توضيح الشاهد أذكر القاعدة المشهورة في اسم (لا) النافية للجنس .

فأقول : إنْ كان مفرداً ــ أي : غير مضاف ولاشبيه به ــ يبنى على ماينصب به لو كان معرباً ، فإن كان مفرداً أو جمع تكسير بني على الفتح ، نحو : (لا رجل) و (لا رجال) وان كان مثنىً أو جمع مُذكَّرٍ سالمآ فإنه يبنى على الياء ، كما ينصب بالياء ، نحو : (لا رجلين عندي) .

فإن كان مضافاً ، أو شبيهاً به ظهر النصب فيه نحو : (لا صاحب علم ممقوت) و (لا قبيحاً فعلُه ممدوحٌ) [٤٤] .

وقد جاء الحديث الشريف على لغة بني الحارث ، الذين يجرون المثنًى بالألف في جميع الأحوال . فتكون (لا) نافية للجنس . و (وتران) بني على الألف وعلى اللغة المشهورة : (لا وِتْرَيْنِ) .

ــ وقول الصحابي عبدالرحمن بن أبي بكر : (وفَرَّقَنا اثنا عَشَرَ رجلاً [٤٥]) على لغة « بني الحارث » .

وعلى اللغة المشهورة : (اثني عشر) لأنه حال من (نا) .

ــ وقول أُمِّ رَوْمَانَ : (بينما أنا مع عائشة جالستان) [٤٦] .

على لغة بني الحارث .

وعلى اللغة المشهورة : (جالِسَتَيْنْ) لأنه حال .

ــ وقولُ ابن مسعود : (أنت أبا جَهْل ؟) .

من حديث أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ يوم بدر : « من ينظر مافعل أبو جهل » ؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عَفْرَاء [٤٧] حتى بَرَدَ ، فأخذ بلحيته ، فقال : أنت أباجهلٍ ؟ [٤٨] .

وهذه الرواية المذكورة تحمل على اللغة الحارثية .

وقيل : هو منصوب بإضمار (أعني) . وتَعَقَّبَهُ ابنُ التِّين بأن شرط هذا الإضمار أن تكثر النعوت .

وقيل : (أنت) مبتدأ محذوف الخبر ، و (أبا) منادى محذوف الأداة ، والتقدير : أنت المقتولُ يا أبا جهل . وخاطبه بذلك مُتشفياً(٤٩) .

● وبعد أن درستُ الظواهر العامة للغة بني الحارث في ظلال القراءات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والكلام العربي : شعره ، ومنثوره فإني أخلص بنتيجة وهي أن لهذه اللغة جُذوراً ثابتةً في العربية ، وأصولاً فصيحة .

وقد أشار إلى ذالك المبرد بما رواه في « الفاضل » ص ١١٣ : عن أبي قِلَابَة الجَرْمِي(٥٠) قال : رأيت قوماً من بني الحارث بن كعب لم أَرَ أفصحَ منهم . . ثم قال : وكلُّ عربي لم تَتَغَيَّرْ لغتُهُ فَصِيْحٌ على مذهب قومه ، وإنما يقال : بنو فلان أفصح من بني فلان ، أي : أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش ، على أن القرآن نَزَلَ بكلِّ لغات العرب) .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . .

أبهـا : الدكتور محمود فجّال

أستاذ النحو العربي المشارك ورئيس قسم النحو والصرف
في كلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ بالجنوب

مصادر البحث ومراجعه :

ـ « إتحاف فضلاء البشر » للبنا . طبع حنفي ١٣٥٩هـ بمصر .
ـ « الإتقان » للسيوطي حققه محمد أبوالفضل إبراهيم . دار التراث . القاهرة . الثالثة ١٤٠٥هـ .
ـ « إعراب القرآن » للنحاس تحقيق د. زهير غازي زاهد . الثانية ١٤٠٥هـ عالم الكتب .
ـ « الإفصاح » للفارقي . تحقيق سعيد الأفغاني ـ الثالثة ـ ١٤٠٠هـ بيروت .
ـ « الإنصاف » للأنباري تحقيق محيي الدين عبدالحميد . الرابعة ١٣٨٠هـ السعادة .
ـ « البحر المحيط » لأبي حيان مصورة عن السعادة .
ـ « تاج العروس » للزبيدي . نشر دار الحياة . بيروت عن الطبعة الخيرية ـ ١٣٠٦هـ بمصر .
ـ « التبيان » للعكبري بتحقيق البجاوي . طبع عيسى الحلبي ١٣٩٦هـ .
ـ « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي مصورة عن طبعة دار الكتاب في القاهرة .
ـ « خزانة الأدب » للبغدادي . تحقيق عبدالسلام هارون . دار الكتاب العربي . القاهرة ١٣٨٧هـ .
ـ « الخصائص » لابن جني تحقيق محمد علي النجار . طبع دار الكتب ١٣٧١هـ .
ـ « الدرر اللوامع » للشنقيطي . مصورة عن طبعة بمصر ١٣٢٨هـ .
ـ « ديوان رؤبة » تصحيح وليم . دار الآفاق . بيروت .
ـ « روح المعاني » للألوسي . مصورة عن الطباعة المنيرية .

ـ «السبعة في القراءات» لابن مجاهد. تحقيق د. شوقي ضيف. الثانية. دار المعارف ١٩٨٠م.
ـ «سر صناعة الإعراب» لابن جني. تحقيق د. حسن هنداوي ـ دار القلم بدمشق. الأولى ١٤٠٥هـ.
ـ «سنن النسائي» بشرح السيوطي. وحاشية السندي. مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
ـ «شرح التسهيل» لابن مالك. تحقيق د. عبدالرحمن السيد. الأولى. الانجلو ١٩٧٤م.
ـ «شرح جمل الزجاجي» لابن عصفور. حققه د. صاحب أبوجناح. العراق. ١٤٠٢هـ.
ـ «شرح قطر الندى» لابن هشام. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. السعادة بمصر. الثانية عشرة ١٣٨٦هـ.
ـ «شرح الكافية الشافية» لابن مالك. تحقيق د. عبدالمنعم أحمد هريدي. مطبوعات جامعة أم القرى. الأولى ١٤٠٢هـ.
ـ «شرح المفصل» لابن يعيش. الطبعة المنيرية بمصر.
ـ «شفاء العليل في إيضاح التسهيل» للسلسيلي. تحقيق د. الشريف عبدالله. الأولى ١٤٠٦هـ. الفيصلية ـ مكة المكرمة.
ـ «شواهد التوضيح والتصحيح» لابن مالك. تحقيق د. طه محسن. طبع وزارة الأوقاف (العراق) ١٤٠٥هـ.
ـ «الصاحبي» لأحمد بن فارس تحقيق السيد أحمد صقر. طبع عيسى الحلبي. القاهرة.
ـ «صحيح البخاري» مصورة عن طبعة إستانبول. دار الفكر ـ ونسخة أخرى وهي نسخة اليونيني. تصوير دار الجيل بيروت.
ـ «فتح الباري» لابن حجر. تصوير عن الطبعة السلفية.
ـ «الكافي شرح الهادي» لعز الدين الزنجاني. رسالتي الدكتوراه حققتها على عدة نسخ، منها نسخة بخط المؤلف.
ـ «كتاب سيبويه» تحقيق وشرح عبدالسلام هارون. الثانية. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ـ «لسان العرب» لابن منظور. دار صادر. بيروت ١٣٨٨هـ.
ـ «ليس في كلام العرب» لابن خالويه. تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار. دار العلم للملايين. بيروت ١٣٩٩هـ. الثانية.
ـ «اللهجات العربية في التراث» د. أحمد علم الدين الجندي. الدار العربية للكتاب. ليبيا ١٩٨٣م.
ـ «اللهجات في الكتاب لسيبويه» لصالحة راشد. مطبوعات جامعة أم القرى. الأولى ١٤٠٥هـ.
ـ «المبسوط» للسرخسي. السعادة بمصر ١٣٢٤هـ.
ـ «مجمع الأمثال» للميداني. حققه محمد أبوالفضل إبراهيم. طبع عيسى الحلبي.
ـ «المحتسب» لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وزميليه. طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٣٨٩هـ.
ـ «المساعد» لابن عقيل. تحقيق د. محمد كامل بركات. دار الفكر بدمشق. ١٤٠٠هـ. من مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز. مكة المكرمة.
ـ «مسند الإمام أحمد» الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ. المكتب الإسلامي. بيروت.
ـ «المصباح المنير» للفيومي. تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي. دار المعارف.
ـ «معاني القرآن» للفراء. تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
ـ «المقاصد النحوية» للعيني، مصورة عن طبعة بولاق ١٢٩٩هـ. بهامش «خزانة الأدب».
ـ «النوادر في اللغة» لأبي زيد. تحقيق د. محمد عبدالقادر أحمد. الأولى. دار الشروق ١٤٠١هـ.

ـ « همع الهوامع » للسيوطي . دار المعرفة . مصورة بيروت .

[الحواشي] :

(١) انظر « خزانة الأدب » (٧ : ٤٥٤) ، و « اللهجات العربية في التراث » (١ : ٤١) ، و « اللهجات في الكتاب » (ص : ٥٠ ، ٥٥٧) .
(٢) انظر « تاج العروس » (١ : ٦١٥) .
(٣) « شرح الكافية الشافية » (١ : ١٩٠) معزواً إلى « ابن دَرَسْتَوَيْه » .
(٤) « همع الهوامع » (١ : ٤٠) .
(٥) « الجامع لأحكام القرآن » (١١ : ٢١٧) ، و « المقاصد النحوية » (١ : ١٣٨) .
(٦) « همع الهوامع » (١ : ٣٨) .
(٧) « المقاصد النحوية » (١ : ١٣٦) .
(٨) الرجز في « المقاصد النحوية » (١ : ١٢٩) ، و « الدرر اللوامع » (١ : ١٢) .
(٩) رواه « أحمد » في « مسنده » (٥ : ١٣٦) من حديث « أبي بن كعب » .
(١٠) « المقاصد النحوية » (١/١٣٨) .
(١١) القَوَد : القِصَاص : من (أَقَادَ الأميرُ القاتِلَ بالقَتْلِ ، قتله به) . « المصباح » (قود : ٥١٩) .
(١٢) هذه مسألة مرتبطة بالفقه الإسلامي ، ولابد من بسط هذه الفتوى وتوضيحها بما قاله السرخسي في « المبسوط » ـ ٢٦ : ٦٤ ـ ٦٥ ـ عما يتعلق بقتل شبه العمد ـ : (هو ماتعمدت ضربه بالعصا أو السوط أو الحجر أو اليد ، فإن في الفعل معنيين : العمد باعتبار الفاعل إلى الضرب ، ومعنى الخطأ بانعدام القصد منه إلى القتل ، لأن الآلة التي استعملها آلة الضرب للتأديب دون القتل ، والعاقل إنما يقصد كلُّ فعل بآلته ، فاستعماله آلة التأديب دليلٌ على أنه غير قاصد إلى القتل .
وشبه العمد لا قصاص فيه لتمكن الشبهة ، والخطأ ، حيث انعدام القصد إلى القتل ، والقصاص عقوبة تندريْ بالشبهات ، وهي تعمد المساواة ولا مساواة بين قتل مقصود وقتل غير مقصود ، ثم هذا القتل لما اجتمع فيه معنيان : أحدهما يوجب القصاص ، والآخر يمنع ترجح المانع على الموجب ، لأن السعي في إبقاء النفس واجبٌ ما أمكن ، فإن الإبقاء حياة حقيقة ، وفي القصاص حياة حكماً ، فلهذا لا يوجب القود في شبه العمد ، وأذا تعذر إيجاب القود وجبت الديةُ ، وهي مغلظة . .) .
(١٣) جبل بمكة .
(١٤) « الإنصاف » ـ ١ : ١٨ ـ ، و « المقاصد النحوية » ـ ١ : ١٣٨ ـ .
(١٥) ويروى (أخوك) بالواو . انظر « شرح التسهيل » لـ « ابن مالك » ـ ص ٤٩ ـ ، و « الدرر » ـ ١ : ١٢ ـ .
(١٦) هو لموير الحارثي كما نسب في « لسان العرب » (صرع) .
والبيت في « الصاحبي » ـ ص ٢٩ ـ ، و « ليس في كلام العرب » ـ ص ٣٣٤ ـ ، و « الكافي شرح الهادي » ـ ص ٨٩ ـ .
هابي التراب : أي : كأن ترابه مثل الهباءة في الرقة .
ويروى في « لسان العرب » و « تاج العروس » (هبا) : (أذنيه) وهو الوجه ، ولا شاهد فيه حينئذ .
(١٧) هو للمتلمس يعاتب خاله الحارث بن التوأم اليشكري .
والبيت في « شرح الكافية الشافية » ـ ١ : ١٨٩ ـ ، و« المساعد » ـ ١ : ٤١ ـ ، و«خزانة الأدب » ـ ٧ : ٤٥٣ ـ ، و«معاني القرآن » ـ ٢ : ١٨٤ ـ يروى (لنابيه) ولا شاهد فيه حينئذ .
أطرق الرجل : إذا سكت فلم يتكلم . الشجاع : الذكر من الحيات .

المساغ : المدخل ، وصمم : أي : عض ونيب فلم يرسل ماعض .

(١٨) هو لرجل من بني ضبة ، كما في « النوادر » ــ ص ١٦٨ ــ وصحح ذالك « العيني » .
والبيت في « شرح جمل الزجاجي » ــ ١ : ١٥٠ و« شرح المفصل » لابن يعيش ــ ٣ : ١٢٩ ــ ، و ــ ٤ : ٦٧ ، ١٤٣ ــ ، و« المقاصد النحوية » ــ ١ : ١٨٤ ــ .
ويروى في « النوادر » هكذا :

أعرفُ منها الأنفَ والعَيْنَانَا ... ومَنْخِـرَانِ أشْـبَهَا ظَبْيَـانَا

ظبيان : اسم رجل (؟) أراد : منخري ظبيان .

(١٩) الرجز في « الإفصاح » ــ ص ٣٧٧ ــ بتقديم الثاني على الأول . الشمشمان : الطويل الحسن ، الخفيف اللحم ، الخَبُّ : الخبيث الماكر . والشاهد فيه « اليدان » والوجهُ : « اليدين » .

(٢٠) الرجز لأبي النجم ، وهما في ديوانه ــ ص ٢٢٧ ــ ، وفي ملحقات « ديوان رؤبة » ــ ص ١٦٨ ــ وهما في « شرح المفصل » لابن يعيش ــ ٣ : ١٢٩ ــ و« شرح التسهيل » لابن مالك ــ ص ٤٩ ــ و« المقاصد النحوية » ــ ١ : ١٣٣ ــ و« خزانة الأدب » ــ ٣ : ٣٣٨ ــ .
الرجز لبعض أهل اليمن ، وقبله :

طَـارُوا عَلاَهُـنَّ فَشُـلْ عَلاَهَـا

وهو في « النوادر » ــ ص ٢٥٩ ــ و« شرح المفصل » لابن يعيش ــ ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ ــ و« خزانة الأدب » ــ ٣ : ١٩٩ ، ٣٣٨ ، ٤ : ٥٧ ــ .
والشاهد في (علاهن) و(علاها) و(حقواها) ، فإن الكثير في الكلام أن يقال : عليهن ، وعليها ، وحقويها ، لكنه شبه ألف الأدوات بألف المقصور فأبقاها .
ويروى (فَطِرْ علاها) . والحَقَبُ : الحزام يلي حقو البعير ، أو حبل يشدُّ به الرحل في بطنه ، والحقو : الكشح والبطن .

(٢١) « شرح التسهيل » لابن مالك ، ــ ص ٤٩ ــ و« شرح شذور العرب » ص ٢٢٥ .

(٢٢) الكافي شرح الهادي ص ٨٩ .

(٢٣) طه : ٦٣ . قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي (إنَّ) مشددة النون ، (هذان) بألف خفيفة النون .
وقرأ « ابن كثير » : (إن هذان) بتشديد نون (هذانِّ) ، وتخفيف نون (إن) .
واختلف عن عاصم فروى أبوبكر : (إن هذان) نون (إنَّ) مشددة (هذانِ) مثل حمزة . وروى حفص عن عاصم (إنْ) ساكنة النون ، وهي قراءة ابن كثير ، و(هذان) خفيفة .
وقرأ أبو عمرو وحده : (إنَّ) مشددة النون (هذين) بالياء . « السبعة » ص ٤١٩ ، و« شرح المفصل » لابن يعيش ــ ٣ : ١٢٩ ــ و« الجامع لأحكام القرآن » ١١ : ٢١٦ ــ .

(٢٤) انظر « البحر المحيط » ــ ٦ : ٢٥٥ ــ .

(٢٥) وفي « شرح قطر الندى » ص : ٦٤ :
ومما يلحق بالمثنى (كلا) و(كلتا) . وشرطهما أن يكونا مضافين إلى الضمير . نحو : (جاءني كلاهما) و(رأيت كليهما) و(مررت بكليهما) فإن كانا مضافين إلى الظاهر كانا بالألف على كل حال ، نحو : (جاءني كلا أخويك) و(رأيت كلا أخويك) و(مررت بكلا أخويك) .
فيكون إعرابها حينئذ بحركات مقدرة في الألف ؛ لأنهما مقصوران كـ(الفتى) و(العصا) .
وكذا القول في (كلتا) .
وفي « الكتاب » ــ ٣ : ٤١٣ ــ : (سألت الخليل عمن قال : (رأيت كِلاَ أَخَوَيْكَ) و(مررت بكلا أَخَوَيْكَ) . ثم قال : (مررت بكليهما) ، فقال : جعلوه بمنزلة (عليك) و(لديك) في الجر والنصب ؛ لأنهما ظرفان يستعملان في الكلام مجرورين ومنصوبين ، فجعل (كلا) بمنزلتهما حين صار في موضع الجر

والنصب . وإنما شبهوا (كلا) في الإضافة بـ(على) لكثرتها في كلامهم ، ولأنهم لا يخلوان من الإضافة . وقد يشبه الشيء بالشيء وإن كان ليس مثله في جميع الأشياء) . .

(٢٦) « الجامع لأحكام القرآن » ـ ١١ : ٢١٧ ـ .

(٢٧) « الكتاب » ـ ١ : ١٧ ـ .

(٢٨) المجادلة : ١٩ .

(٢٩) « البحر المحيط » ـ ٦ : ٢٥٥ ـ .

(٣٠) « روح المعاني » ـ ١٦ : ١٢٣ ـ .

(٣١) قائلها عبدالله بن قيس الرُّقَيَّات ، وهما في « شرح المفصل » لابن يعيش ـ ٨ : ٦ ، ١٢٥ ـ (بكر) جاء بكرة .

(٣٢) « الجامع لأحكام القرآن » ـ ١١ : ٢١٨ ـ و« شرح المفصل » لابن يعيش ـ ٣ : ١٣٠ ـ .

(٣٣) « الجامع لأحكام القرآن » ـ ١١ : ٢١٨ ـ .

(٣٤) انظر « التبيان في إعراب القرآن » ـ ٢ : ٨٩٥ ـ .

(٣٥) « الجامع لأحكام القرآن » ـ ١١ : ٢١٩ ـ .

(٣٦) « معاني القرآن » ـ ٢ : ١٨٤ ـ .

(٣٧) « المحتسب » ـ ١ : ٣٠٩ ـ و« إتحاف فضلاء البشر » ص ٢٤٧ .

(٣٨) « إعراب القرآن » ـ ٢ : ٢٤٨ ـ .

(٣٩) « الجامع لأحكام القرآن » ـ ٨ : ٣٢٠ ـ .

(٤٠) « إعراب القرآن » ٢ : ٢٤٩ ـ .

(٤١) أخرجه أحمد في « مسنده » ـ ١ : ٤٤٦ ـ من حديث عبدالله بن مسعود مرفوعاً . وانظر « شواهد التوضيح » ـ ١٥٧ ـ .

(٤٢) هكذا أخرجه أبو الفرج في « جامع المسانيد » كما قال ابن مالك في « شواهد التوضيح » ص ١٥٨ . وأخرجه أحمد في « مسنده » ـ ١ : ١٠١ ـ من حديث عليّ ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : « إني وإيَّاك وهذين وهذا الراقد في مكانٍ واحد يوم القيامة » .

(٤٣) أخرجه النسائي في « سننه » في (كتاب قيام الليل وتطوع النهار ـ باب نهي النبي ﷺ عن الوترين في ليلة) ـ ٣ : ٢٣٠ ـ .

(٤٤) « شرح قطر الندى » ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٤٥) أخرجه البخاري في « صحيحه » في (كتاب مواقيت الصلاة ـ باب السَّمَرِ مع الأهل والضيف) ـ ١ : ١٥٠ ـ وانظر « شواهد التوضيح » ص : ١٥٧ ـ .
وقد روي الشاهد بروايتين : أولاهما : (اثنا عشر) ، وهي رواية اليونيني كما في « صيحيح البخاري » ـ ١ : ١٥٧ ـ وأثبتها هكذا ابنُ مالك في « شواهد التوضيح » ص ١٥٧ ـ وابن حجر في « فتح الباري » ـ ٢ : ٧٦ ـ .
وثانيتها : (اثني عشر) على اللغة المشهورة ، وهي رواية أبي ذر ، والأصيلي ، وابن عساكر وأبي الوقت .

(٤٦) أخرجه البخاري في « صحيحه » في (كتاب الأنبياء ـ باب قول الله تعالى : ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ ـ ٤ : ١٢١ ـ من حديث أبي هريرة .
وهو في « فتح الباري » ـ ٦ : ٤١٨ ـ وأم رومان هي أم « عائشة » رضي الله عنها ـ وانظر « شواهد التوضيح » ص ١٥٧ .

(٤٧) هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وأطلق على الأول ابن عفراء تغليباً . « فتح الباري » (٧ : ٢٩٦) .
←

بطون نَهْد وتفرقها في البلاد

لعَلَّ من المناسب ذكر ما أورده ابنُ الكلبي ــ إمام النسابين ــ عن تفرع هذه القبيلة قال[1] : وولد لَيْثُ بن سَود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة ــ زَيْداً ، فولد زيدُ سعداً (سَعْد هُذيم) وجُهينة ، ونَهْداً .

فولد نَهْد مالكاً وصُباحاً ــ بطن ــ وحزيمة بطن وزيداً بطن ، ومعاوية وكعباً وأبا سُوْدٍ ، فهاؤلاء نَهْدُ اليمن الذين بتثليث ، قريبٍ من نَجْرَان .

وعامر بن نَهْدٍ ، وعَمْراً وحنظلة ، وهو الذي كانت تتحاكم إليه العرب في زمانه ، وله يقول القائل : حنظلة بن نهد خير ناشي في مَعَدّ . والطول بن نَهْد ، ومُرة[2] ، وحَزِيمة وأبانا ، فهاؤلاء نَهْدُ الشام .

فأما عامر بن نَهْد فدخلوا في كلب في بني عُليم بن جناب ، وأما بنو عمرو بن نَهْدٍ فدخلوا في بني عَدِيٍّ بن جَنَاب ، وهم رهط سويد بن مَشْنُوْءٍ الشاعر .

وأما أبانُ بن نهد فدخلوا في بني تغلب ، ثم في بني ثعلبة بن بكر .

فولد مالكُ بنُ نَهْدٍ زُوَيًّا بطن ، ورفاعة بطن ، وإليهما عدد نَهْدٍ وشرفها ، والحارث بن مالك ، وهو بُتَيْرَةُ ، ويُنسب أحدهم فيقال بُتْرِيٌّ ، وهم بطن دخلوا في بني أسامة بن حرام بن رفاعة بن مالك بن نهد .

فولد زُوَيٌّ بن مالك سلامة بطن ، ومُرة بطن ، وكَعْبَ بن زُوَيّ الْعُبيد بطن ، ابن القُمير بن سلامة بن زُويّ بن مالك ، يعلى بن عميرة بن يعمر بن حارثة بن العُبيد البطن ، شهد القادسية وكان معه اللواء يوم صفين مع علي ــ عليه

← (٤٨) أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب المغازي ــ باب قتل أبي جهل) ــ ٥ : ٦ ــ . ورواية (أبا جهل) للأكثر ، وللمستملي وحده : (أنت أبو جهل ؟) والأول هو المعتمد من حديث أنس هذا . فقد صرح إسماعيل بن عُلَيَّة عن سليمان التيمي بأنه هكذا نطق به أنس كما في « فتح الباري » ــ ٧ : ٢٩٥ ــ و« المقاصد النحوية » ــ ١ : ١٣٨ ــ . وانظر « شواهد التوضيح » ص ١٥٧ .

(٤٩) انظر « فتح الباري » ــ ٧ : ٢٩٥ ــ .

(٥٠) هو عبدالله بن زيد بن عمرو بن عامر الجرمي ، البصري ، تابعي جليل ، ومحدِّث ثقة . توفي بالشام سنة ١٠٤هـ . « الأعلام » ــ ٤ : ٨٨ ــ .

السلام ــ عايش بن الضباب من بني الربضي بن صبح بن عبدالله بن العُبيد ، كان سيدهم في الجاهلية ، ثم أسلم وهو الناسك .

ومن غَنْمِ بن صُبح بن عبدالله بن العُبيد بن القُمير : قيسٌ الشاعر بن عبدالله ابن غنم بن صُبح ، الذي كان يقال له ابن سَخْلَةَ وهي أُمُّهُ .

صُريم بطن ، ودَهْشم بطن ابنا سعد بن كعب بن زُويٍّ بن مالك بن نهد .

الصَّقعب وهو خُشيم بن عمرو بن سعد بن صُريم البطن ، وقد رأس ، وله يقول النعمان بن المنذر : لأنْ تَسْمَع بالمُعيديِّ خَيْرٌ من أن تراه .

مازنُ بن كعب بن جناب بن عبدالله بن دهشم البطن ، الذي قال لبني نهد حين ارْتَدُّوا : كَبِّرُوا وأَغِيرُوا على المسلمين .

عَمْرُو بن مُرة بن عبد يغوث بن مالك بن الحارث بن شحب بن مُرة البطن بن زُويّ ، وهو الذي بعثه علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ حين أغار البياغُ الكلبيُّ على بكر بن وائل ، فأخذ سَبْيَهُمْ ، فأتاه فَرَدَّ عليهم السَّبْيَ فقال عمرو :

رَهَنْتُ يَمِيْنِي عَنْ قُضَاعَةَ كُلِّهَا فَـأُبْتُ حَمِيْداً فِيْهِم غَـيْرَ مُغْلَقِ

قيس بن طُهْفَةَ من بني رفاعة البطن بن مالك بن نهد ، كان سيداً في زمانه ، وقد ولي الرُّبع بالكوفة زمان علي ــ رضي الله عنه ــ وكانت عنده الرَّباب بنت الأشعث بن قيس ، ففخَرَتْ عليه فطلقها .

عبدالله بن العجلان بن عبدالأحب بن كعب ، من بني صُباح بن نهد الشاعر جاهلي .

لِخْوَةُ بطن بن زِمَّان بن حزيمة بن نهد منهم عبدالله بن كيسبة بن عمرو بن لخوة ، صاحب عمر بن الخطاب .

شيبان بن عامر بن كوز بن هلال بن عُصيم بن نصر بن زمان بن خزيمة بن نهد ، وهو ابن الصبية الفارس الشاعر ، وكان النعمان ، إذا أراد أن يبعث ألفي فارس بعث شيبان بن الصبية ، وعصام بن شهبر من جرم بن ربان .

طرف من أخبار نَهْدٍ قديماً :

ما أورده الأستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي (س ٢٤ص١) في بحثه الممتع عن شاعر بني نَهْدٍ عبدالله بن العجلان من تاريخ هذه القبيلة قبل الإسلام قد يكون أوفى مايجده الباحث من معلومات عنها في عهدها القديم وملخصه : أن قبيلة قضاعة التي تُنْمى إليها قبيلة بني نهد كانت منتشرة في تهامة على شاطىء بحر جدة إلى منتهى ذات عرق إلى حيز الحرمْ من السهل والجبل ، وَبِجُدَّةَ وُلِدَ جُدَّةُ بنُ جَرْمِ بن رَبَّان[٣] .

. ثم وقعت حرب بين أولاد معد ــ على القول بأن قضاعة هو عمرو بن معد بن عدنان[٣] ــ وكان من أثر تلك الحرب اجتماع بني نزار مع كندة على إجلاء قضاعة من منازلها ، فأنجدت ، وتفرقت بطونها في نواحي الجزيرة ، وكان من تلك البطون سعد هُذيم ونَهْدُ ابنا زيد بن ليث بن سُوْدِ بن أسْلُمَ بن الحافِ بن قُضاعة .

وكانا أول من طلع من قضاعة إلى أرض نجدٍ فأصحرا في صحرائها فعرفا باسم صحار[٤] .

قال عباس بن مرداس السلمي في الحرب التي كانت بين بني سُليم وبني زُبيد وهو يعني نَهْداً وضَمَّ إليهم جَرْم بن رَبّان[٥] :

فَدَعْهَا ولٰكِنْ هلْ أتَاهَا مَقَادُنَـا   لِأَعْدَائِنَا نُزْجِي الْثِّقالَ الْكَـوَانِسَا
بِجَمْعٍ نُرِيْدُ ابْنَيْ صُحَارٍ كِلَيْهِمَا   وآلَ زُبَيْـدٍ مُخْطِئـاً أَوْ مُـلَامِسـاً

ويظهر أن استقرار النهديين بجوار بني زُبيد وخثعم لم يكن شاملاً لقبيلة نَهْد وانما كان خاصاً بمن دعاهم ابن الكلبي (نهد اليمن) الذين ذكر أنهم في تثليث بقرب نجران ، إذ أورد البكري نصوصاً جاء فيها[٦] : فظعنت جرم من حضن وما قاربه ، فتوجهت طائفةٌ منهم إلى تيماء ووادي القرى ، مع بني نَهْد بن زيد ، وحوتكة بن سود بن أسلم ، فصاروا وأهلها وسكانها ، حتى وقعت بينهم وبين قبائل سعد هُذَيْمِ بن زيد حرب فأجلاهم بنو سعد فلحقوا ببلاد اليمن .

وعن إجلاء النهديين هذا قال الصحاري[٧] ـ في الكلام على رزاح بن ربيعة العُذري أخي قُصيِّ بْنِ كلاب لِأُمِّهِ ـ : ورزاح أَجلى نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم ، وهما كانا أكثر بطون قضاعة وأنماها ، وقال البكري : ثم حدثت حرب بين بني سعد هُذيم وبني نهد ورئيس بني سعد يومئذ رزاح بن ربيعة العذري فاخرجت بنو سعد نهدا ومن معها من جرم وغيرها عن تلك البلاد ، وسارت إلى بلاد اليمن فجاورت مذحج ثم ذكر وقوع اختلاف بين جرم ونهد ، وأنَّ نَهْداً حالفت بني الحارث بن كعب .

ونقل عن الهمداني[٨] قوله : وأقام زيد (بن ليث بن سود) بالحجاز فافترق بها نسله من سعد وعُذرة وجُهينة ونَهد ، فأما نهد فارتفعت إلى نجد العليا ، وقد كانت دَهْراً بتهامة . انتهى .

ويظهر انه يقصد بنجد العليا الأودية المنحدرة من شرق السَّراة ، سَرَاة جَنْبٍ قديماً ، المعروفة الآن بسراة عَبِيْدة .

والواقع أن تاريخ قبيلة نهد قبل الإسلام ـ كتاريخ غيرها من القبائل ـ يعتريه الغموض ، ولهذا فالباحث في هذا التاريخ يعترضه كثير من التردد والحيرة فيما يرد من النصوص عن منازل قبيلة نهد في العهد الجاهلي ، والذي يمكن استخلاصه ـ من تلك النصوص ـ هو أن قبيلة نهد كانت من فروع قبيلة قضاعة ، بل قد تكون من أبرز تلك الفروع في عهدها القديم ، حيث يورد البكري أن أول بيت في قضاعة في حنظلة بن نهد[٩] ، وكان صاحب فُتاحتهم ، وهو حَكمهم الذي يحكم بينهم ، وصاحب العرب بعكاظ حين تجتمع في أسواقها ، انتهى .

ومعروف أن القبيلة يعتريها مايعتري المرءَ في مراحل عمره من حيث الشباب فالقوة فالضعف ، ويعقبه بالنسبة للقبيلة التفكك والتفرق والالتجاء إلى قبيلة قوية ، وهذا ماحدث لقبيلة نهد ، فقد كانت ذات فروع كثيرة ، تفرقت في الجزيرة بتفرق قبائل قضاعة التي انتشرت في شمال الحجاز ، ومنها من ذهب إلى شرق الجزيرة في عمان[١٠] ، وكان ذالك قبل ظهور الإسلام وبقيت لهم بقايا في تلك البلاد إلى عهود متأخرة ، وكانت بعض بطون منهم تنتقل بقرب المدينة في

الروحاء وفرش مَلل ، وجبل رَضوى ، مجاورين لأخوتهم من قبيلة جهينة القضاعية[١١] .

أما أكثر فروعهم فقد استقرت في أول الأمر في وادي تثليث وما بقربه من الأودية والبلاد ، ويظهر أن حروب القبائل المجاورة لهم وأكثرها لا يمت إلى نهد بصلة النسب كان من أقوى الأسباب التي أضعفت القبيلة ، ولعل هذا يفسر لنا ماجاء في كتاب « الأنساب »[١٢] للصحاري حيث قال في الكلام عن مسير أبرهة القائد الحبشي إلى مكة : وأما بنو نَهْدٍ فوادعوا أبرهة على أن ينزلوا السهل من أرض اليمن آمنين لا يعرض لهم أحد من قبل أبرهة ، ولا يعرضون لأحد من أصحاب ابرهة ، وتركوا عند أبرهة رهينة رجلاً من سادتهم يقال له طفيل بن عبدالرحمن بن طفيل بن كعب النهدي .

وفي آخر العهد الجاهلي اضطر النهديون بعد هزائمهم في حروبهم مع جيرانهم من خَثْعم وعَنْز وغيرهما من القبائل إلى محالفة جيرانهم الجنوبيين أهل نجران ، بني الحارث بن كعب الذين كانوا إحدى جمرات العرب في العهد الجاهلي ، فلما حالفوا بني نهد ضعفوا[١٣] .

وفي « الطبقات الكبرى » لابن سعد[١٤] : وكتب رسول الله ﷺ لقيس بن الحصين ذِي الْغُصَّةِ : أمانة لبني أبيه بني الحارث ولبني نَهْدٍ ، أنَّ لهم ذمة الله وذمة رسوله ، لا يحشرون ولا يُعشرون ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وفارقوا المشركين ، واشهدوا على إسلامهم ، وأن في أموالهم حقاً للمسلمين ، قال : وكان بنو نهد حلفاء بني الحارث . انتهى .

وتقل أخبار بني نهد عند ظهور الإسلام ، ولعل أبرزها ماروي عن قدوم وافدهم الذي قال عنه ابن عبدالبر في كتاب « الاستيعاب »[١٥] : طهفة بن زهير النهدي وفد إلى النبي ﷺ في سنة تسع حين وفد أكثر العرب ، فكلمه بكلام فصيح ، وأجابه ﷺ بمثله ، وكتب له كتاباً إلى قومه بني نهد بن زيد .

وقد ورد في كثير من كتب « غريب الحديث » نَصُّ كتاب رسول الله ﷺ لبني نَهْدٍ ، وما جرى بين وافدهم طهفة وبين الرسول ﷺ من كلام ، وهاهو على ماجاء

في كتابي « أخبار المدينة » لابن شبة و « منال الطالب » لابن الأثير ، مع ملاحظة ورود اختلاف في كثير من الكلمات بين ما أورده اللغويون منها : لما قدمت وفودُ العرب على النبي ﷺ قام طَهْفَةُ بن أبي زُهَيْرٍ النَّهْدِيُّ ، فقال : أتيناك يارسول الله ، من غَوْرَيْ تِهَامَةَ ، بأكوارِ المَيْس ترتمي بنَا العِيسُ ، نَسْتَحْلِبُ الصَّبِير وَنَسْتَخْلِبُ الخَبِير ، ونَسْتَعْضِدُ البَرِيْرَ ، ونَسْتَخِيلُ الرِّهامَ ، ونَسْتحيلُ أو نستجيل الجَهَام ، في أرضٍ غائِلة النِّطا ، غَليظة الْوِطَا ، قد نَشِفَ المُدْهُنُ ، ويَبِسَ الْجِعْثِنُ ، وسَقَطَ الأمْلُوجُ ، وماتَ العُسْلُوجُ ، وهَلَكَ الْهَدِيُّ ومات الْوَدِيُّ ، برئنا يا رسول الله من الوَثَنِ والعَنَنِ ، وما يُحدث الزَّمَن ، لنا دعوةُ السلام ، وشريعةُ الإسلام ، ماطَما البَحْرُ وقام تِعَارٌ ، ولنا نَعَمٌ هَمَلٌ أغْفالٌ مَاتَبَضُّ بَبَلَال ، وَوَقِيرٌ كَثِيرُ الرِّسْلِ ، قَلِيْلُ الرِّسْل ، أصابتْهَا سَنَةٌ حَمْراءُ مُؤْزِلَةٌ ليس لها عَلَلٌ ولا نَهَلٌ .

فقال رسول الله ﷺ : « اللهّم بارِكْ لهم في مَحْضِهَا ومَخْضِهَا ومَذْقِهَا وفِرْقِهَا ، وابعَثْ راعِيهَا في الدَّثْرِ بيانع الثَّمَر ، وافْجُرْ لهم الثَّمَدَ ، وبارِكْ لهم في المال والولد ، من أقام الصلاة كان مسلماً ، ومن آتى الزكاة كان مُحْسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مُخْلِصاً . لكم يابني نَهْدٍ ودائِعُ الشِّرْك ، ووضائعُ المُلْك ، لم يكن لكم عَهْدُ ولاءٍ مُؤَكَّد ، لا تتثاقل عن الصلاة ، لا تُلْطِط في الزكاة ، ولا تُلْحِد في الحياة » .

وكتب معه كتاباً إلى بني نَهْد : من محمد رسول الله إلى بني نَهْد بن زيد : السلام على مَنْ آمنَ بالله ورسوله ، لكم يابني نَهْد ، في الوَظِيفَة الفَرِيضَةُ ، ولكم العارِضُ والفَريشُ ، وذُو الْعِنَان الرَّكُوبُ ، والفَلُوُّ الضَّبِيْسُ ، لا يُمْنَع سَرْحُكُمْ ، ولا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ ، ولا يُحْبَسُ دَرُّكُم ، ولا يُوكَلُ أُكْلُكُم ، ما لَمْ تُضْمِرُوا الإماقَ ، وتأكلوا الرِّباق ، مَن أقرَّ بما في هذا الكتاب فَلَهُ من رسول الله الوفاءُ بالعهد ، والذِّمَّةُ ، ومن أبى فعليه الرِّبْوَةُ .

وتقِلُّ أخبارُ هذه القبيلةِ في صدر الإسلام ، وانسياح الجيوش الإسلامية في الغزوات خارج الجزيرة ، ويظهر أنها ممن شارك في بعض الفتن ، إذ يفهم من كلام ابن جرير أنها ممن شايع المختار بن أبي عُبَيْدٍ في ثورته سنة ٦٦ ، وكان لها خُطَّةٌ في البصرة .

وقد حدد الهمداني بلادبني نَهْد وذكر فروعهم في عهده[١٦] فقال : طَرِيْبُ وِمَصَّابهُ من ذَوَات القصص ، وكُتْنَة ، وأراك وادٍ فيه أراك ، وأراكة في أسفل بلد زُبَيْد ، وأراكة ناحية المصامة من ديار خثعم بن عامر بن ربيعة ، وتَثْلِيثُ ، وكان لِعَمْرِو ابن مَعْدِ يْكَرِب فيه حصن ونخل ، والقرارة والريَّان ، وجَاشُ ، وذُو بَيْضـان ، ومَرِيعُ وعَبَالِمُ ، وغرب ، والحضارة ، والعشُتانِ ، والبردان ــ والبردان بثر بِتَبالة وبالعرض من نجران ــ وذات الاه ، وهي قرى الدبيل ، وعشر ، وعشر بواد من ناحية صنعاء ، وعارِبان ، وسقم ، وقريتهم الْمُجَيْرَة ، والذي يسكن هذه البلاد من قبائل نهد مُعَرّفُ وحرام وهي أكثر نهد ، وبنو زُهير وبنو دُوَيد ، وبنو حَزيمة وبنو مرمض ، وبنو صخر وبنو ضِنَّة ، وضِنَّة من عذرة ، وبنو يربوع ، وبنو قيس ، وبنو ظبيان ، انتهى .

ونقل البكري عن الهمداني في «الأكليل » : حَبَوْنَنُ من ديار مذحج ، وكذالك جاش ، ومريع ويَبَنْبَمُ والمُجَيْرَة والكُتْنَة ، ثم أضاف عن تلك المواضع وهي اليوم لبني نهد[١٧] ، وعد البكريُّ من بلادهم موضعاً سماه صِمَاماً ، وأورد شاهداً عليه من شعر عَمْرِو بن مَعْدِيْ كَرِبَ .

ويظهر أن بني نهد لم يستطيعوا الاستقرار في بلادهم هذه لضعفهم ومزاحمة القبائل المجاورة لهم من خَثَعم وعَنْز وغيرهم ، وأنهم شاركوا في حروب وقعت بين العواسج وبين قبيلة عنز ، انتهت بانتصار الْعَنْزِيِّيْنَ ، ويجد الباحث مايشير إلى تلك الحروب في أشعار محمد بن إبراهيم بن إسحاق العوسجي وهو معاصر للهمداني من أهل القرن الرابع الهجري كقوله يحرض بني نهد :

أَلَا يَــالَنَهْــدٍ وَالْمَسَــافَــةُ بيْنَنَــا ... وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنَ ظَنٍّ بِغَائِبِ

وقوله :

ونَــادَيْتُهُــمْ نَهْدَ بْنَ زَيْــدٍ عَـلَيْهِمُ ... مِنَ الْبِيْضِ والْمَاذِيِّ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ
يَقُــودُهُم الْـفَـيَّــاضُ رِزْقٌ ورَهْــطُهُ ... ذَوُو الجود ، والْمَعْرُوفُ مَحْضُ الضَّرائِبِ
سَقَى الله جَنْبــاً وَالْعُــلَا سَنَحَــانَهَا ... لَقَـدْ صَبَرُوا صَبْرَ الْكِرَامِ الْأَطَـايِبِ

وقوله :

سَنْحَانُهَا شُمُّ الأُنُوفِ خَضَارِمٌ فِيْهَا ، قَمَاقِمْهَا ، وفِيهَا المُقْنَعُ

وبعده :

يَا خَيْرَ مَذْحِجَ كُلِّهَا وَسَرَاتَهَا نِعْمَ الْعَشِيرَةُ أَنْتُمُ وَالْمَفْزَعُ[١٨]

وقال عبدالله بن حمزة في قصيدته ذات الفروع :

وَعَنْزٌ نَفَوْا نَهْدَ بْنَ زَيْدٍ وَجَدَّعُوا مَعَاطِسَهُمْ بَعْدَ اصْطِلَامٍ فَأَوْعَبُوا

وفي الشرح قوله : وعنز نَفَوْا نَهْدَ بن زيد ، كان سبب ذالك أن نَهْداً كانت بِتَثْلِيْثَ ، فاستجاشوا مِنْ يليهم من جَنْبٍ وصُدَاءَ وبَلْحَارِث ، وأقبلوا يريدون حَرْبَ عَنْزٍ وشَهْرَان ، فلقوهم بموضع يسمى الحزم ، فقتلوهم قتلاً ذرِيعاً ، فكانت سبب انتقالهم إلى حضرموت . انتهى .

ولايزال أكثر فروع بني نهد منتشراً في بلاد حضرموت وماحولها في شرق اليمن ، وقد ذكر ابن رسول في « طرفة الأصحاب »[١٩] أن مشائخ حضرموت من نهد ومذحج ، وعدد فروع بني نهد وقال : هذه الوجوه كلها يقال لهم نهد ، وإنما قيل لهم نهد لأنهم يسكنون في البلاد ، وانتسبوا إلى هذا الاسم فغلب عليهم ، وإلا فهم مختلفو القبائل والأصل فيهم من قحطان .

ومن أوفى من تحدث عن بني نَهْدٍ في حضرموت الأستاذ حمزة علي لقمان في كتاب « تاريخ القبائل اليمنية » قسم اليمن الجنوبي .

كما ألمح القاضي الحجري في كتابه عن قبائل اليمن وبلدانها[٢٠] إلى أسماء الفروع النهدية في تلك البلاد .

وبقي من بني نَهْدٍ في بلادهم القديمة (تَثْلِيثَ) وما حوله فروع دخلوا في مذحج المعروفين الآن باسم قَحْطَانَ ، وفُرُوعٌ تفرقوا في القبائل الأخرى فبنو زهير من أشهر فروع جَنْبٍ ، قسم منهم دخل في قبيلة عبيدة يعرفون ببني زُهير ، وقسم دخلوا في قبيلة الحُبَاب على اسمهم ، ولهم نخوة خاصة .

وتجد ذكراً لأفخاذ الزُهرة هاؤلاء في « العرب » س ١٧ / ص ٤٦٧ وس ١٩ ص ٢٥٨ وقد أصبحوا يعدون في الحباب بهذه النسبة : أبناء زيد زهير وعبد (الزهرة) وزهير هو ابن زيد بن جميل بن مسلم بن حباب . ومعروف أن حُبَاب من سنحان وسنحان من مذحج . انظر « العرب » س ١٩ ص ٢٦٤ .

وهناك الزُّهَرَةُ من بني زهير ، هاؤلاء مع آل حسن بن صهيب في الأفلاج فيما يعرف باسم (الْحِضَافَةِ) وهي الأرض الممتدة بين السهل والجبل من تلك البلاد ، وهم بادية ، وهم الآن ينتسبون إلى الحباب من سنحان ـــ على ما أفادني الأستاذ حسين بن جُرَيس ـــ أمير الأفلاج ـــ وهو ذُو عنايةٍ واهتمام بعلم النسب .

وقرأت في أحد المؤلفات الأخيرة طرفاً من خبر بني نهد هاؤلاء يحسن ايراده وإن لم يكن على درجة من القوة تقنع الباحث ، إلا أنه مما يؤيد ماهو متناقل ومعروف في عصرنا الحاضر عن تفرق هذه القبيلة ، قال في « إمتاع السامر » عن بني نهد(٢١) : وتفرقت هذه القبيلة بين قبائل العرب ، وعلى أطراف الجزيرة ، وكان مسكنهم بصبح وترج مع بني زيد ، ويمتدون إلى تثليث ، ومن بقاياهم بنو معاوية ، ولاتزال في بيشة ، وبنو نازلة ، وبنو بهش (البهشة) وقد انضموا إلى بني ثعلبة من بالأحمر ، ومن بقايا بني نَهْدٍ في تثليث بنو معمر بن حزيمة ، بجوار الفهر بن معرف بن نَهْد ، والفهر من قيس بن معاوية بني الحارث ، دخل في نهد مع الجرابيع (جربوع) بن عُصَم بن نهد قد اختلطوا ببني حزيمة بن نهد ، كما دخلت الأغلوق من ولد مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة في بني مُعْمِرٍ ، وأطلق عليهم الغُلَقَة ، كما دخل في آل مُعْمِرٍبنو عُذْرَةَ بن سعد بن زيد بن ليث بن سود القضاعي ، والعذرة هم بنو عوف بن عذرة . ومن الغُلقة آل علي عشيرة فردان بن ظافر شيخ آل مُعْمِر . ومن بني مازن برقاء وعُصَم ابنا مازن اللذان انضما في حلف عُتَيْبَة وعرفا بِالعُصَمَة .

حمـــد الجاســـر

[الحواشي] :

(١) عن « مختصر جمهرة النسب » ـــ مخطوطة مكتبة راغب باشا في اصطنبول ـــ ٣٠٨/٣٠٧

(٢) في الهامش : مرة بن جابر بن عمرو بن نهد بن زيد بن ليث بن سود ، منهم الراعي المري الشاعر غير ←

نظام المهر عند العرب
قبـــل الإســـلام

عرف العرب ، قبل الإسلام ، طرقاً متعددة للزواج نذكر منها : زواج السَّبْي وزواج البدل وزواج المهر .

أما زواج السَّبْي فكان يحدث عادة في أعقاب الحروب القبلية ، حيث يتزوج الرجل من مَسْبِيَّتِهِ . ومثل هذا الزواج لم يكن ــ بطبيعة الحال ــ يتطلب موافقة المسبية أو أهلها ، كما لم يكن يتطلب دفع صداق أو مهر إلى المرأة أو أوليائها . ورغم شيوع هذه الطريقة في الزواج ، بسبب شيوع الحروب القبلية ، لم تكن تشكل طريقة من الطرق العادية المألوفة للزواج . بل كانت أقرب إلى أن تكون

→ النميري المشهور هنا مرة بطن غير هذا ، من كتاب « مختصر جمهرة النسب » مخطوطة راغب باشا في اصطنبول ــ وانظر عنها « العرب » س ٢١ ص ٢٨٩ .

(٢) « معجم ما استعجم » ص ١٧ .

(٣) على اختلاف بين النسابين إلى أي الجذمين قحطان أو عدنان يرجع نسب قضاعة ، وأيَّد الهمداني في « الأكليل » ج ١ ص ١٣٧ نسبتها إلى حِمْيَر من قحطان .

(٤) « معجم ما استعجم » ص ٣٠ .

(٥) « معجم ما استعجم » ص ٣١ .

(٦) المصدر ٤٥ .

(٧) « الانساب » ٢٣١/١ .

(٨) المصدر نفسه ص ٥١ .

(٩) المصدر نفسه : ٥٠ ، ٥١ الفتاحة بضم الفاء وكسرها ــ الحكم في الخصومات .

(١٠) « معجم ما استعجم » ص ٨٢ .

(١١) انظر « مغازي الواقدي » ٥٧٥ ــ « رسالة عرام بن الأصبغ » .

(١٢) «الأنساب » للصحاري ج ١ ص ٢١٥ .

(١٣) « لسان العرب » رسم جمرة .

(١٤) ٢٦٨/١ ــ طبع بيروت ــ و « مجموعة الوثائق السياسية » رقم ٩٠ .

(١٥) ج ٢ ص ٢٣٩ ــ هامش « الاصابة » .

(١٦) « صفة جزيرةالعرب » ٢٥٣ .

(١٧) « معجم ما استعجم » ــ رسم ــ حبونن وجاش ــ .

(١٨) « الأكليل » ج ٢ ص ١٧١ .

(١٩) ١٣٥ .

(٢٠) ٧٤٥ .

(٢١) « امتاع السامر » ٣٨ .

طريقة استثنائية تبررها ظروف خاصة .

وأما زواج البدل ، وهو ماكان يُعرفُ بنكاح الشِّغار ، فكان يتمثل في أن يزوج الرجل موليته لرجل على أن يزوجه الأخير موليته دون أن يدفع أي منهما مهراً للآخر . ورغم ان هذه الطريقة في الزواج ـ على مايبدو ـ أقدم من زواج المهر فإن كل الدلائل تشير إلى أنها لم تكن شائعة في العصر الجاهلي ، نظراً لما كانت تنطوي من عيوب ومضايقات بالمقارنة بزواج المهر .

وأما زواج الصداق أو المهر ، وهو الزواج الذي يقتضي قيام الراغب في الزواج ، أو من يقوم مقامه ، بدفع قدرٍ من المال إلى وليّ المرأة التي يرغب في الزواج منها ، فكان أكثر طرق الزواج شيوعاً في العصر الجاهلي . . وكانت للمهر في هذا العصر قواعد تنظمه من جوانبه المختلفة . ورغم أن معلوماتنا عن نظام المهر ـ شأنه في هذا شأن غيره من النظم العربية قبل الإسلام ـ معلوماتٌ قليلة متناثرة فسوف نحاول الوقوف على ملامحه الرئيسة ، مستعينين في ذالك بالمعلومات القليلة التي انتقلت إلينا من العصر الجاهلي وصدر الإسلام . والمعلومات المتوفرة عن نظام المهر في المجتمعات البدوية المعاصِرة . وكذالك بالمعلومات المتاحة لنا عن نظام المهر لدى المجتمعات القبلية غير العربية .

وسوف نتناول الحديث عن المهر عند العرب قبل الإسلام من حيث المسائل التالية : نوع المهر ، مقداره ، كيفية دفعه ، المسؤول عنه ، صاحب الحق فيه ، حالات استرداده ، طبيعته .

أولا ـ نوع المهر :

المهر ، كما هو معروف ، مقدار من المال يدفعه الراغب في الزواج ، أو يدفع لحسابه ، إلى وليِّ المرأة التي يرغب في الزواج منها . ومن الطبيعي أن يختلف نوع المال ، الذي يدفع على سبيل المهر ، تبعاً لطبيعة حياة المجتمع الاقتصادية .

ففي المجتمعات الرعوية الخالصة كان المهر يتمثل في عدد من رءوس الحيوانات التي تقتنيها القبيلة . ولما كانت القبائل العربية ، لاسيما تلك التي تعيش في قلب

الجزيرة العربية بعيداً عن الحضارات المجاورة تقتني الإبل بصفة خاصة ، كان المهر لديها يدفع في صورة عدد من الإبل .

ولما كان الرق شائعاً في شبه الجزيرة العربية ، ولما كان الارقاء يستخدمون ـ في كثير من الأحيـان ـ رعاة للإبل فإننا نجد المهر في بعض الأحيان يشتمل على عَبْدٍ أو أكثر . وكان ذالك يحدث ـ بطبيعة الحال ـ عندما يكون الراغب في الزواج على جانب من الثراء .

من ذالك مثلاً أن ذا الْـجَـدَّيْنِ بن قيس بن خالد زوَّج بنته للقيط بن زُرارة على مئة من الإبل ، ليس فيها مصبورة (مشرفة على الهلاك) ولا ناب (مُسِنَّة) ولا كَزُوم (ذهبت أسنانها هرماً)[١] . وتزوج مدرك من بني عامر ، خود بنت مطرود البجلية على مئة ناقة ورعاتها[٢] . ولما شهر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء ، وخطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيْلي وبذل لها عشراً من الإبل وراعيها[٣] .

كذالك لما كان كثير من القبائل العربية على صلة ، مباشرة أو غير مباشرة ، بالحضارات المجاورة ، فقد شاع لديها استخدام العملات الخاصة بهذه الحضارات . ومن الطبيعي والأمر كذالك أن تستخدم العملة الأجنبية ضمن مكونات المهر . ولهذا نجد المهر أحياناً يشتمل على مبلغ من النقود بالإضافة إلى عدد من الإبل .

من ذالك مثلاً أن الحارث بن سليل الأسدي تزوج الزبَّاء ابنة حليفه علقمة بن حفصة على مئة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم[٤] .

وفي المجتمعات العربية التي لا تمارس الرعي أو لا تقتني قطعاناً كبيرة من الإبل ، يتخذ المهر صورة قدرٍ من النقود أو كمية من معدن نفيس ، أو مساحة من الأرض .

ففي مكة ـ على سبيل المثال ـ حيث كانت التجارة منتشرة والنقود والمعادن النفيسة شائعة الاستعمال كان المهر يتمثل أحياناً في مبلغ من النقود ، أو قدر من معدن نفيس .

من ذالك مثلاً ما رُوي من أن المهر الذي قدمه النبيُّ ﷺ للسيدة خديجة كان خمس مئة درهم . وقيل : إنه أصدقَها اثنتي عشرة أوقية ذهب ونشاً[٥] .

ثانيا ـ مقدار المهر :

ليس ثمة شك في أن مقدار المهر كان يختلف من قبيلة إلى أخرى . وهناك من الشواهد مايدل على أن من القبائل العربية من اشتهر بالمغالاة في المهور .

من ذالك مثلاً قبيلة كِنْدَة ، فقد عُرفت بالتغالي في المهور . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « اللهم أذهب مُلْكَ غسَّانَ ، وضع مهور كندة » . وروى أنهم كانوا لا يُزَوِّجُون بأقل من مئة من الإبل ، وربما مُهِرت الواحدة ألفا[٦] .

كذالك لم يكن للمهر ـ داخل القبيلة الواحدة ـ مقدار محدد ، بل كان مقداره يختلف تبعاً لطائفة من الظروف والاعتبارات .

فليس ثمة شك في أن مقدار المهر كان يتوقف ، أولاً ، على مدى ثراء الراغب في الزواج أو أسرته . فمن الطبيعي أن يدفع الرجل الثري مهراً يفوق في أهميته بكثير مايدفعه الرجل الفقير .

وقد رأينا أن المهر في قبيلة كِنْدَةَ كان يتراوح بين مئة وألف من الإبل ، ولاشك أن هذا التفاوت في مقدار المهر يرجع إلى التفاوت بين رجال القبيلة في الثراء كذالك رُوي أن عبدالمطلب بن هاشم مهر فاطمة بنت عمرو مئة ناقة ومئة رطل من الذهب . وروى الجاحظ أن الأعرابي الفقير ربما صاد ضبعاً فاحتمله إلى كفْتَيهِ فكان مهرها[٧] .

وليس ثمة شك في أن وضع المرأة الاجتماعي كان له أثره في تحديد مقدار المهر . فالمهور التي تدفع من أجل بنات شيوخ القبائل وساداتها كانت ولاشك تتجاوز بكثير المهور التي تدفع من أجل بنات عامة أفراد القبيلة .

كذالك لاشك أن صفات الفتاة أو المرأة كان لها تأثيرها في تحديد مقدار المهر . فجمال خلقتها من شأنه أن يزيد في مهرها . يدلنا على ذالك المثل العربي القديم : (ومن يطلب الحسناء لم يُغْلِها المهر) . كذالك لابد أن حُسْنَ أخلاق المرأة وحميد

خصالها كان له أثرُهُ في زيادة مهرها والعكس بالعكس[٨] .

ومن العوامل التي لاشك كان لها أثرها في تحديد مقدار المهر كون المرأة تتزوج للمرة الأولى أم سبق لها الزواج وطُلقت أو ترملت . وبعبارة أخرى لابد أن الأعراف القبلية كانت تفرق ـ من حيث مقدار المهر ـ بين البكر والثيب . وهذه قاعدة تكاد عامة في المجتمعات القبلية . فالمهر يدفع ـ أساساً ـ من أجل إعطاء زوج المرأة حقًا في الأولاد الذين سوف تنجبهم . ومن البديهي أن الفتاة البكر التي لم يسبق لها الزواج تكون فرصتها في الإنجاب أكثر اتساعاً من فرصة امرأة سبق لها الزواج وطلقت أو ترملت .

ويُفرق كثير من القبائل البدوية المعاصرة بين مهر البكر ومهر المطلقة أو الأرمل .

ومن ذالك مثلاً أن مهر المرأة المطلقة لدى بدو مؤاب ـ طبقاً لما رواه جوسان في أوائل هذا القرن ـ كان على النصف من مهر البكر[٩] .

ومن العوامل المؤثرة في مقدار المهر طبيعة العلاقة بين الراغب في الزواج والمرأة التي يريد الزواج منها . فلا شك أن المهر الذي يدفع من أجل أمرأة قريبة أقل ، مع تساوي الظروف الأخرى ، من المهر الذي يدفع من أجل امرأة غريبة . وكلما قربت درجة القرابة قَلَّ مقدار المهر . وقد يقتصر المهر بين الأقارب الأقربين على مهر رمزي .

فقد ذكر جوسان ـ في أوائل القرن الحالي ـ عن بعض قبائل مؤاب (فايز) أنهم لا يطلبون مهراً في الزواج الذي يتم داخل العشيرة ، إذ يعتبرون أنفسهم أسرة واحدة كبيرة ، لكنهم يحصلون على مهر ويدفعونه عند الزواج من قبيلة أخرى[١٠] .

ويقول يوسف شُلْحد ـ في النصف الثاني من القرن الحالي ـ إن مقدار المهر يختلف تبعاً للقبائل ، وتبعاً لدرجة القرابة . فلدى بني صخر مثلاً من الممكن أن يصل مقدار المهر إلى ٨٠٠ دينار ، إذا كان الراغب في الزواج من جماعة غريبة .

أما إذا كان عضواً بالعشيرة أو جماعة القرابة فإن المهر يتدنى إلى ٢٠٠ دينار بل أقل[١١] .

كذالك لاشك أن مقدار المهر كان يختلف عند العرب قبل الإسلام تبعاً لنوع الزواج . فلاشك أن مقدار المهر في الزواج العادي كان أكبر منه في الزواج الموقوت أو زواج المتعة ، حيث كان الأمر يقتصر في الزواج الأخير على تقديم هدية أو صداق إلى المرأة نفسها .

ثالثا ـ كيفية دفع المهر :

لابد أن كانت للمهر قواعد تُبين كيفية دفعه ، لكننا لا نعرف عنها الشيء الكثير .

فلابد أن المهر كان يدفع علانية ، على مرأى ومسمع من عدد من الشهود . وشرط علانية دفع المهر يتحقق بصورة طبيعية إذا دفع في صورة عدد من رءوس الحيوانات[١٢] فسياقة هذه الحيوانات من بيت الراغب في الزواج أو أهله إلى بيت أهل المرأة تحقق العلانية المطلوبة . ومن المحتمل أن سياقة الإبل أو الحيوانات الأخرى التي يتكون منها المهر كانت تتخذ شكل احتفال أو موكب كما هو الحال بالنسبة لكثير من القبائل غير العربية والتي يتخذ المهر فيها صورة عدد من رءوس الحيوانات .

كذالك لابد أن دفع المهر ، الذي يتمثل في مقدار من النقود أو كمية من معدن نفيس ، كان يتم أمام عدد من الشهود ، نظراً لما لهذه الواقعة من اهمية في تأسيس الرابطة الزوجية .

ولابد أن المهر كانت له عند العرب قبل الإسلام ـ أسوة بغيرهم من المجتمعات التي عرفت نظام المهر ـ قواعده من حيث الوقت الذي يدفع فيه . ذالك أننا إذا طالعنا تقاليد عدد من القبائل غير العربية ، بخصوص وقت دفع المهر ، وجدنا بينها تفاوتاً كبيراً . ففي بعض المجتمعات لابد من دفع المهر كاملا قبل انتقال الزوجة إلى زوجها ، وفي البعض الآخر يدفع جزء من المهر قبل الزواج

والجزء الآخر أثناء قيام الرابطة الزوجية . بل إن من المجتمعات مايجري العرف فيه بعدم دفع أي جزء من المهر إلا بعد أن تلد المرأة طفلها الأول . ومن المحتمل أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا يسيرون على نمط واحد من حيث وقت دفع المهر وذالك نظراً لما كان بينهم من تفاوت من حيث مقدار المهر . فإذا كان ثمة مايدعو إلى توزيع دفع مهر كبير القيمة على دفعات ، فليس ثمة مقتض لذالك إذا كان المهر قليل القيمة .

رابعا ـ المسؤول عن دفع المهر :

كان الراغب في الزواج نفسه هو الذي يقوم بتوفير رءوس الحيوانات أو مقدار النقود أو غير ذالك من الأشياء التي كان من اللازم دفعها كمهر من أجل زوجته المقبلة . ويتحقق ذالك عندما تكون للراغب في الزواج ثروته الخاصة . غير أن الراغب في الزواج يكون في بعض الأحيان ، ان لم يكن معظمها ، مُجرداً من الثروة الخاصة أو قليل الحظ منها بحيث لا يستطيع دفع المهر اللازم لزواجه . ويصدق ذالك ــ بصفة خاصة ــ على الابناء أثناء حياة أبيهم . فبسبب بكور سن الزواج قلما يكون الابن ذا ثروة خاصة تمكنه من دفع المهر المطلوب . . وفي مثل هذه الحالة يتولى الأب دفع المهر لحساب ابنه .

ولدى كثير من القبائل غير العربية ــ القبائل الافريقية على سبيل المثال ــ يسود عُرفٌ يقضي بمساهمة عدد من أقارب الراغب في الزواج في توفير المهر اللازم لزواجه . ويحدد العرف في كل قبيلة الأقارب الملزمين بالمساهمة في جمع المهر ، كما يحدد نصيب كل منهم فيه . والقاعدة في هذا الخصوص أن مايسهم به كل قريب يتناسب طردياً مع درجة القرابة . فكلما قربت درجة القرابة كبُر النصيب الذي يسهم به في المهر ، ويقل إذا بعدت .

ورغم عدم انتقال معلومات إلينا عن عادة مماثلة لدى العرب قبل الإسلام ، فإننا نميل إلى القول باحتمال وجود هذه القاعدة لديهم ، تأسيساً على ضخامة مقدار المهر الذي كان العرف يجري بدفعه لدى بعض قبائلهم . وقياسا على العرف الذي كان متبعاً في شأن دفع الدية . حيث كان الأقارب يساهمون مع

القاتل في توفير القدر من الأموال اللازم دفعها على سبيل الدية . فمساهمة الأقارب في جمع كل من المهر والدية تمثل مظهراً من مظاهر التضامن بينهم ، ذالك التضامن الذي يشكل إحدى المرتكزات الأساسية للحياة القبلية .

خامسا. صاحب الحق في المهر:

هناك من الشواهد مايدل على أن المهر كان في العصر الجاهلي يُعد على الأقل في المجتمعات البدوية ـ حقا لولي المرأة وليس حقا للمرأة نفسها .

ففي اللغة : النافجة هي البنتُ لأنها كانت تعظم مال أبيها بمهرها ، لذالك كانوا يُهنئون من ولدت له بنتٌ بقولهم : هَنِيْئاً لك النافجة ، أي المنفجة لمالك ، لأنك تأخذ مهرها فتضمه إلى مالك فينتفج[١٣] .

كذالك رُوي أن وليَّ المرأة إذا زوجها فإن كانت معه في العشرة لم يعطها من مهرها كثيراً أو قليلا . وان كانت غريبة حملها على بعير إلى زوجها ولم يعطها شيئاً غير ذالك البعير[١٤] .

وكان العرب ـ قبل الإسلام ـ يمارسون زواج البدل أو زواج الشغار . وفيه يزوج الرجل مُوليته لآخر مقابل أن يزوجه الآخر موليته ، دون أن يدفع أحدهما للآخر مهراً . ومثل هذا الزواج لا يتصور إلا إذا كان المهر حقاً لولي المرأة دون المرأة نفسها . إذ للوليِّ عندئذٍ أن يتنازل عن طلب مهر من أجل تزويج موليته ، مقابل تنازل الأخر عن طلب مهر من أجل موليته . ولو كان المهر حقّا للمرأة لما جاز للولي أن يتنازل عنه .

يؤيد ذالك أن العرف لدى الكثير من المجتمعات البدوية المعاصرة ، يجري باعتبار المهر حقاً لولي المرأة دون المرأة نفسها . وهو ما يمكن النظر إليه باعتباره استمراراً للعرف السابق على الإسلام .

يقول جوسان مثلاً ـ في أوائل القرن الحالي ـ عن قبائل مؤاب في شرق الأردن أن الرجل عندما يزوج ابنته يحتفظ لنفسه بالمهر[١٥] . ويقول رفعت الجوهري ـ في منتصف القرن الحالي ـ عن قبائل سيناء : إنه عند زواج البنت يأخذ أخوها

أو وليّ أمرها مهرها ويعطيها عنزة أو عنزتين ، ثم متى زارته في السنة التالية أعطاها عنزة أو عنزتين[١٦] . كذالك يقول يوسف شلحد ــ في النصف الثاني من القرن الحالي ــ عن قبائل شرق الأردن وفلسطين : إن المهر يخص الأب بحكم العرف وهو يتصرف فيه كما يحلو له[١٧] .

وفضلاً عن ذالك فإن كل المجتمعات القبلية غير العربية ، التي تعيش في ظل ظروفها الأصلية دون تأثر بحضارة معينة أو دين معين ، تجعل من المهر حقاً لوليّ المرأة أو أوليائها دون المرأة نفسها .

نخلص مما تقدم أنه ليس ثمة شك في أن العرف لدى المجتمعات القبلية العربية التي عاشت قبل ظهور الإسلام ، لاسيما تلك التي لم تخضع لمؤثرات خارجية ، كان يجري باعتبار المهر حقاً لأهل المرأة ، وبخاصة وليها ، دون المرأة نفسها .

واعتبار المهر حقًّا لوليّ المرأة لا يمنع من أن المرأة كانت تحصل ــ بمناسبة زواجها ــ على هدية تستهدف خلق شعور بالمودة لديها نحو الراغب في الزواج منها . فتلك عادة شائعة لدى كثير من المجتمعات القبلية غير العربية . وهي مجتمعات تجعل من المهر ــ كما سبق القول ــ حقًّا لأولياء الزوجة دون الزوجة نفسها . ولعل في هذا مايفسر وجود اصطلاحي المهر والصداق جنباً إلى جنب . فلعل كلمة (المهر) كانت تستخدم للدلالة على الأموال التي كانت تدفع لأولياء المرأة ، وكلمة (الصداق) تستخدم للدلالة على مايقدم من هدية إلى المرأة نفسها .

وإذا كان من المسلم أن المجتمعات البدوية العربية كانت ــ قبل الإسلام ــ تجعل من المهر حقاً لولي الزوجة ، فإن الوضع لدى المجتمعات القبلية التي كانت تقطن المدن ، مثل مكة ويثرب ، وتلك التي كانت رغم بداوتها واقعة ، على نحو أو آخر تحت تأثير حضارة أو حضارات مجاورة ، محل خلاف .

فقد ذهب بعض الباحثين ــ فلكن Wilkan مثلا ـ إلى أن انتشار الزواج بين الأقارب الأقربين ، استتبع بالضرورة اختفاء الزواج بالشراء ــ يقصد زواج

المهر ــ وإلى أن المهر لم يعد ، منذ وقت سابق على عصر النبي ﷺ ثمناً يدفع للأب أو الولي ، وإنما أصبح هدية للزوجة[١٨] . بينما ذهب البعض الآخر ــ روبرتسون سميث Robertson Smith ــ إلى أن الإسلام هو الذي جعل ، لأول مرة ، المهر حقًّا للمرأة نفسها دون أبيها أو وليها[١٩] .

وفي اعتقادنا أنه ليس من المستبعد ان يكون الاتجاه نحو الاعتراف للمرأة بالحق في المهر الذي يدفع بمناسبة زواجها ، قد ظهر في وقت سابق على ظهور الإسلام ، تحت تأثير الحضارات المجاورة . فشرائع البلاد المجاورة الأكثر تطوراً كانت تقر للمرأة ، ومنذ وقت بعيد ، بالحق في مهرها . ولهذا فإن حق المرأة في تملك الأموال التي يقدمها الراغب في الزواج ، كان قد أصبح قاعدة مستقرة في حضارات الشرق الأدنى القديمة .

ويظهر تأثير الحضارات المجاورة ، أول ما يظهر ، في المجتمعات القبلية التي تحضرت . فهي من ناحية أكثر انفتاحاً على هذه الحضارات بسبب العلاقات الوثيقة بينها . وهي من ناحية أخرى أكثر استعداداً لتقبل هذا التغيير ، إذ أن ظروف الحياة في مدينْة هي في الواقع التي تؤدي إلى حدوث هذا التّطور .

وهناك من الشواهد مايدل على أن بعض الآباء ، في مكة وغيرها ، جرت عادتهم ، قبل ظهور الإسلام ، بإعطاء بناتهم المهور التي تدفع بمناسبة زواجهن .

من ذالك مثلاً ما روي من أن قوماً قعدوا يذكرون الأغنياء من قريش ، فقال أحدهم : المغيرة بن عبدالرحمن فقال له القوم : وهل للمغيرة من مال ؟ . فقال الرجل : أليس له أربع بنات وأربع أخوات ؟ وكان المغيرة يقول : لا أزوج كفؤا إلا بألف دينار . فكان إذا خطب إليه الكفؤ ، قال له : قد علمت قولي ؟ فيقول له الخاطب قد علمت وقد أحضرت المال ، فيزوجه ويقبض المال منه ، ثم يقول له : اختم عليه بخاتمك . فإذا أدخل زوجته ، بعدما يجهزها بما يصلحها ، بخدمة خادمين ويدخل بيتها نفقة سنة ، دفع إليها صداقها مختوماً بخاتم زوجها . ثم يقول لها : هذا مالك . وما جهزناك به صلة منا لك[٢٠] . ومن الواضح أن هذا الموقف من المهر يتفق وسلوك أهل الحضر ، دون أهل البادية .

كذالك روي أن لقيط بن زُرارة نزع شريداً إلى قيس بن خالد ذي الـجَـدَّيْن ، كريم العرب وأحد ملوكها ، فخطب إليه ابنته ، وتكلم بكلمات كشفن عن قلب زكي ، وأنف حميّ ، ونسب سني ، فزوجه الملك ابنته لليلته ، وساق إليها المهر عنه(٢١) .

غير أن اعطاء المهر للزوجة لم يكن على مايبدو قد أصبح ـ حتى بين أهل المدن ـ عرفاً شائعاً أو سنة متبعة . وإنما كان أمراً يتوقف على مكانة الأب الاجتماعية وثروته المادية .

وقد جعل الإسلام المهر حقًّا خالصاً للمرأة . فلم يعد لأبي المرأة أو وليها حق في شيء منه . وبذالك لم يعد ثمة مايدعو للتفرقة بين المهر والصداق . وأصبح اللفظان يستخدمان كمترادفين للدلالة على نفس الشيء .

سادسا ـ حالات استرداد المهر :

من أكثر قواعد المهر شيوعاً لدى المجتمعات القبلية غير العربية تلك القاعدة التي تسمح باسترداده في حالة طلاق الزوج لزوجته ، وفي حالة الخلع ، وفي حالة رفض الأرملة معاشرة قريب زوجها في ظل النظام الخاص بوراثة النساء أو الخلافة عليهن .

فمن الشائع في الأعراف القبلية غير العربية إعطاء الزوج ـ إذا طلق زوجته ـ الحق في مطالبة أوليائها برد مادفع من مهر . وللزوج استعمال هذا الحق في حالات معينة منها مثلاً أن يقع الطلاق ولم تكن الزوجة قد أنجبت أولاداً بعد . فالهدف الرئيس من دفع المهر هو الحصول على أولاد المرأة فإذا لم تنجب الزوجة أولاداً ، لم يتحقق الهدف من المهر ، وَمِنْ ثم يكون للزوج المطالبة باسترداده ومن هذه الحالات أيضاً أن يقع الطلاق بسبب خطإ الزوجة . وفي الأعراف القبلية غير العربية لا تنتهي الرابطة الزوجية ، في حالة استحقاق الزوج مادفع من مهر أو جزء منه ، إلا بعد أن يسترد ماهو مستحق له .

وهناك من الشواهد مايدل على أن العرف كان يجري عند العرب قبل الإسلام

بأن يطالب الزوج عند تطليقه زوجته بكل مادفع من مهر ، أو على الأقل بجزء منه .

يدل على ذالك قوله تعالى : ﴿ الطلاقُ مَرَّتَانِ فَإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألَّا يُقِيما حدود الله فإن خفتم ألَّا يُقِيْمَا حُدود الله فلا جناح عليهما فيما افْتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴾ (البقرة ٢٢٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأْخُذُوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا وإثما مُبِيْنًا ﴾ (النساء ٢٠) .

وقد استمر العرف الذي يعطي الزوج الحق في المطالبة باسترداد المهر أو جزء منه عند الطلاق متبعاً لدى بعض القبائل البدوية المعاصرة .

فقد روى جوسان مثلاً ـ في أوائل القرن الحالي ـ في حديثه عن بدو مؤاب أن ثمة ظروفاً قد لا تتمكن المرأة معها من مواصلة العيش مع زوجها ، كما لو كانت عاقراً أو كانت غير موافقة لزوجها ، أو كان زوجها أو أهله يسيئون معاملتها ، أو لإصابتها بمرض لا يرجى شفاؤه . وفي كل هذه الحالات تترك المرأة خيمة زوجها وتعود إلى بيت والديها . لكنها تظل مرتبطة بزوجها حتى ينطق بعبارة (أنت طالق) . ويطالب الزوج دائماً باسترداد المهر . . . وإذا طلق الزوج زوجته إثر غضبة فليس له الحق في المطالبة بالمهر . ولدى بعض العرب يُرد للزوج في حالة تطليقه زوجته في سورة غضب جُزءٌ من المهر ، وأحياناً المهر كله ، عندزواج المرأة المطلقة[٢٢] . وذكر جوسان أن أحد رجال البدو من عرب مؤاب استخدم شاة واحدة في الزواج من ست نساء ، واحدة بعد أخرى[٢٣] .

كذالك يجري العرف لدى كثير من القبائل غير العربية ، منها على سبيل المثال العديد من القبائل الافريقية المعاصرة ، بإعطاء أهل الزوجة الحق في فصم الرابطة الزوجية سواء لأسباب تخصهم أم استجابة لرغبة الزوجة وذالك بأن يردوا إلى الزوج ماسبق أن دفعه من مهر . وينحلُّ الزواج هنا دون توقف على إرادة الزوج بمجرد رد المهر إليه .

وهناك من الشواهد مايدل على وجود هذا العرف لدى بعض القبائل العربية قبل الإسلام .

فقد رُوي مثلاً أن عامر بن الظَّرِب زوج ابنته من ابن أخيه . . . فلم تلبث إلا شهراً حتى جاءته مشجوجة فقال لابن أخيه : يابني ارفع عصاك عن بكرتك ، فإن كانت نَفَرَتْ من غير أن تُنَفَّر فذالك الداء الذي ليس له دواء . وإن لم يكن بينكما وفاق ، ففراق الخلع أحسن من الطلاق ، ولن تترك مالك وأهلك . فرد عليه صداقه وخلعها(٢٤) .

ومن حالات استرداد المهر ، لدى كثير من المجتمعات القبلية غير العربية ، رفض الأرملة قبول قريب الزوج عشيراً لها في ظل النظام المعروف بوراثة النساء أو الخلافة عليهن . فوراثة النساء أو الخلافة على الأرامل من أكثر العادات شيوعاً في المجتمعات القبلية بصفة خاصة . وفي كثير من هذه المجتمعات إذا رفضت الأرملة معاشرة قريب زوجها وفضلت العودة إلى أهلها ، التزم أهلها برد جزء من المهر الذي حصلوا عليه بمناسبة زواجها ، أو رده كاملاً تبعاً لما إذا كانت أنجبت أولاداً لزوجها الميت أم لم تنجب .

وهناك من الشواهد مايدل على أن العرب ، قبل الإسلام ، كانوا ينحون نفس المنحى ، فكانوا يعضلون الأرملة حتى تفتدي نفسها .

الدليل على ذالك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لَا يَحِلُّ لكم أَنْ تَرِثوا النِّساءَ كَرْهاً وَلَا تعضُلوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُموهُنَّ إلَّا أَنْ يَأتِينَ بِفَاحِشة مُبَيِّنَة ﴾ (النساء ١٩) .

وقد روى ابن جرير الطبري ، بصدد تفسير هذه الآية الكريمة ، عن السُّدِّيِّ أن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبها ، أو ينكحها فيأخذ مهرها ، وإن سبقته إلى أهلها فهم أحق بنفسها(٢٥) .

سابعا ـ طبيعة المهر:

ذهب بعض الباحثين الذين تناولوا بدراستهم نظام الزواج عند العرب قبل الإسلام إلى أن الزواج المقترن بمهر لم يكن يخرج عن كونه عملية شراء وبيع: المشتري فيها هو الزوج، والبائع وليُّ الزوجة، والمبيع الزوجة نفسها والثمن هو المهر(٢٦).

واستند القائلون بهذا الرأي إلى عدد من الحجج نَسُوقُ أهمها فيما يلي:

١ ـ أن المهر كان ينطوي على قيمة مالية حقيقية. فلم يكن مجرد قيمة رمزية. وبدفع هذه القيمة كان الزوج يكتسب على الزوجة حقوقاً لم تكن له من قبل. فمن الواضح أن هذه الحقوق هي مقابل المهر.

٢ ـ أن المرأة لا تكون طرفاً في عقد زواجها. فوليها هو الذي يعطيها للزوج. وهي لا تحصل على المهر الذي يدفع بمناسبة زواجها وإنما يحصل عليه وليها.

٣ ـ أن حق الزوج على زوجته حق مَالِيٌّ، بدليل انتقال الزوجة ـ ضمن أموال الزوج الأخرى عند وفاته ـ إلى وارثه في ظل النظام المعروف بوراثة النساء أو الخلافة على الأرامل.

هذه الحجج هي في الواقع الحجج التقليدية لنظرية الزواج بالشراء التي سارت زمناً، ثم تبين أنها لا تستند إلى أسس سليمة، وإنما مردها إلى سوء فهم من قبل الباحثين الأوربيين لنظم الشعوب الأخرى التي تختلف عن النظم التي ألفوها.

فعندما اختلط الأوربيون الأوائل بالشعوب الأخرى وبخاصة المجتمعات القبلية، ووقفوا على عاداتها في الزواج من حيث دفع الراغب في الزواج قدراً من المال إلى أهل الزوجة المرتقبة، خلصوا إلى أن هذا المال ليس شيئاً آخر سوى ثمن للزوجة. ومن ثم نظروا إلى هذا النوع من الزواج بوصفه شراءاً للزوجة من وليِّها. وفسروا بعض أحكام الزواج من خلال هذا المفهوم. فدور المرأة السلبي في عقد الزواج مَرَدُّهُ في رأيهم إلى أنها موضوع لعقد الزواج وليست طرفاً فيه.

وحقُّ الزوج في تطليق زوجته مردُّه إلى أنه المالك لها ، ومن حق المالك أن يتخلى عن ملكه كيف يشاء . وحق قريب الزوج في معاشرة أرملته هو حق ميراث بالمعنى الصحيح .

وانتقلت فكرة الزواج بالشراء من الدارسين لأعراف المجتمعات القبلية المعاصرة إلى الباحثين في نظم الشعوب القديمة . فكلما قابل الباحث منهم مالدى شعب من الشعوب ، زواجاً يقترن بتقديم الراغب في الزواج قدراً من المال إلى وليِّ المرأة ، رأى فيه زواجاً بالشراء .

وقد كشفت الدراسات الحديثة في مجال علم الإنسان (الانثربولوجيا) عن أن نظرية الزواج بالشراء لا تستند إلى أساس سليم ، وأنها بعيدة عن الحقيقة والواقع . وعرض الباحثون المحدثون ــ في مؤلفاتهم ــ الكثير من الشواهد الدالة على عدم صحتها . وأخذت هذه النظرية تفقد الكثير من بريقها ، وشرع العلماء يتخلون عنها .

وفيما يلي نسوق بعضاً من الحجج التي يستند إليها المنكرون للنظرية القائلة بأن الزواج المقترن بدفع مهر هو عبارة عن شراء للزوجة :

١ ــ يَسْتَتْبِعُ الزواج واجبات متبادلة بين الزوج وأقارب الزوجة . وأول هذه الواجبات واجب الاحترام المتبادل ، ثم واجب مساعدة كل من الطرفين الآخر عند الحاجة .

٢ ــ لا يستتبع الزواج انقطاع الصلة بين المرأة وأقاربها . فأقارب المرأة لا ينفكون يهتمون بسعادتها في حياتها الزوجية ، ولا يتوانون عن التدخل لصالحها كلما رأوا إهمالاً من الزوج في أداء واجباته نحوها ، أو ميلاً لديه نحو إساءة معاملتها .

٣ ــ تتمتع الفتاة أو المرأة ، لدى كثير من الشعوب التي تمارس زواج المهر ، بحرية كبيرة في الموافقة على الراغب في الزواج منها ، ومن ثم يتوقف إتمام الزواج أو العدول عنه على ارادتها .

٤ ـ ينطوي الزواج على حقوق والتزامات متبادلة بين الزوجين . فالزواج لا يخول الزوج مجرد حقوق وإنما يرتب عليه التزامات أيضاً نحو زوجته . وهو لا يفرض على الزوجة مجرد التزامات وإنما يمنحها حقوقاً أيضاً نحو زوجها .

٥ ـ لا يستتبع الزواج فقدان الزوجة أهليتها المالية . فتظل مالكة لأموالها التي كانت لها قبل الزواج ، قادرةعلى اكتساب أموال جديدة ، وأهلاً للتصرف في أموالها[٢٧] .

ومن الواضح أن هذه الآثار ، تتنافى تماماً وفكرة كون الزواج شراءاً للزوجة والمهر ثمناً لها .

والفكرة السائدة لدى الباحثين المحدثين هي أن المهر يمثل لدى المجتمعات التي تأخذ بالقرابة الأبوية ، مقابلاً لنقل طاقة المرأة التناسلية من جماعتها إلى جماعة الزوج . فبدلاً من أن تنجب المرأة أولاداً لجماعتها ، كما هو المفروض ، تنجب أولاداً لجماعة أخرى هي جماعة الزوج . فجماعة المرأة تتخلى عن الأولاد الذين قد تنجبهم لصالح جماعة الزوج .

ومن الطبيعي أن تحصل الجماعة الأولى على ما يمكنها من تعويض مافقدته . ويتخذ هذا التعويض صورة قدر من المال يدفعه الزوج إلى جماعة الزوجة . والهدف من هذا القدر من المال هو تمكين جماعة الزوجة ـ بدورها ـ من الحصول على زوجة لأحد رجالها . فجماعة المرأة تتخلى عنها لجماعة أخرى كمصدر للأولاد مقابل مايمكنها ـ فيما بعد ـ من الحصول على امرأة بديلة ، تعوض بنسلها ما أصابها من نقص في الطاقة التناسلية[٢٨] .

وفي اعتقادنا أن طبيعة المهر لدى المجتمعات القبلية العربية ـ قبل الإسلام ـ لم تكن تختلف عنها في المجتمعات القبلية الأخرى . فالهدف من المهر عند المجتمعات البدوية القديمة كان في اعتقادنا مماثلاً للهدف منه في المجتمعات القبلية الافريقية المعاصرة على سبيل المثال ؛ وهو نقل طاقة المرأة التناسلية من جماعتها إلى جماعة الزوج . وبعبارة أخرى : إعطاء الزوج الحق في نسبة أولاد الزوجة إليه ، وصيرورتهم بالتالي أعضاء في جماعته .

وليس أدل على ذالك من أن مقدار المهر ـ كما رأينا ـ ينظم في حالة زواج المرأة في عشيرة أو قبيلة غريبة ، ويقل إذا تزوجت في جماعة قرابتها . بل قد يصبح المهر مجرد مهر رمزي إذا تزوجت من أحد أقاربها الأقربين .

نخلص من ذالك إلى أن المهر لا يتعلق بشخص المرأة بقدر ما يتعلق بأولادها . ومن ثم فإن الزواج المقترن بمهر لا ينطوي على بيع من أحد الطرفين وشراء من الطرف الآخر لشخص المرأة ، وإنما على إعادة للتوازن بين الأسرتين أو الجماعتين ، وهو التوازن الذي اختل بحصول إحدى الأسرتين أو الجماعتين على إحدى نساء الأسرة أو الجماعة الأخرى .

الرياض : دكتور محمود سلام زناتي

[الحواشي] :

(١) أحمد الحوفي « المرأة في الشعر الجاهلي » ص ١٩٢ .
(٢) خيرالدين الزركلي « أعلام النساء » ج ٢ ، ص ٦٩٠ .
(٣) أبو الفرج الأصفهاني « الأغاني » ج ٢ ، ص ١٤ .
(٤) محمود الألوسي « بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب » ج ٣ ص ٢١ .
(٥) أحمد الحوفي ، المصدر المشار إليه ، ص ١٩٣ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٩٢ و١٩٣ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٩٢ و١٩٤ .
(٨) ويقول بوركاردت (في أوائل القرن الماضي) أن المهر لدى بدو سيناء يتروح بين خمسة وعشرة دولارات . وقد يصل في بعض الأحيان إلى ثلاثين دولاراً إذا كانت الفتاة من أسرة ذات نسب وعلى قدر كبير من الجمال . انظر :
Burckhardt (J.L), Notes on the Bedouins and Wahabys, Val I, p.269
(٩) Jaussen, Coutumes des Arabes ou Pays de Moab, p.50.
ويقول بوركاردت إن مهر المطلقة أو الأرملة ، لدى بدو سيناء ، لا يتجاوز على الاطلاق نصف مهر البكر ، بل هو عادة لا يتجاوز ثلث هذا المهر . المصدر المشار إليه ، ص ٢٦٩ .
(١٠) جوسان ، المصدر المشار إليه ، ص ٤٩ .
(١١) Joseph Chelhod, Le Droit dans La Socie'te' B'edoVine, p. 105
(١٢) لدى قبائل بدوية عديدة يستخدمون كلمة سياقة عوضاً عن كلمة مهر ، والمصدر ساق يعادل مهر : جوسان ، المصدر المشار إليه ، ص ٤٩ .
(١٣) أحمد الحوفي ، المصدر المشار إليه ، ص ١٩٠ .
(١٤) القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » ج ٥ .
(١٥) جوسان ، المصدر المشار إليه ، ص ٤٩ .
(١٦) رفعت الجوهري (اللواء) : « شريعة الصحراء » ص ١٣٧ .

←

التحري في شأن أبي العلاء المعري

تأليف العلامة الأديب

السيد يحيى بن مطهر بن إسماعيل المتوفى سنة ١٢٦٨

الحديث عن أبي العلاء المعري موضوع هامٌّ وطريف ، تَفَنَّن فيه الكاتبون بما شاءوا من مؤلفات تفخر بها المكتبة العربية ، ولسنا بصدد إضافة شيء إلى ما أُبْدعوا فيه ، ولم يتركوا لأحد من بعدهم شيئاً .

وإنّما الجديد أن نجد شيئاً من التراث عنه لم ينشر ، وكان العلماء منذ القرن التاسع عشر الميلادي قد تتبعوا كل ماله صلة بأبي العلاء بالبحث والنشر والتنويه ، ولم يعد هناك مايجده الباحث حتى ساقتنا الصدفُ السعيدة ووجدنا في الزَّوايا خَبايا فيها ذكر لأبي العلاء . وكانت هذه الرسالة الطريفة التي بين يديك .

الرسالة ومؤلفها : مؤلف الرِّسالة هو العلامة يحيى بن مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن حسين ، فهوحفيد المؤرخ يحيى بن الحسين صاحب « أنباء الزمن » وغيره ، وقد استقصينا مؤلفاته في بحث مستقل منشور بمجلة « العرب » (ج ٩ س ٦ ربيع الأول سنة ١٣٩٢هـ) وولد مؤلفنا المذكور بمدينة صنعاء سنة ١١٩٠

---

(١٧) يوسف شِلْحَدُ ، المصدر المشار إليه ، ص ١٠٥ .

(١٨) Wilken, Das Matriarchat bei den Alten Arabern, p. 62 .

(١٩) Smith (Robertson), Kinship and Marriagein Ancient Arabia, p. 79 .

(٢٠) كتاب نسب قريش ص ٣٠٨ ومابعدها ، أورده دكتور جواد علي : « المفصل في تاريخ العرب » ج ٧ ، ص ٤٤٢ .

(٢١) « جمهرة الأمثال » ص ٢٠١ ، أورده عبدالله عفيفي ، « المرأة العربية في جاهليتها واسلامها » ص ١٥٩ .

(٢٢) جوسان ، المصدر المشار إليه ، ص ٥٩ .

(٢٣) « المصدر السابق » ص ٥٠ .

(٢٤) الدينوري ، عيون الأخبار ، ص ٧٦ .

(٢٥) ابن جرير الطبري : « تفسير الطبري » تحقيق محمود محمد شاكر ، ج ٨ .

(٢٦) انظر مثلا : سميث ، المصدر المشار إليه ، ص ٧٧ ومابعدها .

(٢٧) انظر عرضاً مفصلاً للحجج التي قيل بها في تنفيد نظرية الزواج بالشراء بالنسبة للقبائل الافريقية في كتابنا : النظم القانونية الافريقية وتطورها ، ص ١٦٩ ومابعدها .

(٢٨) انظر عرضاً مفصلاً لطبيعة المهر لدى القبائل الافريقية في كتابنا المشار إليه ، ص ١٧٦ ومابعدها .

ونشأ بحجر أبيه ثم تدرج في طلب العلم فأخذ عن جماعة من علماء عصره منهم الفقيه سعيد بن إسماعيل الرشيدي ، والعلامة الكبير إبراهيم بن عبدالقادر بن أحمد ، والقاضي عبدالله بن محمد مشحم ، وكان على رأس شيوخه العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ، أخذ عنه في جل أُمَّهات الكتب كـ « العضد » في أصول الفقه وحواشيه ، وشرح الرضي على « الكافية » و « المطول » و « الكشاف » وغيره ، ثم اشتغل بالتدريس ، وتَبَحَّر في العلوم ، ونظر واجتهد ، وحقق ودقق ، يقول المؤرخ زبارة ــ الذي ننقل عنه هذه الترجمة ــ : كان لا يخرج من بيته غالباً إلا للصلاة أو الجمعة ، وبيته مأوى لأهل العلم ، وله وجاهة عظيمة ، وحج مرتين ، وأقام بحصن كوكبان ، ثم عاد إلى صنعاء .

ومن مؤلفاته « شرح سنن النسائي » ، و « عقد اللآل شرح منظومة الجلال » في المنطق و « الزبدة » حاشية على العمدة و « حلية النحور وشفاء الصدور » ، و « العطايا والمنن ذيل بهجة الزَّمن » لجدّه المؤرِّخ يحيى بن الحسين ، وله كتاب « بلغة المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام » وله « العَنْبر الهندي في سيرة الإمام المهدي » وله غير ذالك من الكتب والرسائل المفيدة ، وقد وصفه شيخه العلامة الشوكاني بقوله : له سماعات كثيرة ، وشغلة تامة بالعلم وتَقَيُّدٌ بالدليل ، ومحبة للإنصاف ، وهو على منهج سلفه في البعد عن أعمال الدولة ، والتكفي بما خلفوه له ، وفيه علو همة ، ومكارم وسيادة ، وفي كل وقت يزداد علماً وفضلاً ، وحسن سمت ووقار ، ويقول معاصره الشجني : لم يكن له شغل في غالب أوقاته بغير التحصيل والتدريس ، يأتيه الطلبة إلى مقامه المأهول بالعلم وأهله فلا يردُّ طالباً ولا مستفيداً في أيِّ وقْت من أوقاته باذِلاً كتبه لمن طلبها منه للاستفادة مجبولاً على مكارم الأخلاق ، قابلاً للحق ، ولو كان من أصغر الطلبة مع سعة صدر وانشراح خاطر .

توفي سنة ١٢٦٨ وقد توسع في ترجمته المؤرخ زبارة في « نَيْلِ الوطر » وشيخنا العلامة حمد الجاسر في مجلة « العرب » س ٢٢ ص ٢٠١ .

وكتابه الذي بين أيدينا رسالة تتوسط مجلد كبير ، جميعه عبارة عن رسائل

للمؤلف ، في عدة موضوعات ، لعل أطرفها هذا الذي نبحثه ، وهو موضوع أبي العلاء المعري ، والجدل الكبير حول معتقده ، وقد أسماه « التحري في شأن أبي العلاء المعري » أبان فيه عن تلك المناقشات والحيرة التي كانت تتردد في أذهان أدباء اليمن خلال تلك الفترة حول إيمان أبي العلاء وكفره ، وأهمية هذه الرسالة ــ في نظري ــ تأتي في عرض المؤلف رأيه في شأن أبي العلاء ، وتبويب النصوص المتعلقة بالمعري وجمعها، وعلى الرغم من أن أكثر مراجعه المستقاة منها أبحاثه معروفة ومشهورة وبعضها لم يرجع إليها إلاّ بالواسطة ، فإن الكتاب كَكُلٍّ هو مرجع ثمين ، يُضَمُّ إلى قائمة مراجع أبي العلاء . وقد أفاد رَأْياً لمؤلف يمني من أهل القرن الثالث عشر ، لم يتناوله أحد قبله من أهل هذا القطر باستثناء ذالك المؤلِّف المفقود الذي ألفه سلفه في القرن التاسع الهجري العلامة محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ وهو بعنوان « نصرة الأعيان من شر العميان » جعله في الرد على أبيات أبي العلاء المعري حول أئمة المذاهب الأربعة .

تقع المخطوطة في تسع ورقات هي عبارة عن المسودة الأولى للمؤلف ، وقد أَرْبَكَ الحواشي بالتعاليق والزيادات الكثيرة حتى انه يختلط النّص بتلك الإضافات المتعددة ، مما يدل على أن المؤلف كان أثناء التأليف سريع البادرة ، فيهجم على التقييد قبل أن تضيع الفكرة من رأسه ، ثم يأخذ في توسيع الموضوع فيضيف ما عنَّ له بالهامش وهكذا .

ولذا فقد رأينا هذا التحقيق الذي قمنا به ماهو إلاّ استخراج من مسودة المؤلف وهو في ذاته عمل لا بأس به ، ثم بعد الفراغ من معركتنا مع أصل المؤلف ، استعدت الأنفاس ، وأخذت في مقارنة النقول مع أصول المؤلف وبعضها لم نقف عليها هنا في اليمن كما نبّهنا على ذالك بالهوامش . على أنّها قد أفادتنا في كثير من الإشكالات التي وقفنا عندها طويلاً .

والآن إليك هذه الرسالة الطريفَة كما اتضحت لنا من مسودة المؤلف وبالله التوفيق :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم الذي لا يُغْلَب ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تعالى عن كل مُشابِهٍ ونظير ، وتنزَّه عن أن يكون في ملكه قصور أو تقصير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله ليأمر العباد بالتوحيد والإخلاص ، ويحضّهم على مايكون لهم فيه النَّجاة والخلاص ، فبالغ في إبلاغ ما أنزل ، وجَدَّ في النُّصْحِ للأمة ولم يَهْزِل ، فجزاه الله أفضل ماجزا[1] نبيًّا عن أمته ، وأثابه على ما صَنَع في بيان مِلَّتِهِ ، صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم ، صلاة تستغرق مراتب الأعداد ، وتدوم في كل وقت وحين إلى يوم التَّناد ، وعلى آله ومن جرى على منواله ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، والصحابة والتَّابعين ، وسلم تسليما ، وله[2] بإحسان إلى يوم الدِّين .

وبعد فإن النَّاسَ في شأنِ أبي العلاء المعري على طبقات ، منهم المُعَدِّلُ ومستنده التَّشيُّع ، ومنهم الجارح له ومستنده ذالك ، ومنهم المنسق له لكلمات رويت مقتضبة . ومنهم من قال : إنه كان فاسد العقيدة أو متحير ، غير حاكم عليه في ذالك ، ومنهم من يحسن الظَّن به ويعتقده من أهل الخير ، ولم يتبين حقيقة الحالة ، وطال بين بعض الناس من أجله الجدل . فعزمت مع الاشتغال بمطالعة بعض كتب الأدب على نقل بعض ماقيل فيه لننظر ما يتلخص في ذالك ، مما يثبت جرحاً أو ينفيه ، وقد صار الأصل إسلامه لثبوته ، ولا ننقل عنه إلاَّ لناقل صحيح ، ولاشك في إسلامه إلاَّ أن إسلامه له شروط وحدود ومعالم ، قلَّ من زاغ عنها يسيراً ورجع إلى دينه سالماً ، كيف وفي شعره مايَدُلُّ على تشيّعٍ كقوله :

وعلى الأرْضِ من دِمَا الشَّهِيدَيْنِ علي ونَجْلِهِ شاهدان
فهما في آخر الليل محراب[3] وفي أولياته شَفَقَانِ
ثبتا في قميصه ليجيء الدهر مستعدياً إلى الرحمن

وكقوله :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مَسْكِ جَفْرِ
ومرآة المنّجِم وهي صغرى أرتهم كل عامرة وقفر[4]

ذكرهما ابن خلكان[٥] له من اللزوميات إلاّ أنَّ التَّشيُّع لا ينبغي أن يكون سبباً لجرح ولا لتعديل ، فهو صفة كمال إذا كان على الحدِّ المعتبر من كونه ودَّ آل رسول الله ﷺ ، فإن هذا من الأعمال المقبولة التي يتقرب بها إلى الله تعالى قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي القربى ﴾ [٦] . وفي السنة : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعِتْرتي أهل بيتي » وأن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما[٧] وغير ذالك كثيراً جدًّا ، ولكن بشرط عدم السّب لخير القرون فإنَّ ذالك قبيح عقلاً ، ولو لم يُرْوَ نَهْيٌ فكيف بعد وروده[٨] ، فكيف إذا انْضَمَّ إلى ذالك هَجْر سُنَّة معلّم الشرائع ﷺ ، فإنَّ هاتين الخلَّتينِ لا يَليْقان بعاقل ، وإن كان في عامة الجراة ، ومع كونه قد قيل في المعري ماقيل ، فهو يتنزه عن هذه الزلة ، وهكذا كل فَاهم من أهل كل ملّة .

فإن قيل : إذا ثبت تشيُّعه ثَبت إسلامه بالأولى .

قلت : لا تَلاَزُمَ ، والشأنُ في صحة ذالك فقد يقع لأسباب ولترويج بواطل ، وقد ادّعاه غير واحد لِلتَّسَتُّر به وذلك كعلي بن الفضل[٩] فإنَّهُ ادَّعاه وآل أمره إلى ما آل [حتى أورد عنه الزُّحَيْفُ[١٠] قوله من كتاب : من باسط الأرض وداحيها ، وناصب الجبال ومُرسيها إلى عبده أسعد بن أبي يعفر[١١]] .

فإن قيل : قد يشكك في صحة دعواه التّشيع فكيف لا تشكك في صحة ما نقل عنه ونُسِبَ إليه ؟!

قلت : التشكيك حاصل في ذالك ، إلا أنها قد رُوِيَتْ عنه أمور منظومة ومنثورة تفُوت الحصر ، اتفق على نقل أكثرها المخالف والموالف من الشِّيعة وغيرهم ، حتى صارتْ مستفَيْضَةً والاستفاضة من طرق اليقين، وكفى بثبوتها في كتب الشيعة ، وإن كانت أو أكثرها محكية على جهة التمريض ، أو مع الرّد عنها ، فكل ماقيل متكلَّف ، والمحامل المبداه[١٢] مُتَعَسَّفَةَ ، ومرجع كل ماقيل إلى أن تلك الأخواض (؟) مفتعلة عليه . وتلك الأشعار مقولة على لسانه من أعاديه ، ومنسوبة إليه ، وهذا قول مردود [١٥٨] فإن في الشيعة كثرة كلية ، وفيهم من له شهرة بذالك جَلِيَّة ، والأعْدَاءُ في كل زمان مع كل انسان أو مع أكثر الناس ، ولم يقع مثل ذالك مع غيره ولا دونه .

وكل حال فالتَّشيُّعُ لا ينبغي أن يكون مُسْتَنَدَ الجرح والتعديل ، إذ هما أمران لا يحصِّل أحدهما مُسَمَّى الجرح إلا بدليل قطعي ، لأنه شهادة عند أهل المذهب لا عند المؤيد[١٣] بالله ، فهو خَبَرٌ لا شهادة فيكفي الظن في التعديل لأنه نفي أمورٍ ، الأصل عَدَمُهَا بخلاف الجرح فهو إثبات أمورٍ الأصلُ عدمُها فلابُدَّ فيه من العلم .

ولابد من استيفاء الكلام :

فأقول كما قاله بعض من ترجمه : هو الشيخ المشهور بأبي العلا أحمد بن عبدالله ابن سليمان التَّنُوخِيُّ المعّري ، من أهل مَعَرَّةِ النُّعمان ، العالم صاحب التَّصانيف ، والذكاء والحفظ ، مولده يوم الجمعة عند مغيب الشمس ، لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاث مئة ، بالمعرة ، أُصيب بالجدريِّ وهو ابن أربع سنين وشهر ، سالت إحدى عينيه وانتصبت الأخرى ، ورُوِيَ عنه أنه لم يُثْبِتْ من الألوان إلاّ الأحمر لأنه ألبس في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر فَثَبَت .

وفي شعره مايدلُّ على إثبات بعض الألوان كقوله :

وسُهَيْـل كوجْنَـةِ الحِبِّ في اللَّو ... نِ وقَلْبِ الْمُحِبِّ في الْخَفَقَانِ[١٤]

وفي « المعاهد[١٥] » عن المَصِّيْصي[١٦] الشاعر أنه قال : لقيت بمَعَّرةِ النُّعمان عجباً من العجب رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنّرد ، ويدخل في كل فَن من الجدِّ والهزل ، يكنى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أني أحمد الله تعالى على الْعَمَى كما يحمده غيري على البصر .

قال في « النسمة[١٧] » قلت : والشاهد قوله[١٨] :

قـالـوا : الْعَمَى مَنْظِـرٌ قَبِيْـحٌ ... قـلتُ : فَـفُـقْـدَانُـكُـمْ يَهُـونُ
والله مـافي الـوجـود شيْءٌ ... تَـأْسَى عَـلَى فَقْـدِهِ الْعُيُـونُ[١٩]

قال[٢٠] : وهو من بيت علم وفضل ورئاسة[٢١] : له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء ، قال الشعر وهو ابنُ إحدى عشرة سنة ، أو اثنتي عشرة ، ورحل إلى بغداد ثم رجع إلى المعرة .

ومعنى ماذكر في تاريخ ابن خلكان[٢٢] وغيره حتى قال الحافظ أبو عبدالله الذَّهَبِيُّ في « النُّبلاء »[٢٣] : أن المذكور مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم تَزَهُّداً فلسفيًّا ، قال : وكان قنوعاً ، له وقفٌ يقوم بأمره ولا يقبل من أحد شيئاً ولا يتكسبُ بالمديح .

وفيها وفي « الإسعاف[٢٤] » : انه كان قد رحل أوَّلاً إلى طرابلس[٢٥] وكان بها خزائن كتب موقوفة فاختار منها ما أخذ من العلم واجتاز باللاذقية[٢٦] ونزل ديراً ، كان بها راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع عليه فحصلت له شكوك .

قُلت : فلعل هنا منشأ اعتقاداته الفاسدة .

قالوا : ولقيه رجل فقال له : لم لا تأكل اللحم ؟ فقال : أرحم الحيوان فقال له : فما تَقُول في السِّباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان فان كان لذالك خالق فما أنت بأرأف منه ، وإن كانت الطبائع المحدثة لذالك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن فسكت[٢٧] .

وإلى عدم أكله اللحم أشار علي بن هَّمام حين رثاه بقوله من قصيدة[٢٨] :

إن كُنْتَ لم تُرقِ الدِّمَاءَ سفاهة   فلقد أُرَقْتَ الْيَوْم من جَفْنِي دَمَا[٢٩]
سَيَّرْتَ ذِكْرَكَ في البِلَادِ كَأَنَّهُ   مِسْكٌ فَسَامِعه يُضَمِّخُ أَوْفَمَا
وأَرَى الْحَجِيْجَ إذَا أَرَادُوْا لَيْلَةً   ذكراك أوجب هَدْيَهُ مَنْ أحْرَمَا[٣٠]

قال الذَّهبيُّ[٣١] وغيره وقد سارت الفضلاء إلى بابه وأخذوا عنه وكان أخذ اللغة عن أبيه ، وعن محمد بن عبدالله بن سعد النحوي [وكان واسع الإطلاع والحفظ ، روي أنَّهُ دخل على المرتَضىَ أبي القاسم ، وعثر بِرَجُلٍ فقال : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لايعرف للكلب سبعين اسماً ، وسمعه المرتضى وأدناه واختبره ، فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذَّكاءِ ، فأقبل عليه إقبالاً كبيرا[٣٢]] .

ويقال : إله كان يحفظ كلما سمع ، ذكر تلميذه أبو زكريًا التِّبْريْزي أنه كان قاعداً في مسجد بمعرَّة النعمان ، بين يدي أبي العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه ،

قال : وكنتُ قد أقمت عنده عدَّة سنين ولم أر أحداً من أهل بلدي فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة ، فرأيته وعرفته فتغيرتُ من الفرح ، فقال لي أبو العلاء : أي شيء أصابك ؟ فحكيت له أني رأيت جاراً لي بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي عدة سنين . فقال لي : قم فكلمه ، فقلت : حتى أتم السؤال(٣٣) ، فقال لي : قم وأنا انتظرك فقمتُ وكلمته بلسان الأذربيجية(٣٤) شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت ، فلما رجعتُ وقعدت بين يديه قال لي : أيُّ لسانٍ هذا ، قلتُ : هذا لسان أَذْرِبيجَان فقال : ماعرفت اللسان ولا فهمته ، غير أني حفظت ما قلتما ، ثم أعاد اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه بل جميع ماقلت وقال : فتعجبت غاية العجب كونه حفظ مالم يفهمه .

ولِلّناس حكايات يضعونها في عجائب ذكائه وهي مشهورة وغالبها مستحيل .

أما فطنته الخارقة فأمر مشهور ، ذكروا له شواهد [كلعبه بالشطرنج ، مع كونه قد يعجز عنه بعض البصراء ، فإنه عجيب ، فقد روي ان المأمون على فحولته ، وحسن تدبيره في كل باب عجز عنه ، ومن فطنة المعريِّ المقبولة ماروى] أن الشعراء كانوا يعرضون عليه أشعارهم ، فوفد عليه مرّة أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي(٣٥) ومعه جماعة ، فانشدوه ، وأنشده المنازي أبياته في وصف وادي بزاعًا(٣٦) :

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وادٍ(٣٧)

الأبيات [ ] مشهورة إلى قوله البيت الذي ماقيل في معناه مثله :

يَـرُوعُ حَصَاهُ حَـالِيَـةَ الْعَـذَارَى فَتَلْمَسَ جَانِبَ الْعِقْدِ النَّظِيْمِ(٣٨)

فلما فرغ قال له أبو العلاء : أنت أشعر مَنْ بالشام . ثم غاب المنازيُّ بالعراق والجزيرة مدّة وأستوزره صاحب ميا فارقين(٣٩) أبو نصر الكردي ، وعاد إلى الشام بعد عشرين سنة ، فدخل على المعري مع جماعة من الشعراء فأنشدوه وأنشد المنازيُّ :

لَقَدْ عَرِضَ الْحَمَامُ لنَا بِسَلْعٍ

ـ البيتين ـ فقال أبو العلاء : ومن بالعراق أيضاً . فعجب الناس من عطفه بعد هذه المدَّة الطويلة ، وحفظه لما قاله أولاً .

وله في التلميح المعنى الحسن مع المرْتَضَى .

إنَّ أبا العلاء كان يتعصب للمتنبي والمرتضى ينتقصه[٤٠] ، فجاراه يوماً وعندهما جماعة من أهل الأدب مختلفين فيه ، فقال أبو العلاء : لو لم يكن للمتنبي إلّا القصيدة التي أولها[٤١] :

لكِ يامنازِلُ في القُلُوبِ منازِلُ

فأمر المرتضى بإخراجه ، وقال : أتدرون ما أراد الأعمى ؟! إنما أراد قوله فيها :

وَإذَا أَتَتْـكَ مَذَمَّتِيْ مِنْ نَـاقِصٍ ... فَهِيَ الشَّهادَةُ لِي بِأَنِّيَ فَاضِلُ[٤٢]

وله في شعره معان حسنة جدًّا والحق يقال .

وقد ذكروا أنَّهُ قرأ علي محمد بن عبدالله بحلب . وله مصنفات كثيرة منها « الهمزة والردف » ويسمّى أيضاً « الأيك والغُصون » يقارب مئة جزء . قال القاضي أحمد بن خلكان[٤٣] رحمه الله : وحكى لي من وقف على المجلَّد الأول بعد المئة[٤٤] منه ، وقال : لا أعلم ما كان يُعْوِزُهُ بعد هذا المجلد ، وله ديوان سماه « سقط الزَّند » ويسمى شرحه عليه « ضَوْءُ السِّقْط » وسمَّى شرحه لديوان المتنبي « مُعْجِزُ أحمد » ولما فرغ منه وقُرِيَ عليه فيه أخذ الجماعة في وصفه ، فقال لهم : كأنما نَظَر إليَّ المتنبي بظهر الغيب إذ يقول : [٤٥] .

أَنَا الذَّي نَظَرَ الأَعْمَى إلى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

ومن مؤلفاته « ذكرى حبيب » وهو مختصر ديوان أبي تمام[٤٦] ، وشرح ديوان البحتري ، وسماه « عَبَثُ الوليد » وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم ، وما أُخِذَ عليهم والانتصار لهم ، والنقد في البعض عليهم ، والنَّاس مختلفون في أمره ، والأكثر على إكفَارِهِ وإلحاده ، وأورد له الرازي في الأربعين[٤٧] قوله :

قُـلْتُمْ لـنَـا صَـانِـعٌ قـديـمٌ   قُلْنَـا : صـدقتم كـذَا نَقُـولُ
ثـم زَعَـمْـتُـمْ بِـلاَ زَمـانٍ   ولا مـكـانٍ أَلاَ فَـقُـولُـوا
هـذا كـلام لـكـم خَـبِـيْءٌ   معنـاه لَيْسـتْ لَنَـا عُـقُـولُ

قال الرازي : وقد هَذَا في شعره .

وقال ياقوت[٤٨] : كان مُتَّهماً في دينه ، يرى رأي البراهمة ولا يرى إفساد الصورة ، ولا يأكل لحماً ، ولا يؤمن بالرسل ، ولا بالبعث ولا بالنشور انتهى .

[ومن شعره يسخر[٤٩] :

عقولٌ[٥٠] تستَخِفُّ بها السُّطور[٥١]   ولا يـدري الْفَتَى لِمَن الثُّبـور
كِتَـابُ محمـدٍ وكتَـابُ مُـوسَى   وإنْجِيْلُ ابْنِ مَرْيَمَ وَالزُّبُورُ[٥٢]]

ومن شعره في نفي النُّبوة ماذكره الذَّهبي في « النُّبَلاءِ » :

فَلاَ تَحْسَبْ مقالَ الرُّسْلِ حَقًّـا   ولـكـنْ قـولُ زُورٍ سَـطَّرُوْهُ
وكـانَ الناسُ في عَيْشٍ رَغِيْـدٍ   فَجَـاؤُوا بـالْمَحَـالِ فَكَـدَّرُوْهُ[٥٣]

وفي « المعاهد[٥٤] » : وقال أبو يوسف عبدالسلام القزويني : قال لي المعري : لم أَهْجُ أَحَداً قط ، فقلت له : صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ، فتغير وجهه أو قال : لونه .

ودخل عليه القاضي المنازي فذكر له ماسمعه عن الناسِ من الطَّعن عليه فقال : مالي وللنَّاس وقدْ تركت دنياهم ؟! فقال القاضي : وأُخراهم ؟! فقال : ياقاضي وأُخراهم !! وجعل يكرر أخراهم .

وعن أبي زكريا الرازي قال : قال لي المعري : ما الذي تعتقد ؟ فقلت في نفسي : اليوم يتبين لي اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إلاّ شَاكٌّ . فقال : وهكذا شَيْخُكَ !!

وحكي عن الشيخ كمال الدين الزملكاني[٥٥] أنه قال في حقه : هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبتْ .

[قال في « المعاهد[٥٦] » : وقد تلاعب الشعراء بهجائه وممن هجاه أبو جعفر اليماني[٥٧] الزوزني بقصيدة أولها :

كلْبٌ عَـوَى بمَعَـرَّةِ النُّعْمَـانِ ... لَمَّـا خَـلا عَنْ ربْقَـةِ الإيمـان
أمِعَـرَّةُ النعـمان مـا أنْجبْتِ إذْ ... أخْـرَجْتِ مِنْكِ مَعَـرَّةَ الْعُمْيَانِ]

قلت : وقد رأيتُ كلمات غير واحد من الشيعة قد أجابوا عن بعض ماهو منسوب إليه إلاَّ التي في نفي النُّبوَّات والتي قبلها فلم تُرد إلاَّ بقول كلى (؟) [ذكره في « المعاهد[٥٨] » وغيرها عن أبي اليسر[٥٩] المعري : أن أبا العلاء] كان يرمي من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه ، وإيثاراً لإتلاف نفسه ، وفي ذالك يقول :

حـاول[٦٠] إهـواني قـومٌ فَـمَا ... وَاجَـهْـتُـهُـم إلاَّ بـإهْـوَاني
يحـرسني[٦١] منهم سِعَـايَـاتُهُـمْ ... فَـغَـيَّرُوا نِـيَّـةَ إخْـوَاني
لو اسْتَطاعُوا لَوَشوا بي[٦٢] (م) ... إلى ألمـرِّيْخ في الشُّهْبِ وكَيْـوَانِ

وفي البيت الثاني في « المعاهد » حقاً وجدته[٦٣] صاحب « النَّسمة » وقد ظنيت[٦٤] عليه [وتأمل قوله لو استطاعوا لوشوا بي إلى المريخ الخ ، تجد فيه مايدلك على إعراضه عن الله وعدم خوفه منه نسأل السلامة من الخذلان][٦٥] .

قال الصلاح الصفدي[٦٦] : أما الموضوع على لسانه فلعله لا يخفى على ذي لُبّ وأمَّا الأشياء التي دَوَّنَها ، وقالها في « لزوم مالايلزم » وفي « استغفر استغفري[٦٧] » [قيل وسبب تسميته به أنه يقول خشية هذه [. . . .] استغفر واستغفري[٦٨]] فما فيه حيلة ، وهو كثير من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنُّبوات . ويجتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذالك كله انتهى .

قلت : ومن شعره في القدح في النبوات ولعلى من الله[٦٩] في « النبلاء » :

دينٌ وكُفْـر وأنْبـاءٌ تُقَـالُ وفُـرْ ... قَـانٌ يُنَصُّ وتَـوْرَاةٌ وإنْجِـيْـلُ
في كُلِّ جِيْلٍ أبَاطِيْلٌ يُدَانُ بِهَا ... فَهَلْ تَفَرَّدَ يَوْماً بِالْهُدَى جِيْلُ[٧٠]

فأجابه الحافظ الذَّهبيُّ :

نَعَمْ أَبُو الْقَاسِمِ الهَادِيْ وأُمَّتُهُ   فَـزَادَكَ الله ذُلًّا يَا دُجَيْجِيْـلُ[٧١]

ومن شعره في إنكار المعاد ، وهو من الأسباب الباعثة على هذا التحري فرقمه حين الانتهاء [في القراءة] إلى بحث تقديم المسند[٧٢] إليه من الشرح لفظه :

وَالَّـذِي حَـارَتِ الْبَـرِيَّـةُ فِيـهِ   حَيَـوَانٌ مُسْتَحْدثٌ مِنْ جَمَادِ[٧٣]

وقد اعتذر له وادُّعي وضوح المعنى : أن المراد بالحيوان والمتحير فيه كونه خلق من جماد ، وهو التراب ، ويرده عَدَم تحير فرد نقل عنه فضلاً عن أفراد فكيف بالبرية بِأسرها ، وهل ذالك إلاَّ من إنكار القدرة ، والله على كل شيء قدير ﴿ إنَّما أَمْرُهُ إذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ له كُنْ فيكون[٧٤] ﴾ وفي الكتاب : ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيْسَى عِنْد الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب[٧٥] ﴾ ، وكم يَعُدُّ العَادُّ ، وانظر في مباديء الخلق ، ولا يسع إلاَّ الإيمان . وما أحسن قول ابن الفارض[٧٦] .

وَلاَتَـكُ مِمَّنْ طيَّشَتْـهُ دروسُـهُ   بِحيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلَهُ واسْتَقَّرتِ
فَثَمَّ وَرَاءَ النَّقْلِ عِلْمٌ يَدُقُّ عَنْ   مَدَارِكِ غَايَاتَ الْعُقُولِ السَّلِيْمَـةِ

والذي في « المعاهد[٧٧] » بعد ايراد بعض القصيدة ما لفظه : في معنى البيت يقول تحيرت البرية في المعاد الجسماني والنشور الذي ليس يتفانى ، وفي أن أبدان الأموات كيف تحيى من الرفات ، وبعضهم يقول وبعضهم ينكر ، وبهذا يتبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجماد ليس آدم عليه السلام ، ولا ناقة صالح ، ولا ثعبان موسى ، إذْ لا يُناسب السِّياق ، وقال أبو محمد بن السيد البطليوسي[٧٨] حين شرح « سقط الزّند[٧٩] » في هذا البيت : يريد أن الجسم مَوَّاتٌ بطبعه ، وإنما يصير حيواناً حساساً متحركاً باتصال النفس به ، فإذا فارقته عند الموت عاد إلى طبعه . فالحياة للنفس جوهرية وللجسم عرضية ، فلذلك يعدم الجسم الحياة إذا فارقته النفس ، ولا تعدمها النفس . انتهى .

ومن شعره في المعنى :

ضَحِكْنَا وكَانَ الضِّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً   وَحُقَّ لِسُكَّانِ الْبَسِيْطَةِ أَنْ يَبْكوُا

تُحَطِّمُنَا الأَيَّامُ حتَّى كَأَنَّنَا زُجَاجٌ وَلكِنْ لاَ يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

هكذا في أصل « المعاهد[٨٠] » : لا يعادلنا وفي الهامش مسح بله(؟) .

وقد قيل في الاعتذار له : بأن المراد : وأما نحن فَيُعاد لناسَبْكٌ بإعادة الأرواح والأجسام وذالك إقرار بالبعث والنُّشور ، ولا صحة لما ذكر خصوصاً على ماهو المصدر ، وعلى الثانية فيلزم أن يكون لا معنى لذالك العجز ، إذ يصير كـ(السماء فوقنا) وقد قيل : إن الزُّجاج يُدَقُّ ويعاد سَبْكُه فبطل ماقيل .

وعن الشيخ فتح الدين ابن سَيِّد الناس[٨١] أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد[٨٢] كان يقول في حقه : هو في حيرة[٨٣] .

قال الصلاح الصفدي[٨٤] : وهذا أحسن مايقال في أمره لأنه قال من الدالية[٨٥] :

خُلِقَ النـاسُ للبقـاءِ فَضَلَّتْ أُمَّـةٌ يَحْسَبُـونَهُمْ لِلنَّفَـادِ
إنَّمَـا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لٍ إلَىَ دَارِ شَقْـوَةٍ أَوْ رَشَادِ
[بأنَ أَمْرُ الإلَهِ وأخْتَلَفَ الناس سُ فَدَاعٍ إلَىَ ضَلاَلٍ وَهَادِ[٨٦]]

قلت : وكذا قوله منها :

قَدْ أَقَرَّ الطَّبِيْبُ مِنْكَ[٨٧] بِعَجْزٍ وتَقَضَّى تَرَدُّدُ الْعُوَّادِ
وانْتَهى الْيَأْس مَنْكَ وَاسْتَشْعَرَ النَّاسُ مِنْكَ بِأَنْ لاَ مَعَادَ حَتَّى الْمَعاد[٨٨]

قيل : الداعي إلى ضلال عبده ، ومن يقول بالمعاد والهادي الذي يقول بعدمه ، وهذا بيت الاستشهاد وبعده :

واللَّبِيْبُ اللَّبِيبُ من لَيْسَ يَغْـ (م) تَرُّ بِكَوْنٍ مصيرُهُ لِفَسَادِ[٨٩]

وهذا مناقض لقوله : خُلِقَ النَّاس للبقاء فالمصير إلى فساد زيادة على النفاد به :

ومن كلام الصفدي[٩٠] مالفظه : وقال ــ يعني المعري ــ : في خراب العالم :

وبحل أشرف الكواكب[٩١] دَاراً من لقاءِ الرَّدَى عـلَى مِيْعَاد
والثُّـريَّا رَهِيْنَـةٌ بـافْـتِرَاق الـ ـشَمْلِ حتَّى تُعَدُّ في الأَفْرَادِ

قال : وهذا قول بفناء هذا العالم وخرابه ، ثم إنه خالف هذا الرأي فقال :

رَاحَ مَنْ رَاحَ وَالثُّرَيَّا الثُّرَيَّا وَالسِّماكُ السِّمَاكُ وَالْغَفْرُ غَفْرُ
وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَعْجَبُ مِنَّا كَيْفَ تَبْقَى مِنْ بَعْدِنَا وَنَمُرُّ

وبعد كلام ما نَصُّهُ : ذهب الحكماءُ إلى القول بعدم أربعة أشياء وهي الزمان والمكان والهيولى والصورة ، وقال أفلاطون بقدم النفس حتى جاء أرسطاطاليس ففرض[٩٢] حدوثها ، وخالف أفلاطون ، وقال : هو صديقي والحق أصدق لي منه ، ورتبوا على هذه المقالة : أن العالم باقٍ ببقاء واجب الوجود ، لا يتغير نظامه ، ولا يبلى ولا يحول ولا يزول منه ، وهي من المسائل التي كُفِروا بها . والصحيح ماذهب إليه المتكلمون فإنهم استدلوا على حدوث العالم بمجموعه ، وبرهنوا على دعواهم ، وقرروا الأبحاث في ذالك مع خصومهم ، وليس هذا مكان شيء من تلك البراهين لما فيها من تقرير المقدمات التي تنتج المطلوب على ذالك ، فليؤخذ ذالك من كتب الكلام ، والنَّاظم جارٍ على طريقة الحكماء ، والقول بقدم ماذكر وإنكار المعاد ، وقد يناقض كلامه في مواضع ويعارض في مواضع • ومما عورض به ، ماروي عنه من إنكار المعاد قوله من مرثية[٩٣] :

جَازَاكَ رَبُّكَ بِالْجِنَانِ فَهَذِهِ دارٌ وَإِنْ حَسُنَتْ تَغُرُّ بِسَمْتِهَا
ضَلَّ الَّذِي قَالَ البِلادُ قَدِيمَةٌ بِالطَّبْعِ كَانَتْ. وَالأَنَام كَنَبْتِهَا

قال شارحه البطليوسي[٩٤] : هذا رَدٌّ على الدهريين الذين قالوا إن العالم قديم بالطبع ، والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيماً ، وهذا كفر صريح وضلال بعيد ، بل الحق أنَّ العالم مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ أحدثه الله الواحد القادر بقدرته ، انتهى .

ولو صح تأخر قوله لما ذكر ، لكان بعدم قوله لما يخالف ذالك موحياً للتوقف في حقه ، إذ يحتمل قصد التعمية كما هو الغالب على أكثر الزنادقة ، ولذا يقع الاختلاف فيهم ، ولو تبينت الحقيقة لوقع الحكم عليهم بشيء [. . . .] جزماً فكيف مع عدم علم التاريخ وما الذي ألْجَأَهُ إلى إيثار ما يخالف الصَّواب بعد النَّهي

الشرعي عن تجنب مواضع التُّهم ، هو مما يخدش في العدالة فما ظُنك بما يخدش في الدين .

ومن شعره في إثبات المعاد من مَرْثيته لوالده التي طالعها[٩٥] :

وأمــامَنــا يَــوْمٌ يقــومُ هُجُــودُهُ   من بعــد إبْلاَءِ الْعِظَامِ ورَفْتِهَا

والجواب عنه كغيره . .

ومن شعره الدّال على التباس أمره قوله من إحدى لامياته :

فَيــاوَطَنِيْ إنْ فــاتَنِي بِــكَ ســابِقٌ   مِنَ الـدَّهْـرِ فَلْيَنْعَمْ بِسَـاكِنِـكَ الْبَـالُ
فَـإنْ أَسْتَطِعْ فِيْ الْحَشْرِ آتِـكَ زَائِـراً   وهَيْهَـاتَ لِيَ يَـوْمَ الْقِيَـامَـةِ أَشْغَـالُ!

قال شارحه[٩٦] : أي إذا حال الدهر بيني وبين وطني وأمكنني يوم القيامة زيارته زرته قضاءً لحقه ولكن بَعُدَ ذالك جِدًّا لكثرة الأشغال بها ، إذْ لكل امرئٍ يومئذٍ شَأْنٌ يُغْنِيْهِ ، انتهى .

وقد جعل حجة له ، ومن كان راجياً في الله الخير كيف يقع منه التمني للعود إلى وطنه من الدُّنيا التي هي جملتها أحقر عند الله وعند الصالحين من عباده من كل شيء ، فكيف في حالة يحق فيها الفوز بدار القرار ، وكأنه من تَمَنّي الرجعة للإصلاح ﴿ ولو ردوا لعادوا[٩٧] ﴾ كما قال الله سبحانه .

وقوله : (وهيهات لي يوم القيامة أشغال) كأنه يشير إلى ماعليه من التبعات من مثل هذه الهنات ، وأنَّ فيما دونها أعظم شُغل عند من يوقن بالحساب ، ويصدق بالسؤال نَسأل الله تعالى التثبيت لما يزلفُ ونعوذ به من سخطه خُصوصاً يوم الوقوف بين يديه آمين .

ومن شعره في نفي الحكمة[٩٨] :

تَنــاقُضٌ مَـالَنَـا إلاّ السُّكُـوتُ لَـهُ   وَأنْ نَعُـوذَ بِمَـوْلاَنَـا مِنَ الـنَّـارِ
يَــدٌ بِخَمْسِ مِئِينٍ عَسْجَـدٍ وُدِيَتْ   مَـابَـالُهَـا قُـطِعَتْ فِي رُبْــعِ دِيْنَـارِ؟

وفي نسخة بتأخير : مالنا إلا السكوت له ، قيل في الجواب عليه : كانت أمينة ثمينة ، فلما خانت هانت .

وأجابه علم الدين السخاوي[٩٩] بقوله :

صِيَانَةُ الْعِرْضِ أَغْلاَهَا وأَرْخَصَهَا   خِيَانَةُ الْمَالِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي[١٠٠]

وقد سأله القاريُ لهما عليه : ما معناهما فقال : هذا مثل قول الفقهاء عبادة لا يعقل معناها[١٠١] .

وقد ذهل عن خزْي المعصية وموجب المخالفة وغفل عن كل ذا إبليس ولعنه ، ونسي إخراج آدم من الجنة حين نسي ، بذالك السَّبب اليسير عُوقب ، ولايزال عار الذنب عليه حتى القيامة حين يطلبُ منه الشفاعة ﴿ إنّ في ذَالِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ[١٠٢] ﴾

ومن شعره المنسوب إليه قوله :

بِالْقَادِسِيَّةِ فِتْنَةٌ   مَابَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيْحْ[١٠٣]
هذَا بِنَاقُوسٍ يَدُقّ   وَذَا عَلَى جَبَلٍ يَصِيْحْ
كُلٌ يُقَوِّيْ قَوْلَهُ   يَالَيْتَ شِعْرِي مَا الصَّحِيْحْ ؟!

قال الذَّهبي[١٠٤] : وله أبيات تدل على أنه كان دهريًا ملحداً مُفْحشا في قوله ، موحشاً في اعتقاده وهن قوله :

صَرْفُ الزَّمَانِ مُفَرِّقُ الإِلْفَيْنْ   فَاحْكُمْ إِلهِي بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنِي
أَنَهَيْتَ عَنْ قَتْلِ النُّفُوسِ تَعَمّداً   وَبَعَثْتَ أَنْتَ لِقَتْلِهَا مَلَكَيْنْ[١٠٥]
وزَعَمْتَ أَنَّ لَهَا مَعَاداً ثَانِياً   مَا كَانَ أَغْنَاهَا عَنِ الْحَالَيْنْ

انتهى الزعم ، وأكثر مايستعمل في الباطل . ومنه قوله ﷺ : « زَعَمُوا مطية الكذِب[١٠٦] » . وقال شريح[١٠٧]لكل شيء كُنْيَةٌ ، وكنْيَةُ الكذب زعموا ، وقد استعمله في خطاب القدوس الأزلي المتعالي عما يقول الملحدون ، ونستغفر الله من إيتاء مثل هذه الأباطيل النادبة من مكان قريب (؟) .

وقد عارض القرآن بكتاب سماه « الفصول والغايات في عراض السور والآيات » وقيل له : أين هذا من القرآن ، فقال : إن هذا لم تصقله المحاريب منْذُ أربع مئة سنة ، يعني على زعمه

أنه لو كان لكلامه هذه المدة لأنِسَ الناس إليه ولم تمجه الأسماع ، وهذا خيال باطل ، فله ولشعره إلى الآن نحو ألف سنة إلاّ مئتين أو نحو ذالك ما لحق بشعر البلغاء من العرب ونحوهم كأبي تمام والبحتري والمتنبي ، ونحوهم الذين عُنِي بنظر عمره في خدمة كلامهم كما عُني غَيْره بالقرآن[١٠٨]] .

ولابد من استيفاء الكلام له وعليه ، في « المعاهد[١٠٩]» وغيرها مالفظه : وقال السلفي : مما يدل على صحة عقيدته ماسمعت الخطيب حامد بن بختيار النُميري يحدث بالسمر مه (؟) مدينة الخابور قال : سمعت القاضي أبا المهلب عبدالمنعم بن [أحمد] السروجي يقول : سمعت أخي القاضي أبا الفتح يقول : دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت صلاة بغير علم منه ، وكنتُ أتردد إليه واقرأ عليه فسمعته ينشد قوله :

كـم غُـوْدرتْ غـادة كَـعَـابُ ... وعُـمِّـرت أُمُّـهَـا الْـعَـجُـوزُ
أحْـرَزَهَـا الْـوَالِـدَانِ خَـوْفـاً ... وَالْـقَـبْـرُ حِـرْزٌ لَهَـا حَـرِيْـزُ
يَجُـوزُ أنْ تُـبْـطِئَ الْمَـنَـايَـا ... والخُـلْـد في الـدهـر لا يَجُـوزُ

ثم تأَوّهَ مَرَّاتٍ وتلا في ذالك الآية ﴿ لِمَنْ خافَ عَذَابَ الآخِرةِ ذَالِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذالِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بِإذْنِهِ فَمِنْهُم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ثم صاح وبكى بكاء شديداً ، وطرح وَجْهَهُ على الأرض زَماناً ، ثم رفع رأسه ومسح وجهه وقال : سُبْحَانَ مَنْ تَكَلَّم بِهَذَا في الْقِدَمِ .

قُلت : ياسيدي أرى في وجهك أثر غيظ فقال : لا يا أبا الفتح ، بل أنشدت شيئاً من كلام [المخلوق . وتلوت شيئاً من كلام[١١٠]] الخالق فلحقني ماترى ، فتحققت صحة دينه وقوة نفسه . انتهى .

أقول : هذه الحسنة الجليلة المغمورة بين السباب المهيلة يرجع فيها إلى التاريخ فهل كان ذالك عند الموت ، وقد أجابه في البيت [الأخير السيد محمد بن إسماعيل الأمير[١١١] رحمه الله بقوله[١١٢] :

والله مـا أخْـطَـتِ المـنَـايَـا ... وَلاَ عَـلَـيْـهَـا الْخَـطَا يَجُـوز[١١٣]
وإنَّمَـا خَـالِـقُ الْـبَرَايَـا ... الـواحِـدُ الـقَـاهِـرُ الـعَـزِيـزُ

قَــدَّرَ آجَــالَهُــمْ كَــمَا شَــا الـطـفْـلُ والـكـهـل والـعـجـوز
فَــمَنْ تَـعَـامَـى وَكَـانَ أَعْـمَـى أنّىَ لِـنَـيْـل الْهُـدَى يَجُـوزُ؟

ومن شعره قوله :

أَحَـفْـتُـمُ الـسَّـابِـحَ فِي لُجِّـهِ وَرُعْــتُـمُ فِي الْجَـوِّ ذَاتَ الْجَـنَـاحْ
هَـذَا وَأَنْـتُـمْ عَـرَضٌ لِـلْرَدَى فَـكَـيْـفَ لَـوْ خُـلِّدْتُـمُ يَـاقِـبَـاحْ

وأجاب عليه السيد العلامة البدر محمد بن إسماعيل الأمير بقوله :

يَـابَـرْهَمِـيَّ الـشَّـرْعِ رَبِّي الَّـذِي لِـصَـيْـدِ بَـرٍّ وَلِـبَـحْـرٍ أَبَـاحْ
لَوْ كُنْتَ تَقْرا الـذِّكْرَ والسُّنَّةَ الْـ ـغَـرَاءَ مَـا قُـلْتَ لَهُمْ يَـاقِـبَـاحْ
فَـمَا عَلَى مَنْ صَـادَ حُـوْتـاً وَلاَ ذَاتَ جَـنَـاحٍ مَـاعَلَيْـهِ جُـنَـاحْ

وأجابه أيضاً بقوله(١١٤):

حَـرَّمْتَ أَكْـلَ اللحْمِ يَـاجَـاهِـلاً وَلُمْتَ مِنْ جَهْلِكَ أَهْـلَ الصَّـلاَحْ
وربُّـنَـا امْـتَـنَّ عَـلَيْـنَـا بِمَـا نَصِيـدُ مِنْ حُـوتٍ وذَاتِ الْجَنَـاحْ
تَـفَـضُّـلاً يَـا مُـنْـكِـراً فَـضْـلَهُ فَـمَا عَـلَيْنَـا فِي مُـبَـاحٍ جُـنَـاحْ
قَـلَّدْتَ أَهْـلَ الـكُـفْـرِ لِكِـنَّـنَـا نَتْبَـعُ آيَـاتِ الـكِتَـابِ الصِّحَـاحْ

[١٦٣] والثابت عند أهل الموت (؟) ما سيأتي نقله عن الثَّبت الذي لا يدافع [في قول](١١٥):

ومن شعره المنسوب إليه فيما رأيت قوله :

وإنَّمَـا حَمَّـلَ الـتَّـوْرَاةَ قَـارِئَـهَـا كَسْبُ الْفَـوائِـدِ لاحُبُّ التِّـلاَوَاتِ
وَهَلْ أُبِيحَتْ نِسَاءُ [الروم] عَنْ عَرَضٍ لِلْعُرْبِ إِلاَّ بِأَحْكَـامِ النُّبُوَّاتِ(١١٦)

ومن التزاماته في إثبات تأثير النجوم ، وهو يكفر معتقد استقلالها بالتَّأثير :

قِـرَانُ الْمُشْـتَرِي زُحَـلاً يُـرَجَّى لإِيْقَـاظِ النَّـواظِـرِ مِنْ كَـرَاهَـا
تَقَضَّى النَّاسُ جيلاً بَعْدَ جِيْلٍ وَخُلِّفَتِ النجـومُ كَـما تَـرَاهَـا
تَقَدَّمَ صَـاحِبُ التَّـوْرَاةِ مـوسى وَأَوْقَـعَ بِـالْخَسَـارِ مَنِ افْـتَرَاهَـا

فَـقَـالَ رِجَـالُـهُ وَحْيٌ أَتَـاهُ   وَقَالَ الآخَرُونَ[١١٧] بَلِ افْتَرَاهَا
وَمَـا حَجِّيْ إِلَى أَحْجَـارِ بَيْتٍ   كُؤُوسُ الْخَمْرِ تُشْرَبُ فِي ذُرَاهَا
إِذَا رَجَعَ الحَكِيْمُ[١١٨] إِلَى حِجَاهُ   تَهَـاوَنَ بِـالْمَـذَاهِـبِ وَازْدَرَاهَـا

فصرح بتأثير النجوم ، وبأنَّ التّوراة مُفْتراةٌ [في قول] .

وأخبر بأن الخمر تشرب في ذروة تلك الأحجار ، وذروة الشيْء أعلاه ، وبأنَّ الرجوع إلى العلمية[١١٩] من الحكيم يوجب التهاون والإزدراء ، وليس على زيادة .

[وما أحسن قوله : إذا رجع الحكيم . . الخ . لا بالمعنى الذي أراده ، بل الحكيم بمعنى اليقظ ، والمذاهب تُزْدَرى باعتبار مايقع فيها من التعصبات ، وليس الحكم المتبع حقاً إلا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية[١٢٠]] .

وفي الرَّد على الدَّهريين من الحكماء قوله :

مَنْ قَـالَ إِنَّ النَّـيِّرات عَـوامِـلٌ   فَبِضِـدٍّ ذَالِكَ فِي عُـلاَكَ يَقُـولُ
يَعْمَـلْنَ فِيـهَا دُونَهُنَّ بِـزَعْـمِـهِ   وَلَهُـنَّ دُوْنَـكَ مَـطْلَعٌ وَأُفُـولُ

ومن شعره المعتذر له يدلّ على إنكاره تأثير النجوم من النونية مُخاطباً للمكتوب إليه وهو الشريف المرتضى العلوي[١٢١] :

يا ابْنَ مُسْتَعْرِضِ الصُّفُوفِ بِبَدْرٍ   وَمُبِيْـدِ الْجُمُـوعِ مِنْ غَـطَفَـانِ
أَحَدُ الْخَمْسَةِ[١٢٢] الَّذِينَ هُمُ الأَعْرَا   ضُ فِيْ كُلِّ مَوْطِنٍ[١٢٣] وَالْمَعَانِي
والشُّخْـوصُ التي خُلِقْنَ ضِيَـاءً   قَبْـلَ خَلْقِ الْمِرِّيْـخِ وَالْمِيْـزَانِ
قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمٰوَاتُ أَوْ تُؤْ   مَـرَ أَفْـلاَكُـهُـنَّ بِـالـدَّوَرَانِ

قوله : أو تؤْمَرَ أفلاكهن بالدوران . . قال شارحه : فيه تكذيب ، من قال بأنه يعتقد مذهب الحكماء القائلين بأن لها تأثيرٌ .

أقول : لكنه قد أثبته في أبيات عديدة غير هذه ، ونحنُ لا ننكر أنَّ للنجوم تأثير بقدرة الله تعالى ، وخواصات أودعها الله سبحانه فيها ، كيف ولِنجُوم الأرض آثارٌ وخواصات لا تجحد وهذه أجل ، إنما النزاع في اعتقاد استقلالها

بالتأثير ، أو جعل الآثار العظيمة على فرض الاقتدار في أمور محرمة ، من إنزال الضرر ، والجمع أو التفريق عصياناً لله أو نحو ذالك .

وله الخبر الشهير في قصة الوزير ، ذكرها من ذكر أولاً[١٢٤] . . وابن الوزير ، وهو السيد العلامة الهادي بن إبراهيم[١٢٥] في كتابه المسمى بـ « الأجوبة المذهبة على المسائل المهذبة » ــ بعد أن ذكر المعري على تعصبه للتشيع بما لفظه : وفي شعره ما يدلُ على الإسلام ، لولا نزغات منه تدل على مخالفة موضوع الشريعة المطهرة ، وإلا ففي شعره ما يدلُ على تشيعه فضلاً عن إسلامه ، وذالك قوله : وعلى الدهر ــ الأبيات .

ثم استوفى قصة الوزير كما هي في « النبلاء » . وهو ماحكاه أبو حامد الغزالي في كتابه « سر العالمين وكشف مافي الدارين[١٢٦] » وحكاه أيضاً ابن أبي أصيبعة في كتابه « الإنباء في تاريخ الأطباء[١٢٧] » . أن وزير محمود بن صالح الكلابي صاحب « حلب » كذا قيل ، وصرح الغزالي بأن القصة وقعت لرسل السلطان محمود بن سبكتكين قال في « النسمة » والظاهر أن كلام ابن أبي أصيبعة أصح لأنَّ المعرة من عمل حلب : وُشيَ إليه أنَّ المعريَّ زنديق لا يرى إفْساد الصور ، ويزعم أنَّ الرسالة تحصل بِصَفَاءِ العقل ، فَبَعَثَ محمود على طلبه خمسين فارساً ليحملوه إليه ، فلما وصلوا إليه أنزلهم بدار الضيافة وأكرمهم ، فدخل عليه عَمُهُ مسلم بن سليمان ، وقال : يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة ، الملك محمود يطلبك ، فإن منعناك عجزنا ، وإن أسلمناك كان عارٌ علينا عند ذويْ الذمام ، فقال له : هَوِّنْ عليك عَمِّي ، فلا بأس علينا ، ولي سلطان ثم قال لغلامه قنير[١٢٨] : قدم الماء فاغتسل [. . . .] وصلى إلى نصف الليل ، ثم قال لغلامه : أين المريخ ؟ قال : هو في منزلة كذا فقال : زِنْهُ واضرِبْ وَتَداً تحته . واعْقُدْ يَدِي ــ وفي روايةٍ ــ رجلي في خيط مُتَّصِلٍ بالوتد ، فسمعناه يقول : ياقديم الأزل ، ياعلة العلل ، ياصانع المخلوقات ، وموجد الموجودات ، أنا في عزك الذي لا يرام ، وكنفك الذي لا يضام ، وجعل يقول : الضُيُوف الضُيوف ، الوزير ، الوزير ، ثم ذكر كلمات لا تفهم ، وإذا بهدة عظيمة ، فسألنا عنها ، فقيل : هي دار الضيافة وقعت على ثمانية وأربعين من الضيوف ، وفي « النسمة » على الخمسين ،

وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر : لا تزعجوا الشيخ فإنَّ الوزير قد وقع عليه الحمام ، قال في « النسمة » وحكى الغزالي أن الحمام هو الواقع على الفرسان قال : وهو الأنسب بحال المريخ انتهى ، وفيه توضيح ــ قال يوسف بن علي فدخلت عليه فقال لي من أين أنت ؟ قلت : من أرض الله ! فقال : أنت من أرض الهركان[١٢٩] أنت يوسف بن علي . مملوك على مملى (؟) ، وزعموا أني زنديق ، ثم قال لي : اكتب على صفة الحالة :

بَـاتُـوا وَخَتْفِي أَمَـانِيهِمْ تُصَـوِّرُهُ ... وَبِتُّ لَمْ يُخْطُرُوْا مِنّي عَلَى بَـالِ
وَفَـوّقُوا لِي سِهَـاماً من سِهَـامِهِمُ ... فَـأَصْبَحُـوا وُقَّعـاً مِنّي بِـأَنْبَـالِ
فَـمَا ظُنُوْنُـكَ إِذْ جُنْـدِي مَـلاَئِكَـةٌ ... وجُنْـدُهُم بَـيْنَ طَـوّافٍ وبَقَّـالِ
لَقِيْتُهُمْ بِعَصَـا مُوسَى الَّتِي مَنَعَتْ ... فِـرعونَ مُلْكـاً ونَجَّتْ آلَ إِسْرَالِ
أَقُومُ خَمْسِيْ وَصَوْمِيْ الـدَّهْرَ آلَفُـهُ ... وَأُدْمِنُ الـذِكْـرَ أَبْكَـاراً بِـآصَـالِ
عِيْدَيْنَ أَفْطِرُ فِي عَامِي إِذَا حَضَرَا ... عِيْد الأضاحى .. يَقْفُو عِيْد شوّالِ
إِذَا تَنَـافَسَتِ الْجُـلاَّسُ فِي حُلَلٍ ... رَأَيْتني في عسيس[١٣٠] القطنِ سِرْبَالِي
لاَ آكُـلُ الْحَيَـوانَ الـدَّهْـرَ مَـأْثُرَةً ... أَخَـافُ من سُوْءِ أَعْمَـالٍ وَآمَـالِ
وَكَيْفَ أَقْرَبُ طَعْمِ الشَّهْدِ وَهْو كذا ... غَصْبٌ لمكْسبِ نَحْلٍ ذَاتِ أَطْفَال[١٣١]
نَهَيْتُهُمْ عَنْ حَـرَامِ الشَّرعِ أَجْمَعِـهِ ... وَيَـأْمُـرُونِي بِتَـرْكِ الْمَنْزِلِ الْعَـالِي
وأَعْبُـدُ الله لاَ أَرْجُـو مَثـوَبَتِـهُ ... لـكن تَـعَبُّـدَ إِكْـرَامٍ وَإِجْـلاَلِ
أَصُـونُ دِيْنِيَ عَنْ جُـعْـلٍ أُؤَمِّلُهُ ... إِذَا تَـعَبَّـدَ أَقْـوَامٌ بِـأَجْـعَـالِ

قال السَّيد العلامة الهادي : هذه الرواية كما سترى . والمقصود منها إخبار المعري ليوسف بن علي باسمه وصفته وإخباره بأنهم حملوه على قتله ، وزعموا أنه زنديق ، كل ذالك وهو غير مُخْبَرٍ بيوسف هذا ، ولا ماحاله ، وفي فعله ونظمه ونثره ما يخالف الشريعة النبوية ، منها ارتباطه بحب المريخ ومناجاته ، والاستغاثة به ، ونَفْي ماعداه ، وفيها مايشكل لتضمنها فعل الطَّاعة والذكر ، وأخطأ في شيء منها : أنه جعل الملائكة جنده ، وهم أعظم من أن يطلق عليهم ذالك أحد إلَّا الله تعالى ، ومنها قوله : لا يأكل اللحم ، وهو عين رأي البراهمة ، لأنهم يقولون به ، ومنها قوله : إنه لا يأكل العسل ، لأنه كسب النحل لأطفالها ، وقد

نقل هذا عنه [ولا نقول بتجزئة غيره فيما أحسب] .

قال السيد المذكور : وهو يمكن التأول ، لكن من تعمد أقواله وأخباره ، وصرح به فالتأويل سمج في حقه ، اللهم إلاّ أن موجبه موجب ، ولا موجب هنا .

ومنها قوله : إنَّه يعبد الله إجلالاً وإعظاماً لا مثوبة من خوف وخطر . . هذا قليل لكن المشروع أن يأتي المكلف بالعبادة على الوجه الذي كلف به ، وعلى الجملة فهذه الأبيات وأمثالها من النزغات الشيطانية . وأشنع منها وأنكر قوله :

إذَا مَـاذَكَـرْنَـا آدَمـا وفِعَـالَـهُ ... وتَـزْوِيجَهُ بِنْتَيْـهِ بِابْنَيْـهِ في الدُّنَـا
عَلِمْنَا بِأَنَّ الناس[١٣٢] مِنْ نَسْلِ فَاجِرٍ ... وَأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ عُنْصُرِ الزِّنَا

قال عُمَارَةُ اليمنيُّ في كتابه المسمى بـ « المفيد في أخبار زبيد[١٣٣] » : ومنهم من شعراء اليمن القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة ، وهو كبير فيهم[١٣٤] ، وكان فقيهاً شاعراً إماماً في العربية واللغة ، وقتله الملك جيَّاش بنُ نجاح صاحبُ زَبيد ، وأورد شيئاً من أشعاره . ثم قال : لما بلغ القاضي بَيْتَا الْمَعَرِيِّ المذكوران : إذَا ماذَكرنا آدماً ــ إلى أخرهما ــ [١٦٤] أجابَهُ بقوله :

لَعَمْـركَ أمَّـا القَـول فِيْـك فَصَـادِقٌ ... وتَكْـذِبُ في الْبَاقِـينَ مَن شَطَّ أَوْدَنَا
كَـذالِـكَ إقْـرارُ الْـفَتَى لازِمٌ لَـهُ ... ولاَ يَلْزَمُ الْبَاقِينَ في الشَّرْعِ عِنْدَنَا[١٣٥]

وأقول : هذا لا يكفي في الجواب ، فقد سمعت الهجاء والقذف في طرقه ، ولم أرَ كهذا التجاري على الأمم في ألوف من السنين .

[ورأيت في « تاريخ ابن واضح[١٣٦] » : أحمد بن يعقوب العباسي بعد أن ذكر تزوج هابيل بأخت قابيل ، وقابيل بأخت هابيل ، وأنَّ قابيل حسده أن يتزوج بأخته التي ولدت معه ثم قال وروى بعضهم أنَّ الله عز وجل أنزل لهابيل حوراء من الْجَنَّةِ فزوجه بها ، وأخرج لقابيل جِنِّيَّةً فزوجه بها فحسد قابيل أخاهُ على الحوراء فقال لهما آدم : قَرِّبَا قربانا فَقرب قابيلُ من تبن زرعِهِ ، وقَرَّبَ هابيل أفضل كبش في غنمه ، لله ، فقبل الله قربان هابيل ، ولم يقبل قربان قابيل ،

فازداد نَغَاسَةً وحسداً وزين له الشيطان قتل أخيه فشدخه بالحجارة حتى قتله فسخط الله على قابيل ، وأنزله من الجبل المقدس إلى أرض يقال لها : [نُود ــ إلى آخر هذه الرواية ــ إنْ صَحَّتْ ــ رَدٌّ على الناظم بمنع الواقع من أصله] .

. . . فيهم الأنبياء والأتقياء والأصفياء بعد الأبدال ذي الزلفى وماقاله مندفع بأن ذالك ليس بحرام في تلك الشريعة . وما أظنه سبقه إلى مثل ماقاله أحد ، ولأمر ماقال :

فَـإنِّي وَإنْ كُنْتُ الأَخِيْرَ زَمَـانُـهُ لآتٍ بِمَـا لَمْ تَسْتَطِعْـهُ الأَوَائِـلُ

قال ضياء الآل يوسف بن يحيى في « نسمة السحر » ما لفظ : وذكر الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿ إنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ بيت أبي العلا في صفة نار القرى من القصيدة الفائية التي رثى بها النقيب أحمد الموسوي ، والد الرضي والمرتضى(١٣٧) وهو :

حمراءُ سَاطِعَةُ الذَّوَائِبِ فِي الدُّجَى تَـرْمِي بِكُـلِّ شَرَارَةٍ كَـطِرَافِ

وحمى عليه وقال : إنه أراد الزيادة على مافي القرآن من تشبيهها بالقصر ، ولا أدري من أين له أنه أراد الزيادة على تشبيه القرآن ، فمن المعلوم أنَّ القصر أعظم من الطراف وهي الخيمة من الأدم الأحمر ، يتخذها الأتراك البادون ، ومياسر العرب ، ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيراً ، انتهى .

وهو كلام متين إلا أنه كان على الضياء ذكر مأخَذِ جَارِ الله ، ولفظه : وكأنَّه قصد بِخُبْثِه أنْ يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله : (حمراء) توطئة لها ومناداة عليها ، وتنبيهاً للسامعين على مكانها ، ولقد جمع الله له عَمَى الدارين عن قوله تعالى ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفر ﴾ فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر ، أنتهى .

فهذه التوطئة هي الحاملة ولا توجب وإليه يجب الانصاف ، وما أظن الحامل إلا إساءة الظن بالرجل إذ قد صار محل تهمهم [ ] لا سيما بعد المعارضة للقرآن :

ومن نظمه في تَتَبُّعِ الرُّخَصِ قوله المشهور عنه :

الشَّـافِعِيُّ مِنَ الأَئِمَّـةِ وَاحِـدٌ   وَلَدَيْهِمُ الشِّطْرَنْجُ غَيْرُ حَرَامِ
وَأَبُـو حَنِيْفَةَ قَـالَ وَهْوَ مُصَدَّقٌ   فِيْمَا يُفَسِّـرُهُ مِنَ الأَحْكَـامِ
شُـرْبُ المُثَلَّث وَالمُنَصَّفِ جَـائِـزٌ   فَاشْرَبْ عَلَى أَمْنٍ من الآثَامِ
وَأَجَـازَ مَـالِـكُ اللِّوَاطَ تَـظَرُّفـاً   وهُمُ دعَـائِمُ قُبَّـةِ الإِسْـلَامِ
وَأَجَـازَ دَاوُدُ السَّمَاعَ لِأَنَّـهُ   طَرَبُ النُّفُوسِ وصِحَّة الأَجْسَامِ
وَأَرى أُنَـاساً قَـدْ أجازُوْا مُتْعَةً   بِـالْقَوْلِ لَا بِـالْعَقْـدِ وَالإِبْـرَامِ
فَافْسُقْ وَلُطْ وَاشْرَبْ عَلَى أَمْنٍ وَخُذْ   فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِقَوْلِ إِمَامِ

فتأمل فيما تراه ، وانظر إلى هذه الروايات المفتراة أو المحكيّة عن الأئمة على خلاف ماهي عليه ، ولو فرضنا صحتها أو شيء منها لكان ذالك من المأمور برده وعدم العمل عليه ، إذ يكون من شعر (؟) الرُّخص ، فما من عالم إلا وله زلة فَلَا يتبع بل يحذر ، وقد قيل : من يتبع أقوال الرجال مالت به من حال إلى حال ، وكان من دين الله على أعظم زوال ، وإيضاح ماتصمنته هذه الأبيات يحتاج فضل فراغ ، وإطالة ، ومن نظر جميع ماسلف ـ لم يجد للمنسوبة إليه مخلصاً مجدياً فانْتَفَى (؟) ماقيل [من] الاعتذار له بأن ذالك من أهل الحسد ومن عمل تلامذته ، وأقول : أخبرني أيها المعتذر له بما ذكر ، ما الحامل على ذالك ؟ وعلام حسد ؟! ثم هات نظراء بل نظير واحد من الشيعة أو غيرهم وقع عليه مثل هذا التمالئ ، وإتعاب الأفكار في الافتراء عليه [بنظم هذه القوافي التي تنفر عنها قلوب أولى الأحلام ، وترجف عند قراءتها وكتبها الأفئدة والأقلام ، اللهم إني استغفرك(١٣٨) به اللسان ، ويجنح به القلم في هذا الميدان ، والعجب من تخصيصه بذالك كون غيره اشتهر بالتشيع ممن لهم القصائد العديدة المستكملة في مدح الآل أو بعضهم ، كعبدالحميد بن أبي الحديد الذي فعل السبع العلويات ، كالسبع المعلقات وغيره قبله وبعده] والحسد داء قديم ولم يكن قبل زمانه عديم ، ثم كيف كان ذالك من تلامذته الأحقا ببرة والذَّب عنه ، وأن لا يكون أحد منهم كما قيل « فلما جل ساعده رماني » وكما في الأمثال العامية (أول ماتولَّى شنق أمه) إلا أن يكون لفساد العقيدة كالطلحة تثمر الشوك .

وهل هذا العذر إلاّ اعتراف بصحة ذالك ، حتى لم يطلب الصحة أو دعوى على الغير فيحتاج البينة ، نعم تنبه لما أشار إليه القاضي اسحاق العبدي(١٣٩) حين قال بعد كلام تقدم معناه : وكانوا يزعمون [ ] أن له يداً في علم النجوم ، وتأثيراً في إتقانها ، وكان من أهل الرياضة والمتصرفين بخواص الأسماء ، وسمعت له بنوادر ولم أصدقها ، ثم رأيت بعض العلماء من المالكية قال في بعض مؤلفاته في أصول الدين . إن الغزالي كان يتصرف بالثلاثي أعني الوفق الثلاثي ويعظمه ، هذا وأنا أعرف أن الغزالي قد ذكر في بعض مؤلفاته أنّ المعري كان من أهل هذه الطريقة فكفى بشهادته إنْ صح النقل كله . انتهى .

ولا يخفى أن الاكتفاء بشهادته لا تتوقف على صحة ذالك كله بل لا يقع إلا بعد الصحة وإلا فالبعض من هذه الفواقر يكفي ، وقد قتل غير واحدٍ من الزنادقة ماقيل على واحد منهم بعض مانقل عن هذا وذالك كالحلاج ، قتل أسوأ قتلة بعد الضرب الشديد والتقطيع لكل طرف تعبّد (؟) وحُرق بعد الصلب على كلمات قالها في مجلس بعض الكبراء ، وتعصب له أصحابه ووعدوا أنفسهم برجوعه ، وقالوا : لما زادت دِجْلَةُ إذ ذاك أنه بسبب وضع رفاده(١٤٠) فيها إلى خرافات كثيرة ، والحال أنه ليس من التشيع في شيء أمّا من كان كذالك فلا يكاد يضره عند أهل طريقته مافعل ، ولو كفر هذا مايقتضي به الأستقراء والتتبع ، والذي قاله ابن خلكان : ثبت المؤرخين(١٤١) اللسان أن المعري كان يرى رأي الطباعية من أنّ موجد الولد أبوه ، وذكر أنه أنشد في مرضه الذي مات منه :

هذا جنَاه أبي عليَّ وما جَنَيْتُ عَلَى أَحَدْ

يعني أنه لم يتزوج ولم يولد ، قال : وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت ، وليس وراء هذه الحالة شيء وهي الحقيقة بحسن الخاتمة أحسن الله خاتمتنا في الأمور كلها ، وحرر في شهر ربيع سنة ١٢١٤ بقلم كاتبه الفقير إلى الله سبحانه يحيى بن مطهر سامحه الله تعالى .

صنعاء : عبدالله بن محمد الحبشي

(١) كذا في الأصل .
(٢) لعله : (وتابعيهم بإحسان) .
(٣) كذا في الأصل ولعله (فجران) ــ « العرب » .
(٤) اللزوميات ١/٣٩٧ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/٢٤٠ ط احسان عباس .
(٦) الآية ٢٣ سورة الشورى . . على أن للمحققين من العلماء مايخالف رأي الشيعة في تفسير هذه الآية الكريمة ــ ينظر « منهاج السنة » لابن تيمية ــ « العرب »
(٧) إذا صح هذا ولكن للعلماء فيه مقال وان اخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم مرفوعاً « الفتح الكبير ج ١ ص ٤٥١ » « العرب » .
(٨) كقوله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن احدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ماأدرك مُدَّ أحدهم » أخرجه مسلم عن أبي هريرة .
(٩) ثائر من أهل اليمن مشهور خبره في كتب التاريخ .
(١٠) هو المؤرخ اليمني محمد بن علي بن يونس الزحيف ، من العلماء المؤرخين له « مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار » فرغ من تأليفه سنة ٩١٦ .
(١١) زيادة بخط المؤلف بالهامش .
(١٢) كذا في الأصل .
(١٣) هو الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون ، من أئمة طبرستان ولد سنة ٣٣٣ وتولى الإمامة سنة ٣٨٠هـ ومن مؤلفاته « التجريد » وغيره توفي سنة ٤١١ « اتحاف المهتدين ص ٤٨ » ط صنعاء .
(١٤) سقط الزند ص ٩٥ ط دار صادر .
(١٥) « معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص » ج ١ ص ٤٩ ط المطبعة البهية سنة ١٣١٦ .
(١٦) في معجم الأدباء ١/١٧٢ أبو الحسن الدلفي المصيصي . . قلت هو محمد بن عبدالله بن حمدان عالم بالأدب شاعر له « شرح ديوان المتنبي » توفي سنة ٤٦٠ « الأعلام ٦/٢٢٨ » .
(١٧) يعني كتاب « نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر » للأديب يوسف بن يحيى بن الحسين بن محمد بن القاسم ولد بمدينة صنعاء سنة ١٠٧٨ وتوفي سنة ١١٢١هـ .
(١٨) لم نجدهما في ديوانه .
(١٩) زيادة من الهامش .
(٢٠) يعني صاحب معاهد التنصيص ص ٤٩ .
(٢١) في الأصل ورفاته والإصلاح من شرح شواهد التلخيص .
(٢٢) « وفيات الأعيان » ج ٣ ص ١١٣ .
(٢٣) « سير أعلام النبلاء » ج ١٨ ص ٢٣ إلى ٣٩ ترجمة حافلة .
(٢٤) يعني كتاب « الإسعاف شرح شواهد الكشاف » تأليف خضر بن عطاء الله الموصلي المتوفى ١٠٠٧ .
(٢٥) طرابلس : بفتح أوله بلدة بالشام على شاطىء البحر بين اللاذقية وعكا « مراصد الاطلاع ٩١ » .
(٢٦) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام تعدُّ من أعمال حمص ، وهي غربي جبلة وهي الآن من أعمال حلب مدينة عتيقة . . « مراصد الاطلاع ص ١١٩٤ » .
(٢٧) « معاهد التنصيص ج ١ ص ٤٩ » .
(٢٨) في « المعاهد » ص ٤٩ و « الوافي » للصفدي ١٠١/٧ .
(٢٩) « الوفيات » : زهادة « وسير النبلاء » وكذا في « الوافي » للصفدي ــ بدل (سفاهة) و (عيني) بدل (جفني) و (زهادة) نسب للمقام فالرائي تلميذه وكل الرثاء ثناء .

(٣٠) « الوفيات » و« سير النبلاء » . اخرج هدية .
(٣١) « سير أعلام النبلاء » ٢٦/١٨ .
(٣٢) زيادة من هامش المخطوطة .
(٣٣) كذا في الأصل و« المعاهد » : النسق و« الوافي بالوفيات » : السبق وكذا « معجم الأدباء » .
(٣٤) كذا وفي « المعاهد » : الأذربيجانية وأذربيجان صقع حده من برذعة مشرقا إلى زنجان مغربا ويتصل حده من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل والفرد من أشهر مدنه تبريز وهي اليوم قصبية وكانت قديما المراغة ومن مدينة خوي وسلماس وأرمية واردبيل وغير ذالك وفيه قلاع كثيرة وخبرات واسعة « مراصد الإطلاع ص ٤٧ » .
(٣٥) هو من الأدباء استوزره أحمد بن مروان صاحب مَيّا فارقين ، له ديوان عزيز الوجود توفي سنة ٤٣٧ « وفيات الأعيان ١٤٣/١ » .
(٣٦) في الأصل بالراء والغين والأصلاح من « الوفيات » وفي « المراصد » ١٩٢ بزاعة بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب فيها عيون جارية وأسواق حسنة .
(٣٧) من أشهر النظم يقول فيها :

وقانا لفحة الرمضا واد ... وقاه مُضاعف النّبت العميم
نـزلنا دوحه فحنا علينا ... حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا ... ألذُّ من المدامة للنّديم

(٣٨) « الوفيات » مروع حصاه حالية العذارى .
(٣٩) ميا فارقين : بفتح أوله وتشديد ثانية ثم فاء أشهر مدن ديار بكر « المرصاد ١٣٤١ » .
(٤٠) « الوفيات » للصُّفدي ٩٧/٧ يبخضه .
(٤١) « ديوان المتنبي » ص ١٧٩ ط اليازجي .
(٤٢) كذا والديوان : كامل .
(٤٣) « وفيات الأعيان » ج ١ ص ١١٣ .
(٤٤) الوفيات المئة جزء .
(٤٥) ديوان المتنبي ص ٣٤٣ من القصيدة التي أولها :

وَاحَرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ ... ومَنْ بجسمي وحالي عنده سَقَمُ

(٤٦) لعله (مختصر شرح ديوان أبي تمام ، على نمط « عبث الوليد » الذي هو مختصر شرح ديوان البحتري « العرب » .
(٤٧) الرازي هو العلامة فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي ، من العلماء المفسرين المتكلمين من أشهر كتبه « مفاتيح الغيب » في التفسير ، توفي سنة ٦٠٦هـ وكتاب « الأربعين في أصول الدين » ص ٩٥ والنقل عن « الوافي بوفيات الأعيان » للصفدي ج ٧ ص ٩٨ ، وأصل الأربعين من معجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ١٩٣ ط مارغليوث .
(٤٨) ورد في الأصل : (فقولوا) و (حبي) و (خفي) وصوابها من « الوافي » .
(٤٩) ياقوت : معجم الأدباء ١٩٤/١ والنقل هنا من الوافي للصفدي .
(٥٠) « اللزوميات » ٣١٩/١ ومابين المربعين [....] من الهامش .
(٥١) اللزوميات أمور .
(٥٢) قلت : ببقية المقطوعة تنسف ما أراده المؤلف يقول :

نهت أمما فما قبلت وبارت ... نصيحتها فكل القوم بور

(٥٣) البيتان في « معجم الأدباء » لياقوت الحوي ١٩٣/١ ط مارغليوث .

(٥٤) « معاهد التنصيص » ٤٩/١ ومصدره ياقوت في « معجم الأدباء » ٣٧١/١ .
(٥٥) عن « الوافي » ١٠/٧ والزملكاني هو كمال الدين محمد بن علي بن عبدالواحد فقيه انتهت إليه رئاسة الشافعية ولد سنة ٦٦٧ بدمشق وولي نظر ديوان الأفرم ونظر خزانة بيت المال ثم ولي قضاء حلب . . من مؤلفاته « عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب » توفي سنة ٧٢٧ « الأعلام ٢٨٤/٤ » .
(٥٦) المعاهد ٥١/١ .
(٥٧) كذا في الأصل صوابه مافي المعاهد البحاثي وكذا في « الوافي » وهو الأديب الشاعر أبو جعفر محمد بن اسحق بن علي الزوزني البحاثي من مؤلفاته « شرح ديوان البحتري » وكتاب « نحو القلوب » وهو من أهل زوزون بين هراة ونيسابور توفي سنة ٤٦٣ « الأعلام ٢٩/٦ » .
(٥٨) عن ياقوت ١٧٩/١ .
(٥٩) في الأصل : ببشر والاصلاح من ياقوت .
(٦٠) في الأصل حاولوا هواني والاصلاح من ياقوت .
(٦١) ياقوت يحرسوني بسعاياتهم .
(٦٢) الأصل وشواني بالنون .
(٦٣) كذا في الأصل ولعل هنا سقط .
(٦٤) كذا في الأصل .
(٦٥) من زيادات المؤلف بهامش المخطوطة .
(٦٦) « الوافي بالوفيات » ج ٧ ص ١٠٠ و « معاهد التنصيص » ٥٠/١ .
(٦٧) أنظر « الوافي بالوفيات » .
(٦٨) زيادة من المؤلف ولم أجدها في الوافي والمعاهد .
(٦٩) كذا في المخطوطة وكتاب النبلاء من تأليف الذهبي سبق ذكره .
(٧٠) البيتان في معجم الأدباء لياقوت ١٩٣/١ وأصلحناها منه .
(٧١) كلمة لم نتبينها في المخطوطة فصححت من « سير أعلام النبلاء » للذهبي ٣٠/١٨ .
(٧٢) كذا في عبارة المؤلف وفيها غموض لم يتبين لنا .
(٧٣) « سقط الزند » ص ١٢ .
(٧٤) الآية ٨٢ سورة يس .
(٧٥) الآية ٥٩ سورة آل عمران .
(٧٦) « ديوان ابن الفارض » ص ٦٣ ط المكتبة الثقافية ببيروت .
(٧٧) عوض لنا . . لم أجده في المعاهد المطبوعة .
(٧٨) هو عبدالله بن محمد بن السِّيد من العلماء باللغة والأدب ولد ببطليوس سنة ٤٤٤ ومن مؤلفاته « شرح أدب الكاتب » و « المثلث » في اللغة وتوفي سنة ٥٢١ « الأعلام ١٢٣/٤ » .
(٧٩) شرح سقط الزند ج ٣ ص ١٠٠٤ .
(٨٠) معاهد التنصيص ٥٠/١ .
(٨١) هو أبو الفتح محمد بن محمد بن سُيِّد الناس اليعمري مؤرخ له « عيون الأثر » توفي سنة ٧٣٤ .
(٨٢) هو محمد بن علي ابن دقيق العيد القشيري فقيه ولي قضاء مصر له « الإلمام في الحديث » توفي سنة ٧٠٢ .
(٨٣) في الأصل : وفي حيرة ، والإصلاح من « الوافي » ١٠٠/٧ .
(٨٤) « الوافي » ١٠٠/٧ .
(٨٥) أنظرها في « سقط الزند » ص ٨ .
(٨٦) زيادة عن الصفدي والبيت في السقط ص ١٢ .

(٨٧) الديوان ص ١١ « عنك » .
(٨٨) كذا وفي السقط .
وانتهى اليأس منك واستشعر الوجد (م) بأن لا معاد حتى المعاد .
(٨٩) آخر الدالية « السقط ص ١٢ » .
(٩٠) لم أجده في « الوافي » .
(٩١) الديوان : زحل أشرفُ الكواكب دارا .
(٩٢) الكلمة مبهمة في الأصل :
(٩٣) من قصيدة أولها :
يـاراعـي الـود الـذي أفعـالـه تـغنيْ بـظاهـر أمْرِهَـا عـنْ نَعْـتِهـا
(٩٤) شرح سقط الزند ص ١٠٣٤ ولم أجد هذا الكلام في المطبوعة .
(٩٥) سقط الزند ص ٣٠ .
(٩٦) شرح سقط الزند ١٢٥٨ .
(٩٧) من الآية ٢٨ سورة الأنعام .
(٩٨) اللزوميات ٣١٨/١ .
(٩٩) هو علم الدين علي بن محمد بن عبدالصمد الهمداني السخاوي المصري ولد سنة ٥٥٨ عالم بالقراءات سكن دمشق من مؤلفاته « المفضل شرح المفصل » و« هداية المرتاب » منظومة في القراءات ، وسفر السعادة وغيره توفي سنة ٦٤٣ « دار الأعلام ٣٣٢/٤ » .
(١٠٠) البيت في « الوافي بالوفيات » ج ٧ ص ١١٠ .
(١٠١) « سير أعلام النبلاء » ٣١/١٨ .
(١٠٢) الآية ٣٧ سورة ق .
(١٠٣) المعروف (باللاذقية) .
(١٠٤) نَصُّ كلام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » : ٢٨/٨ ـ : وقال غرسُ النعمة محمد بن هلال بن المحسن : له شعر كثير ، وأدب غزير ، ويرمى بالإلحاد وأشعاره دالة على مايُزَنُّ به . . . ونحن نذكر ما رمي به ، فمنه :
قـران المـشـتري زحـلا يُـرجّـى لإيـقـاظ الـنـواظـر مـن كـراهـا
ستة أبيات ، وبعدها : صرف الزمان . . فهل نقل المؤلف كلام الذهبي من غير كتاب « سير أعلام النبلاء » أم نسب إليه مالم يقل .
(١٠٥) في « سير أعلام النبلاء » : لقبضها ملكين .
(١٠٦) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « بئس مطية الرّجل زعموا » أخرجه أحمد بن حنبل وأبو داود وعن حذيفة بن اليماني .
(١٠٧) هو القاضي شريح بن الحارث بن الجهم الكندي من أشهر القضاة في الإسلام أصله من اليمن ، وولي قضاء الكوفة في زمن عمر ومعاوية توفي سنة ٧٨هـ « الأعلام ١٦١/٣ » .
(١٠٨) زيادة بالهامش بخط المؤلف لا تكاد تقرأ .
(١٠٩) « معاهد التنصيص » ج ١ ص ٤٩ .
(١١٠) إكمال العبارة من « سير أعلام النبلاء » ٣٣/١٨ .
(١١١) هو علامة اليمن صاحب المؤلفات الكثيرة من أشهرها « سبل السلام » وغيره وفاته سنة ١١٨٢ وانظر « العرب » س ٧ ص ٦٨٠ .
(١١٢) ديوان ابن الأمير ص ٢٤٨ ط المدينة .

(١١٣) ديوان ابن الأمير ص ١٣٢ وكلمة (أخطاة) .
(١١٤) ديوان ابن الأمير ص ١٣٢ .
(١١٥) كذا في أصل المؤلف وقد بدأ على الصفحة قبل هذا الكلام كلام مضروب عليه بقلم المؤلف فلعل سياق العبارة في ذالك المضروب عليه والله أعلم .
(١١٦) هذا البيت ورد في « معجم الأدبا » ج ١٩١/١ ط مرغليوث ولزوم مالا يلزم ص و « سير أعلام النبلاء » ٣٠/٨ .
(١١٧) معجم الأدباء الناظرون .
(١١٨) معجم الأدباء : الحليم .
(١١٩) كلمة غامضة في الأصل .
(١٢٠) زيادة من هامش الأصل بقلم المؤلف .
(١٢١) سقط الزند ص ٩٦ .
(١٢٢) الخمسة هم : النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين .
(١٢٣) في الديوان منطق .
(١٢٤) أوردها الصفدي في « الوافي بوفيات الأعيان » ج ٧ ص ١٠٧ .
(١٢٥) هو العلامة الشهير صاحب المؤلفات الجليلة منها « نهاية التنويه في ازهاق التمويه » وغيره توفي سنة ٨٢٢ انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ١١٧ .
(١٢٦) هذا الكتاب مما نسب إلى حجة الإسلام الغزالي وليس من تأليفه يقول شاه عبدالعزيز الدهلوي : (إن الكتاب منحول وليس للغزالي) وقد طبع في بومباي سنة ١٣١٤هـ والقاهرة سنة ١٣٢٤هـ وسنة ١٣٢٧ انظر « مؤلفات الغزالي » لعبدالرحمن بدوي ص ٢٢٥ وص ٢٧١ .
(١٢٧) قلت : لم أجد هذه الحكاية في طبقات الأطباء لابن أصيبعة فيفهم [وليست في ترجمة المعري من كتاب « النبلاء »] .
(١٢٨) كذا في الأصل وفي « الوافي » : ثم قال لغلامه : انظر إلى المريخ .
(١٢٩) في « الوافي » : المركار بالراء وفي « مراصد الاطلاع » ١٤٥٧ المركام بالميم قال : ناحية من نواحي الطرم بين قزوين وبلاد الديلم .
(١٣٠) « الوافي » خسيس .
(١٣١) هذا البيت والذي يليه ساقط من « الوافي » .
(١٣٢) « الوافي » : الخلق وفي « معجم الأدباء » عَلِمْنا بأن الخلق من أصل ريبة .
(١٣٣) « المفيد » لعمارة ص ٢٨٨ .
(١٣٤) « المفيد » كبير في بيتهم يعني بني عقامة .
(١٣٥) كذا في الأصل وفي « الوافي » و « المفيد » وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا وقد أورد المؤلف هذه الرواية في الهامش .
(١٣٦) « تاريخ اليعقوبي » ج ١ ص ٦ ومنه صحح مافي النقل من أخطاء .
(١٣٧) « سقط الزند » ٣٦ .
(١٣٨) بياض ويتم الكلام (عما ينطق) أو ما بمعناها .
(١٣٩) هو عالم من أهل اليمن ، وفاته سنة ١١١٥ انظر ترجمته في « نشر العرف » ج ١ ص ٣١٨ .
(١٤٠) يعني رفاته بالتاء .
(١٤١) كذا في الأصل .

فصيح العامي
في شمال نجد

تجمع ندوةُ الرفاعي نخبة من رجال الفكر من العلماء والأدباء والشعراء وبعض راغبي الاستفادة مما يدور في الندوة من مناقشات علمية ، وأحاديث أدبية ، ومساجلات شعرية في جَوٍّ أَخَوِيٍّ وُدِّيٍّ يغمره عميدُ الندوة معالي الشيخ الأستاذ الكبير عبدالعزيز أحمد الرفاعي بدماثةِ خُلُقِهِ ، ورجاحةِ عقله ، وكرم سجاياه .

وقد جمعتني الندوة يوم الخميس الماضي لأول مرة بالأخ الأستاذ عبدالرحمن بن زيد السُّوَيْداء وكنت في شوق إلى لقائه مُذ قرأتُ في الصحف ، وسمعت في الإذاعة مقتطفاتٍ من كتابه : « فصيح العامي في شمال نجد » وكانت فرصة طيبة للقاء ، وإن كان التعارف بيننا قائماً على صفحات الصحف وعبر أمواج الأثير .

وقد لمستُ في الأخ الكريم علماً وافراً وعقلاً راجحاً ، ورحابةَ صدْرٍ ، واتِّزَانَ مَنْطِقٍ ، فزاد إعجابي به .

وقد شرفني فأهدى إليَّ على الفور نسخة من كتابه الذي كنت أتطلع إلى قراءته ، وما إن خرجت من الندوة ، ووصلت إلى داري حتى بدأت في قراءته ، فقرأت المقدمة والتمهيد كله ، ويبلغ عدد صفحاتها ثمانياً وعشرين صفحة وتصفحت الكتاب لأرى طريقة المؤلف في إعداده .

وقد أُعْجِبْتُ بروح البحث والاستقصاء والتمحيص التي رأيتها في ثنايا الكتاب ، وبرغبة المؤلف العارمة في تأصيل الكلمات العامية .

وفي الحقيقة أنِّي أخالف من يسعون إلى إثبات أن كلمة عاميةً أصلها عربيٌّ ، فالكلمات العامية في البلدان العربية معظمها ــ إن لم أقل كلها ــ تعود إلى أصول عربية ، وبخاصة في وسط الجزيرة الذي ظل قروناً لم تطأْهُ قَدَمُ مستعمر ــ حتى الآن ولله الحمد ــ ولم تختلط بسكانه عناصرُ أجنبية ، مثلما حصل في أجزاء أخرى من الوطن العربي على درجات متفاوتة . وإنما ينبغي أن نبحث عن الكلمات ذات الأصول العربية في اللغات الأجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية أو التركية أو الفارسية أو الأردية ونحو ذالك .

والأجدر بنا أن لا نسعى إلى البحث عن أصول الكلمات المستعملة في الحديث بين الناس لنؤكد عروبتها ، فذالك أمر يطول ، ولا يكاد يحيط به جهد ، وإنما ينبغي ــ في نظري ــ أنْ يُبْذَلَ الجهدُ في تنقية اللغة ــ وبخاصة لغة الكتابة والإذاعة ــ من الكلمات الأجنبية الدخيلة الوافدة من اللغات الأجنبية ، وإحلال كلمات عربية فصيحة بدلاً منها .

ولكن هذا لا يقللُ أبداً من قيمة المجهود الكبير الذي بذله الأخ الكريم الأستاذ السويداء ، فهو قد بذل أقصى جهده ، وأصدر كتاباً في مجلدين ضخمين ، يزيد عدد صفحاتها عن ألف ومئة صفحة ، وبلغ عدد الكلمات التي اشتمل عليها مايزيد على ثلاثة آلاف كلمة ، يشتق منها مايزيد على عشرين ألف لفظ إضافة إلى مايزيد على مئة وخمسين كلمة مختزلة ، وقد رتبت فيه الكلمات ترتيباً هجائياً ، واستشهد المؤلف في شرح أكثر الكلمات بأبيات من الشعر ، وبمقولات من الزجل العاميٍّ وإنْ كان في أكثر الأحوال لم يذكر أسماء الشعراء أو الزجالين الذين استشهد بشعرهم وزجلهم ، ولم يذكر مطلقاً المراجع التي رجع إليها عند كل معلومة رجع فيها إلى مرجع ، وإنما اكتفى بسرد المراجع في نهاية الكتاب ، بدون ترتيب على حسب أسماء المؤلفين أو أسماء الكتب كما لم يذكر الأسماء الكاملة للمؤلفين ولا تواريخ ولادتهم ووفاتهم ــ لمن كان ذالك معلوماً عنهم ــ ولم يذكر حتى أسماء الكتب كاملة ولم يذكر سنة طبع أي كتاب ولا مكان الطبع ولا اسم ناشره .

وهذه المعلومات مما يرى أساتذة الجامعات وجوب إيضاحه وإثباته ، وبخاصة في الكتب التي تعد من الكتب الموثقة التي تصلح لأن تكون مرجعاً للباحثين اللاحقين .

وهذا الكتاب « فصيح العامي في شمال نجد » يعد من الكتب التي ستصبح مرجعاً للباحثين ، وهو على ضخامته وكثرة ما اشتمل عليه من كلمات ومشتقاتها يدل على صحة ما ذهبنا إليه من صعوبة استقصاء الكلمات المستعملة في الأحاديث العامة وإرجاعها إلى أصولها العربية ، مع أنه قد اقتصر على ما هو مستعمل في

لهجة سكان شمال نجد ، واكتفى بالألفاظ دون الإعراب والاشتقاق ، وقال : (إنني فضلت البحث في منطقة محدودة خشية أن أخوض في أرجاء لا أُلِمُّ بالألفاظ التي تنطق بها فأقعَ في شيء من الحرج ، مثلما حصل لي في كتابي « نجد بالأمس القريب » . . . على أمل أن يقوم في كل جزء من نجد أحدُ أبنائه بعمل مماثل ، تكون حصيلة هذا العمل مجتمعاً حصيلة جيدة تضم معجماً لغوياً للألفاظ الفصيحة من اللهجة العامية . . وربما تبع ذالك جهود مماثلة في أرجاء الوطن العربي الكبير) .

وأعود فأقول : إن الجَرْيَ وراء تأصيل الكلمات المستعملة لدى العامة جهد كبير ، لهدف مشكوك في فائدته ، وإنما الأولى أن نستخرج الكلمات التي ليس لها أصل عربي فصيح ، فننبه إليه ، للتحذير من استعمالها ، ولاستنباط كلمات أو تعبيرات عربية فصيحة بدلاً عنها .

هذا من حيث الأساس الذي بُني عليه الكتاب .

أما عن الكتاب نفسه فقد اكتفيت بمراجعة مقدمته والتمهيد الذي قدمه المؤلف بين يديْ كتابه فوجدت فيهما بعض الملحوظات التي أوضحها في سطور أضعها بين يدي المؤلف الكريم وقراء كتابه ، ليقبلوا قولي فيما أصبت فيه ، ويردُّوا عليَّ خطإي إنْ أخطأت .

أولا ــ لقد لاحظتُ في المقدمة بعض الأخطاء التي يمكن أن تُعْزَى إلى المطبعة ــ أو إلى صفَّافِي الحروف منها ــ .

١ ــ كتابة كلمة (مواراة) بالتاء المفتوحة ، والصواب ان تكون بتاء مربوطة .

٢ ــ كتابة كلمة (حظيرة) بالضاد والصواب ان تكون بالظاء .

٣ ــ كتابة كلمة (كيلا مربعاً) بعد العدد مئة وخمسين الف . . . والصواب (. . كيل مربع) بالجرِّ .

٤ ــ كتابة كلمة (عدلت) بالذال المعجمة والصواب انها بالدال المهملة .

٥ ـ كتابة كلمة (أصبو) بألف بعد الواو والصواب أن تكتب بدون ألف ، لأنها فعل مضارع للمفرد المتكلم وليست فعل أمر للجمع .

ثانياً ـ جاء في المقدمة كلمات داخلني الشك في صحتها وهي :

١ ـ قال المؤلف : (... بقيت على ترها ...) ولعله يقصد انها بقيت على أصلها ، والتُّر بضم التاء وتشديد الراء معناه الأصل ، ولكن الكلمة التي أوردها المؤلف مضبوطة بكسر التاء ولعل ذالك خطأ طباعي .

٢ ـ قال المؤلف : (... فهذا من واجب المدارس التي ستنوء بهذه المهمة ...) ، والنَّوْءُ بالحمل النهوض به بجهد ومشقة وثقل ، أو الإثقال والسقوط والميل . فهل قصد المؤلف هذه المعاني معبراً عن صعوبة حمل المدارس لمهمة تقويم ألسنة الطلاب عن اللحن ؟

إني أظن أن المدارس لن تنوءَ بهذه المهمة وإنما ستقوم بها بجد ونشاط ، ولن تثقلها هذه المهمة أو تميلها أو تسقطها إذا صحت عزيمة القائمين عليها .

٣ ـ قال المؤلف : (... في تقديم مساهمة بسيطة ...) وكلمتا (مساهمة بسيطة) من الأخطاء الشائعة المشهورة وإنما يسهم الواحد ولا يساهم إلا إذا اشترك معه غيره ، والبسيط لا يعني القليل أو اليسير وإنما يعني المنبسط .

ثالثاً ـ جاء في التمهيد شرح لبعض الكلمات والأصوات بَدَا لي عليها ملحوظات :

١ ـ قال المؤلف : (ان كلمة (وش) من قول القائل : (وِشْ نوْحَك ؟) أصلها أي شيء وأخذت الهمزة من أي والشين من شيء فأصبحت (إش) أو (أيش) ثم أبدلت الهمزة إلى واو ، فأصبحت (وش) .

وأقول : إن (وش) أصلها (وأيُّ شيءٍ) أُخذت واو العطف وهمزة أي موصولة ، والشين من شيء فأصبحت (وِاشْ) ثم صارت تكتب (وش) باسقاط الهمزة التي عُدَّتْ همزة وصلٍ ، وهي همزة قطع .

٢ ـ قال المؤلف : إن العامة (... يختصرون جملة (أي شيء هو) إلى (إيش هو) ويقلبون الهمزة إلى واو ... فيقولون : (وش هو) ثم يدمجون الواو مع الكلمة بعد حذف الهمزة فتكون كلمة واحدة على هيئة (وشو) ....

وأقول : سبق الكلام عن أصل (وش) وأوضحنا أن الواو ليست منقلبة عن همزة ، وإنما هي واو العطف ، ولكن المؤلف غفل عن حذف الهاء مِنْ (هُو) وقال : إن المحذوف هو الهمزة والحقيقة في ـ نظري ـ أن المحذوف هو الهاء من (هو) .

٣ ـ قال المؤلف عن كلمة (أرى) : (: اساس هذه الكلمة : (انا) فقلبوا (في الأصل فقبلوا وهو خطأ طباعي) النون إلى راء رقيقة (في الأصل رقيقية وهو خطأ طباعي أيضاً) جدا شبيهة بالراء الحجازية) ..

وأقول : إني لا أعرف ما يسمى بالراء الحجازية فليس الحجازيون وحدهم هم الذين يرققون الراء بل إن ترقيق الراء من أحكام التجويد الواجب اتباعها في ترتيل القرآن إذا جاءتْ مكسورة أو ساكنة بعد كسر ، ثم إنه ليس كل أهل الحجاز يرققون الراء دائماً وإنما يفعل ذالك بعض المستعربين في مكة وجدة فقط ، أما غيرهم ، من أبناء المدينة المنورة والطائف وغيرهما من سكان أنحاء الحجاز فهم يفخمون الراء إلا إذا كانت مكسورةً أو ساكنة بعد كسر حسبما تقتضيه أحكام التجويد .

٤ ـ قال المؤلف : إن (فتح الحرف الأخير من كلمة بقى ورضا ونعى ... لغة طائية) وقد ضبطت هذه الكلمات بضمة على الباء وفتحة على القاف وفتحة على الألف اللينة في كلمة (بقى) وبضمة على الراء وفتحة على الضاد والألف الممدودة في كلمة (رضا) وبضمة على النون وفتحة على العين والألف المقصورة في كلمة (نُعَى) .

وفي الضبط خطآن مشتركان في الكلمات الثلاث ، وهو وضع فتحة على الألف سواء كانت ممدودة أو مقصورة ، فالمعروف أنَّ الفتحة يتعذر ظهورها على الألف . ثم إن المقصود هو فتح الحرف الذي هو قبل الأخير من هذه الكلمات ، وليس

الحرف الأخير إذنْ فوضع فتحة على الحرف الأخير لا وجه له ، كما أن كلمة بقى الواردة في شعر زيد الخيل مفتوحة الباء كما ضبطها المؤلف أما كلمتا (رضا) و (نعى) فقد ضبطهما المؤلف بضم الراء والنون ولعلهما مفتوحتان في شعر زيد الخيل .

٥ ـ عد المؤلف من لهجة بعض سكان شمال نجد المد الزائد لحرف الألف في ضمير الغائب وأحسب أنَّ المد الذي يرد في هاء ضمير الغائبة لا (الغائب) مد طبيعي لا زائد وان غير الطبيعي هو عدم إشباع فتحة الهاء في كثير من اللهجات .

٦ ـ وعد المؤلف من لهجات سكان شمال نجد تضخيم الراء وتثقيله في كلمة (حبَارَى) وبصرف النظر عن كون (تفخيم) الراء (لا تضخيمها) هو الصحيح فإن كلمة (حبارى) قد ضبطت بالشكل بوضع فتحة على الألف اللينة في آخرها والألف لا تظهر عليه الفتحة بل يتعذر ذالك .

٧ ـ عد المؤلف من لهجة سكان شمال نجد تنوين بعض الأسماء عند الوقف إذا جاء بعده حرف معرف بأل التعريف .

وأقول : إن الحرف لا يعرف بأل التعريف أو بغيرها ، وإن التنوين الذي يوضع في آخر الاسم المتبوع باسم (لا حرف) معرف بأل هو الوضع الطبيعي الصحيح مالم يكن الاسم السابق ممنوعاً من الصرف وإن ذالك يتم عند الوصل لا عند الوقف .

٨ ـ عد المؤلف من لهجة سكان شمال نجد استعمال كلمة (ضنا) بمعنى الطفل واطلاقها على الذرية .

والمعروف أنَّ كلمة ضنء ـ بفتح الضاد وكسرها وسكون النون وبهمزة في آخره ـ معنا كثرة النسل والولد ، وهو اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، وهو بكسر الضاد بمعنى الأصل .

٩ ـ عد المؤلف من لهجة سكان شمال نجد حذف الألف من كلمة (أو فاض) فيقولون (فاض) بمعنى الخشب التي يقطع عليها اللحم والخشب .

وأقول : بل إنهم ـ حسبما رواه المؤلف ـ قد حذفوا الهمزة (وليس الألف) والواو أيضاً .

١٠ ـ عد المؤلف من لهجتهم أيضاً إبدال حرف التاء (إلى) هاء في جمع المؤنث السالم : البناه والنخلاه بمعنى البنات والنخلات .

وأقول : إن الأصل انهم يعدون هذه التاء تاء مربوطة فيقفون عليها هاء ولا يبدلون التاء هاء وهي لهجة عربية شاذة ، ولكن المسموع ان سكان شمالي نجد يقلبون التاء ياء لا هاء فهم يقولون : (البناي) و (النخلاي) بمعنى البنات والنخلات .

١١ ـ عد المؤلف من لهجاتهم استعمال كلمة (ابك) للاستنجاد والاسْتنهاض ولم يبحث المؤلف أصل هذه الكلمة .

وأقول : إنها اختصار لجملة (رحم الله اباك) أو (رُحِم أبوك) أو (لعن الله أباك) أو (لُعِن أبوك) أي إنها دعاء للمخاطب أو دعاء عليه ، ونحن نسمع بعض العامة عندما يريد أن يستنهض أو يستنجد يصرخ بلعن أبي المخاطب ، وأحياناً بِلعن أبِي المخاطب وجده أيضا . ولعل بعضهم يختصر العبارة فيذكر كلمة (أبوك) أو (أَباك) ويترك بقية العبارة استهجاناً لها أو اختصاراً للكلام .

١٢ ـ عد المؤلف من لهجتهم نطق القاف بين التاء والسين (تس) مثل قول (عاشتس) أو (فريستس) بمعنى عاشق أو فريق .

وأقول : إن القاف لا تنطق بين التاء والسين وإنما تنطق بين الدال والزاي ، أو بين التاء والزاي ، أما ماينطق بين التاء والسين فهو حرف الكاف لا القاف .

١٣ ـ عد المؤلف من لهجاتهم أيضاً اختزال كلمة صادق وصدق بحذف الدال منها لتصبح (صاق) و (صق) وأنَّ القاف تنطق بين التاء والسين .

وقد تقدم بيان ان القاف تنطق بين الدال والزاي وليس بين التاء والسين ونضيف إلى ذالك أنَّ الدال لم تحذف من كلمة (صادق) و (صدق) وإنما أُدْغِمَتْ في الدال (أو التاء على رأي المؤلف) التي بعدها ، والدليل على الادغام

هو تشديد الحرف الأخير من الكلمة .

١٤ ـ أورد المؤلف كلمة (فَيْدَت) ثلاث مرات بالتاء المفتوحة وإنما هي بالتاء المربوطة التي تظهر في درج الكلام وتبدل هاء عند الوقف وإن كان بعض العامة يقفون على التاء المربوطة بالسكون ولا يبدلونها هاء .

١٥ ـ أورد المؤلف كلمة (يامل) وقال انها تستخدم للدعاء للانسان أو عليه مثل قولهم : (يامل الغنيمة) أو (يامل العافية) أو (يامل المرض) أو (يامل الجنة) .

وأقول : إن الكلمة أصلها (يامال) وقد قال المؤلف : (انظر هامش الكتاب) وقد نظرنا فلم نجد في الهامش شيئاً يوضح ما أراد المؤلف أن يقوله تعليقاً على هذه الكلمة .

١٦ ـ أورد المؤلف كلمة (دِوَى) بكسر الدال وفتح الواو وفتحة على الألف اللينة . .

وقد سبق أن أوضحنا انه يتعذر ظهور الفتحة على الألف .

١٧ ـ ذكر المؤلف أن من لهجتهم اختزال اسم الإشارة (ذاك) بإبدال الذال (إلى) هاء فيقولون (هكا الرجل) و (هكالشيء) و (هكا الجبل) و (هكالمرة) أي ذاك الرجل وذاك الجبل . . . الخ .

وأقول : إن الاختزال وارد فعلاً ولكن ما اختزل هو اسم الإشارة (ذا) فقط ، ولم تختزل الكاف ولم يبدل اسم الاشارة بالحرف (ها) وإنما اختزل اسم الإشارة (هذاك) و (هذيك) فبقيت الهاء التي هي للتثنية ، وحذف اسم الإشارة (ذا) وبقيت الكاف التي هي للدلالة على البعد .

١٨ ـ عد المؤلف من لهجاتهم استخدام كلمة (ماش) بمعنى أثاث البيت ومتاعه واستشهد بالمثل العاميٍّ : (ماشن خير من لاشن) وقال : إن معناه : بيت فيه متاع خير من بيت فارغ .

وأقول : ان كلمة (ماشن) لا تعني أثاث البيت ومتاعه وانما هي (ماشَيْء) بمعنى (شيء قليل لا يذكر وكأنه لاشيء) .

وعلى ذالك فالمثل : (ماشن خير من لاشن) معناه (شيء قليل خير من لاشيء) .

١٩ ــ ذكر المؤلف أن من لهجاتهم استخدام كلمة (أيْيْ) و (إياك) للمفاضلة والتحذير واستشهد بقول (سيبوية) [هكذا] :

ولقد علمت إذا الرجال تناهروا أيِّـي وايكـم أعـز وأمـنـع

وأقول : إن وضع نقطتين فوق الهاء من كلمة (سيبويه) خطأ طباعي ثم إن سيبويه لم يعرف عنه أنه شاعر وربما كان البيت مما استشهد به في كتابه .

ثم إن كلمتي (أيي وايكم) في البيت لا تفيد المفاضلة ولا التحذير وإنما هي أداة استفهام .

٢٠ ــ أورد المؤلف كلمة (ترك) وقال انها بمعنى (إذا) الشرطية في قولهم : (ترك إن جئت تجدني) ونحو ذالك وأنها تستخدم للتحدّي في مثل قولهم : (تْرك مهزوب تفعل كذا) . .

وأقول إن ترك ليست بمعنى إذا الشرطية وإنما هي (تراك) .

٢١ ــ قال المؤلف : إن من لهجتهم استعمال كلمة (دوك) بمعنى خذ أو أنظر .

وأقول : إن الكلمة أصلها (دونك) .

٢٢ ــ أورد المؤلف كلمة (يِبَي) وقال : إنها بمعنى (يريد) .

وأقول : إن أصلها (يبغي) وحذفت منها الغين .

٢٣ ــ وأورد المؤلف أنَّ من لهجاتهم نطق كلمة (يا أخي) بابدال الألف المهموز (إلى) واو فيقولون : ياوخي (وقد ضبط المؤلف الواو بالسكون) .

وأقول : إن أصل الكلة : (أُخَيّ) تصغي لكلمة (أَخ) ، وقد أبدل العوام الهمزة واوًا لوجود الضمة عليها .

٢٤ ـ أورد المؤلف من لهجاتهم استعمال كلمة (يودع) بمعنى (جعل) .

والصواب أنها بمعنى (يجعل) واصل الكلمة (يدع) مضارع (وَدَعَ) .

٢٥ ـ أورد المؤلف أن من لهجتهم استخدام كلمة (ذُوِي) (بضم الذال وكسر الواو) بمعنى (ذو) فيقولون : هذا الرجل من (ذُوِي) فلانٍ .

وأقول : ان (ذَوِي) بضم الذال عند العوام أصلها (ذَوِي) بفتح الذال ، وهي ليست بمعنى (ذو) المفردة وإنما بمعنى (ذَوِي) الدالة على الجمع .

٢٦ ـ أورد المؤلف أن من لهجاتهم نطق حرف (فيٌّ) بلفظ (فِيَّهْ) وعليَّ (عليَّهْ) (بتشديد الياء) وإضافة هاء .

وأقول) إنَّ كلمة (فيَّ) ليست حرفاً وإنما هي كلمتان (في) حرف الجر والياء الدال على المتكلم ضمير في محل جر . وكذالك الأمر في (عليه) أما الهاء التي لحقت (لا أُضيفت) لكلمتي (فيّ) و (عليٌّ) فهي هاء السكت وقد وردت في القرآن وفي أشعار العرب .

٢٧ ـ قال المؤلف إن من لهجاتهم : (استخدام كلمة (ذلان) و (وذلان) أو (الياذلان) بمكان (همزة الاستفهام ولَمْ) ، فيقولون : (ذلان ماجاء الرجل) أي ألم يأت بعد . . . الخ .

وأقول : إن كلمة (ذلان) و (وذلان) و (الياذلان) ليست بمكان (همزة الاستفهام ولَـمْ) وانما هي بمعنى (هذا الآن) أو (إلى هذا الآن) وقد قال المؤلف إنها قد تكون اختزالا لجملة (هذا الآن) ونقول : بل هي حقًّا اختزال لكلمة (لا لجملة) (هذا الآن) .

٢٨ ـ أورد المؤلف من لهجاتهم استخدام كلمة (إيزي) و (يِزِّي) بمعنى كفى ويكفي .

وأقول ان الكلمتين : (أصلها (أجزأ) و (يجزئ) أبدلت الجيم ياء وسهلت الهمزة ثم إن (ايزي) لا يصح ان توضع فتحة على الألف اللينة في آخرها لأن الفتحة يتعذر ظهورها على الألف .

٢٩ ـ قال المؤلف إن من لهجاتهم استعمال كلمتي (استح) و (انتخ) وأن أساس كلمة انتخ هو انتح (بالحاء المهملة) وان الحاء (المهملة) أبدلت (إلى) خاء (معجمعة) تجنباً للثقل .

وأقول : إن (انتخ) بخاء معجمة وليست الخاء فيها بديلاً عن حاءٍ مهملة ، وهي من الافتخار والتعظيم وعبارة (استح وانتخ) معناها (استح وعظم نفسك عن الفعل الذي يستحى منه) .

٣٠ ـ أورد المؤلف من لهجاتهم استخدام جملة (إي والنبص) للاستهزاء والتهكم فيقولون : (إي والنبص رجل لولا كذا . . .) .

وأقول : إن كلمة والنبص قد تكون محرفة عن القسم بالنبي ﷺ فإذا كان الأمر كذالك فإن القسم بالنبي محرم شرعاً كما أن تحريف اسمه أو صفته ﷺ قد يدخل في باب الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام فهو محرم شرعاً أيضاً .

٣١ ـ أورد المؤلف أن من لهجاتهم استعمال كلمة (سكة) بمعنى قيمة أو هدف ، فيقولون (وش سكة وقفتك هنا ؟) . . . . الخ .

وأقول ان كلمة (سكة) هنا بمعنى طريق أو طريقة وليست بمعنى هدف أو قيمة .

٣٢ ـ أورد المؤلف استعمال كلمة (وراك) وقال : إنها بمعنى لماذا ؟

وأقول إن أصل الكلمة : ما وراءك ؟ ثم حذفت ما الاستفهامية وسهلت الهمزة .

٣٣ ـ أورد المؤلف استخدام كلمتي (وشْ عاد) و (وشعاد) وقال إنهما بمعنى لا بأس .

وأقول : إن أصل الكلمتين (وأيُّ شيْءٍ عاد) .

٣٤ ـ أورد المؤلف أن من لهجاتهم إبدال السين والقاف بزاي مضعفة في مثل قولهم (فلان يِزِّيْ غنمه) أي يَسقيها (وليس يسقها) .

وأقول ان السين والقاف لم تبدلا بزاي مضعفة وإنما أُبدلت القافُ وحدها بتاء وزاي ، أو دال وزاي ، وادغمت فيها السين ولتقارب مخرجي السين والزاء أصبحتا كانما هما حرف الزاء مضعفاً .

وبعــــد :

فهذه أربع وثلاثون ملحوظة على أكثر من مئة وسبعين فقرة أوردها المؤلف في المقدمة والتمهيد اللذين استهل بهما كتابه ، وهي نسبة ضئيلة وتدل على دقة المؤلف وتحريه للصواب .

أما مادة الكتاب نفسه فلم أتعرض لها لسببين :

الأول : ما أوردته في بداية هذه الكلمة وهو أني أرى من الأَجْدَى والأفضل تتبع الكلمات الدخيلة في اللغة بدلاً من محاولة تأصيل الكلمات العامية التي هي أصيلة في الواقع ومستمدة بتحريف قليل أو كثير عن اللغة الفصيحة .

الثاني : أني لا أستطيع مجاراة المؤلف في سعة اطلاعه واستيعابه للهجة سكان شمال نجد ، فهو منهم واللهجة لهجته التي انفتق لسانه عليها منذ الطفولة ، وهو بلا شك أعرف بها مني .

ولا يفوتني في ختام هذا التعليق أن أشيد بجهد المؤلف في وصف الأصوات الغريبة التي يحدثها بعض الناس بأفواههم ، تعبيراً عن الرفض أو القبول ، أو الاستحسان أو التعجب ، أو مخاطبة الحيوان ، ولعلي أقول : إنه كان سابقاً في حكاية هذه الأصوات ووصفها بالألفاظ ، وإن كنت لا أتفق معه تماماً في كل ما حكى به الأصوات من ألفاظ ، ولكني لا أغمط جهده في محاولة حكايتها بأقرب الحروف إلى أصواتها . ←

ومتى كان طريق الفيل مجهولا ؟!

انتابتني الدهشة والاستغراب حين قرأت عنواناً كبيراً نصه : (العثور على طريق أصحاب الفيل) في جريدتنا الكريمة «البلاد» ع ٩٠١٥ في ١٤٠٩/٤/٥ قد اسْتُهِلَّ بجملة : (تم العثور مؤخراً على الطريق الذي سلكته جيوش وقبيلة ابرهة الحبشي) . وبعدها : (والتي يقال انه سلكها أسعد أبوكرب ملك اليمن قبل ابرهة) إلى آخر الخبر الذي ينتهي بجملة : (إن هذا الطريق موضع اهتمام المؤرخين وفي مقدمتهم الشيخ والمؤرخ هاشم بن سعيد النعمي الذي يعد بحثاً خاصاً بهذا الموضوع) .

ووجه الاستغراب أن طريق الفيل لم يكن يوماً ما مجهولاً ، لدى سكان تلك النواحي التي مر بها الطريق من صعدة حتى قرب الطائف ، وهو الطريق الذي وصفه الهمداني صاحب «صفة جزيرة العرب» لحجاج اليمن القادمين بطريق صعدة قبل نحو عشرة قرون .

ومعروف ـ لغوياً ـ أن كلمة (عثر) قد يعبر بها عن الاطلاع على أمْرٍ ليس معروفاً .

ومما يثير الدهشة والأسى أيضاً : أن الطبقة المثقفة ممن يُعْنى بدراسة تحديد

← وهي محاولة عبقرية جديدة جديرة بالبحث والتأمل والدراسة ، وينبغي أن يرفق بالوصف اللفظي حكاية صوتية لهذه الأصوات .

وأختم تعليقي بالشكر الجزيل للمؤلف على مابذله من جهد ، وماقدمه للمكتبة العربية من أثر سيكون ـ في نظري ـ مرجعاً للأجيال القادمة في التعرف على لهجات سكان شمال نجد .

والله الموفق . . . .

الفريق : يحيى عبدالله المعلمي

المواضع الأثرية في بلادنا لا يتتبعون ماينشر عنها في الكتب أو الصحف ، فضلاً عن التوغل في المصادر التاريخية القديمة للبحث والتنقيب عما يراد تحقيقه ، وهم أيضاً لا يكلفون أنفسهم عناء زيارة تلك المواضع ليتلقوا من سكانها مايتناقلونه من أخبار فيها لمحات من الحقيقة ، وإن شابها كثير من الخيال كما هو الحال في ذالك الطريق حيث لايزال كثير من سكان القرى التي يمر بها من جنوب شرق المملكة حتى بلدة تُرَبَة ، لايزال يتناقل السكان هناك كثيراً من أخبار هذا الطريق ، وينسبون مايشاهد فيه من آثار اصلاح إلى العهود القديمة التي حدثت فيها واقعة أصحاب الفيل ، ويسمون الطريق نفسه (طريق الفيل) و(طريق أسعد الكامل) كما أشار إلى ذالك فلبي في كتابه «مرتفعات بلاد العرب» (Arabian Highlands) في الصفحات ٤١ ، ٧١ ، ١١٩ - ١٢٢ ، ١٨٣ ، ٢٥٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٥٨٥ . ومما ورد في هذا الكتاب ماهذا تعريبه ص ١١٩ : (عندما كنا في طريقنا إلى بئر ابن سرَّار ، حيث عزمنا على المبيت هناك ، وإلى هنا كنا قد قطعنا ٣٦ ميلاً ابتداء من الروشن ، وارتفعنا بشكل بطيء جِداً حوالي ٨٠٠ قدم ونحن هنا أيضاً على ارتفاع يزيد عن ٤٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ويوجد هنا بئران ، الأولى جافَّة تماماً رغم أن قطر فوهتها العظيمة يبلغ ١٥ قدماً وأنها مبطنة بالحجارة ، والثانية أقل اتساعاً من الأولى ، ويصل قطر فوهتها إلى أربعة أقدام ، وهي مدعمة بالحجارة ، والماء فيها على ارتفاع أربع قامات ، وهذا المورد المائي لعشيرة بني مُنَبِّهٍ من قبيلة شهران وهذا أمر ــ كما أخبرني مرشدي الرجل الشهراني من بيشة من عشيرة واهب ــ معلوم منذ العصور السحيقة ، فلقد أنشئت هذه البئر ــ كما أخبرني ببساطة ــ في عام الفيل .

فلو أنه قال: إن الذي أنشأ هذه البئر هم بنو هلال لكان كلامه يعني أنه لا يوجد أحدٌ يعرف مَنْ بَنَى هذه البئر ومتى ، لكنه حدد ذالك بعام الفيل ، لقد كنا حقاً في طريق الفيل المشهور ــ درب الفيل ــ التي سلكها ابرهة وأتباعه الأحباش في الاتجاه المعاكس سنة ٥٧٠م وهو العام الذي ولد فيه النبي بقصد مهاجمة مكة ، وكما أعلم فقد كانت تلك هي الحدث الأخير الذي كانت فيه الفيلة

في المرتفعات العربية ، ولهذا يبلغ عمر البئر ١٣٦٦ سنة على الأقل ، حتى هذا الوقت ، ومن الممكن أن يعود تاريخها إلى أيام مملكة سبأ الأولى التي استخدمت الفيلة حين ذهبت إلى سليمان قبل ٣٠٠٠ سنة ، وكثيراً مايشير العرب إلى طريق الفيل هذه أو إلى الشخص الذي افتتحها إلى أسعد الكامل وهو رجل تبع المشهور الذي كان يحكم اليمن حوالي ٤٠٠م ، وقد أشاروا لي على أجزاء من هذه الطريق سميت باسمه وذالك سنة ١٩٣٢ خلال رحلتي إلى الشمال من بيشة ، وفي رحلتي هذه نحو الجنوب ، كنا حتماً في طريق الفيل القديمة التي توصل وحدها إلى هذا المكان ، حيث انه لا يوجد مسلك آخر يلائم لمرور العربات الكبيرة بين هِرْجاب وبيشة إلا هي ، وتنحرف طريق الفيل ابتداء من هذا المكان أكثر نحو الجنوب الشرقي لتقطع وادي هرجاب عند بئر تدعى بئر عليان ، ومن ثم تمتد عبر الصحراء بعيداً عن هذه البلاد النجدية الوعرة) . انتهى .

وأقرب من هذا أن مجلة «الحرس الوطني» نشرت (شهر صفر ١٤٠٩ عدد ٧٢ ص ١٠، ١١) و«العرب» س ٢٣ ص ٧٢١، ومابعدها بحثا لي حول هذا الموضوع حاولت فيه أن أُحَدِّدَ ذالك الطريق ، ومما قلته محاولاً إيضاح التقاء قبيلة خثعم بأصحاب الفيل بما هذه نصه: (وتدل الآثار البارزة والأخبار المتناقلة بين السكان المحليين في جنوب البلاد أن طريق الحج اليمني القديم الممتد من صنعاء إلى صعدة مخترقاً السراة إلى طلحة الملك ، فسروم الفيض فَكُتْنَة فالجُسَدَاء فبِيشة فَتَبَالة ، فَحَرَّة بني هلال ، فوادي تُرَبَةَ إلى اسافل الطائف ، فقرن المنازل إلى مكة ، هذا الطريق هو الذي سلكه أصحاب الفيل، كما سلكه قبلهم تبان أسعد أبوكرب الملك الحميري ، الذي تروى كتب التاريخ القديمة خبر وصوله المدينتين الكريمتين ، المدينة ومكة ، فلايزال يحمل اسم (درب الفيل) و(درب أسعد الكامل) ولاتزال آثار الاصلاح القديمة بادية فيه كتذليل عقباته ، وتبليط الخشن من أرضه ، وَرَصْف بعض مجاري الأودية التي تعترضه ، وكثيراً ماينسب السكان تلك الآثار إلى أصحاب الفيل .

بل إن من نصوص متقدمي المؤرخين مايوحي بذالك ، فالهمداني لما ذكر ذات عُشٍّ الواقعة بقرب كُتْنَة قال : ذات عُشٍّ من أداني القاعة ، وهناك مات

أبرهة ، منصرفاً من غزوة الفيل ، وذات عش من أرض كتنة ، والقاعة ــ وتدعى القاعة الشهباء ــ من ذات عش إلى بنات حرب ، ولاتزال القاعة معروفة وهي قاع فسيح ، تتخلله أودية وشعاب ، فيما بين واديي طَرِيْب ويَعْرَا ، في بلاد شهران ، ومادام أبرهة مات في هذا الطريق فينبغي أن يكون الطريق الذي أتى منه هو وقومه ، إذ يطبق المؤرخون على أنهم حين نزل عليهم البلاء (خرجوا هاربين ، يبتدرون الطريق الذي جاءوا منه ، يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق) .

فأين التقوا بنفيل بن حبيب الخثعمي وقومه حين مجيئهم ؟

لقد أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب» منازل هذا الطريق ومناهله ، وحدد المسافات بينها وبين صنعاء إلى مكة المكرمة ، بل أضاف إلى ذالك مايوضح موقع كل منزلة ومنهل مما يليها بدرجات العرض ، كما ذكر أصحاب تلك المنازل والمناهل من بطون القبائل ، التي يخترق الطريق بلادها ، فذكر ــ فيما ذكر ــ أن المحجة من صنعاء إلى مكة على طريق نجد اثنتان وعشرون مرحلة ومن البرد خمسة وثلاثون بريداً ــ تكون أميالاً أربع مئة وعشرين ميلاً ــ وذكر أن الاتجاه من صنعاء إلى صعدة على سمت مابين مطلع بنات نعش ومغيبها ، ومن صعدة إلى كُتْنة على سمت مغيب الأول منها ، ومن كُتْنة إلى بيشة على سمت مغيب الأوسط منها الذي إلى جنبه السُّهَا ، ومن بِيشة إلى المناقب (الرَّيْعَان) على سمت مغيب الآخر منها ، الذي يطلع آخرها ويغيب آخرها . وكان مما ذكر عن القبائل التي تقع المنازل في بلادها مما تدعو المناسبة لمعرفة سكانه من القبائل :

خولان فيما بين صعدة والعرقة .

ثم وادعة من همدان ، فيما بين العرقة وأُرينب .

وبعد هذا المنزل يقع منزل سَرُوم الفيض ، المعروف باسمه الآن الواقع في بلاد جنب من مذحج قديماً ، وفي عهدنا يعد من بلاد قحطان الاسم الذي حل محل مَذْحج في العصور الأخيرة .

أما منزلا الثجة وكتنة ، فالأول في بلاد نَهْدٍ إخوة جنب ، والثاني في بلاد شهران من خثعم . ثم تمتد المسافة التي يقطعها هذا الطريق عند الهمداني أربعة وتسعين ميلاً في بلاد خثعم من كتنة إلى مابعد تبالة على هذا النحو :

من كتنة إلى يبنبم ٢٠ ميلاً .
ومن يبنبم إلى بنات حرب ٢٠ ميلاً .
ومن بنات حرب إلى الجُسداء ٢٢ ميلاً .
ومن الجسداء إلى بيشة بُعْطان ٢١ ميلاً .
ومن بيشة إلى تبالة ١١ ميلاً .

وتبالة لِأَكْلُبَ من خثعم ، ثم تنتهي بلاد خثعم ، فالمنزلة التي تلي تبالة كانت تدعى القريحا ، قرية على وادي رَنْية وقد خربت ، وكانت لبني هلال – من بني عامر من قيس عيلان ، وتمتد بلاد هاؤلاء القيسيين إلى قرب مكة ، ومنهم ثقيف بمنطقة الطائف ، ولكن الطريق يدع بلدة الطائف جنوبه حيث يمر بالفتق ، قرية كانت تقع شرق الطائف قال عنها الهمداني : والفتق والطائف ومكة على خط الطول من المشرق إلى المغرب ، إذا صليت في الفتق استقبلت المغرب ، فوقعت الطائف بينك وبين مكة ، ومنها إلى رأس المناقب ، وهي منتهى الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب .

وبعد أن اتضحت المنازل الواقعة في ذالك الطريق ، ومنها مالايزال معروفاً باسمه القديم ، ومنها مايمكن الاهتداء إلى موقعه بالاهتداء بالدرجات التي تشير إلى الاتجاه وتقدير المسافات فقد أصبح من الممكن الجزم بأن التقاء جيش أبرهة بالخثعميين كان في أحد المنازل المذكورة في بلادهم أو بقربها ، فالنص الذي ورد فيه ذكرهم ، وتكرر في أكثر كتب التاريخ الموثوق بها لا يسمى الموضع ، بل لا يزيد على تسمية فرعي خثعم وقائدها) . انتهى .

ثم تحدثت عن فروع خثعم التي هي شهران وناهس واكلب بما يجده القاريْ مفصلاً في تلك المجلة س ٢٣ ص ٧٢١ . ←

أودية هذيل والجحادلة وبني فهم

يوم الخميس الموافق ١٤٠٨/٦/٩هـ . قمت برحلة بناء على طلب الشيخ حمد الجاسر للكتابة عن أودية هذيل والجحادلة وبني فهم التي تقع جنوب مكة المكرمة . . ومعرفة أين تنبع؟ وأين تنتهي؟ واستعنت بالله ثم بالأخ سحيم بن محمد الصهاني لأنه من أهل تلك الناحية وكان صاحب سيارة نقل عام ويعرف هذه الديار معرفة تامة .

١) فبدأنا بشعب الصهان قديماً شعب أم دوحة وهي بئر قديمة في هذا الشعب ، وكانت تحتها أو قريباً منها دوحة كبيرة ، أما الآن فيسمى بشعب الصهان ، وطوله من الغرب إلى الشرق ثلاثة أكيال تقريباً ، وينْبع من الشرق ويتجه غرباً ويصب في الطرف الجنوبي من وادي نَعْمان عند مزرعة الشيخ محمد النويصر . ويُحيط بهذا الشعب جبال الشبكة شرقاً ورَيّنُ جنوباً ، والعجوز

← لعل كثيراً من الإخوة الذين يتولون مراسلة الصحف في بلادنا لا يعنون كثيراً بالمباحث الجغرافية أو التاريخية ، ولهذا يدفعهم استغراب أي موضوع يتعلق بها ، فيعتبرون مايدور حوله من قبيل (اكتشاف المجهول) ، وما أرى التبعة تقع على أبنائنا من الشُّدّاة الذين يراسلون الصحف ، ولكنها تقع على الصحف نفسها ، وعلى القائمين بشؤونها ، فأنا أرى من أولى ماينبغي أن يعنى به هاؤلاء أن يكون من بين المشرفين على تحرير تلك الصحف من ذوي الاختصاص بتلك المباحث من تسند إليه مهمة الاطلاع على مايراد نشره في الصحيفة ، ليبدي رأيه حياله . وأرى هذا من الأمور التي ينبغي أن تسير عليه كل صحيفة تحرص على أن يكون ماتقدمه لقرائها على درجة من الصحة ، تحمل على الثقة بهذه الصحيفة ، وبما ينشر فيها ، ولاشك أن هذا من الأسس التي تنبني عليها ثقة القراء بالصحيفة واهتمامهم بما ينشر فيها .

[جريدة «البلاد» ع ٩٠١٨ في ١٤٠٩/٤/٨هـ]

حمد الجاسر

شمالاً . وبه مزارع وآبار قديمة وحديثة للصهّان ، وبه مدرسة ابتدائية وفيه آثار تاريخية قديمة وبه أربع قرى للصهان وهم : الجرايدة ،آل ردة وآل أحمد ، وآل حسين .

٢) ومنه جنوباً يقع شعب الروينة ويصب جنوباً في أرض يقال لها الأضاة ، ثم يتجه إلى وادي ملكان جنوباً . ويسكن هذا الوادي الزمكان من دعد ، وقد حفر الشيخ سلطان بن كنيدش القرشي عام ١٤٠٣هـ بئراً سبيلاً لله .

٣) وهناك جنوب الروينْة وادي ملكان المشهور، وينبع من الشرق مُتَّجهاً غرباً إلى البحر الأحمر . وفي أعلاه بئر قديمة تسمى عنبجة ، ويتطاول في هذا الوادي جبال دَعْدٍ المسمّاة بالحوية . ويحيط بهذا الشعب من الشمال والشرق والجنوب جبال الشبكة ، وهي سلسلة جبال السوالمة والقُرَّح والطلحات ، وبني سفيان . وبوادي ملكان قبيلة العرمان وهم آل محمد والبقران والمعاصية وآل منسي والنخلة ، وكذلك الذيبة والفهدة من دعد ، وبوادي ملكان مدرسة ابتدائية تسمى الحميدية وفي أعلا هذا الوادي آثار عين تسمى عراق زيد ، وبه مزارع لدعد والعرمان وخزاعة جنوب كُسَاب .

٤) ومنه جنوباً وادي ضِيْم ، وهو وادٍ ينبع من ديار السوالمة شرقاً ويتجه إلى الغرب ، ثم يتجه إلى الشمال في شبه قوس ، ويصب في وادي ملكان من الطرف الجنوبي، وهو وادٍ واسع جدّاً وبه آبار نحو أربعين على مزارع هناك للنَّدَوِيِّينَ من هذيل ، وبه عين تسمى عين باشا الكريمي ، وبه عين أم الراكة للأشراف العبادلة وباخطمة . ويسكن وادي ضِيم الندويون وهم القيسة جماعة الشيخ حجلى الندوي والشيخ زغيب الندوي وهم من ذرية قيس بن مخلد بن العزيرية، ويقال: إنهم من بقايا جرهم ومن الندويين المزاريق والجُمَلة . وهناك جبل يفصل بين النُدويينَ وبين دَعْد ، اسمه مكا، شماله دَعْد وجنوبه الندويون . وهناك جبل للندويين في الجنوب اسمه بلم . وبوادي ضيم مدرسة ابتدائية وإمارة ومركز صحي ، ومدرسة للبنات .

٥) ويقع جنوب وادي ضيم واد يسمى دُفَاق قديماً وأم الزُّلَّة في الوقت

الحاضر . والزَّلَّة بئر قديمة في ذالك الوادي . ويسكن هذا الوادي القُرَّح ، وهم من بني صاهلة بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل . وينبع هذا الوادي من نُمَار جنوباً ، ويتجه شمالاً ، ويصب في الطرف الجنوبي من وادي ملكان عند آبار قديمة تسمى الصقَيْعَات . وأفخاذ القُرَّح : آل كامل، وآل ساري، وآل محسن، والدُّعْجَان ، والكَدوة ، والعلويون ، وآل عُرَيف بمكة . ويفصل بين قبائل الجحادلة وهذيل جبال يقال لها رَايَة ، والمراخ ، والسلّم ، شرقها هذيل وغربها الجحادلة بني شعب ، وفي هذا الوادي مدرسة ابتدائية ومتوسطة ، وإمارة ومركز صحي .

٦) وهناك جبل مشهور قديم وهو جبل كُسَاب يقع جنوبي مكة وشمال وادي ملكان، وهو يشرف على الحُسَيْنِية والمعابديَّة من الجنوب . وبه الحوص (؟) التي تغنّى بها شعراء الهذليين قديماً . ويقع في الطرف الشمالي الغربي منه ، ويصب هذا الشعب في وادي نَعْمان من الجنوب ، جنوب غرب مكة .

٧) ويقع جنوب وادي ملكان وغرب وادي دُفَاق وادٍ يقال له البيضَاء ، وبه آثار وبناء قديم ، واسطوانات دائرية إشارة إلى الطريق السلطاني من اليمن إلى مكة المكرمة ، وتبعد الواحدة عن الأخرى بحوالي خمسة أكيال إلى جهة اليمن ، بنيت في عهد الدولة العثمانية ، وبه عدة صهاريج لتخزين المياه من الآبار الموجودة في بطن هذا الوادي . وقد قام الشيخ عبدالله أحمد كعكي بتجديد تلك الآبار على أحسن بناء .

وهذا الوادي ينبع من جبال راية ، ويتجه غرباً ويلتقي بوادي إدام (يدام) عند آبار الخرْقة غرب جنوب . وغرب هذا الوادي شمالاً يقع خبت عبدالله (؟) وبه بئر قديمة أثرية يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر الهجري . وعبدالله[1] هذا هو الشريف عبد الله بن حمود بن عبدالله بن الحسن بن محمد أبي نُمَيّ الثاني، وهو جد معظم الأشراف العبادلة . وبهذا الخبت مزارع هناك لهم . وبوادي البيضاء مدرسة ابتدائية ، ومركز صحي ، وإمارة .

٨) وجنوب هذا الوادي يقع وادي يدام (إدام) وهو وادٍ طويل ، ينبع من

الشرق من جبل راية والمراخ ، ويتجه غرباً ويلتقي مع وادي البيضاء شمال جبل سطاع ، ويصب في البحر الأحمر شمال الشُّعَيْبة . وبهذا الوادي آبار وعيون قديمة ، وفي الطرف الشمالي منه مياه مجنّة وبه آثار عين عبارة عن (دبل) كبير يمتد من الشرق إلى الغرب بطول خمس مئة متر في عرض ستين سنتمتراً . ويتفرع منه شمالاً (دبل) آخر ومساحة المنطقة التي فيها سوق مجنة تقارب الكيل والنصف طولاً من الشرق إلى الغرب وعرضها يقارب الكيل الواحد ، وهذه المنطقة تقع شمال هذا الوادي . وشمالها حرة العليان إذا طلعت في أعلاها يَبْدو لك شامة وطفيل اللذان ذكرهما الصحابي الجليل بلال بن رباح قال :

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً بِفَــخٍّ وحَــوْلِي إِذْخِــرٌ وَجَلِيْــلُ
وهَــلْ أَرِدَنْ يَــوْمــاً مِيَــاهَ مَجَنَّــةٍ وهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَــامَةٌ وطَفِيــلُ

وإذا علوت هذه الحرة التي هي حرة العليان ــ شمال شرق مجنة ــ تبدو لك شامة وطفيل ، وطفيل يبعد عن سوق مجنة تسعة وعشرين كيلاً . وعن مكة بما يقارب خمسة وستين كيلاً . ويسكن وادي إدام (يدام) وجبل راية والمراخ والسلّم قبائل من الجحادلة وهم السُّلّم والهرشا والجملة والعليان والحسنان وآل فاضل والرشد وآل شين وهذه القبائل يقال لها بني شُعب من بقايا كنانة بن خزيمة . وفي بطن وادي إدام (يدام) فتحت مدرسة ابتدائية ثم أقفلت ، والسبب في ذالك الفقر ، لأن أهل تلك الناحية ليست لديهم أراضٍ زراعية . ولايوجد لديهم حرفة سوى رعي الأغنام والاحتطاب ، ولهذا احتاجوا لأبنائهم ليعملوا في رعي الأغنام والاحتطاب ليقْتَاتُوا من ذالك . وياحبَّذا لو قامت الدولة السّنية بجعل مكافأة لكل طالب يدخل هذه المدرسة في تلك الناحية لأنهم والله بحق في حاجة لا يعلمها إلاّ الله ، لأن الجهل مخيّم عليهم وأكثرهم لا يعرف قراءة الفاتحة إلاّ سجعاً .

وفي أسفل وادي إدام (يدام) آبار الخرقة هدمها الشيخ عبدالله كعكي ، وأقام بناءها من جديد جزاه الله خيراً ــ وهناك أودية وروافد لوادي إدام (يدام) تأتيه من الشرق والجنوب ، وتصب فيه عند آبار الخرقة ، عند ملتقى وادي البيضاء ويتجه هذان الواديان إلى شمال الشُّعَيْبة .

٩) وادي يلملم، وهو وادٍ يمتد من جبال هذيل القُرّح، وبني فهم شرقاً وينحدر سيله غرباً متجهاً إلى السَّعْدية ، ويصب جنوب طفيل في البحر الأحمر . وهذا الوادي من السعّديّة شرقاً إلى آخره نحو مئة وعشرين كيلاً أعلاه من الشمال منطقة تسمى نيات لبني صاهلة من هذيل ، وأعلاه من الشرق والجنوب إلى حوالي ستين كيلاً غرباً ، ويسكنه بنو فهم ، وبه منطقة يقال لها وديان وهي عبارة عن قرية يسكنها بنو فهم بن قيس عيلان بن مضر . وبهذه القرية مدرسة ابتدائية ومتوسطة وإمارة ومركز صحي ، ومدرسة للبنات ، ومسجد كبير واسع ، بنته الدولة . وهذا الوادي يتراوح بين سبع مئة وخمسين إلى ألف متر عرضا ، وبه غابات كبيرة من المرخ وأشجار الأراك ، ويوجد في بطن هذا الوادي بئر اسمها الشبيرة قديمة ، والماء يجري على وجه الأرض في هذا الوادي وهي مياه حلوة . ويسكن هذا الوادي من بعد عواه غرباً قبيلة الجحادلة وهم آل فاضل والعليان والحسنان ، وبأسفل هذا الوادي منطقة السعدية ، وعلى بعد سبعة أكيال شرق جنوب الوادي بستان كبير للشريف فيصل بن هزاع العبدلي وكيل إمارة الباحة سابقاً ، ومساحة هذا البستان أربعة أكيال في أربعة ، وبه أربع آبار ، وقصر محاط بحديقة جميلة . وبهذا البستان أنواع من التمور والأشجار المثمرة والخضار . وبعده شرقاً بستان مساحته ثلاثة أكيال في أربعة للشيخ محمد سعيد بن حمود الراشدي ، وهو شيخ شمل الجحادلة ، وبهذا البستان قصر تحيط به حديقة وأربع آبار وأنواع من النخيل والخضار والأشجار المثمرة .

١٠) السَّعْدِية : وهي منطقة أثرية قديمة ، وبها بئر قديمة، وصهاريج ممتدة إلى وادي يدام (إدام) والبيضاء مع الطريق السلطاني القديم ، وبها مدرسة ابتدائية ومتوسطة وإمارة ومركز صحي . وهي أول مدرسة في ديار الجحادلة وجميع هذه الإمارات تابعة للشريف شاكر بن هزاع العبدلي قائم مقام العاصمة المقدسة، وهذه المدارس جميعها فتحت في عام ١٣٩٣هـ . عندما قام سمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز آل سعود ــ عندما كان نائب أمير منطقة مكة ــ وبدوره كتب للمقام السامي وفُتِحَتْ هذه المدارس .

ويقع غرب السعدية وعلى طريق الليث منطقة طَفيل ، وهي منطقة تجارية ←

دجنـا (تجنـا)

[انظر س ٢٣ ص ٨٠٠ وس ٢٤ ص ١٠١]

وسنحت لي الفرصة لزيارة أم القرى للتحدث في ناديها الثقافي الأدبي ، فعرضت لرئيسه الشهم المفضال الدكتور راشد الراجح مدير جامعة أم القرى رغبتي في معرفة طريق الثنية ، أحد طرق الطائف المعروفة إلى عهد قريب ، وكان أصحاب الإبل المحملة يسلكونه ، فهيأ لي في صبيحة يوم الأربعاء العاشر من شهر صفر ١٤٠٩هـ الساعة التاسعة والنصف ماتتطلبه تلك الرحلة ، واتفق مع الشهم الكريم الشريف شاكر بن هزاع ، قائم مقام مكة المكرمة ليختار المرشد ، فأكرمني بأن كان هو هو ، وسرنا الثلاثة مع صحب كرام ، اختيروا لمعرفة الطريق ولتهيئة ماقد يُحتاج إليه أثناء الرحلة ، فكانت ممتعة حقًا ، فالشريفان الجليلان لما يتصفان به من سعة اطلاع ، ومعرفة بهذه البلاد وبأهلها ، وبما يتمتعان به من أخلاق نبيلة أضفيا على جو الرحلة ما مَلأَهُ إمتاعاً وأُنساً وراحة ، بحيث مر الوقت فلم نشعر إلا ونحن تحت الثنية التي عُرف الطريق بها أخيراً ، وهو ثنية (تُجْنا) قديماً .

وكنت ذاكرت الرفيقين الجليلين بما ورد في كتب المتقدمين عن (دَحْنا) و (دُجنا) و (تُجْنا) فكان مما اطرفني به الأستاذ الدكتور الشريف راشد بن راجح أن من أسماء بلدته (تُرَبَة) : (دِجْنَة) ــ بالهاء مع كسر الدال ــ ويظهر أن هذا

→ أسسها خضر المناعي الشهير بالأبرص . وبهذه المنطقة مدرسة ابتدائية عند العليان والحسنان من الجحادلة . والفضل لله ثم للأخ سحيم بن محمد الصهاني في معرفة مجنة وسوقها لأنها توجد في غابة كثيفة من أشجار السمر ولأن الجحادلة لايدلون على الآثار التي في ديارهم .

مكة المكرمة: محمد بن جابر الحسني

[الحواشي] :

(١) عبدالله يلفظ بكسر الدال وترقيق اللام ويكتب خطأ : (عبدإله) ــ « العرب » ــ .

الاسم كان محبوباً عند أهل هذه البلدة ، ولهذا قال شاعرهم من قبيلة البقوم أثناء الاختلاف بينهم وبين قبيلة بلحارث (بني الحارث) قبل أن ينعم الله على هذه البلاد بنعمة الأمن والاستقرار ، وزوال الإحن من النفوس ، والتعاون والتآخي بين جميع السكان قال الشاعر البَقِمِيُّ :

غَـرْسٍ دِجْنَهْ في ذَرَانَـا يَـرْسِي مِثْـلِ مَـاتَـرْسِي جبـالَ الصُّـوْرُ
مِحْتِمِيْنِـهْ بـامُهَـاتَ الْكِـرْسِيْ يـامُـوَدِّيْ وَدِّهَـا مَـنْـصـوْرْ

فدجنة هنا من أسماء تربة ، والصور اسم موضع وتسمى به قرية معروفة في ديار بني الحارث ، ومنصور اسم فارس وشيخ من شيوخ تلك القبيلة . والمعنى اننا نحمي غرس (دِجْنة) حتى يستقر كاستقرار جبال الصور .

كان الحديث أثناء الرحلة ذَا شُجُونٍ ، يدور حول معرفة السكان والأودية التي نمرُّ بها والجبال التي نشاهدها .

وقد قطعنا ساعتين في الذهاب ، على سيارتين من نوع (الجيب) إذ لا يستطيع السير في ذالك الطريق إلا هذا النوع من السيارات ، وخاصة بعد اجتياز الطريق المعبد فيما بين مكة وبلدة الشرائع ، وهو يقارب ٢٧ كيلاً ثم المسافة من الشرائع إلى الجبل الذي تقع الثنية في أعلاه تقارب هذه المسافة .

وكان أكثر سيرنا في منخفض بين الجبال ، فبعد أن قطعنا المسافة بين الشرائع وبين مكة اتجهنا شرقاً مع منخفض من الأرض تحيط به الجبال شمالاً وجنوباً ، ويعرف باسم وادي الصُّدْر ، وسيوله تفضي إلى وادي عُرَنَة ، ويسكن هذا الوادي لفيف من القبائل ، ففيه من قبيلة هُذيل الكباكبة والحتارشة ، وفيه من الأشراف ذوو جازان ، منهم فرعٍ صغير يعرف بذوي عِنَان ، رافقنا أحدهم بطلب من الشريف شاكر يدعى شَلَّاح ، وهو خبير بالطريق سلكه مراراً على الإبل ، وآخر ما مررنا به من القرى في أعلى وادي الصدر وهو أعلى فروع عرنة قرية للحتارشة في أعلى الوادي ، وتركنا جبل كِنْثِيل على بعد على اليسار بحيث نشاهده ، كما تركنا جبل كبكب ثم جبل الشرا ثم جبل طاد على أيماننا ، وكان جبل طاد اقصاها إلى الشرق ، وسيل طاد ينحدر أيضاً في الصدر فرع وادي عُرَنَة ، ماراً بوادي

خُرُوب ــ بضم الخاء والراء بدون تشديد ــ ومنه طريق يسلك إلى الطائف أيضاً في القديم ، ولكنه أصعب من طريق الثنية ، على ماقال لنا رفيقنا الشريف شلّاح العناني .

ومن جبل طاد هذا تمتد فَرْعَةٌ تدعى طادة ، وهي شرق الثنية يدعها الطريق من الثنية يساره ، وسيلها يفضي نحو سيل جبل الكُفُوِ الذي يفيض في وادي نخلة اليمانية ، وتلك الأرض من بلاد الثُّبَتَةِ جماعة ابن هُلَيِّل ــ صاحب قرية السيل الكبير (قرن المنازل) .

أما الثنية فانها تخترق آكاماً مرتفعة واقعة بين جبل طاد من جنوبها وجبل الكفو من شمالها ، وهذه الآكام تدعى شُوَيْحِطَات ــ واحدها شُوَيْحِط ــ .

وبعد أن بلغنا شويحطات بحيث لم نَرَ طريقاً يمكن ان تسلكه السيارة انتهى سيرنا ونحن نشاهد الثنية شرقنا ، وقال لنا الشريف شلاح العناني الجازاني : إن الطريق يمتد من الثنية شرقاً حتى وادي الشَّرْقة الذي يفضي سيله نحو سيل جبل الكفو ، ثم يجتمع بوادي نخلة اليمانية ، وأن المسافة من الثنية إلى الطائف هي مرحلة طويلة أو مرحلتان قصيرتان أحدهما في الحوية والثانية في الطائف .

كان مجموع المسافة التي قطعناها في الذهاب والإياب ، خلال الرحلة التي استمرت نحو ثلاث ساعات مئة وسبعة أكيال ، نصفها فيما بين الشرائع ومكة والنصف الثاني فيما بين الشرائع وسفوح آكام شويحطات .

والواقع أن هذا الطريق لو أمكن تعبيده واصلاحه لكان من أخصر الطرق وأقربها فيما بين مكة والطائف .

والظاهر أن اختيار الطريق المار بجبل (كَرَا) لُوحظ فيه أَنْ لايتعرض غيرُ المسلمين لدخول الحرم ، فاختير ذالك الطريق الذي يدع جميع أرض الحرم على يسار المتجه إلى الطائف .

وكانت العودة إلى مكة المكرمة الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً ، بعد أن استرحنا قليلاً في ظل شجرة من الطلح في سفح جبال شويحطات .

وقد سبقت الإشارة إلى أن صاحب « البحر العميق » ذكر أن الثنية بطرف جبل طاد ، ولم استطع العثور على نص كلامه لطول الكتاب وعدم ترتيب مباحثه بدقة .

والواقع ان سلسلة آكام جبال شويحطات ماهي سوى امتداد للطرف الشمالي الشرقي من جبل طاد ، بحيث تكون معه امتداداً لجبال تتصل بالسلسلة الواقعة بين الطائف وبين عرفات من جبال السراة (الحجاز) .

أما ما أشار إليه الشريف محمد بن منصور من أن الثنية تقع في طادة ، فطادة ظهر مرتفع تفضي الثنية إلى جانبه الجنوبي .

وجبل طاد له شهرة عند مؤرخي مكة ، فقد ذكر قطب الدين المكي في كتابه « الاعلام »[١] ان المرأة العاملة المحسنة السيدة أمة العزيز (زبيدة) بنت جعفر زوج الخليفة هارون الرشيد قامت حين انقطعت المياه عن مكة باجراء عين حنين إليها وصرفت عليها أموالاً بلغ مجموعها ألف ألف وسبع مئة ألف مثقال من الذهب[٢] ، وكانت العين قبل ذالك تنبع من ذيل جبل طاد من جبال الثنية[٣] من طريق الطائف يجرى الماء إلى أرض يقال لها حنين يسقي نخيلاً ومزارع مملوكة للناس وإلى هذه الأرض ينتهي جريان هذا الماء ، والموقع يسمى حائط حنين . قال : وهو موضع غزوة النبي ﷺ المعروفة ، فاشترت زبيدة الحائط وابطلت تلك المزارع والنخيل وشقت لها القناة في الجبال ، وجعلت (الشحاحيذ) في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند نزول الأمطار ، وجعلت في قناة متصلة إلى مجرى هذه العين ليحصل منه المدد لها ، فصار كل (شحاذ) عيناً يساعد حنين منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البارود[٤] وعين الطارقي وعين ثقبة والجرينات وكل مياه هذه العيون ينصب في دبل عين حنين ، ويزيد وينقص بحسب الأمطار الواقعة على احدى هذه العيون ، أو على جميعها إلى ان وصلت إلى مكة المكرمة .

وكان مما أخبرنا به رفيقنا الشريف شلاح العناني الجازاني ان منبع العين القديم ←

مواضع أثرية في بلاد غامد :

يبوس ، تولع ، لَغَبَة

طلب مني الشيخ حمد الجاسر في زيارته الأخيرة لمنطقة الباحة بتاريخ ١٤٠٨/١١/٢٠هـ تحقيق الأماكن التالية :

يبوس ، تولع ، معدن العقيق (لغبة) .

ومن المعلوم ان تولع ويبوس وردتا في قصيدة للشاعر عبدالله بن سلمة الغامدي :

لِمَن الدِّيارُ بِتَوْلعٍ فَيَبُوس ؟ فبياضِ رَيْطَةَ غير ذاتِ أَنِيسِ

أما معدن العقيق فقد ورد في كتب معادن العرب ــ في حواشي كتاب « الجوهرتين » .

لكن شيخنا الفاضل يرغب تحقيق أماكنها على خريطة منطقة الباحة لأن الأستاذ إبراهيم الحسيل ذكر في كتابه « غامد وزهران وانتشار الازد في البلدان » أنه علم أن يبوس في ديار بني كبير من غامد ، أما تولع فتغير اسمها إلى مولع ، ولم يحددها تحديداً دقيقاً .

→ كان يعرفه بعض أهل تلك الجهة من كبار السن ولكن لايبدو أثر لمجراها إلى الشرائع التي هي حنين .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

(١) ص ٢٢٧ هامش كتاب « خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام » .
(٢) أي مايساوي من الذهب ٦٨٠٠ كيلوجرام من الذهب وهذا أقرب إلى الخيال .
(٣) في المطبوعة : (التية) تصحيف .
(٤) كذا في كتاب القطبي والمعروف (البرود) .

وفي صباح يوم الخميس الموافق ٢٧/١/١٤٠٩هـ الموافق ٨/٩/١٩٨٨م قمت وصديقي الأستاذ أحمد بن حامد الغامدي مدير مكتب جريدة المدينة في الباحة سابقاً ، ومدير مكتب وكيل إمارة منطقة الباحة حالياً ، والأخ علي بن هلال الذّوقي وكلاهما من بني كبير ولهما صلة بالبادية ، ومعرفة بأوديتها ــ وقد سلكنا الطريق المؤدي من بني كبير إلى هجرة صخوان فوادي ثراد وطوله ثمانية وعشرون كيلاً وهو طريق ترابي وعر .

ووادي ثراد من أهم روافد وادي رنية ، ومن أهم مصادر المياه التي تنوي وزارة الزراعة حفر آبار فيه لتزويد مدينة الباحة والقرى المجاورة لها بمياه الشرب منه . يبدأ من جبال السراة الغربية ويصب في وادي رنية شرقاً ، وترفده أودية كبيرة منها وادي موعل ، ووادي العقيق .

وعلى بعد ثلاثة وعشرين كيلاً ونصف الكيل قطعناها في وادي ثراد ، وفي الجهة الشرقية من الوادي شاهدنا آثار مبان قديمة ومقابر أكد لنا مرافقنا علي بن هلال بأنها تسمى (يبوس) كما أكد لنا بعض البادية الذين قابلناهم في الموقع على أن المكان والوادي الصغير الذي يقع شمال شرق الآثار يطلق عليه (يبوس) .

وفيما يلي وصف موجز ليبوس :

يقع على حافة وادي ثراد الشرقية ويبعد عن الباحة باثنين وسبعين كيلاً عن طريق العقيق/ ثراد وواحد وخمسين كيلاً ونصف الكيل عن طريق بني كبير/ صخوان/ ثراد .

ويبوس قرية قديمة بها آثار منازل ومقابر في ربوة ترتفع قليلاً عن مجرى وادي ثراد وعن مجرى وادي يبوس ، مساحتها تقدر بـ ١٥٠×١٢٠م وفي الجبل الشمالي آثار استخراج معادن ، وفي الجهة الشمالية الشرقية من القرية يوجد وادٍ صغير ، يطلق عليه اسم وادي يبوس ، وهو من روافد وادي ثراد ، حيث يصب في ثراد من الجهة الغربية .

وكان طريق الجنوب السابق يمر من وسط هذه القرية ، وتوجد آثار قهوة مبنية

بالحجارة ، بالقرب من يبوس كانت مقامة إلى وقت قريب . وفي المصور المرفق بيّنتُ موقع يبوس القرية والوادي على خريطة أودية المنطقة الشرقية .

تولــع : أما تولع ويسميها البادية الساكنون بالقرب من يبوس (تالع) فتقع إلى الشمال الغربي من يبوس ، وتبعد عنها بسبعة أكيال ، وتولع أو (تالع) كما يطلق عليها السكان واد صغير من روافد وادي العقيق ، يتجه من الغرب إلى الشرق ، ويمتاز بكثرة أشجار السدر الخضراء وبحجارته وتربته البيضاء ، وكان الطريق المؤدي إليه وهو طريق الجنوب القديم وعراً جداً ، ولولا عناية الله ثم مهارة السائق علي هلال الدوقي لما استطعنا عبور هذا الطريق لأنه مهجور من سنوات طويلة .

وقد حددت موقعه على المصور المرفق بهذا ، وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الموقعين اللذين وردا في القصيدة هما الموقعان اللذان مَرَّ وصفهما .

ورغم أن المسافة من يبوس إلى طريق العقيق فأُجْرُب ــ المبلط لا تزيد عن سبعة عشر كيلاً فقد استغرق سيرنا أكثر من ساعة ونصف الساعة ، لصعوبة الطريق الذي اضطررنا إلى السير منه ، رغبة في الوصول إلى وادي تولع . ولم نشاهد في وادي تولع آثار مبان قديمة أو آثار معادن .

معدن العقيق : أما معدن العقيق وتسمى المنطقة التي يقع فيها (اللَّغْبَة) بتشديد اللام واسكان الغين وفتح الباء ــ فيقع شمال شرق العقيق المدينة ، وتبعد عنها بأحد عشر كيلاً ، وأقرب مكان للمعدن هو مايسمى بـ (نخل دغش) أسفل وادي العقيق ، ويبعد عنه بسبعة أكيال ومئة متر ، حيث تسير السيارة في الطريق المبلط المتجه إلى أُجْرُب وبعد كيلين وأربع مئة متر ، يتجه إلى الشمال في طريق ترابي وعلى بعد أربعة أكيال وسبع مئة متر يشاهد آثار المعدن .

وقد وصلنا إلى المعدن بواسطة أحد السكان القريبين منه .

وصف المكان : على ربوة ترتفع نسبياً عما حولها توجد آثار مبان كثيرة ، وفي الجهة الغربية من المباني تقع آثار استخراج المعدن ، إذْ وجدنا فتحة طولية يزيد طولها عن تسعين متراً ، وعمقها مابين ثلاثة إلى خمسة أمتار ، أما سعتها فهي من مترين إلى ثلاثة أمتار ، وشاهدنا في بقايا مبنى بالقرب من فتحة المعمل كتابة كوفية غير واضحة .

ويطلق الأهالي على الوادي الذي يقع فيه المعدن والقرية القديمة وادي (اللغبة) وهو من روافد وادي كَرَا وقد حددت الموقع على المصور المرفق بهذا .

وأرى أن على إدارة الآثار تبعة المحافظة على آثار المعدن ، إذ وجدتُ أن هناك حفريات حول الكتابة الموجودة ، وربما أن الهدف منها هو سرقة الحجر الذي يحمل الكتابة .

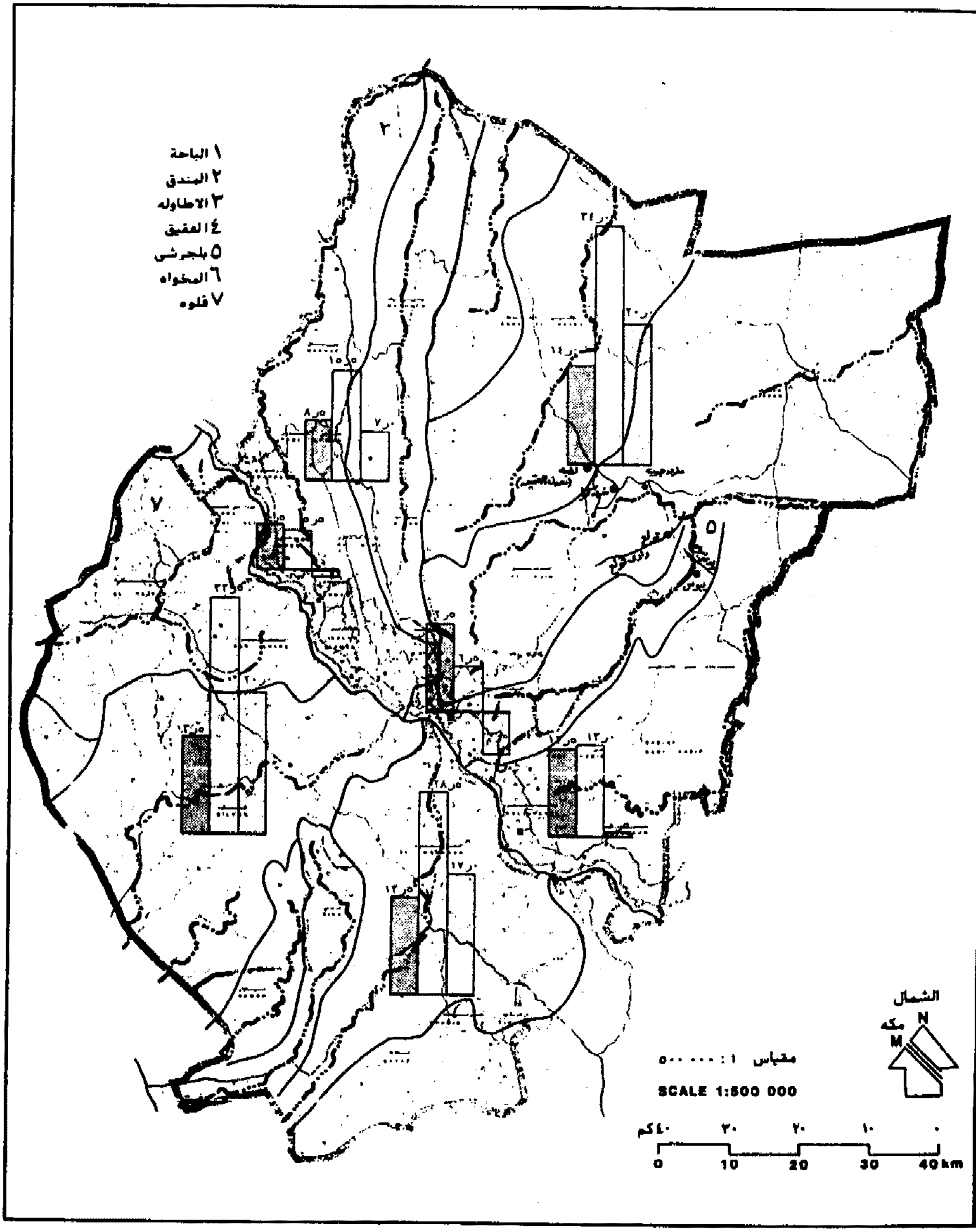
ومعدن العقيق من المعادن المشهورة في جزيرة العرب وقد ورد ذكره في كتاب « صفة الجزيرة » وفي كتاب « الجوهرتين » .

وقد علمت ان بعثة تعدينية من الثروة المعدنية ، قد قامت بدراسة الجدوى الاقتصادية لاستثماره .

وأخيراً فإن الدراسة العاجلة التي قمت بها لا تكفي وأن الحفريات المطلوب ان تقوم بها إدارة الآثار هي المهمة .

وشكراً للشيخ حمد الجاسر الذي كان له الفضل في تحقيق تلك الأمكنة ولرفيقي الرحلة الأستاذ أحمد بن حامد الغامدي والأخ علي هلال الدوقي ، لمساعدتهما لي في الوصول إلى الأماكن المشار إليها وتعريفي بها .

الباحث : علي بن صالح السلوك الزهراني


١ الباحة
٢ المندق
٣ الاطاوله
٤ العقيق
٥ بلجرشي
٦ المخواه
٧ قلوه
الشمال
N
مكه
M
مقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠
SCALE 1:500 000
٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠كم
0 10 20 30 40 km

بنو رَشيد ليسوا هتيما

بعث إلي الأخ مطر بن سليمان بن سالم الرشيدي في إدارة الدفاع المدني في المدينة المنورة بجذاذتين من جريدة «الشرق الأوسط» أولاهما بتاريخ ١٤٠٩/٢/١٦هـ (١٩٨٨/٩/٢٧م) والثانية بتاريخ ١٤٠٩/٣/١٦هـ (١٩٨٨/١٠/٢٦م) وقد قرأت في الأولى تعليقاً للأخ عطا الله بن ضيف الله الرشيدي على كلمة للأستاذ طلحة جبريل من السودان حول الروابط الأخوية المتينة التي تربط الشعب السوداني بالشعب السعودي .

وكان الأستاذ طلحة قد تحدث عن هذا الموضوع في العدد الـ (٣٥٦٣ الصادر في ١٨ محرم ١٤٠٩ ـ ١٩٨٨/٨/٣٠م) وكان مما أورده الأخ عطا الله مؤيداً ماأشار إليه الأستاذ طلحة قوله عن الصلة بين سكان السودان وسكان المملكة من القبائل ، ماهذا نصه : وفي عصور متأخرة عبرت البحر الأحمر إلى السودان فروع كثيرة من قبيلة بني رَشيد التي هي في الأساس من بقايا قبيلة عَبْس الشهيرة ، انضم إليها فروع من فَزَارة ، لصلة النسب . ثم رأيت في الجذاذة الأخرى الكلمة التي بتوقيع (فهد الشمري) من حائل ، ولا أستبعد أن يكون هذا الاسم رمزاً لا حقيقة ، إذ فحوى تلك الكلمة ومضمونها التشكيك في صحة انتساب قبيلة بني رَشيد إلى أصل عربي قديم ، بل تُوحي تلك الكلمة بما هو أبعد من ذالك ، وهو ان اسم بني رشيد مستحدث من مدة قريبة .

والواقع أن الباحث لو سار على النهج الذي توحي به تلك الكلمة لهدم كثيراً من الروابط القوية التي بين القبائل العربية .

فمن المعروف أن قبيلة بني رشيد وهذا هو الاسم الصحيح الذي تعترف به القبيلة ، ويعترف به كل من يُعْنَى بالسير على النهج الصحيح المتعارف بين قبائل العرب وهو (الناس مأمونون على أنسابهم) ـ هذه القبيلة كغيرها من القبائل العربية الكثيرة في داخل الجزيرة وخارجها تضم ألفافاً من القبائل ، هي على تفرق

أصولها صحيحة الأنساب ، ذات صلات قوية بالقبائل العربية المشهورة المعروفة ، في العهد الجاهلي ثم في صدر الإسلام .

ومحاولة النَّيل في صحة انتساب أيَّةِ قبيلة إلى أصلها الذي تنتسب إليه ماهو سوى وسيلة من وسائل التجزئة والتفرقة ، وإيجاد منافذ لضعضعة الكيان العربي ، الذي يحوط شمل الأمة العربية بإحدى وسائل القوة وهي صلة النسب .

أما الاعتماد على ماكتبه الأستاذان فؤاد حمزة وعباس العزَّاوي فهو اعتماد لا يقوم على أسس صحيحة ، فالأستاذان مع انهما بذلا جهداً مشكوراً فيما حاولا تدوينه في كتابيهما عن الأنساب إلا أنهما ــ كما هو معروف ــ عاشا بعيدَيْن عن مهد القبائل العربية في جزيرتها ، وإقامة الأستاذ فؤاد حمزة في الجزيرة كانت فترة قصيرة لم تمكنه من التعمق في دراسة أحوال القبائل والاجتماع بها في مواطنها ، واعتمد في كثير مما أورده في كتابه على النقل من أناس تنقصهم معرفة أنساب كثير من القبائل التي لم يختلطوا بها .

ومن المؤسف أن يتصدَّى أحد أبناء بلادنا للكتابة عن الأنساب فيحذو حذو هذين المؤلفين ، في مؤلف حديث ، ولا يكلف نفسه عناء الاتصال بالقبيلة نفسها ، ليعرف رأيها حول نسبها ، وحيال مايقال عنها ، ويدرس من أحوالها مايمكنه من أن يكتب عنها كتابة قائمة على أساس من المعرفة الصحيحة .

ولو صح قبول الطعن في أصل كل قبيلة اعتماداً على من يجهل أصلها أو من كانت بينه وبينها عداوة لم تسلم قبيلة واحدة من الطعن ، وهذا شيء معروف منذ أن اهتم المتقدمون بتدوين تاريخ القبائل ، ويجد المعني بهذا أمثلة كثيرة له في المؤلفات القديمة ومنها ماورد في مقدمة كتاب «الأنساب» لأبي سعد السمعاني .

أما كلمة (هُتَيْم) فهي كلمة ذم واحتقار كانت تطلق على بعض القبائل الضعيفة التي ليست بذات عصبية ولا قوة تحميها ، وليس لها من مميزات الأصالة

العربية مايربطها بغيرها من القبائل . وماكانت قبيلة بني رشيد يوماً من الأيام ترضى بإطلاق هذا اللقب عليها ، ولا يسوغ عقلاً ولا شرعاً أن تسمى باسم ترفضه ، وترى فيه انتقاصاً لقدرها ، ولقد حافظت منذ القدم على مميزاتها القبلية ، فاستقرت في مساكن أصولها القديمة من قبيلة غَطفان في حِرَار خَيبر وحولها ، وفي غيرها من البلاد إلى عهدنا الحاضر ، كما أنها بقيت متمسكة بعاداتها العربية الأصيلة من النخوة ، والحفاظ على الحرمات ، واكرام الضيف وحماية المتلجيء ، إلى غير ذالك من الأخلاق العربية الأصيلة .

وتحسن الإشارة هنا إلى الصلة القوية بين فروع قبيلة بني رشيد في المملكة وفروعها في بلاد السودان كما تحدث عنها الأخ عطا الله بن ضيف الله الرشيدي في مجلة «العرب» ــ س ١٩ ص ٨١٦ ــ بعنوان (الرشايدة في السودان وصلتهم بقبيلة بني رشيد في بلادنا) كما أنَّ الأستاذ عطا الله نشر بحثاً مفصلاً عن فروع بني رشيد وبلادهم في مجلة «العرب» أيضاً ــ س ٢٠ ص ١٢٥ ــ ، ولصاحب هذه المجلة كتابات في الموضوع (س ٤ ص ٢٨١ وس ٢١ ص ٥٦٠ وس ٢٢ ص ١٤٠) كما تحدث عن قبيلة بني رَشيد في كتابيه «في شمال غرب الجزيرة» و«معجم قبائل المملكة العربية السعودية» مما لاداعي للافاضة فيه ، ويمكن لمن يعنى بهذه المباحث الرجوع إلى ذالك ، إذ كانت الغاية منه مجرد البحث عن حقيقة نسب هذه القبيلة المهضومة القدر .

أما كتاب «معجم قبائل العرب» للأستاذ عمر رضا كحالة فهو مشحون بالأخطاء وخاصة ماله صالة بقبائل المملكة ، إذ الأستاذ ــ رحمه الله ــ اعتمد على النقل المجرد ، وليس ذا معرفة بأصول القبائل بوجه عام .

والله الهادي إلى سواء السبيل ،،

[جريدة « الشرق الأوسط » ع ٣٦٨٢ تاريخ ١٤٠٩/٥/٢٠هـ]

حمد الجاسر

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

ـ ٥٧ ـ

٢٥٦ ــ بابٌ: حَرَامٍ ، وحُزَام[١]

أمَّا الأوَّلُ : ــ بِفَتْحِ الحَاءِ بَعْدَها رَاءٌ ــ : بَنُو حَرَامٍ ، من مَحَالِّ البَصْرَةِ ، ومَحَلَّةٌ أيْضاً بِالكُوفَةِ نُسِبَتَا إلى القَبِيْلَةِ ، ويُنْسَبُ إلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِمَّنْ سَكَنُوهَا[٢].

وأمَّا الثَّانِي : ــ بِضَمِّ الحاءِ بَعْدَهَا زَايٌ : وَادٍ نَجْدِيٌّ[٣].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: في حرف الخاء ــ: (بَابُ خُزَامٍ وحَرَامٍ وَخِذَام).

(٢) نَسَبُ القَبِيْلَةِ المَنْسُوبة إلى البَصْرة ــ عَلى مافي «الأنساب» للسمعاني ــ حَرَام بنُ سَعْد بن عَدِيٍّ بن فَزَارَةَ بن بَغِيضٍ ، منهم رُؤَسَاءُ وشُعَراءُ وأجْوَادٌ ولكن ياقوتا قال: وأنا شاكٌ في خطة البصرة هل هي منسوبة إلى مَنْ ذَكَرْنَا أو إلى غيرهم ، وإنما غلب الظَّنُّ أنها منسوبة إلى هاؤلاء لأني وَجَدتُ في بَعْض الكُتُب أنَّ بني حَرَام بن سَعْد بالبَصْرة . وقال عَنْ أصْحَاب خُطَّةِ الكوفة في «معجم البلدان»: بَنُو حَرَامٍ مُسَمَّاةٌ ببطن [من] تَمِيم ، وهو حَرَام بنُ سَعْدِ بن مالك بن سَعْدِ بْنِ زَيْد مناةَ بن تَمِيم ، وهم الأجَارِبُ قال ابْنُ حَبِيب : ومِنْ بني كَعْب بن سَعْدِ الأجَارِبُ وهم حَرَامٌ وعَبْد العُزّى ومالِكٌ وجُشَم وعَبْدُ شَمْسٍ والحارثُ ، بنو كعب بن سَعد ــ كذا في الكتاب مع الاختلاف في أبي حرام ، ولايَتَّسِعُ المَجَالُ للزيادة وليرجع لكتاب «الجمهرة» لابن الكلبي . ولم يَزِدْ نَصْرٌ على قوله: حَرَامٌ بالحاء المهملة المفتوحة ورَاءٍ مهملةٍ ــ بالجزيْرة وأظُنُّهُ جَبَلاً ــ وذكر السَّمعانيُّ بَعْضَ المنسوبين إلى الخُطَّة البَصْريَّة وعَدَّ منهم الحريْرِيَّ ــ القَاسم بن عَلِيٍّ ــ صاحب «المقامات» ــ المولود في حدود سنة ٤٤٦ المتوفى سنة ٥١٦هـ.

(٣) هُو نَصُّ كَلَام نَصْرٍ ، وعِنْدَ ياقوتٍ : وادٍ بِنَجْدٍ . انْتهى . ومَا أكْثَر أوْدِيَة نَجْدٍ . ولَكِنَّنِي أجْهَلُ الكثير منها ، ومِنْهَا الجَبَلُ المُسَمّى بِهَذا الاسم .

وزَادَ نَصرٌ في هذا البَابِ (خِذَام) قائِلاً: ــ بكسر الخَاء وبالذَّالِ المُعْجَمَةِ ــ: وَادٍ في دِيَار هَمْدَانَ، ومَاءٌ أيضاً في دِيَار بَنِي أسَدٍ بِنَجْد . وكذَا وَرَدَ في «معجم البُلْدان» بِدُون زِيَادَة وذَالك بَعْدَ ذِكْرِ سِكَّة خِذَامٍ في نَيْسَابُور . ومااُضِيفُهُ هُنَا هُوَ أنَّ بِلاد هَمْدَانَ في اليَمَن شرقي صَنْعَاء ، حَوْلَ صَعْدَة حَدَّدَها الهمدانيُّ في «صفة جَزِيرة العرب» ودِيَارُ بنِيَ أسَد كانَتْ مُمْتَدَّة شمال القَصِيم على ضفاف وادي الرُّمة إلى بلاد طَيِّءٍ الجبلَيْن أجإ وسَلْمَى ، وشرقاً على طريق الحجّ العراقي حتى قُرْبَ الكوفَةِ .

٢٥٧ ــ باب حُرُضٍ ، وَحَرَضٍ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِضَمِّ الحَاءِ وآخِرُه ضَادٌ مُعْجَمَةٌ : ــ وَادٍ بِالمَدِيْنَةِ عِنْدَ أُحُدٍ ، لَهُ ذِكْرٌ في بَعْضِ الآثارِ(٢).

---

(١) أَوْرَدَهُ نصرٌ بِنَصِّهِ إِلاَّ أنهُ قَدَّمَ مَاهُوَ مُؤَخَّرٌ هُنَا .

(٢) لَهُ ذِكْرٌ فِي بَعْضِ الآثَارِ ــ مِنْ زِيَادَاتِ الحَازمِيِّ ــ والبَاقِي مِنْ كَلاَمِ نَصْرٍ . وذَكَرَ ياقوت في «معجم البلدان» : أَنَّ اليَهُودَ لما تَغَلَّبُوا عَلَى المدينَة فِي الزمن القديْم كان لَهُم مَلِكٌ يُسَمَّى الفِطْيُون ، وقَدْ سَنَّ فِيهم أن لا تُدْخَلَ امْرَأةٌ على زَوْجها حتَّى يَكُون هُوَ الَّذي يفتَضُّهَا قَبْلَهُ ، فَبَلَغَ ذالك أَبَا جُبَيْلَةَ أَحَدَ مُلُوكِ اليَمَنِ فقصَدَ المَدِيْنَة ، وأَوْقَعَ باليَهُودِ بِذِي حُرُضٍ وقَتَلَهُم ، فَقَالَتْ سَارَةُ القُرَظِيَّةُ :

بِأَهْلِي رِمَّةٌ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً ... بِذِي حُرُضٍ تُعَفِّيْهَا الرِّيَاحُ
كُهُولٌ مِنْ قُرَيْظَةَ أَتْلَفَتْهُم ... سُيُوفُ الخَزْرَجِيَّةِ والرِّمَاحُ
وَلَوْ أُذِنُوا بِحَرْبِهِمُ لَحَالَتْ ... هُنَالِكَ دُونَهُم حَرْبٌ رَدَاحُ

وقَالَ ابنُ السِّكِّيتِ في قَوْلِ كُثَيِّرٍ :

ارْبَعْ فَحَيِّ مَعَارِفَ الأَطْلاَلِ ... بِالجَزْعِ مِنْ حُرُضٍ فَهُنَّ بَوَالِي

حُرُضٌ ــ هاهُنَا ــ وادٍ مِن وادِي قَنَاة مِن المدينَة على مِيْلَيْنِ . انتهى المراد من قَوْلِ يَاقُوت وبه يَتَبَيَّنُ المُرَادُ من قَوْلِ الحازمِيِّ ، ولكنَّنِي لاأرَى كُثَيِّراً قَصَدَ حُرُضَ الواقع بِقُرْبِ المدينَة ، لِأَنَّهُ قَرَنَ المَوْضِعَ الذي ذَكَر بِذِكْرِ مواضع أُخَرَ ، إِذْ قالَ ــ بَعْدَ ذالِكَ البَيْتِ على مافي «ديوانه» ــ ٢٨٤ ــ و«معجم ماستعجم» ــ رسم حُرُض : ــ

فَشِرَاجُ رِيْمَةَ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا ... بِالسَّفْحِ بَيْنَ أُثَيِّثٍ فَنُعَالِ
لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا القَلُوصَ تَبَادَرَتْ ... حَبَبُ الدُّمُوعِ كَأَنَّهُنَّ عَزَالِي
وذَكَرْتُ عَزَّةَ إِذْ تُصَاقِبُ دَارُهَا ... بِرُحَيِّبٍ فَأَرَابِنٍ فَنُخَالِ
أَيَّام أَهْلُونَا جَمِيْعاً جِيْرَةٌ ... بِكُتَانَةٍ فَفُرَاقِدٍ فَبَعَالِ

وأَكْثَرُ المواضِع التِي ذَكَرَهَا تقعُ بقُرب الصَّفْرَاءِ ، ومنها حُرُضُ الذي قال البكريُّ عَنْهُ في «معجم ماستعجم» : وَادٍ يَدْفَعُ فِي رَحْقَانَ ورَحْقَانُ يَدْفَع في الصَّفْراءِ ، وهُوَ وَادِي يَلْيَلَ ، ولَكِنَّ البَكْرِيَّ عَادَ فَخَلَطَ بَيْنَ الموضعَيْنِ إِذْ قال بَعْدَمَا تَقَدَّم : وبِذِي حُرُضٍ نَزَلَ أَبُو جُبَيْلَةَ الغَسَّانِي لَمَّا اسْتَنْصَرَهُ الأَوْسُ والخَزْرَجُ عَلَى اليَهُود ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهَذَا المَوْضِعِ بَعَثَ إلى يَهُودَ لِتَأْتِي ، فَفَعَلُوا ، فَأَبَارَهُم ــ ثم أَوْرَدَ شِعْرًا لِزُهَيْرٍ ، وشِعْرِ كُثَيِّرٍ ، وقَوْلَ الهَمْدَانِيِّ : وادي حُرُضٍ باليَمَنِ يَسْكُنُهُ بَنُو عَامِرٍ مِنْ هَمْدَانَ . ولكن يَتَّضِحُ مِنْ نُصُوصِ المتقدِّمين :

١ ــ أَنَّ ذِي حُرُضٍ المُتَّصل بوادِي قَنَاة بَيْنَ المدِيْنَة وبَيْنَ جَبَلِ أُحُدٍ هُوَ الَّذي قَتَلَ فيه الملكُ الغسَّانِيُّ اليَهُودَ .

٢ ــ أَمَّا حُرُضُ الوارد في قَول كُثَيِّر فَيَقَعُ في نواحِي الصَّفْراءِ وَقَدْ يَكُون مُصَحَّفاً عن (خُرص) بالخَاءِ =

وَأَيْضاً : وَادٍ عِنْدَ مَعْدِنِ النُّقْرَةِ لِبَنِـي عَبْدِ الله بْنِ غَطَفَانَ[٣].

وأَمَّا الثَّانِـي : ــ بِفَتْحِ الحَاءِ وَسُكُوْنِ الرَّاءِ وآخِرُهُ صَادٌ مُهْمَلَة ــ: جَبَلٌ نَجْدِيٌّ ، وقيلَ بِالسِّينِ[٤].

= المُعْجَمة بَعْدَهَا رَاءٌ وصادٌ مُهْمَلَتَانِ ، حَيْثُ لايزالُ اسْمُ خُرُصٍ يُطْلَقُ على جِبَالٍ تقعُ عَلى يَمِينِ المُتَّجِهِ مِن المُنْصرَفِ (المُسَيْجِيدِ) إلى الصَّفْرَاءِ فَبَدْرٍ ، يَنْحَدِرُ مِنْهَا شُعَيْبٌ يُدْعَى بِهَذا الاسم (خرص) يَفِيضُ سَيْلُهُ في وَادي رَحْقَانَ ثم في الصَّفراءِ ــ عَلَى ماذَكَر البَكْرِيُّ عن خُرُصٍ : وَادٍ يَدْفَعُ في رَحْقَانَ ، ورَحْقَانُ يَدْفَعُ في الصَّفْرَاءِ .

وهُناك جَبَلٌ يَقَعُ في عالِيَةِ نَجْدٍ اسْمُه خُرُص ــ بالخَاء المُعْجَمة المضمومة بَعْدَهَا راءٌ وصَادٌ مهملتان في أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ تُدْعَى الخُزَيْمَةِ ، فِيمَا بَيْنَ الخُزَيْمَةِ وظَلْمٍ ، يَخْتَرِقُهَا الطَّرِيقُ بَيْنَهُمَا فَيَمُرُّ بِخُرُصٍ جُبَيْلٍ أَبْيَضَ لَيْسَ بالكَبِيرِ ، ولكنه بارزٌ لِوُقوعِهِ في تِلْكَ الأَرْضِ المُسْتَوِيَةِ .

٣ ــ وَذُو خُرُصٍ الَّذِي ذَكَرَهُ زُهَيْرٌ في شعره الَّذي أَوْرَدَهُ البكريُّ ويَاقُوتُ ــ يَنْطَبِقُ على الوَادِي الواقِعِ في بِلَادِ عَبْدِالله بْنِ غَطَفَان ــ القَوْمِ الَّذي عَاشَ زُهَيْرٌ في بِلَادِهِم ــ بِقُرْبِ مَعْدِنِ النُّقْرةِ .

٤ ــ الوَادِي الَّذي نَقَل البكريُّ قَوْل الهَمْدانيِّ يُخَالِف ضَبْطَ اسمه اسْمَ ماقَبْلَهُ ، فهو بفتحِ الحاء والراء ــ حَرَضٌ ــ كما هُوَ مَعْرُوفٌ الآنَ ، وكَمَا قال يَاقُوتُ عَنْه : بَلَدٌ في أَوائِلِ اليَمَن مِنْ جِهَة مَكَّة ، نَزَلَهُ حَرَضُ بنُ خَوْلَان بن عَمْرو بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرَ ، فَسُمِّيَ بِهِ ــ وكان بَيْنَ خَوْلان ، وهَمْدان ــ وأَصْلُ هذا من كلام الهَمْدَانيِّ في «الإكليل» أَعْنِـي نسبة الوادي إلى حَرَض بن خَوْلَان ، ولايَزالُ مَعْرُوفاً جَنُوبَ مِنْطَقَةِ جَازَانَ ، في تِهامَة وقد حَدَّد مَوْقِعَه الهَمْدانِيُّ في «صفة جزيرة العرب» ــ ١٢٥ وفي صفحات أخرى ــ

(٣) مَعْدِنُ النُّقْرَةِ من أَشْهَرِ المواضع الواقِعَة في طَرِيق المُتَّجه من بلاد القَصِيم إلى المَدِينَة ، وشُهْرتهُ تُغْنِي عَنِ الإِطَالَةِ بِتَحْدِيْدِهِ ــ وانظر عَنْه كتاب «الجَوْهَرتَيْنِ» أَمَّا الوادي (خُرُص) فغير مَعْرُوف .

(٤) هذا نَصُّ كَلامِ نَصْرٍ . ولَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى هذا ، ولكِنَّه تَحَدَّثَ عَن (حَرْسٍ) بالسِّيْن فَأطَالَ بِمَا خُلاصَتُه :

١ ــ حَرْسٌ: مِنْ مِيَاه بَنِي عُقَيْلٍ بِنَجْدٍ ، وأَوْرَدَ لِمُزَاحِم العُقَيْلِيِّ :

نَظَرْتُ بِمُفْضَى سَيْلِ حَرْسَيْنِ والضُّحى ... يَلُوحُ بِأَطْرَافِ المَخَارِمِ آلُهَا

وأضاف من كلام أَبي زِيَاد: هُمَا مَاءَان اثْنَانِ يُسَمَّيَانِ حَرْسَيْنِ ، وهُنَاك مِيَاهٌ عِدَّةٌ تُسَمَّى الحُرُوسَ .

٢ ــ نَقَلَ عَنْ ثَعْلَبٍ في قَوْلِ الرَّاعِي :

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكُّرَ إِخْوَتِي ... وَمَالُكَ أَنْسَانِي بِحَرْسَيْنِ مَالِيَا

إنَّمَا هُوَ حَرْسٌ ، ماءٌ بَيْنَ بَنِـي عامِرٍ وغَطَفَان بين بَلَدَيْهِما ــ وإِنَّمَا ثَنَّاهُ تَغْلِيباً .

٣ ــ وأَوْرَدَ لِعُرْوَةَ بْنِ الوَرْد ــ وهُوَ عَبْسِـيٌّ ــ من أَبْيَاتٍ :

رَجَعْتُ عَلَى حَرْسَيْنَ إِذْ قَالَ مالِكٌ ... هَلَكْتَ، وهل يُلْحَى عَلَى بُغْيَةٍ مِثْلِي

ونَقَل عَنِ ابن السِّكِّيت ــ في شَرْحِهِ : حَرْسٌ وادٍ في نَجْد ، فأَضَافَ إليه شيئاً آخر ، فقال (حَرْسَيْنِ) .

٤ ــ وأَوْرَدَ لِلَبِيْد :

وَبِالسَّفْحِ مِنْ شَرْقِيِّ حَرْسٍ مُحَارِبٌ ... شُجَاعٌ وذُو عَقْدٍ من القَوْمِ مُحْبَرُ =

٢٥٨ ــ باب: حَرْدَةُ ، وَجَرْدَةُ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِفَتْحِ الحَاءِ وسُكُونِ الرَّاءِ ــ: مِنْ بِلَادِ اليَمَنِ يُقَالُ: أَهْلُها مِمَّنْ سَارَعَ إِلَى مُسَيْلِمَةِ(٢)

= ٥ ــ ولِزُهَيْرٍ:

هُم ضَرَبُوا عَنْ فَرْجِهَا بِكَتِيبَةٍ كَبَيْضَاءِ حَرْسٍ فِي طَرائفها الرَّجْلُ

قال: الحرْسُ جَبَلٌ .

٦ ــ وقال طُفَيلٌ الغَنَوِيُّ :

فَنَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ حَرْسٍ نِسَاءَكُمْ غَدَاةَ دَعَوْنَا دَعْوَةً غَيْرَ مُوتَلِ

ولَـمَّا ذَكَر البكريُّ أنَّ الحرْسَ جَبَلٌ في دِيَار بَني عَبْسٍ ، وأنَّهُ أكثَرُ ما يُقَالُ: بِغَيْرِ أَلِفٍ وَلَامٍ : حَرْس ــ أَوْرَدَ لِحُمَيْد بْنِ ثَوْرٍ :

ولَقَدْ نَظَرْتُ إلى الحُمُولِ كَأَنَّها زُمَرُ الإِشَاءِ بِجَانِبَيْ حَرْسِ

ونَقَلَ عَنِ الأَصْمَعِيِّ: حَرْسان جَبَلٌ في ديار عَبْس ، وعَنِ الزُّبير: حَرْسَان . وادي بني العَجْلانِ . وأَوْرَدَ ــ في رَسْم (ذي سُدَيْر) لِحُمَيْد بْنِ ثَوْرٍ :

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى ذُو سُدَيْرٍ فَغَابِرُ فَحَرْسٌ فأَعْلَامُ الدُّخُولِ الصَّوَادِرُ

ويَتَّضِحُ ــ مِمَّا تَقَدَّم ــ أَنَّ اسْم حَرْسٍ يُسَمَّى به غَيْر موضع في جَنُوب نَجْدٍ ، وفي جِهَاتٍ أُخرى ، فالَّذي في الجَنُوب الوَارِد في شِعْر مُزَاحِمٍ وحُمَيْد بن ثَوْرٍ تقَدَّم الكلام عَلَيْه في باب الجِيم: (جرش وحرش. . .) ــ «العَرَب»: ١٦/٩٤٢ ــ وأَنَّه يُعْرف الآن باسْم (حُرُوس) طِبْقاً لما نَقَل ياقُوت عَنْ أبي زِيَادٍ ، يَشمله مُسَمَّى الضَّبُرَيْن ، في هَضْب آل زايِدٍ (الدَّوَاسِر) والواردُ في شِعْر لَبِيدٍ :

وبالجَرِّ من شَرْقِيِّ حَرْسٍ ــ البيت ــ

يَقْصِدُ قَبْرَ سُهَيْل بْنَ طُفَيل ، مِنْ رِجَال بني جَعْفَر بن كلاب ، مَاتَ غَرْبيَّ جَبَل حَرْسٍ . وقَدْ يكُونُ زُهَيْرٌ وطُفَيْلٌ وعُرْوَة أرَادُوا هَذا الجَبَل ، وأَنَّهُ واقِعٌ في بِلَاد بني عامِرٍ ، في عَالِيَة نَجْدٍ .

(١) قَالَ نَصْرٌ : (بَابُ حَرْدَة ، وجُرْزَة ، والخَرْزَة) .

(٢) عِنْدَ نَصْرٍ: ــ بَعْدَ ضَبْطِ الاسم ــ: بَلَدٌ يَمَانٍ أَهْلُهُ مِمَّنْ سَارَعَ إلى مُسَيْلمَة الكذَّاب . ولَم أرَ فِي «معجم البُلْدَان» لهذا الاسم ذِكْراً في مَوْضِعِهِ . ولكنْ مادَامَ البَلَدُ في اليَمَنِ فَأَيَّةُ صِلَةٍ لِمُسَيْلمة به ، إنَّ الصَّواب (الأسْوَدُ العَنْسِيّ)المتَنَبِّي الَّذي خَرَجَ في اليَمَن في آخر العَهْدِ النَّبَوِيِّ ، فاسْتَوْلى عَلَى كثير مِنْ تِلْكَ البِلَاد ، فقد ذَكَر ابنُ جَرِير الطَّبَرِيُّ في تاريخه ــ في حَوَادث السنة الحادِيَة عَشرة ــ في الكلام على أخبار الأسْوَد العَنْسِي : ودَانَتْ لَهُ سَوَاحِلُ من السَّوَاحِل حَازَ عَثَّر والشَّرْجة والحَرْدة ، وغُلافِقَة وعَدَن والجَنَد ، ثُمَّ صَنْعاءَ إلى عمل الطَّائف ، إلى الأحْسَبة وعُلَيْب . انتهى . وقَدْ ذَكَر الهَمْدانِيُّ: في «صفة جزيرة العرب» الحرْدَة من سَوَاحل بَحْر تِهَامة في بِلَاد حَكَم ، وأشَارَ مُحَقِّقُ الكتابِ أَنَّها لا تُعْرَفُ لاخْتِفَائِها مُنْذُ القَرْنِ العَاشِر .

وَقَالَ مُـحَمَّدُ بْنُ يُونسَ الكديْمِـيُّ : لَقِيْتُ أَبَا مُـحَمَّدٍ ـ شاصونه ـ بْنَ عُبَيد الله مُنْصَرِفاً مِنْ عَدنٍ ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الـحَرْدَة سَنَةَ عَشْرٍ ومِئَتَيْنِ ، وحَدَّثَنِـي عَن معرضِ بْنِ مُعَيْقِيْب الـيَمَامِـيِّ(٣).

وأمّا الثَّانِـي : ـ أوّلهُ جيمٌ مَفْتُوحةٌ ، والباقي نَحْوَ الأول ـ: مِنْ مَـحَالِّ مَدِيْنَةِ السَّلَامِ(٤).

---

(٣) أطَالَ ابنُ حَجَر في «تهذيب التهذيب» ـ ٥٣٩/٩ ـ ترجمَة مُـحَمَّد بن يُونُس وسَاقَ نَسَبَهُ إلَى كَدِيـمٍ السامـيِّ ، وذَكَر أنه بَصْرِيٌّ . وأوْرَدَ أقْوَالاً كَثِيرةً في تَجْرِيْحِه ، وذَكَرَ وَفَاتَهُ سنة ٢٨٦هـ وساقَ خَبَر رِوَايَتِه عن شَاصَوَيْهِ: لـمَّا أمْلَى الكَدِيْمِيُّ حَديثَ شَاصَوَيْه استَعْظَمَهُ النَّاسُ ، فلمَّا كَانَ بَعْدَ وَفاته جَاءَ قومٌ من الرُّحالة ، بِمَن جَاءَ مِنْ عَدَن ، فَقَالُوا : دَخَلْنَا قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا الـحَرْدَةُ ، فَلَقِيْنَا فيها شَخْصاً فسَأَلْنَاهُ: عِنْدَكَ شَـيْءٌ من الـحَدِيث؟. قال: نعَم. فقُلْنا: مَااسْمُكَ؟ قَالَ: شَاصَوَيْه. فكَتَبْنَا عَنْهُ ، فأَمْلَى عَلَيْنَا هذا الحديث فيما أَمْلَى عَنْ أَبِيه . ونَقَل عن محمد بن قريش المرْوَرُّوذِيِّ قال: دَخَلْتُ عَلَى مُوسَى بن هَارُونَ مُنْصَرِفي مِنْ مَجْلس الكَدِيْـمِيِّ . فقال لي: مَاالَّذي حَدَّثكم الكديْمِيُّ اليَوْمَ ؟ فقلتُ: حَدَّثَنَا عَنْ شَاصَوَيْهِ بْنِ عُبَيْدٍ ـ يَعْني بحَدِيْث مُبَارك اليمامة . فقَالَ مُوسَى بنُ هارُوْنَ: أَشْهَدُ أنَّهُ حَدَّث عَمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ بَعْدُ ـ إلَى آخِر ماذَكَر ، وقد ترجم ابن حَجَر في «الإصابة» مُعَرض بن مُعَيْقِيب اليمامي وذَكَر رِوَايَة الكَدِيمِيِّ عن شَاصَوَيْه عَنْهُ حَدِيْثاً قال: لَمْ أجِدْهُ إلاَّ عِنْد الكَدِيْـمِيِّ عن شيخ مَجْهُولٍ ، فلم أتَشَاغَل بتَخْرِيجِه ، ثمّ أورده عن ابْنُ قانع في قصَّة صَبِيٍّ تَكَلَّم حِينَ ساله الرَّسُول ﷺ : «مَنْ أنَا؟» قال: أَنْتَ رسول الله ـ إلى آخر ماذكر ـ ومنه قال مُعَيْقِيب: فكُنَّا نُسَمِّيه مُبَارَك اليَمامة ـ يَعْني الصَّبِـيَّ .

(٤) لَم يَذْكُر نَصرٌ جَرْدَة هذه ولاَ يَاقُوتُ في مَوْضِعِها مِنْ «مُعْجَم البُلْدان» . ولكنَّ الأخِير ذَكَر الـجَرَدَة ـ مُـحَرَّكة الـحُرُوف ـ مِنْ نَواحي اليَمَامَة عن الـحَفْصِـيِّ . ولَم أَرَ فيما لَدَيَّ مِنْ كُتُب الأنْسَاب ذِكْراً لِهذه المَحلَّة بِذِكر مَنْ يُنْسَبُ إلَيْهَا .

وَمِنْ زِيَادَاتِ نَصْرٍ :

١ ـ جُزْرَةُ : وقال: ـ بِضَمِّ الجِيْم وسُكُون الزَّاي الـمُعْجَمة ثُمَّ رَاءٍ مُهْمَلةٍ : وَادٍ بَيْنَ الكُوفَةِ وفَيْد ، وهُوَ مَاءٌ لِبَنِـي كَعْبِ بْنِ العَنْبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيم . وفي «معجم البلدان» جُزْرَةُ ـ بالضَّمِّ وزِيَادَةِ الهَاءِ : ـ وَادٍ بَيْنَ الكُوفَة وفَيْد . وجُزْرَةُ أيضاً مَوْضِعٌ باليَمَامَةِ ، قال مُتَمِّم بن نُوَيْرة :

فَيَـالَعُبَيْـدٍ حِـلْفَـةٍ إنَّ خَيْـرَكُـم ... بِـجَـزْرَة بَـيْنَ الـوَغْـتَـيْنِ مُـقِـيْـمُ

ثُمَّ عَادَ فَقَال : جُزْرَة: اسْم أَرْضٍ باليَمامة ، مِنْ أرْضِ الكَوْفَةِ وهِـيَ لبنِي رَبِيْعَة ، قَال مُتَمِّم بْنُ نُوَيْرَةَ يَرْثِـي بُحَير بن عبدالله بن مُلَيْكٍ السُّلَيْطِـيِّ :

كَـأَنَّ بُحَـيْرَاً لَم يَقُـل لِيَ: مَـاتَـرَى ... مِنَ الأمْـرِ؟ أَوْ يَنْـظُرْ بِـوَجْـهٍ قَـيْـمِ

وبَعْدَ بَيْتَيْنِ ـ أوردَهُما يَاقُوتُ :

فَـيَـالَعُـبَـيْـدٍ حَـلْـفَـةٍ أنَّ خَيْـرَكُـم ... بِـجُـزْرَة بَـيْنَ الـوَغْـتَـيْنِ مُـقِـيْـمُ

وَكَلِمة (الكُوفَة) في عِبَارَتَي نَصْرٍ ويَاقُوتٍ غَيْرُ صَحِيحَةٍ ، يُوَضِّحُ هذا : =

٢٥٩ ــ بابُ: جُرَاضٍ ، وَخِرَاصٍ (١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِضَمِّ الخَاءِ وآخِرُه ضَادٌ مُعْجَمَةٌ ــ: مَوْضِعٌ قُرْب مَكَّة بَيْنَ الـمُشَاشِ والغُمَيْرِ ، وهُنَاكَ كَانَتِ الـعُزَّى ــ فِيْما قِيْلَ ــ وَقِيْلَ غَيْرُ ذَالِكَ(٢).

= ١ ــ أنَّ مِيَاه بني العَنْبر وبِلَادهُم تقعُ عَلَى طريق الـحَجِّ البَصْرِيِّ الـمَارِّ بِوَادِي فَلْج (البَاطن) فالدَّهْنَاء فالنِّبَاج (الأسياح) مُخْتَرِقاً بِلَاد القَصِيْم .

٢ ــ أنَّ جُزْرَة الوَاقعة في بلاد بَني العَنْبر ، والَّتي قَالَ عَنْهَا الأَصْفهاني في كتاب «بلاد العَرب» ــ ٢٦٥ ــ: إِرَابُ وهُوَ ماءٌ لبني العَنْبر ، ثُمَّ جُزْرة وهي لَهُم أيضاً ــ لاتَزَال مَعْرُوفَةً ، وهي واقِعة في الطَّرف الشَّمالي من جَبَل العَارض (طُوَيْق) حَيْثُ انْجَزَرَ (أي انقطع) وهي الآن قَرْيَة مَعْدُودَةٌ مِنْ قُرَى مِنْطَقة الزُّلفي ، في وَادٍ يُسَمَّى جُزْرة ــ وَهي بَعِيْدة عن فَيْد ، الوَاقع عَلَى طَرِيق الحَجِّ الكُوْفِيِّ .

٣ ــ أمَّا قَوْلُ صَاحِبِ «المعجم»: أنها مِنْ أرْضِ الكُوفة فَيظْهَرُ أنَّ كَلِمة (الكُوفة) تَصْحِيْفُ (الكُرْمة) و(الكُرْمَةُ) هِيَ الجَانِبُ الشَّمَالِيُّ مِنْ جَبَل العَارض حَيْثُ تَقَعُ جَزْرَةُ ، وقُرَى أُخرى مِنْ منطقة سُدَيْر (الفَقْءِ) كَما ذكر هَذا صاحِبُ كتاب «بلاد العَرب»: الفَقْءُ بالكَرْمة ، والكُرْمَةُ باليَمامة ــ الـحَمادة فَرْشٌ بَيْنَ الكُرْمَةِ والرُّغام ــ حَرْمَةُ والخِيْسُ و. . . كُلُّها بالكُرْمة ــ ٢٩٣/٢٥٧/٢٥٣ ــ وتَقَدَّم نَقْلُ يَاقُوتٍ عن محمد بن حَبِيب: جُزْرَة مِنْ أَرض الكَرِيَّة مِنْ بِلَاد اليَمامة و(جَزْرة) و(الكريَّة) تصحيف (جُزْرة) و(الكرمة).

٢ ــ وَمِمَّا ذكر نَصْرٌ : الـخَزْرة قائِلاً: ــ بِفَتْحِ الخَاء المعجَمَة وسُكُون الرَّاءِ المهملةِ ثُمَّ زَاي ــ: مِيَاهٌ لِفَزَارة، بيْنَ أَرْضِهِمْ وأَرْض أَسَدٍ . انتهى . وقَدْ تَقَدَّم هذا عِنْد الحازميِّ في حَرْف الجِيْم (باب جُزْرة وخَزْرة) ــ «العرب»: ٢٤٤/١٩ ــ وفي كِتَاب الـحَازميِّ : (ماءٌ لفزارة) بَدَل (مِياه لِفَزارة) كَذا عِنْد يَاقُوت وقَدْ عَوَّل عَلى كَلَامِ الحازميِّ وتَقَدَّم .

(١) فِي كتابِ نَصْرٍ بِنَصِّهِ .

(٢) هُوَ تَعْرِيفُ نَصْرٍ سِوَى جُمْلَة : (وَقِيلَ غَيْرُ ذَالِكَ) فَهي عِنْده : (وَقِيْل : كَانَتْ بِنَخْلَة الشَّامِيَّةِ) . ولاَ مُنَافَاةَ بَيْنَ القَوْلَيْنِ فمدلُولهما وَاحِدٌ ، كَما يَتَّضِحُ مِنْ أَصْلهما وهو قَوْلُ ابْنُ الكَلْبِيِّ فِي كتابِ «الأَصْنام» ــ ١٨ ــ عَنِ العُزَّى ــ: كَانت بِوَادٍ مِنْ نَخْلة الشَّامِيَّة ، يُقَال لهُ حُرَاضٌ بِإزاء الغُمَير عَنْ يَمِيْنِ المُصْعِد إلَى العِرَاق مِنْ مَكَّة ، وذَالِكَ فَوْقَ ذَاتِ عِرْق إلى البُسْتان بِتِسْعَة أَمْيَالٍ . وقال أيضاً ــ ١٩ ــ: وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ حَمَتْ لَهَا شِعْباً مِن وَادي حُرَاضٍ يُقَال لَهُ سُقَامٌ ، يُضَاهُونَ بِهِ حَرَمَ مَكَّةَ ، فَذَالِكَ قَوْلُ أَبِي جُنْدَبٍ الهُذَلِيِّ ثُمَّ القِرْدِيِّ فِي امْرَأَةٍ كَانَ يَهْوَاهَا :

لَقَـدْ حَلَفَتْ جَهْـداً يَمِيْـناً غَلِيْـظَةً ... بِفَـرْعِ الَّـذِي أَحْمَتْ فُـرُوعَ سُقَـامِ

انتهى . فَحُرَاضُ مِنَ الأَودية الَّتي يَنْتَهِي سيْلها ويَفِيضُ فِي وادي نَخْلة الشَّامِيَّةِ ولاَيَزَالُ مَعْرُوفاً وهُوَ وَادٍ ذُو فُرُوع كَثِيْرة مِنْهَا سُقَام الَّذي لاَيَزال مَعْرُوفاً ، وحُرَاض يُثَنِّـيَ مِنْ أكبر رَوافد وادي نخلة أَسْفَل وادي قَرْنِ المَنَازل (السَّيْل الكبير) إذْ يَأْخُذُ قَبْلَ حراض اسْماً آخر هُوَ (يَعْبُج) ثم حُرَاض وبَعْد حُرَاض الـمَضِيْقُ ـ أَوْ وادي اللَّيْمُون ــ وَهُوَ نَخْلَة الشَّامِيَّة ــ «العرب»: ٨٧/٧ ــ أَمَّا كَلِمَةُ (فَوْقَ ذَاتِ عِرْقٍ) فَيَظْهَرُ أَنَّ صَوَابها (تَحت) إذْ مَافَوْقَ ذَاتِ عِرْق خَارِجٌ عَنْ مُسَمَّى (نَخلَة الشَّامية) ولاَيَكُونُ بإزاءِ الغُمَيْرِ الواقِع بين ذات عِرْق وبَيْنَ البُسْتَان الَّذي هُوَ المَنْزلة الثانية المواليِة لِـمَكَّة بَعْدَ ذَاتِ عِرْق ، ويَبْعُدُ حُرَاضٌ عَنْ مَكَّة بما يُقَارِبُ ثمانِين كِيْلاً شَرْقاً بِطَرِيق نَخْلَة الشَّامِيَّة .

←

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

حول كتاب « جمهرة أنساب الأسر »

الوَبَارِين

ورد في ص ٨٥٨ أن الوبارين : في الأفلاج منهم الخضران وآل سجوان .

والواقع أن الوبارين فرع كبير من الفرجان بطونه ثلاثة كبيرة :

١ ـ الخضران ٢ ـ الهواشلة ٣ ـ الدبَالين

وللخضران فروع منهم : آل سجوان .

أي إن آل سَجْوان فرع من الخضران ، وهاؤلاء من الوبارين ، أفاد بهذا الأخ (ح.ج) .

← وأمَّا الثَّانِي : ـ أوّلهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ وآخِرُه صَادٌ مُهْمَلَةٌ ـ: مَوْضِعٌ[٣] .

٢٦٠ ـ بابُ حَزِيْنٍ ، وجُرَيْنٍ[١]

أمَّا الأوَّلُ : ـ بِفَتْحِ الحَاءِ بَعْدَهَا زَايٌ مَكْسُورَةٌ وآخرهُ نُونٌ ـ: مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ[٢] .

وأمَّا الثَّانِي : ـ أوّلهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَها رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ ـ: مَوْضِعٌ باللُّعْبَاءِ بَيْنَ سُوَاج والنّيرِ من أرْض نَجْدٍ[٣] .

---

(٣) هُوَ نَصُّ كَلَام نَصْر . وَلَم يأتِ يَاقُوت بِشَيْءٍ في تَعْريف المَوْضِع ، ومَا أرَى الاسْم إلاَّ تَصْحِيف اسْم المَوْضع الأوَّل ، مَعَ أنَّ الصَّاغانِي في «التكملة» ذكرهُ اسم مَوْضع ، ولكِنَّهُ لم يُعَيِّنْ مَوْقِعهُ .

(١) هَذَا البَابُ تَقَدَّمَ بِنَصِّهِ في حَرْفِ الجِيْم .
قَالَ نَصْرٌ : (بَابُ الحَزِيز ، والحَزِيْن ، والخَرِيْر ، والجُرَيْر ، والجُرَيْن ، وجَرِيْن) .

(٢) عِنْد نَصْر : مَاءٌ نَجْدِيٌّ . وفي «معجم البلدان»: اسْم مَاءٍ بِنَجْد ، ولَمْ أرَ لِغَيْرهم مايُحَدِّدُ مَوْقِعَ هَذَا المَاءِ ، مَصْدَرُهم واحِدٌ ، مِمَّا لايُؤمن مَعَهُ وُقُوع الخَطَإِ في ضَبْط الاسم .

(٣) جُرَيْنٌ: قَالَ نَصْرٌ ـ: بِضَمِّ الجِيْم وفَتْح الرَّاء وآخره نُونٌ ـ: مَوْضعٌ نَجْديٌّ باللُّعْبَا ، بَيْنَ سُوَاج والنّيْر .
وَعِنْد يَاقوت : جُرَيْنٌ : ـ تَصْغِيْرُ جُرْنٍ ، والجُرْن المَوْضِع الَّذي يُجَفَّفُ فِيْهِ التَّمْرُ : ـ مَوْضِعٌ بَيْنَ سُوَاج والنّير ، باللُّعْبَاءِ مِنْ أرْضِ نَجْدٍ . انتهى . وتَقَدَّم تَحْدِيْدُ هذا المَوْضِع ، كما تَقَدَّم الكَلاَمُ عَلَى المَوَاضِعِ الَّتي ذَكَرها نَصْرٌ هُنَاك .

الجُبُور: من عامر هوازن لا عامر عبدالقيس

وبعد: فقد وصل إليَّ كتابكم المؤرخ في ١٤٠٩/٤/١١هـ وجاء فيه:

أن شيخنا ألغَى ملحوظة في كتابنا حيث قلنا (إن الجبور من عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ــ فنشكر لشيخنا أن أبْدَى الملحوظات علينا من أجل أن يرشدنا إلى الصواب.

وشيخنا يعلم أن قولنا هذا موافق لرأيه السابق. أما في الآونة الأخيرة فقد تبينً لشيخنا أن الجبور [حكام الأحساء] من عُقيل [من عامر] عبدالقيس.

والرجوع عن الرأي السابق من حق كل باحث. ولما كان صاحب هذا الرأي بحراً عجّاجا، وسراجا وهاجا في هذا الفن، فإني أرجو منه أن يأذن لي في المناقشة الموضوعية. وهذا من حق التلميذ على شيخِه، إذ كلاهما يرومان الحقّ ويسألانه.. والحق أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ.. والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها. وأُحبُّ الإشارة إلى الرافد الفيَّاض الذي أعانني على المناقشة، وسَوْقَ البراهين ذلك هو كتاب: ــ «أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء» للشيخ الفاضل أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

وأعود إلى مناقشة أدلة شيخنا التي عوَّل عليها واستند إليها.. وأستطيع أن أوجزها في ثلاث نقاط: ــ

١ ــ أن بني عامر بن صعصعة هاجرت من موطنها الأصلي في جنوب الجزيرة العربية إلى الشمال واسْتَقرّتْ في أرياف العراق وأرياف الشام.

ومن المحال أن ترجع من الأرياف إلى الجنوب في البحرين.

والقائل بذلك يعوزه البرهان.

٢ ــ الاستمساك بقول ابن فضل الله العمري: ــ ص ١٥١ في كتابه مسالك الأبصار: ــ (عقيل وهم من آل عامر. قال الحمداني وهم غير عامر المنتفق وغير عامر بن صعصعة.. الخ).

٣ ــ ورود اسم عامر ربيعة في شرح ديوان ابن المقرب فقد أضاف عامراً إلى ربيعة .

وبعد سَوْق الأدلة بإيْجاز نَشْرع في مناقشتها : ــ

١ ــ نسلم لكم أن اتجاه القبائل منذ القدم من الجزيرة إلى أرياف الشام والعراق . .

وحيث طلبتم الدليل على رجوع طائفة من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فإليك هذان النقلان : ــ

أ ــ قول القلقشندي في «نهاية الأرب» ــ ص ٣٠٥ ــ :

(بنو عامر: بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية نسبهم بعامر ابن عوف بن مالك بن سعد ، ذكرهم في «العبر» كذا ولم يصل نسبهم بعامر بن صعصعة ثم قال: وهم إخوة بني المنتفق ، ومسكنهم بجهات البصرة قال: وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسين ، غلبوا عليها تغلب . قال ابن سعيد: وملكوا الأرض من بني كيلابة وكان ملكهم في نحو الخمسين من المئة السابعة ملكها منهم عصفور وبنوه . ومن عامر هؤلاء عُقيل بضم العين) . ونقله في «صبح الأعشى» عن ابن سعيد ج١ ص ٣٤٢ لما تكلم عن بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قال ابن سعيد: سألت أهل البحرين في سنة ٦٥١هـ حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا: المملكة فيها لبني عامر بن عقيل وبنو تغلب جملة من رعاياهم) .

ب ــ قول ابن خلدون في تاريخه ج٤ ص ٩٢ : ــ (قال ابن سعيد المغربي: سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة إحدى وخمسين وست عن البحرين فقالوا: ــ الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عقيل وبنو ثعلب من جملة رعاياهم وبنو عصفور منهم أصحاب الأحساء) .

٢ ــ أما قول الحمداني عن بني عامر : وهم غير عامر بن صعصعة وغير عامر المنتفق . فالذي يبدو من هذا النص لِأَوَّل وهلة أن بني عامر هؤلاء ليسوا من عامر

ابن صعصعة . وحيث لم يعزهم إلى قبيلة عربية استفاد منه الشيخ أن المقصود بنو عامر العَبْقَسِيُّون ، لأن قبيلة عبدالقيس من القبائل العريقة الواسعة الانتشار في البحرين . ولكنْ لو أمعنّا النظر واعملنا الفِكْر في النّصّ فإنه ليس منه مايمنع أن المقصود بنو عامر بن ربيعة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

لاسيما وأنه قال غير عامر بن صعصعة وعامر المنتفق مع أن المنتفق من عامر بن صعصعة . وإلا فما الفائدة من استثنائه عامر المنتفق .

فلعله يقصد هنا عامراً القريب الذي ينتسبون إليه ، ويختصون بالإنْتماء إليه ، من دون دخول بطون عامر بن صعصعة الأخرى ومنها المنتفق . . أظن أن المقصود هنا آل عامر بن ربيعة بن عقيل أقرب من قولنا أن المقصود عامر من عبدالقيس . وإن اختلفنا في المقصود من عامر هؤلاء فإن هذا الدليل يتطرق إليه الاحتمال . وكما في القاعدة الأصولية : إذا تطرق إلى الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال . ثم هل نص واحد نتشبث ــ مع أنه غير صريح العبارة ــ ونترك نَصّي ابنِ خلدون والقلقشندي الصريحين ؟

ــ إن ابن خلدون والقلقشندي أثبتا أنهم من عامر بن صعصعة . وأما الحمداني فنفى نسبتهم إليه ولم يُثْبِتْ شيئاً ، والمثبت مُقَدَّمٌ على النافي لأن معه زيادة علم .

وقد يقول شيخنا بعدم الاحتجاج بقوليهما لأنهما يكتبان عن بعد .

فلا أقول حول هذا الأمر شيئاً سوى الكلام عن مابين أيدينا .

فابن خلدون والقلقشندي هنا لم يقولا الكلام من أنفسهم إنما نقلاه عن ابن سعيد . وابن سعيد نقله عن أهل البحرين أنفسهم .

٣ ــ إضافة شارح الديوان عامر إلى ربيعة . لا إخاله دليلاً لشيخنا على مايرى . ذالك أن قبيلة عامر بن جَذْيمة من عبدالقيس لم تكن شهيرة كشهرة بعض القبائل التي تتردد على أسلات الألسن . . فمن البعيد أن يضيف الشارح قبيلة عامر العَبْقَسِيَّة إلى ربيعة .

فعامر بن صعصعة وهي أشهر من هذه القبيلة لا تضاف في الغالب ـ إلى مضر ـ الجِذْم المقابل ربيعة ـ بل تضاف إما إلى هوازن أو إلى قيس عيلان أو إلى والدها صعصعة . فلو كان يقصد عامر بن جذيمة لقالها بهذا اللفظ أو أضافها إلى عبدالقيس .

ولعل مما يؤيد كلامي قول شارح الديوان ـ أي ديوان ابن المقرب في هذا البيت : ـ

أقامَ عُهُوداً بَيْنَ عَمْرٍو وعـامر عَيِيّاً على أمر الرِّجالِ انْحِلاَلُهَا

بنو عمرو وعامر من قبائل كعب بن ربيعة . وليس في عبدالقيس كعب بن ربيعة . بل موجود في بني عامر . وهو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . فشارح الديوان قد أدرك الأحداث في تلك الأيام ولعله أوفى مصدر نَسْتمد منه المعلومات . كما قال شيخنا .

وبعد ذلك أحب سَوْق بعض الأمور التي جعلتني أتمسّك بِرأْي شيخنا القديم : ـ

١ ـ أن بعض المؤرخين عندما يورد أحد سادة بني جبر يضيف العقيلي . كالسخاوي في «الضوء اللامع» حيث قال: ـ ج ١ ص ١٩٠ (أجود بن زامل العقيلي الجبري نسبة لجد له اسمه جبر . .) وكابن لعبون في تاريخه ص ٣١ ، أو يضيف العقيلي العامري كصاحب «نزهة المشتاق» ، ونقل ذالك عنه صاحب كتاب «قبيلة العوازم» ص ٨١ . وأيضاً ابن بسام في «تحفة المشتاق» نقله عن الكتاب مجلة الدارة س ١ ج ٤ ص ٦٧ ، وغيرهم .

والذي يتبادر للذهن عند ذكر العقيلي العامري ، عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ولعل ورود بعض الأبيات من شعراء عاصروهم ومدحوهم مما يقوي ذالك . حيث أوضحوا أنهم من قيس كما سأورده .

٢ ـ ورود بعض الأبيات التي تدل على أنهم من قيس ـ وكما هو المعلوم ـ أن

عامر بن صعصعة من قيس . يقول جعيثن اليزيدي يرثي مقرن بن أجود بن زامل :

وبين أجْوَدٍ سلطان قَيْسٍ وركنها   عن الضيم أوفي المعضلات الشدَايِدْ

ويقول الجليفِ في مدح مقرن بن غصيب بن زامل :

ومـواقف اسْلَاف قَيْس مخلفـة   فيهـا الوحـوش رُوَاغـدٍ هَمَّالْهَـا

وإن كان شيخنا لا يرى الاحتجاج بهذا الشعر فهو مما يذكر للاستئناس .

وكذلك يكون من المرجحات عند انتفاء مايبت في الأمر .

٣ ــ أن انتساب الجبور إلى بني عامر بن صعصعة مستفيض عند الناس وعند الجبور أنفسهم . فإن كان شيخنا لا يرى شيئاً من الأدلة التي أوردنا فيه دلالة واضحة فإن لديه قاعدة شهيرة ــ وإن كانت لا تصدق في كل شيء ــ هي : (الناس مأمونون على أنسابهم) .

٤ ــ أن هذا كلام كثير من النسابين كالعزاوي والسيابي وظاهر كلام الشيخ الحقيل يدل على ذالك .

وأظن أن شيخنا ــ وفقه الله ــ هو السابق إلى هذا القول فلم أر أحداً قبله قاله . وفي نهاية المطاف : ــ أرجو من شيخنا الجليل أن يرد على كتابنا بالأدلة المفصلة التي ربما لم أطلع عليها ويأخذ بيدي إلى الصواب فما أردت إلاَّ هو .

منصور بن زيد بن سعود المانع العقيلي
كلية الشريعة ــ الرياض

العرب : يحتاج الموضوع إلى دراسة واسعة ، قد تَتِمُّ وتنشر قريباً ــ إن شاء الله ــ .

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع محمد الجاسر - هاتف ٤٦٢٦١٠١
ص. ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥، ٦ س ٢٤ ذوا القعدة والحجة ١٤٠٩هـ ـ حزيران/تموز (يونيو/ يوليو) ١٩٨٩م

لمحات عن :

تاريخ جزيرة العرب

[حديث ألقي في نادي مكة الثقافي الأدبي ليلة الأربعاء ٩/صفر ١٤٠٩هـ] ..

١ ـ أحمد الله حقَّ حمده ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خير خلقه ، وعلى آله وصحبه وتابعي نهجه .

أيها الإخوة : إن أخي الأستاذ الجليل رئيس هذا النادي الكريم أَحْصَفُ رَأْياً وأسمى فِكْراً من أن أَصِمَهُ بأنه استسمن ذَا وَرَمٍ حين أتاح لي هذه المناسبة الطيبة للتحدث في هذا المجال الرحب الذي اختاره ، ومن بين هذه الصفوة الممتازة من أهل العلم والأدب مَنْ هو أولى وأجدر وأقدر على إيفاء الموضوع حقه ، إيضاحاً وبحثاً وتحقيقاً عميقاً .

ولهذا فلن أستأْثِرَ بالوقت الثمين المخصص لي ، وبينكم من هو أحقُّ به مني ، بل سأُوثركم بالنصيب الأوفر منه ، مستمعاً إلى ما تبدونه من آراء ، ومستفيداً بما توضحونه من ملاحظات وتعليقات ، ومستعداً للإجابة على مايوجه إليَّ من استيضاحات ، فما أنا في هذا المحفل الذي يضم هذه النخبة سوى محادثٍ مشاركٍ ، متطلعٍ للاستفادة ، مستزيدٍ من العلم والمعرفة منهم .

٢ ـ من المدرك بداهة أننا أمةٌ تتخذ من سيرة سلفها الصالح في ماضيها أَوْضَحَ نَهْجٍ تسلكه في حاضرها ومستقبلها ، ومن هُنا فإن تاريخنا الذي نسعى جاهدين لتكون حياتُنا امتداداً له تختلف نظرتنا إليه عن نظرة غيرنا من الأمم إلى التاريخ بوجه عام ، إلاَّ أنَّ تلك النظرة لا ينبغي أن تطغى بدرجة تلتبس معها الأمور علينا ، بحيث لا نُمَيِّزُ بين مانحن مطالبون بالتأسِّي به ، وباتخاذ القدوة منه من

واقع تاريخنا ، وبين ما نَتَخَيَّلُهُ واقعاً بِوَحْيٍ من عواطفنا ، أو ثقة بنقل عالم ، له في نفوسنا من الإجلال والتقدير مايحملنا على الثقة به ، قبل أن نتثبَّتَ صحة نقله ، وأن ندرك وجاهة التأسِّي والاقتداء بما نقل .

٣ ــ وما ابْتُلِيَ تاريخُ أمةٍ من الأمم ــ ممن أصبح لها تاريخ ــ بأَسْوَأَ مِنْ هاتين البليتين : تحكم العاطفة حُبًّا أو كراهة ، والثقة العمياء بمن ليس أهلا للثقة في جميع أحواله ، ولَنْ يَعْدُوَ الحقيقة من وصف تاريخ أُمتنا ــ في جميع أطواره وفي مختلف عصوره ــ بعدم السلامة منهما ، وحسبُ المنصف الباحث عن الحقيقة أن يلقي نظرة على المصادر الأولى لهذا التاريخ ليدرك ماشُحِن به كثير منها من الخُرافات والأساطير ، حتى ماله صلةٌ بأسمى مصدر ، وأَجَلّه قَدْراً وهو تفسير القرآن الكريم ، فلم يتورع كثير من قدماء المفسرين ــ عن حسن نية ، وعن ثقة بمن يتلقون عنه ــ من مزجه بالخرافات الإسرائيلية ، والحكايات الباطلة .

٤ ــ يبالغ بعضُ العلماء من غير المتمكنين من التعمق في الدراسات التاريخية ــ ممن يقرر أن هذه الجزيرة لا تاريخ لها قبل ظهور الإسلام ، وقبل بَدْءِ تدوين تاريخه في آخر القرن الثاني الهجري فما بعده ، فبالإضافة إلى ماوصل إلينا من علوم العرب وأخبارهم وأشعارهم ــ مما لا يصح تجاهله ــ فقد استطاع علماءُ الآثار اكتشاف مايدلُّ على وجود مظاهر متعددة وواضحة ، لحضارات عريقة في مختلف أنحاء هذه الجزيرة ، جنوبها ــ في اليمن وفي قرية الفَأْوِ في المملكة وفي الشمال ــ العُلا (وادي القُرَى) وتيماء والجوف ــ وفي الشرق ــ قرب ساحل الخليج العربي ، وتمكن أولئك العلماءُ من أن يوضحوا معالم تلك الحضارات ، وأن يحددوا أزمانها ، وأن ينسبوها إل أهلها .

٥ ــ ومن الأسس التي يقوم عليها علم التاريخ ــ مع النصوص المدونة أو المروية ــ الآثارُ المشاهدة .

ومن الوهم نِسْبَةُ علم الآثار في تدوين حوادث التاريخ إلى علماء الغرب ، فعلماء العرب قد عرفوا هذا العلم ، واستفادوا منه في حدود إدراكهم ، قبل أن يكون للغربيين علم تاريخ مُدَوَّنٍ صحيح .

وفي القرآن الكريم ملامح واضحة توجه إلى الانتفاع بالآثار والاستفادة والاتعاظ بمشاهدتها ، ففي سورة (الحجر[1]) حين ذكر جل وعلا ماوقع لأهل مدينتي سذوم والأيكة من العذاب قال عن الأولى : ﴿ وإنَّهَا لَبِسَبِيْلٍ مُقِيْمٍ ﴾ أي على الطريق يشاهد المجتاز بها آثارها ، ثم قال عنها وعن الثانية : ﴿ وإنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ أي على طريق ظاهر واضح ، فقد كانتا على طريق تجّار العرب ورحاليهم إلى الشام ، الأولى في الأُرْدُنّ ، والثانية في بلاد مدين بمنطقة ظِبَاء في شمال الحجاز .

٦ ــ حقًّا لقد كان لعلماء الغرب فضل الاتجاه للاستفادة بهذا العلم في العصور الأخيرة ، حين عُنِيَ المستشرقون منهم بدراسة تاريخ العرب القديم ، فدفعهم عدمُ الاطمئنان إلى ما دُوِّنَ عنه إلى جمع ما استطاعوا جمعه من الكتابات الأثرية عن المواقع التاريخية ، وبعد ان تمكنوا من حل رموز تلك الكتابات اتجه علماء منهم ذوو اختصاص لِلتَّجْوَال في أنحاء الجزيرة للبحث والتنقيب عن آثارها ، لاستكمال معرفة ماعرفوه من أحوالها القديمة ، فتمكنوا من جمع ذخيرة طيبة منها هيأت لدارسي التاريخ القديم ــ عن هذه الجزيرة ــ وضع أُسس علمية ، لجوانب مجهولة من تاريخ بلادنا القديم ، حتى تمكنت طلائعُ من مثقفي أبنائها من السير على منوال اؤلئك العلماء في هذا المضمار ، فبرز من بواكير أعمالهم مايبعث على التفاؤل .

٧ ــ ففي الجنوب (اليمن) ــ أغنى النواحي بما خلفه المتقدمون من محافد وسدود وكتابات ورسوم منقوشة على الآثار ــ كان لهذا العلم الفضلُ في إبراز ماكان مجهولاً من تاريخ هذه البلاد ، وإيضاح ماكان خافياً من معالم حضارته ، في حقبة من التاريخ سبقت التاريخ الإسلامي بعشرات القرون ، وماكان يعرف عنها سوى قصص وأخبار تتناقلها الرواة ، أشبهُ بالأساطير والخرافات .

وفي قرية الفأو[2] بين وادي الدواسر ونجران ــ أبرز الجهد المشكور الذي بذلته جامعة الملك سعود ، وقام بتوجيهه العالم الأثريُّ الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن الطيب الأنصاري ــ أبرز ذالك الجهد آثاراً تاريخية لسكان هذه الناحية قبل

الإسلام ، سيمد الباحثين في تاريخ بلادنا بروافد جديدة من المعلومات ، قد تكشف عن جوانب مجهولة من تاريخها .

ولا ينبغي تجاهل مابذله أحد تلاميذ الدكتور الأنصاري وهو الأستاذ الدكتور سعد الراشد في التنقيب عن آثار بلدة (الربذة) التي كانت معروفة في صدر الإسلام ثم أدركها الخراب في أول القرن الرابع[٣] (٣١٧هـ) .

وفي الشرق بقرب سواحل الخليج كشف التنقيبُ عن الآثار آثاراً عمرانية لأحقاب تاريخية قديمة ، ماكانت معروفة في تاريخ هذه النواحي ، كما أوضحت كتابات أثرية عثر عليها في (ثاج)[٤] عن صلات قوية بين سكان جنوب الجزيرة من الدول التي قامت هناك وبين أهل هذه الجهات التي كانت معبراً للتجارة بين جنوب الجزيرة وشمالها .

وفي قلب الجزيرة حيث لم يَجْرِ بَعْدُ أيُّ تنقيب عن الآثار له أهمية ، لاتزال تشاهد بعض الكتابات القديمة بالخط المسند في جبل (مأْسَل[٥]) وفي منطقة (قُرَّان[٦]) وغيرهما مما يوضح تغلغل لغة أهل الجنوب ونفوذهم في قلب الجزيرة إلى خارجها ، وكان من أوائل من لفت النظر إلى تلك الآثار عبدالله فلبي .

واستطاع الرحالة الفرنسي شارل هوبر أن ينقل إلى متحف (اللوفر) في (باريس) من بلدة (تيماء) في شمال الجزيرة حجراً ذا أَهَمِّيَّةٍ كبيرة لدى علماء الآثار ، لما عليه من كتابات وصور[٧] ، وأن يُسجل وصفاً ويصور نماذج لبعض ماشاهد مما بقي من آثار تلك البلدة المعروفة منذ القدم بآثارها في رحلته[٨] ، ولكنه دفع حياته ثمناً لذالك في قصة محزنة .

٨ ــ ومع اعتبار علم الآثار من أوثق المصادر التاريخية فيما يضيفه من معلومات ، فان فيه مزالق أقدام ، وزلاَّتِ أقلام ، بالنسبة للأبحاث التي لم تَعْدُ بَعْدُ طورها الأول ، كالحال في بلادنا ، إذ كثيراً مايحاول العالم الأثري جاهداً إثبات قضية تاريخية مُعَوِّلاً على رموز ناقصة ، وأرى أن دارس الآثار والمنقب عنها في جهة ما ، يجب ان يكون لديه اطلاع واسع ، على تاريخ المكان الذي ينقب عن آثاره ، ومعرفة سكانه الأقدمين .

وبالنسبة لما تم كشفه من آثار البلاد فإن ماقدمه هذا العلم للمهتمين بالدراسات التاريخية لا يَعْدُو تناول جوانب يسيرة من التاريخ لم تصل بعد لإمداد المهتمين بتلك الدراسات بمصادر جديدة عن قضايا تاريخية[٩] . ومازال هاؤلاء ــ وسيبقون زمناً حتى تتكامل التنقيبات الأثرية في جميع أنحاء البلاد ــ يعولون على المصادر التاريخية الأولى .

٩ ــ وما هي تلك المصادر ؟ وماذا فيها عن تاريخ هذه البلاد ؟

أ ــ إنَّ أسماها منزلة وأوثقها وأجلها في مقام الاستدلال القرآنُ الكريم ، وهو كتاب هداية وارشاد ، واعتبارٍ وعظة ، وليس كتاب تاريخٍ يسرد الحوادث كاملة ، وإنما يكتفي بالإشارة إلى مواضع العبرة من الحادثة ، حين يسوق خبرها ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أمم كانت تعيش في هذه الجزيرة في عصور قديمة منها :

ثَمُودُ : وقد ذُكرت في القرآن الكريم نحواً من ٢٦ مرة ، وكانت تسكن في الحِجْرِ ، الوادي الذي لايزال معروفاً شمال مدينة العُلا بما يقارب ٣٥ كيلاً ، ولاتزال آثار القوم بارزة هناك .

عَـادٌ : ورد ذكرها ٢٤ مرة وموطنها الأحقاف في الطرف الجنوبي من الرمال التي تعرف الآن باسم الربع الخالي ، في جنوب الجزيرة بالامتداد إلى بلاد حضرموت .

مَدْيَـنُ : ذكرت ١١ مرة في القرآن الكريم ، وبلادها ممتدةٌ على ساحل الطرف الشمالي من بحر القُلْزُمِ (البحر الأحمر) من شمال ميناء الوجه حتى نهاية الخليج فما بعده إلى سَيْناء ، وبلاد الشام ، وآثار هذه البلاد ــ مع بروز كثير منها ظاهراً ــ لاتزال بحاجة إلى الكشف والإبراز والدراسة .

سـبأ : أمة من العرب الباقية ، بلادها مأرب ، المعروفة شرق صنعاء بنحو ١٥٠ كيلاً ، وقد قام كثير من العلماء الأثريين من غربيين وعرب بزيارة تلك البلاد والاطلاع على آثارها ودراستها والكتابة عنها .

قوم تُبَّعٍ : ذُكِروا في القرآن الكريم بدون تسمية ، وتُبَّعُ واحد التبابعة وهم ملوك اليمن .

ومن البلاد التي ورد ذكرها في القرآم الكريم :

الأَحْقَافُ : وهي موطن عادٍ كما قال الله تعالى : ﴿ واذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ[١٠] ﴾ .

الأُخْدُودُ : قص الله نبأه في سورة (البروج[١١]) ، ولايزال اسم الموقع يطلق على مكان في نجران ، ومن أوفى من كتب عنه من المتأخرين فلبي[١٢] في فصل مطول عن نجران في كتابه عن مرتفعات « ARABIAN HIGH LANDS » بلاد العرب .

الأَيْكَةُ : ذُكرت في القرآن الكريم أربع مرات ، وسُميت في بعض القراءات (ليكة) باعتبار هذه الكلمة اسم مدينة ، وسبقت الإشارة إلى ذالك ، وأنها في بلاد مَدْين ، ومن الغربيين كَمُوزل وفلبي من حدد موقعها في وادٍ يتفرع من وادي عَفَال ، وهذا واقع فيما عرفه ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ من قوله : الأيكة من مَدْيَنَ إلى شَغْبٍ وبَدا ، وفي رواية أخرى : أنها من ساحل البحر إلى مَدْيَن[١٣] .

الْحِجْرُ : بلاد ثمود المتقدم ذكرهم ، قال جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ[١٤] ﴾ ولايزال معروفاً باسمه شمال (العُلا) بنحو (٣٠) كيلاً .

الرس : ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم في موضعين[١٥] ، وللمفسرين كلام كثير في تفسير (الرَّس) وعلى مايرى الإمامان الجليلان قتادة بن دعامة السدوسي وعكرمة مولى ابن عباس أنها الْفَلَج أي بلاد الأفلاج[١٦] المعروفة ، وهي بلاد ذات حضارة قديمة على ماذكر الهمداني[١٧] ، وعلى ما يبدو من آثار أفلاجها ــ أي أنهارها التي كانت جارية ويتوسع آخرون فيرون اسم (الرس) يشمل الجانب الشمالي من حضرموت إلى (الأفلاج) مع شمال شرق اليمن .

وهناك مواضع قديمة في الجزيرة ورد ذكرها في كتب قديمة كـ « العهد القديم » (التوارة) ومنها :

تَيْمَاءُ : البلدة المشهورة التي لاتزال قائمة ، وقد ورد ذكرها في التوارة[١٨] .

دَيْـدَانُ : ويطلق هذا الاسم قديماً على وادي القرى (العلا ونواحيها) وقد ورد اسم ديدان في التوارة أيضاً[١٩] .

حَـدَدُ : الجبل المُطل على تيماء ، المعروف الآن باسم (غُنَيْم) وقد عثر في قمته على آثار[٢٠] .

دُوْمَـة : وهي دُومة الجندل المدينة المعروفة[٢١] .

ومواضع أُخرى لا يتسع المجال لذكرها .

ب ـ السيرة النبوية :

تحوي سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام أخباراً تتعلق بالجزيرة وسكانها ، ذات أهمية من الناحية التاريخية ، ولقدم تدوينها تُعَدُّ من أوثق المصادر لاحتوائها على أخبار غزوات الرسول ﷺ وسراياه ، وكلها موجهة إلى قبائل في هذه البلاد ، كما تحوي أخبار الوفود من تلك القبائل الذين وفدوا عليه ﷺ في المدينة ، ولهذا فإن ما ألفه ابنُ إسحاق والواقديُّ وابنُ سعدٍ وابنُ هشام ومن عاصر هاؤلاء عن سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يُعَدُّ من أهم المصادر التاريخية لهذه البلاد ، ويضاف إلى هذا ماجرى في عهود الخلفاء الراشدين الأربعة من حوادث حروب الردة والفتوحات الإسلامية ، ثم ماحدث أثناء عهد الإمام علي بن أبي طالب من الفتن ، فجلُّ المشتركين في تلك الحروب والفتوحات والحوادث من أهل هذه البلاد .

جـ ـ المُدَوَّنُ من أخبار العرب قبل الإسلام وبعد ظهوره ، ومن أنساب القبائل وأشعارهم وحوادثهم المعروفة بأيام العرب .

١٠ ـ يَهِمُ من يتخيل علم النسب علماً جافًّا لا يعدو سرد أسماء الآباء والأجداد سرداً لايقوم على أساس من الصحة ، مع مايحدثه التشبث به من أسباب الفرقة في مجتمع الأمة ، والواقع ان علم النسب عند العرب كان من أقوى الروابط التي صانت كيانهم ـ في عهودهم القديمة ـ من التفرق والتمزق ثم الفناء ، وهو ـ من الناحية التاريخية النواة الأولى لتدوين تاريخهم ، إذ كانت الغاية

منه إبراز المآثر والمحامد بذكر النابهين والمبرزين في أي مجال حيوي نافع ، ومن ثَمَّ عُني علماء التاريخ بعلم الأنساب ، فاتخذوه أساساً ، فالبلاذري (أحمد بن يحيى ابن جابر البغدادي المتوفى سنة ٢٧٠) جعل كتابه الحافل الذي وصلت إلينا منه أجزاء سجلاً حافلا للتاريخ بحيث يمكن إفراد أجزاء منه في تراجم عظماء الأمة وهو كتاب « أنساب الأشراف » وعالم الحجاز في عصره الزبير بن بكار القرشي المتوفى سنة ٢٥٦هـ لما ألف كتابه « جمهرة نسب قريش » شحنه بالنصوص التاريخية والأشعار والأخبار العامة حتى قال له اسحاق بن ابراهيم الموصليُّ ـ أحد علماء ذالك العصر ـ : يا أبا عبدالله عملت كتاباً سميته كتاب النسب وهو كتاب الأخبار(٢٢) . وباستقراء ما أُلِّفَ في هذا الموضوع في عهود التدوين الأولى كمؤلفات هشام بن محمد بن الكلبي ومحمد بن حبيب وابن قتيبة ومن عاصرهم ، يجد الباحث مادةً غزيرة عن تاريخ هذه الجزيرة في صدر الإسلام وقبله .

١١ ـ تلك لمحات تتعلق بالأسس العامة لتاريخ الجزيرة ، أما بالنظر إلى مايتعلق بكل قطر من أقطارها من المصادر التاريخية فيحسن إدراك الاختلاف بين هذه الأقطار في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية :

أ ـ فالحجازُ قد اختصه الله بميزات انفرد بها عن غيره من أقطار العالم كلها ، فجعله مَقَرَّ بيته العظيم الذي فرض حجه ، ومهبط الوحي على رسوله الكريم ـ ﷺ ـ الذي أوجب طاعته ، فأصبح هذا القطر مهوَى الأفئدة ، ومطمح النفوس المؤمنة ، ومن ثَمَّ سارع المسلمون إلى الاهتمام به ، والعناية بمختلف شؤونه ، ورعاية سكانه ، وصيانة مافيه من المشاعر المقدسة ، وهذا يستلزم الاهتمام بمعرفتها معرفة تامة ، ومن هنا نشأ الاتجاه لتدوين التاريخ في هذا القطر الكريم ، امتداداً لما بدأ به المعنيون بالتأليف في السيرة النبوية في مواطنها الأولى .

ولعل من أقدم ماعرف في هذا العصر من أوائل المؤلفات المتعلقة بتاريخ هذا القطر : « أخبار المدينة » لابن شبة و« أخبار مكة » للأزرقي وللفاكهي ، والكتب الثلاثة مطبوعة ، إلا ان أولها وآخرهـا لم يصلا كاملين ، ونقص الأول كان معروفاً منذ عهد قديم ، أما الثاني فقد نسخ الكتاب كاملاً في مكة المكرمة

سنة سبع وسبعين وثمان مئة مما يبعث الأمل بالعثور على القسم المفقود منه ، وهو قسمه الأول ، وقد نُشر القسم الثاني في ستة أجزاء[٢٣] .

والفاكهي والأزرقي متعاصران عاشا في القرن الثالث الهجري ، ولكن كتاب الفاكهي أحفلُ بالمعلومات ، وكما وصفه مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي قائلاً[٢٤] : (وكتابه في أخبار مكة كتاب حسن جدًّا لكثرة مافيه من الفوائد النفيسة ، وفيه غُنْيَة عن كتاب الأزرقي ، وكتاب الأزرقي لا يغني عنه ، لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنة مفيدة جدًّا لم يذكرها الأزرقي ، وأفاد في المعنى الذي ذكره الأزرقي أشياء كثيرة لم يُفِدْهَا الأزرقي) . وقول الفاسي هذا لا ينفي كون الفاكهي أطلع على كتاب الأزرقي فاقتبس منه ، فقد عاش سنين بعد وفاة الأزرقي ، وهما من بلدة واحدة ، وتبرز عند الفاكهي حاسَّةُ المؤرخ ، يبدو هذا باهتمامه بنقل بعض مايشاهد من الآثار ، فقد ذكر أنَّ أمير مكة علي بن الحسن أمر الحَجَبَة في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ومئتين بحمل مقام إبراهيم إلى دار الإمارة لِيُرَكَّبَ فوقه طوقان من الفضة ، وأنه كان ممن شاهد إحضاره ، فرأى في جوانب المقام كلها خطوطاً وصفها وحدد قياسها وقال : وإذا فيه كتاب بالعبرانية ـ ويقال بالحِمْيَرِيَّةِ ـ وهو الكتاب الذي وجدته قريش في الجاهلية ، فأخذتُ ذالك الكتاب من المقام بيدي (يقصد نقلته) وحكيته كما كان مخطوطاً فيه ، ولم آل جهدي ، وهو الذي خططته الآن ، ثم رسم صورة مانقل ، وذكر أنه عرض تلك الكتابة على إنسان سماه كان يقرأ الكتابة التي على الأحجار في مصر (البرابي) منذ ثلاثين سنة وأنه فسره بتفسير جاء فيه : إن السطر الثالث (اصباوت) وهو اسم الله الأعظم ثم نقل عن تفسير سُنَيْدٍ في معنى الكلمة المذكورة تأييداً لما ذكر ، ونقل عن شيخه علي بن زيد الفرائضي أنَّ الكتاب الذي في المقام بالحِمْيَرِيَّةِ[٢٥] ، وقد اطلعت على دراسة لأحد المعنيين[٢٦] بالدراسات التاريخية عن تلك الكتابة المصورة في كتاب الفاكهي في إحدى المجلات تُؤيد ماذكره الفاكهي .

ولا يتسع المجال للحديث عما أُلف عن البلد الأمين ، فقد اتصلت حلقات التاريخ إلى عهدنا الحاضر ، ومن أبرز مؤرخيه تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي

(٧٧٥/٨٣٢) وأشهر مؤلفاته « العقد الثمين » و« شفاء الغرام » ، ثم أتى من بعده آل فهد علماءُ مكة بمؤلفاتهم المشهورة[٢٧] ، وتلاهم قطب الدين النهروالي ، ثم من بعده من العلماء كان آخرهم صديقنا الأستاذ أحمد بن محمد السباعي ــ رحمه الله ــ مؤلف كتاب « تاريخ مكة » الذي حاول أن يُلَخِّصَ فيه مُجْمَلَ تاريخ هذه البلدة الطيبة بأسلوب حديث فجاء جامعاً شاملاً .

أما عن تاريخ المدينة المنورة فلم يكن الاهتمام به بأقلَّ من الاهتمام بتاريخ مكة المكرمة ، إلا أن مؤلفات متقدمي المؤرخين كعبدالعزيز بن عمران الزهري ، ومحمد بن الحسن بن زبالة ، ويحيى الحسني ، وعمر بن شبة ، لم يصل إلينا منها سوى قسم من كتاب ابن شبة « أخبار المدينة »[٢٨] وتبعهم علماء آخرون في التأليف عن تاريخ المدينة ممن يطول الحديث عنهم ، إلا أن السيد علي بن عبدالله السمهودي (٨٤٤/ ٩١٠) في القرن التاسع حاول أن يلخص جل مؤلفات من قبله في كتابه « وفاء الوفاء » أحفل كتابٍ وصل إلينا عن تاريخ المدينة في خلال تسعة قرون ، إلا ما يتعلق بتراجم علمائها فقد حاول المؤرخ محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ أن يكمل هذا الجانب فألف كتاب « التحفة اللطيفة » يحوي تراجم مشاهير أهلها . وعُني علماء آخرون إلى عهدنا بالتأليف عن تاريخ هذه البلدة الطيبة .

وكتب الرحلات من أغزر الروافد التاريخية ، وللحرمين الشريفين منها أوفر نصيب في مختلف العصور ، ولئن كانت المؤلفات التاريخية تُعنى بجوانب خاصة محددة فإنَّ مباحث الرحلات عامة شاملة ، تتناول النواحي التاريخية والجغرافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأثرية ، ولهذا فهي تُمِدُّ مختلف الباحثين بمعلومات غزيرة ، ولو ساغ لي الاقتراح لتمنيت على جامعة (أم القرى) جمع ما تستطيع جمعه منها ــ وفي الخزانة العامة في الرباط في المغرب منها ماليس في غيرها[٢٩] ــ ثم تكل إلى المعنيين بالدراسات التاريخية من طلابها بتوجيه الأساتذة دراسة تلك الرحلات وترتيب مافيها من معلومات حسب موضوعاتها وعصورها ، ثم تُهَيِّءُ ذالك للدارسين .

ب ــ اليمن : وهو موطن حضارة قديمة ، ومستقر حكومات منظمة ، وفي

خصوبة أرضه واعتدال جوه ، ووفرة مياهه في القديم ما هيأ لسكانه الاستقرار والاستمرار في حياة هناءة ورغد ، ومثل هذه الحالة تتيح الجو المناسب لانتشار العلم ووفرة العلماء ، وهكذا كانت الحال في هذه البلاد ، فقد عُرف فيها منذ عهدها القديم علماء في مختلف الفنون ، ومنهم من عُني بتاريخ بلادهم ومن أشهرهم لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٢٨٠/٣٥٥ تقريباً) صاحب كتاب « الأكليل » و« صفة جزيرة العرب » و « الجوهرتين » ولولا أن العصبية القبلية برز أثرها في بعض مؤلفات هذا العالم لحاز قصب السبق بين مؤرخي هذه البلاد لاهتمامه بالآثار اهتماماً حمله على تخصيص جزءين من كتابه « الأكليل » لها ، هما الثامن عن محافد حِمْير ، وقصورها ، وفيه رسم حروف المسند ، والتاسع عن أمثال حِمْيَرَ وحِكَمِهَا بِلُغَتِهَا ، وهذا من الأجزاء المفقودة ، مع أنه برز على غيره بمعلوماته الجغرافية . ومن علماء اليمن نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ وهو عالم حذا حذو الهمداني في إحياء المآثر القديمة . أما التاريخ الإسلامي فقد عني به علماء آخرون متأخرو العصر ، لهم مؤلفات كثيرة لعل من أشهرها كتاب « غاية الأماني في أخبار القطر اليماني » للعلامة يحيى بن الحسين بن القاسم (١٠٣٥/١١٠٠) وهناك مؤلفات أخرى عن هذا القطر كان من آخرها مؤلفات الأمام الشوكاني والسيد محمد زبارة أحد العلماء المعاصرين بحيث اتصلت حلقات هذا التاريخ في العهد الإسلامي .

جـ ــ تِهَــامة : ونشأ في تهامة حكومات آزرت العلم والعلماء ، واهتمت بالتأليف في مختلف العلوم ، وكانت مدينة زبيد من أشهر المدن العلمية ، لا في تهامة وحدها بل في الجزيرة كلها ، حيث خرج منها عدد من مشاهير العلماء ، ومن أشهر علماء تهامة عمارة بن الحسن الحكمي الشاعر المتوفى سنة ٥٦٩ صاحب كتاب « المفيد في أخبار زبيد » وعلي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ مؤلف كتابي « العسجد المسبوك » و « العقوداللؤلؤية » ومن بعده عبدالرحمن بن علي الدَّيْبَع المتوفى سنة ٩٤٤ الذي أفرغ جهده في تصديه لتدوين التاريخ عن زبيد وعن اليمن بصفة عامة في مؤلفات نشر أكثرها . ووجد في تهامة أيضاً علماء في المخلاف السليماني في بلدة ضَمَد ونواحيها من آل الضَّمَدي وآل البهكلي وغيرهم ، لهم مؤلفات عن المخلاف السليماني معروفة ، وخلفهم علماء ساروا على نهجهم الى

هذا العهد آخرهم صديقنا الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي مؤلف كتاب « تاريخ المخلاف السليماني » .

د ــ أما في عُمان فبسبب انعزال هذه البلاد وبعدها عن الاتصال بالأقطار الإسلامية الأخرى صرف علماؤها جُلَّ جهدهم في التأليف الديني ، فيما يتعلق بمذهب الإمام عبدالله بن إباض ، وكانت عنايتهم بالجانب التاريخي محدودة ، ولعلَّ كتاب « تحفة الأعيان في سيرة أهل عُمان » للشيخ عبدالله بن حميد السالمي المتوفى سنة ١٣٣٢ هو أشهر ماعرف من مؤلفات أهل هذا القطر وأشملها في تاريخه ، ومؤلفه من أعيان أئمة الإباضية .

هـ ــ ولصلة شرق الجزيرة وهو مايعرف قديماً باسم (البحرين) وحديثاً (المنطقة الشرقية) بما يجاورها من البلاد فقد قام في هذا القطر حكومات متعاقبة إلا أنها لضعفها ولقصر أزمنتها لم يكن لها من الناحية العلمية من الآثار ماهو باقٍ وواضح الآن ، وقد كانت لصلة هذا القطر بالبلاد المجاورة له بحيث امتد نفوذ بعض الدول التي حكمت تلك البلاد مادفع مؤرخيها لإيراد اشارات تاريخية موجزة عن تاريخه ، ففي هذه اللمحات الموجزة مع ماورد في المؤلفات التاريخية العامة عن الدول الإسلامية من نصوص متعلقة بالحكومات التي قامت في هذا القطر من مواد تاريخية ما لو جمع ودرس لاستفاد منه الباحثون .

و ــ أما عن قلب الجزيرة وجوانبها التي لم يرد لها ذكر ــ فإنَّ نمط الحياة بين السكان يختلف عن غيره في الأقطار التي تهيأ لها من وسائل الحياة ما كفل لها الاستقرار ، فكان اؤلئك السكان وخاصة في العصور التي انتقلت فيها قاعدة الخلافة من المدينة المنورة إلى دمشق ثم بغداد ــ في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار ، إذ لم يسبق لهم الانْضِواءُ تحت حكم منظم ، ولم تمتدَّ أيدي الاصلاح القوية لتطوير شؤون الإدارة داخل البلاد ، بل وقف الأمر عند حد انقياد اؤلئك السكان في عهد الرسالة ، انقياداً ما لبث أن تغير بعد وفاة الرسول ﷺ حتى أخضعهم بالقوة خَلِيفَتُهُ الصديق ، ثم من بعده من الخلفاء الراشدين ، ولما ضعفت الخلافة الإسلامية ، وانكمش نفوذها عن الجزيرة ، عادت حالة هذه البلاد إلى سابق عهدها ، ولهذا لم يعرف خلال القرون التي مَرَّتْ بعد عهد الخلفاء

إلى القرن العاشر الهجري ــ لم يعرف بها عالم ذو أثرٍ باق ، باستثناء عالمين أحدهما محمد بن إدريس بن أبي حفصة ، من أهل القرن الثالث الهجري ــ وهومن أسرة من الموالي انتقلت من المدينة في عهد عبدالملك بن مروان إلى اليمامة ، فاستقرت في نواحي الخرج ــ عُرف لمحمد هذا كتابٌ كان من مصادر ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » سماه « مناهل اليمامة[٣٠] » وفي موضع آخر « مناهل العرب[٣١] » وفي موضع ثالث « اليمامة[٣٢] » وهذا الكتاب مخصص لتحديد مواقع قرى اليمامة وعيونها وطرقها وأماكنها المشهورة ، وقد نقل عنه ياقوت فأكثر النقل[٣٣] .

والثاني أبو علي هارون بن زكريا الهجري الذي تصدى في القرن الثالث لتدوين علوم عرب الجزيرة من لغة وشعر ونسب وتحديد مواضع وغير ذالك ، مما لم يسبق إليه ، ولعله لّما لم يستطع التنقل بين تلك القبائل لنقل معارفها اختار العيش في كنف أُمراء المدينة ، فاتخذ في عقيقها منزلاً حيث مضارب الوافدين إليها ، للاجتماع بهم وكتابة معارفهم ، ومع ذالك فقد جمع في مؤلفه العظيم « النوادر والتعليقات » مالم يجمعه غيره[٣٤] .

وإن الأسى ليكاد يعصر القلب بتصور كثافة الجهل المخيم على هذه البلاد طيلة عشرة قرون ، بحيث أصبحت في معزل عن العالم ، ولو غامر مغامر من غير أهلها باجتيازها لقل أن تكتب له السلامة ، كما حدث لذلك الرحالة الفارسي[٣٥] الجريءِ الذي سُلب منه أثناء رحلته ما معه سوى أنفس شيءٍ يحمله وهو حمل كتب ، وانقطع في بلدة الأفلاج خمسة شهور .

١٣ ــ وبدت تباشير الأمل تلوح من هذا الوادي الذي وصف الله أهله بأنهم أولوا بأس شديد[٣٦] ، فقامت الدولة السعودية الميمونة بمؤازرة الدعوة السلفية ، ونشرها في ربوع الجزيرة في منتصف القرن الثاني عشر ، ومع ما اعترى انتشارها من تَعَثُّرٍ ، وما لقيت من شدة عداوة ، وضراوة في محاربتها ، إلا أن الله كتب لها البقاء والاستمرار ، حتى تمكن موحد البلاد ــ بتوفيق الله ــ من أن يجمع أقطارها تحت لواء واحد ، فلمَّ شتاتها ، ووحَّد كلمتها ، وصان حوزتها ، وسار أبناؤه الميامين ، على نهجه الحميد في البناء وتوطيد الأمن ، ثم بإرساء قواعد الإصلاح

والعدل ، وفي نشر العلم ، حتى بلغت من ذالك ماهي عليه الآن في جميع مرافق حياتها .

والله المسؤول أن يديم لها ما تتمتع به من رخاء وازدهار وأمن وأمان ، وأن يحوطها برعايته وحفظه ، وأن يُمِدَّ قادتها وولاة أمورها بالتوفيق والصلاح .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

(١) الآيات : ٧٩/٧٤ .

(٢) الاسم (قرية) وأضيف إلى الفاو لوقوعها في مدخل (فا..) أي فج يخترق جبل العارض (طويق الجنوبي) والفاو ــ لغة ــ الصدع بين الجبلين ، وأول من لفت النظر إلى ماقي (قرية) من الآثار الهمداني فقد قال في « صفة جزيرة العرب » في وصف طريق نجران ص ٢٦٦ طبعة ١٤٠٣هـ : (فان تيامنت ماءاً عاديا يسمى قرية ، إلى جنب آبار عادية ، وكنيسة منحوتة في الصخر) . انتهى ، والعادي القديم المنسوب إلى عاد ، الأمة القديمة .

(٣) انظر عن (الربذة) وآثارها كتاب « الربذة » تأليف الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد من منشورات جامعة الملك سعود .

(٤) انظر عن آثار (ثاج) « مجلة العرب » س ٢ ص ٦٢٩ و « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » قسم (المنطقة الشرقية) ج ١ ص ٣٠٧ ومابعدها .

(٥) « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » ص ١٣٩ ، ومأسل جبل في منطقة العرض (عرض شمام قديماً) وعرض القويعية الآن .

(٦) مجلة « العرب » س ٩ ص ٦٣٠ .

(٧) انظر عن هذا الحجر « في شمال غرب الجزيرة » ٣٥٧ .

(٨) شارل هوبر Charles Huber زارها سنة ١٨٨٤ وتحدث عن زيارته في مجلد ضخم صفحاته (٧٨٠) طبع في باريس سنة ١٨٨٨ باسم Journal d, um uoyage en Arabia وانظر عن هوبر : « في شمال غرب الجزيرة » ٣٥٧/٣٥٢ .

(٩) حاولت أثناء تعليقي على كتاب الدكتور كمال صليبي « التوراة جاءت من جزيرة العرب » ــ حاولت معرفة جانب أثري عن أماكن في جنوب المملكة زعمها الدكتور الصليبي قديمة فلم أجد لدى الجهة المعنية بالآثار التي اتصلت بها مايفيد .

(١٠) سورة الأحقاف ، الآية الـ (٢١) .

(١١) الآية الـ (٤) .

(١٢) في كتابه « مرتفعات بلاد العرب » « ARABIAN HIGH LANDS » .

(١٤) سورة الحجر الآية الـ (٨٠) .

(١٥) سورة الفرقان الآية الـ (٣٨) .

(١٦) « جامع البيان في تفسير القرآن » للطبري ج ١٩ ص ١٤ طبعة الحلبي .

(١٧) « صفة جزيرة العرب » ٣٠٤ ط دار اليمامة .

(١٨) سفر التكوين ٤/٢٥ وسفر أشعيا ١١/٢١ وسفر أرميا ٢٣/٢٥ .

(١٩) سفر أرميا ٢٣/٢٥ .

العرب ومستقبل (افريقيا)

لقد شاء الله لي أنْ أتجولَ في (افريقيا) عدة جولات رسمية وخاصة ــ وآخرها في أول شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ ــ ولقد وجدت في ذالك متعةً كبيرةً ، خصوصاً وأنا التقي بمجموعة من الأشقاء الأفارقة من المسلمين ، وبعض رجال الفكر والمثقفين ، ولكني في رحلتي الأخيرة هذه التي قُمتُ بها لتتبع نشاط بعض الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في بعض الدول الافريقية ، وخاصة في (تنزانيا) و (زيمبابوي) و (ملاوي) و (كينيا) ومن قبلها (غينيا) و (غانا) و (نيجيريا) و (السنغال) شعرت خلال جولتي الأخيرة بقلق شديد ، وتملكني شعور بالخوف على مستقبل الإسلام في (افريقيا) ، وذالك لأنني شعرت بأن العرب قد بدأوا ينسحبون من (افريقيا) في وقت غير ملائم بأي شكل من الأشكال ، ومما يؤسفني انهم ينسحبون ولا يدركون انهم ينسحبون .

فبعد ذالك الماضي المجيد في (افريقيا) وبعد تلك الشمس المشرقة التي

---

(٢٠) « قاموس الكتاب المقدس » ٣٦/١ ورد ذكره في « التوراة » مرة أخرى باسم (حدار) محرفاً .

(٢١) ذكرت في سفر التكوين ١٤/٢٥ وسفر أشعيا ١١/٢١ .

(٢٢) « تاريخ بغداد » ٤٦٨/٨ .

(٢٣) تحقيق الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش وانظر عن كتاب الفاكهي « العرب » س ٨ ص ٨٠١ إلى ٨٥٣ .

(٢٤) « العقد الثمين » ٤١٠/١ .

(٢٥) « أخبار مكة » ٤٧٨/١ إلى ٤٨٠ وصورة الكتابة ص ٨٦ في مقدمة القسم .

(٢٦) وهو الأستاذ م.ج. كستر M. J. Kister باللغة الانجليزية .

(٢٧) انظر عنهم « العرب » س ١٠ ص ٩٠٨ إلى ٩٤١ .

(٢٨) انظر عنه « العرب » س ١٨ ص ٢٨٩ وس ١٩ ص ٥٨٩ وقد نشره السيد حبيب محمود أحمد .

(٢٩) تحدثت عن كثير من تلك الرحلات في مجلة « العرب » .

(٣٠) « معجم البلدان » رسم (روض القطا) .

(٣١) مقدمة « معجم البلدان » .

(٣٢) « معجم البلدان » رسم (الخارجة) .

(٣٣) انظر ذالك في « العرب » ٧٧٣/١ .

(٣٤) الفت عن هذا العالم المغمور كتاباً معروفاً اغار عليه أحدهم فاختلس آرائي وادعاها ف (تدكتر) .

(٣٥) هو ناصر خسرو ورحلته معروفة .

(٣٦) سورة الفتح الآية الـ (١٦) على تفسير ثلاثة من كبار علماء التابعين : الزهري وسعيد بن جبير وعكرمة « جامع البيان » للطبري ط الحلبي ج ٨٣/٢٦ .

سطعت على القارة الافريقية فأضاءتها بنور الإسلام . . . وبعد ذالك التفاعل الحضاري بين العرب و (افريقيا) ، نُحس اليوم بأن القارة تنسحب مبتعدة عنا ، وأهلها ينفرون منا ، ومما يؤسف أن المسألة تتم بأيدينا لا بأيدي أعدائنا ، فنحن نهمل (افريقيا) ، ونهمل أشِقَّاءنَا هناك ، ونغفل عن دورنا ونتعامل مع الأفارقة بسلبية عجيبة ، وغفلة حتى عن مصالحنا الذاتية .

كل شيء بيننا وبينهم قد ضعف واضمحل ، وكل الجهود التي بذلها الرجال المخلصون ممن سبقونا إلى هناك أخذت تضيع هباءً ، وتذهب أدراج الرياح ، وفي هذا الوقت بالذات أخذت تتقدم القوى التنصيرية نحو (افريقيا) وتبدأ برامجها بفعالية ، ويشمر أبناؤها عن سواعدهم لدحر الثقافة العربية الإسلامية ، ومحاولة القضاء على العقيدة الإسلامية في تلك البلدان ، ويستخدمون في سبيل ذالك كل إمكاناتهم المادية والبشرية ، ويعملون بصدق ومسؤولية وإخلاص ، فقد أصبحنا نشاهد آلافاً مؤلفة من المبشرين والمنصرين يتجولون في عواصم الدول الافريقية وقراها بل وحتى في غاباتها ، ويتحملون كل أنواع التعب والجوع والأمراض في سبيل الاتصال بهذه الشعوب والعناية بها ورعاية ابنائها وتعليمهم . كما سخروا إمكاناتهم الإعلامية والثقافية نحو هذه القارة ولم ييأسوا ولم يَتَوَانَوْا ، واستمروا في حملات متواصلة ، وقد نجحوا في آخر الأمر ، في إرساء قواعد صَغُرَتْ أم كبرت ، المهم أنهم حققوا الأهداف الأولى التي يخططون بها للانتقال إلى أهداف أكبر وأوسع ، وهي اجتثاث جذور الثقافة العربية والإسلامية من هذه القارة ، وتغريبها أو كما قال زويمر : (لا يهمني إدخال هاؤلاء في المسيحية بقدر ما يهمني إخراجهم من الإسلام) وهذا يصدق على كثير من الحركات التنصيرية التي توجهت بشراسة نحو اجتثاث العقيدة الإسلامية من نفوس الأفارقة .

ولكن هذا ماقاموا ويقومون به ــ اخلاصاً لدينهم ولعقيدتهم التي يعتقدونها ــ فماذا فعلنا نحن حتى في مقابل هذا الغزو ؟ وماذا فعلنا لنعين هاؤلاء الأشقاء في المحافظة على دينهم وعقيدتهم ؟

إن هذه المؤسسات المسيحية تفتح في كل يوم مئات المدارس ، وتبني مئات

الكنائس ، وتُعْنَى بالتعليم والتمريض ، وتنفق في سبيل ذالك في العام الواحد فقط خمسة بلايين دولار سنوياً في افريقيا ، وتطبع سنوياً ٥٠ مليون نسخة من الانجيل ولها (١٦٢٠) إذاعة تختص بنشر الانجيل فقط ، وجمعت لها من المستمعين مايزيد على ٥٠٠ مليون مستمع ، في وقت يستحي فيه الإنسان ان يذكر عدد إذاعاتنا المهتمة بنشر الدعوة الإسلامية ، والثقافة العربية ، والتي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة وبفعالية لا يعلمها إلا الله ، إذ يذيع هاؤلاء المنصرون بلغات مختلفة محلية ، يخاطبون فيها الافريقي بكل لغة محلية ، ويحرصون على الوصول إليه واختيار ماينا سبه من كلام أو لحن أو مغريات ، ويذيعون في أوقات مناسبة لهم ، ويتجهون إلى تجمعاتهم في وقت تذيع فيه بعض إذاعاتنا برامجها والناس نيام في المناطق التي توجه إليهم ، إنها (الفعالية) وهاؤلاء القوم جادُّون في اجتثاث جذور الإسلام من العالم ، ولكنهم أحرص مايكونون عليه في افريقيا .

إن الإفريقي المسلم أصبح في حيرة من أمره اليوم ، ومن أمر مستقبله ومستقبل أبنائه ، فقد نجح الغرب في فرض (علمانيته) على الدول الافريقية ، وجعل (الدين لله والوطن للجميع) وتحت هذا الشعار شمر الغرب المسيحي عن سواعده ، وأخذ يتوسع في بناء المؤسسات التعليمية التي لا يقبل فيها إلا أبناء المسيحيين ، أو من يتقبل أن يدرس الدين المسيحي ، وكثّف جهوده حتى حرم أبناء المسلمين من الدخول إلى الجامعات ، وبالتالي قفل أمام المسلمين فرصة المشاركة في إدارة شؤون الحياة والبلاد ، وعزلهم ليكونوا في زمرة المتخلفين والرعاع ، وجعل الصفوة من المتعلمين الذين يتخرجون في مؤسساتهم المسيحية هم الذين يملكون زمام البلاد في وقت غابت فيه الدول العربية والإسلامية ، واضمحل دورها وأصبحت محدودة (الفعالية) ليس لها إلا مراكز ومساجد بسيطة لا تسمن ولا تغني من جوع ، والحمد لله على أي حال ، أن هذه المراكز على ضعفها أبقت على جذوة الإسلام في نفوس الأفارقة ولو أنَّ الفضل في ذالك ليس لهذه المراكز ، ولكنه لله عز وجل ثم لإخلاص هاؤلاء الأفارقة المسلمين الذين يعضون على دينهم بالنواجذ .

←

كلمة في (القُحيف)

رأيتُ شيخنا العلامة الجاسر يُعنى بالقُحيف (الخفاجي العُقيلي الكعبي العامري) عناية فائقةً ، فوقفت مُتأثِّراً خُطاه ، وقد نشر في مجلة «العرب» (ج ٩/١٠ س ٢٣ ـ الربيعان ١٤٠٩هـ) «شعر القحيف العقيلي» للدكتور حاتم صالح الضامن ، و«المجموع من شعر القحيف» للدكتور شاكر الفحام ، فقرأت المنشور فكانت هذه الكلمة من الملاحظات سعياً إلى الكمال الممكن ، بالتعاون المثمر ، ومثل هذا السعي يدعو إلى التنبيه على كل ما يتبادر إلى الذهن حتى ماكان خطأ مطبعيا منه ، أو كان هاجساً يمكن أن يؤدي النقاش فيه إلى الصواب .

وهذه هي الملاحظات ، وفي كثير منها مايخرج عن دائرة المحقق ، وشرائط التحقيق إلى ماهو أوسع في شؤون اللغة والدراسة وتقليب الوجوه والاستحسان :

١ ـ جاء في مقدمة الدكتور الضامن (ص ٦٠٣) : القحيف في مجاورته لِامرأةٍ من عَبْسٍ ، وقد أقام عندها شهراً وهام بها عشقاً .

والصحيح : جاور بني عبس وأقام عندهم شهراً ـ والخطأ مطبعي بدليل وروده صحيحاً (ص ٦٠٨) .

٢ ـ يُكْثِرُ الدكتور الضامن ، في مقدمته من : القوم وقومه ، وهو يريد القبيلة وقبيلته وقصده سليمٌ ولكن الخشية أن يذهب القاريُ المعاصر إلى شيء مما عرف

→ لقد أحسستُ وأنا أتجول في هذه الديار أنَّ خطراً كبيراً وعميقاً قد احدق بالأشقاء من المسلمين في افريقيا ، وقد أحدق بنا كذالك فهاؤلاء إخوتنا وهم عمقنا وهم عزوتنا ، وإذا لم نساعدهم لوجه الله تعالى ، وإذا لم نُؤَدِّ واجب الإسلام فَلْنُؤَدِّ الواجبَ نحو أنفسنا ومستقبلنا ومصيرنا ، وإلا فسنقف أمام الله يسألنا عن هذا الإهمال ، وهذا الإعراض وهذا الضياع . وقد نُؤكَلُ كما أُكِلَ الثور الأحمر . . . .

محمد عبده يماني

بالقومية .

والدكتور الضامن نفسه يقول (ص ٦٠٦) : وعندما كانت تتصاعد في نفسه سَورة الفخر ، وتعلو همته قدرات الاعتزاز ، كان شعره يأخذ اتجاهاً قومياً حادًّا .

والقحيف عُقيلي يحارب حنيفةَ ، ويتشفى بقتلها . . والقبيلتان عربيتان من قومية واحدة في المصطلح المعاصر أو الحديث . . .

٣ ــ جاء في سياق مابقي من شعره (ص ٦١١) المقطوعة الرابعة :

لقد مَنَعَ الفرائضَ عن عُقَيْل بطعن تحت ألوية وضَرْبِ
ترى منه المُصَدِّقَ يوم وافى أطلَّ على معاشره بصَلْبِ

وقد جاء في « الأغاني » ٢٤/٨٩ ، وقال أيضاً : ويروى لنجدة الخفاجي . وتحسن هنا الإشارة إلى اختلاف النسب ، تحسن أو تجب . وقد فعل المحقق ولكنه جعل الإشارة في الحاشية ، وفي هذا ماقد يضيع حقيقة على القارئ .

٤ ــ جاء البيت (ص ٦١٢) :

تَحَمَّلْنَ من بَطْنِ الخُنُوَقةِ بَعْدَما جَرى للثُّريا بالأعَاصِرِ بَارِحُ

على أنه (١٠ أ) تليه (١٠ ب) وقافيتها : (أرْوَحُ) ، مربحُ ــ على أن (أ) و (ب) وردتا في المصادر متفرقتين وهما في الأصل من قصيدة واحدة .

ولا يمكن أن تكون (بارح) و (أرْوَحُ) رويًّا واحداً وقافية واحدة في قصيدة واحدة .

والأولى أن يكون البيت (١٠ أ) = (٩ ب) أي أن يُعد تابعاً للمقطوعة السابقة عليه بالقوافي : روائح ، صائح ، مائح ، إذا كان لابد من الإلحاق :

٥ ــ في المقطوعة (١٧) ــ (ص ٦١٤) :

طلبتكَ ماطلبتكُ أُمَّ عمرو ولم يعلم علينا الناس عارا

ورد البيت الخامس هكذا :

ولولا أنتِ مانظرتَ زِرَنْجمٌ إليَّ ولا اعترفتُ لها منارا

ولا يستقيم البيت إلا بلفظِهِ هكذا :

ولـولا أنتِ مـا نَـظَرتْ زَرَنْجَمْ ....

ولا معنى لهذا ، وكان المناسب الإخبار عن ذالك ، فقد يحثُّ الشكُّ قارئاً على البحث عن الرواية الصحيحة .

٦ ـ ورد البيت من المقطوعة (القصيدة) الـ (٢٠) ـ (ص ٦١٥) :

عُقَيـلٌ تـغـتري وبنـو قـشـيـر تـوارى عن سواعـدها الـدروع

ويدلنا الشرح (ص ٦٢٠) على أن (تغتري) خطأ مطبعي ، صحيحه (تعتزي : تقصد) قلت : لعلها (تعتزي) بمعنى تعزو نفسها إلى عُقيل فخراً بهم أو بشعارهم ، هو افتراض قد يؤيده مانص عليه محققو « الأغاني » حين ورد في نسختين : تعتزي ، وإلاَّ فقد يَرَى راءٍ في (تغتزي) معنى تغزو .

٧ ـ جاء عن المقطوعة (القصيدة) (٢٣) (ص ٦١٥) :

ديـارُ الْحَيِّ تضـربُهـا الـطِّلالُ من الخافي بها أهـلٌ ومالُ . . .

جاء : أن أبياتها عدا السادس والسابع في « طبقات فحول الشعراء » . ولو رجعنا إلى « طبقات فحول الشعراء » وجدنا المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر قد وضع البيتين :

نقود الخيل . . .

تكاد الجن . . .

ـ وهما الخامس عشر والسادس عشر في « المجموع » ـ بين عضادتين بمعنى أنهما لم يكونا أصلاً في « الطبقات » التي بين يديه ، وإنما زادهما عن مصادر أخرى .

٨ ـ وورد البيت العشرون (ص ٦١٦) من القصيدة نفسها :

فـلما جُخْـدِلَـتْ مثـانِ منهـم وفـرَّ حنـانُهُمْ عنهـم فَـزالـوا

وشرح (حنانُهم) (ص ٦٢١) ، الحنان : أراد رئيس القوم الذي يلوذون به .

وكان المناسب أن يذكر أنَّ (حَنَانَهُمْ) هذه و(شرحها) من تصرف الأستاذ المحقق محمود محمد شاكر ، لأن الذي ورد في إحدى مخطوطتي « طبقات الشعراء » (وفَرَّ جَبَانُهم) وفي الثانية (جنانهم) ولم ير الأستاذ شاكر (فَرَّ جبانهم) مناسبة قال : (جبانهم) لا تصح و (جَنَانهم) بفتح الجيم الجنان ، جنان الناس : أي معظمهم وكثرتهم ودهماؤهم . وآثرت ما أثبتُّ) !

٩ ـ البيتان (٣١) ـ (ص ٢٨) :

لقد لَقِيَتْ أفناءُ بكرِ بنِ وائلٍ وهِـزَّانَ بالْبـطحاءِ ضربـا غشمشا
إذا مـا غَضِبْنَـا غَضْبَـةً مُضَـرِيَّـةً هتكنا حجابَ الشمس أو قَطَرتْ دما

أ ـ غشمشا : خطأ مطبعي صحيحه لدى شرح الكلمة (ص ٦٢١) والرجوع إلى مصادر البيتين : غشمشا .

ب ـ وقال عن البيت الثاني : قال الآمدي : أخذ هذا البيت بَشَّارُ فأدخله في قصيدته ، يريد الآمدي في « المؤتلف والمختلف » كما تشير مصادر المقطوعة ، وربما حسن أن يذكر اسم كتاب الآمدي « المؤتلف والمختلف » لدى التعليق ، خشية أن يذهب ظنُّ القاريءِ إلى أشهر كتبه لديه وهو « الموازنة » . حسن فقط .

١٠ ـ بعد تسلسل القوافي : ل ، م ، جاءت المقطوعة : (٣٤) ـ (ص ٦١٨) رضاها ، صفاها ، مناها ، منتهاها ، ثم المقطوعة (٣٥) ـ (ص ٦١٨) : فتاها ، لحاها ، وَجَاها ، على مايفهم أنهما هائيتان ، وهما أَلِفِيَّتانِ (ملحقتان بهاء . . .) .

١١ ـ وجاءت المقطوعة (٣٦) ـ (ص ٦١٩) : ما يَهوى ، ما يُروى ، على ماقد يُفْهم أنها يائية لورودها متأخرة ، وقد يرى راءٍ أنها ألفية ـ الألف المقصورة ـ .

والأصل في الألف أن تتبع قافية الهمزة أو تسبقها أحياناً ، وربما يجيء التأخير

تبعاً لنظام المعجمات التي تؤخر هذه الألفات على أن أساسها الواء والياء .

١٢ ــ لو اطلع الدكتور الضامن على ملاحظات الدكتور الفحام لأسقط البيت (٣٠) :

فلولا السَّـرِيُّ الهـاشميُّ وسيفُـهُ أعادَ عُبيدُ الله يوما على عُكْلِ

فقد أثبت أنه لنوح بن جرير بن عطية بن الْخَطَفى ، وقد نقله الضامن عن الجاسر عن كرنكو .

ومثله بيتان ميميان يؤلفان المقطوعة (٣٣) قال الدكتور الفحام : إنهما لرجل من حنيفة ، وذكر مصادره وقد أخذهما الضامن عن الجاسر عن كرنكو .

وذكر الدكتور الفحام ــ كذالك ــ أن البيتين في المقطوعة (٣١) يرويان كذالك لرجل من بني هزان . ولابأس في أن يفيد الدكتور الضامن من ملاحظة الدكتور الفحام (ص ٦٣٣) فيشير إلى الاختلاف في نسب اللامية ــ ولو إشارة فقط .

١٣ ــ تبقى ملاحظات تتصل بقواعد الشكل لدى التحقيق . فمناسب أن نكسر الراء من (لا تعرِضوا) (ص ٦١٠) ، ونَضم العين من عُقَابها (ونشرحها فهي الراية) ونفتح الثاء من ثَمُّ (ص ٦١٢) والعين من العَفاف (ص ٦١٤) . . ونفتح الحاء والدال من الحَدَثان (ص ٦١٤) .

أما (ركابُ) الواردة (ص ٦١٩) بضمة واحدة على الباء فصحيحها بضمتين ــ ويمكن أن يعود الخطأ إلى المطبعة ومثلها (ربوع) (ص ٦١٤) . ووردت (لِجي) (ص ٦١٦) بكسر اللام وهي تكسر وتضم .

١٤ ــ في المقطوعة (١٤) ــ (ص ٦١٣) :

سقى فَلَجَ الأَفْلَاجِ من كل قُمَّةٍ ذِهَـابٌ تُـرَوِّيْـهِ دِمَـاثـا وقُـوَّدَا

جاءت (قُمة) بضم القاف . وفي « القاموس المحيط » : (القمة بالكسر أعلى الرأس وكل شيء (. . .) وبالضم مايأخذه الأسد بفيه) . وفي « اللسان » : (قال ابن برِّي : والقُمة بالضم ، المَزبلة (. . .) الأصمعي : (القِمةُ قمة

الرأس وهو أعلاه . . .) ومنتظر أن يعود ضم القاف إلى الخطأ المطبعي .

١٥ ـ المقطوعة (٢٠) :

(أَمِنْ أهْلِ الأراكِ عَفَتْ رُبوعُ ؟ نَعَمْ سقْياً لهم لو تستطيعُ
زيارتَهُم ولكن أحضرتنا همومٌ مايزال لها مشيعُ . . .)

أُلاَحِظُ اضطراباً في موقع (أحضرتنا) لأن الذي يبدو أن الشاعر يريد زيارة أهل الأراك ولكنه لم يستطع زيارتهم ، لأن الهموم منعته من ذالك .

و (أحضر) لا تعني منع (والحضور نقيض المغيب) .

والذي يفيد المنع هو الفعل (حظر) و (الحظر : الحجز) ويبقى بعد ذالك ـ الوزن ـ والبحث عن وجود (أحْظر) وبها يستقيم الوزن ، ووردت (حظر الشيء وعليه) ولم أجد في المعاجم التي بين يدي : « لسان العرب » ، « القاموس » ، « العين » ، « مختار الصحاح » ، « أساس البلاغة » ـ أحظر . المهم أن (أحضرتنا) الواردة في البيت قلقة ، ولابدَّ من التنَبُّهِ إلى ذالك مالم يتخذ التحيف حجة وصياغته (أحضرتنا) شاهداً ، وتكون (أحضرتنا) بمعنى منعتنا ، وليس شيء من ذالك بمستحيل . وجاء في : « اللسان » : (رجل حَضير : لا يصلح للسفر) .

وتبقى مشكلة صياغة (أفعل) قائمة حتى لو قبلنا (حضرت) المتعدية : (حضرتْ رَحْلِيَ الهمومُ) أي منعتنا من الزيارة هموم حضرتنا أي انتابتنا .

وَرُبما حسن أن نترك أحضر وأحظر لننظر في أُحْصَر .

فقد جاء في « لسان العرب » : (. . . وحَصَرَه . . . وأُحْصَرَهُ ، كلاهما : حبسه عن السفر .

وأُحْصَرهُ المرض : منعه من السفر أو من حاجة يريدها ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ فإن أُحْصِرتُمْ ﴾ . .

وقيل : حصرني الشيء واحصرني أي حبسني (. . .) وأنشد لابن ميادة :

وماهجرُ ليلى ان يَكون تباعدتْ عليك ، ولا أَنْ أَحْصَرَتْكَ شُغُولُ

في باب فَعَل وأفْعَل . وذكر « اللسان » روايات عن يونس وأبي عبيدة وابن السكيت وأبي اسحاق النحوي وغيرهم وفيها (حَصرَ وأحْصرَ) (وأصل الحَصْرِ والإحصار : المنع) ــ وهنا يكون صحيح (أحضرتنا) : أحصرتنا ــ وقد وقع التصحيف في الرواية .

١٦ ــ في المقطوعة (١٧) :

... فلما أحدث الحَدَثانُ أمراً وجَدَّ الحبلُ فانجزر انجزارا

وأرى الصواب في (حَدَّ) : جُذَّ . وفي المعجم : (الجَذُّ ؛ القطع ... وجذذت الحبل جذًّا فانْجَذ أي قطعتُه) .

ويزيد من هذا الوجه (فانجزر انجزارا) والجزر هو القطع ، وجزر الشيء : قطعه .

١٧ ــ في المقطوعة (٢٣) :

أما ومُعَلَّمِ التوراةِ موسى ومَنْ صلَّى وصام له بلالُ

وردت (مُعَلَّم) بفتح اللام ، وأرى الصواب ــ كما وردت في « طبقات الشعراء » ورواية الجاسر ــ كسر اللام ، فمعلم التوراة موسى هو الله ، وهو هو (من صلى وصام له بلالُ) .

١٨ ــ في المقطوعة (٢٤) :

كان الأيمنينِ بني نُميرٍ وإيانا وقد حَسِرَ القتال

وردت (الأيمنَيْن) على المثنى ولعلها (الأيمِنِينَ) على الجمع ، ووردت (حَسِرَ) بفتح الحاء وكسر السين ، ولعلها بضم الحاء ...

١٩ ــ في المقطوعة (٢٣) :

ديارُ الحَيِّ تَضْرِبها الطِّلال من الخافي بها أهلٌ ومالُ
وأجذم ذَبُّها عوداً وبدءاً بدفيه تعبقرت السِّخال

أ ــ جاء في الشرح : (الطلال جمع طل وهو مطرٌ صغار القطر) والمحقق يتابع الأستاذ محمود محمد شاكر ، فإذا كانت (الطلال) صغار القطر فكيف يتم انسجامها مع الكلمة السابقة (تضرب) ؟ وفي هذا مايدفع إلى رؤية القلق في كلمة (الطلال) أو في معناها .

ب ــ قال المحقق أن : (الأبيات في « طبقات الشعراء » والحقيقة أن صدر البيت الثاني من تصرف الأستاذ محمود محمد شاكر ، وليس من رواية محمد بن سلام ، لأن رواية المخطوطتين المتيسرتين من « طبقات الشعراء » تقولان : (أجزع ربما عوداً وبدءًا) ولكن الأستاذ شاكر لم يجد له معنى فتصرف . وصحيح أن الذي ورد في المخطوطتين لا معنى له ، ولكن الصحيح كذالك أن ننسب التصرف إلى الشيخ شاكر لئلا ينسبه القارئ إلى القحيف نفسه .

٢٠ ــ المقطوعة (١٦) ــ (ص ٦١٣) :

نظرت خلالَ الشمس من مشرقِ الضحى	ووافيت من كتمان ركنا عَطوَّدا
بعينَينْ لم تَسْتَكْرِهَا يوم غُبرة	ولم تهبطا جوف العراق فَترْمَدَا
إلى ظُعُنٍ للمالكيات بالضحى	فيالك مرأى ما أشاق وأبعدَا

يكني ــ ويرمز ــ بهذا إلى بعد ظُعُنِ المالكيات عنه ، فهو لم يرها إلا بِشِقّ النفس على الرغم من أنه نظر إليها خلال الشمس من مشرق الضحى ــ في وضح النهار ــ وبعينين سليمتين . وكلمة (ما . . . أبعدا) في قافية البيت الثالث في مكانها المناسب للدلالة على بعد المسافة وإذا كان المقصودُ بـ (أشاق) : الشوق ، وبـ (ما أشاق) : شدة الشوق فهو أولى ألاّ يكون مناسباً مع البعد و (ما أبعدا) ــ حتى لو قبلنا صيغة ما أشاق للتعجب من شاق ، والمناسب لـ (ما أبعدا) : ما أشقَّ . وفي « اللسان » : (الشُّقَّةُ والشِّقَّةُ : السفر البعيد (. . .) الازهري : والشُّقَّةُ بُعْدُ مسير إلى الأرض البعيدة . قال الله تعالى : ﴿ وَلـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ . وفي حديث وفد عبدالقيس : إنا نأتيك من شُقة بعيدة أي مسافة بعيدة ، والشُّقة أيضاً السفر الطويل) .

وعلى هذا يمكن أن يكون الأنسب في رواية البيت الثالث (. . . ما أشقَّ

وأبعدا) ثم يستحسن ضبط تستكرها : تُسْتَكْرَهَا ، وتهبطا : تَهْبِطَا . كما يستحسنٍ وضع (كتمان) بين أهلةٍ (كتمان) للدلالة على انه اسم موضع ويضم الكاف كُعثمان . ترى ماذا تكون (الضحى) التي وردت مرتين ؟ أما يمكن أن تكون اسم موضع كذالك ؟

٢١ ــ البيت الثاني من المقطوعة (١٨) ــ (ص ٦١٤) :

أأُمَّ ابْنِ إدْريسٍ ألم يأتكِ الذي صَبَحْنَا ابنَ إدريسٍ به فتقطَّرا
فليتَكِ تحت الخافِقَينِ تَرَيْنَهُ وقد جَعَلَتْ درعاً عليها ومِغْفَرَا

لعل المناسب في (عليها) : (عليه) كأن الضمير يعود على (ابن إدريس) .

٢٢ ــ المقطوعة (١٩) يرثي يزيد بن الطَّثْرِيَّة (ص ٦١٤) :

إن تقتلوا منا شهيدا صابرا
فقد قتلنا منكم مجازرا
عشرين لَمَّا يدخلوا المقابرا
قتلى أُصِيبتْ قُعُصاً نحائرا
نُفْجاً ترى أرجُلَها شواغرا

أ ــ مناسب أن نذكر ماورد في « الأغاني » (١٨٢/٨) عن الكلمة الأولى من الشطر الخامس فقد وردت في « المتن » : (نعجاً) ، وجاء في الحاشية : كذا في أكثر الأصول ولعله : (نَعْجَى) جمع نعج كَزَمِنٍ وزَمْنَى ، ونعج الرجل رَبَا وانتفخ ، وذالك ملحوظ في الميت بجلاء . وفي ب وس نفجاً ــ بالفاء . وشواغر مرفوعات . أقول لِمَ لَمْ يبق تحقيق « الأغاني » (نعجاً) في « المتن » ومعنى النَّعْجُ : الانتفاخ ، ويمكن أن يكون بعد ذالك في اللغة أنعج ونعجاء ، فنحن نأخذ من القحيف ولا نفرض عليه .

ب ــ جاء في التحقيق : نفجاً من الانفتاج ، وهو الارتفاع . شواغر : مرفوعات .

جـ ــ وسواء أكانت نفجاً أو نعجاً فالمعنى المناسب ــ إذا عادت الكلمة

(لقتلى) وليس (لأرجلها) ــ هو الانتفاخ (دون حاجة إلى الارتفاع ، لاسيما إذا شرحنا شواغراً بمرتفعات) .

د ــ وربما كان الأنسب شكل ترى : (تُرَى) دون تركها بغير شكل أو شكلها كما ورد في « الأغاني » بفتح التاء ، ومن ثمَّ تشكل لامُ أرجلها بالضم وليس بالفتح .

هـ ــ مقبول شرح (شواغر) بمرتفعات . وهذا قد يفترض أن الجثث (العشرين) ملقاة على ظهورها ليس فيها المُنكب على وجهه ، مقبول . ولكن أما يمكن أن تعني (الشواغر) مقطعات مكانها خال منها ؟ وفي « اللسان » : (شغرت الأرض والبلد أي خلت من الناس . . .) وهذا قد يدعونا إلى نقل نفجاً من القتلى إلى الأرجل ، ولدينا في (الإنفاج) معنى الإبانة أي الإبعاد ثم إن الجثث عرضة للضواري تنهشها وتقطعها ، وقد ترجع (أرجلها شاغرة) إلى مصطلح . فقد جاء في « اللسان » : (يقال : بلدة شاغرة برجلها إذا لم تمتنع من غارة أحد) .

٢٣ ــ البيت (٢١) ــ (ص ٦١٥) :

تبيتُ مع الأزلامِ في رأس حالقٍ وترتادُ مالم تحترزه المخاوف

مصدره : « تهذيب اللغة » ٢١٩/١٣ ، « اللسان » و « التاج » زلم .

ولكن الذي في « اللسان » مثلا : وقال قحيف :

يبيتُ مع الأزلام في رأس حالقٍ ويرتاد مالم تحترزه المخاوف

و « التهذيب » داخل في « اللسان » .

والذي في « التاج » مثله : (أبو عمرو وأنشد لقحيف : يبيت . . . ويرتاد) .

٢٤ ــ شرح مفردات الأبيات ليس ضرورة لازمة في عمل المحقق ، ولكن :

أ ــ الشرح ، شرح المفردات ، نافع دون شك ، وهو يدخل في قاعدة أن التحقيق قد يُحَسِّنُ ويُسهل تقديم الأصل ، على ألاَّ يُبالغ في الشرح .

ب ــ إن المحقق وهو يبحث عن شرح المفردات في المعجمات (وغيرها) قد يقع على ما يصحح رواية بين يديه ، دخلها التصحيف أو التحريف أو التزوير . . . وقد يكتشف الخَلَلَ ويشير إليه في الأقل ، وقد يضبط بالشكل مالم يرد مشكولاً وبه حاجة إلى الشكل .

جـ ــ أما إذا وَجَدَ في الأصل الذي ينقل عنه شرحاً أو مكاناً للشاهد فإن ذالك يزيد في دواعي نقل الشرح أو مكان الشاهد ، ويسهل العمل على المحقق والقارئ .

فهنا مثل هذا البيت الذي جاء في « اللسان » (زلم) نقرأ في « اللسان » : (. . . والزُّلماء الأرْوِيَّةُ ، وقيل : أنثى الصقور ، كلاهما عن كُراع (. . .) أبو عمرو : الأزلامُ الوبار ، واحدها زلَمٌ ، وقال قحيف : يبيت مع الأزلام في رأس حالق . . .) .

وفي (وبر) : (الوَبْرُ بالتسكين : دُوَيْبَّةٌ على قدر السنور (. . .) من دواب الصحراء (. . .) تكون بالغور ، والأنثى وَبْرَةٌ بالتسكين والجمع (. . .) وِبَار (. . .) .

ويبدو لي أن الذي قاله كُراع أكثر اتساقا مع قول قحيف بدليل (رأس حالق) على حين تكون الوِبَار في الصحراء والغور ، فالأزلام هناك على مرتفع ، وهي هنا في منخفض .

ومن الكلمات التي يحسن بيان معناها : النيُّ ، مبتهرات ، السَّنَوَّرا ، فروع ، ذيَّال ، الرُّخال ، مُرْغَى . . .

رجعتُ ــ مثلا ــ إلى « لسان العرب » في (سنر) فوجدت فيه : (. . . السَّنَوَّرُ : جملة السلاح ، وخص بعضهم الدروع . أبو عبيد : السَّنَوَّرُ الحديد كله (. . .) والسَّنَوَّرُ : لَبوسٌ من قِدٍّ يُلْبَسُ في الحرب كالدروع . . .) .

فإذا عرفنا هذا ، وعدنا إلى البيت الرابع من المقطوعة (١٨) (ص ٦١٤) :

وكيف تُـريـدون العقيق ودُوْنَـهُ ... بنو المُحْصَنَاتِ اللابسات السَّنَوَّرَا

رأينا الرجال ــ وهم هنا ــ بنو المُحْصَنات أولى بلبس السَّنَوَّرا (وهي جملة السلاح) من المحصنات (أي النساء) . . . وأمكن ــ حينئذ أن نصحح رواية (اللابسات) أو نثير الشك فيها لتكون : اللابسين ، بنو المُحْصَناتِ اللابسين السَّنَوَّرا .

٢٥ ــ إن كثيراً من الملاحظات التي وردت ــ أو ترد ــ بشأن « شعر القحيف العقيلي » بتحقيق الدكتور حاتم الضامن يمكن أن ترجع إلى أنَّ التحقيق حيث أعادت « العرب » نشره ، نشر كما عُمِل أولَ مرة (أيلول ١٩٨٦م) أي أن الأستاذ المحقق لم ينظر فيه مُجَدَّداً نَظَرَ تعديلٍ وزيادة ، اعتماداً على ما جدَّ له من البحث بعد النشر ، وعلى ما يمكن الإفادة من نشر الدكتور الفحام .

٢٦ ــ ورأيت الدكتور الفحام يقف عند نسب الشاعر ، وفي الوقفة ما يتمم التحقيق والدراسة ، فهو (القحيف بن خُمَيْر بن سُليم النَّدَى . . . ابن خفاجة بن عمرو بن عُقَيل . . . ابن عامر . . .) .

وفي إثبات هذا النسب والإحالات الواردة عليه مايزيل لَبْساً يعتري قارئاً أو مايصحح خطأ ورد في مصدر .

(وتصحف خُمير حيناً إلى حُمير بالحاء المهملة ، وتحرف حيناً إلى عُمير) ولهذا التنبيه فائدته وإلاَّ فقد نرجع ــ على عَجَلٍ ، وثقة ــ إلى « القاموس المحيط » فنقرأ : (. . . وكزُبَيْر ابن عُمير بن سليم النَّدى شاعرٌ) فننتهي إلى أن اسم أبيه : عُمير ، وماهو كذالك . وقد نبه الثقات على الخطإ فجاء في « تاج العروس » : (. . . وصوابه ابن خُمير بالخاء المعجمة كما نص « العُباب » . . .) وهو في العُباب (ابن خُمير) . . . وملاحظة أخرى ترينا أن (النَّدى) قد تأتي على : البدي بالباء الموحدة وتشديد الياء .

والعودة إلى « تاج العروس » و « العُباب » الذي يحيل عليه ــ كما عاد الدكتور الفحام ــ تدلنا على مصادر أخرى ــ غير « الخزانة » و « شرح أبيات مغني اللبيب » . فقد قال الصاغاني (« العباب » حرف الفاء) : رأيت بخط محمد بن حبيب في أول ديوان شعر القحيف . . . ويعني هذا ــ بوضوح ــ أنَّ ديوان

القحيف كان في القرن السابع ، رآه علامةٌ ثقةٌ من أعلامه وينظر كذالك « العُباب » حرف الطاء . والرؤية غير النقل عن النقل ــ كما ذكر الدكتور الفحام بهذا الصدد .

٢٧ ــ ولدى العودة إلى « العُباب » حرف الطاء (بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين) نجد رواية البيتين الواردَيْنِ لدى الدكتور الضامن في المقطوعة (٢٦) (ص ٦١٧) :

وفي الصَّحصَحِيِّنْ الذين ترحلوا ... كـواعبُ من بَكْرٍ تُسَـامُ وتُحْبلَا
أُخِذْنَ اغْتِصَاباً خِطْبَـةُ عَجْرَفِيَّةٌ ... وأُمْهِرنَ أرماحاً مِنَ الْخَطِّ ذُبَّلَا

نجدهما في « العباب » :

وفي الصحصحيين المولَّيـنَ غُدْوَةً ... كـواعب من بكرٍ تُسـام وتُجتلى
أخِـذْنَ اغْتِصابـا خُطَّةً عَجْـرَفِيَّةً ... .

ورواية « العباب » جديرة بالإشارة والأخذ منها ــ في الأقل ــ بكلمة (خُطَّة) لأنه أورد البيتين لمناسبتها .

٢٨ ــ وتبقى كلمة (القحيف) اسما علما للشاعر ، وقد وردت معرفة بالألف واللام في مصادر كثيرة معتبرة منها « طبقات » ابن سَلَّام .

وأحسب أن الطبيعي أن الأصل فيما كان عليه الشاعر في قومه بدون الألف واللام فهو « قحيف » ورأينا « القاموس » : يقول كَزُبَيْر . . . ونراه في « اللسان » قُحَيْفاً كذالك : (وقُحَيْف العامري : أحد الشعراء ، وقيل : هو قُحيف العقيلي كذالك نسبه أبو عبيد في مصنفه) .

مع أنَّ صاحبَ « اللسان » أوردهُ منكراً (قحيف) في (قحف) و (زلم) ، وأوردهُ مُعَرَّفاً في مواضع : (حدرج ــ رجع ــ رعل ــ مهل ــ غشم ــ رضي ــ قوي) وتبعه صاحب « التاج » فيما أورده من شواهده ــ [ويحسن الرجوع إلى شواهدها للاستزادة والمقابلة] .

٢٩ ــ وكان من المناسب أن ترد في المقدمة الإشارة إلى ماذكره كرنكو وأعاده

الدكتور الفحام (ص ٦٢٥ من العرب ٢٣) من وجود قحيفين : قحيف العقيلي صاحبنا ، وقحيف العجلي صاحب أربعة أبيات عينية ذكرها كرنكو ناصًا على نسبتها إلى العجلي .

٣٠ ــ إن المقطوعة ــ أو القصيدة ــ اللامية (٢٥) ص ٦١٧ من المجلة ترينا أن قحيف كان ابن أربعين في حجته تلك ، وقد طلعت أول الشيبات ، وفي الأبيات ماقد يدل على ماهو أكثر من أول الشيبات ، وأنه كان قبل الحج في الأقل ــ يهيم بالخمر . . .

وإذا كان القحيف ممن اشتهر بِتَشْبِيْبِهِ بخرقاء التي كان ذو الرمة يُشَبِّبُ بها ، فمعنى ذالك أنه شبب بها في شبابها وشبابه وإذا علمنا أنها أرسلت إليه جَرِيًّا (ص ٦١١) وقد جاوزت تسعين سنة أمكن أن نرى في ذالك تَعْمِيْراً لقحيف كذالك .

٣١ ــ الدكتور الضامن ثقة في الرجوع إلى مصادره ، وإنه ليملك منها مالايكاد يملكه غيره ، ولكنه لا يستكمل التعريف بها لدى التخريج ، وكأنه يعتمد على علم القارئ ، والمفروض في قراء شعر القحيف أن يكونوا من العلماء ، والمفروض صحيح ولكن العلماء لا يعلمون كل شيء ، ثم لم نَحْرِمُ عامةَ القراء من العلم ، وإذا كان « الأغاني » و« معجم البلدان » و« لسان العرب » . . . من الكتب المتداولة فأنّى لهم العلم ــ مثلا ــ بـ« الفصوص » و« المكاثرة عند المذاكرة » .

٣٢ ــ وحين نعود لجمع الأستاذ الجاسر المنشور في السنة الأولى من مجلة « العرب » الجزءان الخامس والسادس نعلم أشياء منها أن القحيف (كان يقيم في العقيق المعروف الآن باسم وادي الدواسر) .

ونلاحظ أن الشيخ الجاسر رتب مجموعه على حروف المعجم (للقوافي) وجاءت (فتاها . . .) في رأس المجموع على أنها من (الألف المقصورة) : فتى . . . على حين وردت في مجموع الدكتور الضامن ــ كما رأينا ــ في المؤخرة من المجموع .

والشيخ الجاسر ممن يضع أسماء الأعلام (المواقع بخاصة) بين قوسين ، ولكنه لم يلتزم ذالك أحياناً ، فقد جاءت (كُتمان) غير مقوسة . ويبقى السؤال ممكناً عن (الضحى) : فيما قد يبدو اسم موقع . . . وليس مستغرباً أن يسمى موقع (الضحى) فقد ورد مثل ذالك في (اليمن) مما نص عليه « القاموس » .

ونفيد من الشيخ الجاسر عن حياة قحيف (أن الوقعات التي حدثت بين بني حنيفة وبين قومه كانت سنة ١٢٧هـ) .

٣٣ ـ في عود إلى (مابقي من شعر قُحيف) نراه في مجموعه متوسط الطبقة ، ولولا ذاك لما جاء في « طبقات ابن سلام » ، أما أن يجيء في الطبقة العاشرة من الإسلاميين فهو رأيٌ ، ورأيٌ ممكن ، ويتسق معه رأي الآمديُّ ـ في « المؤتلف والمختلف » حين قال : إنه (شاعر محسن) .

ومقطوعاته التائية جميلة سلسة فيها من معاني العاطفة الإنسانية مافيها ، فضلاً عن دلالتها على مجتمع وعلى أطوار شاعر . . . :

خليليَّ ماصبري على الزَّفَراتِ ... وما طاقتي بالشوق والعبراتِ
سَقَى ورعَى الله الأوَانِسَ كَالدُّمَى ... إذا قُمنَ جُنْحَ الليل مبتهراتِ
إذا مِسْن قُدَّام البُيوت عَشِيَّةً ... قِصار الخُطى يَرْفُلْنَ في الحَبَراتِ
دعونَ بِحَبَّاتِ القُلوبِ فأقْبَلَتْ ... إليهنَّ بالأهواءِ مبتدراتِ
تَقَطَّعُ نفسي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... على إثْرِ ماقد فاتني حسراتِ

قلت : إنسانية وكان في الذهن (حضرية) ولكن مَنْ يمنع البدو من مثلها ؟ ومَنْ يمنعها في (فلج الأفلاج) ، وقلت : سَلِسَة وإنها لكذالك (في بَحْرِهَا الطويل) وعلى الرغم من (سقى و) ولا غَرْوَ أن احتل بيتان منها (الأول والأخير ـ بعد أن صارت تقطع : تساقط) (صوتاً) في « الأغاني » .

والقافية والوزن والرنة والهمس . . . كل أولئك يُذَكِّرُ بمقطوعة معاصرة لها . . . قالها محمد بن عبدالله بن نمير الثقفي مشبباً بزينب بنت يوسف أخت الحجاج ، مع علمه بسطوة الحجاج وانتظاره بطشته ـ والعصر عصرُ عمر بن أبي ربيعة :

لَمْ تَـرَ عيني مثـل سِـرْبٍ رأيتُـهُ خَـرَجْنَ من (التّنعيم) مُعْتَجِـراتِ
مـررن (بفـخٍّ) ثم رُحْنَ عشيـةً يـلبـين لـلرحمـن مـؤتجـراتِ
تضوَّعَ مِسكاً بطنُ (نَعْمَانَ) أن مَشَتْ بـه زيـنـبُ في نـسـوةٍ عَـطِرَاتِ
وقامت تراأى يـوم (جَمْعٍ) فـأفْتَنَتْ بِـرؤيتها من راح من (عَـرَفـاتِ)
ولما رأت ركب النُّميريِّ أعـرضَتْ وكُـنَّ مـنَ انْ يـلقَيْـنَـهُ حَـذِراتِ
دعَتْ نِسْـوةً شُمَّ العَرَانِـينِ بُـدَّنـاً نـواعـمَ لا شُـعْـثـاً ولا غَـبِراتِ
فـأدنَـيْنَ لـما قُمْن يحجبن دونها حجـابـاً مـن الْـقسِيِّ والحَبِـراتِ
أحلُّ الذي فـوقَ السمواتِ عَرْشُهُ أوانِس بـ (البـطحـاء) مُعْتَـمِـراتِ
يُخَبِّئْنَ أطـرافَ البَنَـانِ مـنَ التُقى ويخـرجن جُنْـحَ الليـل مُخْتَـمِـراتِ

وردت المقطوعة في « كامل » المبرد ، وجاءت (معتجرات) في رواية مكان (مختمرات) .

ونعود إلى أبيات قُحَيف ليخبرنا المحقق أن (مبتهرات) التي وردت في « الحماسة الشجرية » وردت على (مُنْبهرات) في « الزهرة » .

٣٤ ـ يقول الأصمعي في « فحولة الشعراء » عن القحيف : (ليس بفصيح ولا حجة) وعلق الدكتور الفحام على ذاك فقال : (ولعل الأصمعي قسا عليه حين سُئل عنه فقال . . .) وربما أورد الدكتور الفحام كلمة (لعل) ليخفف من المسؤولية في حساب لغوي كالأصمعي ، وإلَّا فقد قسا الأصمعي ـ بدون لعل : وإلَّا فكيف يكون الحجة ؟

واستشهد اللغويون بشعرٍ لقحيف ـ على الرغم من قولة الأصمعي تلك ، ومن ذالك قوله في المقطوعة (٣٤) :

إذَا رَضِيَتْ عـليَّ بَنُـو قُشَـيْرٍ لَعَمْـرُ الله أَعْـجَبَـنِي رِضَـاهَـا

قال الدكتور الضامن : هو من شواهد النحو المشهورة على أن (على) بمعنى (عن) وخرجها من أكثر من عشرة مصادر في النحو واللغة . وقال الدكتور الفحام : (ويرى أبو العباس المُبردُ أن بني كعب بن ربيعة بن عامر يقولون : رضي الله عليك . ومعلوم أن القحيف من (كعب بن ربيعة بن عامر . . .)

ولا بأس أن أذكر أننا والنساء منا بخاصة في العراق نقول : في مدينة الحلة ــ مثلا) : الله يرضى عليك . . .

وورد البيت في « الجمهرة » ٣/٤٩١ شاهداً على (عليَّ . . . أي عَنِّي . . . ويروى بنو نُمير ، وبنو تميم وبنو قُشير) ، أترى اختلاف القبائل يعود إلى تصرف الذي يستشهد بالبيت وهو يريد بني نُمَير ، أو بني تميم . واستشهدوا بالبيت الرابع من القصيدة نفسها :

فـما رجعت بخـائبـة ركـابٌ حكيمُ بن الْمُسَيَّبِ مُنْتَهـاهَـا

فقال الدكتور الضامن : (هو من شواهد النحو على أن الباء قد زيدت في الحال المنفية) ــ (زيادة الباء في الحال المنفي عاملها ــ كما قال الدكتور الفحام ، لأنَّ العام أن يقال : (فما رجعت خائبة ركاب . . .) ولا نقول ــ هنا ــ مع الأصمعي ــ إن القحيف ليس حجة ، فما كان له في قبيلته وعصره أن يقول مالم يكن قد سمعه ونشأ عليه من القول ، وإلاَّ لضحك به الصغار قبل الكبار .

ورأينا في المعجمات ما استشهد بالقحيف ، ومن ذالك : زلم ، غشم . . . والقحيف حاضر غير منكور في كتب الثقات من علماء اللغة .

٣٥ ــ ألا إنَّ الذي ورد إلينا من شعر القحيف سليماً على وجه موثوق بروايته ليصلح مادة لدرس لغوي ، وأذكر من استعمالاته في المقطوعة (٥) (قتلى إذا التقت عليها ضباع الغيل باتت وظلَّت) للفرق بين بات وظل وفيها : اتْمَهَلَّتِ .

وفي المقطوعة (٦) : (ولو عُمِرِّت تَعْمِيْرَ نُوح وجلَّت) : جلّ بمعنى زاد على .

وفي المقطوعة (٧) :

فَمَنْ مُبْلِغٌ عنيٌ قُـريشاً رسـالةً وأفناءَ قَيْسٍ حيثُ سارتْ وحلَّتِ
بـأنـا تـلاقَيْنا حنيفَـةَ بعـدمـا أغارتْ على أهْلِ الْحِمَى ثم ولَّت

فنقول ــ بعده مثلا ــ : تلاقت عُقَيْلٌ حنيفة ، كأننا نقول تلاقت عقيلٌ وحنيفة أو لاقت عقيلٌ حنيفة ، وصحيح أن ولَّتْ : تعني ذهبت ، ومضت ، واتجهت

راجعة ، وانصرفت ، وبعدت ولكنها قد تعني ماهو أكثر من ذالك متضمنة الاحتقار والازدراء (كما هي اليوم في عاميتنا العراقية) فلقد ولَّتْ حنيفة مهانة مدبرة هرباً وجبناً وخوفاً .

ونعود إلى المقطوعة (٣٤) لنلاحظ أن (أعجبني رضاها) يختلف قليلاً ــ أو كثيراً ــ عن استعمال (أعجبني) في هذه الأيام حيث يرد أكثر مايرد الإعجاب بالجمال . . . أما استعمال القحيف ففيه سَرَّنِي ، وماهو أكثر مما يقترب من قولنا : شرفني ــ وبالكلمة حاجة إلى وقفة خاصة .

وفي المقطوعة (١٢) (العقائل) : جمع عقيلة ، الأصل فيها للإبل ، كرائم الإبل . . . ومن ثَمَّ صارت لكرائم النساء .

وفي المقطوعة (١٤) : استعمال للأنيق صفة للمنظر : . . . (به نجد الصيد الغريب ومنظراً أنيقاً) .

وفي المقطوعة (١٥) : تأبدا . . . رَبْعٌ تَأَبَّدَ . . .

وفي المقطوعة (١٧) : الأجنبي الذي ليس من القوم : (مررت أمام بيتك أجنبيا) غريباً ، كأني لست من القوم .

وفيها : (ولولا أنتِ . . .) بدلاً من لَوْلَاكِ .

وفي المقطوعة (٢٥) :

أعينيَّ مهلاً طالما لم أقل مهلا   وما سَرَفاً مِ الآنَ قلتُ ولا جهلا

والشاهد في (م الآن) . وفيها : (يقول لي المفتي : تق الله . . .) يريد : إتَّقِ الله .

وفي المقطوعة (٢٩) :

عــاثت في العقيق بنـو قشــير   كَعَيْثِ جَعارِ في أُخرى الرِّخالِ
خنــاثى يـأكلون التمــر ليسـوا   بــزوجـاتٍ يـلدن ولا رجــالِ

ونترك ــ ولو موقتاً ــ مافي البيت الأول من (خرم) وما يمكن أن تكون

لـ (يأكلون التمر) من كناية ودلالة هجاء ـ ونرى في البيت الثاني شاهداً على (خناثى) جاء في « اللسان » : (الخُنثى ، الذي لا يخلص لذكر ولا أُنثى ، وجعله كراع وصفاً ، فقال : رجلٌ خُنْثَى : له ما للذكر والأنثى ، والخُنْثَى : الذي له ما للرجال والنساء جميعاً ، والجمع خَناثَى ، مثل الحَبالى) .

إلى هنا والشاهد متسق على (خَناثى) .

ولكن « اللسان » يزيد على (والجمع . . .) خِنَاث . ولا بأس ولكنه يروي بيتاً ، لا ينسبه هكذا :

لعمـرُك مـا الْخِنَـاثُ بنـو قشـير بنســوانٍ يَـلِدْنَ ، ولا رجـال !

وقد أشار الدكتور إلى الرواية الثانية هذه في « اللسان » ولكنه لم يثبتها .

ويبقى الشاهد في الحالين (خُنَاثَى) وخِنَاث قائماً ـ والملاحظ أن خُنْثَى ترد للرجل فلم يقل « اللسان » : (. . . التي . . . .) أو (فقال امرأة خُنثى . . .) .

وتستعمل عامية العراق فلان مُخَنَّث تريد : جبان ، وقد تزيد فتقول : خُنيثة ، وتستعمل الفعل : خنَّثَ مُتَعَدِّياً : خنَّثَهُ أي أخافَهُ وتركه جباناً .

وفي المقطوعة (٣٢) :

عشيَّةَ جاءتْ من عُقَيلٍ عِصابةٌ تقـدَّم من أبطالهـا من تقـدَّمـا

ما يرينا أن (عصابة) التي نستعملها اليوم ذمًّا وللشر ، لم تكن كذالك من قبل . أما كلمة (الأبطال) المترددة كثيراً في أيامنا فقد كانت أيام القحيف بمعناها في المديح .

وفي البيت الثاني من المقطوعة (٢٣) : (تعبقرت) لمن يبحث عن تاريخ كلمة (عبقر) .

وفي المقطوعة (٢٤) : (صيِّف) وهو يذكُرُ يومَ (النَّشْناش) :

. . . كـأن الأيمـنين بني نُمـيْرٍ وإيـانـا وقـد حَـمِيَ الـقـتـالُ

سحابةصيِّفٍ للبرق فيها زفيفٌ ليلة اختبأ الهلالُ

تبدو (صيِّفٍ) لنا ــ وهي مشددة الياء ــ وكأنها نزول على الوزن ، وماهي كذالك جاء في « اللسان » : (الصَّيِّف المطر الذي يجيءُ في الصيف) وهي في شعر القحيف تسند رأي ابن بري في رده على الجوهري . جاء في « اللسان » : (قال الجوهري : الصَّيْفُ) المطر الذي يجيء في الصيف ، قال ابن بري . صوابه الصَّيِّف بتشديد الياء) وجاء : (ويقال : أصابتنا صيِّفة غزيرةٌ بتشديد الياء) .

أترى القحيف يريد أن القتال كان شديد (غزيرا) .

وفي المقطوعة (٢٠) :

كأن البينَ جرَّعني زُعافا من الحيَّاتِ مطعمه فظيع

أحلّ القحيف الوصف محل الموصوف لأن الأصل : (جرّعني سمًّا زُعَافا) رواية الدكتور الضامن عن « الأغاني » ورواية الشيخ الجاسر عن « معجم البلدان » : (. . . . دم الحيات مطعمه فظيع) ويمكن أن يكون (دم الحياة) على هذه الرواية : سَمُّها .

وفي المقطوعة (٢٦) :

أتعرفُ أم لا رسمَ دار مُعَطَّلاً من العام يمحاه ومن عامٍ أولا
قطارٌ وتارات خريقٌ كأنها مُضِلَّةُ بَوٌ في رَعيل تعجلا

أ ــ يمحاه ــ المألوف لدينا : يمحوه ، وكأن لا صيغة غيرها . . وهذه صياغة يعتمد عليها صحيحة : محا يمحى يمكن أن تدرس مرتبطة بقبيلة القُحيف . . . وصيغة ثالثة يذكرها المعجم هي يمحيه ، وهي المستعملة في عامية العراق .

[العرب : وصيغة (يَمْحَاهُ) لاتزال هي المستعملة في نجد] .

ب ــ في البيتين تضمين : ولا أدري سر إلحاح العروضين على إسناد العيب إلى التضمين حين يُعَلَّقُ بيتٌ تالٍ ببيتٍ سابق ، فقد جاء الفعل والمفعول به في البيت الأول والفاعل (قطار) في البيت الثاني .

وللقُحيف تضمين آخر في مطلع المقطوعة (٢٠) :

أمِنْ أهل الأراكِ عَفَتْ رُبوعُ ؟ نعم ، سقيا لهم لو تستطيعُ
زيارتَهم ....

وتضمين آخر في القصيدة (٢٠) للبيتين السابع والثامن (فلما بدت ... صبحناها ..) كما يمكن أن يكون التضمين في الخامس والسادس .

ونعود إلى القصيدة (٢٠) ص ٦١٤ ــ ٦١٥ لنقرأ :

وماءٍ قد وردتُ ، على جَبَاهُ حمامٌ حائمٌ وقطاً وقوعُ
جعلت عمامتي صلةً لدَلْوِي إليه حين لم ترد النُسوعُ
لأسقي فتيةً ومُنقَّباتٍ أضر بنقْيِها سَفرٌ وجيعُ
ركبناها سَمانتها فلما بدتْ منها السناسن والضُلوعُ
صبحناها السِّياطَ مُحَدْرَجاتٍ فَعَزَّتْها الضُّليعةُ والضليعُ

١ ــ وردت (جَباه) هنا بفتح الجيم ولكنها وردت في « الأغاني » بكسر الجيم ، وقد اتفقا بشرح الكلمة . (الجَبى : الماء المجموع في الحوض للإبل) . وفي « اللسان » ــ فيما فيه ــ الجِبَا والجَبا : ماجمعت في الحوض من الماء والجِبَا : ماحول البئر . والجَبا : ماحول الحوض ، يكتب بالألف .

ليست المشكلة ــ إذن ــ في فتح الجيم أو كسرها ، وإن كان كسرها الأولى إذا أريد بالجِبا (ماجمع في الحوض من الماء ...) وهي ترد في « اللسان » ــ دائماً ــ على الجبا ، ولم ترد على (الجبى) ويبدو لي أن المشكلة الأساس في شرح (الجبا) بالماء المجموع في الحوض ، فلو كانت المسألة ــ هنا ــ مسألة الحوض لما كان الماء المجموع فيه بعيد القعر لقصر حبل (سير) الدلو عن الوصول إليه ، فيصله صاحب الإبل بعمامته ــ وفي هذا الوصل بالعمامة مايمكن أن يفهم كناية عن بعد الماء ، ولا يكون الماءُ بعيداً في الحوض ، وإنما يكون بعيداً في البئر . ويكون الشرح الصحيح والمقبول ــ في الأقل ــ لكلمة الجبا : (ماحول البئر) من التراب ، أو (شَفة البئر) عن أبي ليلى ..

أجل ــ إن الجبا : ماحول البئر ، والبئر بعيد المستقى ، وعلى الجبا : (حمامٌ

حائمٌ وقطا وقوع) ، الحمام والقطا على ماحول البئر من تراب ، على شفة البئر وحافتها ، ولو كان الماء قريباً منه ـ كأن يكون في حوض ـ لما حام . . . وقد اختار الأستاذ محمود محمد شاكر لشرح جَبَا البئر ـ وقد فتحها ـ نَثِيلَةَ البئر ، وهي ترابها ، الذي تراه من بعيد حول البئر . فهكذا وردت في « اللسان » عن الجوهري : (الجَبا بالفتح مقصور ، نثيلة البئر وهي ترابها الذي حولها تراه من بعيد) . ولكنه ـ أي الأستاذ محمود محمد شاكر يقول : (حام الطائر حول الماء يحوم : دار حوله من العطش . يقول : وردت ماء بعيداً في جوف فلاةٍ لا أنيس بها ، إلَّا الحمام والقطا ، تألفه لوحشته ، لا يذعرها طارق) .

٢ ـ ينظر لشرح الأبيات الباقية ما أورده الأستاذ محمود محمد شاكر .

٣ ـ (السناسن جمع سنسنة : وهي حروف فقار الظهر . . .) وأقول : إن عامية العراق تسمى فقار الظهر (السنسول) .

٤ ـ أُحِسُّ بإعجاب قد يكون خَاصًّا بي لدى قراءتي البيت : (جعلت عمامتي صلة لدلوي . . .) لا ليس خاصاً بي ، وإلَّا لما صار (صوتا) ثانيا لقحيط في « الأغاني » .

٥ ـ يمكن أن تدلَّ المقطوعة عليه من عدد عديد للإبل . . . أن القحيف على حال حسنة . . . وفي البيت (١٦) من القصيدة (٢٠) : (شَفِقٌ على) لمن لم يألف إلَّا (الشفيق) مُشْفِق وشفيق .

وفي المقطوعة (٢٥) ، البيت العاشر رأى أبو عبيد البكري ـ كما أورد الدكتور الفحام ـ في كلمة (الأيادي) شاهداً على أن اليد العضو تجمع أيادي . أوردها الدكتور الفحام في بيان سهو وقع للدكتور الضامن حين عزا الاستشهاد إلى القالي .

وفي جمع اليد ـ العضو على (أيادي) مايدل على الحقيقة ، أما اختصاص الأيادي بالفضل والكرم والنعم فهو المجاز المتأخر عن الحقيقة .

٣٥ ـ في شعر القحيف ـ غير ما رأينا من المعارك القبلية ـ لمحاتٌ لها دلالات اجتماعية ، أو ما يمكن أن تكون لها دلالات اجتماعية .

منها أنه يُعَيِّرُ قبيلة معادية بأن أبناءها (خناثى يأكلون التمر) ، فما العار في أكل التمر ؟ المقطوعة (٢٩) .

ومنها في المقطوعة (١١) : (فداءٌ خالتي لبني عُقيل . . .) ونعلم أنه من عُقيل ، فلماذا هذه الـ (فداء خالتي لبني عقيل) ـ إن صحت الرواية . لم نص على (الخالة) ولم ينص على العمة ـ مثلا ؟ هل في ذالك مايشير إلى أن أمه ليست عُقيلية ؟ أم هو تصحيف في الرواية ؟ .

ومنها هذه المقطوعة التي وردت فيها كلمة (الجَرِيّ) ـ وهو الرسول وقد أرسلته (خرقاء) إلى القحيف ليشبب بها ، فإذا شبب نفقت سوق ابنتها وخطبت (ص ٦١١) .

٣٦ ـ ونكرر ـ ختاماً ـ ماورد في المقدمة بأن هذه الملاحظات تتعدى (التحقيق) إلى ماهو أوسع منه من شعر القحيف لدى الشرح والاستدلال اللغوي والاجتماعي والنقدي ، ولدى محاولات في فهم أمور يحسن إثارتها دون اشتراط لحل جازم ، طمعاً بالإفادة من آراء القراء .

ويبقى عمل الدكتور حاتم صالح الضامن مشكوراً نكرر فيه ماقال الدكتور شاكر الفحام : (إن الأستاذ الدكتور الضامن قد بذل جهوداً طيبة في صنعة شعر القحيف ، وجمع ما تناثر من شعره ، ومضى خطوة جديدة موفقة في الطريق الذي سلكها سابقاً الأستاذان الفاضلان كرنكو والجاسر ويسَّرَ للباحثين والعلماء شعر القحيف العقيلي . . .) .

وكان الدكتور الفحام قد أثنى على صبر الدكتور الضامن في تخريجه شعر القحيف .

ولا أَدَلَّ على خطر التحقيق الذي أنجزه الدكتور الضامن من عمل الشيخ الجاسر على إعادة نشره في مجلته الغراء : « العرب » .

ولقد سَرَتِ العدوى إلى مُسَوِّدِ هذه الصفحات فكان منه الذي كان قد عدّه إسهاماً في خدمة شعر القحيف ، ودعوة لِيُنْظَرَ في كل ماقيل ـ ويقال ـ زيادة إلى ماحصل لدى الدكتور الضامن نفسه من جديد ـ فيصدر المجموع في مبنى متكامل .

بغداد : علي جواد الطاهر

ـ ١ ـ

أسماء المواضع
في كتاب «الجيم» لأبي عمرو الشيباني

[كانت لي وقفاتٌ أثناء مطالعةِ كتاب «الجيم» بعد قيام (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بنشره ، وكنت قد اقتنيت مصورة مخطوطته الوحيدة في مكتبة (دير الاسكوريال) في أسبانية ، بواسطة (المعهد الألماني للدراسات الشرقية) في بيروت ، وعرفت في ذالك المعهد أستاذاً ألمانياً عني بدراسة ذالك الكتاب ، هو الأستاذ ورنرديم (W. Diem) فأتحفني المعهد بنسخة مطبوعة من تلك الدراسة ، أعرتها أحد الإخوة وقد قام أحد الأساتذة في (جامعة الرياض) الدكتور حسن محمد الشماع بتعريب دراسة الأستاذ (ديم) تعريبا أوضحت للأستاذ الشماع رأيي حياله ، بعد نشره سنة ١٤٠٠ (١٩٨٠م) ضمن منشورات (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) .

أما الوقفات عند مطالعة مطبوعة مجمعنا الكريم ، فمنها مايتعلق بتحقيق النص ، حيث أدركت عدم مراعاة الدقة في التقيد بالأصل ـ وهذا ماسأتحدث عنه مُفَصَّلاً ـ ومنها مالاحظته من قصور في (الفهارس) التي قام ثلاثة من الأساتذة من مراقبي (المجمع) بإعدادها ، فمع أن تلك الفهارس تضمَّنَهَا مجلد ضخم بلغت صفحاته ٦٦٤ إلا أن أسماء الأماكن والنبات والحيوان ينقص تلك الفهارس ، وحاولت تسهيل رجوعي إلى هذا الكتاب الذي يعد من أقدم المصادر اللغوية بذكر أسماء المواضع وشواهدها وهاأنا أُشرك القاريْ الكريم بما صرفت أوقات عزيزة علي في جمعه ، أورد نَصَّ ماجاء في الكتاب ، واتبعته برقمي الجزء والصفحة من المطبوعة] .

■ أبهـر :

الـحِقَانُ مستنقعُ الماءِ في الوادي ، الواحدة حقْنَةٌ قال الأخطل :

لَيَالِيَ لايُـجْدِي الْـقَطَا لِفِرَاخِـهِ   بِــذِي أَبْهَـرٍ مَــاءً وَلَا بِحِقَـانِ

[١٧٧/١] وفي الهامش: (كذا وليس في اللغة مايؤيده ورواية الديوان و«معجم البلدان»: رسم حفن حفان ـ بالفاء قال ياقوت : حفان بالكسر وآخره نون والفاء مخففة قال ابن الأعرابي: بلد ثم أورد هذا البيت وبيتا قبله) .

■ الأجْـدِيُّ :

وقال أبوزياد : بلادٌ رَمْلاَءُ إذا كان بعضها فيه عُشْبٌ وبعضها ليس فيه عشب . قال :

أَتَعْرِفُ الدَّارَ بالأَجْدِيِّ فَالْـبُرَقِ ... قَفْراً مَعَالِمُهَا كَالْـمُصْحَفِ الخَلَقِ
مَاصَابَهَا العُشْبُ إلا دِيْمَةً رَمَـلاً ... بَعْدَ الجميعِ، وبَعْد السَّحَّةِ الغَرَقِ

[١ / ٢٩٩]

■ أرَاط :

الْـمُجَحْدِلُ الذي يكري الإبل قال :

يــاأيهــا الـمُجحْـدل الضفَّــاط ... كــيـفَ تــراهُــنَّ بــذي أُرَاطِ

وقال :

كــأنَّ الْـمُـرْتَشِـيـنَ بِـذِي أُرَاطٍ ... تسَـاقَـوْا حِـيْنَ أُنْبِـطَـتِ السَّــمَاءُ

أي حين أُنْبِطَ ماؤُها . والمرتَشُون الذين يأخذون ثمن الماء إذَا سَقَوْا ، وهي الرَّشوة .

[١ / ١٢٧ و ٣١٣]

■ أرِيْكَـانِ :

الدَّميك التَّامُّ قال كعب :

دَأَبَ شَهْرَيْنِ ثم نِصْفاً دَمِيْكـاً ... بِــأَرِيْكَــيْـنِ يَـكْـلِمَــانِ غَـمِــيْرَا

[١ / ٢٦٦] وفي «ديوان كعب» ـ ١٧٤ : . . . يَكْدِمَان غميرا . . . بأريكين: يعني موضعاً يقال له أُريكِ فضمَّ إليه آخر . . .

■ الأَرْيِمَيانِ :

وقال النعامي :

رَعَتْ جَنُوبَ شُعْبَتَيْ جِبَالِها إلى الأَرْيِمَيَيْنِ عَنْ شِمَالِها
حتَّى إذَا مانَشَّ عَنْ بِلالِها يتبعها ... من أشبالِها
ضَخْمُ العَصَا صُلْبٌ على مِطَالِها لو أَزْهَقَتْهُ الموتَ لم يُقَالِها

[٢ / ٤٤]

■ الأصافِر :

وأَنْشَدَ في الحُلَّبِ :

لا دَلْوَ إلا مِثْلَ دَلْوِ عَامِرِ مَدْبُوغَةً بِحُلَّبِ الأصافِرِ

[١ / ١٨٩]

■ أُضَاعَى :

وقال العُذْرِيُّ : أُضَاعَى اسم وادٍ في شِعْر عُذْرَة .

[١ / ٦٣]

■ الأَقَاعِسُ :

قال الراعي :

سَارَتْ وأَتْلَتْهَا رُفَيْدَةُ ذِمَّةً تَسِيرُ بِهَا بَيْنَ الأَقَاعِسِ والرَّحْل

[١ / ٩٧] ـ ويظهر أنه الراعي الكلبي ، إذ بعد هذا البيت: وقال:

ولا عَقَدَتْ لِي القَيْنُ بن جَسْرٍ ولا اسْتَتْلَيْتُ من كَلْبٍ حِبَالاَ

■ الأَكَاحِلُ :

الأَكَاحِلُ الأودية . قال مَعْنٌ :

أَعَـاذِلَ مَنْ يَحْتَـلُّ فَيْفَـاءَ فَيْحَـةٍ وثَوْرٍ، ومن يحمي الأكَاحِلَ بعدنا

[٣ / ١٦٨]

ــ كذا ورد في كتاب «الجيم» والظاهِر أنَّ مَعْنا هذا هو ابن أوس الـمُزَنِي ، وكان يسكن الأكحل الوادي الذي لايزال معروفاً بقرب الفُرع ، في نواحي المدينة ، وقد جمعه مع ماحوله ، كما هي عادة الشعراء .

■ **الأَمْـرَارُ :**

وقال ابنُ حياش الأَسَديُّ لأسماء بن خارجة الفزاري ، في بئر حفرها بنو عَمِيرة ابن جُؤَيَّةَ ، وهم إخوة بدر، في أرض بني أسد، في مكان يقال له: الناطف، فلم ترهم بنو أسد إلاّ يسقون الشاء والحمر تحت البيوت، فتنافس الناس، فأراد بعضهم أن يحمل على بعض، ثم إن بني أسد دَعَتْهُم إلى أن يحكموا أيَّ فزاريٍّ شاءوا ، ويحكم بنو فزارة أيَّ أسديٍّ شاءوا ، فقالت بنو فزارة: لا ، بل اختارونا ، وحملوا عليهم من العهود والمواثيق ألا ينكثوا ، فاختارت بنو أسد أسماء ابن خارجة ، فجعلوه حكماً بينهم ، فأتوه بالكوفة، فثووا عنده، فجعل يقول للفزاريين ــ إذا خلا بهم: أتعبطون مُسْلَمَ قوم وحَرِيمَهُم بلا شِرًى اشتريتموه، ولا قطيعة من سلطان، ولا شركٍ لكم، بسبب من الأسباب، لقد أتيتم أمْراً مايَحْمُلُ بكم ، وإذا خلا ببني أسد قال: يابني أسد، أتمنعون أرضَ السلطان التي تسقون فيها من كان عطشان مضطراً ليس له حقٌّ ، ثم تريدون أن تضيِّقوا ماوسَّع الله . فقضى للأسديين بأن لكم أرضكم لا حقَّ لبني فزارة فيها ، وقضى لبني فزارة بأن لكم أضعاف ماغرمتم فيها . فانصرف القوم ، ورجز ابن حياش فقال :

يـا أَسْمَ يا خَيْرَ فتًـى لِلزُّوَّارْ للجارِ وابنِ العمِّ والضيفِ السَّارْ
مـالَهُمْ في حُفْرَتِي من إحْفَـارْ ومالهم في عُقْرِ داري من دارْ
ولـو حفـرتُ مثلَهـا بـالأَمْـرَارْ أو جَوِّ سَبْـى أنْكَرُوا بِـإنكـار

وسبى ، والأمرار : مياه بني بدر .

[١ / ٢٩٦]

■ إنبـط :

وقال أوس في الانكراس :

من وَحْشِ إنْبِطَ بَاتَ منكرساً حَـرِجاً يُعَـالِجُ مُـظْلِمـاً صَخِبَـا

[٣ / ١٦٩]

■ أنْقَـدُ :

وقال الْـمُعَلَّى بنُ حكيمٍ :

ولقد سَقَيْتُ بِقَاعِ أَنْقَدَ شَرْبَـةً نَقَعَـتْ سَنَـاسِـنَ أَيُّمِنِ المملوك

ـ السُّنْسِنُ : العطش ـ

[٢ / ١١٤]

■ أوْطَـاس :

وتقول : رأيْتُ جِراجَ أوْطاس ، إذا أخبرتَ عن الناس ، وذاكَ لكثرتهم .

[١ / ١٩٧]

■ أوْلُ :

وقال الطائي : الجِذْبَارَةُ منَ الإبل التي ليس لها سَنَامٌ . قال :

وأعْـرَضَ مِنْ أوْلٍ قِنَانٌ كَـأَنَّها بَخاتِـيُّ أَنْضَاهَـا السِّفَارُ حَـذَابِرُ

[١ / ٢١٥]

■ أيْلَـة :

وقال علي بن وهب الـمُزَنِـي في الارهام :

أدْمَـاء تَتْبَـعُ الـزِّمَـامَ كـأنَّها فَـدَنٌ بِأَيْلَةَ يَـوْمَ دَجْنٍ مُـرْهِمِ

[٣ / ١٩]

■ **الْبَدِيُّ :**

قال فَضَالةُ بنُ هِنْدٍ :

إنِّي تركْتُ ضِبَاعَ الجوّ خَارِفةً   بَيْنَ الْبَدِيِّ وأعْلَى قُلَّةِ الحَسَنِ

وقال لَبِيدُ :

جَعَلْنَ حِرَاجَ الْقُرْنَتَيْنِ ونَاعِتاً   يَمِيْناً، ونَكَّبْنَ الْبَدِيَّ شَمَائِلا

[١ / ٢٠٢ و ٢٤٠]

■ **الْبَرَاذِعُ :**

وقال ـ أبو الخرقاء ـ:

ولَسْتُ بِرَاءٍ بِالْبَرَاذِعِ بَادِياً   ولاحاضراً حَتَّى يَؤُوبَ المُنَخَّلُ
وَلاَ رَاكِباً مِنْهُم يُرِضُ لِحَاجَةٍ   ولا مَاشِياً مِنْهُمْ بِهَا يَتَطَوَّلُ

[١ / ٣٠١]

■ **بَرَاقِش :**

العُتُم شجر يُشْبِهُ الغَرَب قال النابغة الجعدي :

يُسَنُّ بالضرو مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ   ثَهْلاَنَ، أَوْ نَاضِرٍ من العُتُمِ

[٢ / ٢٩٨] ـ وفي هامش الأصل (عن السكري: حفظي هيلان) .

■ **الْبِرْكُ :**

وقال أبو المستوْرِدِ : كُلُّ مَفْصِلٍ بَذْأَةٌ ، وقال: البِرْكُ جَبَلٌ بين حَلْيٍ وضَنْكَانَ وهو قوله :

وأَنْتِ التي كَلَّفْتِنِي البِرْكَ شَاتِياً

[١ / ٨١]

■ بُـرْمَـةُ :

والعُقْدَةُ حائطٌ من نخلٍ ، والجماعة عقَاد ، والقرية الواحدة بنخلها الْعُقْدَة ، تقول: من أيّ العِقَادِ امْتَرْتَ ؟ امِنْ خَيْبَر أَمْ مِنْ بَرْمَةَ .

[٢ / ٢٣٦]

ــ وانظر (وادي القُرى) .

■ بُـرَيْـم :

وانشد أبُو الـمُسَلَّم :

لـمـا رأيْـتُ أنَّها لاَقَـامَـهْ وأنَّـهُ الـنَّـزْعُ عـلى السَّـآمَـهْ
عـلى بُـرَيْمٍ وعَـلى عُـدَامَـهْ نَـزَعْتُ نَزْعـاً زَعْـزَعَ الـدُّعـامَـهْ

قال: عُدَامة وبُرَيْمُ وتَضْلُبُ مياهٌ بني إنسان . وأنشد :

تذكَّرتْ مَشْرَبَهَا بِتَضْلُب

[٢ / ٢٦١]

■ البُسَيْطَـةُ :

قال الشماخ :

لَقَوْمٌ تَصَـابَبْتُ الْـمَعِيْشَـةَ بَيْنَهُمْ أعـزُّ عَـلَيَّ مِنْ عِفَـاءٍ تَغَـيُّرا
وَلاَقَتْ بِصَحْرَاءِ البُسَيْطَةِ ساطِعاً من الصُّبح لما صَاحَ باللَّيْلِ أنْفَرَا

قال: يقول: إنَّ الصُبحَ إذَا أَقْبَلَ صاح ، ويسمع صوتَه كل شيء إلا الإنس .
قال: ورأينا الطير التهائم تفعل شيئاً يُصَدِّق هذا عندنا .

[٢ / ١٦٩]

■ بغـداد :

وقال نصرٌ : سَبغْتُ لبغداد ، وسبغتُ للكوفة ، أي مِلْتُ لهما ، ومِلْتُ لبغداد ، وملتُ للكوفة ، إذا عدل إليهما . يسبغ سبوغاً ، وهو الميلولة .

وقال: أرفأنا إلى بغداد ــ فهمزها ــ

[٢ / ١٠٥ و ١٠٨ ـ ١ / ٣٠٦]

■ الْبَقَّارُ :

وقال النابغة :

بَاتَ بِقِحْفٍ منَ البَقَّارِ يَحْفِرُهُ إِذَا اسْتَكَفَّ قَلِيلاً تُرْبُهُ انْهَدَمَا

[٣ / ١٧٦]

■ بقْعاء :

وقال الشيبانيُّ : المُعَرَّشُ إذا حفرتَ في مكانٍ ثم دنوت الماءَ خِفْتَ أن ينْهَالَ عليك ، تطويها بالخشب حتى تبلغ رأسَها ، ثم تحفرها بعد . وقال :

ألاَ لاَ أرَى مَاءَ المُعَرَّشِ مُنْبِياً قُلُوباً إلى أحْوَاضِ بَقْعَاءَ نُزَّعا

[٢ / ٣٠١]

■ البَقِيع :

وقال :

أَتَتْنِي خِفَافٌ قَضُّها بِقَضِيضِها تُحَسِّفُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالُهَا

[١ / ١٤٦] ــ البيت للشماخ انظر «طبقات فحول الشعراء» و«اللسان» ــ قصص ــ وقد يكون (النَّقِيع) فهو بلاد سُلَيْم .

■ بئر ثَمُود :

وقال:

حَتَّى يَظَلَّ الْمَائِحُ المُلَثَّمُ يَنْبُو عَلَيْهِ قِحْفُهُ الْمُثَلَّمُ

عَلى مَعَدِّيهِ المِقاطُ المحكمُ ظلتْ على بشر ثمود تنهم
حيث رغا السَّقْبُ وماتَ المجرمُ بدار قوم كفروا فأغرموا
ثم لَهُمْ إنْ بُعِثُوا جَهَنَّمُ

[٢ / ٢٧٣]

■ البياض :

وقال النميري : إنَّه لكادِي النبات إذا نبتَ نباتاً رَديئاً . وأنشد :

إنَّ البَيَاضَ إذَا أَردتُ نَبَاتَهُ كَادِي النَّبات ، وَإنْ أقَمْتَ طَوِيْلا

[٣ / ١٤٧]

■ بِيْشَة :

وقال لبيد في الرِّضَام ، وهي دون الهضبة :

حُفِزَتْ وزَايَلَهَا السَّرَابُ كأنَّها أجزاعُ بِيْشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا

[٢ / ٢١]

■ البيضاء : (الرستاق) .

■ البيض : (تَمَنّي) .

■ تَبَالَةُ :

قال زُهَير :

ببطن العقيق أو بخرج تبالة متى ماتجِدْ حراً من الشحم تَدْمُجُ

الدموج : الدخول .

وقال حُمَيْدٌ :

أَطَاعَ لَهَا مَرْدٌ بِأَعْلَى تَبَالَةٍ ضُمَيْرِيُّهُ والأَحْوَرِيُّ المُمَزَّجُ

ـ الأحوريُّ: الأسود ـ

وقال أبو دُوَاد ـ في الرجائز ـ:

وعَلَى الرَّجَائِزِ مِنْ ظِبَاءِ تَبَالَة أدمُ تربّبهَا . . . .

[١ / ٦٧ ، ٢١٠] و[٢ / ٣٢] ـ ولم يرد عجز البيت ـ

■ تَضْلُب : (بُرَيْم) .

■ تُضَارِع :

قال أبو ذُؤَيْبٍ :

كَأنَّ ثِقَالَ المُزْنِ بَيْنَ تُضَارِعٍ وَشَابَةَ ،بَرْكٌ من جُذَامَ لَبِيجُ

[٣ / ٢٢٥] ـ اللبيج النازل .

■ تَعْشَرُ : (سَعْيَا) :

■ تَغْلُمُ :

وقال سمعت للمطر خَوْأَةً شديدةً ، وهو صوته قال :

مِنَ الغَوْثِ حَتَّى ـ وَاألَتْ مِنْ خَوَاته إلَى السَّهْلِ أُخْدَاناً ثَعَالِبُ تَغْلمِ

[١ / ٢٢٢]

■ تَمَنِّي :

وقال :

لما بَلَغْنَا البِيْضَ من تَمَنِّي وَعَزْوَرٌ كالرَّجُلِ الجِلْحَنِّ
وأعْرَضَتْ دَوَّةٌ كَالْمِجَنِّ

[١ / ٩٤]

■ تِهامَــةُ :

وأهلُ تِهامة يسمون السُّذر الشِّذان .

[٢ / ٢٧٦]

■ التَّيَاسَـــانِ :

قال أبو محمد :

بَيْنَ التَّيَاسَيْنِ وبَيْنَ السَّفْحِ   لَهَا زِبَجْرٌ بَيْنَهَا ذُو صَدْحِ

[٢ / ٦٩] ـ وانظر «التكملة» .

■ ثَـاءَةُ :

وقال الخزاعي : عِراقُ البحر ماكان قريباً منه ، مثل سِيف البحر . قال رجل من خزاعة :

أَنَـا ابْنُ أَنْمَارٍ وهَـذَا زَبْـرِي   جَمَعْتُ أهْـلَ ثَـاءَةٍ وحَجْـرِ
ونَفَراً عِنْدَ عِرَاقِ البَحْرِ

[٢ / ٢٤٨]

■ ثَـادِق :

وقال لبيد :

فأجماد ذي رَقْدٍ فَأكْنَافِ ثَادِقٍ   فَصَارَةَ تُوفي فَوْرَهَا فَالأعَابِلَا

[٢ / ٣٣٤]

■ ثعَاليَاتُ :

العازِبُ من العشب الذي لايرعاه أحد . قال الراعي :

تَـرْعَى من جُنُوب ثعَالِيَـاتٍ   أسِرَّةَ عَـازِبٍ نَحَرَ الهِلالا

ثعالبات : أرض .

[٢ / ٢٩٩ و ١ / ١٠٤]

■ **الثَّعْلَبِيَّةُ :**

وقال الشيبانيُّ : الإحضار أن تضَع ماكان معك من متَاع أو طعام عند إنسانٍ ثم تنطلق ، كما يصنع الذين يحجون إذا بلغوا الثعلبيّة ، وهو الحَضَر .

[١ / ٢١٧]

■ **الثَّلَبُوتُ :**

والآرام : الأعلام الواحد إرَمِيٌّ . قال لبيد :

بأجِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا قَفْرَ الْمَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا

[٢ / ٢١]

■ **ثُلَيْثُ :**

تَدَيَّرْتُ المكان إذا اتخذته دراً . قال :

حَلَّتْ أُمَيْرَةُ ثُلَيْثاً تُدَيِّرُهَا أَرْضاً قِفَاراً لَهَا فِيها مَنَادِيحُ

[١ / ٢٤٨]

■ **ثَهْلَان :**

قال أبوزياد: المطروفة من النساء الناشز ، وأنشد لامرأة من بني عمرو بن كلاب ، كان تزوجها رجل من بني نُمَيْر :

لقد تشربُ العَيْفَا على الشُّرْب بِالْقَذَا فَلاَ الماءُ مَتْرُوكٌ ولا الشُّرْبُ نَاصِحُ
فَهَلْ فِي ذُرَا دَمْخٍ وثَهْلاَنَ مَذْهَبٌ لِمَطْرُوفَةٍ قَدْ مَسَّهَا القَيْدُ طَامِحُ
إذا هبَّتِ الريحُ الجَنُوبُ وجدتُهَا تَهِيج جوًى بين الضلوع الجوانح

وقال: الفِنْدُ من العَلَمِ نواجِيه قال الحارثُ بن حِلِّزَة :

لَـوْ أَنَّ مَـايَـأْوِيْ إِلَـيَّ أَصَـابَ مِـنْ ثـهْـلَان فِـنْـدَا

وانظر (براقش) .

[٢ / ٢٠٧ و ٣ / ٥٤] ـ وفي البيت الأخير اقواء .

■ جَبَلاَ طـيء :

الْـحَرِيْدُ الفَرْدُ قال امرؤ القيس :

سَـقَـيْـتُ بِـهِ جَـبَـلَيْ طَـيِّءٍ وَحَيّـاً بِنَخْلَةَ مِـنّـا حَـرِيْـدَا

[١ / ٢١٠]

■ جِلْـدَانُ :

وقال الثَّقَفِـيُّ في العرامض :

لَحَى الله أَتْيَاساً عرامِضَ بِالْـحِمَـى وَجِلْدانَ جِلْدَانَ ٱلْـمَخَانَةِ والغَدْرِ

[٢ / ٢٩٣]

■ جَـوٌّ :

والدِّينُ الطاعَةُ . قال زُهَيْرٌ :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَـوٍّ في بني أسد في دِيْن عَمْرٍو وحالتْ بيننا فَدَكُ

[١ / ٢٦٧]

كذا ورد اسم (جـو) في مخطوطة كتاب « الجيم » ، المنقولة عن نسختي ابن السكِّيت والحامض ، مما يدل على قِدمَ التصحيف في الاسم ، وصوابه (خـو) بالخاء المعجمة وهو الذي في بلاد بني أسد .

■ الجـــوف :

الخَلِيقة البِئْرُ . قال بعض بني سَعْدٍ :

تـذكُـرتْ خَـلائِـقـاً بُـرِيْـنَـا   بِـالْـجَـوْفِ لاَمِلْحاً ولا أُجُـونـا

[١ / ٢٣٦]

■ الجَهْـــراء :

الجهراء : من الأرض المستوية . قال عَرْوَشُ :

... أشَـاقَكَ بِـالْـجَهْرَاءِ غَيْـرَهُ   ضَرْبُ الأعَاصِيرِ والأرواح تَخْتَرِقُ

[١ / ١٣٥]

■ جِبِـــرَّى :

وقال أبُو المسلَّمِ : جِبِرَّى وادٍ .

[١ / ١٦٣]

■ الجِبْـــسُ :

وأنشد :

وجَادَ دِمَاثَ الْـجِبْسِ حَتَّى رَأَيْتَهَا   تَفِيضُ سَـوَاءً مَتْنُهَـا والـظواهـرُ

[١ / ١٨٨]

■ الْـحَبْـــلُ :

قال كُثَيِّر :

ويوم الحَبْلِ قَدْ سَفَرَتْ وَكفَّتْ   رِدَاءَ العَصْبِ عنْ رَتِـلٍ بُـراد

رَتِلَ الفَـمُ : إذا كان مفلَّجاً .

[١ / ٢٨٩] وفي الهامش (الديوان ٢١٩ : الخيل) .

■ الـحُبَـيَّا :

الـمَخْدُوسُ المصْرُوعُ . قال أبو ثور :

بِمُعْتَـرَكٍ شـطَّ الحُبَيَّـا تَـرَى بـه مِنَ الْـقَوْمِ مَخْدُوساً وآخر حَادِساً

[١ / ٢٠٦]

■ الحِجَـاز :

قال زهير :

ولست بِـلاَقٍ بـالحجـاز مُجَـاوِراً وذَا سَفَـرٍ إلاّ لَـهُ مِنْهُمُ حَبْـلُ

الخَنْطَبُ : مِعْزَى الحجاز .

■ ويقول أهل الحجاز : العرماءُ السوداء العنق والرأس وسائرُها أبيض ، أو بيضاء العُنُقِ والرأسِ وسائِرُهَا أسود .

■ وقال لبيد :

لتقيـظت علَكَ الحجـازِ مُقِيمـةً بِجَنُـوبِ ناصـفةٍ لِقاحُ الحـوأب

العلك شجر له شوك ويدعى القفْـي إذا يبس .

[١ / ١٧٣ و ٢٠١ و ٢ / ٣٣٣ و / ٣٣٨]

■ حَجْـرُ : (ثاءة) .

■ حَرْبَةُ :

والْـمَرَجُ البِيضُ ، وأنشد :

أوْ جَأْبَة مِنْ وَحْشِ حَرْبَةَ فَرْدَةٌ من رَبْرَبٍ مَرِجٍ أُلاتِ صَيَاصِي

[٣ / ٢٥٥]

■ الحرَّتـانِ : (يظلـم)

■ حَـرَض : (يظلـم) .

■ الحـزن :

وقال الدُّبَيْرِيُّ :

وَدُوْنَـه الحَـزْنُ وأجْبَـاءُ الضَّبُـعْ   دَوِّيَّةٌ شقَّتْ على اللاَّعِـي الشكِعْ

■ وقال أبو داود في العُرْهوم :

وهي تَمْشِـي مَشْـيَ الظَّلِيم إذَا مَا   مَـارَ في الحـزن سَهْلَةٌ عـرهـومُ

[٣ / ٢١٠] - اللاعي : الجزوع — [٢ / ٢٩٠] — وأحال في الهامش على كتاب «المعاني الكبير» ص ٤٠ وفسر العرهوم بالعظيمة

■ الحزيـز :

وقال عمرو بن شـأسٍ في الأعشم :

عَنْسِيَّةٌ لَـمْ تَرْعَ طَلْحـاً مُجْمَعَـا   ولاقُـتَـاداً بـالحـزيـز أعْـشَـمَا

[٢ / ٣٠٥] — الأعشم : اليابس .

■ الحسـن : (البدي) .

■ حضرموت :

وقال : جاريةٌ بنات اللحم ، أي مبنيَّةُ اللحم . قال :

سَبَتْـهُ مُعْصِرٌ منْ حَضْـرَمَـوْتٍ   بَـنَـاةُ اللَّحْـمِ جَمَّـاءُ العِـظَامِ

وقال الغنويُّ : رجُل حَضْـرَمُوتِـي ، والبلد حَضْرَمُوت . وقال معروف مثلها .

[١ / ٧٨ و ١٥٨]

■ حِضْـوَةُ :

وأنشد الأزديُّ لحاجز :

رَمَـوْا دَوْساً بِحِضْـوَةَ ثم أمْسَوْا   على دَوْسٍ كَذِي الدَّاءِ الكَظِيْـمِ

[٣ / ١٨٣]

■ حِقَان : (حقان)

■ حقان : (أبهر)

■ حلي : (البرك)

■ الحِمَى :

وقال : جرير :

مَرَرْنَا مُروراً وَسْطَ أخْيِلَة الحِمَى ونَحْنُ نَرَى الحُوَّاطَ مَرْأى ومَسْمَعَا
كَنَخْلٍ بأعْلَى قُرْحَ حِيطَ فَلَمْ يَزَلْ لـه خـائِـلٌ حتى أَنَى وتَمنَّعَـا
طِوَال الذُّرَى هَبَّتْ لَهُ مُسْتَنَاحَةٌ يمـانيـةٌ ألْـوَتْ بِـهِ فَتَـزَعْـزَعَـا

.... الخائل القائم على النخل والمال

[١ / ٢٣٥]

ـ وانظر جِلْدَان ـ قرح ـ نجد .

■ الْحِنْوُ :

قال صالح :

ودارٌ لَهَا بالحِنْوِ لم أَرَ مثلَهَا تَـوَفَّـتْ بهـا حِجَّـةٌ لا تُـؤَيِّسُ

[١ / ٧٦] ـ وفي الهامش: (في العجز حذف ، وهو سبب خفيف من مفاعيلن) .

■ الحوأب : (الحجاز)

■ حَيْرَانُ :

وقال أبو دُواد العامريُّ :

ونَحْنُ رَدَدْنَا الجَيْشَ رَدّاً [...] لهم نَعَمٌ حَـوْمٌ بِحَـيْرانَ مُحْنَـجُ

ـ الإحناج: الإعراض ـ

[١ / ١١٦) ـ كذا في الأصل المخطوط وزاد المحقق : مكان النقط (كأنهم) .

■ الْـخَـرْج :

وقال: الْخَرْجُ قَرْيَةٌ باليمامة ـ لبني قيس بن ثعلبة .

[١ / ٢٢٧]

■ خــزاز :

وقال هذه خَزَازِ يافتَى ، مثل قَطَامِ ورقاشِ وهي ركيَّةٌ له .

[١ / ٢٢٥]

■ خَشْــلٌ :

خَشْـلٌ واد .

[١ / ٢٣٩]

كذا وقد تقرأ خنثل :

■ خُشَيْــبُ :

وقال ـ لعله أبو حزام ـ: أنجبته عصا إذا قطع له عصا . وأنشد :

أنجبتـه رَهْبَـةً من أنْ يقـاتِلَني وخـيرُ ذاك اتّقاءُ الله والْـحَـذَرُ
كـأن جـرفـاء أنجـاه بهمتـه من طلح وادي خُشَيْبٍ وهو مُؤْتَزِرُ
نَمَى إليـه بفـأسٍ ذاتِ مُقْبِلَةٍ رِخْـوُ المِلاَطِ عَلَيْـهِ شملةٌ سَدَرُ

[٣ / ٢٧٩] ـ اسدر الثوب وأَسْبَلَ مثله .

■ خَـــوٌّ :

الدين الطاعة . قال زهير :

لئن حللت بخـو في بني أسد   في دين عَمْرٍو وحالتْ بيننا فَدَكُ

[١ / ٢٦٧] وفيه : (بجـو) .

■ خَــوَّانِ :

قال أبو محمد :

تـرعى بِخَـوَّيْنِ نَجِيْـلاً غـامِـدَا   قـدْ أَكَلتْ وارسَـهُ والخـاضِـدَا
واستقبلَتْ من صِبْغِه مجاسدا

[٣ / ٢٢]

■ الخَــوِيُّ :

وَقَال كُثَيِّـرُ :

أَلْـفَـتْ بَـنِي ضَـمْرَةَ بـالخَـوِيِّ   مــاشِئْــتَ مـن جـمـاعـةٍ وزِيِّ
فأعْرَزَتْ بالشيخ والصَّبِيِّ

ـ أعرز بالمتاع أي أفسد ، وأعرزت الأرَضَة بثوبك إذا أفسدته .

[٢ / ٢٧٨]

■ خَيْبَــر :

الجداميَّةُ الموقرة من النخل . ونخل جادم . قال مُلَيْح :

بِذِي حُبُكٍ مِثْلِ الْـقُنِيِّ تَزِيْنُهُ   جُـدَامِيَّةٌ من نخـل خَيْبَرَ دُلَّـخ

وانظر برمة ـ وادي القرى ـ

[١ / ١٣٧] ـ وفي الهامش : الأصل دُلَّح بالحاء المهملة تصحيف وماأثبتناه من «اللسان» . انتهى . ولكن الذي في « اللسان » ومثله « الصحاح » خطأ ، فالبيت من قصيدة حَائِيَّةٍ وردت في « شرح اشعار الهذليين » ـ ص ١٠٤٠ ـ وهو البيت الـ ٢١ منها ، وقبله :

سَبَتْكَ وَمَا تَسْبِيْـكَ إلاَّ غَـرِيْـرَةٌ   لَهَـا وَالِدٌ تَرْضَى بِهِ حِيْنَ يُمْدَحُ

■ السدّآث :

قال أبو محمد :

أصدرها عن طثرة الدآث صاحبُ ليلٍ خرِشٍ التّبْعاث

الخِرشُ الدائب في الإبل

[١ / ٢٤٠]

■ دارين :

وقال الأجش :

كأنَّ دجُالةً طَافَتْ بِأرحُلِنَا مِنْ مِسْكِ دَارِينَ يُغْلِي بَيْعَهَا الشارِيْ

[١ / ٢٧١]

■ الدَّبِيْلُ :

قال السعديُّ : الدَّبِيْلُ أرض مستويةٌ سهلةٌ ، ليس فيها رمل ولا حزونة ، تنبت النَّصيَّ والحلمة والرُّخَامَى والبقل .

[١ / ٢٤٤]

■ دجلة :

وقال : أخصب شَرَى الفرات ، وشَرَى دِجْلَةَ ، وهو ما مال عليهما من الأرض ، وهما شَرَيَانِ . قال القطاميُّ :

بِشَرَى الفرات ، وبعد يوم الجوسق

وقال أيضاً : الشَّرَى التلاع والأودية التي تصب في الفرات ، فذاك شَرَى الفرات ، وإن كانت قريباً منه ، أبعدها على قدر يوم ، وهما شَرَوانِ .

[٢ / ١٣٣ / و ١٣٤]

■ الدُّحْرُضَان :

والديلم مختلف النمل . قال عنترةُ :

شربتْ بماء الدُّحْرُضَيْن فأصْبَحَتْ زوراءَ تنفرد عن حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

[١ / ٢٦٩]

■ دَلْعَةُ :

وقال النُّظَّار :

أسْقَى على دَلْعَةَ نَخْلاً باسِقَا شُعْثَ الذُّرَى لايَتْبَعُ البوارقا
إلا حساءً تحتها غرانقا

الغرانق : الكثيرة الماء .

[٣ / ٢٠] ـ وفي هامش الأصل: (دلعة : عين) .

■ الدماخ :

وقال الفزاري :

بذات الدماخ فلا من مآب ولا منْ قَرَبْ

[١ / ٢٤٥]

■ دَمْخ : (ثهلان) .

■ دُوْمَةُ :

قال الفرزدق :

أوَصِّي تميما إنْ قُضَاعةُ سَاقَهَا قَوَا الْغَيْثِ من دارٍ بِدُومَةَ أو جَدْبُ

[٣ / ٨٣] ـ وفي الهامش: قوا الغيث احتباسه .

■ دَوَّة : (تَمَنّي) .

■ الدَّهْنَا :

وأنشدنا في النسبة إلى الدهنا :

وعِزَّة مخماص يَبِيتُ شِعَارُها دُوَيْنَ رِقَاقِ الرَّيْطِ مِسْكٌ وعَنْبَرُ
وقَامَتْ تُحَيِّينَا ضَعِيفاً كأنَّهَا تَبَغُّمُ دَهْنِيٍّ من الْعَيْنِ أَحْوَرِ

[١ / ٢٦٩]

■ راكس :

البُهْرة من الأرض: السهل الواسع الوطء، وأَبْهَرُ الوادي ماتسع منه وأنشد :

أسقي مَنَازِلَهَا بِبُهْرَة راكِسٍ رِهَمُ السَّحابِ صَبِيرُهُ يتكَشَّفُ
طَابَتْ جَنَائِبُهُ فَقَلَّعَ هَيْجُهَا نَضَداً يقودُ له رُوَاقٌ أرْعَفُ

■ وقال ابن أحمر :

تواعَدْنَ إلاَّ وَغْى عن فرج راكس فَرُحْنَ ولم يَغْضِرْن عن ذاك مَغْضِرا

[١ / ٧٧ و ٣ / ١٢]

■ رامة :

وقال في جمع العين أعيان . قال أوس :

فقد قَرَّ أعْيَانَ الشّوامِتِ أنَّهُمْ بِرَامَةَ أُحْدَانٌ ضُحَى الْغَدِ ظُلَّعُ

[٢ / ٣٠٤]

■ الرَّخْبَة : (وادي القُرى) .

■ الرَّدْهُ :

وقال النابغةُ : ـ في الكفاح وهو العِيَانُ :

فَصَبَّحَهُ كِلاَبُ بَنِي قتون(؟) بِجَنْبِ الرَّدْهِ مِنْ حَذَرٍ كِفَاحاً

[٣ / ١٧٦]

■ **الرُّسْتَاقُ :**

وقال البحرانيُّ : البيْضاءُ كما تسمى الرستاق .

[١ / ٩٣]

■ **الرُّسَيْسُ :**

قال كعبٌ :

وهمْ بِوَرْدٍ بالرُّسَيْسِ فَصَدَّهُ رِجَالٌ قُعُودٌ بالدُّجَى بِالْمَعَابِلِ

[١ / ٢٦٦]

■ **رَقْد :**

وقال في الرِّمَّة :

سقى الله أصداءً بِرَقْد وَرمة ذِهَابُ الثُّرَيَّا لاتَجَلَّى غيومُهَا

وأنشد في الرُّقْدِ :

فَصَكَّا بِهَا في رَأْسِ عَلْيَاءَ بُهْرَةٍ منَ الأرْضِ يَعْلُو فَوْقَ رَقْدٍ جَبِيْنُهَا

[٢ / ١٣] وانظر (ثادق)

■ **الرَّمَادَة :** (فَيْفَا).

■ **الرَّهْطُ :**

وقال تأبط شَرًّا في الأرواق :

نَجَوْتُ مِنْهُ نَجَائِي مِنْ بَجِيْلَةَ إذْ أَرْسَلْتُ لَيْلَةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أرواقي

[٢ / ٢٢]

■ الـزُّرْقُ :

وقال : كَانَ ذُو الرُّمَّةِ سَدِكاً بالزُّرْقِ .

[٢ / ١٢٠] ـ وأخطأ المحشي حيث فسَّر الزرق هنا بالنصال :

■ سَبُـــى : (الأمرار) .

■ سَغيـــا :

قال مَسْرُوح :

أُقَـاتِلُ عَنْ بَنِي ابنِي عَمَّتِـي(؟) لَعَمْرِي لَقَدْ لاَقَيْتُ يَوْماً مُذكَّرَا
ومانَحْنُ إلاَّ خَمْسَةٌ ثُمَّ قَدْ أَتَتْ مُصَابَتُنَا مِنْ بَـيْنِ سَغْيَا وتَغْشَرا
أَلُفُّهُم بالسَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَـانِبٍ كَمَا لَفَّتِ الْعِقْبَانُ حِجْلَى وغِرْغِرَا

[٣ / ١٨]

الغرغر : دجاج الحبش .

■ السُّــلاَّن :

وقال أبو السَّمْح : السُّلاَّنُ والواحد سَليل ، وهو مَجْرَى ماءٍ مُطْمئنّ شَيْئاً ، ليس فيه كهاف ، وعرضه قريب من خمسين ذراعاً ، وهو ينبت الشيح والقيصوم وربَّما زرعوه .

[٢ / ١٠٤]

■ السمـــاوة :

وأنشد النُّـمَيْرِيُّ :

إلى السَّمَـاوَةِ يَرْعَـاهَـا ويَـأْنَفُهَـا مِنَّا كراكِرُ بَذُّوْا ضَـاحِـيَ الْبَشَرِ

قوله : يأنفها : أول من يرعاها .

■ قال الشيبانيُّ: هذا وادٍ مُسْنِمٍ. إذا جئته من السماوة.

[١ / ٦٣ و ٢ / ٩٧]

■ سَنَام:

لقد قربن قربا مُصْعَرًا إذا الهدانُ حار فاسبكرًا
أدنينه من أهله فَسُرًّا ذا الصهوات البادنَ المُمَرًّا
لايبرح المنزلَ إلا جَرًّا والحُرُّ يتركن فليس حُرًّا
ينضحن ماء البدن المُسَرًّا نضح الأديم الصفَقَ المُصفرًّا
بدأن كوماً، ورجعْنَ عُرًّا شرِبْنَ من ماوان ماء مُرًّا
ومن سنام مثلَه أو شرًّا وجْد المقاليتِ يحقن الضرًّا
تَطُرُّ أنضاد الثقاف طرًّا

[١ / ١٩٤] ـ ويظهر أن أول الكلام سقط.

■ سُواجُ:

والْعَذَابُ رَمْلٌ. قال جميلُ:

وإنِّي لأَهْوَى من بُثَيْنَةَ أَنْ أَرَى سُوَاجاً وقُرَّى والْعَذَابَ مِنَ الرَّمْلِ

وكُلُّ شَقَائِقَ بَيْنَ الجِبَالِ مِنَ الرمْل فهو عَذَاب

[٢ / ٣٣٢]

■ السُّوبَان:

قال زُهير:

ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثم جَزَعْنَهُ على كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيْبٍ وَمُفْأَمِ

[٣/ ٤٩]

■ السُّوَى:

قال الْقُطَامي:

مِيَاهُ السُّوَى مايَحْمِلْنَها علَى الصُّوَى   دَليف الرَّوايا بالمُثَمَّمَةِ الوُفْر

المثممة : المكفَّفة، يقال: ثَمِّمْ مزادتَك هذه لا تخرَّقْ .

[١ / ١٠٦] - في الأصل: (قبل الصوى) بدل (على الصوى) .

■ شَابَــةُ :

حَذْلِمْ مزادَتَك أي دَحْرِجْهَا إذَا مَلأْتَهَا . قال كُثَيِّرٌ :

تَثُجُّ رَوَايَاهُ إذَا الرَّعْدُ زَجَّها   بِشَابَةَ، فَالقُهْبِ المَزَادَ المُحَذْلَمَا

[١ / ١٤٣]

■ الشـــام :

قال الهُذَلِيُّ: هو على أطرقاء من الشام أو غيره ، يعني الطرق .

[٢ / ٢١٧]

■ شَرْمُ جابر :

الشَّرْمُ : المكان من البحر لايُدْرَكُ غَمْرُهُ ، ومنه مكانٌ يقال له شَرْمُ جابِرٍ .

[٢ / ١٥٧]

■ الشُّمَيْـــطُ :

وأنشد في الجِزَّةِ :

بِأَعْلَى ذي الشُّمَيْطِ حُزِيْنَ فِيْهِ   بِحَيْثُ تكونُ جِزَّتُهُ ضُلُوْعا

[١ / ١٨٧]

■ صَـــارَةُ :

قال زُهير :

تَـرَبَّـعَ صَـارَةَ حَتَّى إِذَا مَـا فَنِيَ الـدُّحْـلاَنُ عنـه والإِضَـاءُ

[١ / ٢٦٧]

■ صارة : (ثادق)

■ صُــرْخُ :

قال: الازهاق السِّمَنُ : إنه لَـمُزْهِقٌ إذا كان سمينا . قال:

رُبَّـتَ شَـيْـخٍ أهـله بِصُـرْخٍ حَـجٌ عـلى ذاتِ نَـجـاءٍ زَخُّ
في مِـرفقَيْهـا كـأثـافي الفَـخ مُـزْهِقَـةِ النِّيِّ قَصِيْـدِ الـمُخ

[٢ / ٤٤]

■ الصفــا :

قال منظور :

أَقْـوَى خِيَامٌ بِـالصَّفَـا مِنْ أَهْلِهْ وذَاكَ بـاقي الثُّمِّ من مُـدَبَّـلِهْ

أي من مجتمعه .

■ وأورد البيت في موضع آخر :

أقـوى خِيـامٌ بـاللِّوَى من أَهْلِهِ وَبَـاد مَرْسَى الخَيْمِ من مُـدَبَّلِهْ

[١ / ٢٥٣ و ٢ / ٢٥٧]

■ صِيَاد : (فيفا) .

■ صُنَيْبِعَــاتُ :

وصُنَيْبِعَاتُ أرضٌ .

[٢ / ١٦٦]

■ صُوَائِــقُ :

والْـعَلَهُ الاَّ تَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ . قال لَبِيد :

عَلِهَتْ تَبَلَّدُ في نِهَاءِ صُــوَائِـقٍ سَبْعــاً تُؤَامــاً كَــامِـلاً أيَّــامُهَــا

[٢ / ٣٣٩]

■ الصَّيْــدَاءُ :

الأُطُومُ : سمكةٌ في البحر غليظةُ الجلد ، وهي قولُ الشَّمَّاخِ :

وَجِلْدُهَــا من أُطُــومٍ مــايُؤَيِّسُــهُ طِلْحٌ بِضَــاحِيَةِ الصَّيْــدَاءِ مَهْزُوْلُ

[١ / ٦٤] ــ وفي الهامش أحال إلى «الديوان» ص ٧٩ .

■ ضنكان : (البِرْك)

■ الطبــاع :

وقال: كِنْهِيُ الطُّبَاع : موضع. انتهى والقائل الطائي فهو أقرب مذكور .

[٢ / ١١]

■ طِمِـــرُّ :

وقال رجل من بني سعد ، وأتى جبلاً يقال له طِمِرٌ فَاصْطاد من ضِبَابه ، وأَرَكَ به هو وأهلُه :

والله لــولا أكــلَةٌ في الْـمَــرِّ بِــكَبِــدٍ بِـكُــشْـيَــةٍ بِــظَـهْــرِ
لَقَدْ خَلاَ مِنَّا قَفَا طِمِرِّ

[١ / ٧٢]

■ طُوَيْلِــعُ :

وقال حُنَيْفُ الْـحَنَاتِمِ ــ لماءٍ لَـهُـمْ يقال له طُويلع ـ: والله إنَّك لَـمَلِصُ

الرِّشَاء ، بعيد الْـعَشَاءِ ، ومانَبِيْعُكَ بماءٍ . انتهى .

[٣ / ٢٣٨]

■ **عَاسِـــمُ :**

التَّزَيُّـم التَّفَرُّقُ . وأنشد :

فَـأَصْبَحَتْ بِعَـاسِمٍ أَوْ أَغْسَـا تَمْنَعُهَـا الكَـثْـرَةُ أن تَـزَيَّمَـا
يُهِيبُ رَاعِيهَا بِهَا لِيَعْلَمَا

[٢ / ٧١]

■ **عَانَـــةُ :**

وقال الشيبانيُّ: البراغيلُ ماكان من الآبار قريباً من الرِّيْف ، وهي المزالف .
قال الأخطل :

يَقِسِمُ أمْراً أَبْطَنَ الْـغِيْلِ يُوردُهَا؟ أَمْ بَطْنَ عَانَةَ إِذْ نَشْفَ البراغيلُ

[١ / ٨٣]

■ **عُدَامــة : (بُرَيْـم)**

■ **العــراف :**

الطُّفْلُ مطر . قال صالح :

لَـوَهْـدُ جَـادَهُ طِفْـلُ الـثُّرَيَّـا تَضَمَّنَـه الْـعَـرَافُ أَو الْـقَنَـانُ
بِــهِ الْـغَـرَّاءُ فَـاخـرةً تُبـاهِـيْ مَـعَ السَّعْـدَانِ نَبْتَ الإِرْبِيَـانِ
يَكَـادُ الْـمُجْتَـوِيْ يَشْفِي جَـوَاهُ تَـنَفُّـحُهَـا عَـشِيَّـاتِ الـرِّثَـانِ

الرِّثان: مطر . والغراء بقلة . والإربيان من ذكور العشب .

[٢ / ٢١٩]

■ العـــراق :

قال أوس :

أَعَيَّــرْتَنَــا تَمْــرَ العـــراق وبُـــرَّهُ وزادُكَ أَيْرُ الكَلْبِ خَشْخَشَهُ الجَمْرُ

[١ / ٢٠٤]

■ الْـعِـــرْضُ :

وأنشد :

نظرتُ ودُوني عرْمضُ الْعِرضِ هَلْ أَرَى جِبَـالاً بِهَا بَـرْدُ الـجَنُوبِ وطِيْبُهَا

قال أبو الخليل: العرمض ماينبت أسفل الأراك من الغضا من صغاره .

[١ / ٢٩١]

■ ذاتُ عِـــرْقٍ :

وأنشد ــ أبو الـمُسَلِّـمِ :

دَعَـوْتُـكَ لِلرِّدَافِ بِــذَاتِ عِـرْقٍ وَقَدْ نَجِدَتْ، وَظِمْؤُكَ ظِـمْءُ حُوْتِ

[١ / ٣٠٧]

■ عُرَنَـــات :

قال لبيدُ :

والْـفِيْـلُ يَـوْمَ عُـرَنَـاتٍ كَعْكَعَـا إذْ أَزْمَـعَ العُجْمُ بِـهِ مَـاأَزْمَعَـا
لَا يُحْسِنُ النَّعْلَ إِذَا تَشَسَّعَا

[٣ / ١٦٨]

■ عِرْنَـــانُ :

قال زهير بن جَنَاب :

هُدُوءَ الـمُوسَى ثُمَّ نَصَّتْ سَبِيعَةً ... شَدِيدَة أعْلى مَاضِـغ وَجِتَـارِ
فـألْقَتْ بِعِرْنَـانِ الجِـرَانِ مُنِيمَـةً ... وَضَمَّتْ حَشَا عن كَلكَلٍ وشَوَارِ

المُنيمة التي قَـدِ اطْمأنَّ إليها، وعلم أنها ستنجيه بإذن الله مما يخاف .

[١ / ١٨٠] ــ وقد يكون عرنانُ هُنَا جَانِبَ الجِرَان ، وليس اسم موضع .

■ العــروج :

قال طُفَيل :

رَدَدْنَ حُصَيْناً مِنْ عَدِيٍّ ورَهْطَهُ ... وتَيْمٌ تُلَبِّيْ بِـالعُـرُوْج وتَحْلِبُ

[٣ / ٢١٣] ــ وانظر (لبب) في «اللسان» .

■ عُـرَيجـاء :

وقال :

وَأهْـلُ عُرَيْجَـاءَ الَّـذيْنَ صَبَحْتَهُمْ ... بِكَفَّيْكَ حَتَّى اسْتَوْعَبَ القَرْضُ مِحْلَبُ

[٢ / ٢٦٢]

■ عَـزْوَرُ : (تَمَنّي) .

■ عِفِـرِّيْـنُ :

وقال: ليثُ عِفِرِّيْنَ . وقال: عِفِرِّيْنُ قرية بالشام ، بالغور .

[٢ / ٣٤٨]

■ العقيق : (تَبَالَة) .

■ عُـكَـاظ :

وقال ـ لعله يعني العقيلي فهو أقرب مذكور ـ: تقول: إحْدَى الإحَدِ عند الأمْرِ المنكر ، وأنشد :

بِعُكَاظٍ فَعَلُوا إحْدَى الإحَذْ

■ وقال الضمريُّ في الرعاع :

فَطَارَتْ رَعَاعاً واتَّقَتْ بِظُهُورِها غَدَاةَ عُكاظٍ وَقْعَ كُلِّ سِنَانِ

■ قال النابغة :

مُتَكَنِّفَيْ جَنْبَيْ عُكَاظَ كِلَيْهِمَا يَدْعُو وليدُهُم بهَا عَرْعَارِ

[١ / ٧٢ / و ٢ / ٢٣ / ٣٠٣] ـ عرعار : كلمة يتداعى بها صبيان العرب ليجتمعوا للعب .

■ الْعَلَاةُ :

وقال العُذْرِيُّ : المُحْبِجُ من الرجال الغضبان . قال :

عَلَوْا عَلَى ظَهْرِ العَلَاةِ مُحْبِجَا مِنْ أَكْلَةٍ كَانَ لها مُشَنَّجَا
هَوْدَجَ سَوْءٍ لَا يُعَالِي هَوْدَجَا

[١ / ١٤٦ و ١٧٤]

■ العَلْيَاءُ :

قال أَوْسٌ :

يامَنْ يَرَى الظُّعْنَ بِالعَلْيَاءِ غادِيَةً عَلَى مَرَاكِبِ سَاجٍ غَيْرِ أَحْرَاجِ

[١ / ٢٠٤]

■ عِلْيَبُ :

وقال الحارثيُّ : عِلْيَبُ الوادي ـ خَفَضَ العينَ ـ

[٢ / ٢٤٦]

■ عُـــوَارِضُ :

وأنشد في العائض :

هَلْ لَكَ وَالْـعَائِضُ مِنْكَ عَائِضُ؟ في هَجْمَـةٍ يُغْدِرُ مِنْها القَابِضُ
كَـأَنَّها لَمّـا بَـدَا عُـوَارِضُ والـلَّيْـلُ بَـيْـنَ قَنَـوَيْـنِ رَابِضُ

[٢ / ٣١٠] ـ الأبيات في «تهذيب الألفاظ» ٦٤ مع بيتين قبلهما مَعْزُوَّانِ لعبدالله ابن ربعي الحذلمي وفي «اللسان» ـ عرض ـ لأبي محمد الفقعسي والشماخ ـ وانظر (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» (عوارض) .

■ العِـوَقُ :

وقال ابنُ رُمَيْضٍ عن الشيباني :

لَنْ يَمْنَعَ الـحَيَّ والعَيْثُومَ قَدْ عَلِمُوا أهْلُ السَّفِيْفِ ولاَ حَـيٌّ بِذِي العِوَقِ

ـ العيثـوم حَوْلِي الحلي وهو النَّصِـيُّ إذا كان أخضر ، والحَلِـيُّ إذا كان أبيض .

[٢ / ٢٨٧]

■ الغَبِيــطُ :

والعَراعِرُ السادَةُ قال لبيد :

ويَوْماً بِصَحْرَاءِ الغَبِيطِ وشَاهِدِي الـ ـملوك وأُرْدَافُ الملوكِ العَـراعِـرُ

[٢ / ٣٣٨]

■ الغَـمْــرُ :

قال المتلمس :

والـغَـمْـرُ ذُو الأَحْـســاءِ والـ ـلذَّات مِـنْ صَـاعٍ ودَيْـســق

[١ / ٢٦٩]

■ الغَمْـرَانِ :

أرِمٌ : أحَدٌ قال زُهير :

دَارٌ لِأَسْـمَاءَ بِـالغَمْـرَيْنِ مَـاثِلَةٌ كَالوَحْـيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أهْلِهَا أرِمُ

[٢ / ٢٠]

■ الغِنـــى :

قال النَّمِرُ بن تولب :

فَلَوْ أنَّ مِنْ حَتْفِـهِ نَـاجِيـاً نَجَـا صَـاحِبُ الجَمَـلِ الأَوْعَـرِ
أو الـمُـتَـتَـبِّـعِ رَمْـلَ الْـغِـنَى لَـهُ مَنْبِتُ الحَـاذِ والـقَـسْـوَرِ

[١ / ١٩٩] ـ وقد يكون (الغنى) ليس اسم موضع .

■ الغوث : (تغلم) .

■ غَيْقَـةُ :

البَرْثُ من الأرض البيضاء الرقيقة السهلة السريعة النبات . قال كُثَيِّرُ :

كـأنَّ حَـدَائِـجَ أظْـعَـانِهَا بِغَيْـقَـةَ لَمَّـا هَبَـطْنَ الـبِرَاثَـا

[١ / ٧٩]

■ الغِيْلُ : (عانة) .

■ غَيْـــلُ :

وقال البكريُّ : الرَّضْرَاضةُ صفاة صمّاءُ قال النابغة الجعْديُّ :

حِـجَـارَةُ غِيْـلٍ بِـرَضْرَاضَـةٍ كُسِيـنَ طِـلَاءً من الـطُّحْـلُبِ

الغِيْلُ شجرٌ بالوادي . ويروى غَيْل . وهو وادٍ .

[١ / ٢٩٨]

■ **فَدَك : (خَوّ) .**

■ **الفــرات :**

وقال عَمرُو بن شأْسٍ :

لَـوْ وَجَدَتْ مَـاءَ الفُـرَات بُـرَدَا مَـانَهِلَتْ إلاَّ عِـرَاكـاً أبـدَا

[٢ / ٣٠٥] العراك المزاحمة على الماء وانظر (دجلة) .

■ **فَلْـجُ :**

قال الأشْهَبُ بن رُمَيْلَة :

إذا هي حَلَّتْ بين عَمْرٍو ومَالِكٍ وَغِـيْرَ لَهَا مَـابَيْنَ فَلْجَ وحـائـل

■ **قال مُتَمِّـمُ :**

على قُلُصٍ زُوْح فَمِنْهُمْ مُكَوِّفُ وآخـرُ عَـالٍ بَـطْنَ فَلْج مُبَصِّرُ

[٣ / ٩] وانظر «القاموس» (غور) و[٣ / ١٨٢] مكوف من كوفت تكويفاً : صرت إلى الكوفة .

■ **فَيْـدُ :**

الجَحْدَلَةُ : الحداء الحسن المولد ، وهو الـمُجَحْدِلُ قال :

أوْرَدَهَـا الـمُجَحْـدِلُـونَ فَيْـدَا وَزَجَـرُوْهَـا فَـمَشَـتْ رُوَيْـدَا

[١ / ١٣٢]

■ **فَيْفـا :**

قال الأزديُّ :

والله لـوكُنْتُم بِـأَعْـلَى تَلْعَـةٍ مِنْ رُوْسِ فَيْفَا أوْ بِرُوْسِ صِمَادِ
لَسَمِعْتُمُ مِنْ ثَمَّ وَقْـعَ سُيُـوفِنَـا ضَرْبـاً بِكُـلِّ مُـهَنَّـدٍ جَـمَّـادِ
وَالله لاَيَـرْعَى قَبِيْـلٌ بَعْـدَنَـا خَضِرَ الـرِّمَـادَةِ آمِنـاً بِرَشَـاد

[١ / ١٣٣]

■ **قُــرَّى** : (سُواج)

■ **قــراس** :

.. الجلس الطويلة . قال أبو صَخْرٍ :

مُجَاجَةُ نَحْلٍ مِنْ قِرَاس سَبِيْئَـةٌ بِشَاهِقَةٍ جَلْسٍ يَزِلُّ بِهَا الغُفْـرُ

قراس : صخرة .

[١ / ١٣٨]

■ **قُــرْحُ** :

وقال :

مَرَرْنَا مُرُوْراً وَسْطَ أَنْخِلَةِ الحِمَى ونحْنُ نَرَى الحوَّاطَ مَرْأَى ومَسْمَعَا

كَنَحْلٍ بِأَعْلَى قُرْحَ حِيْطَ فَلَمْ يَزَل لَــهُ خَـائِـلٌ حَتَّى أَنَى وتَمَنَّعَـا

طِوَالِ الذُّرَى هَبَّتْ لَهُ مُسْتَنَاخَةً يمـانيـةُ أَلْــوَتْ بِـه فَتَــزَعْـزَعَــا

[١ / ٢٣٥] ـ عطف القول على عجز بيت من الشعر لجرير .

■ **القرنتـان** :

قال أوس :

وصَـرْعَى بِجَنْبِ القُرْنَتَينِ كَأَنَّهَا نُسُــورٌ سَقَاهَـا بِالـذُّعَافِ مُقَشِّبُ

[٣ / ١١٩] ـ وانظر (الْـبَـدِيّ) .

■ **قُــرَّى** :

قال حُرثَانُ :

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَّى إنَّـمَـا نقتُلُ إيَّانا

[٣ / ٤٠]

■ **القنان** : (العَرّاف)

■ **القَهْـبُ** : (شابـة) .

■ **الكراكِرِ** :

بلوذان ، أو ماحلَّلَتْ بالكراكر .

[١ / ١٥٢] ــ وفي «معجم ماا‌ستعجم» فلبثها الراعي قليلاً كَلاً ولا بلوذان الخ .

■ **الكواظـم** :

وقال الأكوعيُّ : اللُّوْثُ العِزُّ ، وأنشد لابن رُمَيْلَة :

لَوْكُنْتَ ذَا لَوْثٍ منَ العِزِّ لم تَعُذْ بِقَيْسٍ ، ولم تَحْلُلْ بِسيف الكواظِـمِ

[٣ / ١٩٦] وابن رُمَيْلَة هو الأشهب بن رُمَيلة .

■ **الكوفـة** :

إنه لبعيد المَحْدِسِ ، حَدَسَ نحو الكوفة أو غيرها .

[١ / ١٤٧] ــ وانظر: (بغداد) .

■ **لُحَيْفَـةُ** :

قال حُمَيْدٌ :

خَلَتْ بِالْـمُنَدَّى مِنْ ضَوَاحِـي لُحَيْفَةٍ وللسَّيْلِ مِنْ نَوْءِ السِّمَاكِ قَسِيْبُ

[٣ / ١٣١]

■ **اللِّـــوَى** :

الـمُدَبَّلُ : الخيام تُوَقَّرُ بالشَّجَرِ من عِيْدَانٍ ، وأنشد :

اقْـوَى خِيَـامُ بِـاللِّوَى من أهْلِهْ وبَـادَ مَرْسَى الخِيْمِ مِنْ مُـدَبَّلِهْ

[١ / ٢٥٧]

■ لوذان : (الكراكر)

■ اللوى : (الصفا) .

■ لِيَّـةُ :

وقال عَلَيْهِ عكَرَةٌ مَذْرَاءُ ، أي كثيرة من الإبل . وأنشد :

فَجَنُوبُ لِيَّةَ أقْفَرَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَطَمَتْ فَلاَ تُسْقَى بِهَا السَمْدَرَاءُ

[٢ / ٢٣٤]

■ مــــآب :

حَبَلَهم الماءُ أي دعاهم فلم يجدوا من إتْيَانِهِ بُدًّا . قال :

قُـرُيَّـةُ حَبَـلَ المَصِيْفُ وَأهْلُهَـا بِمَآبَ حَيْثُ تُرَى بُـرُوجُ قُرَاهـا

[١ / ١٤١]

■ ماوان : (سنام) .

■ مثقـــب :

وقال الأكوعي : تقول مثقب لكل طريق عظيم قال :

لعلَّك أنْ تَبْلُو بــأجْـوَازِ مِثْقَبٍ مِنَ القَوْمِ سَيْراً بـالفَلاَة مُمَزَّعا

[١ / ١٠٥]

■ المجــاز :

قال النابغة :

بَـاتَتْ ثلاَثَ لَيَـالٍ ثُمَّ وَاحِـدَةً بِذِي المَجَازِ تُراعِـي مَنْزِلاً زِيَـمَـا

[٢ / ٨١] ـ زِيَمًا : متفرق النبات . وقيل : أراد تتفرق عنه الناس وثلاث : أراد أيام التشريق ثم نفرت واحدة إلى ذي المجاز .

■ مُجَيِّـرَاتُ :

قال المكَعْبِـرُ :

ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُجَيِّرَاتٍ يَلُذْنَ بِهِمْ   فَـأَلْـحَمُـوهُنَّ مِنْهُمْ أَيَّ إِلْحَـامِ

[٣ / ٢١٨]

■ مُحَجَّــرُ :

قال طفيل :

فَـذَاقُوا كَـما ذُقْنَا غَـدَاةَ مُحَجَّـرٍ   مِنَ الغَيْظِ فِي أَكْبَادِنَا والتَّحَوُّبِ

[١ / ٢٠٥]

■ المدينـة :

وقال أهل المدينة : رَمَكْتُ الصَّقْر والبازِي والشاهِينَ وهو أن تشير إليه بالطير .

وقال الهمدانيُّ: الشَّرْيَةُ شَجَرَةُ الـمَغْدِ ، وهي شجرةٌ تلَوَّى على الشجرة حتى ترتفعَ إلى رأسها وثمرتُها مثل الخشخاشة ، فإذا أَنَى احْمَرَّ فأُكِلَ .

يقال: قد أَمْغَدَت الشجرة ، وهي التي رأيت بين المدينة ومكة ، ويقال لها إِبْلَمَة .

وقال رجل من مُحَارِبٍ وجلب جَلَباً له إلى المدينة ، فأدخله دار صاحب له ، وقد صرَّاها لبيعها فحلبها الآخرُ فقال :

أَبَـا أَسَـدٍ مَـابَاتَ ضَيْفُـك آمِناً   وإِنْ بِتَّ فِي دارٍ شَدِيْدٍ حِجَابُهَا
فَبَاتَ ذَوُو الإِسْلامِ بِالْـقَبْرِ عُوَّذًا   وبَاتَتْ تَنَاغَـى فِي يَدَيْكَ لِجَابُهَا
فَأَصْبَحَ أهلُ السُّـوقِ يَدْعُونَ صُبَّتِي   مِصَاراً وَقَدْ أَمْسَتْ مُبِيتا رِبَابُهَا

والصيق الأحمر الذي يكون في قلب النخل من لغة أهل المدينة .

[١ / ٣١٠ / و ٢ / ١٥٨ / و ١٧٠ / و ١٨٢] ـ المغد انظر «اللسان» .

■ الـمِرْبَـدُ :

الحَتَك البَهَمُ الصغار . . قال مُغَلِّسُ :

حَتَكاً يُسَوِّقُهُنَّ أَهْلُ المِرْبَدِ

[١ / ١٩٦]

■ المروة : (وادي القرى)

■ المـزوح : (النزوح) :

قال الهمداني :

ألاحَيِّ دَاراً بـالـمُـزُوح أَمَلَّهَـا دَوَاعِي البِـلَا تَجْلُوبُهَا وَاجْتِـلَابُهَـا

[٣ / ٢٥٤] ـ وفي الهامش : (كذا في الأصل : وفي نسخة الحامض : بالنزوح ـ بالنون) .

■ الـمِسْلَـحُ :

وقال : الـمِسْلَحُ الذي في طريق مكة .

[٢ / ١١٠]

■ الـمُشَقَّـرُ :

قال البحرانيُّ : جيلانُ ويامِنُ قوم من اليهود بِهَجَر ، وهم أَكَرَةُ الـمُشَقَّرِ ـ انتهى .

■ الأسابذة ناسٌ من الفرس ، كانوا مسلحة المشقَّرِ ، منهم المنذر بن ساوى ، من بني عبدالله بن دارم ، ومنهم عيسى الخطي ، ومنهم سعيد بن دعلج . انتهى .

[١ / ١٣٢ / و ٢ / ١٠٢]

■ المَضَمُّ :

كأن صوتَ الْمَائِحِ الْمُغْتَمّ فيها وَصَوْتَ المِغْوَل الأَصَمّ
نَبْحٌ بأعْلَى شُعَبِ المضَمّ

وادٍ

[٣ / ١٩] ـ ولم يذكر القائل .

■ الْمَضِيْقُ :

وقال أبو الموصول: سيف خَشِيبٌ أي عظيم ، ومخشوب . قال :

تَواصَوْا بِالْمَضِيْقِ فَنازِلُوكُمْ بكُلِّ مُهَنَّدٍ ذَكرٍ خشِيْبِ
كَلَوْنِ المِلْحِ أخْلَصَهُ ابنُ بَلْثٍ حُسَامٍ لا أفَلَّ ولا وجُوبِ

[١ / ٢٣٨]

■ مكـة :

قال العامريُّ :

وكان ابنُ أُمّي لا قَصِيراً مُزَنَّداً ولا هِجْرِعاً ضَخْمِ الشراسِيْف جَافِيا
سَبِطْراً كأحْطَامِ الرُّدَيْنِي شَعْشَعاً تَرَى للسُّلَاحِ في حَشَاهُ مَرَاقِيَا
ألَا هَلْ أتَى الأَقْوَامَ أنَّ فَتَاهُمُ وحَوْضَ النَّدَى أمْسَى بِمكّة ثاوِيَا.
مجاورَ بَيْتِ الله في خَيْرِ عُصْبَةٍ وأقْربهمْ منه إلى الله داعِيَا

[٣ / ٣٢١] ـ وانظر (المدينة) .

■ المَـلَا :

وقال : [معن بن أوس ؟]

قَدِ اتَّخَذَتْ أخْفَافَهَا بَيْنَ وَاقِمٍ وبَيْنَ الْمَلَا مِنْ كَرِّهِنَّ دَوَادِيَا

الدوداة آثار أقدام الناس في الإقبال والإدبار .

■ وقال لَبيدُ :

مَنَازِل مِنْ بِيضِ الْـخُدُودِ كَأَنَّها نِعَاجُ الْـمَلاَ مِنْ مُعْصِرٍ وَعَوَانِ

[١ / ٢٦٣ و ٢ / ٣٤١]

■ مَلْحُـــوب :

قال لبيد :

وصَاحِب مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بِيَوْمِـهِ وعِنْدَ الرِّدَاعِ بَيْتُ آخَرَ كَوْثَـرِ

الكوثر السَّيِّدُ .

[٣ / ١٦٧]

■ مليـــخ :

والرُّعام المخاط . قال :

ولا أُحِـبُّ مِنْ مَـلِيـخٍ أَحَـدَا مـاءً أجَـاجـاً وَرَعَـامَـا مُجْـمِـدَا

[٣ / ٥] ـ وقد يكون الاسم (مليح) بالحاء المهملة .

■ المَـهَـــا :

وأنشد الجعفريُّ :

على المَهَى يُحَشُّ لَهَا الثُّغامُ

وأورد البيت في أول الكتاب : وقال بشر :

فَـبَـاتَـتْ لَـيْـلَةً وأدِيْـمَ يَـوْم عَـلى الـمُمهَى يُجَزُّ لَهَا الثُّغَـامُ

[٣ / ٢٥٢] ـ من بيت لبشر بن أبي خازم :

وباتت ليلةً وأدِيْمَ لَيْلٍ على المها الخ و[١ / ٢٧٤]

■ ناصِفــة : (الحجاز)

■ الناطــف : (الأمرار)

■ ناعــت : (البدِيّ)

■ النبــوان :

والقصبة البئر الكثيرة الماء وأنشد :

شَــرْجٌ رُوَاءٌ لَــكُــنَّا وزُنْــقُــبُ   والــنَّـبَــوانُ قَــصَــبٌ مُــثَــقَّــبُ

[٣ / ٩٣]

■ النجـــد :

وقال: تقول للناقة إنها لجيدة الارتماء براكبها يعني سيرها . قال :

ويُضْبِحُ كأنْ لم يَسْكُنِ النَّجْدَ تَرْتَمِي   بِهِ فُضُلُ الأَقْرَابِ كَسْلَى التَّبَغُّمِ

وقال: إنها لفُضُلُ الأقراب : إذا كانت عتيقة الذراعين .

[١ / ٢٩١]

■ نجـــد :

الْـجِرْبَةُ بنجد بمنزلة النُّؤَى ، على سَطْرٍ من النخل أو سطرين أو ثلاثة ، لتحبس عليها الماء لتروى . والشطر الشِّرْبُ من النخل ــ كذا .

■ العُبَاب السرعة وأنشد :

أجِـدَّكَ لَنْ تَـرَى ظُعُنـاً بِنَجْـدٍ   نَــزائِـعَ ثُمَّ يحـزُوهـا السَّرَابُ
روافِـعَ لِـلْحِمَـى مُتَصَـيِّـفـاتٍ   إذَا أمْسَى تَـصَـيَّـفَـهُ عُـبَـابُ

■ وقال الكلابي: التف لَفّي بِلَفِّهِ . وقال : اللأبة الحرَّةُ . وأنشد :

ولو أَجْلَبَتْ نَجْدٌ ومَنْ لَفَّ لَفَّهَا وسالَ عَلَيْنا حَزْنُهَا ورِمَالُهَا

[١ / ١٢٧ و ٢ / ٣٤٧ و ٣ / ١٨٩] - ولا شاهد في البيت على اللابة .

■ نَجْرَانُ :

والعَبَسَرِيُرُ النَّاجية من الإبل وقال :

وكُنْتُ بِنَجْرَانَ كَلَّفْتُهَا أَفَانِيَ نَاجِيَةٍ عَبْسَرِيرِ

■ قال لبيد :

ويَوْمَ مَنَعْت الحَيَّ أَنْ يَتَفَرَّقُوا بِنَجْرَانَ فَقْرَى يَوْمَ ذَالِكَ فَاقِرُ

[٢ / ٣١٢ و ٣ / ٥٠]

■ نَخْلَة :

قال النابغة :

قَعَدتُّ لَهُ ذَات العِشَاءِ فَلَمْ أَنَمْ عَلَى مَرْقَبٍ مِنْ هَضْب نَخْلَة فَارِع

[٣ / ٥٦]

وانظر: (جبال طيء)

■ النزوح : (المزوح)

■ نَعمان :

وقال الطائيُّ :

رآها بِنَعْمانَ الأَرَاكِ فأزهَفَتْ فُؤَادَ أَبِي شَمَّاءَ مَاهُوَ ذَاهِبُ

■ الموئل الأمعز الشديد قال - لعله الأزدي -

إذَا سَالَ بِالْفِتْيَانِ نَعْمَانُ فاجْتَنِبْ طَرِيقَ السُّيُولِ إنَّ نَعْمَانَ مَوْئِلُ

[٢ / ٤٤ و ٣ / ٣١١]

■ نمـران :

وقال الأكوعي : أصابته سنة رَمُودٌ : أَزْمَةٌ وأنشد :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيْتُ أبـا عَصِـيٍّ بِـذِي نِمْـرَانَ خَـاطَبَنِـي طَـلاَمَـا

[١ / ٢٩٠]

■ النِّيـــر :

وقال في التَعَمُّجِ :

تـذكَّرتْ جِسْياً بحيث اعْتَلَجَـا مَـدْفَـعَ وادِي النِّـيْرِ إذْ تَعَمَّجَـا

[٢ / ٣١٦] ـ والتعمج التعوج في السير يمنة ويسرة .

■ وادي الـقُـرَى :

قال مُدرك بن حصن الفقعسيُّ :

مَاذَا ابْتَغَتْ حُـبَّى إلى حَلِّ العُرَى لاتَحْسَبِيْنِي جِئْتُ مِنْ وَادِي القُرَى
بِفِيكِ مِنْ سَارٍ إلى القَوْمِ البَرَى

ـ البَرَى التُّرَاب ـ

■ المشارف القرى التي حول وادي القرى ، الواحدُ مَشْرَفُ مثل خَيْبَر ، وبِرْمَةَ ، وذِي الـمَرْوَة ، والرُّحْبَةِ . وهي الرَّساتِيق .

[١ / ٩١ / و ٢ / ١٣٠]

■ واقـــم :

الدوداة : آثار أقدام النَّاسِ في الإقدام والإدبار . وقال :

قَدِ اتَّخَذَتْ أخفـافُها بَـيْنَ وَاقم وبَيْنَ الـمَلاَ مِنْ كَـرِّهِنَّ دَوَادِيَا

[١ / ٢٦٣]

■ وَجٌّ :

وقال الثقفيُّ في الفليق :

لستُ بسَاعٍ حِينَ أنْ أَخمست بِـأَسْهُمٍ ملعُـونَـةٍ والفَـلِيـق
إنَّ وَجـاً ومـايـلي بَـطْنَ وجٍّ دَارُ قَـوْمِي بِـرَبْـوَةٍ ورُتُـوقِ
دَارُ قـومي بِمَنْزِلٍ غَـيْرِ ضَنْكٍ من يُـرِدْنـا يكُنْ لأوَّلِ فُـوقْ
أي يُقتَل بأول سهم يُرْمَى به

[٣ / ٥٨] ــ وفي الهامش : (في نسخة الحامض : جَيْرانِ أخمست ، والبيت الثاني في «معجم ماستعجم» والثقفي أمية بن أبي الصلت . والبيتان الثاني والثالث في ديوانه : ٤٣) .

■ وجـرة :

وقال :

قَدْ خبروا أنَّ الْـجَمِيعَ بِوَجْـرَةٍ مِكَاثٌ يُفَجِّـي البقل والرعْيُ أحْوَسُ
الأحوس الكثير العُشْبِ الملتفُّ

[٣ / ٣٦]

■ الْـوَقِيـرُ :

وقال ــ لعله السعدي ــ : أُرْبُ البَهْم صِغَارُهُ ساعة سقط من أمهاته ، وأنشد :

واعْمَـدْ إلى أهلِ الـوَقِير فـإنَّما يخشى شـداك مُـقَـرْقَمُ الأرْبِ
يَـاضَـلَّ سَعْيَـكَ مـاصَنَعْتَ بِمَـا جُمِّـعْتَ مـن شُـبٍّ إلى دُبِّ

[١ / ٥٩] ــ وانظر «تهذيب اللغة» : ١ / ٣٩٥ و«اللسان» ش ذي ــ والشعر لأسماء بن خارجة .

■ هـاش :

وقال ـ لعله الطائي : والدَّمُّ إتعاب السير ، وقال :

قـدْ سُقْتُهَا الـرِّحْلَة سَوْقـاً دَمَّـا ‏ ‏ ‏ ‏ بيطن ذي هاشٍ تبـارِي الشُّمَّا

[١ / ٢٧٣]

■ هُبَالـة :

وقال أوس :

بَكَيْتُم عَلَى صُلْح الدِّمَاج ومِنْكُمُ ‏ ‏ ‏ ‏ بِذِي الرمْثِ مِنْ وَادِي هُبَالَةَ مِقْنَبُ

[١ / ٢٦٨]

■ هجر : (المشقَّر)

■ يثـرب :

الحائش جماعة النخل . قال معن :

يَخْفِضُهَا الآلُ طَوْراً ثم تَحْسِبُهَا ‏ ‏ ‏ ‏ في دَفْعِهِ حَائِشاً من يَثْرِبٍ سُحُقَا

[١ / ٢٠٣]

■ يرثـم :

وقال أبو الـمُسَلِّم : الرثم من الظباء أَغَرُّ الوجه والانثى رثمة . وقال : يَرثم جبل بأرض بني سليم ، قال :

لعمري لَقَدْ قَلَّدتَّ رَهْطَك خِزْيَةً ‏ ‏ ‏ ‏ تَـلَفَّـعَ منهـا يَـرْثُـمُ وتَعَـمَّـمَا

[١ / ٣٠٧]

■ يلملـم :

وقال أبو المسلم :

جِرْوِيَّةٌ تَحْسَبُ قَـرْمـاً مُسْنَـمَا ‏ ‏ ‏ ‏ كان جنوب العِيص منهـا معلما

والبَحَراتُ الخُرْجُ من يَلَمْلَمَا

جرويّةٌ : من بني جرو ، من بني خُفاف .

■ الرداةُ الصخرة ، قال طُفيل :

وشَيْظَمَة تَنْضُو الْخَبارَ كأنّها رَدَاة تَدَلَّتْ من فُرُوع يَلَمْلمِ

[٢ / ١١٠ و ٢ / ٢٥]

■ اليمامـة :

قال النجرانيُّ: المِشْور الكساءُ يَعْقِده الرجلُ من جانب على عاتقه ، فَيَحْتَشُّ فيه كما يصنع النبطُ وأهْل اليمامة يسمونه الخَالَ ، يقال : تَحَوَّلْ كساءَك .

■ وقال : والصِنْوانُ من النَّخْلِ بلغة أهل اليمامة الذي قَدْ يَبِسَ وفيه حياة ، ولا يَحْمِل ـ وهو الصَّاوِي ـ والواحدة صنوانة .

[٢ / ١٣٩ و ١٦٨]

■ يظلـم :

وأنشد :

بَاتُوا غِضَاباً يَعْلُكُون الأَرَمَا أَنْ قُلْتُ أَسْقى الحرَّتَيْنِ الدِّيما
جَوْداً وأَسْقَى حُرُضاً ويَظْلِما

[٢ / ٢٢٨]

■ يَنُـوفُ :

قال الغَرِيْرِيُّ : يَنُوفُ هضبةٌ بين الجبلين ، قال :

ظَلَّتْ عَلَى الثَّايَاتِ من يَنُوفِهَا تَدقُّ حَوْضاً رَمِضاً نَشُوفُها

وقال أبو الخرقاء : يَنُوفُ جبلٌ من أرض طيء يقال له ينوف . قالها الطائيُّ .

[٣ / ٣٢٧] (للبحث صلة) حمد الجاسر

النحو العربي

ادّعاءُ صعوبته ـ طريق معرفته

دعوى صعوبة النحو غير مقبولة:

كَثُرَ النزاعُ والقيلُ والقالُ ـ في هذه الأيام ـ في مشكلةِ اللغة العربية: النحوِ العربيِّ .

وشَغَلَتِ المسؤولينَ ، والجامعاتِ ، والمعاهدَ ، والمدارسَ ، وأصْبَحَتْ تتردَّدُ على الأفواه العباراتُ التالية :

صعوبةُ الإعراب، فُشُوّ اللّحْن، ضياعُ الفُصْحَى، جَهِلَ الأبناءُ لغةَ القرآنِ الكريم، اتَّسَعَ الخَرْقُ على الرَّاقع ، اخْتَلَطَ الحَابِلُ بالنابِلِ[1]، جُهِلَ المرفوعُ والمنصوبُ والمجرورُ والمجزُوم، عُمِّيَ المضمومُ والمفتوحُ والمكسورُ والسكونُ .

ثم ترددتْ أسئلةٌ :

ما السبيلُ إلى تقويم اللسان ؟

ما السبيلُ إلى الحفاظ على الفصحى ؟

كيف يكون الطالب صحيح الإعرابِ ، فصيحَ الأسلوب ؟

أقول : قامتْ دعوات من أكثر من مِئَةِ عامٍ تدعو إلى إحياء النحو، وتبسيطه ، وتيسيره .

وأنا أفهم من هذه العبارات وهذه التساؤلات قِيْمة اللغة العربية ــ وبخاصة النحو ــ عند أهله .

فالقواعد النحوية تاجُ اللغة العربية وغُرَّةُ علومها .

وللقواعد النحوية مكانةٌ ساميةٌ ومنزلةٌ عالية ؛ لأنَّها الضابط الصحيح للغة العربية .

والناطقُ بالفصحى مرموقٌ في حياته الاجتماعية ، مشارٌ إليه بالبنان ، لِصِحَّةِ لغته ، وسلامة بيانه .

واللاحنُ مُزْدَرى به في المجتمع ، وكان الناس قديماً يتعايرون باللحن ، وكان السابقون يقدرون الرَّجُلَ بِقَدْرِ مافيه من علم في القواعد العربية ، ويُسقطونه بِقَدْرِ جهله بها .

ونحن نعلمُ أنَّ التاريخ يعيدُ نفسه ، وأنَّ مفاهيم الناس لم تَتَغَيَّرْ ، وإنْ تغيرت وَفَتَرَتْ ما لبثت أنْ صُحِّحَتْ ، فالكمال في القديم كمالٌ في الحديث ، والجمالُ في القديم جمالٌ في الحديث .

صار الناس الآن يتعايرون باللحن كما كانوا في القديم كذالك .

وصدق الله ــ تعالى ـ حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .

وأما فكرة صعوبة النحو[٢] فهي فكرة انخدع بها قومٌ زمناً ثم قُضِي عليها ، وما ذالك إلا لأن القواعد النحوية محكمة النسج ، قوية البناء ، صحيحة العلة ، دقيقة القياس ، ميسرة الذكر ، موقظة الملكة ، مثيرة الحافظة ، كما أنها رياضة ذهنية ، تصقل الكلام العربي صقلاً ، وتجمله تجميلاً .

قال ابن الوَرْدِيّ[٣] :

جَمِّـلِ المنطقَ بــالنحـو ، فمَنْ　　يُحْـرَمِ الإعْرَابَ بِـالنُّطْقِ اخْتَبَـلْ

والسبيل إلى تعلم العربية هو تبسيط النحو وإحياؤه ، وتيسيره ، وسيرورته في المجتمعات الطلابية ، وذالك بأن يَكْتُبَ فيه العَالِمُون كلماتٍ قليلةً ، وأسطراً يسيرَةً يتناقلها الطلابُ والمثقفون في نواديهم ، ومجامعهم ، ومجالسهم .

وأذكر في هذا المقام أن الصاحب ابْنَ عَبَّادٍ[٤] حين اطَّلع على كتاب « الألفاظ الِكتابية » للعلامة عبدالرحمن بن عيسى بن حماد الهَمَذَاني[٥] المتوفىٰ سنة ٣٢٠هـ قال : لو أدركته لأمَرْتُ بقطع يده ولسانه ، فُسئل عن السبب ، فقال : جَمَعَ شُذُور العربية الجزلة في أوراقٍ يسيرةٍ ، فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ، وَرَفَعَ عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ الكثير ، والمطالعة الكثيرة الدائمة .

كما أنني أنصح الطالب أن يتعلم في كلِّ يوم مسألة نحويةً ، أو جملةً أسلوبية ،

أو فائدةً إعرابية . فتكون حصيلته على مدار عام واحد حفظ أكثر من (٣٦٠) ستين وثلاث مئة مسألةٍ أو جملةٍ ، أو فائدةٍ ، على أقل تقدير .

فلو ثَابَرَ الطالب عشر سنين على هذا النحو لكان قطافه أكثر من (٣٦٠٠) ست مئة وثلاث آلاف مسألة ، أو جملة ، أو فائدة . وهذا عدد غير قليل ، وفيه خير كثير .

وهذا الفعل يحمله على المثابرة ، وبذل الجهد . وهو عامل يتطلبه الدرس ، وحب المعرفة .

وتسير المثابرة في كنف الشوق ، وهنا يأتي دور الأستاذ المعطاء ، فإذا استطاع أن ينشر في الجو التعليمي الرغبة ، ويبسط عليه أعلام التشويق ، فإنه يستطيع أن يجعل المثابرة طوع إشارته ، وأن يوجه جهود الطلاب إلى مايريد ، وكما يريد .

وبذالك يصل الطالبُ إلى الغاية المنشودة .

ومن خير ما يلجأ إليه الأستاذ لِتَنْشِيْطِ المثابرة أن يهتم بإيقاظ المشوقات البعيدة كلما استطاع ذالك ، وأن يلقي على مسامعهم الفوائد الفريدة .

أعود بعد هذا إلى متابعة ماكنت بصدده فأتساءل : ما النحو؟ وما فائدته ؟

فأجيب : النحو هو فن الإعراب والبناء . وفائدته : التحرز عن الخطإ .

فَإِذَنْ ليست فائدته في نفسه ، بل في جمال النطق ، والاحتراز من الخطإ .

وبعبارة أشمل : في إقامة اَلْمَلَكَةِ العربية .

ولكنهم تدرجوا فيه من العناية به إلى التخصص فيه ، إلى عَدِّهِ غايَةً ، فخصصوا له حلقاتٍ ، ومدارس ، وندواتٍ ، ومساجلاتٍ ، ومُؤَلَّفات ، حتى أصبح هو الغاية من كلِّ دروس اللغة والأدب .

وما من آي من الذكر الحكيم ، أو حديث نبوي ، أو شعر عربي ، أو مَثَلٍ سائرٍ شَرَحُوهُ إلا عُنُوا بإعرابه ، وتطبيقه على قوانين النحو .

بل ما من كتاب في التفسير ، أو الحديث ، أو الفقه ، أو اللغة ، أو الشعر ،

أو الأدب أو الأخبار ، أو غير ذالك ، حتى مما لا علاقة له باللغة إلاَّ وفيه نَحْوٌ .

بل قد نجد من دقائق النحو ، وأسراره في غير كتب النَّحْوِ ، مالا نجده في أمهات كتبه .

وما من علمٍ شاعت اصطلاحاته وشواهده على ألسنة الناس ، حتى الأُمِّيِّيْنَ منهم مثل علم النحو .

من ذالك أنهم إذا أرادوا أن يقولوا :

– ليس إلى هذا الشيْْءِ حاجة ، قالوا : لا محل له من الإعراب .

– وإذا أرادوا أن لا يَلْحَنُوا ذكروا الاسم ، وعاقبوا عليه حركات الإعراب الثلاث . نحو : هات الْقَلمَ ، الْقَلمُ ، الْقَلمِ .

– وإذا أرادوا أن يقولوا : فَاتَ الشيءُ ، قالوا : أَصْبَحَ في خبر (كان) .

وإذا أرادوا أن يقولوا : وغير ذالك ، قالوا : وهَلُمَّ جَرًّا ، أو : وَقِسْ عَلَيْهِ .

– وإذا أرادوا توهين دليل : قالوا : أَوْهَى من حُجَّةِ نَحْوِيٍّ .

وقوانين النحو كانت في أصلها قليلة على قدر مادعت إليه الحاجة في إقامة الملكة لذا قالوا عنه : انه علم نضج وكاد يَحْتَرِقُ .

فاللغة العربية في حدِّ ذاتها سَهلَةٌ مُيسَّرةٌ ، يستطيع أن يفهمها الدارس ، ولا داعي لأن يغوص في التعليلات والأقيسة الصعبة .

فاللغة العربية من أسهل القواعد كتابةً ولفظاً ونحواً وصرفاً .

أما كتابتها ، فتصويرٌ مطابق للفظ إلى أبعد الحدود ، فممدودها وحركاتها القصيرة حين يحوج الأمر إلى تصوير الحركات أَكْسَبَاهَا إيجازاً في الخير ، واقتصاداً في وقت القراءة .

أما النَّحُو فقد دخل قواعده من التسهيل في التأليف الحديث ماجعله مَيْسُورَ الفهم ، خفيف العَنَاء ، بحيث انحصر في الكلمات المعربة والمبنية ، أسماءً وأفعالاً وحروفاً ، والخلاصات الإعرابية التي نجدها في بعض الكتب الحديثة .

والصرف ، لا صعوبة في قواعده الاشتقاقية المطردة الحية ، فأوزان اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وأسماء الآلة ، ومباحث الجموع والتصغير والنسب ، وهمزة الوصل والقطع ، والإبدال والإعلال تَتَرَدَّدُ على مسامع الطلاب ، وهي دائرةٌ في حياتهم الاجتماعية ، ومألوفة لديهم ، ولا أعني عِلَلَ النحو والصرفِ وأقيسته ، والألغازَ ، والأحاجِيَ ، والمُعَمَّيات مما يخص المتقدمين في الدراسة أو المختصين ، فهذا كلُّه غيرُ ضروريٍّ لتقويم اللسان ، وتثقيف الجنان .

وادِّعَاءُ صعوبة القواعد والشكوى من النحو بتغيير القواعد الإعرابية ، إنما تُعَالَجُ بطريقها الصحيح ، وهو ممارسة الفُصْحىٰ في المدارس تدريساً وحديثاً وَحِواراً .

وللصِّحَافة والإذاعة والخطابة والأندية الأدبية ، وما إليها ، أثَرٌ في تمكين الفصحى في الأسماع .

وأنا أهيب بالأستاذ أن يَحُضَّ الطالبَ على الدرس للنحو ، والبحث فيه بمثابرة وشوق ، فقضية النحو ليست قضية القواعد نَفْسِها ، بل قضية أسلوب تدريسها وتلقيها .

الطريق إلى معرفة الإعراب :

الإعراب وسيلة المتعلِّم ، وسلاحُ اللغوي ، وعماد البلاغي ، وهو مما اختصتْ به العرب من بين الأمم . ففي « الصاحبي » (ص ٧٦) : (من العلوم الجليلة التي اختصت بها العربُ الإعراب ، الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يُعرف الخبرُ الذي هو أصلُ الكلام ، ولولاه ما مُيِّز فاعلٌ من مفعولٍ ، ولا مضافٌ من منعوتٍ ، ولا تَعَجُّبٌ من استفهامٍ ، ولا صدرٌ من مصدرٍ ، ولا نعتٌ من تأكيدٍ) .

وفي « تأويل مشكل القرآن » (ص ١١) : (ولها الإعرابُ الذي جعله الله وَشْياً لكلامها ، وحِلْيَةً لنظامها ، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمَعْنَيَيْنِ المختَلِفَيْنِ كالفاعل والمفعول) .

ولقد نشأ البحث في اللغة وجمعها وتدوينها في العراق ، فكان دورُ علماء الإعراب ، أن وضعوا للجزيئات كليَّاتٍ ، وذالك عن طريق الاستقراء .

وَجَدُوا مثلاً في القرآن الكريم : ﴿ قالَ ربُّنَا[٦] ﴾ . ﴿ إذْ تَمْشي أُخْتُكَ[٧] ﴾ . ﴿ أَنْعَمَ اللهُ عليهم[٨] ﴾ فسموا الضمةَ على باء (ربُّ) وتاء (أختُ) وهاء (اللهُ) رفعاً . وسَمَّوْا هذه الكلماتِ فاعلاً . ووضعوا القاعدة العامة : (الفاعلُ مرفوعٌ) .

ووجدوا مثلاً في القرآن الكريم أيضاً : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ[٩] ﴾ . فَسمَّوا الفتحةَ على راء (الْـمُضْطَرَّ) وهمزةِ (السوءَ) و (خلفاءَ) نَصْباً ، وسمَّوا هذه الكلمات مفعولاً ، ووضعوا القاعدة العامة : (المفعولُ به منصوبٌ) ،

ووجدوا مثلاً في القرآنِ الكريم أيضاً : ﴿ وهُمْ في فَجْوَةٍ منه[١٠] ﴾ ، و ﴿ وهُدُوا إلىَ الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ ، وهُدُوا إلىٰ صِرَاطِ الحميدِ[١١] ﴾ ، ﴿ وَيذْكُرُوا اسمَ اللهِ في أيَّامٍ معلوماتٍ[١٢] ﴾ فسمَّوا الكسرةَ أسفلَ تاءِ (فَجْوَةٍ) وباءِ (الطيِّبِ) ولامِ (القولِ) وطاءِ (صراطِ) وميمِ (أيَّامٍ) جرًّا ، ووضعوا القاعدةَ العامةَ : (الاسم الداخلُ عليه حرفُ جرٍّ مجرورٌ) .

وهكذا فعلوا في سائر كلام العرب ، باذلين جُهْداً كبيراً في تتبع النصوص ، واستخراج القواعد .

ولقد تفرَّغ له العباقرةُ من أسلافنا ، يجمعون أصولَه ، ويُثبتون قواعِدَهُ ، ويرفعون بنيانه شامخاً ركيناً ، في إخلاصٍ نادِرٍ ، وصبرٍ لا ينفد .

ومهمةُ المُعْرِبِ أن يعرفَ اللغةَ وأساليبها ويقيسَ عليها .

***

والإعراب في اللغة : البيانُ ، وهو مصدر : أَعْرَبَ ، أي : أبان .

وإنما سُمي المُعْرِبُ : مُعْرِباً ؛ لأن الإعراب إبانَةُ المعنىٰ ، والكشفُ عنه ، من قوله صلى الله عليه وسلم[١٣] : « الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عنْ نَفْسِهَا[١٤] » .

وفي العرف : هو التطبيقُ على القواعد النحوية ، يقولون : أعرِبْ كذا وكذا .

والإعرابُ من خصائص اللغة العربية ، وهو ثمرة النحو ، وَلُبُّ لُبابِه ، وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ .

أوضِّحُ ذالك بمثالين مشهورين عند النحاة :

المثال الأول هو : ما أحسن زيد ، وفيه ثلاثةُ أشْكَالٍ .

١ ـ ما أحسنَ زيداً ، بفتح (أحسنَ) ، ونصبِ (زيداً) ، و (ما) نكرة تامة بمعنىٰ (شيء) مبتدأ ، فالأسلوب يفيد التعجب[١٥] .

٢ ـ ما أحسنُ زيدٍ ؟ برفع (أحسنُ) ، وجرِّ (زيدٍ) ، و (ما) استفهام ، فالأسلوب يفيد الاستفهامَ .

٣ ـ ما أحسنَ زيدٌ ، بفتح (أحسنَ) ، ورفع (زيدٌ) ، و (ما) نافية ، فالأسلوب يفيد النفي .

فهذه الأشكال الثلاثة مكتافئة من جهة اللفظ ، ومختلفةٌ من جهة المعنىٰ ، بسبب اختلاف الحركات .

وفي هذا الموطن قِصَّةٌ طريفةٌ لعلَّها كانتْ من الأسباب الداعية لوضع علم النحو .

قال أبو البركات الأنباريُّ : يُرْوىٰ أنَّ أبا الأسود الدؤلي قالتْ له ابنته : ما أحسنُ السماءِ ؟ فقال لها : نُجُومُها فقالت : إني لم أُرِدْ هذا ، وإنَّما تَعَجَّبْتُ من حُسْنِها ، فقال لها : إذنْ فقولي : ما أحسنَ السماءَ[١٦] .

المثال الثاني هو : لا تأكلِ السمكَ وتَشْرَبُ اللَّبَنَ ، وفيه ثلاثة أشكال أيضاً :

١ ـ (وتشربُ) بالرفع ، فيجوز في ذالك وجهان :

ـ أن تكون (الواو) للاستئناف ، وجملة (تشربُ) خبرٌ لمبتدإ محذوفٍ ، أي : ولك شُرْبُ اللبن ، ويكون النهي عن الأول فقط .

ـ وأن تكون (الواو) للحال ، وجملة (تشربُ) خبر لمبتدإ محذوف ، ويكون النهي عن المصاحبة .

٢ ـ (وتشربَ) بالنصب ، فتكون (الواو) للمعية ، و (تَشربَ) فِعْلٌ مضارعٌ منصوبٌ بـ (أن) مضمرة بعد (واو) المعية ، ويكون النهي عن الجمع بينهما .

٣ ـ (وتشربِ) بالجزم ، فتكون (الواو) عاطفة ، و (تشربِ) فعل مضارع ، معطوف على (تأكل) ، والمعطوف على المجزوم مجزوم ، وحُرِّكَ بالكسرِ لِلتَّخَلُّصِ من التقاء الساكنين ، وهذا من عطف الفعل على الفعل ، للتشريك في النهي(١٧) .

فَتَسَبَّبَ عن تغيير حركات (تشرب) اختلافٌ في المعنى .

والأمثلة في ذالك كثيرة .

ولابُدَّ للمعرب من إتْقَانٍ تامٍّ لقواعد النحو ، وذالك بأن يكون قد تَلَقَّى من نَحْوِيٍّ بارعٍ كتاباً جامعاً في النحو العربي ، كـ « أوضح المسالك » لابن هشام ، أو أي شرحٍ من شروح « الألفية » أو غير ذالك .

قيل : العلمُ ما يؤخذ من أفواه الرجال ؛ لأنهم يحفظون أحسنَ مايسمعون ، ويقولون أحسنَ مايحفظون(١٨) .

ثم يتعاهده بالقراءة في كلِ فترة ، وقد قالوا : لأَنْ تَقْرأَ كتاباً واحداً مرتَيْنِ ، خيرٌ لك من أنْ تقرأَ كتابَيْنِ .

***

وأما الوصول إلى الإعراب فله مراحل :

المرحلة الأولىٰ : أن يتأمل المعربُ مايقرأُ من كلامٍ (منثورٍ أم منظومٍ) ، أو ما يُلقىٰ على سمعه ، تأمُّلاً عميقاً ، وينظر فيه نظرة تفصيلية ، تُلِمُّ بالمعنى المراد . فإنّما تُدْرَكُ الدقائقُ بالتأمُّلِ ، فلهذا قيل : (تَأَمَّلْ تُدْرِكْ(١٩)) .

فإن كان الكلام قرآناً ، نَظَرَ إليه بسمعه وبصره وفؤاده ، لأن للقرآن الكريم نَحْواً خاصاً ، ونظماً عجيباً ، يختلف عن كلام البشر ، ولا يهتدي إلى إعرابه كثيرٌ من الناس .

فالنحاة البارعون لهم وجهان :

وجهٌ مع النحاة في نحوهم ، ووجهٌ في نَحْوِ القرآن الكريم وإعرابه[٢٠] ؛ لذالك لابُدَّ من معرفةِ سبب وروده ، وفَهْمِ مراميه ، قبلَ الخوض في إعرابه .

وإن كان الكلام حديثاً نبوياً فلابد من الوقوف على درجته ، أصحيحٌ هو أم سقيمٌ ، أمَرْوِيٌّ باللفظ أم بالمعنى ؟ فإن كان مرويًا في أحد الجوامع الصحيحة ، أو حَكَمَ الحُفَّاظُ عليه بالصحة ، وكان مروياً بلفظِ النبيِّ ﷺ ، أو بلفظِ الراوي المحتجِّ بلغتِهِ ، فهو صحيحٌ فصيحٌ ، يُحْتَجُّ به .

وللعلماءِ عناية بالغةٌ بالحديث الشريف . .

وإن كان الكلامُ مثلاً من الأمثال السائرة ، فلابُدَّ من استجلاءِ مورده ومضربه ، والأمثالُ يُحافظ على موردها عند مضربها[٢١] .

وإن كان الكلام شعراً ، فلا مَناصَ من معرفة قائله ؛ للوقوف على حقيقة الشاعر ، أهو ممن يُحْتَجُّ بشعرِهِ أم لا ؟ فإن كان يحتج به فشعره فصيح يحتج به .

وإن كان مِثالاً ، فيقاس على الأمثلة الفصيحة الصحيحة ، الواردة في الدواوين النحوية .

ولابد قبل الإعراب من فهم المعنىٰ : لمعرفة وجهة الكلام ، وللوقوف على المراد منه فإنهم قالوا : الإعراب فَرْعُ إدْرَاكِ المعنى[٢٢] ، وقد يكون إدراك المعنى فرعَ الإعرابِ .

وإذا اعترضتِ المُعْرِبَ ، بعد ذالك كلمةٌ لم يفهم معناها فَلْيَسْأَلْ عنها جاراتها ، فإن لم تُجِبْهُ فليستنبط معناها من فَحْوىَ الكلام ، وما يُناسبُ المقامَ ، فإن غُمَّ عليه فليستنِرْ بالمعاجم اللغوية .

أجل قلت : يتأمل المعربُ الكلامَ تأملاً عميقاً ، وينظر فيه نظرة تفصيلية ، ولكنني لا أريد تأمُّلاً كتأمُّلِ الشيخ الذي كان يتعاطى النحو بسجستان .

قال ابنُ الجوزيّ : كان بسجستان شيخٌ يتعاطى النحو ، وكان له ابنٌ ، فقال لابنه : إذَا أردتَ أَنْ تتكلَّم بشيءٍ فاعْرِضْهُ على عقلك ، وفكِّر فيه بجهدك حتى تُقَوِّمَهُ ، ثم أخْرِجِ الكلمَة مُقَوَّمَةً .

فبينما هما جالسان في بعضِ الأيّام في الشتاءِ والنَّارُ تَتَّقِدُ وقَعَتْ شرارةٌ في جُبَّةِ خزٍّ كانت على الأبِ وهو غافل ، والابنُ يراه ، فسكتَ ساعةً يُفكِّرُ ، ثم قال : يا أبتِ أريد أن أقول شَيْئاً ، أفتأذنُ لي فيه ؟

قال أبوه : إنْ حَقًّا فتكلَّمْ . قال : أراه حقًّا . فقال : قُلْ . قال : إني أرىٰ شيئاً أحمرَ . قال : وماهو ؟ قال : شَرَارَةٌ وقَعَتْ في جُبَّتِكَ . فنظر الأبُ إلى جُبَّتِه وقد احترق منها قطعةٌ . فقال للابن : لِمَ لَمْ تُعْلِمْني سريعاً ؟

قال : فكرتُ فيه ، كما أمرتني ، ثم قَوَّمْتُ الكلامَ ، وتكلمتُ فيه ، فحلفَ أبوه أن لا يتكلم بالنحوِ أبداً[٢٣] .

المرحلة الثانية : يَهْتَمُّ جِدَّ الاهتمام بمعرفة الأَخْبارِ ، سواء أكان خَبَرَ مُبْتَدَإٍ ، أم خبر (كان) وأخواتها ، أو خبر (إن) وأخواتها ، أو وصْفاً مُعْتَمداً على استفهام .

كما يهتم بمعرفة الأجوبة ، سواء أكان جوابَ قَسَمٍ ، أم شَرْطٍ جازِمٍ ، أم شرطٍ غيرِ جازم[٢٤] ، وعلامةُ كِلَيْهِما أن يتم المعنىٰ به .

المرحلة الثالثة : يُعْنَىٰ غاية العناية بالمُتَعَلِّقات ، متعلِّق الجار والمجرور ، ومتعلِّق الظرف الزماني والمكاني .

وأمارة الصوابِ أن يُسَلِّطَ المتعلَّقَ به على المتعلِّقِ ، فيلتئم طَرَفَا الكلامِ ، ويأخذ بعضهُ برقاب بعضٍ .

المرحلة الرابعة : لا يتحول من إعراب كلمةٍ إلى إعراب أخرىٰ حتى يَعرِفَ مايحتاج إليه الأولىٰ ، كالفعل المبني للمعلوم بحاجة إلى فاعل ، والفعل المبني

للمجهول بحاجة إلى نائب عن الفاعل . والفعل المتعدِّي لواحدٍ أو اثنين أو أكثر بحاجة إلى استيفاء مفاعيله . وهكذا . . .

المرحلة الخامسة : الإعراب نوعان :

أولهما : إعراب المفردات إعراباً دقيقاً مع بيان المعرَب والمبنيّ .

وثانيهما : إعراب الجمل ، والجملةُ إما أن يكون لها محلٌ من الإعراب ، وإما أن يكون لا محلَّ لها من الإعراب[٢٥] . ولابد من إحكامهما ليكمل الإعراب .

المرحلة السادسة : ينتبه المعرِبُ قبل البدء بالإعراب إلى أن يُميِّزَ بين الفعل والاسم والحرف ، فسببُ الشكوىٰ من الضعف في النحو عدمُ التمييز بين هذه الأقسام ، فَمَنْ لم يَهْتَدِ لأَوَّلِيَّات العلم ضاع في ثوانيها ، والتبستْ عليه الطرقُ ، وحارَ في أمره ، وأصبحت بضاعتُه من هذا العلم مزجاةً .

المرحلة السابعة : أن يتعلم أساليب الكلام ، فقد يكون للشيء إعرابٌ إذا كان وحدَه ، فإذا اتَّصل به شيء آخر تغيَّر إعرابُه ، فينبغي التحرزُ من ذالك .

فمن ذالك : ما أنتَ ؟ ، وما شأنُكَ ؟ فإنهما مبتدأٌ وخبر .

فإذا قلت : ما أنتَ وزيداً[٢٦] ؟ وما شأنُكَ وزيداً[٢٧] ؟ .

فـ(أنت) مرفوع بفعل محذوف ، والأصل : (ما تصنع أو ما تكون) ، فلما حُذِفَ الفعلُ وَحْدَهُ بَرَزَ الضميرُ وانفصل ، وارتفاعه بالفاعلية ، أو على أنه اسم لـ (كان) .

و(شأنُك) بتقدير ؛ مايكون . و (ما) فيهما في موضع نصبٍ خبراً لـ (يكون) ، أو مفعولاً به لـ (تصنع[٢٨]) .

و (الواو) : للمعية ، و (زيداً) : مفعول معه .

والأمثلة كثيرة .

المرحلة الثامنة : لا يَتْرِكُ المعرب التَّدَرُّبَ على الإعراب ، وذالك بين يَدَيْ خَبيرٍ متمكن يرده إلى الصواب إن جانَبَهُ ، ويأخذ بيده إلى شاطئِ السلامة والأمان

إن ابتعد عنه ؛ لأنَّ هذا العِلْمَ لابُدَّ له من خبيرٍ يُوقِفُهُ على قواعده وأحكامه ، ويُعَرِّفُهُ شواذَّهُ ، وعِلَلَهُ ، وغريبَه ، وألغازَهُ ، ومواطنَ الزَّلل فيه .

أو مراجعة كُتُبِ الأعاريب ، كـ « خزانة الأدب » ، و « شرح أبيات مغني اللبيب » للبغدادي ـ ١٠٩٣هـ ، و « المقاصد النحوية » للعيني ـ ٨٥٥هـ .

والحقُّ أنه لابدَّ من الجمع بين صُحْبةِ خبيرٍ ، وإدامةِ النظر في التصانيف .

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إلاَّ بِستَّةٍ ... سأُنْبِيْكَ عَنْ تَفْصِيْلِها بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ ، وحِرْصٌ ، واجْتِهادٌ ، وبُلْغَةٌ ... وصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ ، وَطُولُ زَمَانِ(٢٩)

وأخيراً فليس في كل الأوقات يتمكن المعربُ من الرجوع إلى كُتُبِ النحو ، واللغة ، فليستنبط المعرِبُ بذوقه مايكوْن أليقَ بالمقام ، وأقربَ إلى الصواب ، ولْيَقِسِ الأشياءَ على الأشباهِ ، والنَّظَائِرَ على النظائرِ ، ومالا يعرفُ على مايعرفُ ، عاملاً بقول الشاعر :

مَنْ قَاسَ مالَمْ يَرَهُ بِمَا رَأىٰ ... أراهُ مايَدْنُو إليْهِ مَا نَأىٰ

وإجمالاً : فَإِنْ صحَّ الْمَعْنَى صحَّ الإعرابُ ، وإلاَّ فلا .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الدكتور محمود فجال

أستاذ النحو العربي المشارك

ورئيس قسم النحو والصرف بكلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود في أبها

مصادر البحث ومراجعه :

ـ « أخبار الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي . دار الأفاق الجديدة . بيروت . الثالثة ١٩٧٩م .
ـ « الأعلام » للزِّركلي ، (١ ـ ٨) الرابعة . دار العلم للملايين ١٩٧٩م .
ـ « أوضح المسالك » لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، الخامسة ١٩٦٦م . دار إحياء التراث بيروت .

ـ «بغية الوعاة» للسيوطي، حققه محمد أبوالفضل إبراهيم. طبع عيسى الحلبي ١٩٦٤م.
ـ «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة. عيسى الحلبي ١٣٧٣هـ.
ـ «تعليم المتعلِّم طريق التعلُّم» للزرنوجي، تحقيق د. مروان قباني. المكتب الإسلامي. الأولى ١٤٠١هـ.
ـ «حاشية الجمل على الجلالين» لسليمان الجمل، تصوير دار إحياء التراث العربي. بيروت.
ـ «سنن ابن ماجهْ» تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. طبع عيسى الحلبي ١٣٧٢هـ بمصر.
ـ «شرح الكافية» للرضي، مصورة عن طبع إستانبول ١٣٠٥هـ.
ـ «شرح المفصَّل» لابن يعيش. الطبعة المنيرية بمصر.
ـ «الصاحبي» لأحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر. طبع عيسى الحلبي. القاهرة.
ـ «مسند الإمام أحمد» الثانية (المصورة) ١٣٩٨هـ المكتب الإسلامي. بيروت.
ـ «مغني اللبيب» لابن هشام د. مازن مبارك، ومحمد علي حمدالله. دار الفكر بدمشق ١٣٨٤هـ.
ـ «المقتضب» للمبرد. تحقيق محمد عبدالخالق عضيمه. المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية.
ـ «نزهة الألباء» للأنباري. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر. القاهرة.

[الحواشي] :

(١) أي: نَاصِبُ الحبالة بالرامي بالنبل.
وقيل: السدىٰ باللُّحْمَة، يضرب في اشتباك الأمر وارتباكه. «المستقصى» (١ : ٩٤).

(٢) انظر «من حاضر اللغة العربية»: (ص ١٩١).

(٣) هو عمر بن مظفر بن عمر، أبوحفص الحلبي المتوفىٰ سنة ٧٤٩هـ. إمام في الفقه والنحو والأدب، ونظمهُ في الذُّورةِ العليا، والطبقة القصوى. «بغية الوعاة» (٢ : ٢٢٦)، «الأعلام»: (٥ : ٦٧».

(٤) هو «إسماعيل بن عبَّاد بن العباس، أبوالقاسم الطالقاني» المتوفىٰ سنة ٣٨٥هـ. كان من نوادر الدهر علماً وفضلاً. لقب بـ(الصاحب) لصحبته مؤيد الدولة. «الأعلام»: (١ : ٣١٧).

(٥) مترجم في «الأعلام» (٣ : ٣٢١).

(٦) طه: ٥٠.

(٧) طه: ٤٠.

(٨) مريم: ٥٨.

(٩) النمل: ٦٢.

(١٠) الكهف: ١٧.

(١١) الحج: ٢٤.

(١٢) الحج: ٢٨.

(١٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٤ : ١٩٢)، وابن ماجه في «سننه»: (١ : ٣٤٥) عن الصحابي الجليل عَميرة الكِنْدي.

(١٤) «شرح الكافية» للرضي: (١ : ٢٤).

(١٥) «مغني اللبيب»: (ص ٣٩٢).

(١٦) «نزهة الألباء»: (ص ١٠).

(١٧) انظر «أوضح المسالك»: (٤ : ١٨٧).

(١٨) «تعليم المتعلم»: (ص ١٢٣).

(١٩) «تعليم المتعلم»: (ص ١٠٤).

←

«مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس»

تأليف العلامة المؤرخ الشيخ عبدالرحمن الجبرتي وتحقيق وشرح حسن محمد جوهر وعمر الدسوقي ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ــ لجنة البيان العربي ــ مطبعة الرسالة ١٣٨٩/١٩٦٩ ــ ٤٠٦ ص .

١ ــ اسم الكتاب واضح، هو «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» وهو هكذا في الأصل، وفي المراجع المتحدثة عن الشيخ الجبرتي . ولكن (المحققين) الفاضلين (يصران) وهما يتحدثان عن الكتاب في المقدمة وغيرها على أنه «مظهر التقديس بخروج. . .» وليس لهما في ذالك أدنى حق .

قال في آخر ص - س -: (الجبرتي. . . في كتابه «مظهر التقديس في خروج الفرنسيس» وكذالك في أعلى ص - ع - ولدى عمل الكشاف ص ٣٨٥: (كشاف «مظهر التقديس في خروج دولة الفرنسيس» للجبرتي بل في الكشاف الذي عملاه للكتب ص ٤٠٦، حرف الميم: «مظهر التقديس في خروج دولة الفرنسيس» وتلك إحدى عجائبنا في التحقيق. لو أدركها الشيخ الجبرتي لأدخلها في كتابه الشهير «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» .

← (٢٠) قارن بين نحو الزمخشري ــ ٣٥٨هـ في «كشافه»، وبين نَحْوِهِ في «المفصل» وغيره .

(٢١) انظر «المقتضب»: (٣ : ٢٨٠)، و«أوضح المسالك»: (٣ : ٢٨٥) .

(٢٢) «حاشية الجمل على الجلالين»: (١ : ١٠) .

(٢٣) «أخبار الحمقى والمغفلين» (ص ١٨١) .

(٢٤) أدوات الشرط الجازمة هي : إن ، وإذْمَا ، ومَنْ ، وما ، ومهما ، ومتى ، وأيّان ، وأينَ ، وأنّى ، وحيثُما ، وكيفما ، وأيُّ .

وأدوات الشرط غير الجازمة هي : أمّا ، وإذْ ، وإذما ، ولو ، ولولا ، ولوما .

(٢٥) انظر «مغني اللبيب» (ص ٤٩٠) .

(٢٦) انظر «أوضح المسالك» (٢ : ٢٣٩)، و«حاشية الخضري» (١ : ٢٠١) .

(٢٧) انظر «شرح المفصل» لابن يعيش (٢ : ٥٠).

(٢٨) «مغني اللبيب» (ص ٨٨٢ ــ ٨٨٣) .

(٢٩) انظر «تعليم المتعلم» (ص ٧٦)، و«البُلغة» مايكفيه من المال القليل . [«العرب»: لعلَّ هذا من المنسوب إليه ــ رضي الله عنه ــ وما أكثر ذالك مما لم يصح منه إلا القليل] .

٢ ـ يقول المحققان ص ـ ع ـ : (وقد اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة خطية بدار الكتب، وسرنا في التحقيق على الطريقة العلمية الصحيحة. . .) :

أ ـ هل كانت النسخة الخطية وحيدة فريدة . . . أو هناك نسخ أخرى؟ المناسب أن يذكر المحققان مافي علمهما .

ب ـ أبسط قواعد التحقيق العلمي الصحيح أن تصور صفحة أو أكثر من صفحات المخطوطة تثبت مع المطبوعة. . وهذا مالم يفعله المحققان .

جـ ـ هل كانت النسخة الخطية بخط المؤلف؟ المناسب أن يذكر المحققان ذالك في وصفهما للنسخة . . . مع مواد أخرى ـ جاء في آخر الكتاب ـ ص ٣٨٣ (وافق التمام سلخ شهر شعبان (١٢١٦) وأيضاً حررت هذه النسخة المباركة ، وكان الفراغ منها سنة ١٢٢٤ في غرة محرم الحرام . . .) .

٣ ـ يقول المحققان ص ـ س ـ ع ـ: (الجبرتي . . . في كتابه «مظهر التقديس. . .» (وعندما ألف كتابه الثاني «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» اعتمد عليه اعتماداً كبيراً) .

إذا كان الكلام صحيحاً ـ وهو صحيح ـ فالمناسب جدًّا أي الواجب اتّخاذ كتاب «عجائب الآثار» مرجعاً للمقابلة وتصحيح الخطأ ، لاسيّما والنسخة التي اعتمد عليها المحققان ـ كما يذكران ـ تغصُّ (بالأخطاء اللغوية والنحوية) .

إن كثيراً من الأخبار الواردة في «مظهر التقديس» تتكرر في «عجائب الآثار» وهذه فرصة نادرة لمن يحقق هذا الكتاب أو ذاك ، للمقابلة والتعليق .

٤ ـ قال المحققان ص ـ ع ـ: (وقد لجأنا إلى تصحيح الأخطاء النحوية ونبهنا عليها بالهامش، وتركنا الأخطاء اللغوية مع التنبيه عليها إلاّ في الحالات التي نجد أن المعنى فيها سيستغْلق على القارئ) .

لو تتبع باحث تصحيحات المحققين لشكرهما على قسم منها، ولاتضح له خَطَؤُهما في قسم آخر. . . ـ والمسألة تطول . ←

بنو سليم قديما وحديثا

تخضع تموجات القبائل وتنقلها في الجزيرة وخارجها لظروف وأسباب متعددة ، اهمُّها تكاثرها وتعدُّد فروعها ، بحيث تضيق البلاد التي تحلها عن متطلبات حياتها ، وقد تسيطر قبيلة أقوى منها على هذه البلاد فتضطرها للنزوح عنها ، أو الاندماج في القبيلة القوية نفسها .

وأكثر مايحدث هذا للقبائل التي تكون بلادها ليست منيعة ، أو تكون معرضة لتموج القبائل ، أما التي تحل أودية تتخلل جبالاً منيعة ، أو تنتشر فوق سروات الجبال فهي في الغالب تتصدَّى لمصادمات القبائل الأخرى ، وتتغلب عليها فتحمي نفسها ، وتبقى مستقرة في أوطانها ، محافظة على أصولها القديمة كالحال في كثير من قبائل الحجاز من سراة الطائف حتى تتصل ببلاد اليمن كثقيف وبني مالك (بَجِيلة) ودَوْس وزهران وغامد ورجال الحَجْر وعسير وغيرهم وكقبائل يام وهمدان وخولان ووادعة وغيرها من القبائل الأخرى .

ولقد كانت قبيلة سُليم عند ظهور الإسلام تنتشر في البلاد التي عُرِفت بها منذ تدوين تاريخ القبائل وهي الأودية المنحدرة من سفوح جبال الحجاز وحراره الشرقية المتصلة بعالية نجد ، ممتدة من المدينة نحو الجنوب إلى سهول صحراء

← ٥ ــ قال المحققان ص ـ ف ـ: (هذا وقد نشر الكتاب منذ سنوات في طبعة شعبية خالية من التحقيق، وقد نفدت هذه الطبعة. . .).

أ ــ كان المناسب أن يصفا هذه الطبعة .

ب ــ يبدو أن للكتاب طبعة أخرى، غير الطبعة الشعبية هذه .

قال زيدان «تاريخ آداب اللغة العربية»: ٢٥٦/٤ : (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس [....] طبع بمصر، ونقل إلى التركية في الأستانة سنة ١٢١٧هـ، وترجم إلى الفرنسية وطبع في باريس) .

وقال الزركلي في «الأعلام» ط ٤ ، ج٣/ ٣٠٤ : («مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » ــ ط في جزأين ، وترجم إلى الفرنسية وطبع بها) .

رُكْبَة بما في ذالك الحرة المعروفة بحرة بني سُلَيْم (حرة رُهَاط الآن) ومنساحة شرقاً إلى مايقرب من قرية الرَّبَذَة التي أُضِيف إليها الحمى ، وخربت في عهد القرامطة سنة ٣١٧ ومن أشهر مواطنها معدن بني سليم والسوارقية وصفينة ، والدفينة وغيرها .

وفي «رسالة عرام بن الأصبغ السلمي» تفصيل وافٍ بأسماء أشهر أودية تلك البلاد ومناهلها .

ولكن حدث أن دفعت بلاد اليمن بموجة قوية من هجرة إحدى القبائل الخولانية القحطانية وذالك في سنة ١٣١ حين أُجْلِيت قبيلة حرب عن بلاد صَعْدَة ، فاستقرت بين مكة والمدينة ، وكان لبني سليم في ذالك العهد نفوذ في المدينة وماحولها ، ولكنهم ضعفوا أمام قوة هذه القبيلة الطارئة على بلادهم ، كما ضعفت القبائل الأخرى كمُزَيْنَة وعَنَزَة على ماذكر الهمداني في «الاكليل»[1]، وكان مما ذكر أَنَّ بني الحارث وبني مالك من سليم كانوا إذ ذاك زهاء أربعة آلاف ، وهم أهل الحَرَّتَيْنِ والنَّقيع ، فحاربوا قبيلة حرب دهراً ولكنهم هُزِمُوا بعد أن قتل منهم عدد كثير فضعفوا بحيث لا يدخل منهم الحرتين والنَّقِيع داخلٌ إلا بِذِمَامٍ من بني حرب .

ولعل هذا هو أول مابدأ ضعف هذه القبيلة مما سبب تفرقها إذ أصبحت بلادها الواقعة بقرب المدينة تحلها فروع من قبيلة حرب ، فاضطر بعض فروعها الضعيفة للاندماج في القبيلة الغازية ، كعادة القبائل العربية حين ضعفها . ولعل هذا يفسر قول ابن سعيد المغربي (٦١٠ / ٦٨٥) في كتابه «نشوة الطرب»[2]: وقبائل سليم ليس لها الآن بالمشرق شهرة ولا ذكر ، وإنما هي بالمغرب .

ثم جاء بعده ابن خلدون ليكرر قوله في تاريخه[3]: بنو سليم وكانت بلادهم في عالية نجد بالمغرب وخيبر ، ومنها حرة بني سليم وحرة النار بين وادي القرى وتيما ، وليس لهم الآن عددٌ ، ولا بقية في بلادهم ، وبافريقية منهم خلقٌ عظيم ، كما سيأتي ذكره في أخبارهم عن ذكر الطبقة الرابعة من العرب .

ولعل انضمام بني سليم إلى حركة القرامطة حدث حين تشتت القبيلة وفقدت

أرضها وبذالك فقدت أهم مقومات حياتها ، فاضطر أفراد منها إلى الانضواء إلى جيش القرامطة ، وليس معنى هذا ــ في رأيي ــ أن فروعاً من القبيلة هاجرت واستقرت في البحرين بل إنّ عدداً من رجال القبيلة انضم إلى جُند القرامطة .

أما عن القبائل السُّلَمية التي انتشرت في خارج الجزيرة كمصر وبرقة وبلاد المغرب الأخرى ، فهناك مؤلفات قد أوفتها دراسة وتفصيلاً .

وأشار ابن سعيد إلى أن في أرض برقة من بني سليم بني هيب بن بهثة بن سليم تركب في خمسة عشر ألف فارس(٤).

ويلاحظ على كلام المؤرخين المغربيين أنه ليس على اطلاقه ، فقد بقيت فروع من بني سليم لاتزال معروفة ، تحل قريباً من منازل القبيلة القديمة ستأتي الإشارة إليها .

كما أن فَرْعَ زِعْبِ بن مالك بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم قد انتشر في بلاد نجد في عهد مبكر ، وصار ذا نفوذ قويّ بحيث كان في منتصف القرن السادس يسيطر على طريق الحج العراقي كما نجد لمحات عن ذالك في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» .

مع أن ابن سعيد المغربي قال عن زعب هاؤلاء : سألْتُ عنهم بين الحرمين فلم أجِدْ منهم إلا قليلاً في جوار بني علي وغيرهم وعددهم بالمغرب(٥). انتهى ، ولعل قصده ببني علي الفرع المشهور من بني حرب الذي استوطن المدينة منذ زمن ، ولاتزال بقية لِزعْب هاؤلاء تعيش بجوار قبيلة مُطَيْر في شرق المملكة ، كما أشرت إلى هذا في مقدمة قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

ومن الغريب أن فرعاً كبيراً من قبيلة مُطير هاؤلاء وهم بنو عبدالله قد حل هذا الفرع كثيراً من بلاد سليم القديمة الواقعة في عالية نجد وفي سفوح جبال الحجاز وحراره .

ولقد بقي الآن ممن يحمل اسم قبيلة سُليم فرعان هما: بنو حَبَش وبنو فُتَيَّة ، ومن أفخاذ حبش : المحاميد والجلاه ، ووَدِيعة وقريش والضباعين .

ومن أفخاذ فُتَيَّة: ربيعة وحليل وراشد وبرقة والسوالم[٦].

وهذا الفرعان يحلان واديـي سايَةَ وسِتَارة، وهما من أشهر الأودية الواقعة بين المدينتين الكريمتين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وهذان الفرعان (فُتَيَّة وحبش) من بني رِفَاعة بن عَبْسٍ بن رفاعة بن الحارث ابن بُهْثَةَ بن سُلَيم[٧].

ويفهم من قصة أوردها ابن حجر في «الاصابة»[٨] أنَّ استيطان بعض الفروع السلمية في وادِي سِتَارة حدث قبل الهجرة، في قصة نقلها عن عمر بن شبة في كتابه عن مكة، وكان وادي ستارة إذ ذاك لخزاعة، فجاور الفرع السلمي أحد فروعها واستقر حتى عهدنا الحاضر.

وممن تعرض للكتابة عن قبيلة بني سليم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ـ رحمه الله ـ فقد ألف كتاباً دعاه «بنو سليم عرض لشريط تاريخي عن امتداد الإسلام والعروبة في مهدهما إلى العالم» يقع في ٥٣٦ صفحة وقد نشر سنة ١٣٩١ (١٩٧١م) وصدر عن دار العلم للملايين في بيروت، وقد كتبت ملاحظات كثيرة حول هذا الكتاب نشرت في مجلة «العرب» لسنتيها الثامنة والتاسعة اللتين صدرتا اعتباراً من سنة ١٣٩٣ (١٩٧٣م) فما بعدها.

كما تحدثت بتوسع عن كثير من مواطن بني سليم في الكلام عن القطائع النبوية في المجلة المذكورة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن في «نوادر الهجري» من أشعار السلميين قدراً كبيراً جديراً بالدراسة، ولعله أوفى ماطلعت عليه من أشعارهم المجموعة.

حمد الجاسر

الحواشي:

١ ـ ٣٠٧/١ ٢ ـ ٥١٩/٢

٣ ـ ٣٠٩/٢ الطبعة الأولى.

٤ ـ «نشوة الطرب» ٥٢٢/٢.

٥ ـ «نشوة الطرب» ٥٢٣/٢ وقد ورد الاسم باعجام العين خطأ.

٦ ـ «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» لحمد الجاسر ٣١٠/١.

٧ ـ «نوادر الهجري» مخطوطة دار الكتب المصرية ص١٨٣ و٢١٦.

٨ ـ ١٠٦/٣ الطبعة الأولى المصرية.

مَنْ مؤلف كتاب «تاريخ المستبصر»؟

ابن المجاور الشيباني الدمشقيّ
أم ابن المجاور البغدادي النيسابوري؟

عنوان الكتاب :

هذا الكتاب حققه المستشرق السيد (أوسكر لوفغرين)، ونُشر في جزءين أو قسمين ضمن سلسلة (De Goeje)، صدر القسم الأول منه في سنة ١٩٥١م، والقسم الثاني سنة ١٩٥٤ ، وطبع بمطبعة (بريل ـ ليدن) تحت هذين العنوانين :

١ ــ على صفحة الغلاف والورقة الأولى العنوان على النحو التالي : ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ومكة وبعض الحجاز، المسماة تاريخ المستبصر .

٢ ــ على الورقة الثانية هكذا : تاريخ المستبصر ، وهو تاريخ لطيف يشتمل على ذكر أكبر البلاد المعمورة ، تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي .

محتوياته :

يحتوي الكتاب بِقِسْمَيْهِ على وصف للمدن والقرى والأماكن التي زارها المؤلف، أو سمع عنها، أثناء تجواله في الحجاز واليمن وعمان، والجزء الجنوبي من الخليج العربي، مع تقدير المسافات بين كل مكان وآخر . ووصف السكان وطعامهم وملابسهم وعاداتهم ، وذكر أخبارهم وماهو شائع عندهم من الحكايات والأساطير .

ويبدأ وصفه بمكة ، وينتقل منها إلى المدينة ، مع وصف ماحولها من القرى والأماكن ، وتقدير المسافات بين كل مكان وآخر . ومن مكة يتجه إلى الطائف ، ومن الطائف إلى جبل بدر ، ثم من الطائف إلى صعدة . ويعود إلى مكة فيتجه منها إلى جدة ، ثم من مكة أيضاً إلى المحالب ، ومن المحالب إلى صعدة ، ومن المحالب أيضاً إلى زبيد . ومن المهجم إلى زبيد ، ومن زبيد إلى العارة على طريق الساحل . ومن العارة إلى المفاليس . ومن العارة أيضاً إلى تعز ، ومن العارة إلى

عدن على طريق الساحل . ومن عدن إلى المفاليس ، ومن المفاليس إلى تعز . ومن الجوَّة إلى عدن ، راجعاً ، ومن الجوة أيضاً إلى تعز ، ومن تعز إلى الجند ، ومن الجند إلى ذي جِبْلَة . ومن ذي جبلة إلى صنعاء ، ومن صنعاء إلى المحالب . ومن صنعاء أيضاً إلى مأرب . ومن مآرب إلى الجوف . ومن صنعاء إلى صعدة ، ومن صعدة إلى ذهبان ، ومن صعدة أيضاً إلى نجران . ثم من تعز إلى زبيد ، ومن زبيد إلى حَجَّة ، ومن زبيد إلى غلافقة ، ومن زبيد إلى الأهواب .

ثم يعود إلى عدن فيتجه منها إلى شبام حضرموت ، ومن شبام إلى ظفار ، ومن المنصورة إلى رَيْسُوْت ، ومن المنصورة إلى قلهات . ومن المنصورة إلى عدن راجعاً على طريق الساحل . ثم من قلهات إلى مسقط ، ومن مسقط إلى صحار . ومن مسقط إلى خور فكّان ، ومن خور فكان إلى كُمزَار ، ومن كمزار إلى جزيرة قَيْس بالبحر ، ثم منها بالبحر أيضاً إلى البحرين .

مصادره :

ليس للكتاب مصادر تاريخية مكتوبة غير كتاب «المفيد في أخبار زبيد» لعمارة الحكمي ، الذي نقل عنه طرفاً من أخبار دولة بني نجاح ، وبني زُريع ، والصليحيين ، وكتاب يسميه «الفاكهي» لمن أسماه بأبي عبدالله محمد بن اسحاق ابن عباس[1]، وذكر كتاب «التفهيم في علم التنجيم» للبيروني مرة واحدة ، في حكاية امرأة اشتهرت بالعفة ، وذكر أيضاً كتاب «مروج الذهب» في إحدى قصصه . وكتاب «معرفة الأديان» للإمام أبي عبدالله محمد بن عمر الرازي ، وكتاب «مسالك الممالك» . أما باقي أخباره وحكاياته ، المتعلقة بالبلدان التي زارها ، فتلقى معظمها من أشخاص من عامة الناس ، ذكر منهم هؤلاء :

١ ـ أبو طالب بن أبي بكر بن أبي طالب الحداني المعروف بالسويداني .
٢ ـ أبو علي أحمد بن علي بن محمد بن آدم اليزني .
٣ ـ أبو القاسم بن إبراهيم بن محمد المرابط .
٤ ـ أبو المجد بن أبي محمد الكمال بن الكمال العلوي الحسيني .
٥ ـ أحمد بن سلطان المجيدي .
٦ ـ أحمد بن علي بن عبدالله الحمامي الواسطي .

٧ ـ أحمد بن محمد بن المهنا الصفار .
٨ ـ اسماعيل بن عبدالسيد بن البيع البغدادي .
٩ ـ جعفر بن عبدالملك بن عبدالله بن يونس الخزرجي الجرجاني .
١٠ ـ الحسن بن علي بن محمد التولي الصعدي .
١١ ـ الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحنفي .
١٢ ـ ريحان مولى علي بن مسعود بن علي بن المجاور (مولى عم المؤلف).
١٣ ـ سلامة بن محمد بن حجاج المذحجي .
١٤ ـ السلطان بن جميل .
١٥ ـ سليمان بن منصور .
١٦ ـ عبدالرحمن بن أحمد بن الراجي .
١٧ ـ عبدالغني بن أبي الفرج البغدادي .
١٨ ـ عبدالله بن محمد بن يحيى المهجمي الحائك .
١٩ ـ عبدالله بن مسلّم الزبيدي .
٢٠ ـ علي بن صبيح العقولي .
٢١ ـ علي بن محسن الجبلي .
٢٢ ـ علي بن محمد بن أحمد السباعي .
٢٣ ـ علي بن معالي الدلاّل .
٢٤ ـ عمرو بن علي بن مقبل .
٢٥ ـ عمر بن علي بن مصبح .
٢٦ ـ عيسى بن أبي البركات بن مظفر البغدادي .
٢٧ ـ مبارك الشرعبي مولى محمد بن مسعود (مولى والد المؤلف).
٢٨ ـ محمد بن أبي أسعد القاضي الرازي .
٢٩ ـ محمد بن رزق الله .
٣٠ ـ محمد بن زنكل بن الحسين الكرماني (الحفّار) .
٣١ ـ منصور بن المقرب بن علي الدمشقي .
٣٢ ـ موسى بن مسعود النسّاج الشيرازي .
٣٣ ـ هشام بن مسعود النجراني .

٣٤ ـ يحيى بن علي بن أحمد الزراد .
٣٥ ـ يوسف بن أحمد بن يعيش ؟

المؤلف :

في الصفحة ٢٥٢ ، من القسم الثاني من الكتاب يقول المؤلف: (وكتب والدي محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري ، لجعفر بن عبدالملك بن عبدالله بن يونس الخزرجي الجرجاني يهدّده ويهيِّبه ، فقال: أنا رجل برهوت وأنا سلّم جهنم) .

وقال في الصفحة ٩٧ من القسم الأول: (وقال لي أخي أحمد بن محمد بن مسعود: وكيف هذا؟)

ويقول في الصفحة ١١١ من القسم الأول: (حدثني مبارك الشرعبي مولى والدي محمد بن مسعود).

وفي الصفحة ١١٢ يقول: (قلت لريحان مولى علي بن مسعود بن علي بن أحمد: لِمَ سمي هذا المكان (الـمُعْجِلين)؟ قال: لأنه يرجع فيه كل أربعة اثنين). ويقول في الصفحة ٢٤٥ : (ريحان مولى علي بن مسعود المجاور).

فالمؤلف ـ كما نرى ـ هو ابن محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري، وليس ابن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني الدمشقي . وأخوه أحمد بن محمد بن مسعود . وعمّه علي بن مسعود بن المجاور . أما ابن المجاور الشيباني فلا نجد لاسمه أي ذكر عدا اسمه الذي وضعه المحقق على صفحة العنوان .

ويبدو أن عائلة ابن المجاور النيسابوري كانت تقيم في عدن ، فسؤاله لريحان مولى عمه علي بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور عن المكان الذي يسمى (معجلين) من البحر بين جبل (صيرة) وجبل (حقّات)، وسبب تسميته بهذا الاسم ، وكذالك مارواه عن مبارك الشرعبي مولى والده محمد بن مسعود عن البئر المنقورة في قمة جبل (صيرة)، ثم تهديد والده لجعفر الجرجاني بقوله إنه: (بئر برهوت)، كلها مؤشرات تؤكد أن هذه العائلة ومواليها كانت على علم بعدن

ومعالمها وبأشهر معالم اليمن كبئر برهوت ، التي يزعمون أنها بحضرموت، الأمر الذي يثبت بشكل قاطع أنها كانت تقيم بعدن ضمن الجالية الفارسية آنذاك .

وكان ابن المجاور ، المؤلف، كثير الأسفار . ففي الصفحة ٢٦٧ من القسم الثاني من الكتاب يقول: (سافرت من الديبول) [بالسند] إلى عدن في مركب الناخوذا خواجة نجيب الدين محمود بن أبي القاسم البغوي شركة الشيخ عبدالغني ابن أبي الفرج البغدادي، آخر سنة ثمان عشرة وست مئة . ولانجد في الكتاب تاريخاً متقدماً على هذا التاريخ ولا متأخراً عن سنة ست وعشرين وست مئة ، مما يدل على أن مادة الكتاب قد جمعت خلال هذه الفترة (٦١٨ ـ ٦٢٦هـ).

كما نلاحظ أن المؤلف أتى بأمثلة من نظمه ونظم غيره بالفارسية ، ترك معظمها دون ترجمة أو شرحاً لمعانيها باللغة الغربية ، وأنه شديد التعصب للفرس . والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها على سبيل المثال قوله في الصفحة ١٢٠ : (ومما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة[٢] في كتاب «المفيد في أخبار زبيد» قال: إن جامع عدن بناه عمر بن عبدالعزيز وجدّده الحسين بن سلامة . والأصح أن مابنى الجامع إلّا الفرس . وكان السبب في بنائه أنهم وجدوا في زمانهم قطعة عنبر كبير مليحة ، فأتي بها إلى صاحب عدن . فقال لهم: وماأصنع بها ؟ بيعوها وابنوا بثمنها جامعاً). ولم يذكر ابن المجاور المصدر الذي نقل عنه هذه الحكاية الخرافية ، ولعل واحداً ممن ذكرناهم قد حكاها له .

وقال في الصفحة ٥٥ : (رأيت في المنام ليلة الخميس غرة رمضان سنة عشرين وستة مئة كأني أقرأ على حجر منقوش ، وكان الحجر بني في جملة أحجار محراب الجامع ، وإذا فيه مكتوب: إن (الراحة) و(الحوى) بناء العجم). و(الراحة) و(الحوى) قريتان بالحجاز .

ويزعم أن الفرس من أهل (سيراف) ملكوا عدن ، ويجعل حكمهم لها في الوقت الذي كانت فيه عدن تحت حكم دولة بني رسول . قال في الصفحتين: ١١٧ و١١٨ : (إلى أن انتقلوا أهل سيراف من سيراف ، وقد تقدم ذكرهم ، ووقع سلطان شاه بن جشميد بن أسعد بن قيصر في عدن ، فنزل وتوطن بها فانعمر الموضع بمقامه . . .) فلما رأى ذلك [يعني سلطان شاه] تولى السلطة) .

وذكر عشرة من ملوكهم أولهم كما قال: (مولانا ولي النعم، ومعدن الكرم ــ إلى أن قال بعد أوصاف المبالغة ــ (ملك الشرق والغرب، سلطان شاه بن جمشيد ابن أسعد بن قيصر، أمير المؤمنين).

بعد هذه الأمثلة الدالة على صلة المؤلف بفارس وتعصبه للفرس ، لم يبق ــ كما أعتقد ــ للشك مجال لدى القارئ في أن مؤلف الكتاب هو ابن المجاور النيسابوري الفارسي الموطن ، وليس ابن المجاور الشيباني الدمشقي .

لماذا إذن نسب الكتاب إلى ابن المجاور الشيباني؟

هناك احتمالات للإجابة على هذا السؤال أولهما: أن يكون اسم المؤلف الكامل قد سقط من صفحة عنوان الكتاب، أو كان باسم (ابن المجاور) فقط دون ذكر بقية اسم المؤلف، وأن من نسبه إلى ابن المجاور الشيباني لايعرف ــ كما يبدو ــ شخصاً باسم (ابن المجاور) غيره . وهذا في اعتقادي هو السبب الحقيقي لنسبته إلى ابن المجاور الشيباني .

والاحتمال الآخر أن تكون إحالته على ابن المجاور الشيباني قد حدثت عن عمد ، ربما من أجل منحه ثقة علماء عصره ، والاقبال على قراءته . أو من أجل غرض آخر لانعرفه .

والعجيب أن أبا مخرمة صاحب كتاب «تاريخ ثغر عدن». ترجم جميع من أقام أو زار عدن من العلماء والأمراء ، وغيرهم ولم يذكر مؤلف كتاب «تاريخ المستبصر» مع أنه نقل عنه في كتابه وصفه لعدن ومعالمها . ولعل «تاريخ المستبصر» لم يكن يحمل اسماً غير اسم (ابن المجاور) لذالك لم يستطع أبو مخرمة أن يضع له ترجمة في كتابه . وهذا يعتبر دليلاً على أن نسبة الكتاب إلى جمال الدين يوسف بن يعقوب ابن المجاور الشيباني قد حدثت بعد عصر أبي مخرمة الذي توفي في سنة ٩٤٩هـ .

ملاحظات :

- هذا الكتاب بمنهجه، ومعظم مادته ، وأسلوبه، أقرب مايكون إلى كتب مايسمى اليوم بالمأثورات الشعبية أو (الفلكلور). فهو تجميع للعادات والتقاليد والحكايات الشعبية الشائعة لدى سكان البلاد التي زارها

المؤلف . والعجيب أن المؤلف قد سلك في جمع مادة الكتاب نفس المنهج، تقريباً، الذي يتبع اليوم في جمع المادة (الفولكلورية) اليوم . كتحديد موقع البلد، وأصل سكانه، وعاداتهم، وطعامهم، ولباسهم، والحكايات الشائعة عندهم . وماشابه ذالك من المأثورات الشعبية . كما اتبع أيضاً نفس الأسلوب الذي يفترض أن يتبعه الباحث في جمع وعرض المادة (الفولكلورية) الذي تراعى فيه البساطة في الصياغ والألفاظ ، بل إن أسلوب المؤلف يتدنى في بعض المواضع من الكتاب إلى الأسلوب العامي .

والفرق بين مؤلف الكتاب ودارس المأثورات الشعبية، أن هذا ـ كما نعلم ـ يجمع المادة (الفولكلورية) من أجل دراستها، أما مؤلفنا فكان ـ كما يبدو ـ شخصاً بسيطاً يصدق مايُرْوَى له من الحكايات حتى التي لا تخلو من الخرافة مثل حكاية (الفالقة)، مثلاً . فقد قال إن أهل (تَرَنْ) . وهي منطقة قريبة من مضيق باب المندب، أصلهم من امرأة خرجت من البحر تسمى (الفالقة)، سكنت البر وتزوجت رجلاً من وجوه العرب . وأسكنها العربي أرض (ترن)، ورزق منها أولاداً ، إناثاً وذكوراً . قالت العرب : إن أهل (ترن) من نسل العربي والمرأة ، يعني (الفالقة). وكان إذا جاءهم سيل عظيم ، ومال عن جريه [مجراه] ليسقى به موضع آخر ، كانت تقعد في بطن الوادي وتسده من عظم خلقتها وكبر جثتها ، وتردّ الماء إلى المجرى القديم المعتاد فتسقى الأرض من جريه . وكانت تبقى على حالها إلى أن تسقى للناس الأرض كلها . فإذا رويت الأرض ، واستغنت عن ماء السيل ، فتقوم حينئذ من مقعدها، فيجري مافضل من ماء السيل إلى البحر . ويقال إنها كانت ساحرة . قلت لعمرو بن علي بن عقيل : مافعل الله بفالقة؟ قال: إنها إلى الآن تعيش . قلت: وأين تسكن؟ قال: بوادي (قطينة) . قلت: وأين الوادي؟ قال: في أعمال (ترن)، ولم تمت إلى يوم القيامة، قلت: هل يراها أحد؟ قال: نعم كل من قرب أجله. قلت: ولِمَ سميت هذه الأرض (ترن)؟ قال: لأن الخلق كانوا يتعجبون من عظم خلقتها. فكان زيد يقول لعمرو: تَرَنْ : أي تراها؟ فعرفت الأرض بهذا الاسم) ـ ص ١٠١ ـ

فابن المجاور قد تلقى حكاية (الفالقة) ـ كما نرى ـ كحكاية حقيقية أما دارس

(الفولكلور) فسوف يعتبرها واحدة من تلك الحكايات التي كانت القبيلة تختلقها وتشيعها بين القبائل الأخرى بقصد الانتقاص من قدر القبيلة المنافسة أو المعادية لها .

● والكتاب باستثناء الوصف الجغرافي البحت ، ومانقله المؤلف حرفيًا عن كتاب «مفيد» عمارة الحكمي من تاريخ بني نجاح والصليحيين وبني زريع ، لا يصح اعتماده مرجعاً من مراجع التاريخ اليمني . فالأخبار والحكايات الواردة فيه قد نقلها المؤلف عن أشخاص من عامة الناس ، أمثال (ريحان) مولى عمه علي بن مسعود ، و(مبارك الشرعبي) مولى والده محمد بن مسعود، و(الكرماني) الحفّار، وغيرهم ، ولم يذكر واحداً من مشاهير العلماء في عدن وغيرها ممن عاصروه ، وكان بعضهم موجوداً في عدن أثناء إقامته فيها ، أمثال :

ـ أبو محمد عبدالله بن أحمد المعروف بأبي قفل المتوفى في سنة ٦٣١هـ[٣].
ـ الزكي بن الحسن أبو طاهر شمس الدين البيلقاني الأنصاري المتوفى بعدن سنة ٦٧٦هـ عن عمر ناهز ٩٥ عاماً[٤].
ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن سليمان المشهور ببطال الركبي المتوفى لبضع وثلاثين وست مئة[٥] وغيرهم .

فعدم اتصاله بالعلماء المعروفين في أيامه ، في عدن وغيرها، يحملنا على الاعتقاد بأنه كان غير معروف بين العلماء . وتلك الألفاظ البذيئة الشائعة في كتابه ، والتي لا يتحدث بها ويتقبلها غير السوقة تشير إلى أنه كان كثير الاختلاط بالسوقة. كما أنه كان في أسفاره أشبه بدراويش الصوفية الذين لا مأوى لهم في كل قرية أو مدينة يصلون إليها غير المساجد .

حتى الأساطير القديمة ينقلها عمن يلتقي بهم من العامة ، ففي الصفحة ١٧٩ يقول: (حدثني يحيى بن علي بن عبدالرحمن الزراد. قال: إن شيث بن آدم عليه السلام بنى مدينة صنعاء ، وغرس بظاهرها بستانين ، أحدهما أيمن الدرب والثاني أيسره ، وهما بطول من صنعاء إلى العراق ، مسيرة سبعة أيام) .

كما ينقل عن غيره مسافات الأماكن التي لم يزرها . ففي الصفحة ١٩٥ يقول: حدثني سلامة بن محمد بن الحاج المذحجي. قال: من صنعاء إلى مَسْور أربعة فراسخ، أرض بني باهش؟ وإلى وادي جنات أربعة فراسخ، وإلى المأزمين أربعة فراسخ).

وأحياناً لايذكر مصدراً لما يورده من الحكايات والأخبار، كما يعرض هذه الأخبار بأسلوب رديْء لا يعوّل عليه، كما في الصفحة ٢١٤ حيث يقول: (وكان من نجْران إلى البصرة طريق (الرضراض)، وكانت المسافة فيما بين هاتين المدينتين سبعة أيام. وقد بنى على حد كل فرسخ منه ميل؟ بالآجر والجص، من بناء عمرو ابن معد يكرب الزبيدي. والأصح من بناء النعمان بن المنذر ، لما خرج من أرض اليمن طالب العراق ، والأصح أنه بناء سيف بن ذي يزن ، لما خرج إلى ناحية العراق واستنجد بكسرى بن قباذ بن يزدجر بن هرمز ، ملك من ملوك الفرس والأصح إنما بنته عرب جاهلية لما سكنوا أرض نجْد).

● في الختام أرجو أن تلفت هذه الملاحظات انتباه المهتمين بتراجم المؤلفين، فيعيدوا النظر في نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين يوسف بن يعقوب المعروف بابن المجاور الشيباني، ويهتموا بالبحث عن الاسم الحقيقي لمؤلفه ابن محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور النيسابوري، وأن يعاد نشر الكتاب من جديد باسم مؤلفه الحقيقي .

حسن صالح شهاب

الحواشي :

(١) يقصد كتاب «أخبار مكة» للفاكهي محمد بن اسحاق بن العباس، وقد طبع القسم الأخير منه .
(٢) هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي (تاريخ ثغر عدن، لأبي مخرمة).
(٣) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، (طبعة ليدن) ص ١٠٩ .
(٤) نفس المصدر ص ٨٠ ـ ٨٣
(٥) نفس المصدر ص ٢٠١

حول هذا الكتاب :

ترجع معرفتي هذا الكتاب إلى عام ١٣٥٨ أول رحلة لي إلى مصر ، فقد كنت كثير التردد على (دار الكتب المصرية) فرأيت في فهرس التاريخ اسم الكتاب ، ووصفه مما دفعني إلى ابداء رغبتي في الاطلاع عليه ، وكان مدير قسم المخطوطات إذ ذاك شيخ أزهريٌ يدعى الشيخ محمد إبراهيم عبدالرسول (والتعبيد لغير الله لا يجوز) ، فلما طلبت الكتاب أخبرني بأنه مُعار لدى الشيخ إبراهيم اطفيش ، فأبديت له رغبتي في الاطلاع عليه وهو عند الشيخ إبراهيم ، فأرسل معي مَنْ أخبر الشيخ برغبتي قائلاً : هذا من اخواننا الحجازيين يريد الاطلاع على كتاب ابن المجاور وهو عندكم . فأشار الشيخ إبراهيم إلى كرسي بقربه فجلست فوقه ، وسألني من أي بلدة في الحجاز ؟ فاخبرته انني من نجد . فقال لي : ماذا تشرب ؟ فأجبته بالنفي ، ولكنه قال : نريد إكرامك والكرامة لا ترد . قلت : قهوة ولتكن مُرَّةً ، فأمر انساناً واقفاً بقربه أن يأتي بقهوة حلوة وأردف قائلاً : الرسول ﷺ يحب الحلواء والعسل ، وانت تريدها مرة أيها (النجدي) !! أُتيت بقهوة وتجرعتها إذ لم تكن لي عادة أن اشرب القهوة محلاة ، ثم فتح الشيخ جانباً من مكتبه وأخرج الكتاب وقدمه إليَّ ، وكان مُصَورا ، وسألته عن رأيه فيه ، فقال : لا بأس به . فأخذت في تصفحه ولا أدري كيف وقعت عيناي في آخره على جمل تَمَسُّ إخوتنا في عُمان ، وتصفهم بأوصاف سيئة زورا وبهتانا واختلاقا ـ انظر ص ٢٧٨ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ ـ فكررت سؤالي للشيخ : هل قرأتم هذا الكتاب ؟ فكان جوابه ايجابا ، وأردف : فيه معلومات جيدة . فأشرت بأصبعي إلى ماوقعت عليه عيناي ، وقدمت الكتاب للشيخ ، فما كان منه ـ رحمه الله ـ إلا أن ضرب به الأرض وأمطر مؤلفه بالشتائم قائلاً : أنا كالباحث عن حتفه بظلفه ، له شهران في مكتبي ولم اطلع على هذه البلاوي التي فيه ؟ فقلت : هذه بِتِلْك ، وما (النَّجْدِيَّةُ) ببعيد عن إمام شيخنا الجليل !! فاستغرق في الضَّحِك .

كانت هذه أولى معرفتي بعالم جليل من خيرة علماء هذا العصر وأورعهم ، واحسنهم خلقا ، وألينهم جانبا ، واوسعهم اطلاعا ومعرفة ، فيما يتعلق بما عليه اخواننا اتباع نحلة الإمام عبدالله بن إباض ، في عُمان والجزائر .

ومازالت صلتي بالشيخ إبراهيم تنمو وتزداد بترددي على القسم الأدبي الذي كان يعمل فيه في دار الكتب حتى توطدت المحبة بيننا ، فوجدت فيه العالم السمح الخلق ، الغيور على أمته ودينه ، المترفع على كل مايدنس أو يشين أو يزري بالعلماء ، وبعد أن أصبح ممثلاً لسلطنة عُمان في القاهرة وفي جامعة الدول العربية ، كان أول من أنشأ مكتباً لدولة عُمان في القاهرة سنة ١٣٧٥هـ وكان التجأ إلى مصر لما أبعده الفرنسيون من تونس التي لجأ إليها من الجزائر ، فلما استقر في القاهرة انشأ مجلة « المنهاج » سنة ١٣٤٠ ، وكان من رجالات العرب الذين جاهدوا في سبيل استقلال مختلف أجزاء البلاد العربية ، واشتغلوا في السياسة بنزاهة ، وحينما كان يمر بمدينة الرياض ذاهباً إلى عُمان كان يتصل بي ويكرمني بالزيارة ، وقد بقيت تلك الصلة بيننا تتجدد عند الالتقاء حتى توفي رحمه الله سنة ١٣٨٥ عن ثمانين عاماً ــ انظر ترجمته « الاعلام » ١/٧٣ الطبعة السادسة ــ .

أما عن الكتاب فلا يخلو من فوائد على مافيه من تخريف ، وميزة مؤلفه انه يدون كل مايسمع إن حقًا وإن باطِلا ، وأنه يحاول أن يرسم بعض مايشاهد من معالم البلاد وهو يعنى عناية فائقة بما يتصل بالمعاملات المالية التي تجري في الموانيء (الجمارك) ويوشك أن يكون وصفه لميناء عدن وماكان يجري فيها مما انفرد به ، بحيث يعد مرجعا هاماً لمعرفة حالة ذالك الميناء في أول القرن السابع الهجري .

ومع رجوع بعض مؤرخي علماء اليمن كالخزرجي وبامخرمة والعيدروس وغيرهم للاقتباس من الكتاب إلا انني لم اطلع في مؤلفاتهم على نسبة الكتاب لمؤلف نسبة صحيحة .

وقد تحدثت عنه في جريدة « البلاد السعودية » قبل طبعه وأوردت كلامه عن مدينة جدة وأوضحت ان نسبته لابن المجاور الشيباني غير صحيحة ، وأوردت شواهد من الكتاب نفسه . ثم لما طبع الكتاب قبل خمس وثلاثين سنة كتب الأستاذ الأمير طاهر الحسني مقالاً في مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق) نفى فيها نسبة الكتاب إلى ابن المجاور الشيباني أورد منه النصوص التي تدل على أن المؤلف فارسي .

ثم إن أحد أدباء بلادنا ألف كتاباً عن مدينة جدة استشهد فيه بحادثة خرافية نقلها عن هذا الكتاب مؤيداً ومصححاً لما ورد فيه ، فكررت الكتابة عن الموضوع في جريدة « المدينة المنورة » وأوضحت خطأ نسبته إلى ابن المجاور المحدث الدمشقي وكان من آخر ماتحدثت عنه في محاضرة لي عن مدينة جدة ألقيتها على طلبة جامعة الملك عبدالعزيز ليلة الاثنين ٢١ جمادى الأولى ١٤٠٠ (٧ ابريل ١٩٨٠م) تعرضت فيها لذكر المؤلفات التي تناولت تلك المدينة بالحديث ومنهم هذا الرحال الفارسي الذي قلت عنه في « العرب » ٢٢٧/١٥ ومابعدها :

(يدعى ذالك الرحالة ابن المجاور ، ولهذا وقع الخلط بينه وبين سَمي له عاصره في الزمن ، وكان معروفاً بخلاف ذالك الرحالة الذي يحسن الوقوف عند ذكر اسمه .

لقد عرف بـ (ابن المجاور) فيما اطلعت عليه من الكتب :

١ ــ يوسف بن الحسين بن محمد ، الفارسي الأصل ، وقد ولد بدمشق ، وبها توفي سنة ٦٠١ تقريباً ، وقد ترجمه الأستاذ الزركلي في « الإعلام » (٣٠١/٩) ونقل عن ابن سعيد الأندلسي صاحب كتاب « الغصون اليانعة » ــ ص ١٩ ــ قوله : بيت بني المجاور بدمشق مشهور ، لزمهم هذا النسب من جدّهم ، رفض جنة الدنيا دمشق ، ولزم المجاورة بمكة ، فعرف بالمجاور ، ومن شعر يوسف بن المجاور :

صَــدِيْــقٌ قــالَ لِي لَمَّــا رآني وقدْ صَلَّيْتُ ــ من زُهْدٍ ــ وَصُمْتُ
على يَدِ أيِّ شيخ تبت ؟ قل لي فقلت : عَلَى يَدِ الإفْلَاسِ تُبْتُ

٢ ــ يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي ، المولود بدمشق سنة ٦٠١ المتوفي سنة ٦٩٠ ــ وقد وصف هذا بأنه من الكتاب ، ومن علماء الحديث وقد ترجمه الأستاذ الزركلي وغيره ، ولكن الأستاذ الزركلي (قلّد) ، المستشرق (بروكلمان) أو غيره فنسب إليه الكتاب المسمى « تاريخ المستبصر » وليس له هذا الكتاب ، ونسبته إليه خطأ ، ومنشأ هذه النسبة أن النسخة الخطية الوحيدة من هذا الكتاب ، المحفوظة في مكتبة (أيا صوفيا) في اصطنبول

تحت رقم (٣٠٨٠) والمخطوطة في ٢٨ ذي القعدة سنة (١٠٠٣هـ) قد كتب في طرتها : (تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي رحمه الله رحمة الأبرار) .

ولأجل هذه الكتابة نسب الكتاب إلى ابن المجاور الدمشقي الشيباني كثيرون كان آخرهم المستشرق الذي قام بطبعه في (ليدن) . ولكن تلك الكتابة متأخرة ويظهر أن أحد القراء رأى جملة (قال ابن المجاور) التي تتكرر كثيراً في الكتاب فظنه الدمشقي بدون إمعان نظر . فكتب في طرته ماكتب .

٣ ـ ابن المجاور مؤلف كتاب (المستبصر) :

إن كل من ينعم بالنظر في كتاب «المستبصر» يتَّضِحُ له ـ بجلاءٍ ـ أنه ليس لابن المجاور الشيباني للأسباب الآتية :

١ ـ أن مؤلف هذا الكتاب رجل عاميٌّ يكثر في كلامه اللحن .

٢ ـ إنه لم يرد في ذالك الكتاب مايدل على معرفة مؤلفه بدمشق ، بينما يتكرر فيها أسماء كثير من البلاد الفارسية .

٣ ـ أنه صرح في مواضع بأنه نيسابوري ، وذكر في أحد المواضع ان سائلاً سأله : هل ترون سهيلاً في خراسان ؟ .

٤ ـ أنه أورد اسم أبيه وجده وهما يخالفان اسم أبي ابن المجاور الدمشقي وجده .

٥ ـ أنه سافر من (الديبل) في إقليم السند سنة ٦١٨ ـ وسجل ماشاهده في رحلته ، بينما ابن المجاور في ذالك العهد لم يتجاوز الـ ١٧ عاماً ولم يذكر مؤرخوه أنه سافر من دمشق إلى الهند ثم عاد منها .

٦ ـ أنه شاعر باللغة الفارسية ، فقد أورد بعض شعره وأشعاراً فارسية أخرى .

٧ ــ أن من يطالع ذالك الكتاب يتضح له ــ من خلال اضطراب ترتيبه في التأليف وسذاجة أسلوبه ــ كونَ مؤلفه من العامة ، لا من العلماء بخلاف ابن المجاور الدمشقي الشيباني .

قدم الرحالة الفارسيُّ ابنُ المجاور من الدِّبيل إلى عدن في أواخر سنة ٦١٨ ، وكان في زبيد سنة ٦١٩ ، ووصل إلى جدة سنة ٦٢١ ، حيث كان هذه السنة فيها ، ثم في مكة ، في دارة الإمارة .

ووالد هذا يدعى محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري .

ووصل إلى المَهْجَم ــ في اليمن في تهامة ، في المكان الذي قتل فيه الصُّلَيْحي سنة ٦٢٦ ــ وذكر في كتابه وقائع وحوادث حدثت سنة ٦٢٦ كبناء المنصورة وتسميتها القاهرة (ص ٥١٧ نسختي الخطية المنقولة عن مصورة دار الكتب) .

هذا الرحالة هو أول من رأيته نسب عمارة جدة إلى الفرس ، فقد قال في رحلته : (بناء جدة : حدثني موسى بن مسعود النساخ الشيرازي ، قال : لما أسلم سلمان الفارسي ــ رضي الله عنه ــ تسامعت أهلوه بالخبر ، فقصدوه وأسلموا على يد رسول الله ﷺ وسكنوا جدة ، لأنهم كانوا تجاراً ــ إلى آخر مانقلت عنه .

أما كيف نُسب الكتاب إلى ابن المجاور الدمشقي الشيباني المحدث ، فلعل أول من نسبه إليه هو (بروكلمان) في كتابه عن الأدب العربي ، ثم تتابع مفهرسو المكتبات التي يوجد فيها نسخ مصورة من هذا الكتاب على ذالك ، ولعل أقدم نُسخه المخطوطة المعروفة الآن هي نسخة استنبول ، وفي المتحف البريطاني ودار الكتب المصرية صورتان عنها .

حمد الجاسر

العقد الفريد
في نسب الحراقيص من بني زيد

[وصدر للأستاذ الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع القاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة وعضو هيئة كبار العلماء مؤلف في أنساب أسرته الحراقيص عنوانه « العقد الفريد في نسب الحراقيص من بني زيد » مطبوعاً طباعة حسنة محلاة بشجرات الأسر المصورة ، يقع في مئتي صفحة من القطع الكبير ، مطبوعاً بمطابع الخط في الدمام سنة ١٤٠٩هـ على نفقة (شركة الراجحي للصرافة والتجارة) ويحوي تفصيلاً وافياً عن تلك الأسرة الكريمة التي ترجع في أصلها إلى قبيلة قحطان .

وقدم الكتاب الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام نائب رئيس محكمة التمييز بمكة المكرمة وعضو هيئة كبار العلماء ومجمعي الفقه في مكة وجدة ، كما قدمه صاحب هذه المجلة بهذه الكلمة] :

***

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . . .

وبعد . . فلمدنية هذا العصر ــ بما استحدثته من وسائل العلم الآلي واختراعاته ــ في تيسير سبل الحياة ، وترفيه معيشة بني البشر على اختلاف طبقاتهم ، ما هيأ لكل إنسان أن يرفل في بحبوحة من رخاء العيش ، وأن يتمتع بقسط وافر من الحياة الهنيئة التي لا عهد لمن عاش قبله في أي عصر من عصور الزمن به .

ولكنْ هذه المدنية لها آفاتها ، وتلك الحياة الرغيدة التي نشأت عنها حين يتعمق المفكر العاقل بالنظر إلى حقيقتها بعين البصيرة يدرك أنها ــ وإن أوفت على النهاية في توفير متطلبات الجسد المادية ــ فهي ملأى بالمساوئ والنقائص ، بله أولئك الذين عناهم الشاعر بقوله :

واعْجَبْ لِغَوْغَاءَ إنْ تَشْبَعْ فقدْ رَضِيَتْ   رِضَا السَّوائِمِ أَقْصَى هَمِّهَا الْعَلَفُ

ولو جنح المرء لحظة إلى التفكير في مختلف جوانب حياة الإنسان في هذا الكون المعمور ، منذ أقدم العصور ، لأدرك أن من مقومات تلك الحياة الترابط القائم على أساس القرابة ، ابتداء من الأبوين وأبنائهما ، ثم بين جميع أفراد الأسرة ، إلى مجتمع القبيلة ، فالشعب ، فالأمة ، وكثيراً ما امتدت وشائج القربى هذه لإيجاد وسائل أخرى لتقوية هذا الترابط بصفة شاملة ، كاتفاق الاتجاهات ، والتعاون في مختلف سبل الحياة ، والتآلف النـاشئ عن تبادل المنافع ، والتعارف القائم على

قوة الصلات ، ولعل في هذا ما يلمع إلى مدلول الآية الكريمة : ﴿ يا أَيُّها النَّاسَ إنَّا خلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقبائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتقاكُمْ ﴾ ـ سورة (الحجرات) الآية الـ ١٢ ـ كما أدركه الإمام علي بن محمد بن حزم حيث ابتدأ بها مؤلفه العظيم « جمهرة أنساب العرب » وحاول إيضاحه بقوله : فقد جعل تعارف الناس بأنسابهم غرضاً له تعالى في خلقه إيانا شعوبا وقبائل ، فوجب بذالك أن علم النسب علم جليل رفيع ، إذ به يكون التعارف ـ ص ٢ ـ .

ولكن اتجاه الإنسان للاستفادة بما أثمرته المدنية الحديثة من مخترعات وآلات ، وهو اتِّجاه قد يُعْتَبَرُ من ضرورات هذا العصر ـ نَأى به عن التحلي بكثير من المثل العليا التي تحكم صِلاتِه بينه وبين أخيه الإنسان ، على أساس التآلف والمحبّة ، وإحكام روابط الإخاء ، وأواصر القربى ، ومن ثَمَّ نشأ جهله ـ بعد تجاهله ـ تلك الأواصر ، فاتَّسَعَتْ شُقَّةُ التباعد بينه وبين ذويه الأقربين ، بعد أن غمره طغيان إحساسه بالاستغناء عنهم ، وصدق الله العظيم : ﴿ كلَّا إنَّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى ، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ ـ سورة (اقرأ) الأيتان الـ (٦ ، ٧) .

ولن يقف طغيانُ الإنسان ، وانغماسُه في المادة ، واستهانته بالقيم الخلقية مادام هذا الكون الذي يعيشه ـ سيبقى إلى مايشاء الله ـ يجود بالمستحدث الغريب من بدائع المخترعات ، التي تُنَمِّي المتطلبات المادية حتى يصبح غارقاً في حمأتها ، مالم يقْو في نفسه الشُعور بأن لهذه الحياة غايةً أسمى من تصوره ، وأنَّ وجوده فيها ليس غاية في حدِّ ذاته ، ولكنه وسيلة لما يخلده من عمل صالح نافع .

وتنمية ذالك الشعور ـ وهو واجب المصلحين من العلماء ـ ينبغي أن لا تختص بالجانب الديني ، أو تقتصر على اتجاه معين من الاتجاهات المضادة لوجهة الخير والصلاح ، بل تكون شاملة لجميع جوانب السلوك في حياة الإنسان ، إذ ربما كان تأثيرها فيما لا يتصل مباشرة بالجانب الخلقي أبلغ من اتصالها المباشر بذالك الجانب .

ولقد أحسستُ بالغبطة والسرور حين رأيت أَخَوَيْن كريمين من إخواني ،

وفقيهين جليلين من فقهاء هذا العصر ، يتناولان فرعاً من فروع العلم بالتأليف ، قد يُظَنُّ أنه بعيد عن تخصصهما ، هما الأستاذ الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع القاضي في (محكمة التمييز في مكة المكرمة) والأستاذ الشيخ بكر أبوزيد وكيل وزارة العدل ، فقد ألف الشيخ عبدالله كتاباً عن نسب أسرته دعاه « العقد الفريد في نسب الحراقيص من بني زيد » وقبله ألف الشيخ بكر « طبقات النسابين » و «بذل السبب ، في جمع أبحاث النسب » وقبلهما قام الشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل ـ رئيس محكمة الخرج ـ بتأليف كتاب « كنز الأنساب » .

وحقيقةُ الأمر أن فروع العلم متصلةٌ ومتشابكةٌ كفروع الشجرة التي تجمعها أرومةٌ واحدة ، وأن علم النسب لارتباطه بالاجتماع الإنساني ـ الذي قامت حياة هذا الجنس البشري على أساسه ـ جدير بأن يتجه علماء عصرنا لدراسة مختلف جوانبه ، وأن يحظى بالعناية بالتأليف فيه ، باعتباره من أقوى وسائل الارتباط في هذه الحياة ، ومن ثماره ينشأ التعارف فالتآخي والتآلف ، حتى تقوى أواصرُ التقارب بين أُسر القبيلة فالأمة التي تجمعها الأهداف والغايات ، والمقاصد المشتركة . وأن اتجاه أولئك الإخوة للتأليف ـ في هذا الجانب من جوانب تاريخنا المعاصر ـ اتجاه حميد ، ذو غاية عميقة الصلة بحياة الأمة ومُثُلها العليا ، سيرا على نهج أئمة أعلام ، كأبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧/٢٢٤هـ) صاحب كتاب « النسب » وأبي محمد بن حزم (٣٨٤/٤٥٦هـ) في « جمهرة أنساب العرب » وأبي محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة (٥٤١/٦٢٠هـ) شيخ الحنابلة ـ بل شيخ الإسلام ومؤلف كتاب « المغني » الشامل لجميع الأحكام ، في كتابيه « التبيين » و « الاستبصار » وفي مؤلفات أولئك الأجلة الأفذاذ وفي مؤلفات غيرهم من علماء سلفنا الصالح ، عن فضل علم النسب ، وعن منزلته من العلوم ، وعن ضرورة الاعتناء به ما فيه غنية للمستفيد ، وقناعة للمستزيد ، وفي مقدمة هذا المؤلف الذي أتحف الشيخ ابن منيع به القراء إلماعة موجزة قد تفي بالغرض (ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد) .

وهذا المؤلف وقد خص به الأستاذ الشيخ عبدالله دراسة أنساب فروع أسرته الكريمة من قبيلة بني زيد فكان بالنسبة لها (عَمَلَ مَنْ طَبَّ لمن أَحَبَّ) إلا أنه ←

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

ـ ٥٨ ـ

٢٦١ ـ بابُ حَزْنٍ ، وحُزَنٍ ، وحَزْرٍ[١]

أمَّا الأوَّلُ : ـ بِفَتْحِ ألحاءِ وَسُكُونِ الزَّايِ : ـ حَزْنُ بَنِي يَرْبُوعٍ أرْضٌ فَسِيْحَةٌ[٢].

(١) عِنْدَ نصْرٍ: (بَابُ الحَزْنِ ، والحَزْرِ ، وحُزَن) .

(٢) قَال نَصرٌ ـ بَعْدَ ضَبْطِ الاسْمِ ـ: صُقْعٌ واسِعٌ نَجْدِيٌّ بَيْنَ الكُوفَةِ وفَيْدَ ، مِنْ دِيَارِ بَنِي يَرْبُوعٍ . انتهى . الحَزْنُ ـ لُغَةً ـ كالحَزْمِ ـ مَاغَلُظَ مِنَ الأرض ، فَهُوَ وَصْفٌ ثم عُرِفَتْ بِهِ مَوَاضِعُ كثيرَةٌ مُضَافَةٌ إلى سُكَّانِهَا ، وأشْهرُهَا يَقَعُ شرقَ الجزيْرة بِمُحاذَاةِ الدَّهْنَاءِ ، مِنْ وَادِي فَلْجٍ (البَاطن الآن) شمالاً حَتَّى صَحْرَاءِ السَّمَاوَةِ في جِهَاتِ الشَّامِ ، وشرقاً إلى سَوَاد العِرَاق حَيْثُ يقع حَزْنُ يَرْبُوعٍ ، وفي أسْفله على منازِل الـحَجِّ الكُوفِي حَزْنُ بني أسَدٍ ، وحَزْنُ يَرْبُوع أوْسَع الـحُزُون ، ويَليه حَزْنُ كلْبٍ ـ ويُعْرَفُ الآنَ قسْمٌ منه باسْمِ الـحُزُول ـ باللاَّم مِنْ أخْطَاءِ العامَّة ـ وشرقه الـحَجْرة ـ وهي أرضٌ خشنَةٌ مِنَ الـحُزُونِ ، ويَتَّصِلُ بِحَزْنِ بني يَرْبُوع بَعْدَ وادي فَلْج الصُّمَّانُ ، وهو حَزْنٌ أيضاً مِنْ بلادِ تَمِيمٍ الذين مِنْهم بَنُو يَرْبُوع ، وتِلْكَ الـحُزُون فيها أودِيةٌ ورِيَاضٌ ومِيَاهٌ ، وَهي مِنْ أخْصَبِ المراعِي ، وأحَبُّها إلى أهْل البادِية ، وتَجِدُ تَحْدِيداً لمواقع هذه الـحُزُون في (قِسْم شمالِ المملكة) مِنَ «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» مِمَّا في «معجم ما استعجم» و«معجم البلدان» وغيرهما من كتب المتقدمِينَ مُسْتَخْلَصاً .

ـ زاده الله توفيقاً وعلماً نافعاً ـ عرض لمبحث عام من أهم مايحتاج إليه الباحثون في علم النسب عن انتهاء تلك القبيلة ، وصحح خطأ وقع فيه كثير ممن كتب عن أصلها ، حيث قرر (أن زيداً الذي تنتسب إليه بطون بني زيد الخمسة معاصر لأهل القرن العاشر) ومن ثم (لا يعقل أن يتصل نسب فرد من أبناء القرن العاشر بقضاعة بأربعة عشر شخصاً) . ومن هنا ومن جوانب أخرى من مباحث هذا الكتاب يبرز مايتحلى به مؤلفه من تحر للحقيقة ، وتعمق في البحث بمختلف وسائله ، حتى برز أثره هذا باكورة طيبة ، لثمرة يرجى أن تكون أقوى نضجاً ، وعمل يكون أعم نفعاً ، وبالله التوفيق .

وأمَّا الثَّانِي : ـ بِضَمِّ الحاءِ وفَتْحِ الزَّاي ـ: مَوْضِعٌ فِي شِعْرِ هُذَيْلٍ (٣).

وأمَّا الثَّالِثُ : ـ بِفَتْحِ الحَاءِ وسُكُونِ الزَّاي وَآخِرُهُ رَاءٌ ـ: مَوْضِعٌ فِي أَرْضِ نَجْدٍ (٤).

---

(٣) عِنْدَ نصْر ـ بَعْدَ الضَّبْطِ ـ: فِي شِعْرِ هُذَيْلٍ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ جَبَلاً . وفِي «معجم ماستعجم»: حُزَنُ ـ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وفَتْحِ ثَانِيْهِ وبالنُّونِ ـ: جَبَلٌ بِعَيْنِه ، وأَنْشَدَ لأَبِي ذُؤَيْب :

فَـأَنْـزَلَ مِـنْ حُـزَنِ الـمُـغْـفِـرَا ... تِ، والـطَّيْرُ تَـلْثَقُ حَـتَّى تَـصِـيْـحَـا

هَكَذَا رَوَاهُ أَبُو حَنِيفة ، وَرَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بن قاسِمٍ فِي «أشعار هُذَيْلٍ»:

فَحَطَّ مِن الحُزَنِ المُغْفِرَاتِ

والحُزَنُ جَمْعُ حُزْنَةٍ ، وهِيَ إِكَامٌ غِلاظٌ . انتهى . وأَوْرَدَ صَاحِبُ «التَّاج» بَيْتَ أَبِي ذُؤَيْب عَلَى الرِّوَايَةِ الأُولَى وأَضَافَ: وَإِنَّما حَذَفَ التَّنْوِيْنَ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ـ أَوْرَدَهُ شَاهِداً عَلَى أَنَّ الحُزَنَ الجِبَالُ الغِلاظُ الوَاحِدُ حُزْنَة ـ بِالضَّمِّ ـ ولكِنَّه قالَ بَعْدَ ذَالِكَ بِكَلامٍ ـ: والحُزُنُ ـ بِضَمَّتَيْنِ ـ فِي قَوْلِ ابْنِ مُقْبِلٍ :

مُـرَابِـعَـةُ الـحُـمْـرِ مِـنْ صَـاحَـةٍ ... ومُـصْـطَافُـهُ فِي الـوُعُـولِ الـحُـزُنِ

قِيلَ: لُغَةٌ فِي الحَزْنِ ـ بِالفَتْحِ ـ وقِيلَ: جَمْعٌ له . وحُزُنٌ ـ بِضَمَّتَيْنِ ـ جَبَلٌ لِهُذَيْلٍ ، وَبِهِ رُوِيَ أَيْضاً قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ السَّابق ولكِنْ وَرَدَ فِي كِتَاب «شَرْح أَشْعَارِ الهُذَلِيِّيْنَ» ج ١ ص ١١٩ ـ البَيْتُ وشَرْحُهُ بِهَذَا النَّصِّ :

فَـحَطَّ مِـنَ الـحُـزَنِ الـمُـغْـفِـرَا ... تِ، والـطَّيْرُ تَـلْثَقُ حَـتَّى تَـصِـيْـحَـا

حَطَّ : أَنْزَلَ، والـمُغْفِرَات: الأَرْوَى أُمَّهَاتُ الأَغْفَارِ ، والغَفْرُ وَلَدُ الأُرْوِيَّةِ ، وروى أَبُو نَصْرٍ :

فَأَنْزَلَ مِنْ حُزَنِ الـمُغْفِرَات .

قالَ: الـمَعْنَى فَأَنْزَلَ الـمُغْفِرَاتِ مِنْ حُزَنٍ ، فَتَرَكَ التَّنْوِيْنَ فِي (حُزَن) لِلأَلِفِ واللَّامِ الَّذِيْ فِي (الـمُغْفِرَات) . ثُمَّ قالَ: والطَّيْرُ تَلْثَقُ حَتَّى تَصِيْحَ مِمَّا بِهَا ، تَلْثَقُ شَيْئاً مِنَ الـمَطَرِ . غَيْرُهُ : يُؤْذِيْهَا النَّدَى حَتَّى تَصِيْحَ . وَيُرْوَى مِنَ الـجُرُفِ الـمُغْفِرَاتِ . انتهى . وعَلَى ماتَقَدَّمَ فَلَيْسَ صَرِيْحاً أَنَّ الشاعِرَ قصد جَبَلاً بِعَيْنِهِ .

وفي «معجم البُلدان»: حُزَنُ ـ بالضَّمِّ ثُمَّ الفَتْحِ ونُون ـ: مَوْضِعٌ ، قَالَ وَلِيعَةُ ـ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بن كِنَانَةَ :

قَـتَـلْتُ بِـهِـمْ بَـنِي لَـيْـثِ بْـنِ بَـكْـرٍ ... بِـقَـتْـلَى أَهْـلِ ذِي حُـزَنٍ وَعَـقْـلِ

انتهى . وبَنُو عَبْدِ مَنَاة وبَنُو لَيْثٍ بِلادُهُم فِي تِهَامَةَ بِقُرْبِ مَكَّة ، فَقَدْ يَكُونُ الموضِعُ هُنَاكَ ولاَ يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُون الـجَبَل الذي عَنَاهُ أَبُو ذُؤَيْب إِذَا صَحَّ أَنَّهُ أَرَادَ جَبَلاً ، فَبِلادُ هُذَيْلٍ فِي تِلْكَ الجِهَةِ .

(٤) الـحَزْرُ ـ قال نَصْرٌ : جَبَلٌ ، أَوْ وَادٍ نَجْدِيٌّ . انتهى . ولَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى هذا التَّعْرِيف بَعْدَ ضَبْطِ الاسْمِ وبَيَانِ مَعْنَى الـحَزْرِ ـ لُغَةً ـ وأَنَّهُ اللَّبَنُ الـحَامِضُ والقَوْلُ الـحَدْسُ ـ . وفي «القاموس» وشَرْحِهِ : وحَزْرٌ مَوْضِعٌ بِنَجْدٍ ، وقيل: جَبَلٌ . فكأَنَّ الـمَصْدَر قَوْلُ يَاقُوتٍ ، ومَرْجِعُهُ نَصْرٌ ، وإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ . ومَا أَكْثَرَ جِبَالَ نَجْدٍ وأَوْدِيَتَهُ ومَوَاضِعَهُ ، ومَا أَكْثَرَ الأَسْمَاءِ الَّتِي غَيْرَهَا التَّحْرِيْفُ والتَّصْحِيفُ والتَّغْيِيْرُ مَعَ مُرُورِ الأَزْمَانِ .

٢٦٢ ــ بَابُ حُزْوَا ، وَحَزْوَاء[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِضَمِّ الْحَاءِ بَعْدَهَا زَايٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ وَاوٌ ، وَبِالْقَصْرِ : ــ مَوْضِعٌ بِنَجْدٍ فِي دِيَارِ تَمِيمٍ[٢] وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ : حُزْوَا جَبَلٌ مِنْ جبالِ الدَّهْنَاءِ ، وَقَدْ مَرَرْتُ بِهِ[٣] .

وأَمَّا الثَّاني : ــ بِفَتْحِ الْحَاءِ والْمَدِّ : ــ مَوْضِعٌ ذَكَرَهُ صَاحِبُ « الْجَمْهَرَةِ »[٤] .

٢٦٣ ــ بَابُ حِسَاءٍ ، وَحُسًا ، وَحَشًا وحَنِينًا[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِكَسْرِ الْحَاءِ بَعْدَهَا سِينٌ مُهْمَلَةٌ وَبِالْمَدِّ ــ : ذُو حِسَاءٍ مَوْضِعٌ يَشْتَمِلُ عَلَى مِيَاهٍ لِفَزَارَةَ ، بَيْنَ الرَّبَذَةِ ونَخْلٍ[٢] .

---

(١) بِنَصِّهِ فِي كِتَابِ نَصْرٍ .

(٢) زَادَ نَصْرٌ : مِنْ طَرِيْقِ حاجِّ الْكُوفَةِ . انتهى والْوَاقِعُ أَنَّ حُزْوَا تَقَعُ بَعِيدَةً عَنْ طَرِيقِ حاجِّ الكُوفَةِ . جَنُوبَهُ وجَنُوبَ طَرِيْقِ حاجِّ الْبَصْرةِ أَيْضا . ولَعَلَّهُ تَوَهَّمَ مِنْ مُرُور الأزهَرِيِّ بِالْمَوضِعِ قُرْبَهُ مِنْ طَرِيقِ حَاجِّ الكُوفَةِ ، ولم يُلاَحِظ تَنَقُّلَ الأزهرِيِّ مَاسُورًا مَعَ الْقَرَامِطَةِ فِي تِلْكَ الجِهَاتِ .

(٣) قَوْلُ الأَزْهَرِي هذا وَرَدَ فِي كِتابِهِ « تهذِيبِ اللُّغَةِ » ج ٥ ص ١٧٦ ــ وَفِي مَطْبُوعَةِ الكِتَابِ ــ كما هنَا ــ وكذا عِند ياقوتٍ نَقْلاً عنه : (جَبَلٌ من جِبَالٍ) بالجيم ، ولاشك أَنَّهُ تَصْحِيفُ (حَبْلٌ مِنْ حِبَالٍ) إِذِ الدَّهْنَاءُ حِبَالُ رَمْلٍ ، لا جِبَالَ فِيْهَا ، والأَزهَرِيُّ ــ وَقَدْ مَرَّ بِهَا ــ يُدْرِكُ هذاوقَدْ وردَتِ العبارةُ صَحِيحَةً في « تاج العروس » ولكنْ بِصِيْغَةِ : حَبْلٌ من حِبَالِ الدَّهْنَاءِ ، وقَدْ نَزَلْتُ بِهِ . وحُزْوَا نَقًا مِنْ رَمْلٍ عَظِيمٌ في شَرْقِ الدَّهْنَاءِ ، لاَ يَزَالُ مَعْرُوفا يَمُرُّ بِهِ طَرِيْقُ الْمُتَّجِهِ إلى الأَحْسَاءِ الْمَارُّ بِمَعْقُلَةَ ، وبقُرْبِ حُزْوَا رَوْضَةٌ سُمِيتْ بِاسْمِها ، ثم حُفِرَتْ فِيْهَا آبَارٌ فَأَصْبَحتْ قَرْيَةً مَسْكُونَةً ــ انظر(قسم المنطقة الشرقية) مِن « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وَهُنَاكَ حُزْوَا أيضاً قرْيَةٌ قدِيْمَةٌ ذكَرَهَا الحَفْصِيُّ مِنْ قرى اليمامة ــ فيما نقل عنه ياقوت لاتَزَالُ مَعْرُوفَةً ، مِنْ قُرى الْعَارِضِ ، على مَقْرَبَةٍ مِنْ بَلْدَةِ سَدُوسٍ ، إلاَّ أَنَّ شُهْرَةَ حُزْوَا الأُولَى عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ أَوْسَعُ لِتَكرُّرِ اسْمِها في الشِّعرْ الْقَدِيْمِ كَشِعْرِ ذِي الرُّمَّةِ وغَيْرِهِ .

(٤) عِنْدَ نَصْرٍ : حَزْوَاءُ ــ بِفَتْحِ الحَاءِ والْمَدِّ ــ : مَوْضِعٌ ذُكِرَ في « الجَمْهَرَةِ » . وَعِنْدَ ياقُوتَ : ــ بِالْفَتْحِ والْمَدِّ ويُقْصَرُ ــ : مَوضِعٌ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، هُوَ بالْيَمَنِ . وابْنُ دُرَيْدٍ محمد بن الحسن الأزدي (٢٢٣/٣٢١هـ) العالم اللُّغَوِيُّ المعروف ، وكِتَابُهُ « جمهرة اللغة » مَطْبُوعٌ في الهِنْدِ ــ وَلَمْ أَرَ في المؤلفَاتِ الْيَمَنِيَّةِ ذِكْراً لِهَذا الْمَوْضِعِ ، ولَمْ يُشِرِ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ الأَكْوَعُ عِنْدَ ذِكْرِ كَلاَمِ ياقوتٍ فيما لَخَصَهُ مِنْ « مُعْجَمِ الْبُلْدانِ » إلى وُجُودِهِ .

(١) نَصُّهُ في كتابِ نَصْرٍ .

(٢) عِنْدَ نَصْرٍ : مِيَاهٌ لِفَزَارَةَ ، بَيْنَ الرَّبذَةِ ونَخْلٍ ، يُقَالُ لِمَكَانِهِ ذُو حِسَاءٍ ــ وَأَوْرَدَ بَيْتَ ابْنِ رَوَاحَةَ . ونَصُّهُ عِنْدَ ياقُوتٍ سِوَى كلمة (لِمَكَانِهِ) فَعِنْدَهُ (لِمَكَانِهَا) . =

قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ : إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي   مَسَافَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ[٣] .

وأَمَّا الثَّانِي : ــ بِضَمِّ الحاءِ وَالْقَصْرِ ــ : ذُو حُسًا : وَادٍ بالشُّرَبَّةِ مِنْ دِيَارِ غَطَفَانَ ، وَفِي شِعْرِ النَّابِغَةِ :

عَفَا ذُوْ حسًا مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوارِعُ

قَالَ أَبُو عُبَيْدة ــ : ذُو حُسَا فِي بِلَادِ بنِي مُرَّةَ ، وَقَال : هُوَ مَقْصُورٌ لاَ يُمَدُّ ، وَمَكَانٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ ذُوْ حِسَاءٍ مَمْدُودٌ مَكْسُورٌ[٤] .

ــ وَيَرَى بَعْضُ الباحثين أَنَّ ذَا حُسَا هو الْمَعْروفُ الآنَ باسم (الحِسِي) وبَعْضُهُمْ يَنْطِقُهُ بالواو (الحِسْوُ) وقَدْ يُسَمَّى حِسْوُ عَلْيَا ، والرُّبَذَةُ كُشِفَ مَوْضِعُها مِنْ قِبَلِ عُلَمَاءِ الآثارِ فِي (جَامِعَةِ الملك سعود) وأَلَّف عَنْها الدكتور سَعْدُ بنُ راشِدٍ مُؤَلَّفًا ، ونَخْل يُدْعَى (الحَنَاكِيَّةِ) لِوُقُوعِهِ بَيْنَ جِبَالٍ فِي مَوْضِعٍ أَشْبَهَ بِفَكَّي الْبَعِيرِ (حَنَكَيْهِ) وفِيهِ قُرَى قَلِيلَةٌ وسُكَّانٌ قَلِيلُونَ . إلا أَنَّ الحِسِيَّ (حِسْوُ عَلْيَا) لاَ يَقَعُ بَيْنَ الرُّبَذَةِ ونَخْلٍ . بَلْ تَقَعُ الرُّبَذَةُ بَيْنَهُ وبَيْنَ نَخْلٍ ، فَهُوَ يَقَعُ بِقُرْبِ دَرَجَةِ الْعَرْضِ ٣٦/٢٤° وَدَرَجَةِ الطُّولِ ٣٨/٤١° بَيْنَمَا تَقَعُ الرُّبَذَةُ بِقُرْبِ دَرَجَةِ الْعَرْضِ ٤٨/٢٤° ودَرَجَة الطُّول ١٥/٤١° ، ونَخْل (الحَنَاكِيَّةُ) بقرب الدرجة ٤٠/٢٤° و ٣٠/٤٠° والحِسِيُّ وَاقِعٌ فِي بِلَادِ مُحَارِبٍ قَدِيمًا فِي شَرَبَّتِهِمْ ولكِنْ يُفْهَمُ مِمَّا ذَكَرَهُ صاحِبُ كتَابِ « بِلَادِ العرب » تُجَاوُر مُحَارِبَ وفَزَارَةَ فِي الْبِلَادِ الْقَرِيبَةِ مِنْ ذِي حُسَاءٍ فقدْ قَالَ : ذُو حُسَاءٍ وادٍ ضَخْمٌ أَسْفَلُهُ الرِّمْثُ وأعْلاَهُ الثُّمَامُ ، فِيهِ بِثَارٌ ، أَسْفَلُهُ لِفَزَارَةَ وأَعْلاَهُ لِمحارِبٍ ، وهُوَ شِبَاكٌ كُلُّهُ ، والشِّبَاكُ الْبِئَارُ الصِّغَارُ فِي بُطُونِ الأَوْدِيَةِ ــ ص ١٨٧ ــ وقال : وَذَوَاتُ الْمُرَيْرِ أَكْمٌ مِنْ شَاطِئِ ذِي حُسَا ، بِأطراف ذي طلال ــ ٨٦ ــ وَوَادِي الحِسِيِّ الْمُتَقَدِّمِ وَصْفُهُ هوَ وادِي طَلَالٍ الْمَنْهَلِ الْمَعْرُوف قَدِيمًا وحَدِيثًا أَعْلاه الحِسَا (الحِسِيُّ) في بِلَادِ مُحَارِب ثم يتجه نَحْوَ الشَّمَال الشرقيِّ فيَتَّصِلُ بِبِلَادِ فَزَارةَ ، ويَصُبُّ سَيْلُهُ في وادي الجَرِيبِ ، وقَبْلَ الْتِقَاءِ الوَادِيَيْنِ يقعُ مَنْهَلُ طَلَال (ذِي طَلَالٍ) وَلكِنِ الْقَوْلُ بأَنَّ ذا حُسَا هذا يَقَعُ بَيْنَ الرُّبَذَةِ ونَخْلٍ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، ويَظْهَرُ أَنَّ الاسْمَ لا يَنْحَصِرُ بِمَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، فَذُو حِسَاءٍ وَصْفٌ للمكَانِ الَّذِي يُحْسِي أَيْ يَخْرُجُ مَاؤُهُ في أَحْسَاءٍ وهِي الحُفَرُ القرِيبَةُ الْقَعْرِ ، ثم أَصْبَحَ عَلَمًا عَلَى مَواضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ ، قد يكونُ أَحَدُهَا وَاقِعًا غَرْبَ شمالِ الرُّبَذَةِ فيما بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَخْلٍ (الحَنَاكِيَّةُ) .

(٣) قَوْلُ ابْنُ رَوَاحَةَ لاَ يَنْطَبِقُ عَلَى ذِي حِسَاءِ الْوَاقِعِ فِي جِهَةِ الرُّبَذَة مِنْ بِلادِ نَجْدٍ بَلْ عَلَى مَوْضِعٍ فِي الشَّامِ (شَرْقِ الأرْدُنِ) هُو إِحْدَى مَحَطَّاتِ السِّكَّةِ الحَدِيد ، وَلاَيَزَالُ معروفاً يُدْعَى الحَسَاءِ ، وَالْبَيْتُ من شعر لعبدالله بن رَوَاحَة الصحابي الجليل الذي اسْتُشْهِدَ فِي وَقْعَةِ مُؤْتَةَ سنة ثمانٍ منَ الْهِجْرةِ ــ أَوْرَدَهُ ابنُ هِشام في « السيرة النبوية » ج ٢ ص ٣٧٦ ــ أَثْنَاءَ سِيَاق خَبَرِ الْغَزْوَةِ . وابن رَوَاحَةَ خَزْرَجِيٌّ أَنْصَارِيٌّ ، كاتِبٌ شاعِرٌ .

(٤) الشُّرَبَّةُ ــ عَلَى مَا يُفْهَمُ مِنْ كلاَم الْمُتَقَدِّمِينَ ــ الأَرْضُ الْوَاقِعَةُ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ بَيْنَ وَادِيَي الْجَرِيبِ وَالرُّمَةِ ، وهِي أَرْضٌ وَاسِعَةٌ ذاتُ أَوْدِيَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الأَحْسَاءُ قديماً مع كَثْرَةِ السُّيُولِ ، وَمِنْ أَوْدِيَتِها وَادِي الحِسِيِّ (ذِي حِسَاءٍ) المتقدم ذِكْرُهُ ، وهذا في أَسْفَلِ الشُّرَبَّةِ ، وقدْ يكونُ هُنَاكَ مِنَ الأَوْدِيَةِ فِي أَعْلاها في بِلَادِ غَطَفَانَ مايُسَمَّى بِذِي حِسَاءٍ بالْمَدِّ أوْ الْقَصْرِ ــ كَمَا ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةِ ــ وإِنْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى أَنَّ الْمُسَمَّى واحِدٌ ، وَرَدَ في الشِّعْرِ مَرَّةً مَقْصُوراً وأُخرى مَمْدُوداً فَتَوَهَّمَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ مَوْضِعَيْنِ .

وأما الثَّالِثُ : ـ بِفَتْحِ الخَاء بَعْدَهَا شِينٌ مُعْجَمَةٌ مَقْصُورٌ ـ : جَبَلُ الأَبْوَاءِ يُقَالُ لَهُ الخَشَا ، وَهُوَ مِنْ يَمِينِ آرَةَ ، قَالَهُ أَبُو الأَشْعَثِ(٥) .

وَمَوْضِعٌ أَيْضاً فِي دِيَارِ طَيِّءٍ(٦) .

[. . . . .](٧) .

٢٦٤ ـ بَابُ الحَسَنِيَةِ ، وَالخُشَيْبَةِ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ـ بِفَتْحِ الحَاءِ والسِّينِ المُهْمَلَةِ ثُمَّ نُونٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَها

وبَيْتُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي عَلَى مافِي دِيوانِهِ بِرِوَايَةِ ابْنِ السِّكِّيت ـ ص ٤٢ تحقيق الدكتور شكري فيصل :

عَفَا حُسُمٌ مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوَارِعُ ... فَجَنْبَا أَرِيكٍ فَالتِّلَاعُ الدَّوَافِعُ

وَأَوْرَدَ فِي الحاشية : وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ : عَفَا ذُو حُسا . . . ثم ساق قولهُ عنْ ذِي حُسا كاملاً . ومَهْمَا يكُنْ فالأَوْدِيَةُ ذَوَاتُ الحِسَاء والأَحْسَاءِ كَثِيرةٌ ، ولَكنُها في السِّنِينَ الأَخِيرَةِ بَعْدَ حَفْرِ الآبَارِ الارْتوازِية نَضَبَتْ مِيَاهُهَا فانْعَدَمَ الإِحْسَاءُ فيها .

(٥) عِنْدَ نِصْرٍ : ـ الخَشَا ، بفتح الخَاءِ والشِّينِ المُعْجَمَة مَقْصُورٌ ـ :وَادٍ بِالحِجَازِ ، وَجَبَلُ الأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَةِ ، ومَوْضِعٌ في دِيَارِ طَيِّءٍ . انتهى . أَمَّا أَبو الأَشْعَثِ فَهوَ الكِنْدِيُّ رَاوِي رِسَالَةَ عَرَّامِ بْنِ الأَصْبَغِ السُّلَمِيِّ « أسْماء جِبَال تِهامَةَ وسُكَّانِهَا » وَنَصُّ مَافِيها ـ ٤١٠ نوادر المخطوطات ـ : وَمِنْ عَنْ يَمِينِ آرَةَ الطَّرِيقُ لِلمُصْعِدِ الخَشَا ، وهُوَ جَبَلُ الأَبْوَاءِ ، وهُوَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ البُعْقُ ، وَادٍ بِكَنَفَتِهِ اليُسْرَى وَادٍ يُقَالُ له شَسٌّ ، وَهُوَ بَلَدٌ مَهِيمَةٌ . . . وَالأَبْوَاءُ مِنْهُ عَلَى نِصْفِ مِيلٍ . انتهى ، وفي « معجم ما استعجم »: الخَشَا جَبَلٌ شامِخٌ مُرْتَفِعٌ وَهُوَ جَبَلُ الأبواءِ ، وهي مِنْهُ عَلَى نِصْفِ مِيلٍ . . . والخَشَا لِخُزَاعَة وضَمْرَةَ . انتهى ولكِنِ اسْمُ الخَشَا لَا يُعْرَفُ الآن ، والجَبَلُ مُسْتَطِيلٌ بِاسْتِطَالَةِ وَادِي الأَبْواءِ وَفِي سَفْحِهِ الشرقِيِّ قَرْيَةُ الخُرَيْبَة (الأَبْوَاء قَدِيماً) أبرَزُ مَعَالِمِهَا القَبْرُ المَنْسُوبُ لِآمِنَةَ أُمِّ محمدٍ المُصْطَفَى ﷺ فوق القرية في سَفْحِ الجَبَلِ ، وقَدْ يكُونُ اسْمُ الخَشَا يُطْلَقُ على الوَادِي أَيْضاً لِلتَّجَاوُرِ والقُرب .

(٦) نَقَلَ يَاقُوتُ كَلَامَ نِصْرٍ مَنْسُوباً إِلَيْهِ وَلَمْ يُحَدِّد الخَشَا الواقِعِ فِي بِلَادِ طَيِّءٍ ، وَلَمْ أَرَ لَهُ ذِكْراً عِنْدَ غَيْرِ نَصْرٍ وَمَنْ نَقَلَ عَنْهُ .

(٧) حَنِينَا : لَمْ يَرِدْ لَهَا ذِكْرٌ عِنْدَ الحَازِمِيِّ إِلَّا فِي العُنْوانِ ، وَفِي مَخْطُوطَةِ الأَصْلِ وَرَدَ فِي الهَامِشِ (سَقَطَ الرَّابِعُ مِنَ الأَصْلِ) والحَازِمِيُّ نَقَلَ البَابَ مِنْ كِتَابِ نَصْرٍ ، وَقَدْ عَرَّفَ المَوْضِعَ بِقَوْلِهِ : وَبِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ وَنُونٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَها يَاءٌ ، ثُمَّ نُونٌ مَمْدُودٌ ـ : مَنْ قُرَى قِنَّسْرِينَ . انْتَهى . وَأَوْرَدَ يَاقُوتُ ـ بَعْدَ ضَبْطِ الإِسْمِ ـ كَلَامَ ابْنِ القَطَّاعِ فِي كِتَابِ « الأَبْنِيَةِ » : مَوْضِعٌ ، وقَالَ غَيْرُهُ : دَيْرُ حَنِينَا مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ـ ثم كَلَامَ نِصْرٍ ـ وأَضَافَ : وقَالَ أَبُو تَمَّام ـ يَمْدَحُ خالِدَ بْنَ يَزِيْدَ بنِ مَزْيد وهُوَ بِقِنَّسْرِينَ :

يَقُولُ أُنَاسٌ فِي حَنِينَاءَ عَايَنُوا ... عِمَارَةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ :

أَصَادَفْتَ كَنْزاً أَمْ صَبَحْتَ بِغَارَةٍ ... ذَوِي غِرَّةٍ حَامِيهِمُ غَيْرُ شَاهِدِ

ـ إِلَى آخِرِ ما أَوْرَدَ مِنَ الشِّعْرِ ـ وَقِنَّسْرِينُ كَانَتْ مِنْ كُوَرِ الشَّامِ بَيْنَها وبَيْنَ حَلَب مَرْحَلَةٌ مِنْ جِهَةِ حِمْصَ ، وكَانَتْ حَلَبُ تَابِعَةً لَهَا وَقَدْ خرِبَتْ في مُنْتَصَفِ القَرْنِ الرابِعِ ـ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ياقوت ـ .

(١) بِنَصِّهِ فِي كِتَابِ نصر .

نُقْطَتَانِ مُشَدَّدَةٌ ـ : بَلَدٌ فِي شَرْقِيِّ الْمَوْصِلِ عَلَى يَوْمَيْنِ[٢] .

وأَمَّا الثَّانِي : ـ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا شِينٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، ثُمَّ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَلِيهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـ : أَرْضٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْيَمَامَةِ كَانَتْ بِهَا وَقْعَةٌ بَيْنَ تَمِيمٍ وَحَنِيفَةَ ، وَلَهَا ذِكْرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ[٣] .

٢٦٥ ـ بَابُ حُسَيْكَةَ ، وَحُسَيْلَةَ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : ـ بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالْكَافِ ـ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ بِطَرَفِ ذُبَابٍ ، وَذُبَابٌ جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ بِحُسَيْكَةَ يَهُودُ ، بِهَا لَهُمْ مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ ، قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ[٢] .

وَأَمَّا الثَّانِي ـ بِاللاَّمِ وَالْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ ـ جَبَلٌ لِلضِّبَابِ[٣] .

---

(٢) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ إِلاَّ أَنَّ قَبْلَهُ : (عِدَّةُ مَوَاضِعَ أَشْهَرُهَا) . وَلَكِنْ يَاقُوتاً اقْتَصَرَ عَلَى الْقَوْلِ : مَنْسُوبٌ إِلَى الْحَسَنِ ـ : بَلَدٌ فِي شَرْقِيِّ الْمَوْصِلِ عَلَى يَوْمَيْنِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ .

(٣) الْخُشَيْبَةُ عِنْدَ نَصْرٍ : أَرْضٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْيَمَامَةِ ، كَانَتْ بِهَا وَقْعَةٌ بَيْنَ تَمِيمٍ وَحَنِيفَةَ . انتهى وَهُوَ نَصُّ مَا أَوْرَدَ يَاقُوتُ فِي « المعجم » ، ونقلهُ صَاحِبُ « تاج العَرُوس » بِدُونِ زِيَادَةٍ ، وَلَيْسَ لَدَيَّ مَا أُضِيفُهُ سِوَى الظَّنِّ بِأَنَّ تِلْكَ الوَقْعَةَ قَدْ تَكُونُ حَدَثَتْ فِي الْعَهْدِ الإِسْلَامِيِّ ، إِذْ لَوْ كَانَتْ قَبْلَهُ لَحُفِظَتْ أَشْعَارُهَا فِي الْغَالِبِ .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ ـ كَمَا هُنَا ـ .

(٢) حُسَيْكَةُ ـ قَالَ نَصْرٌ : وَبِالْكَافِ مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَ ذُبَابٍ وَمَسْجِدِ الْفَتْحِ ، فِي شِعْرِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ . انتهى . ونَقَلَ يَاقُوت كَلَامَ الْحَازِمِيِّ غَيْرَ مَنْسُوبٍ ثُمَّ كَلَامَ نَصْرٍ مَنْسُوباً إِلَيْهِ ، وَأَوْضَحَ الْمَعْنَى اللُّغَوِيَّ لِلْحَسَكِ ، وَلَمْ يَزِدْ . وكَلَامُ الْوَاقِدِي وَرَدَ فِي كتاب « المغازي » لَهُ ـ ٢٣ ـ فِي سِيَاقِ خَبَرِ مَسِيرِ رسول الله ﷺ لِغَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى ، وأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ بأصحابه فَنَزَل بُيُوتَ السُّقْيَا مُتَّصِلَةً بِالْمَدِينَةِ فقالَ لَهُ عبدالله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَام : يارسول الله لقد سَرَّنِي مَنْزِلُكَ ، وعَرْضُكَ فِيهِ أَصْحَابَكَ ، وتَفَاءَلْتُ بِهِ ، إِنَّ هذَا مَنْزِلُنَا ـ بَنِي سَلِمَةَ ـ حَيْثُ كَانَ بَيْنَنَا وبَيْنَ أَهْلِ حُسَيْكَةَ مَاكَان ـ حُسَيْكَةُ الذُّبَابُ ، والذُّبَابُ جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ بِحُسَيْكَةَ يَهُودُ ، وكَانَ لهم بِهَا مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ ـ فَعَرَضْنَاهَا هُنَا أَصْحَابَنَا ثم سِرْنَا إِلى يَهُود حُسَيْكَةَ وهُمْ أَعَزُّ يَهُودَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ فَقَتَلْنَاهم كَيْفَ شِئْنَا ، فَذَلَّتْ لَنَا سَائِرُ يَهُودَ إِلى اليَوْمِ ـ انتهى ـ وَنَقَلَ السَّمْهُودِيُّ فِي « وَفَاءِ الوَفَا » ـ ١١٩١ ـ عَنِ ابْنِ شَبَّةَ مُؤَرِّخِ الْمَدِينَةِ كلاماً يَدُلُّ على سَعَةِ حُسَيْكَةَ ، وأَنَّهَا تَصِلُ إِلى أَدَانِي الْجُرُفِ ، وأَوْرَدَ لِشَاعِرٍ لَمْ يُسَمِّهِ :

صَبَحْنَاهُمُ بِالسَّفْحِ يَوْمَ حُسَيْكَةٍ ... صَفَائِحَ كِسْرَى وَالرُّدَيْنِيَّةَ السُّمْرَا
فَمَا قَامَ مِنْهُمْ قَائِمٌ لِقِرَاعِنَا ... وَلَا نَاهَبُونَا يَوْمَ نَزْجُرُهُمْ زَجْرَا

(٣) حُسَيْلَةُ قَالَ نَصْرٌ : أَمَّا بِاللاَّمِ فِي شِعْرٍ ، وَيُقَالُ حَسَلَة ، وَيُقَالُ حَسَلَاتٌ : أَجْبَالٌ بِيضٌ لِلضِّبَاب ، إِلَى جَنْبِ رَمْلِ الْغَضَا . انتهى . وفِي كِتَاب « بِلَادِ العرب » ـ ٩٥ ـ فِي الْكَلَامِ عَلَى بِلَادِ الضِّبَابِ فِي حِمَى ضَرِيَّةَ وقُرْبِهِ بَعْدَ ذِكْرِ غَوْلٍ والثُّرَيَّا ـ : وحَسَلَاتٌ أَجْبَالٌ بِيضٌ إِلَى جَانِبِ الرَّمْلِ رَمْلِ الْغَضَا ، قَالَ ـ

٢٦٦ ــ بَابُ حَسَنَةَ ، وَحِسْنَةَ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِفَتْحِ الْحَاءِ والسِّينِ ــ : جِبَالٌ بَيْنَ صَعْدَةَ وَعَثَّرَ ، فِي الطَّرِيقِ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ(٢) .

وَأَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَسُكُونِ السِّينِ ــ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ أَجَإٍ(٣) .

٢٦٧ ــ بَابُ حِشَّانَ ، وَحَسَّانَ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : ــ بِكَسْرِ الْحَاءِ بَعْدَهَا شِينٌ مُعْجَمَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : أُطُمٌ مِنْ آطَامِ

= الشَّاعِرُ ــ ثُمَّ أَوْرَدَ أَبْيَاتاً ثَلاثَةً الشاهد مِنْهَا فِي قَوْلِهِ :

عَلَى أَنِّي أَرِقْتُ وَهَاجَ شَوْقِي ... بِحَسْلَةَ مَوقِدٌ ــ وَهْنَا ــ وَنَارُ

وقال الْهَجَرِيُّ ــ فِي كَلَامِهِ على حِمَى ضَرِيَّةَ ــ : وَدَخَلَ مِنْ مِيَاه الضِّبَابِ فِي الْحِمَى . . . وَلَهُمْ سِتَّةُ أَمْوَاهٍ ، مَاءٌ يُقَالُ لَهُ حُسَيْلَةُ ، وَهُوَ مِنْ حَسَلَاتٍ ، وَحَسَلَاتٌ هِضَابٌ مُلْسٌ فِي ظَهْرِ شَعَبَا . انتهى
وحَسَلَاتُ هَضَبَاتٌ لَاتَزَالُ مَعْرُوفَةً ، تَقَعُ فِي الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ مِنْ جَبَل شُعَبَا الْمَعْرُوف الواقِعِ بِقُرْبِ بَلْدَةِ ضِرِيَّة ، تَقَعُ حَسَلَاتُ بَيْنَ شُعَبَا ، وبَيْنَ رَمْلٍ يُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ (نُقُود العُرَيْق) يَحُفُّ بِحَسَلَاتٍ وبِشُعَبَا ، وهو مَا سَمَّاهُ نَصْرٌ وقَبْلَهُ صاحِبُ كِتَابِ « بِلَادِ العَرَبِ » رَمْلَ الْغَضَا .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ بِتَعْرِيفِ الاسْمَيْنِ .

(٢) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ ، وَأَوْرَدَهُ يَاقوتُ مَنْسُوباً إِلَيْهِ ، وقَبْلَهُ قَالَ : حَسَنَةُ ــ بِالْهَاءِ ــ مِنْ قُرَى اصْطَخْرَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا الحسَنُ بن مُكَرَّمٍ الأَصْطَخْرِيُّ الحَسَنِيُّ ، أَحَد مَشَاهِيرِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَمَوْلِدُهُ بِبَغْداد ، وأَصْلُهُ مِنْ هُنَاكَ ، مَاتَ سنة ٢٧٤ ــ أَمَّا الْجِبَالُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ صَعْدَةَ وعَثَّرَ فَجِبَالُ الحجاز تَقَعُ بَيْنَهُمَا فِي مَسَافَةٍ تَبْلُغُ مِئَاتِ الأَمْيَالِ ، وَلَا أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ (الحَسَبة) الْوَادِي الْوَاقِعِ بِقُرْبِ عَثَّرَ وَرَدَ مُصَحَّفاً فِي أَحدِ مَصَادِرِ نَصْرٍ .

(٣) زَادَ نَصْرٌ بَعْدَ (أجا) . قَالَ :

وَمَا نُطْفَةٌ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهَا حِسَنُ الْجُودِيِّ واللَّيْلُ دَامِسُ

حِسَنٌ هذَا جَمْعُ حِسْنَةٍ ، وَهِيَ مَجَارِي الْمَاءِ ، وقِيلَ : الجُوَوِيّ ــ بِوَاوَيْن ــ وأَمَّا الْجُودِيُّ بِالْكُوفَةِ . انتهى .
وأَوْرَدَ يَاقُوت قَوْلَ نَصْرٍ مَنْسُوباً إليه وَلَمْ يَزِدْ ، ولكِنَّه في رَسْمِ (الْجُودِيّ) بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّه جَبَلٌ مُطِلٌّ عَلَى جَزِيرَةِ ابن عُمَرَ ، فِي الْجَانِبِ الشرقِيِّ مِنْ دِجْلَةَ ، مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِل ، عَلَيْهِ اسْتَوَتْ سَفِينَةُ نُوحٍ ــ عليه السلام ــ وَتَوَسَّعَ فِي الْكَلَامِ أَضَاف : والجُودِيُّ ايضاً جَبَلٌ بِأَجَإٍ أَحَدِ جَبَلَيْ طَيِّءٍ ، وإِيَّاهُ أَرَادَ أَبُو صَخْرَة الْبَوْلَانِيُّ بِقَوْلِهِ :

فَمَا نُطْفَةٌ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهَا جَنْبَتَا الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ
فَلَمَّا أَقَرَّتْهُ اللِّصَافُ تَنَفَّسَتْ ... شَمَالٌ لأَعْلَى مَائِهِ فَهْوَ قَارِسُ
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا وَمَاذُقْتُ طَعْمَهُ ... وَلكِنَّنِي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ

فَلَا شَاهِدَ فِي الشِّعْرِ عَلَى رِوَايَةِ يَاقُوت ، كما لم يُورِد (الجووي) . وَلَا أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ تَصْحِيفاً .

(١) هُوَ فِي كِتَابِ نَصْرٍ .

←

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

حول كتاب « الأسر المتحضرة »

آل سلامة من بني زيد

مما لم يرد في الكتاب في طبعته الجديدة أسرة آل سلامة .

وهم من آل مسلم من عطية من بني زيد .

وقد نبه إلى عدم ذكرهم في الكتاب الأخ عبدالله بن موسى بن زيد بن سلامة كاتب العدل في بلدة حوطة بني تميم مشيراً إلى أنه ورد ذكرهم في كتاب « شقراء » للدكتور الشويعر ، وشجرة آل عيسى وغيرهما ، وأنهم هم وآل خميس المذكورون في الكتاب من أسرة واحدة .

آل سعد من الوهبة

نبهنا أحد الاخوة إلى أن آل سعد الذين في القصب ، وقد ورد ذكرهم (ص ٣٣٨) معدودين من أبناء سعد بن محمد بن سليمان من آل شيْحَة من الوُهَبَة . وهاؤلاء ليسوا من أبناء سعد بن محمد الذي من آل شِيْحَةَ ، ولكنهم من آل محمد من الوهبة وليسوا من آل شيحة ، وماورد في الطبعة الأولى من الكتاب (ص ٣٧٦) يوضح هذا .

← الْيَهُوْدِ بِالْمَدِيْنَةِ ، عَلَى يَمِيْنِ الطَّرِيْقِ إِلَى قُبُورِ الشُّهَدَاءِ(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي : ــ بِفَتْحِ الْحَاءِ والسِّيْنِ الْمُهْمَلَةِ ــ قَرْيَةُ حَسَّانَ عَلَى شَاطِيْ دِجْلَةَ بَيْنَ دَيْرِ الْعَاقُولِ وَوَاسِطَ(٣) .

---

(٢) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ . وقَالَ يَاقُوتُ : جِشَّانُ جَمْعُ جِشٍّ وَهُوَ الْبُسْتَانِ ، مِثْلُ ضَيْفٍ وضِيْفَانٍ ، ثُمَّ أَوْرَدَ مَاهُنَا غَيْرَ مَنْسُوبٍ . ولكِنَّ السَّمْهُودِيَّ في « وَفَاءِ الوفاء » ــ ١١٩١ ــ أَوْرَدَ الْعِبَارَةَ : عَلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ مِنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ . فَلَعَلَّ كَلِمةَ (مِنْ) صَوَابُهَا (عَلَى) كَمَا تَقَدَّمَ . وإِذَنْ فَمَوْقِعُ هذا الأُطُمِ فِيمَا بَيْنَ الْمَدِيْنَةِ وبَيْنَ مَقَابِرِ شُهَدَاءِ أُحُدٍ الْجَبَلِ المعروف ، وقد بَلَغَهُ عُمْرَانُ المدِيْنَةِ الآن .

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ : قَرْنَا أُمِّ حَسَّانَ وَقَرْيَةُ حَسَّانَ عَلَى شاطِيْ دِجْلَةَ بَيْنَ دَيْرِ العَاقُولِ وَوَاسِطَ . انتهى . وفي « مُعْجَمِ الْبُلْدانِ » : حَسَّانُ ــ بِالفتحِ وتَشْدِيْدِ السِّيْنِ ــ : قَرْيَةُ حَسَّانَ بَيْنَ دَيْرِ الْعَاقُولِ وَوَاسِط ، ويُقَالُ لَهَا قَرْنَا حَسَّانَ أيضاً . انتهى .

آل سعد

ورد في (ص ٣٣٨) آل سعد في أُشيقر ، ثم القراين وأُثَيْثِيَة وثرمداء وشقراء والقَصَب من أبناء سعد بن محمد ـ إلى آخر النسبة .

والملاحظ هنا سقوط كلمة (الفرعة) بعد كلمة شقراء ، كما وردت في مجلة « العرب » التي هي مصدر النقل .

آل يُحَيان من الوهبة

ورد في (ص ٤٢٦) في الكلام على آل شيحة ماهذا نصه : وآل سلُوم في عنزة ، وآل (. . .) في شقراء والدوادمي وآل يحيى ، وهذا منقول عن مؤلف ابن عيسى في كلامه على الوُهَبَة ويظهر أن صواب العبارة التي لم تتضح من أصل كتاب ابن عيسى هي : (وآل يُحَيَّان) في الشُّعْراء ـ لا شقراء ـ وفي الدوادمي . وهاؤلاء مذكورون في موضعهم من الكتاب ، ولكن لم يذكروا في كتاب ابن عيسى المشار إليه .

أفاد بهذا أحد الإخوان فشكر الله له .

المباديل من الدروع من بني حنيفة

أشار الأخ الكريم علي بن عبدالمحسن المبدل ، إلى أن اسم أسرته الكريمة (المباديل) لم يرد ذكرها في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » .

والأسرة المذكورة من الدروع الذين هم في الأصل يرجعون إلى بني حنيفة ، من بكر بن وائل ، من ربيعة ، من عدنان ، وإلى الدروع تنتمي الأسرة السعودية الكريمة ، كما تنتمي إليهم أسر أخرى من أقدم أسر مدينة الرياض مثل أسرة (آل رَيِّس) وأسرة (آل زيد) في المصانع وغيرهما .

أنساب بعض الأسر في بلدة القصب

لاحظ الأخ الأستاذ ناصر بن عبدالله الحميضي عدم ورود هذه الأسر من سكان الرس في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » وهم :

١ ـ آل جُعَيْثن من عنزة .

٢ ـ آل حَمْدان من آل علي من آل عاصم من قحطان .

٣ ـ آل سالم من العناقر من تميم .

٤ ـ آل سالم من بني خالد .

النواصر وتفرع نسبهم

وبعث الأخ الأستاذ ناصر بن عبدالله الحميضي يستوضح عن صلة فرج الحميضي من بني عَمْرِو بن تميم الوارد ذكره عند ذكر أسرة (الملاحات) وهل للحميضي هذا صلة بأسرة الحميضي التي تسكن القصب وتنتمي للحارث بن عمرو بن تميم ؟! .

وبعث مع ذالك ورقة يجد القاريُ صورتها مع هذا منسوبة إلى الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور شيخ المؤرخ ابن بشر .

[الصـــورة في الصفحة المقابلة]

والواقع ان من الصعوبة بمكان معرفة الصلة بين آل الحميضي الذين في القصب وأولئك الذين في بلاد الجبلين ولكن مادام الجميع ينتسبون إلى عمرو بن تميم فلا يستبعد أن يكونوا أسرة واحدة .

أما تفرع النواصر الذي ورد في الكلام المنسوب للشيخ ابن منصور فهو بحاجة إلى التثبت ، وقد لاحظ ذالك الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابه « علماء نجد خلال ستة قرون » (ص ٦٩٣) في ترجمة الشيخ عثمان بن عبدالعزيز ابن منصور فقال : فهو من آل رحمة ، وآل رحمة بطن كبير في النواصر ، يشمل ستة وعشرين فخذاً سنفصلهم في كتابنا هذا ، وينتهي نسب النواصر إلى الحبطات الذين هم من بني الحارث بن عمرو بن تميم القبيلة الشهيرة فالمترجم له ناصريِ عَمْرِيٌّ تميمي .

قال المترجم له بالحرف الواحد (لما سافرت من البصرة عام ١٢٣٦هـ مع شط

بسم الله الرحمن الرحيم ١

قال كاتبه عثمان بن عبد العزيز بن منصور انه سافر سنة ١٢٣٦ من البصرة مع شط كارون
الذي يجري على شط البصرة من عند المحمرة مع ناس في سفينتهم قال فلما وصلنا
الاهواز وصلنا الى القرية المسماة بمعادية بارض العادية من ربيعة مع شط كارون
النازل من جبل رامز بارض العجم الذي بين زبيد وجدت النواصر قد جاؤا من فارس
من شط بني تميم بحر مهم وبيوتهم للاهواز ايام الصيف نازلين على نهلا ليحلهم بالاهواز
فاتيتهم وبردوا السفينة التي جئت فيها من عشر شيخ فيها دين الشيخ سلمان لان البادية
للنواصر الاخاوه عليهم الف قرش في كل سنة ياخذ وزلا اذا نزل الاهواز .
ايام الصيف ولهم عليهم نهر اسمه ابو جذيع ارض ونخل وهو شمالي الشط عند
المحمرة وقمت عندهم نحو عشرين يوم وسالت النواصر المذكورين كم معهم من الخيل
فقالوا نحو سبعمائة وسالتهم عن فرقانهم قالوا آل عباده وآل رحمة وآل حمران
وآل رومي وآل ابو حسين وفريق آخر جيرانهم وآل ابو حسين فريقهما ما يأكلهم
ما يقولون عليهم النواصر المذكورون الا بالملوي لانهم من اهل الحوطة بني العنبر بن عمرو
بن تميم والنواصر بنو الحارث الحبط بن عمرو بن تميم وسألت كبار النواصر المذكورين
عن نسبهم فقالوا الذي نعرف عن كبارنا اننا من بني عباد بن الحصين صاحب عبادان
البصرة الذي بين النواصر الى الآن من آل عباده الذي كبيرهم اليوم بن سلمان عباده
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ——— قال عباده منهم آل عباده اهل البصرة
وبر فارس وآل عباده اهل بلد قفار وآل حماد عيال فرج من ذرية عباده الذين
منهم اهل بر فارس والبصرة وآل رحمة منهم الحسانا واللذين بالروضة اليوم يدخلن
الروضة اليوم آل سلامه وآل حوقل وآل سويدان اللذين بضرما اللذين منهم محمد
بن مقبل منهم آل عضب وهم آل عبيان وآل حمران منهم حمران قفار وملك ذرية
آل جراد اهل حايل وآل دخيل اهل الاخلم ومن تعلق بهم ومن النواصر مفيد
انقطعوا الا انه يقال منهم آل بن ناصر واما آل سيف بن سيف والصغير وآل مطلق
والبحار بالمذنب وآل ناصر اللذين بالروضة منهم آل عمير بن ناصر والطعان
والشقارى هؤلاء من النواصر اللذين عليهم الاسم ويلحقونا بآل رحمة
وآل حمران يلحقون رومي وهؤلاء اللذين عليهم انا حضر با قية
والحميضي لان الحميضي باقية في النواصر الى اليوم في الحماضا اهل القصب
واللذين بالمدينة ثم بعد ذلك المزروعية تجمع اهل الروضة والذي اسمها باقي فيهم
الى اليوم في آل عمير واهل جلاجل ويدخل في المزروعية جميع من ذكرنا من
النواصر اهل قفار ومزاريع العارض ومزاريع عمان الكل من بني الحارث بن
عمرو بن تميم واما آل ابو حسين اللذي ذكرنا انهم داخلين في النواصر بالملوي
فمنهم اهل حوطة سدير وآل حديثه وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم اخوة بني
الحارث الحبط بن عمرو بن تميم ومن النواصر آل ماجد اهل نادق العرض والى اليوم
والله سبحانه اعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل نقلته من خط الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى
حرفا بحرف كاتبه عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين حرر في ٩ من ١٣٤٤ هـ
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

(كارون) مع أناس في سفينة وجدتُ النواصر نازلين على فلائح لهم بالأهواز ، فسألتهم من أيِّ النواصر ؟ فقالوا : نحن من آل عباد ، وآل رحمة ، والحمران ، وآل (بوحسين) والرومي) اهـ كلامه . قلت : وعندي في هذا الكلام نظر ، فإما أنَّ هاؤلاء من الحبطات ثم من بني عمرو ثم من قبيلة تميم فقريبٌ لأنه لا يبعد أن يكونوا ذرية الفارس المشهور عَبَّاد بن الحصين بن عَمْرٍو الحبطي ، فقد ولي شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وشهد فتح كابل ، وقتل فيها وسميت (عَبَّادَان) باسمه .

وأما أنهم من النواصر فإن هذا فيه شك ، لأن اسم النواصر لم يحدث إلا قريباً ، فلم يكن في القرون الأولى . والله أعلم .

فإن كانوا من ذرية عَبَّاد فهو عَبَّاد بن الحصين بن يزيد بن عَمْرو بن أوس بن سيف بن عَزْمِ بن حلْزَةَ بن نِيار بن سعد بن الحارث بن عَمْرٍو بن تميم . انتهى كلام الشيخ ابن بسام .

ولكن ماتقدم لا يمنع من الاستفادة من كلام ابن منصور في الصلة بين أُسَرِ النواصر .

حـول مقـال :

أخلاق الرولة وعاداتهم

ورد إلى المجلة مقال مطول من الأخ الشاعر عبدالله بن عبَّار العنزي يحوي ملاحظات حول مانشر في مجلة « العرب » (س ٢٣ ص ٧٥٤ ــ ٧٧٨) بعنوان (أخلاق الرولة وعاداتهم) من كتاب الويس موزل ترجمة الدكتور محمد بن سليمان السديس ، وخلاصة ذالك المقال :

١ ــ إزجاء الشكر للدكتور السديس على مايقوم به من جهد في سبيل ترجمة هذا الكتاب ، الذي يحوي جوانب من تراث الآباء والأجداد .

على أن الكتاب لا يخلو من أخطاء ، فالمؤلف غير عربي ، ولهذا يسجل مايسمع دون إدراكه للغايات منه ، ودون فهم بعض مايسمع .

٢ ـ حبذا لو أن الدكتور السديس استعان بأحد العارفين بالشعر العامي ، لتصحيح ماوقع في ذالك الكتاب من شعر نسب إلى غير قائله ، مع بيان صحة نسبته .

٣ ـ ورد في (ص ٧٥٧) عن الوشم عندالنساء ، أنه يشمل الصدور والبطون إضافة إلى الوجوه .

وهذا خلاف الواقع فالوشم عند النساء يقتصر على الوجه والأطراف .

٤ ـ ورد أن النساء يستعملن (السُّبِيل) لشرب الدخان .

والمعروف أن ذالك الأمر كان من عادة الفرسان المشهورين ، ويحتقر الشخص الذي يتعاطاه من غيرهم .

وتفسير البيت الوارد صفحة ٧٦٨ (ياشمعة الصبيان) هو : ياخير الفتيان لأن المخاطب فتى وليس فتاة .

٥ ـ القصيدة ليست للشيخ نمر بن عدوان بل هي للشيخ عقاب العُوَاجي كما هو معروف عند العارفين ممن له اهتمام وعناية بهذا النوع من الشعر من قبيلة عنزة وغيرهم ، وهم يروون لذالك قصة خلاصتها : أن الفارس العقيد عقاب بن سعدون العواجي ، والفارس العقيد عمر أبا الخساير البُجَيْدِي من (السُّلْقَا) وكانا يتعاطيان شرب الدخان ترافقا في سفر ، وبينما هما سائران تمنى كل واحد أن يكون أول بيت يصلان إليه من قومه فشاهدا بعد أن احتاجا إلى الراحة بيت رجل من (وِلْد سُليمان) فنزلا عنده فكانت الضيافة طعاماً بدون لحم ، وذالك بتدبير صاحبة البيت وبدون رغبة الرجل وكان ابنها فتأثر عقاب العواجي مما حدث ، ولما سارا في اليوم الثاني استضافا رجلاً من (البجايدة) فذبح لهما كبشاً ، وأخرج عظم ساقه ، فنظفه وقدمه لعقاب ليستعمله (سبيلاً) لشرب الدخان ، فما كان من عقاب إلاَّ أن أنشأ هذه القصيدة يخاطب بها صاحبه ، ويبدي أسفه لما حدث بالأمس ، وهاهو نص القصيدة :

يـاشَمْعَةَ الصُّبيـانْ عَمُر لنـا البُوْزْ وطَـُه مْنَ التِّنِ الْغُوَيْري وناسَـهْ

أطيب علينا من قبل كل مَنْبُوزْ ... كيف إلى جَا الرَّاسْ بِغْدِي غْمَاسِهْ
مع دَلْةٍ يُوجَدْ بَهَا الْهَيْلْ والجَوزْ ... ومِنْ كـل كَيْفٍ عَـارْفِين قْيَاسِـهْ
مَعْ كَبْشٍ بِصْلاحٍ له الْعِتِلْ مَرْكُوزْ ... ومَفْـرُشٍ لِبٌّ اللُّقَيْمِي لُبَـاسِـهْ
يُعْبَا لدَسْمِينَ الشَّوارِبْ هَلَ الرُّوزْ ... فَكَّاكَـةَ الْمَظْهُـورْ يَـوم اخْتُـوَاسِـهْ
رَبْعِي هَلَ الْعَادَاتْ مَاضَرْبُهُمْ هُوْزْ ... كَمْ وَاحْـدٍ بِسْيُوفْهِمْ طَـاخْ رَاسِـهْ
مَاهُمْ مْشَاوِرْةَ الْعَجَايِزْ عَلَى الْكُوزْ ... الـلِّي سُـوالِفْهُمْ دِرُوبَ الْنَكَـاسَـهْ
يَا (بُو الْخَسَايِر) مَالْنَا بَالرِّدِي عُوْزْ ... إنْ طَابْ والأخَابْ يَرْجِعْ لسَاسِه
الْخَايِبَ اللِّيّ رَدٌّ شَـوْرِهْ لْعَـاجُـوزْ ... مَاهُو لَنَا الْمَنْبُوزْ مِنْ شِـيـنْ بَاسِـهْ
خَلّهْ يُـوَلِّي يِنْقِلْعٍ بَـالْفَ هَـامُـوزْ ... رَبْعِي هَـلَ الْـرِدَّهْ نَهَار الْفَـراسَـهْ
يَـالله يَـالْـلِّيْ تِنْبِتَ الْحَبْ لِـدْرُوْزْ ... لَا تجْمَـعَ الْفِضَّـهْ لْصِفْـرَ النُحَـاسَـهْ
كَمْ قَـالَةٍ هَمَّـهْ بَالاَضْـلاَعْ مَكْنُـوزْ ... تَمْضِي وِهِي بَالْقَلْبْ مِثْلَ الْهَرَاسَهْ

وقد أجابه عمر (أبو الخساير) بقصيدة على غير القافية لاداعي للإطالة بذكرها .

الطلاسات في الحريق : نَسَبُهُمْ

أما بعد فنحن أسرة الطلاسات في الحريق ولم يرد لنا ذكر في كتابكم عن الأنساب .

وسبب ذالك هو أن الناس يعتبروننا (خضيرية) وأود أن اثبت لكم بأن هذا ليس بصحيح .

حيث اني قد ذهبت عام ١٣٩٠هـ إلى هجرة (الرمحية) وأخبرني الجبور عن حقيقة ماجرى وأن جدنا هو طلاس بن ناصر بن دخيل بن وهيطان من فخذ الجبور الذين هم بطن من بني عُمَر من قبيلة سُبَيع .

وقالوا : إن قصة ماجرى : هي أن ناصرا هذا كان قد تسرى بمملوكة فولدت غلاماً اسمه طلاس .

وعندما بلغ طلاس مبلغ الرجال ، وأراد أن يتزوج اضطرته الظروف ان

يذهب إلى الحريق ، ويخفي نفسه هناك ليتسنى له أن يعمل في إحدى المهن .

ولكن الجهل الذي لحق بنسب أبناء طلاس هو الذي جعلهم يندمجون مع العناصر الأخرى ومن هذا المنطلق قلّتْ قيمتنا الاجتماعية وهذه حقيقة نسبنا بدون تزوير أو تحريف .

ونرجو أن تنشروها في مجلتكم حتى يتبين للناس حقيقة هذا النسب واذكروا قول رسول الله ﷺ : « الناس مأمونون على أنسابهم » .

ملاحظة : هناك طلاسات في الرياض وفي حائل وفي القصيم والغيل ولا أدري هل لهم صلة بنا أم لا والله أعلم .

الرياض : محمد الطلاسي

كلمات تحتاج إلى تصحيح

ورد في جـ ١١ ، ١٢ س ٢٣ في مقال أستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر كلمات بحاجة إلى تصحيح :

١ ــ ص ٧٣٤ السطر (٥) كلمة (ويُكِنُّ) ، وقد تكون (يَكُنُّ) من الثلاثي أولى وأصح ، وضبطها من الرباعي قد يدل على نفي الثلاثي .

٢ ــ ص ٧٣٥ السطر (١١) : (انقرضت من قبل الفرنسيين) . صوابها : (انقرضت من قَبْلُ عِنْد الفرنسيين) .

٣ ــ ص ٧٣٩ السطر (١٧) : (إن للمنتخبات جزء ثان) . وصوابها : (إن للمنتخبات جُزْءًا ثانياً) .

في شعر عبدالله بن همام السلولي

نشرت «العرب» س ٢٢ ـ ص ١٥٠ - ١٨٢ ، البحث القيم الذي أعده الأستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي عن (عبدالله بن همام السلولي حياته وماتبقى من شعره) وورد في ذالك الشعر بيتان هما المقطوعة الـ (١٣) ـ ص ١٦٢ ـ وجاء

في التخريج - ص ١٧٧ - البيتان في «حيوان الجاحظ» ١٣٦/٤ ، إلى آخر الكلام .

وقد ورد البيتان في مؤلف آخر للجاحظ هو كتاب «البرصان والعرجان والعميان والحولان» - ص ٢٢٥ - تحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون - رحمه الله - بهذا النص ، وقال ابن همام في الأبد :

أُتِيحَ لَهَا من شُرْطَة الْحَيِّ جانب عَرِيض القُصَيْرَى لَحْمُهُ مُتَكَاوِس
أبــدّ إذَا يَمْشِي يَمِيس كــأنّمَــا بِهِ مِنْ دَمَامِيْلِ الْجَزِيْرَةِ نَاحِسُ

وشرح كلمة الأبد هناك شرح للقارئْ أن يرجع إليه .

وكلمة (أَبَدّ) وردت في «معجم البلدان» على مانقل الدكتور نوري القيسي .

وموضع التساؤل هنا : بماذا يعلل اختلاف نص البيتين في كتابين مؤلفهما واحد ، هو الجاحظ ، فهل هذا الاختلاف ناشيْ عن كون الجاحظ يعتمد على حافظته في إيراد الشعر ، وحينئذ يكون هناك مجال للشك في صحة مايروي من النصوص ، وخاصة مايتصل بالمفردات اللغوية ، أم أنه يعتمد في ذالك على روايات متعددة ، فيختلف مايورد منها في كتاب عنه في كتاب آخر ؟

الـمُنْدَسّـة أيضـا

وكتب إلى «العرب» الأخ الأستاذ سليمان البِدَّاحُ مدير تعليم البنات في الزُّلفي ، يعلق على ماورد في «العرب» س ٢٣ ص ٧١٦ حول اسم الـمُنْدَسة قائلاً : وأحب أن أُضيف مايلي: قرية الـمُنْدَسَّةِ قرية في وسط النُّفُود شمال مدينة الزُّلْفِـي ، فيها نخيل وآثار قديمة ، لجماعة من الفراهيد من عتيبة ممن عرف بالكرم ، وقد رحلوا عنها منذ نحو عشر سنوات ، وتبعد عن مدينة الزُّلْفِـي نحو عشرين كيلاً شمالاً ، ويظهر أن سبب التسمية وقوعها في وسط النُّفُود ، في مكان خَفِـيٍّ يصعب الوصول إليه إلا لمن يعرف الطريق ، وقد هيأت وزارة المواصلات لها طريقاً مُعَبَّداً ، يُسَهِّلُ الوصول إليها كغيرها من القرى الواقعة وسط النفود ،

ويجاورها من القرى قرية (الجوي) وأميرها الأمير عبداللطيف القشعمي ، معروف بالدين والكرم ، وفي هذه القرية الأخيرة بعض المرافق العامة من خدمات صحية ومدارس .

و«العرب» توجه للأستاذ سليمان الشكر وتستزيده هو وكل مثقف من أبناء البلاد لِـمُوَالَاةِ تتبع ماينشر في المجلة مما يتعلق بتاريخ بلادنا وجغرافيتها ، تصحيحاً وإيضاحاً ، وزيادة تفصيل ، والله الموفق .

آل مُذبل من آل ربيعة المريدي الحنفي

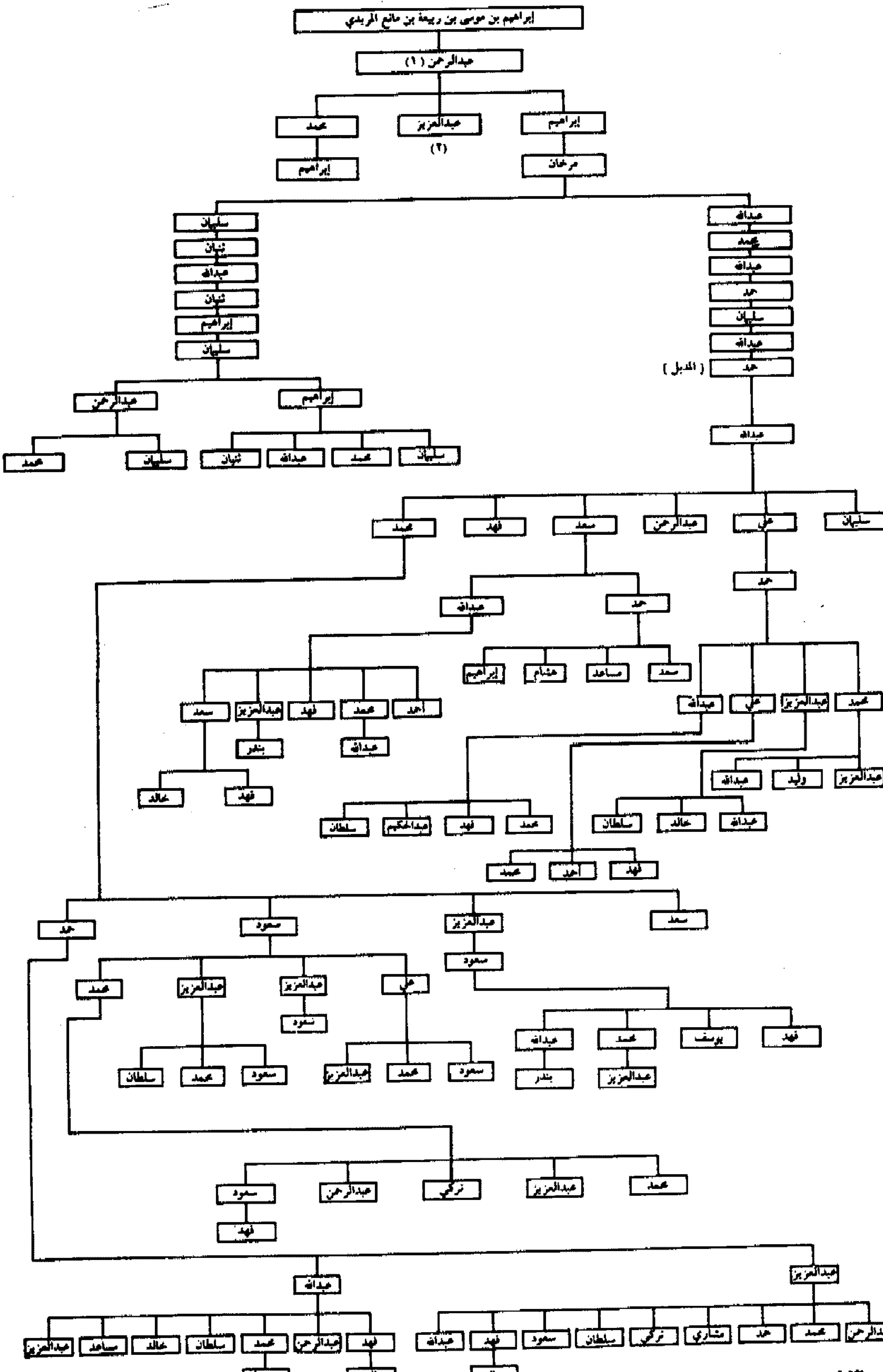
لاحظ الأخ محمد بن حمد بن علي المُذْبَل أن ماجاء في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » عن أسرته آل مدبل كان ناقصاً ، فكتب بالتفصيل الآتي : إن هذه الأسرة تنتمي إلى الأمير عبدالرحمن بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة ابن مانع المُريدي ، ويطلق على الأسرة لقب (الشيوخ) في ضرما ، وهي تنتمي إلى عبدالرحمن المذكور ، و (اَلْمُذْبَلُ) لقب للجد حمد بن عبدالله بن سليمان بن حمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن مرخان بن إبراهيم بن عبدالرحمن المذكور آنفاً ، أطلقه عليه الإمام فيصل بن تركي حيث كانت ابنة حمد المذكور المسماة (فُهَيْدَة) زوجةً للإمام فيصل بن تركي ، كما كانت أختها (هَيَا) زوجة لأخيه عبدالله بن تركي ، وقد أنجبت له ابنته الجوهرة زوجة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، والدة الملك خالد بن عبدالعزيز والأمير محمد والْعَنُود ، فلقبه الإمام فيصل (مُذْبَلَ الْخَيْل) ومعناه مُتْعِب الخيل ، وكان مِنْ رجاله المخلصين ، وفرسانِهِ المغاوير ، ومع هذا شجرة للأسرة إلى عصرنا الحاضر قد حذفت فيها أسماء النساء اللواتي تزوجن بني عمومتهم آل سعود نظراً لكثرتهن .

←

[الحواشي] :

(١) كان عبدالرحمن يلقب آنذاك بـ (الشيوخ) .

(٢) ترجع إلى عبدالعزيز هذا أسرة آل عبدالعزيز في ضرما .


إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي
عبدالرحمن (١)
إبراهيم
عبدالعزيز
(٢)
محمد
مرخان
إبراهيم
عبدالله
محمد
عبدالله
حمد
سليمان
عبدالله
(المدبل)
حمد
عبدالله
سليمان
ثنيان
عبدالله
ثنيان
إبراهيم
سليمان
إبراهيم
عبدالرحمن
سليمان
محمد
عبدالله
ثنيان
سليمان
محمد
سليمان
علي
عبدالرحمن
سعد
فهد
محمد
حمد
حمد
عبدالله
سعد
مساعد
هشام
إبراهيم
محمد
عبدالعزيز
علي
عبدالله
أحمد
محمد
فهد
عبدالعزيز
سعد
عبدالله
بندر
فهد
خالد
عبدالعزيز
وليد
عبدالله
عبدالله
خالد
سلطان
محمد
فهد
عبدالحكيم
سلطان
فهد
أحمد
محمد
سعد
عبدالعزيز
سعود
حمد
سعود
فهد
يوسف
محمد
عبدالله
عبدالعزيز
بندر
علي
عبدالعزيز
عبدالعزيز
محمد
سعود
سعود
محمد
عبدالعزيز
سعود
محمد
سلطان
محمد
عبدالعزيز
تركي
عبدالرحمن
سعود
فهد
عبدالعزيز
عبدالرحمن
محمد
حمد
مشاري
تركي
سلطان
سعود
فهد
عبدالله
خالد
عبدالله
فهد
عبدالرحمن
محمد
سلطان
خالد
مساعد
عبدالعزيز
عبدالعزيز
عصام

*** « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » :**

هذا الكتاب من أوفى المراجع عن الكتب المتعلقة بالجغرافية عند العرب ، وضعه المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي ، ونقله عن اللغة الروسية إلى اللغة العربية الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم ، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٣م على نفقة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية بمصر ، ثم أعاد المعرب النظر في الترجمة فصحح ونقح ، وأعاد طبع الكتاب مرة أخرى ، وصدرت الطبعة الثانية عن دار الغرب الإسلامي عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) بُعَيْدَ انتقال المترجم إلى العالم الآخر ــ رحمه الله ــ . ووقع الكتاب في (١١١٤) صفحة من الورق الرقيق في مجلد واحد .

*** البرق الشامي :**

العِمَادُ الكاتب الأصفهانيُّ محمد بن محمد بن حامد (٥١٩/ ٥٩٧هـ) من أشهر كتاب عصره ومؤرخيه ، وقد أوفاه ترجمة الأستاذ الجليل الشيخ محمد بهجة الأثري ، في مقدمة الجزء الأول من « خريدة القصر » ــ القسم العراقي ــ ومن أشهر مؤلفاته كتاب « الخريدة » وقد طبع في عدة أجزاء ، و« البرق الشامي » وهو على ماوصف ياقوت : (تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه ونشأته ، ورحلته من العراق إلى الشام ، وأخباره مع الملك العادل نورالدين ، والسلطان صلاح الدين ، وماجرى له في خدمتهما ، ذكر فيه بعض الفتوحات بالشام وأطرافها ، وهو بضعة مجلدات وسماه « البرق الشامي » لأنه شَبَّهَ أوقاته في تلك الأيام بالبرق الخاطف ، لطيبها وسرعة انفصالها ، على ماذكر ابنُ خَلِّكان ، وقد عُرِفَ من هذا الكتاب جُزْآن هما : الثالث والخامس ، قام بتحقيق الثالث الدكتور مصطفى الحياري ، وعُني الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدُّوْري بمراجعة النص كاملاً وتدقيقه ، ونشرت الجزء مؤسسة عبدالحميد شومان ، وجاء في ٢٠٨ من الصفحات ، بطباعة حسنة وفهارس مفصلة .

أما الجزء الخامس فتولى تحقيقه الدكتور فالح صالح حسين ، وراجع نَصَّهُ كاملاً الأستاذ الدكتور الدوري ، وتولت مؤسسة عبدالحميد شومان نشره ، فوقع في مئتي صفحة بطباعة حسنة على نمط الجزء الذي قبله .

وصدر الجزآن سنة ١٩٨٧م ـ ولم يذكر اسم المطبعة ـ .

بهجة الزمن في تاريخ اليمن :

وتاريخ هذا القطر المبارك من وطننا يكاد يكون متسلسل الحلقات إلى عصرنا ، وقد نشر الكثير من المؤلفات التي تتعلق بتاريخه ، وكان من بينها كتاب « بهجة الزمن في تاريخ اليمن » لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليمني (٦٨٠/ ٧٤٣) ـ « العرب » ٥/ ٧٠٧ ـ وقد كان النويري صاحب كتاب « نهاية الأرب » قد لخص هذا الكتاب في الجزء الحادي والثلاثين من كتابه الحافل « نهاية الأرب في فنون الأدب » فوقف عليه الأستاذ مصطفى حجازي أحد موظفي مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فظنه كاملاً فاسْتَلَّهُ من الكتاب ونشره ، إلا أنَّ صديقنا الأخ الأستاذ عبدالله بن محمد الحِبْشي تمكن من الحصول على صورة مخطوطة تُوشك أن تكون كاملة لأصل الكتاب محفوظة في مكتبة باريس الوطنية أهدتها له السيدة الفاضلة (ماري كريستين)فقام بتحقيق الكتاب الأستاذ الحِبْشيّ وشاركه في التحقيق الأستاذ محمد أحمد السَنَباني ، وقامت (دار الحكمة اليمانية) في صنعاء بنشره ، فصدر في العام المنصرم في طباعة حسنة ، في (٣٣٦) صفحة ، وقد أُلْحِقَ به فهارسُ شاملة ، والكتاب يحوي مجمل تاريخ تلك البلاد ، منذ دخولها في حظيرة الإسلام في عهد الرسالة إلى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ومع مابذله المحققان الفاضلان من محاولة إكمال النقص فيما وقع في المخطوطة من خَرْمٍ رَجَعَا إلى مصادر نقلت عنه ـ إلا أن انتهاءه قبل موت مؤلفه بنحو عشرين عاماً يحمل على الاعتقاد بأنَّهُ لايزال ناقصاً ، ولكن ما طبع منه يُمِدُّ الباحثين بمصدر من مصادر تاريخ اليمن في تلك الحقبة التي تعرض لتسجيل حوادثها .

٢٨٣ - ٢٨٤

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع محمد المانع - هاتف ٤٦٢٦١٠٠
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٧، ٨ س ٢٤ محرم/صفر ١٤١٠هـ - آب/أيلول (أغسطس/سبتمبر) ١٩٨٩م

بنو عامر في «البحرين»

- ١ -

تَشَابُكُ أنسابِ القبائل وتداخلها، من أصعب مايعترض دارسي أنساب العرب، عند محاولة التمييز بينها، وخاصة إذا نشأ هذا التداخل عن تقاربٍ في المنازل، وتوافق في الزمن، وهذا ينطبق على قبيلتين من أشهر قبائل الجزيرة منذ العصر الجاهلي حتى أزماننا القريبة التي لايزال لتلك القبيلتين فيها بقايا فروع تنتسب إليهما، واعني بهما بني عامر القبيلة الهوازنية المضرية العدنانية، وبني عامر العبقسية الربعية العدنانية.

فالأولى كانت تمتد بلادها من الأودية المنحدرة من سلسلة جبال الحجاز الغربية، منساحةً في وسط نجد حتى تبلغ رمال الأحقاف (الربع الخالي) على مقربة من نجران، متوغلة جنوباً في الجزء الجنوبي من عارض اليمامة وأوديته وقراه.

والقبيلة الثانية كانت منتشرة مع الفروع الربعية الأخرى في عالية نجد، حتى حدثت الحروب التي فرقت تلك الفروع فكان منها بنو عبدالقيس الذين حلوا شرق الجزيرة حول سواحل البحر، فيما بين عُمان جنوباً إلى قرب كاظمة (الكويت) شمالاً مخالطين قبائل أخرى ومن عبد القيس بنو عامر في البحرين.

ثم في صدر الإسلام حدثت موجاتٌ متتالية من الهجرات دفعت ببعض فروع القبائل ومنها بنو عامر الهوازنية إلى النزوح خارج الجزيرة، فانتشرت على ضفاف الرافدين (دجلة) و (الفرات) وماحولهما من البلاد التي ليست بعيدة عما كان

يبلغه نفوذ بني عامر العبقسيين ، وسيطرتهم حين كانت لهم السلطة في بلاد البحرين ، مما سبب الاحتكاك ثم التقارب بين القبيلتين المتفقتين في الاسم المتفرقتين في النسب، حَتَّى دفع بعض من يُعْنَى بدراسة الأنساب إلى أن يقع في الخلط بينهما ، بل إلى انكار القبيلة الربعية .

وسأحاول بمجرد عرض نصوص تاريخية إيضاحَ هذا الأمر بِسَرْدِ بعض أقوال متقدمي العلماء المتعلقة ببني عامر هذه وبيان مبلغ نفوذها في تلك البلاد التي استوطنتها منذ العهد الجاهلي ولاتزال بقيتها تحلها الآن ، وإن تغيرت الأسماء .

لعل من أقدم من تصَّدى لكتابة تاريخ القبائل العربية ومايتصل بتنقُّلها داخل الجزيرة هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ تقريباً ، فكتابه « افتراق القبائل » يُعَدُّ من أهم المصادر التي رجع إليها المعنيون بهذا الشأن ، ومع أنَّ الكتابَ لم يصل إلينا سوى نصوص منه فيما بين ايدينا من المؤلفات ككتاب « الأغاني » للأصفهاني وكتاب « معجم ما استعجم » لأبي عُبَيْدٍ البكري ، و « معجم البلدان » لياقوت الحموي وغيرها ، إلا أن تلك النصوص تُمِدُّنا بمعلومات ــ وإن لم تكن وافية ــ فلعلها هي مايمكن للمعنيين بالدراسات المتعلقة بتاريخ القبائل القديم الاعتماد عليه .

ولن أُبعِدَ بالقارئ الكريم في الخوض في أسباب الافتراق بين ربيعة ومضر ، ولا فيما حدث بين ربيعة من فتن شتتها ، بل سأقتصر على الإشارة إلى منزلة بني عامر الربعيين في قومهم الأدنين بني عبدالقيس :

١ ــ نقل البكري[1] عن ابن الكلبي : أن بني عامر بن الحارث ــ وأوصل نسبهم إلى عبدالقيس ــ قتلوا عامراً الضَّحْيان ، صاحبَ مِرْبَاعِ ربيعة وسَيِّدَهُمْ ، فطلب قومه ديته ، وهي دية الرئيس عشر ديات ، فكان منها على بني عامر خمس مئة بعير ، وعلى بقية عبدالقيس خمس مئة ، فأدَّتْ بنو عامر ماعليهم ، وتراخىَ ولدُ عبدالقيس ، فوقعت بينهم وبين أولياء القتيل أولى الحروب التي وقعت بين بني ربيعة ، وسببت تفرقها ، فارتحلت عبدالقيس وبعض فروع ربيعة حتى استقروا في البحرين وهَجَر ، بعد أن غلبوا على من فيها من قبائل العرب .

ونزلت بنو عامر ـ ومعهم الْعُمُورُ ، وهم بنو الدُّيْل بن عَمْرٍو ، ومحارِبِ بن عمرٍو ، وعجل بن عمرٍو بن وديعة بن لكيز بن افصى بن عبدالقيس ، وحلفاؤهم بنو عميرة بن أسد بن ربيعة ـ إخوة عَنَزَة بن أسد بن ربيعة ـ نزل كل هاؤلاء الجوفَ والعيونَ والأحساء ، حِذَاء طَرَفِ الدهناء ، وخالطوا أهل هجر في دارهم .

وذكر البكري أيضاً[٢] أن بلاد بني عامر هاؤلاء كانت تمتدُّ إلى قَطَرٍ ، ونواحِي يَبْرِيْنَ ، وتلك الرمال .

من هنا يتضح أن بني عامر ومن دخل فيهم من فروع ربيعة كانوا على درجة من الكثرة بحيث شملت بلادهم تلك المناطق الواسعة ، من العيون التي لاتزال معروفة في طرف سواد الأحساءِ من الناحية الشمالية حتى الجوف ، وامتدتْ إلى أطراف الدهناء ، وامتدت جنوباً فشملت جانباً من نواحي يبرين غرباً حتى بلاد قطر .

٢ ـ ثم لما جاء الإسلام أصبح لبني عامر هاؤلاء بين قومهم من المنزلة الرفيعة ما أحلهم الذروة في قومهم .

نقل البلبيسي عن الرُّشاطي الأندلسي في كتابه في الأنساب ماهذا نصه : وفي عبدالقيس : عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْزِ بن أَفْصَى بن عبدالقيس .

منهم سَوَّارُ بن هَمَّامٍ ، كتب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى عثمان بن أبي العاص الثقفيِّ لما ولاه البحرين : إنَّ سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ كتب إلى أمير المؤمنين أنَّ عَدُوَّ الله يَزْدَجُرْدَ بْنَ شَهْرَيَار ، لما قطعنا دجلة إليه تدلَّى ليلاً من سُورِ المدينة ـ يعني المداين ـ ولحق بأصطخر ، فزعموا أنها جِبالَ أرضِكَ فاقطع بِمَنْ قِبَلكَ من المسلمين إليه . فنهض ونهضوا معه إلى السابور ، مدينة بساحلِ البحر ، فهال عثمانَ ضجيجُ البحر ، فجمعهم وقال : هذا شيء ماركبته قَطُّ ، وقد أَزْمَعْتُ أَنْ استعمل عليكم رجلاً منكم يصلح لذالك ، فتنافسوا في ذالك ، فوجه عثمان إلى سَوَارٍ:مَنْ سَيِّدُ عَبْدِالقيس ؟ قال : أنا . وقال حسان بن حُديرٍ مِثْلهُ ،

فخلا بكل منهما ، فقال : من بَعْدَكَ سَيِّدُهُمْ ؟ فأجمعوا على هرم بن حيان بن مالك بن سلمة بن عمرو بن عَبْدِ وَدٍّ بن ثعلبة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن ثعلبة بن الحارث ، بطن في بني عامر بن الحارث ، فاستعمله عليهم ، وكان وفد مع الجارود في وفد عبدالقيس ، وذكروا أنَّ النبي ﷺ مسح وجْهَهُ بيده ، وكان يسيح في الفلوات فجاع يوماً ، فما شعر إلا برطب بين يده ، فأكل وحمد الله تعالى ، فكان يقال له : الْمُطْعَمُ رُطَبَ الجنة . وقال : لم أَرَ كالجنة نام طالبها ولا كَالنَّار نام هاربها ، وقتل (شَهْرَكَ) ثم قُتل . لم يذكره أبو عمر ولا ابن فتحون ، وفي « أسد الغابة » : هرم بن حيَّان من صغار الصحابة ، ذكر خليفة عن الوليد بن هشام عن أبيه عن جده : وجه عثمان بن أبي العاص هرم بن حيان إلى قلعة بجرة ، ويقال لها : (قلعة الشيوخ) سنة ٢٦ (فافتتحها عنوة وسبى أهلها)[٣] .

وفي سنة ثمان عشرة حاصر هَرِمٌ أَبَرشَهْرَ ، فرأى ملكُهُمْ امرأةً تأكل ولدها من شدة الجوع والحصار ، فصالح هَرِماً على أن خَلَّى له المدينة . أخرجه أبو عمر .

رجع : قال : وابنه عبدالله استعمله معاوية على مكران وقندابيل والقيقان ، وهو أول من غزاهن ، فقتل بها هو وأصحابه ، وكان شيخاً وهَّاباً مِطْعَاما أمر ألاَّ تُوْقَد نارٌ في عسكره غير ناره ، لأنه كفاهم مُؤْنَةَ الطعام ، وهم أربعة آلاف ، فرأى ليلة ناراً ، فقيل : إن امرأة ولدتْ ، فَعُمِلَ لها خَبِيْصٌ ، فأطعم الناس الخبيص أسبوعاً حتى أجموه .

ومنهم ضَبُّ بن مالك ، وضِمَارُ من بني ثعلبة بن الحارث ، رهط هرم بن حيان ، كانا في الوفد أيضاً .

ومنهم عبدالله بن الدفي كان شريفاً ، وفد على رسول الله ﷺ .

ومنهم النعمان بن مورق[٤] سيد أهل زمانه ، وفد على رسول الله ﷺ ، ولم يذكرهم كلهم أبو عمر ولا ابن فتحون . انتهى .

٣ ــ وقال الأسود الأعرابي في كتابه « فرحة الأديب »[٥] في شرح قول تُلَيْدٍ الْعَبْشَمِي :

اتتنا بنو قيس بجمع عرمرم   وَشَنٌّ وأبناءِ العمور الأكابر

وقبله :

شفينا الغليل من سمير وجعون   وافلتنا رب الصلاصل عامر

العمور من عبدالقيس : الدِّيلُ وعِجْلٌ ومُحارب بنو عَمْرِو بن وديعة بن لكيز . وأورد شعراً وخبراً فيه أن رهطاً من عبدالقيس وفدوا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحاكموا إليه في هذا الماء ــ اعني الصُّلاَصِل ــ فأنشده بعض القوم قولَ تُليدٍ العبشميِّ هذا ، فقضى بالماء لولد عامر هذا .

وأورد الخبر ياقوت الحموي في « معجم البلدان »[٦] ، وقد أصبح هذا الماء بلدة مسكونة في وادي الجوف شمال الأحساء .

٤ ــ وفي وقعة الجمل ــ التي حدثت سنة ٣٦ من الهجرة[٧] ــ كانت قبيلة عبدالقيس ممن انضم إلى الإمام علي ــ رحمه الله ــ وكانت تلك القبيلة على ثلاثة رؤساء : جَذِيمة وبَكْرٌ على ابن الجارود ، والْعُمورُ على عبدالله بن السوداء ، وأهلُ هَجَرٍ على ابنِ الأشجِّ .

وهذا يدل على أن العمور ــ وهم بنو عامر ومن انضم إليهم من فروع ربيعة ــ يوازون شطر عبدالقيس ، باعتبار أهل هجر من ألفاف السكان من الحضر .

وهذا الانعطاف في المنحنى السياسي لتلك القبيلة في ذالك العهد المبكر يوضح جوانب من اتجاهها ـ فيما بعد ــ اتِّجاهاً مضادًّا لواقع المجتمع الإسلاميّ العام في العهد الأموي والعباسي ، ومِنْ هُنَا وجد الخوارج في بلاد البحرين وفي اليمامة ــ أيضاً والنفوذ في قاعدتها لبني حنيفة من ربيعة ــ من الاستجابة والمناصرة ما أَقَضَّ مضاجع القائمين بالحكم من بني أُمية ، كما وجدت الدعواتُ المناوئة لخلفاء بني العباس بين قبائل البحرين ــ وعمادها بنو عامر وإخوتهم من الرَّبَعِيِّينَ ــ ما مكنها من الاستقرار فترة من الزَّمن ، بصرف النظر عن مبلغ تأثر تلك القبائل بما تنطوي عليه تلك الدعوات من أفكار وآراء ، هي أبعد ماتكون عن إدراك طبيعة ابن البادية الذي فُطرت جِبِلَّتُهُ على البساطة ، وعدم التعمق في

التفكير ، كما طُبِعَ على الاستجابة لما يلوح له من مآربَ لأول وَهْلة ، وقديماً وُصِفَ بأنَّهُ (كَالْقِرَلَّى ، إنْ رآى خَيْراً تدلَّى أوْ رآى شرًّا تَعلَّى) .

لقد كانت الدولة العباسية في ــ بغداد ــ منصرفة عن هذه البلاد ، فلا غرو أن ينصرف أهلها عن تلك الدولة ، وهذا ماحدث عندما ظهرت حركة (القرامطة) التي توقع بنو عامر وغيرهم من القبائل أن يجدوا خلالها منطلقاً إلى ماكان مألوفاً بينهم في مختلف العصور الماضية ، ووجد دعاة تلك الحركة أنَّ من اليسير توجيه تلك القبائل إلى أهدافِهم ، متى أُشبعت رغباتُ رؤسائها بما يطمحون إليه من وسائل الحياة ، وما أيسرها وأكثرها في هذا القطر الذي يمتاز على غيره من أقطار الجزيرة بالخصب ووفرة المياه ، واتِّصاله بموانئه وخلجانه بالعالم ، وبُعْدِهِ عن قاعدة الخلافة ، فَلَوَّحَ اولئك الدعاةُ بما لظاهر تلك الدعوة من مظاهر الخداع والتضليل مما يستهوي العامة، ومَلَأُوا أيدي الرؤساء وأرضوا نفوسهم برغباتهم ، فكان أن قامت تلك الحركة ، واستقرت في ذالك القطر بمناصرة قبائله حتى قضى عليها العيونيون بمناصرة بني العباس .

٥ ــ ولكن بني عامر ومن لَفَّ لفهم لم يُمَكِّنُوا العيونيين من الثبات والاستقرار ، مع ماكانت تُمِدُّهُمْ به الدولة العباسية من مؤازرة ومناصرة ، كان من أثرها أن أول أمراء العيونيين لما قام بمحاربة القرامطة استمر على ذالك نحو سبع سنوات ، وكان الذي يتولى حربه هم بنو عامر الذين كانت القرامطة قد أجزلت لرؤسائهم العوائد والجِرَايات، ومكنتهم من أمور البلاد ، ولكنهم بعد الهزيمة لم يدعوا الأمير العيوني ينعم بالاستقرار ، بل قاموا بحربه ، وقد تمكن من الانتصار عليهم بعد أن كانت الحروب في عهد القرامطة قد انهكتهم ، فانهزموا مترقبين فرصة تمكنهم من أخذ الثأر ، أما ما ورد في شرح « ديوان ابن مقرب »[٨] من أن عبدالله بن علي أبار عامر بن ربيعة غاية البوار ، وأخذ جميع أموالهم وسبى نساءهم وذراريهم ، وبعد ذالك مَنَّ على الْحُرَمِ وسَيَّرهم إلى عُمَان ، ثم مانقله صاحب « تحفة المستفيد »[٩] من أنهم انهزموا ، فمنهم من هرب إلى العراق ، ومنهم من ذهب إلى عُمَان . فالمقصود بهذا الفئة التي حاربته ، إذْ لاشكَّ أنَّ هذه القبيلة كانت في ذالك

العهد على درجة من الكثرة ، بحيث لا يُتَصَوَّر أن الحاكم العيوني قضى عليها ، أو أخرجها كلها من بلادها .

٦ ــ ونجد الإدريسي ينقل في كتابه « نزهة المشتاق »(١٠) ماهذا نصه : ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة بَرٌّ متصل، لا عمارة فيه ــ أي ليس به حصن ولا مدينة ــ وإنما هو أَخْصَاصٌ لقوم من العرب يسمون عامر ربيعة . انتهى ، والإدريسي هذا توفي سنة ٥٦٠هـ ، ولكن يظهر انه نقل هذا من كتاب الْعُذْرِيِّ أحمد بن عمر بن انس الذي ألفه سنة ٤١٤ كما يفهم من كلامه على الجار(١١) .

٧ ــ بل نجد ماهو أوضح من هذا ، وهو أن هذه القبيلة كانت ذات تَغَلْغُلٍ ونفوذ قوي بين رجال الدولة ، أثناء حكم العيونيين ، بحيث انهم قتلوا أحد مشاهيرهم ، وهو الأمير محمد بن أحمد بن الفضل ، فقد ذكر الحسن بن علي ابن شدقم المدني (٩٤٢/ ٩٩٩) في كتابه « زهر الرياض »(١٢) ان اصهار هذا الأمير من (العماير) قتلوه ، وتولى بعده عزيز بن الحسن بن شكر . وذكر بعد ذالك أن (العماير) حاربوا الفضل بن محمد بن أحمد وملَّكُوا أميراً بعده .

٨ ــ ويزخر شعر ابن المقرب الأحسائي الذي عاش إبَّان حكم العيونيين في الأحساء بالإشادة ببني عامر اولئك ، فيقول في مدح أحد اولئك الأمراء(١٣):

يُنْمَى إلىَ الشُّمِّ الْغَطارِفِ والذُّرَى ... من حَـارِثٍ والسَّـادَةِ الحُكَّـامِ
وَلِحَارِثٍ عُرِفَتْ رِئَـاسَـةُ عَـامِرٍ ... في جَـاهِلِيَّتِـهَـا وفي الإِسْـلاَم

ويُسَمِّي بعض بطون بني عامر فيقول :

ومَنْ ذَا يُسَامِي مُرَّةً وبِهِ سَمَتْ ... بَنُو عَامِرٍ عِزًّا وَجَـازَ اغْتِشَامُهَـا
وكَمْ سَيِّدٍ في مَالِكٍ ذِي نَبَاهَةٍ ... إِذَا فَقَدَتْهُ الْحَـرْبُ طَالَ أَيـامُهَا
وَمَا مَالِكٌ إلاَّ الحُمَاةُ وإِنْ أَبَتْ ... رِجَـالٌ فَبالآنَـافِ مِنْهَـا رَغَـامُهَـا
وَفِي حَارِثٍ واللَّيْثِ غُرٌّ غَطَارِفٌ ... يُبِرُّ على الخَصْمِ الأَلَدِّ خِصَامُهَا
وَإِنَّ لَعَمْـرِي في بَقَايـا مُحَـارِبٍ ... سُيُوفُ ضِرَابٍ لا يُخَافُ انْثِلاَمُهَا

ويقـول :

لِكُيْـزِيَـةٌ أنْسَـابُهـا عَـامِـرِيَّـةٌ يلُوذُ الْمَنَـاوِي ضَيْمُهَا واعتصَـابُها
إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي بَها : يَـالَ عامرٍ أَتَتْ مِثْلَ أُسْدِ الْغَابِ غُلْبٌ رِقابُهَا
مُقَدَّمُهَا من صُلْبِ عَوْفِ بن عامرٍ إلى المَوْتِ فِتْيَانٌ شَدِيدٌ غِـلابُها
منَ الْحَارِثِيِّينَ الأولَى فِي أكُفِّهِمْ بِحَـارُ النَّدَى مَسْجُـورةٌ لاَثِغَابُهَـا
ومنْ مالكٍ بِنْتُ الْفَخَار بْنَ عَامرٍ فَـوَارسُ أرْواحُ الأعَـادِي نِهَابُهـا

ويقـول :

ولـولا بَنَاتُ العـامِـرِيَّـةِ لَمْ أكُنْ لألـوِيْ إلى دَارِ الْمَذَلَّـةِ جَانِبَـا
لَقَدْ كَانَ لِي بِالأَهْلِ أَهْلٌ وبالْغِنَى فِنَـاءٌ والْقَى بالْمُصَـاحِبِ صَاحِبَـا
ولَكِنَّنِي أَخْشَى عَلَيْهِنَّ أَنْ يَـرَى بِهِنَّ عـدُو مالَـهُ كَـانَ طَـالِبَـا
مُقَـاسَاةَ ضُرٍ أوْ مُعَـانَاةَ غُرْبَـةٍ تُـرِيْهِنَّ أنْـوَارَ الصَّبـاحِ غَيَاهِبَـا
وَآنفُ أنْ يُصْبِحْنَ في غَيْرَ مَعْشَرِي فأصْبَحُ قَـدْ ردُّوا عَلَيَّ النَّصَـائِبَا

إلى غير ذالك مما لا داعي للاطالة بذكره .

٩ ــ ويأتي ابن فضل الله العمري في كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » فيتحدث عن بني عامر هاؤلاء محددا منازلهم ، وذاكراً بعض بطونهم ، مُفَرِّقاً بينهم وبين بني عامر بن صعصعة بما هذا نصه(١٤) : عقيل: وهم من آل عامر ، قال الحمدانيُّ : وهي غير عامر الـمُنتفق ، وغير عامر بن صعصعة ، قال : ومنهم القديمات ، والنعائم ، وقبات ، وقيس ، ودنفل ، وحُرثان ، وبنو مُطرِّق . وذكر أنهم وفدوا في الأيام الظاهرية صُحبة مقدَّمهم محمد بن أحمد ابن العقدي بن سنان بن عُقيلة بن شبانة بن قديمة بن نَبَاتة بن عامر، وعوملوا بأتمّ الإكرام ، وأفيض عليهم سابغ الإنعام ، ولحظوا بعين الاعتناء . قلت : وتوالت وفاداتهم على الأبواب العالية الناصرية ، وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت النائي منهم ، وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل بتسهيل الطريق لوفودهم ، وقصادهم ، وتأمينهم في الورد والصدر ، فانثالت عليه جماعتهم ، وأخلصت له طاعتهم ، وأتته بأجلاب الخيل والمهارى ، وجاءت في أعنتها وأزمتها تتبارى ، فكان لايزال منهم وفودٌ بعد وفودٍ ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ←

« الهوامل والشوامل »

لأبي حيان التوحيدي ومسكويه . نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة لجنة . . . ، ١٩٥١/١٣٧٠ - ٣٩٩ ص

١ ـ من المقدمة : (كتاب «الهوامل والشوامل» في الحقيقة كتابان لمؤلفين كبيرين : أسئلة من أبي حَيَّان التوحيدي سماها «الهوامل» وأجوبة من مسكويه سماها

← لايزال يسد فضاء تلك الرحاب ، وتغص بقبابه تلك الهضاب ، بخيامٍ مشدودةٍ بخيامٍ ، ورجال بين قعودٍ وقيامٍ . وكانت الإمرة فيهم في أولاد مانع إلى بقية أمرائهم وكبرائهم ، ودارُهُم الأحساءُ والقَطِيفُ ، ومَلْحُ ، وأَنْطاعُ ، والْقَرْعَاء ، واللِّهَابَة ، وجُوَدةُ ، ومُتَالِع . انتهى .

[للبحث صلة]

حمـــد الجاســـر

[الحـواشي] :

(١) « معجم ما استعجم » : ٨٠ .
(٢) « معجم ما استعجم » : ٨٨ .
(٣) « تاريخ خليفة بن خياط » .
(٤) نسبه ابن حجر في « الاصابة » إلى همدان ـ ناسبا ذالك للرشاطي ـ وذالك بخلاف مانقله البلبيسي وعن كتاب الرشاطي « اقتباس الأنوار » انظر « العرب » س ١٧/٤٧١/٧٢١/٩٣٤ .
(٥) ٦٣ . (٦) رسـم (صلاصل) .
(٧) « تاريخ ابن جرير » ٤/٥٠٥ ط دار المعارف بمصر .
(٨) ص ٤٤٤ الطبعة الهندية
(٩) ١/١٠١ .
(١٠) ص ٣٨٦ الطبعة الأوربية .
(١١) انظر « العرب » س ٤/١١٢٣ وس ١٢/٣٢٣
(١٢) الكتاب مخطوط في المكتبة التيمورية في دار الكتب المصرية رقمه ٦٣٧ (تاريخ) ولم يذكر اسم الكتاب ولا اسم مؤلفه ، ولكنني استطعت معرفة ذالك ـ انظر « العرب » س ٩/٨٥ ـ و « رحلات حمد الجاسر » ـ ٢٤٥ ـ .
(١٣) ديوانه : طبعة الدكتور الحلو بمصر عام ١٣٨٣ ، صفحات ٥٠٤/٤٦٢/٤٢/٣٩ على التوالي .
(١٤) ١٥١ الجزء المخصص لأنساب العرب .. تحقيق دوروتيا كرالولسكي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م) .

«الشوامل» ومعنى «الهوامل» الإبل السائمة يهملها صاحبها ويتركها ترعى . و«الشوامل» الحيوانات التي تضبط الإبل الهوامل فتجمعها. . .) .

أ ــ قوله: (كتابان) . أحسن منه (رسالتان) . وقد ورد النص على أسئلة أبي حيان بالرسالة ، وكذالك النص على أجوبة مسكويه ـ ينظر فهرس الكتب .

ب ــ سمّى أبو حيان رسالته (أسئلته) بالهوامل (تنظر ص ٣) ولم نجد في الكتاب (وينظر الفهرس)، ماينص على أن مسكويه سمى رسالته (أجوبته) بالشوامل .

جـ ــ في وصْفنا أسئلة أبي حيّان بالكتاب تَجَوُّزٌ كبير ، وإلاّ فالكتاب ـ لدى التحقيق ـ هو كتاب مسكويه . وكان المناسب أن نقدم اسم مسكويه على التوحيدي . . .

٢ ــ كتب المقدمة أحمد أمين وكأنه الفاعلُ الأول في التحقيق ، وختمها بقوله: (. . . وقد شاركني في إخراج هذا الكتاب الأستاذ السيد أحمد صقر بل كان نصيبه في تصحيح الكتاب والتعليق عليه أكثر مما لي . فله جزيل الشكر على ماقام به) .

هذا اعتراف خجول بأن الفاعل الأول هو السيد أحمد صقر . بل يمكن القول ــ بناءً على استقراء غير قليل ــ أن ما لأحمد أمين في الكتاب لايزيد على ثلاثة أمور (١) المقدمة، (٢) قراءة الكتاب قبل طبعه (٣) تسهيل النشر ـ وهو رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ

ولنلاحظ أن أحمد أمين لم يورد كلمة (التحقيق) في مقدمته وإنما قال: (إخراج هذا الكتاب . ولاشكَّ في فاعليته في (الإخراج) . وأنه لم يرد على غلافي الكتاب (تحقيق) فلان وفلان وإنما جاء (نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر) ، ومكانة أحمد أمين في النشر لاغبار عليها ــ أما في التحقيق فعليها غُبَارٌ !

٣ ــ جاء في المقدمة: (والنسخة التي بأيدينا ، والتي نشرنا عنها هذا الكتاب هي فيما نعلم النسخة الوحيدة في العالم) . وجاء قبل ذالك: (وقد رأينا كتاب «الهوامل والشوامل» مهملاً في ثنايا الكتب في مكتبة (أيا صوفيا) بالأستانة (. . . .) وقد عثر عليه الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، أثناء بعثته من الجامعة

العربية إلى الأستانة لتصوير الكتب القيِّمة ، فكان هذا الكتاب مِمّاصوره منها . . .)

أ ــ الذي رأى كتاب «الهوامل والشوامل» مُهْملاً . . هو محمد بن تاويت الطنجي ، وليس أحمد أمين .

ب ــ تصوير الكتب: تصوير المخطوطات، أو تصوير الكتب المخطوطة .

جـ ــ من (أوليات) التحقيق (والنشر) إثبات صورة لصفحة أو أكثر من صفحات المخطوط ، ولكن (الناشرين) لم يفعلا ذالك !

٤ ــ بَدَا أحمد أمين أَمْيَلَ إلى أبي حيان منه إلى مسكويه ، فأثَّر ذالك الميل في أحكامه وإذا كان مسكويه ــ أسوأ تعبيراً من أبي حيان فلأنه يتكلم في الفلسفة ، وليس سهلاً تذليل الفلسفة للتعبير ، ثم إنه ــ يُجيبُ ، والجواب أطول من السؤال . وإلاّ فلم يكن مسكويه سـيِّئ التعبير ، بدليل الصفحة التي نقلها أحمد أمين في المقدمة (ص هـ) .

٥ ــ وفي المقدمة (ص ز): (ويظهر أن سِـنَّ أبي حيان ومسكويه متقارب إلاّ أنَّ مسكويه يكبره قليلاً ، ولكن شهرة مسكويه بالعلم أكبر من شهرة أبي حيان ، وكان أغنى لأنه كان خازن بيت المال ، وخازن الكتب لعضد الدولة ، وعلى حَـدِّ تعبيرنا الحديث وزيراً للمالية ومديراً لمكتبته. . .) .

أ ــ السن. . مُتقارِبة ــ لأن السن مؤنثة .

ب ــ ماكان لأبي حيان ليتوجَّه بالأسئلة إلى مسكويه لو لم يكن مسكويه على مكانة علميَّة سامقة ، وأُفُقٍ واسع . . . ــ ولقد تأثر أحمد أمين بالأحكام المتناقضة التي أوردها أبو حيان عن مسكويه في «الامتاع والمؤانسة» .

جـ ــ بالكلام على مسكويه هنا حاجة إلى تَثَبُّتٍ .

٦ ــ ص (ح) من المقدمة : (وقد عمر الاثنان طويلاً ، فقد مات أبو حيان سنة ٤١٤هـ عن نيِّف وتسعين سنة كما ذكر القزويني . وقال في «روضات الجنات» إن أبا علي مسكويه عاش طويلاً حتى سئِم الحياة (. . .) وقد مات سنة ٤٢١هـ . . .)

أ ــ الإثنان ــ بهمزة قطع : الاثنان بهمزة وصل .

ب ــ وقال في: «روضات الجنات»: وجاء في «روضات الجنات» . أو: وقال الخوانساري . . لئلا يذهب ظن من لا علم له بالمصادر إلى أن الذي (قال) هو (القزويني)!

٧ ــ نسي أحمد أمين (ص و - ز) وهو تحت طائلة التَّقليل من شأن مسكويه ، أن يذكر له «تجارب الأمم» في التاريخ : - غير ما نسي: أو تناسى .

٨ ــ بدا مسكويه في رسالته (أجوبته) مثلاً لِوَعْـيِ مَنهج البحث وتَحْديد المهمة الأساس في العمل . جاء على (ص ٤): (وشرطنا إذَا تكلمنا في مسألة أن نبين عويصها ، ونشرح مشكلها ، فإذا تعلق ذالك بكلام مسبوق مقرر ، وأصل محكوم به مثبت ، قد شرحه غيرنا وبينه ، لاسيما لرجل مشهور بالحكمة ، عليّ الدرجة فيها ــ أرشدنا إليه ، ودللنا على موضعه فإني رأيت فِعْل ذالك أولى من تكلف نسخه ونَقْله ، والتكثر به مع ذكريه إيماءً واختصاراً . .) - وتنظر ص ص ٢٦ ، ٥٦ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ٢٥٥ ، ٣٦٩ ، ١٣٦ ، ١٥٢ ، ٢١٥ .

٩ ــ عنوان الكتاب لا يدل على محتواه ، ومحتواه واسع ، أساسه الفلسفة التي عرف بها مسكويه وتَمَيَّز حتى صارت لديه نظرة شاملة يُفَسِّرُ بها كثيراً من الأحوال في الطبيعة وفي الإنسان . . . ولأرسطاليس مكانة خاصة لديه فهو (الحكيم) إذا وردت كلمة الحكيم . ويتصل بالفلسفة أمور من الأخلاق والدين .

ويمكن للغرب أن يجد في الكتاب مادة جديدة يجمعها إلى ماوجد عن الفلسفة اليونانية وأرسطو وأفلاطون وجالينوس . . . في كُتبٍ أخرى مشهورة .

ثم إن الكتاب بعد ذالك مصدر مُهِـمٌّ ــ لايَرِدُ على البال ـ في موضوع النحو واللغة ولابُدَّ من البحث عن مواد اللغة والنحو عند غير المشهورين بها وفي غير كتبها المقررة وكلام عن اللفظ والمعنى ، والترادف والتَّضاد ، والفروق بين الكلمات . . . ومادة مناسبة للنقد الأدبي .

١٠ ـ ص ٧ : (وهذه الألفاظ الخمسة التي عدها الحكيم . . .)

قال المحقق في الحاشية: (في الأصل: (الخمس) وتصحيحه واردٌ من جِهتَيْن: الأولى أن مسكويه يتكلم في (اللفظ والمعنى) واللفظ مذكر . الثانية: وردت في مكان آخر على (الألفاظ الأربعة) (ص ١٠٣) .

على أن الألفاظ الخمس ليس خطأ إذا جعلنا المفرد (اللفظة) .

١١ ـ لمن يبحث عن أصول لألفاظ معاصرة نذكر (ص ١٠): (ولولا علمي بثقافة فطنتك وإحاطة معرفتك ، وسرعة تطلعك يفهمك . . .)

فهذا استعمال خاص لكلمة (ثقافة) .

١٢ ـ ص ٤ : (تكلمنا في مسألة . . .)، ١٣٤ : (الكلام في العلم) ٢١ : (نتكلم في الحروف المفردة) .

ص ٧١ : (سنتكلم على الحسد . . .) ،٣٢١: (تكلموا عليه . . .) .

١٣ ـ ص ٧٨ (. . . لبعد الأعضاء الرئيسية بعضها عن بعض . . .) أعضاء الجسم . .

١٤ ـ ص ٨٤ ـ ٨٥ :

والظلم من خلق النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لايظلمُ

وفي الحاشية يقول المحقق: البيت للمتنبي كما في ديوانه ٢ /٣٨٣ ، ويروى: والظلم من شيم النفوس الرواية الثانية (شيم) هي المشهورة الأساس في الديوان ـ فكيف التزم أبو حيان ومسكويه ـ وهما معاصران للمتنبي بـ (خلق)؟!

١٥ ـ ص ٨٥ : (ولشرح هذا الكلام، وتحقيق مائيَّة القول في العدل وذكر أقسامه وخصائصه ـ بسط كثير . . .)

قد تكون (مائية): ماهية .

١٦ ـ ص ٨٤ : (ماحد الظلم أولاً ؟ فإن المتكلمين ينفكون في هذه المواضيع كثيراً ، ولايُنْصفون ، وكأنهم في الغضب والخصام) .

يقول المحقق في الحاشية: استعمل ينفك هنا في موضع انطلق وأفاض.

أقول: قد تَـحْتمل شيئاً غير هذا ــ أو مع هذا ــ بدلالة (ينصفون) المناظرة لها في الجملة الثانية.

١٧ ــ استعمل في جمع جواب: جوابات، وأجوبة (ص ١١٠).

١٨ ــ ص ١١٤ : (ولِعِلَّةٍ ما هجر الناسُ زيارَة مقابر الملوك والخلفاء، ولهجوا بزيارة قبور أصحاب البتّ والخُلقان، وأهل الضعف والمسكنة).

وللمحقق في الحاشية: (في «اللسان» البت: كساء غليظ مهلهل مربّع، والجمع أبت وبتات، والخلق: جمع خلق - بفتح الخاء واللام ــ وهو البالي).

أ ــ الكلام لأبي حيان، والمنتظر لدى المجانسة أن يأتي مع (الخلقان) التي هي جمع، جَمْـعٌ للبتِّ مثل الأَبُـتِّ والبتات ــ أترى (البت) جمعاً في ذهنه؟

ب ــ الخلق الأولى الواردة لدى المحقق خطأ مطبعي، نبه عليه، صحيحه: الخلقان.

١٩ ــ ص ١١٧ : (الغير): الآخر، من كان غيرك... ــ وهو مما تدخل عليه (ال).

٢٠ ــ ص ١٤٥ : (لم يَشْمَئِزَّ الإنسان من جرح قد فُغِرفُوه، حتى إنه لينفر من النظر إليه). ضبط المحقق (فغر) بضم الفاء وكسر الغين على مالم يُسَـمَّ فاعله، وقال في الحاشية: (في «اللسان»: فغرفاه يفغره: فتحه).

أ ــ لي إحساس بأن (فغر) - هنا - لازم وفوه فاعل، لثقل أراه في البناء للمجهول. ولكنه إحساس فقط، ولا دلالة له في نفسه. ورجعت إلى «اللسان» فوجدت السند حيث يقول: (وفغر الفَمُ نَفْسُهُ وانفغر: انفتح يتعدّى ولايتعدّى) وفي «القاموس»: (فغرفوهُ وانغفر انفتح) ــ وعلى هذا لا لزوم لبناء (فغر) الواردة في سؤال أبي حيان لما لم يُسَـمَّ فاعله.

٢١ ــ ص ١٥٠ : (ما السبب في قتل الإنسان نفسه عند إخفاق يتوالى

عليه . . .) لم ترد عند العرب كلمة (انتحر) التي نستعملها في العصر الحديث ترجمة لكلمة أوربية .

٢٢ ـ ص ١٥٢ : (. . . لذالك نأمر الأحداث بالسيرة الجميلة ، ونؤاخذهم بالأداب التي تَسُنُّها الشرائع ، وتأمر بها الحكمة) ـ يقصد التربية . . .

ترى لم لم يقل: (نأخذهم) في مقابل ومناظر (نأمر)؟ سيقول ص ١٧٨ : (وينبغي أن نأخذ الأحداث والصبيان به أشد الأخذ . . .)

٢٣ ـ ص ١٦٢ : (الموسيقا) كذا رسمها مسكويه أو من نَسخ عنه ، وهي ترد كثيراً على هذا الرسم ، وهو أنسب وأيسر من : (الموسيقى) .

٢٤ ـ ص ١٧٦ : (الشاعر بقوله :

وإذَا حَذِرْتَ مِنَ الأُمُور مُقَدَّراً وهَـرَبْتَ مِنْـهُ فَنحْـوه تَتَـوَجَّـهُ

. . . . كما قال الشاعر :

حـذِرٌ أُمُـوراً لاتَكُـونُ وخَـائِفٌ مـاليْسَ مُنْجِيْـه مِـنَ الأَقْـدَارِ

٢٥ ـ ص ١٨٠ : (. . . تورطوا في مذهب بعيد من الحق . . .) ـ لمن يبحث في تاريخ استعمال كلمة (تورط) . . . الشائعة في عصرنا .

٢٦ ـ ص ١٨٦ : (لِـمَ اعْتَقَد الناسُ في الكوسج أنه خَبِيثٌ داهية . . .؟)
ويقول المحقق في الحاشية: (الكوسج الذي لاشَعْرَ على عارِضَيْهِ)

وفي العامية العراقية: (أبو لحية الكوسة) وهذه اللحية شعر (غير كَـثٌ) ينبت على الحنك ، ويخف أو ينعدم على العارضَيْن .

ولحية كوسة ـ كأنها في الأصل: كوساء ـ وهي في العيوب والمذامٌ .

٢٧ ـ ص ٢١٥ : قال مسكويه : (. . . كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أفرد فيها مقالة . . .)

مسكويه فيلسوف ، والمقالة لدى الفلاسفة الرأي والمذهب ، ولكنها جاءت هنا

ـ مع تضمنها الدلالة الفلسفية ـ بما يشبه ـ (الرسالة) .

٢٨ ـ ص ٢٨٢ : (لِمَ صارَ العروضيُّ رَدِيْءَ الشعر . . . ؟ أَلَمْ تُبْنَ العروض على الطبع؟ أَلَيْسَتْ ميزان الطبع ؟ فما بالها تَخونُ)؟ ـ السؤال لأبي حيان العروض مؤنّثة . . .

ـ ص ٢٨٤ : (الزِّحافاتُ التي يجيزها العروض . . .) ـ الجواب لمسكويه العروض مذكر ـ لعله يقصد «علم العروض» .

٢٩ ـ ص : ٢٩٠ : الأوائل بمعنى المبادئ ونَسْتعملها اليوم : (الأوليات) وأوليات العلم . . . وأوليات المنهج .

قال مسكويه : (إن هذه أوائل عند قوم في علومهم . وأعني بقولي أوائل أي إنهم يجعلونها مبادئ مُسَلَّمَةً بمنزلة الأشياء الضرورية من مبادئ الحسِّ والعقل . . .) .

وربما دَلَّ شرحه لها على جِـدَّة استعمالها ، أو خصوصيته لدى الفلاسفة : ولم يشرحها ص ٢٩٤ عندما قال: (أما قياس النَّحْويين فليس مبنياً على أوائل ضرورية . . .) .

واستعمال (ضرورية) جدير بأن يَقْتَنِصَهُ دارِسُ تاريخ استعمال الكلمات ـ ولاسيما الشائعة في عصرنا ـ ومنها (الضرورية) .

٣٠ ـ ص ٣٢٠ ـ ٣٢٧ : (أحمد بن عبدالوهاب) ـ لمن يبحث في الجاحظ ، و«التربيع والتدوير» .

٣١ ـ ص ٣٢٨ : (مسألة : حضرت مجلساً لبعض الرؤساء . . .)
الرؤساء جمع رئيس ، وهم هنا أهل النّظر ، والحكمة ، والفلسفة . . . ومن ذالك : الشيخ الرئيس ابن سينا ـ ولاعلاقة لهم بالرئاسة الإدارية ، وفي الحكم .

٣٢ ـ ص ٣٦٩ : قال مسكويه : (هذا آخر ماسألت في «الهوامل» . وقد سلكت في الجواب عن جميعها المسلك الذي اخْتَرتَهُ واقْتَرحْتَه من الاختصار

والإيماء إلى النُكت والإحالة ــ فيما يحتاج إلى شرح ــ إلى مظانّهِ من الكتب) .

أ ــ وردت تاء اختيرته وتاء اقترحته مبنيتين على الفتح ، وقد يكون الأولى (الضم) على أن يكون الفاعل هو مسكويه كما تدل سطور المقدمة . على أن التوحيدي طلب الايجاز كذالك ص ٢١٥ .

ب ــ العبارة دليل منهج (ومنهجية) في البحث ـ أي التزام بالخطة المعلن عنها في المقدمة .

جـ ــ الأصل في المظان مايظنُّ المرءُ وجودَ حاجته فيه على غير وجه التأكد ، يظن أولاً : ويبحث ثانياً : وينتهي إلى نتيجته ثالثاً ــ أي إنه قد يجد مايحقق ظنه ، وقد يخفق . ولكنها اكتسبت ــ فيما يبدو ــ معنى المصادر المتضمنة أكيداً الحاجة المطلوبة .

٣٣ ــ جاء في المقدمة (ص هـ) كلام لمسكويه هو (... في كل حَلْق شَـجًــى ، وفي كل عَيْنٍ قذًى) نقلاً عن ص ١ : (ففي كل حلق شجى [وفي كل عين قذى]...)

وسيمر في صلب الكتاب ص ٢١٢ (وهي الشجا في الحلق ، والقذى في العين) .

٣٤ ــ ورد في المقدمة (ص هـ) من كلام مسكويه (يهجم) مضارع هَجم ، بكسر عين الفعل (الجيم) ، وورد الفعل المضارع (يَهْجم بكسر الجيم) كذالك في الأصل (ص ٣) .

٣٥ ــ ص ٢٦ (مسائل طَبعيّة) :

والذي يرد (كثيراً) في الكتاب ص ٢١٥ مثلاً (الطبيعي) ، ص ٢١٦ :(الأمور الطبيعية) ولم يرد الطبعي .

والطبيعية والطبيعي ... هو الصحيح .
وقد ترد (الطبعيّة) إلى الناشرين ؟!

بغداد : الدكتور علي جواد الطاهر

رحلة (تاميزيه) إلى
الجزيرة العربية سنة ١٨٣٤م

ــ ١ ــ

توطئة : تهدم صرح الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٩م ودمرت عاصمتها (الدرعية) تدميراً تاماً ، وسيطرت القوات التركية المصرية على قسم كبير من الجزيرة العربية ، وحكمت البلاد بتعسف وظلم شديدين ، مما حمل الأهلين على شق عصا الطاعة ، وتأييد تركي بن عبدالله آل سعود مؤسس الدولة السعودية في دورها الثاني .

وماكان محمد على باشا والي مصر ونائب السلطان ليرضى بهذا الوضع الجديد ، فأرسل الجيوش ليعيد الإمارات الثائرة إلى الحظيرة السلطانية . وكانت بلاد (عسير) تحلّ مركزاً هامًّا في سياسته ، لاسيما وأنَّ فتحها كان تم على يده سنة ١٨١٥ . ولكن سرعان ماقلبت له ظهر الْمِجَنِّ ، وأعلن حاكمها الأمير علي بن مجثل انفصاله عن الحكم التركي ، ثم هاجم منطقة (أبو عريش) واحتل بعض قراها ، فاضطر أميرها الشريف علي بن حيدر وكان حليف المصريين ــ ان يعلن ولاءه لصاحب (عسير) فأصبح بحكم الواقع من الخارجين على السلطان .

أثار اعتداء أمير (عسير) على (أبو عريش) حفيظة محمد علي ، فجهز له حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا ومساعدة شريف مكة محمد بن عون . وما أن وصلت أخبار هذه الإعدادات العسكرية إلى مسامع الشريف علي بن حيدر حتى عاد إلى ولائه الأول اعتقاداً منه ان القوات التركية سوف تطحن العدو طحن الرحى . وأثناء ذالك توفيَ أمير (عسير) وخلفه على الحكم الأمير عايض . ولما علم بِرِدَّةِ حاكم (أبو عريش) هاجم عاصمته وطوقها ، ولكنه لم يتمكن من فتحها ، فعاد إلى جباله الشماء ، وأخذ أهبته لملاقاة جيوش محمد علي باشا .

وقد سرد علينا قصة هذه الحملة شاب فرنسي يدعى (موريس تاميزيه) ، كان في القاهرة في نهاية سنة ١٨٣٣ ، وعمره يومئذ احدى وعشرون سنة ، يبحث عن عمل يمكنه من السياحة في الشرق العربي . فوجد مطلوبه لدى رئيس أطباء

الحملة المصرية ، وهو فرنسي أيضاً ، كان بحاجة إلى كاتب وأمين . فقام (تاميزيه) بأعباء هذه المهمة وصحب البعثة الطبية من التاسع من شهر كانون الأول سنة ١٨٣٣ إلى نهاية ايلول من السنة التالية ، بعد ان عُقد الصلح بين أحمد باشا وأمير (عسير) فعاد (تاميزيه) إلى جدة ، ومنها أبحر مع صديق له في مقتبل العمر أيضاً اسمه (ادوار كومْبْ) في أوائل سنة ١٨٣٥ ، وسافرا من جدة إلى (القُنْفُذة) ثم (جازان) ومنها إلى (اللُّحَيَّة) فـ (الحُدَيْدة) وتابعا طريقهما برًّا ، إلى (بيت الفقيه) فـ (زبيد) ثم (المخا) ومنها بحراً إلى جزيرة (دهلك) ثم إلى الضفة الغربية من البحر الأحمر ليتوغلا في مجاهل الحبشة خلال سنتين ، ووضعا بعد عودتهما إلى (فرنسا) كتاباً في خمسة أجزاء عنوانه : « رحلة إلى الحبشة » نالا عليه جائزة من الجمعية الجغرافية الفرنسية .

وما كنا لنأتي على ذكر الرحلة الثانية ، على الرغم من أهميتها للدراسات الجغرافية ، لولا ماجاء فيها من وصف لبعض المدن الساحلية العربية التي ذكرناها آنفاً ، وسنعود إلى هذا الموضوع في نهاية هذه الدراسة التحليلية ، وقد كتبناها نزولاً عند طلب أستاذنا الشيخ حمد الجاسر حفظه الله ، وكان يرغب أنْ يُعَرّب كتاب (تاميزيه) بكامله ، ولكن ضيق الوقت حال دون تحقيق هذه الرغبة .

ولابُد لنا من الإشارة باديٌ بَدْءٍ إلى أنَّ (تاميزيه) وصاحبه (كومب) كانا يجهلان اللغة العربية قراءة وكتابة[١] ، إنما كانا يتكلمان إحدى لهجاتها ، ولعلها لهجة أهل تهامة ، ومع ذالك نراهما في نقاش مع كبار علماء زبيد ، في مجلس ترأسه المفتي ، فتبين لهما أن العلم قد عفا أثره من هذه البلدة . ثم حَدّثا الحاضرين عن التقدم العلمي الأوربي ، وعن صناعات (أوروبا) الباهرة واختراعاتها المدهشة ، فأثارا إعجاب السامعين ، وعندما آذن الوقت بالإنصراف ، ترامى علماء (زبيد) على أقدام (كومب) و (تاميزيه) يقبلونها ، وأكَبُّوا على أيديهما يلثمونها ، وحين ودعا المفتي سحب كل منهما يده بلباقة قبل أن يتمكن من تقبيلها[٢] .

قد ذكرنا هذه القصة عمداً في مطلع هذا البحث ليكون القاريٌ على بصيرة مما في رحلة (تاميزيه) وصاحبه (كومب) من مبالغات لا يسلم بها العقل . ونجد

فيها أيضاً أحكاماً صارمة عن العرب والإسلام إن دلت على شيء فعلى جهل المؤلفين وغرورهما بسبب حداثة سنهما . ونحن في تحليلنا لكتاب (تاميزيه) سنمر بمثل هذه الأقوال مَرَّ الكرام ، لأنَّ ما يهمنا في رحلته هو وصفه للواقع لا انطباعاته .

يقع كتاب (تاميزيه) : « رحلة إلى الجزيرة العربية » في جزءين ، من الحجم الوسط (٢١×١٧ سم) ، يبلغ عدد صفحات كل جزء نحو أربع مئة صفحة . وقد اتبع فيهما المؤلف أسلوب اليوميات ، مسجلاً مشاهداته بعد كل مرحلة ، حريصاً على تدوين كل مايفيد الجغرافية والتاريخ وعلوم الإنسان .

من القاهرة إلى جدة : غادرت البعثة الطبية (القاهرة) في التاسع من شهر كانون الأول سنة ١٨٣٣ مع قفل خاص قاصدة مدينة (السويس) . وبما أن العدد الأكبر من أفرادها من الأوربيين النصارى فما كان باستطاعتها أن تنضم إلى قافلة الحجاج التي كانت على أهبة السفر إلى مكة المكرمة حاملة كسوة الكعبة الشريفة .

وبعد رحيل على الهجن دام ثلاثة أيام ، وصلت البعثة إلى (السويس) حيث استقبلها أحد التجار ، ودعا أفرادها إلى العشاء في منزله ، وتعجب (تاميزيه) لأنَّ رب البيت لم يأكل مع المدعوين ، وتساءل عن سبب ذالك ، أهو تعصب منه أو تواضع ؟ [جاهلاً أن من عادة إكرام الضيف عند العرب أن يظل المضيف في خدمة ضيوفه] .

ومن (السويس) أبحرت البعثة إلى (جدة) على سفينة شراعية ، تحمل عدداً كبيراً من الحجاج . وبعد أن مرت بـ (عيون موسى) و (حمام فرعون) أرست أمام (بلد النصارى) في مرفإ طور سينا . فقام (تاميزيه) بجولة سريعة في هذه المنطقة ووصفها . ثم تابعت السفينة طريقها ومرَّت بالجزر أمام خليج العقبة ومنها إلى (ضبا) حيث استقى الملاحون من بئر عمقها نحو عشرين قدماً ، طيبة المياه ، وملؤا قِرَبَهُمْ منها .

وفي التاسع والعشرين من شهر كانون الأول أقلعت السفينة من جزيرة

(النُّعمان) وبعد أن مرت بـ (اصطبل عنتر) فجزيرة (كمران)[٣] ، أَلْقَتْ مرساها في مرفإ صغير اسمه (العويش) حيث تقام سوق للعربان يباع فيها الماء والتمر والملح الناصع البياض . ويخال لمن يرى بدو هذه المنطقة انهم كتلة من العصب والجلد . وهم أصحاء الأجسام يلبسون قميصاً أبيض ، ويحتذون نعلاً من جلد الماعز أو الجمل . أما سلاحهم فالبندقية بفتيل ، والرمح والجنبية .

وفي مساء أول يوم من سنة ١٨٣٤ أرست السفينة في جزيرة صغيرة اسمها (جبل حسن)[٤] لا ماء فيها ، يبلغ عدد سكانها نحو خمس مئة نسمة ، يعيشون من صيد الأسماك والغوص لقلع المرجان . أما الماء فيأتون به من البر بالفلائك (ص ٤٨) . وفي اليوم التالي التقينا بسفينة تحمل أيضاً بعض الأوربيين . وتبين لنا من ألبستهم أنهم بريطانيون ، لأن البريطاني يحتفظ عادة بألبسته ، ونظام معيشته بكل مكان ، أما الفرنسي فإنه لا يتقيد بمثل هذه الأمور ، فهو بدويٌّ في الصحراء ، مصريٌّ في القاهرة وتركي في القسطنتينية (ص ٥٣) .

وفي الرابع من شهر كانون الثاني وصلنا إلى ميناء (ينبع) ونزلنا إلى المدينة بالقوارب ، إلا الفقراء من المسافرين فإنهم خاضوا في اليم ، وقطعوه على الأقدام . ومدينة (ينبع) من أهم المدن الساحلية التي رأيناها منذ مغادرتنا (السويس) وهي محاطة بالأسوار ، جُدِّدَ بناؤها حديثاً ، ويعدد من الأبراج زوّدها المصريون بالمدافع ، ولها بابان من جهة البحر ، أمَّا من جهة البر فتحيط بها الأراضي الجرداء . إلا أنَّ العرب المقيمين بقربها يأتونها بالمؤنة ، لأنهم يفلحون الأودية المجاورة ، ويزرعونها ، ومن أهم هذه الأودية (ينبع النخل) سُميت بذالك لتمييزها عن (ينبع البحر) حيث ارست السفينة ، وينبع هذه بلدة ذات شأنٍ لأنها مستودع تجار المدينة المنورة (ص ٥٤) .

ثم أقلعت بنا السفينة إلى الجاع (؟)[٥] Dja قرب رأس الحمة (؟) (Raj Al-Hama) وبتنا في مرسى صغير ، غير بعيد عن قرية (رابغ)[٦] وهي من مواقيت الحج حيث يهل الناس بالإحرام . وفي اليوم العاشر من كانون الثاني وصلنا إلى مرفإ (جدة) وفي مساء هذا اليوم ظهر هلال شهر رمضان معلناً بابتداء الصوم (ص ٦٢) .

أقامت البعثة الطبية عدة أسابيع بجدة ، ثم انتقلت إلى سهل غير بعيد عن (بحرة) وهي قرية تقع على مسافة ستة فراسخ من جدة وسبعة فراسخ من مكة ، ثم عادت إلى مركزها الأول حين أهلَّ شهر ذي الحجة ، اذ امتلأت الطرق والشعاب بالحجاج ، حتى أنَّ جدة خلت من سكانها ولم يبق فيها إلا النساء والأولاد والشيوخ .

واستطاع (تاميزيه) خلال هذه الإقامة الطويلة من التجول في جدة ومشاهدة مبانيها وأحيائها ، فوصفها وصفاً سريعاً يمتاز بانطباعاته الشخصية وإنسانيته ، لأنه كان يحب الاختلاط بالسكان ، والتحدث معهم ليفهم عاداتهم وأخلاقهم ، ولكي يسهل عليه الاندماج بهم أرخى لحيته ، ولبس الألبسة الشرقية ، فركنوا إليه وأطلقوا عليه لقب (شيخ افرنجي) وقصوا عليه بعض الكرامات منها التي تَعْزُو إلى النبي محمد إنشاء مدينة جدة (ص ٦٧ ومابعدها) ، وتمكن من زيارة قبر حَوَّاءَ الذي كان هدمه (الوهابيون)[٧] وأمر محمد علي باشا بإعادة بنائه .

ويصف (تاميزيه) أبواب جدة : (باب مكة ، باب المدينة ، باب اليمن) وأسوارها وأسواقها وأجمل مساجدها ، وأبدى اعجابه بشوارعها ، فهي عريضة ، مستقيمة ، نظيفة جدًّا لاسيا في شهر رمضان ، وبيوتها تكون غالباً من طابقين ، وأحياناً من ثلاثة طوابق ، وهي جميلة تزينها المشربيات ، أما الفقراء فيسكنون في أكواخ من الخشب والقش . ويرى السائح أجناساً شتى من الناس في هذه المدينة ، بالإضافة إلى العنصر العربي الذي يمثله خاصة عرب الحجاز واليمن ، ومن تلك الأجناس بعض فلاحي مصر وعدد من الأروام والأتراك والسودان .

ويذكر (تاميزيه) جنساً من السودان يعيش أفراده في حالة شديدة من البؤس والفقر حتى أنَّ مساكنهم من أحقر مايمكن أن يتصوره إنسان ، وهم التكروريون ، من عبيد افريقيا . وهناك جنس آخر من السودان يتعاطون التجارة ، وهم من الغطرسة بمكان حتى أنهم ينظرون إلى من سواهم من الناس نظرة احتقار ، ويعلمنا (تاميزيه) أن أصلهم من السواكم (؟)[٨] .

ويلاحظ كاتب هذه الرحلة أن على وجه كل مسلم من مواليد الحرم آثار جروح

ملتئمة تكون على الوجنتين والصدغين ، وكأنها علامات فارقة ، وهي تشير إلى أن حاملها قد وُلد في الأراضي المقدسة المحرمة على غير المسلمين ، والسبب الداعي إلى وضع هذه السمات أن الحجاج إذا ما انتهوا من قضاء شعائرهم ، كانوا يسرقون صغار أولاد أهل الحرمين ، فأشار السلطان سليم على سكان مكة والمدينة بوضع هذه العلامات على وجوه أولادهم وهدد بإنزال أشد العقوبات بكل من يقدم على خطف ولد يحمل هذه الوسوم (ص ٩٢ ومابعدها) .

ويحدثنا (تاميزيه) عن ألبسة أهل (جدة) ويرى أن ألبسة رجال الدين والعلماء والمشايخ لا تختلف عن ألبسة المثريين وكبار التجار إلاّ ببياضها الناصع (٩٥) . إلا أن الفرق ظاهر للعيان إذا ما قارنّا بين ألبسة مختلف الطبقات الاجتماعية وخاصة بين الفلاح المصري والتاجر الهندي والموظف التركي . أما الأزياء النسائية فمن العسير جدًّا على السائح أن يعرفها ليتكلم عنها ، لأن المرأة لا تخرج من دارها إلا مُغطاة بملاءة كبيرة تحجبها تماماً ، حتى ان البغي نفسها ترتدي مثل المحصنة حين تمشي في الشوارع ، ولكن لها حَيُّها الخاص حيث تتبرج كما تشاء (١٠٣) .

ويعلمنا (تاميزيه) أن من عادة عرب الحجاز أن يزوجوا أولادهم وهم صغار السن ، حتى ان بعض الفتيات يتمُّ زفافهن وهن في السنة السادسة من العمر (ص ٩٩) .

ويقارن بين الضيافة عند العرب وعند الغربيين ، ويلاحظ أن العرب أكرمْ للضيف من الأوربيين ، لأن الضيافة في الغرب فكرية قبل كل شيء ، قوامها حسن الاستقبال ، ولطف الكلام ولباقة اللسان ، أما العربي فيحرص على رفاهية ضيفه المادية ، فيقدم له القهوة والنارجيلة [أو المداعة على لغة أهل اليمن] ، ويعطره ويبخره ويؤانسه (ص ١٠٧) .

وبعد هذه الجولة الاستطلاعية عن أحوال (جدة) الاجتماعية يتحدث (تاميزيه) باقتضاب عن تاريخ هذه المدينة منذ دخول البرتغاليين البحر الأحمر سنة ١٥١٣ ، ومن جَرَّاء هذا الحصار البحري ضَعُفَتْ أهمية (جدة)

الاقتصادية ، ولكن المؤلف يتنبأ لها بمستقبل باهر ، إذا ما انحرفت السفن عن طريقها المعتاد أي الدوار حول (افريقيا) لتصل إلى (الهند) عن طريق رأس الرجاء الصالح ، ويرى أنه من الأفضل أن تمر بخليج السويس (ص ١٢٠) .

ولا تفوته الإشارة إلى لطف المكيِّين وظرفهم وأدبهم ، إلا أنهم شديدو الأنفة ، اعتقاداً منهم أنهم أرفع شعوب العالم (ص ١٤١) . وعلى الرغم من عزة أنفسهم فإن العلاقات بينهم وبين البعثة الطبية الأوربية كانت طيبة جدًّا ، حتى أن الشيبي أفندي ، وهو الذي يحمل مفاتيح الكعبة ، قبل دعوةً إلى العشاء وجهها رئيس الأطباء ، فحضر وحضر معه عدد من أكابر أهل جدة وأشرافها ، وحضر أيضاً بعض قادة الحملة ، وعلى رأسهم أحمد باشا ، وكان له من العمر نحو اثنتين وثلاثين سنة ، أسود اللحية ، وهو من العدد القليل من الجنود النظاميين الذين استطاعوا أن يحفظوا لحاهم بعد أن صدر أمر نائب السلطان بحلقها ورفع العمائم ، عندما أعاد تنظيم الجيش المصري . وعلى الرغم من ذكائه وفطنته لا يحسن قيادة العساكر ، إذْ تنقصه الإرادة وقوة العزيمة ، ويفضل العيش مع الحريم على مشقّات الحرب ، وإليه يعزو (تاميزيه) أسباب فشل الحملة المصرية على (عسير) .

ووصف تاميزيه أيضاً (مكة المكرمة) وإن لم يزرها ، إنَّما سأل الناس عنها ، ونقل خاصة عن السايح (بوركهارت) الذي كان اعتنق الإسلام وزار الحرمين الشريفين ووصفهما ، كما وصف جدة والطائف . والواقع أن (تاميزيه) يقرّ صراحة بدينه له ويذهب إلى أن وصف (بوركهارت) لهذه الأماكن المقدسة فَرِيْدٌ بنوعه ، لا يمكن لأحدٍ أن يأتي بمثله أو أحسن منه .

طالت إقامة البعثة الطبية في (جدة) وكانت تنتظر الجمال للسفر ، وما أن وصلت الهجن حتى آذنت البعثة بالرحيل ، وودّع أعضاؤها اصدقاءهم العرب ، وساروا متجهين نحو الطائف ، تصحبهم لعنات أهل جدة ، إذ كانوا غير راضين بإقامة الأوربيين بينهم وأعربوا عن سرورهم بذهاب هاؤلاء الدُّخلاءِ بعباراتٍ غير ودية (ص ٢١٥ ــ ٢١٨) .

من جدة إلى الطائف : غادرت القافلة الصغيرة (جدة) في السابع عشر من شهر أيار سنة ١٨٣٣ تريد (الطائف) في يوم شديد الحرِّ ، إذ ارتفع الزئبق في الميزان إلى درجة ٣٨ مئوية داخل الخيمة . وكان يقودها خمسة عشر رجلاً من البدو ، ويحرسها بعض الخيالة الأتراك ، فأعرب شيخ البدو ــ وكان من قريش ــ عن استيائه من هذه الصحبة ، لأنَّ العربيَّ لا يثق بالعثماني ، ويخشى أن يعتدي الأعراب على القافلة بسبب وجود الأتراك .

ويعلمنا (تاميزيه) أن هناك ثلاثة طرق تصل جدة بالطائف ، الواحد منها يمر بـ (حَدَّة) ومكة ولا يسلكه إلا المسلمون ، والثاني يجتاز وادي فاطمة ، والثالث يمرُّ أيضاً بـ(حَدَّة) ومنها إلى (وادي الليمون) وهو الطريق الوحيد المفتوح لغير المسلمين . إلا أنَّ البعثة أخذت الطريق الثاني ، وسمح لها بالمرور بوادي فاطمة لأنها تابعة للقيادة العسكرية .

وما أنْ وصلت القافلة إلى (وادي فاطمة) حتى ابتهجت برؤية البرسيم والنخيل وعين ماء جارية عذبة صافية إلا أنها حارة . ثم تابعت طريقها وشربت من ماء بئر باروت(٩) ، ومنها أيضاً تستقي قبيلة لحيان التي تقيم في هذه المنطقة .

ويتابع (تاميزيه) وصفه فيقول : وجدنا غير بعيد عن هذه البئر بعض الخرائب الهامة ، وهي تدل على أنَّ بلدة كبيرة كانت قائمة في هذا المكان في غابر الزمن (ص ٢٤٥) . وبعد أن مررنا بشعاب ضيقة تسنمنا جبلا ، ثم انحدر بنا الطريق إلى (الزَّيمَة) حيث قضينا الليل .

ومن (الزيمة) دخلنا في واد عميق طويل يمر بين جبال عالية جرداء ، ثم اجتزنا سهلاً شاسعاً تصب فيه مياه الأمطار ، وتجري بكل قوة نحو (وادي فاطمة) ووصلنا بعد ذالك إلى مجرى ماء يقال له (السَّيْل)(١٠) ، وفي هذه المنطقة تقيم قبيلة عُتيبة ، وكانت الحرب مستعرة يومئذ بينها وبين هُذيل (ص ٢٥٢) .

ويحدثنا (تاميزيه) عن قبيلة عُتيبة ويُعْلِمُنَا أنها أغنى من جميع القبائل التي رآها ، فهي تملك كثيراً من الجمال والنياق والغنم والماعز ، بل عندها أيضاً عدد كبير من الخيل النجدية الشهيرة .

تابعت القافلة مسيرها وغادرت (السيل) في ٢٢ أيار سنة ١٨٣٤ ، ثم اخذت طريقاً جبليًا صعب المرتقى ، ولاحظ (تاميزيه) أنَّ البدو كانوا عبّدُوه بالحجارة ، وضعوها على شكل درجات حتى تتمكن الجمال من اجتيازه دون مشقة ، لاسيما بعد الأمطار . وهناك عدد من الجبال التي عُبِّدَتْ قممها على هذا الشكل ، وحفر البدو قناة إلى جانب الطريق المعبد لتسيل فيها المياه .

ويعلمنا (تاميزيه) أن العلاقات بين البدوي وجمله وُدِّيَّةٌ جدًّا ، فالبدوي يتحدث إلى جمله كما يتحدث إلى صديق ، ويغني له الأغنيات ليحثه على المسير [وهو الحَدْوُ المعروف] ، ويعده بالطعام والراحة بعد المشقة ، ولكن إذا تكاسل أو تقاعس فإنه ينتهره بالكلام ويشتمه .

وبعد سفر طال سبعة أيام وصلت القافلة إلى الطائف في الثالث والعشرين من شهر أيار ، حيث ضَرَبَتْ خيامها ، وأقامتْ في تلك الربوع الغَنَّاء عدة أسابيع ، تمكن خلالها (تاميزيه) من زيارة هذه البلدة ، والتنزه فيها ، ورؤية ضواحيها ، فوصفها ووصف أسوارها وبروجها وبساتينها وبعض عادات أهلها فقال : مدينة الطائف مبنية في سهل رمليٍّ تحيط به سلسلتان من الجبال، ثم تنضم الواحدة إلى الأخرى وتجتمعان فتصبح المدينة بينهما كأنها في وسط حَذْوَةَ حصان مفتوحة إلى الجهة الغربية . وللطائف ثلاثة أبواب : الأول منها ، في الشمال الشرقي ، يقال له باب مكة ويعرف أيضاً بباب (السيل) وباب الشريف ، وقد قام بتحصينه مؤخراً أحمد باشا ، وشيّد للدفاع عن المدينة قلعة مربعة الشكل، وثانيها باب السلامة في الجنوب الغربي ، وثالثها باب (أبو العباس)[11] . وهناك أيضاً باب رابع اسمه باب التربة[12] ، إنَّما صدر أمر محمد علي باشا بسده بعد أن انتزع البلد من يد (الوهابيين)[7] .

أما أسوار الطائف فبحالة جيدة ، يحيط بها خندقٌ عرضه عشرة أقدام ، وعلوه ثمانية لا ماء فيه . ويقول (تاميزيه) : قد درْتُ يوماً بهذا الخندق ، وعددت الخطوات ، فوجدت أنَّ دور المدينة طوله ٣٦٧٥ خطوة ، وعليه تسعة أبراج أسطوانية الشكل ، وأربعة عشر على شكل حذوة حصان ، وبرج واحد مسدس الأضلاع ، وآخر مثل قطر الدائرة ، قليل الارتفاع .

ولم يبق من الأبنية التاريخية مايستحق الذكر إذ هدم معظمها (الوهابيون)[٧] ولم يسلم سوى جامع (أبو العباس)[١١] أمام الباب الذي يحمل الاسم نفسه (ص ٢٧١ ومابعدها) .

وللطائف سوق واحد ، يقصده البدو خاصة ، يجد فيه المشتري أنواع الأثمار ، ومختلف البضائع التي تأتي بها القوافل من مكة (ص ٢٨٢) .

أمّا بيوتها فأصغر من دور (جدة) ودونها جمالاً ، وهي مكونة من طابق واحد ، يعلو على الطابق الأرضي . ومن أجمل دور المدينة دار كبير الأشراف أمام باب مكة (ص ٢٨٣) .

ويتحدث (تاميزيه) عن تاريخ الطائف في عصر النبي وكيف كُسِرَ صنمها اللّات [كما هو معروف مشهور في كتب التاريخ] . ويعلمنا أن (الوهابيين)[٧] وعلى رأسهم عثمان المضايفي ، كانوا استباحوا البلد سنة ١٨٠٢ ، وذبحوا عدداً من أهلها ، وأن الطاعون الذي اجتاح الحجاز قضى أيضاً على كثير من سكان الطائف ، ولذا فإنها كانت يوم زارها صاحب الرحلة لا تعد أكثر من ألفين وخمس مئة نسمة .

وهذه المدينة معتدلة المناخ ، لا يتساقط فيها الثلج إلا نادراً . وقد سجل (تاميزيه) درجة الحرارة أثناء إقامته في الطائف فوجد أنها تتراوح صباحاً بين ١٨ و٢١ درجة مئوية ، وظهراً بين ١٥ و٣١ ، ومساء بين ٢١ و٢٣ ، وفي منتصف الليل بين ١٦ و١٨ . ويضيف (تاميزيه) أنه سجل الحرارة تحت خيمته ، أما في داخل البيوت فهي دون ذالك (ص ٢٩١) ، وهذا المناخ المعتدل يجعل من الطائف مصيف أثرياء أهل مكة ، وهم يغادرون بلدهم من أوائل شهر حزيران ، هرباً من حرارتها الشديدة لينعموا بلطف هواء الطائف ، وجوها الصافي الذي لا مثيل له في كل البحر الأحمر ، على مايقول (تاميزيه) حتى أنه استطاع ــ وهو داخل الخيمة ــ أن يقرأ بكل سهولة على ضوء القمر ، مع أنها كانت من القماش الغليظ المبطن (ص ٣٤٣) .

وللطائف بساتين كثيرة وجميلة ، يملك المكيون العدد الكبير منها

(ص ٢٩٨) . وهي تنتج مختلف الأثمار ، مثل التين والتوت والبرقوق والموز والرمان والليمون . أما النخل فقليل جدًا لأن المناخ الجبلي البارد لا يلائم هذا النوع من الشجر . ومن أشهر ما تنتجه جنان الطائف العنب بمختلف أنواعه ، والورد الأحمر الذي يوزع في كل الحجاز .

ويتابع (تاميزيه) وصفه فيتحدث عن الزراعة والفلاحة ، وعن الحيوانات والحشرات التي تعيش في الطائف والجبال المحيطة بها ، منها الغزلان والأفاعي والعقارب والجراد والنحل .

ثم يصف الطريق من الطائف إلى مكة نقلاً عن المعلومات التي حصل عليها من الذين اجتازوا هذه المناطق (ص ٣٤٧ ــ ٣٥٢) .

وفي آخر فصل من الجزء الأول ــ وهو الفصل الحادي عشر ــ يلاحظ (تاميزيه) أن القارئ مازال يجهل الأسباب التي حملت محمد علي باشا على ارسال جيش نظامي ليحتل (عسير) [وقد ذكرناها باختصار في التوطئة] ، ولذا يسأل عنها أحد العارفين يدعى الدُسيري[١٣] وهو أحد أركان الحملة [وابن القائد الوهّابي الشهير عبدالوهاب أبو نقطة ، حاكم عسير تهامة في عهد الإمام سعود الكبير ، إنما (تاميزيه) يعرفنا به في الجزء الثاني من الرحلة] . فبسط له (الدُسيري)[١٣] أسباب الحملة على (عسير) قائلاً : إن محمد علي باشا كان قضى على (الوهابية)[٧] في نجد سنة ١٨١٩ ، بإيعاز من السلطان ، وظن أن أمرها قد تلاشى فإذا بها تبعث حية في بعض قبائل عسير ، وتحاول أن تعود إلى نشاطها الأول ، ولذا فقد صدر الأمر العالي باستئصال جذورها (ص ٣٥٩) . والواقع ان محمد علي يخشى أن يتمكن (الوهابيون)[٧] من خلق أسس جديدة للقومية العربية مما يحول دون تحقيق أهدافه ، لأنه يريد أن يستولي على البحر الأحمر ، ثم على داخل الجزيرة العربية ، وعلى اليمن . ويقول (الدسيري)[١٣] : ولاشك في أن شدّ أواصر القومية العربية أمر هام ونافع للمصلحة العامة ، ولكن كيف نستطيع أن نحقق هذا الحلم وكل بدوي يدعي لنفسه الإمارة ؟ .

فأجاب (تاميزيه) على سؤال (الدسيري)[١٣] قائلاً : (إن (الوهابية)[٧] هي القوة الوحيدة التي تستطيع أن تجمع بين مختلف شعوب الجزيرة العربية ، ومن المؤسف أنها صُدت عن تقدمها وهي في اندفاعها الأول، ولاشك عندي أنها ستعاود الكرة مرة أخرى) (ص ٣٦٢) .

وتابع الدسيري[١٣] تفسيره فقال : إن باشا مصر يريد أن يضع يده على اليمن . وهذا المشروع سهل التحقيق لأن إمام صنعاء قليل الخبرة ، وليس لديه القوات التي تستطيع أن تقف بوجه الجيش التركي . إلا أنَّ هناك بعض القبائل الكبيرة التي تكره العثمانيين ، فهي لا تتأخر عن مَدِّ يد العون إلى الإمام ومساعدته على ردِّ العدوان التركي ، ومن أهمها قبائل عسير ولذا يعمل محمد علي باشا على سحقها .

وبعد أن بسط (تاميزيه) أسباب الحملة المصرية على (عسير) يعلمنا أن قوامها ستة عشر ألف محارب بمعداتهم ، منهم ستة آلاف من البدو ، وكان الجيش على أهبة المسير من الطائف ، ولكن تنقصه الجمال للركوب وحمل الأثقال وبحاجة إلى مزيد من المؤنة . وبسبب قلة المياه وخوفاً من العطش قسم الجيش إلى قسمين الأول تحت قيادة رئيس الحملة أحمد باشا والثاني يقوده الشريف محمد بن عون .

ويختم (تاميزيه) الجزء الأول من رحلته بوصف سريع لمنطقة (أبو عَرِيْش) لأن منها طارت الشرارة الأولى التي اشعلت نار الحرب ، وذالك لما هاجمها أمير (عسير) ويحكم هذه المنطقة الشريف علي ، وهو شيخ طاعن بالسن ، كان له من العمر نحو ثمانين سنة ، إلا أنه متوقد الذهن نشيط لا يكف عن الحركة . ويقول العارفون : إن عدد نسائه بين زوجات وسريات منذ أول نكاح عقده يبلغ مئتين وخمس وتسعين امرأة : وان عدد نساء حرمه ـ وهو في هذا العمر ـ لا يقل عن أربعين امرأة : هذا هو العدو الذي يريد أمير (عسير) أن يقضي عليه .

(للبحث صلة) باريس : د. يوسف شلحد

[الحواشي] :

(١) رحلة إلى الحبشة : ٦٤/١ .

(٢) المصدر السابق : ٦٥/١ .

(٣) جزيرة النعمان جزيرة لاتزال معروفة ، تقع فيما بين الوجه وظبا جنوب بلدة ظبا بنحو ٤٠ كيلا ـ انظر ←

الجـــيم

لابي عَمْرٍو إسحاق بن مُرَارٍ الشيباني المتوفى سنة ٢١٠هـ تقريباً

وَطَوَّفَ بِي صاحبُ كتاب « الجيم » بين مرابع العرب ومراتعهم ، في صحرائهم ، من خلال مايورده من ألفاظ وجُمَل يشرحها ، ويتخذ منها مَوَادَّ لكتابه ، فيها طرافة وفيها استذكار لحياة عَاشَتْهَا أُجْيال قبلنا ، وقَدْ آذنت بِصَرْمٍ وابتعادٍ عنا .

قد لا يكون ما أحسست به من إمتاع اثناء مطالعة هذا الكتاب مما لا يُشاركني فيه كل القراء ، ولكن مما لا ريب فيه أن من بينهم ممن عاش ذالك العهد الذي

← قسم شمال المملكة ص ٣٢٢ من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » أما اصطبل عنتر فيقع في البر لا في البحر وكان من منازل الحجاج القادمين بطريق ساحل البحر الأحمر فيما بين ظبا والوجه . والجزيرة التي دعاها (كمران) غير معروفة في هذه الجهة ، ولعل الاسم محرف ، أو انه علق بذهن الرحالة اسم جزيرة كمران الواقعة في جنوب البحر الأحمر .

(٤) لعل الصواب : (جبل حسان) إذ في هذه الجهة جزيرة تدعى الآن (جزيرة الحساني) وكانت تدعى (جبل الحساني) انظر (قسم شمال المملكة) ص ٣٢٢ ـ ٤٣١ من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

(٥) لعله (الجار) وهو ميناء المدينة القديم .

(٦) رابغ ليس من مواقيت الحج ، ولكن الميقات يقع بقربه على بعد نحو خمسة عشر كيلاً شرقه في طريق المتجه إلى مكة .

(٧) تكررت كلمة (الوهابيين) وهو وصف كان اطلق قديماً على القائمين بنشر الدعوة السلفية من قبيل التنفير عنها ، باعتبارهم ذوي نحلة مخالفة للإسلام ، ولكثرة استعمال هذا اللقب الذي وضع أولاً للنيل من اولئك أصبح الآن علماً يطلق على كل من اتصف بالسلفية أو ناصرها .

(٨) لعل صواب هذه الكلمة (سواكن) اسم المدينة المعروفة في السودان .

(٩) لعل الصواب (البرود) وهي بئر كانت معروفة إلى عهد قريب في تلك الجهة .

(١٠) أصبح السيل الآن اسم بلدة ، واسم هذا الموقع قديماً (قرن المنازل) .

(١١) صوابه (باب ابن عباس) لكونه بقرب المسجد الجامع الكبير الذي قُبر فيه الصحابي الجليل عبدالله بن عباس .

(١٢) قد يكون (باب تربة) لكونه يفضي إلى الطريق الموصل إلى بلدة تربة .

(١٣) صواب الاسم (دوسري) .

كان أبناء البادية وكثير من سكان المدن والقرى يعولون في كثير من شؤون حياتهم على ماتجود به تلك الصحاري الواسعة ، التي تحيط بهم ، من نباتاتها وحيواناتها ونتاج أنعامها .

ولن نتوقع من أبي عمرو ــ إسحاق بن مُرَار الشيباني ــ مؤلف هذا الكتاب ، وقد فارق عالمنا منذ نحو اثني عشر قرناً ، أن يعرض علينا ملامح واضحة كاملة عن تلك الحياة ، لأنه لم يخصص كتابه لهذه الغاية ، ولكنه يلمع إلماعات قد نستشف من خلالها لمحاتٍ عن تلك الحياة .

من هنا رأيت إشراك القارئ في عَرْض طُرَفٍ شَدَّتْ ذهني إلى التعلق بهذا الكتاب حتى أكملت قراءة أجزائه الثلاثة .

١ ــ في اللغـــة :

للعامة في بلاد نجد تعبيرات فصيحة ، يُظن أنها عامية ، وقد أوشكت تلك التعبيرات أن تموت ، وقد يكون من بين دارسي اللهجات من عُني بتدوين ماهو من هذا القبيل ، ومما استرعى انتباهي منها :

١ ــ التَّجَوْجِي : كثيراً ماتسمع قول أحد العامة : فلان يُجَوْجِي ــ أي يذهب ويروح ، وقد لا يكون له غاية . وفي « الجيم » ١٣٥/١ : التَّجَوْجِي : الذهاب في الأرض . قال الأسدي : تَجَوْجَيْتُ .

٢ ــ تَحَتْحَتَ : يقال : صار القوم يتحتحون إلينا . أي يجتمعون ، وهذا تعبير فصيح ، ففي « الجيم » ١٤٠/١ : مازالوا يَتَحَتْحَتُون إلينا ، حتى اجتمع إلينا بشرٌ كثير .

ووقعت في المطبوعة : (يتحتجون) خطأ ، وحاول المحقق إعرابها فأَعْجَمَها فكتب : ولعلها (يتنحنحون) ؟!

٣ ــ الْحَتْوَةُ : ويقولون للنسَّاج : فلان يَحْتِـيْ ، بمعنى يَنْسِجُ ، وفي « الجيم » ١٤٠/١ : أَحْتَيْتَ الْغِرَارَة ، وهو ان تخيط عليها بعد خيطها الأول بِخَيْطَيْنِ والاسْمُ : الْحَتْوَة . انتهى فهُنَا مُشَارَكَةٌ في اللَّفْظِ ومعناه .

٤ ــ تَحَرْقَصَ : عندما تُشاهِدُ الْمَرْءَ الْمُتَطَلِّعَ لأمْرٍ مَّا ، كَثِيْرَ الحركة ، تُعَبِّرُ عن ذالك قائلاً : مالك تتحرقص ؟ وأصل التَّحَرْقُصِ التَّقَبُّضُ، قال في « الجيم » ١٩٣/١ : والتَّحَرْقُصُ أن يَتَقَبَّضَ الرجل أو الدابة من الْبَرْدِ أو الوجع .

٥ ــ الْحَفَرُ : يُسَمُّونَ في نجد التشقق الذي يصيب طَرَفَي الشفتين عند التقائهما (الْحُفَار) وفي « الجيم » ١٧١/١ : الْحَفَرُ : بَثْرٌ يَخْرُجُ مِنْ لِثَةِ الصَّبِيِّ ، ويقال : صَبِيٌّ مَحْفُور .

٦ ــ الْحَلِيْجَةُ : نوعٌ من الأكل ، وهو في اللغة : اللَّبَنُ فيه الزُّبْدُ ، وأورد صاحب « الجيم » ١٩٢/١ :

وأُسْقِي مَوْلَيَيَّ لِيَأْكُلانِي ... حَلِيجَ السَّمْنِ بِاللَّبَنِ الْحَلِيبِ

ولعل أصله الخلط وَ (الحَلِيجُ) مِنَ أنواع الطعام المفضلة في نجد ، ويسمَّى (المرقوق) .

٧ ــ الْخُبْرَةُ : قال في « الجيم » ٢٢١/١ : الْخُبْرَةُ من الطعام قصعة فيها خبزٌ ولحم بين أربعة أو خمسة ، والجفنة أكبر من ذالك . انتهى .

فهل اطلاق كلمة (الخُبرة) المستعملة في عامية نجد على جماعة من السُّفْرِ يشتركون في طعامهم ــ هل إطلاق هذه الكلمة مأخوذ من أصل المعنى ؟

٨ ــ ذَنَّ يَذِنُّ : كَثيراً ماكنت أسمع قولهنَّ وخاصة في الحديث عن أطفالهنَّ : صارَ يَذِنُّ عليَّ ، أي يُلِحُّ في طلب حاجته . وفي « الجيم » ٢٧٩/١ : مازال يَذِنُّ في تلك الحاجة حتى أَنْجَحَها وهو تَرَدُّدُهُ فيها ــ ذَنِيْناً ــ .

٩ ــ صَنَّهُ : الصَّنُّ نوع من الضرب ، تقول العامة : صَنَّ فلانٌ رأسَ فلانٍ بعصاه أو بحصاةٍ وفي « الجيم » ١٧١/١ : إذا ضرب الرجلُ رأسَ الرجل بالعصا قولنا : قَدْ صَنَّهُ صَنَّةً منكرة .

١٠ ــ الْعَمِيْتَةُ : كُنَّا نسمع من أمهاتنا اللواتي يتعاطن الخياطة ــ وقَلَّ بينهنَّ من لم تكن تحسنها ــ نسمعهن يسمِّين اللفافة من الصوف أو القطن عَمِيْتَةً ، وهذه

التسمية المستعملة في عصرنا تسمية فصيحة ، فقد جاء في كتب اللغة : الْعَمِيْتَةُ لُفَافَةٌ من صوف أو شَعْرٍ تجمعه المرأة . انظر « الجيم » ٢/٢٩٥ .

١١ ـ المِزْبَى : طَالمَا كُنَّا ونحن صِغَارٌ نشاهد أَخَوَاتِنا من نساء البادية حين يَفِدْنَ على القرى يحملن أطفالهن على جنوبهن ، وقد وضعن أولئك الأبناء في مِهَادٍ مَصْنُوعٍ مِنَ الجلد الناعم ، يُحِيْط بِأَطْرَافِهِ عصيٌّ تصونه من التثني ، وتحفظ له استقامته ، وكُنَّ يُسَمِّيْنَ ذالك المهد (المِزْبَى) بِمِيْمٍ مكسورة ، بعدها زاي فباءٌ موحَّدة مفتوحة ، فألف مقصورة ، وقد جاء في كتاب « الجيم » ٢/٨٤ : الْمِزْبَى مثل المَهْد من أَدَمٍ يُحمل فيه الصبي : انتهى ، والغريب أنَّ محقق الكتاب علق على هذا قائلاً : ليس في المعجمات ، ولعله من زبيت الشيء : حملته « اللسان » وفيها احتمال التصحيف من المربى ـ بالراء المهملة ـ انتهى ، والواقع أن كلمة (الْمِزْبَى) ـ بالزاي ـ لا الراء المهملة ـ صحيحة وليس نَفْيها من معجمات اللغة بصحيح فكتاب « الجيم » من أصول هذه المعجمات .

لم أحاول فيما تقدم ان استخرج مافي الكتاب من أمثال تلك الكلمات ، وإنما عرض لي ماقدمت منها لأوضح أن صلتنا بتراثنا القديم تفتح لنا آفاقاً من المعرفة ينبغي أن نتعاهدها دائماً لتزداد روافد تلك المعرفة .

٢ ـ في النبسات :

قل أن يوجد بين أبناء البادية أو من عاش في القرى قبل خمسين عاماً من يجهل ما اعتاد الناس في ذالك العهد من الاستمتاع أيام الربيع بمباهج رؤية ما تزدان به الأرض من نباتاتها الطيبة ، بل من لم يكن يرتاد الخلا لِجَنْي كثير من النباتات للأكْلِ ، كَالْحُوَّاء والذَّعاليق والبَسباس والْحُمَّاضِ والْحَمَّصِيْصِ وغير ذالك مما يؤكل ، ولجني الْكَمأةِ وما شابهها ، ومنها نوع من الْفُطْرِ يسمى (الْعُرْجُون) ولعلك لو سألت بعض المعنيين بالدراسات اللغوية عن هذا النوع من النبات لاستغربه ، وفي كتاب « الجيم » ٢/٢٤٢ : العرْجون : مثل الفُطْر ، أو مثل (فَسْوَةِ الضَّبُعِ) ، وهو مثل الْفَقْعِ ، إلا أنه أطول منه ، وقال : حملتْ على جَمَلِها الرَّقْمَ حتى صار كأنه عُرْجُونٌ من الْحُمْرة ، وأنشد :

فِي خِدْرِ مَيَّاسِ الدُّمَى مُعَرجَن

وقول صاحب « الجيم » : (فسوة الضبع) هو ماكنا نسميه : (فَسْوَةَ العجوز) ، وهو نوع من الْفُطْرِ ، لا يُؤْكَلُ ، لِأَنَّ رأسَهُ يَسْوَدُّ وَيَمْتَلِئُ بِغُبَارٍ شديد السواد كالْكُحْلِ ، ولايزال معروفاً بين أبناء البادية و (العجوز) هنا هي الضَّبُع .

٢ ــ في الحيــوان :

ومع أن كتاب « الجيم » كتاب لغوي ، خُصِّصَ لشرح المفردات اللغوية إلَّا أنه قد يستطرد فيأتي بما يريح ذهن القارئ الذي قد يكون بحاجة الآن إلى أن يعرض له طرفٌ من ذالك ، قال (١/٧٢) في شرح هذه الأبيات ، ولَعَل إعجاب أبي عَمْرٍو بها دَفَعَهُ للاسترسال في الحديث عن الضباب فنسيَ ماهو فيه :

أَرَّى بـكَـفَّـيــهِ وَأَقْـعَسَ رَأْسَــهُ وحَظْرَبَ نَفْخاً مَسْكَهُ فَهْوِ حاظِبُ

أي ملآنُ . قوله : أَرَّى : أَيْ أَنْشَبَ كَفَّيْهِ في الأرْضِ ، يَعني الضَّبِّ .

فلما رَأَيتُ الْقَبْضَ يَـزْدَادُ فَتْـرةً وأيقنْتُ أَنَّ الضَّبَّ لابُدَّ ذَاهِبُ
قُمْتُ وعِيْدَانُ السَّلِيخَةِ قَدْ جَذَتْ جُـذُوَّ الْمَرامِي بَـين بَادٍ وغَـائب
وآخرَ أبدَى عَنْ ضُلوعِيَ خَدْشُهُ ومُسْتَمْسـكٍ تَعْتَعْتُهُ فَهْـوَ نـاشِبُ
وذَبَّ على صَدْرِي دَبِيباً وَلَبَّتِي مَعَ الْبَرَضِ الزُّرْقِ الْعُيُون الحَنَاظِبِ
خَليلُ عَذَابٍ بين حَزمَيْنِ يَرْتعي أَعَـاشِيْبَ مَوْلِيٌّ سَقَتْـهُ الْهَضَـائِبُ

السَّلِيخَةُ : مابقى من جِذْل العَرْفج وأصلهِ .

وقال رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ : وأَتي جَبَلاً ، يقال له : طِمِرٌّ ، فاصْطَادَ من ضِبَابِهِ ، وأَرَكَ به هو وأهلُه ، فقال :

واللهِ لَـولاَ أَكْـلَةٌ في الْمَـرِّ بِـكَبِـدٍ بَـكُـشْـيَـةٍ بِـظَهْـرِ
لَقَدْ خَلا مِنَّا قَفَا طِمِرٍّ

وقال : إذْ كُلُّ شَيْءٍ يتكلم ، ولاَ يأْكلُ الإنسانُ الضبَّ ، ولاَ يَدْري ماهو ، فناداه

ضَبٌّ : يا إنسان ! يا إنسان ! حتى إذا نَظَر إليه قال : وَيْلَكَ ماتَركْتَ بالوَادِ ، تركْتَ أيّما زادْ ، كُلْي بأكبادٍ !! فرجع إليه الإنسان فأخذه ، فقال : أُخَيُّك أُخَيُّكَ !! فأرسله ، فلما ذهبَ عنه ناداه بمثل الكلام الأول ، فرجع إليه ، فسحطهُ وأكله ، فلم يَزالُوا به يأكلونه بَعْدُ .

والضب ذو أمثال ، يضربها النَّاسُ أمثالاً .

فَزُعِمَ أنَّ الأسدَ تأمَّرَ فملك كُلَّ شيْءٍ من دواب الوَحش ، فلما مَلَكَها سَمِعْنَ وأَطَعْنَ ، إلاَّ الضَّبَّ ، أرسلَ إليه فأبى ، قال : من يَأْتيني به وله الحُكْم ؟! قال الثعلب : أنا بخِدْعي ، قالت الضَّبُعُ : وأنا بحيلتي ، قال : فاذْهَبَا فأْتِياني به ، فلما خَرجا ، قال الثعلب للضبع : حِيلَتُك ياضبعُ ! قالت : حِيلَتِي أن تَضْرِبَنِي وَتغْصِبَنِي تمْرَتي ، قالت : فأُخَاصِمك إلَى الضَّبِّ ، قال : فَفَعَل ذالك بها ، فأقبلتْ ، والضبُّ مُنْبطِحٌ على سَنَدِ شَجَرَتِهِ ، فلما دَنَوَا منه وخافَا أنْ يَنْجَحِرَ ، قالا : يا أبا حِسْلٍ ، إنَّا نَخْتصم إليك فانتظرنا ! فانْجَحَر في جُحْرِهِ ، فقال : في بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ . فأزَفا إلى بابِهِ ، فقال : قِصَّتَكِ ياضَبُعُ ؟ قالت : كانَتْ لِي تَمْرَة ، قال : حُلْوًا جَنَيْتِ . قال : فاخْتَلَسَها الثعلَبُ ، فَلَطَمْتُهُ فلطمَنِي ، قال : حُرٌّ انْتصرَ . فَرَجَعَا ولم يُغْنِيَا شيئاً .

وكان الضبُّ إذا وَلَدَ يُحذِّرُ وَلَدَهُ الإنسانَ ، فيقول : احذَرِ الحَرْشَ يابُنَيَّ ، قال : فبينما هو ذات يوم في قَلَعَةٍ هو وابنه ، إذْ وَجَدَ الإنسانُ أثَرَ الضبِّ في الْقَلَعَةِ ، قال : فأخذ الإنسانُ مِرْدَاةً ففلق الْقَلَعَةَ رَدْياً ، فقال يَأبتِ آالْحَرْشُ هذا ؟! قال : يابُنيَّ هذا أجلُّ من الحَرْش ، فأذهبها مَثلاً . وقال : إذا ضربُوا مثلاً للذليل : ماصارُوا لهم إلا مَثل الْمَراغَة ، أو كَعَرْفَجَةِ الضَّب التي يتذَلَّلُ .

إلى آخر ماذكر ، وفي بعض ماتقدم إطالة وإملال ، فإلى نظرة أخرى في هذا الكتاب .

[للحديث صلة]

حمد الجاسر

المؤتلف والمختلف
للدارقطني الحافظ علي بن عمر البغدادي (٣٠٦/٣٨٥)

كُتِب في طرة الكتاب : (هذا الكتاب رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ونوقشت بتاريخ ١٤٠٦/٨/١٥هـ (١٩٨٦/٤/٢٤م) ومنحت درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى في السنة وعلومها) . ومقدم الرسالة هو (الدكتور موفق بن عبدالله بن عبدالقادر) الذي درس الكتاب وحققه ، فجاءت دراسته عن التعريف بالإمام الحافظ الدارقطني ترجمة مفصلة من ١ ـ ٦٨ من الصفحات ، ثم (المؤتلف والمختلف وأشهر من ألف فيه) فدراسة الكتاب إلى ١٤٥ فالكتاب في أربعة أجزاء بلغت صفحاتها (٢٣٥٢) وأفرد للفهارس جزءاً خامساً بحيث بلغ مجموع الصفحات ٢٦٦٦ .

ولعل مما يكفي للتدليل على مابذله المحقق من جُهْدٍ الاطلاع على أسماء الكتب التي رجع إليها، فقد أَبْلَغَهَا خمس مئة وثمانية وخمسين كتاباً .

ولكن هذا لا يمنع من الارتياب في دُرْبَتِه ــ وفقه الله ــ بقراءة المخطوطات ، فأول مايبدأ القارئَ في مطالعة أصل الكتاب ــ ص ١٥١ ــ تصدمه كلمة (السلماني) في ترجمة بُجَير بن زُهَير بن أبي سُلْمَى هكذا : (أخو كعب بن زهير السلماني) فإذا رجع إلى اللوحة المصورة من الأصل أبصر الكلمة واضحة (أسلم . . .) ومابعدها لم يتضح ، ولاشك أنه (بعد الفتح) أو ما هذا معناه ، وماكان أمر كعب بن زهير وخبر وفادته على ﷺ وإسلامه وقصيدته (بانت سعاد) وماجرى بينه وبين أخيه بُجَير قبل ذالك ، ثم معرفة كونه من قبيلة مزينة ــ ماكان شيء من ذالك مما يخفى على صغار طلبة العلم .

وَهَب أن الكلمة وردت في الأصل أليس من أولى لوازم التحقيق البحث في أصل هذه النسبة التي أُلصقت بالرَّجُل ؟

ومن هذا ماورد ــ ص ١٥٣/١٥٤ ــ : (اشترى علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ بنت ربيعة بن بُجَيْرٍ الثعلبي ، فأَفْخَذَها فولدت له عمر ورقية) . . . الخ .

فكلمة (الثَعْلَبي) واضحة في الصفحة المصورة من الأصل (التغلبي) وهي

ملحقة في الهامش وهي الصواب ، فهو رئيس بني تَغْلِب من ربيعة ، وليس (ثَعْلَبِيًّا) .

وكلمة (فأَفْخَذَهَا) هي على مايتضح من صفحة الأصل المصورة في المقدمة : (فاتخذها) وفوق الكلمة مايشير إلى إلحاق شيء في الهامش ، ولكن لم يتضح في التصوير ، وعلى فرض ورود الكلمة في الأصل (فأفخذها) ماهو عمل المحقق إذا لم يتثبت من صحة الكلمة صورة ومَعْنًى ، لا سِيَّما بعد ان اتضح له مخالفتها لما بين يديه من مراجع ؟! وأيُّ معَنًى لِلتَّفَخُّذِ هنا ؟

ولا تَهُولَنَّكَ كثرةُ المراجع التي سرد المحقق الفاضل أسماءها في آخر الكتاب ، فإن من بينها ما يظهر أنه ــ وفقه الله ــ قليل العلم بها ، ومن أمثلة ذالك :

١ ــ ص ٧٢ : قوله عن كتاب « الإيناس في علم الأنساب » : (وطبع بعناية حمد الجاسر ، ونشر مع كتاب « مختلف القبائل ومؤتلفها » لابن حبيب ، و « الإيناس » هو مختصر لكتاب ابن حبيب « المؤتلف والمختلف» مع زيادات عليه) .

والواقع أن كتاب « الإيناس » ليس مختصراً لكتاب « مختلف القبائل ومؤتلفها » بل هو مكمل للكتاب الذي وصفه مؤلف « الإيناس » بقوله : (وَحَمَلَنا على إثبات هذا التعليق استحسانُنَا صُنْعَ أبي جعفر محمد بن حبيب في كتابه الذي سماه « المؤتلف والمختلف » فإنه لَحَبَ لنا هذا السبيل الذي كان عليه استفتاحُها ، وعلينا إكمالها وإيضاحها) انتهى ، فـ « الإيناس » أوسع وأشمل من كتاب ابن حبيب .

٢ ــ ص ٧٠ : وقال عن « المؤتلف والمختلف في أسماء القبائل » : (نشره المستشرق الالماني فرديناند وستن فيلد . . . وأعاد تصويره حمد الجاسر مع كتاب « الإيناس ») انتهى .

والواقع أنَّ الذي صور هذا الكتاب هو الأستاذ قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ــ رحمه الله ــ أما أنا فقد أعدتُ طباعته بعد تصحيح ماظهر لي أنه بحاجة إلى التصحيح .

٣ ــ ص ٧٦ : عَدَّ كتاب « عجالة المبتدي وفضالة المنتهي » في النسب

للحازمي ـ عده من كتب « المؤتلف والمختلف » قائلا : (إن المتمعَّنَ له يتبين له أنه من كتب ضبط الأنساب ، وأنَّ مادته في المؤتلف والمختلف) . وبصرف النظر عن هذا القول الذي يدخل كل كتب النِّسْبَة في باب المؤتلف والمختلف إلا أن مما يلاحظ على المحقق أنه قال عنه : (طبع بتحقيق عبدالله سحنون ـ القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع) . . . الخ .

هكذا ورد اسم المحقق جَافًا وهو من كبار علماء هذا العصر ، وأغزرهم تأليفاً ، وأوسعهم شهرة ، بينما يسبغ المحقق صفات الأستاذ والدكتور على زملائه من الطلبة ويضن بأقلها على هذا العالم الجليل ، ومحقق هذا الكتاب ليس (سحنون) بل (كنُون) وهو من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والكتاب قام بنشره هذا المجمع ، فكان الأولى أن ينسب إليه .

إن القارئ قد يحس في بعض العبارات المتقدمة شيئاً من القسوة ، ولكنها من قبيل قسوة الناصح الشفيق ، الذي يريد لطلاب العلم الخير ، ويسعى لكي يسير هاؤلاء الذين أصبحوا موجهين وأساتذة في جامعات بلادنا على نهج السلف الصالح ، وأن يتخلقوا بأخلاقهم التي من أهمها إجلال العلماء ومعرفة مكانتهم ، ومَنْ أولى بذالك من طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ثم من بعد ذالك أن يصرفوا العناية التامة لإبراز أعمالهم على خير الوجوه .

ولا أدري أيسوغ لطالب أن يتقدم بكتاب ناقص ليتخذ منه موضوعاً لنيل اجازة (الدكتوراه) ؟!

ولا أُكَلِّفُ المحققَ الفاضل شططا حين أروم منه التحري عن كتاب « الاعلام بما في كتاب المؤتلف والمختلف من الأوهام » للعالم الأندلسي المشهور الرشاطي عبدالله بن علي اللخمي (٤٦٦/ ٥٤٢هـ) وقد ذكره الذهبي في « سير اعلام النبلاء » ٢٠/ ٢٥٩ .

أو الاطلاع على مؤلف الرشاطي «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار» إذ لا استبْعد أن يكون قد تعرض لكتاب الدارقطني فيه ، ولهذا الكتاب بقية ، وله أيضاً مختصر .

والله الموفق . . .

حمــد الجاســر

خطبة الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي

في حضرة السلطان العثماني : عبدالعزيز بن محمود (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)

[حققها ، وقدم لها ، وترجم لصاحبها ، وصنع فهارسها الدكتور عبدالله بن محمد بن حسين أبو داهش أستاذ الأدب المشارك في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية]

المقـدمة : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين : محمد وآله ، وصحبه أجمعين ، وبعد : فلقد عاشت بلدان تهامة ، وعسير في غضون القرن الثالث عشر الهجري حياة علمية مناسبة . وذالك على أثر انتعاش الحياة الفكرية والأدبية بتلك الأنحاء عبر هذه الفترة ، إذْ وُجد من أسباب الثقافة ، والفكر ماساعد على ذالك الانتعاش العلمي ، وذالك على الرغم من وجود بعض القلاقل السياسية ، والفتن الداخلية ، وماسلكه العثمانيون الأتراك من سياسة جانية مُخلة ، فلقد عاش العلماء في هذه الأثناء حياة قلقة غير عادية ، كلفتهم في بعض الأحيان الغربة ، والإهانة ، والطرد من الأوطان . وما أحمد بن عبدالخالق الحفظي من هذا الحال ببعيد !

وإذا أُدرك هذا الواقع الفكري ، وتلك الفرقة السياسية تبين للناظر في هذا التراث أن تلك الأوضاع مجتمعة قد أسهمت في تكوين هذا النتاج الفكري ، وأنها صبغته بصبغة فكرية ، اجتماعية ، سياسية فريدة ، ولعل هذا الأثر الأدبي الذي بين أيدينا الآن يؤكد هذا القول ، ويمثل تجربة هذا الأديب خير تمثيل ، فالحق أن الموقف الذي صدر عنه الحفظي ، وهو في المنفى بتركيا ، ليدل على روح سلفية واضحة ، ويعبر بصدق عن تجربة نفسية حزينة ، وهذا مايمكن عدّه من الأدب المميز الذي أسهم به أدباء عسير في هذه الظروف الحرجة الصعبة . وينطبق هذا الحال تماماً على إخوانهم الأدباء في تهامة الذين أسهموا بشيء من نتاجهم الأدبي في ميدان الحنين ، حينما تجرعوا مرارة الغربة ، والبعد عن الأوطان ، فلقد اصطبغ ذالك الأدب عندئذ بشيء من ملامح الحزن ، وصدق التجربة .

وفي الحقيقة أن أحمد بن عبدالخالق الحفظي يُعد من أشهر علماء رجال ألمع ،

وأدبائها في تلك الفترة ، بل من أبرز شعراء الجزيرة العربية في ذالك العهد ، إذ تميز موقفه الإسلامي بشيء من الوضوح . وكان على دراية بأحوال العالم الإسلامي ، كما أنه كان كثير الحرص على لَم الشمل ، ودفع الفرقة ، والخلاف ، فلطالما رسم هذه الآمال في شعره ، ونتاجه الأدبي بعامة ، إلى جانب أنه استطاع أن يعمر الحياة العلمية في بلدان رجال ألمع ، وبقية بلدان عسير الأخرى . وذالك عن طريق الدرس ، والإصلاح ، والدعوة إلى الله ، ومع ذالك كله لم يسلم من أذى الترك ، وعسفهم ، إذ رموه بالخروج على الوالي ، وشق عصا الطاعة ، وقالوا : بأنه يؤلب الناس ، ويحزبهم ، وأنه كان يدعو إلى الفرقة والخلاف ، مما أدّى به إلى السجن ، فلقد سعى المغرضون في أسره ، ونفيه .

ويُعَدُّ هذا العالم بحق خاتمة للعلماء الحفظيين برجال ألمع ، إذْ لم يبلغ شأوه عندئذ أحد منهم ، ولا من مواطنيه العلماء بعسير حينذاك ، فلقد فاقهم جميعاً بمنزلته العلمية ، ومكانته الاجتماعية ، وماكان عليه من التقى والصلاح ، فالواقع أنه إلى جانب إسهامه في ميدان الأدب ، والتأليف كان خطيباً مُفوهاً ، وذا صلة بعلماء عصره في تهامة ، والحجاز ، واليمن ، مما وسم حاله العلميَّ بالتميز والندرة ، وذالك كله أضفى على شخصيته شيئاً من الشهرة ، وذيوع الصيت .

ومهما يكن من أمر فإن الباحث في ميدان التراث بهذه الأنحاء من جزيرة العرب يلمس ندرة ذالك التراث أو قلته ، وبخاصة في عسير ، إذ غلب على نتاج علمائه التقليد ، والاتباع ، إذ هم يظهرون ميلهم نحو اقتناء مؤلفات مشايخهم وتملكها ، إلى جانب رغبتهم في التأليف الديني ونحوه . وذالك ماجعل النتاج الأدبي في ميدان النثر محدوداً غير وافر ، ولئن قيل بندرة هذا النتاج ، فإن ما أصابه من أسباب التلف ، والضياع يُعد من مظاهر ندرته ، وقلته . فالحق أن هذا الواقع قد أثر في نهضة الأدب ، ونشاطه ، وجعل الباحثين المعاصرين يصْدفون عن العمل في ميدانه ، إذ هم يتهيبون الخوض في مجال تحقيقه ونشره ، ويحجمون عنه . وذالك من أجل مايقع في سبيل نشره من مصاعب التوثيق ، وإصلاح النصوص ، فهي — كما قيل — لم تسلم من آثار الضعف اللغوي والأسلوبي ، فضلاً عما يعتريها أحياناً من مظاهر الوهن الفكري ، وما أصابها من الضرورات

والمآخذ السياسة والاجتماعية أحياناً .

وإذا أُدرك هذا الحال تبين للناظر في هذا الأثر الأدبي الذي بين أيدينا الآن ، أنه قد احتاج إلى التوثيق ، والتحقيق ماوسع المحقق الأمر ، وأنه قد استدعى الرعاية والاهتمام ، فصاحبه من العلماء الذين يجهلهم الباحثون المختصون في تاريخ الأدب بهذه الجزيرة العربية الواسعة ، وهو ممن لاتتوافر تراجمهم ، ولا أخبارهم بيسر وسهولة ، كذالك كان حال النص ، وما أحاط به من ظروف متفاوتة يحتاج إلى شيء من الإيضاح والتبيان ، فلربما عُدَّ هذا الواقع من متاعب التحقيق ، ومشقته ، ولقد تمثل هذا التحقيق في ترجمة مناسبة للمؤلف في إيضاح محدود لملامح العصر ، ومعالمه ، بالإضافة إلى توثيق النص ووصفه ، وتحقيقه . وذالك كله أتى في محاولة جادة لإخراجه في صورة علمية مقبولة ، إلى جانب ماعمد إليه المحقق من صناعة لعدد من الفهارس ، والكشافات . وذالك مما يُعد من كمال التحقيق وتمامه .

وإزاء ماتقدم يمكن القول بأن هذه الخطبة النثرية تعد من الآثار الأدبية النادرة ذات المدلول التاريخي المهم ، فلقد تعرض صاحبها في مضمونها إلى حقائق سياسية خطيرة ، وقضايا اجتماعية مختلفة ، إذْ لم تكد هذه المعاني تظهر لدى المؤرخين ، إلا بعيد تدوينها من لدن هذا العالم ، حيث عمد ــ رحمه الله تعالى ــ إلى إيضاح واقع هذا الأسر ، وتبيان أخباره ، وذالك حين قصّ رحلته في هذه الخطبة ، وماجرى له هو والذين معه من المصاعب والآلام . وذالك كله في صورة أدبية مناسبة ، فالحق أن تحقيق مثل هذه النصوص يزيد في إيضاح تاريخ الأدب بهذه المنطقة ، ويشير إلى أهمية دراسته ، ناهيك عن عَدِّهِ سبيلاً للتعريف بتراث علماء هذه الأجزاء من جزيرة العرب ، وطريقاً بيناً لمستوى الأدب عندئذ ، ومنازل الأدباء ومكانتهم ، فالواقع أن ذالك التاريخ الأدبي لم ينل حقه من الدراسة والتحقيق ، وإني تجاه هذا العمل أشكر الله تعالى ، وأثني عليه ، إذ هو صاحب الفضل والمنّة ، فلقد يسر لي سبل البحث في تراث هذه المنطقة ، وهيأ أسباب العمل في ميدانه ، فله الحمد الواسع ، والشكر الجزيل ، ومن بَعْدُ أشكر من أسهم في الحصول على هذا الأثر الأدبي ، وأخص به الأستاذ عبدالخالق بن

سليمان الحفظي الذي سعى مشكوراً في تزويدي بصورة من هذا النتاج المفيد ، فضلاً عن إفادتي بشيء من المعلومات النادرة حول حياة هذا العالم وترجمته ، فله مني الشكر والتقدير ، وأقول : اللهم لك الحمد حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك : ﴿ وسُبحان رَبِّك رَبِّ العزةِ عما يصفون ، وسلاَمٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ﴾ .

أحمد بن عبدالخالق الحفظي :

نسبه ومولده: هو : أحمد بن عبدالخالق بن إبراهيم [الزمزمي[١]] بن أحمد [الحفظي[٢]] بن عبدالقادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جغشم بن عُجيل بن عيسى بن حسن بن محمد بن أسعد بن عبدالله بن أحمد بن موسى بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر عُجيل[٣] . يعود نسبه في : ذؤال بن شَنُوءة بن ثوبان بن عبس بن غالب بن عبدالله بن عك بن عدنان[٤] ، « من بيت الأكيد أحد بيوت عك . . . القبيلة المعروفة بتهامة[٥] » ، وتعرف أسرة هذا العالم ببني عجيل[٦] ، وهم : « من بيوت العلم والسيادة[٧] » ببيت الفقيه[٨] بتهامة اليمن ، هاجر فرع منهم إلى بلدة رجال ألمع[٩] بتهامة عسير عام الألف بعد الهجرة[١٠] ، إذ قيل : إن أحد أجداد هذا العالم ، وهو موسى بن جغشم[١١] قد : « أخرجه الترك من أرض اليمن[١٢] » ، في ذالك العام ، حيث « استوطن رُجال[١٣] ، وبنى بها المسجد المشهور ، سنة واحدة بعد الألف[١٤] ، ولقد أكد هذا القول المؤرخ الحسن بن أحمد عاكش[١٥] (١٢٢١ ــ ١٢٩٠هـ) في رسالته الموسومة بـ : « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري[١٦] » حين ذكر أن سبب « تأليفها ، وواجب تصنيفها [أنه[١٧]] مع انتقال جدهم [الشيخ بكري بن محمد العجيلي[١٨]] إلى قرية رُجال البلدة المعروفة في بلاد رجال ألمع ، واستقرارهم في تلك الجهة ، جهل الناس نسبهم ، ووقع القدح فيه ممن لا خبرة له ، ولا معرفة[١٩] » ، مما دفع عاكشاً إلى تبيان حالهم ، وإيضاح نسبهم ، وقال بأنهم من بعد : « علماء تلك البقاع ، وعلى فتاويهم وأحكامهم المعول بلا نزاع[٢٠] لذالك يتحقق أن نسب أحمد بن عبدالخالق الحفظي يعود في أسرة آل عجيل برجال ألمع ، وأن أباه وجده

من أشهر علماء عسير حينذاك ، وجملة القول : أنه كما وصف نفسه : « أحمد الحفظي بن عَبْدَ الخالق الزمزمي العجيلي نسباً الشافعي مذهباً . . . والتهامي مولداً والسني معتقداً[٢١] » ، وكانت ولادته ــ رحمه الله تعالى ــ سنة خمسين ومتين وألف من الهجرة بقرية عثالف بوادي حلي من أعمال تهامة عسير[٢٢] .

نشأته وتعليمه الأولي : نشأ أحمد بن عبدالخالق الحفظي في حجر أبيه ، وفي كنفه ، إذ « تلقى مباديُ العلوم على يده[٢٣] » ، وشب في ظلاله على حبِّ العلم ، وطاعة الله ، ولقد أخذ عنه من بعد في جامع رُجال[٢٤] الكتب الستة ، والمستدرك للحاكم ، والدر المنثور للسيوطي ، وتفسير البغوي ، والمنهاج للنووي ، والإرشاد ، وفتح الجواد ، وفتح الوهاب ، وقطر النَّدَى ، والتجريد شرح التوحيد ، والتحفة الأنسية[٢٥] وغيرها ، ولم يقتصر هذا العالم في طلبه على أبيه وحسب ، وإنما أخذ على جملة من علماء بلده ، إذ هيأه ذالك للهجرة ، وطلب العلم .

هجرته في سبيل العلم : ارتحل أحمد بن عبدالخالق الحفظي في سبيل العلم إلى المخلاف السليماني[٢٦] ، والحجاز ، ولعل نفيه إلى تركيا يُعد من مراحل هجرته في طلب العلم ، إذ أخذ عن بعض العلماء هنالك . وتأتي رحلته إلى المخلاف السليماني في مقدمة رحلاته العلمية ، إذ وفد إلى مدينة أبي عريش[٢٧] فأخذ عن القاضي الحسن بن أحمد عاكش في العلوم الدينية والعربية ، وفي ذالك يقول عاكش نفسه في معرض حديثه عن الحفظي : « وقد هاجر إلينا مدة ، وقرأ في النحو والفقه ، واستفاد كثيراً[٢٨] » ، وكان ذالك التحصيل العلمي في مدرسة عاكش العلمية[٢٩] بأبي عريش ، حيث أجازه شيخه عاكش إجازة علمية ، قال فيها :

هذا وقَدْ شَدَّ الرَّحيل طَالِباً   للعلم مَازالَ لَهُ مُوَاظِباً
أعْنِي بذاك أحْمَدَ الحِفْظِيَّا   أكْرِمْ بذاك العالم الذكِيَّا[٣٠]

ولم يقتصر طلب الحفظي على شيخه عاكش ، وإنما أخذ على نفر من علماء أبي عريش ، وضمد[٣١] كما سيأتي بيانه من بعد في ذكر شيوخ هذا العالم ، ومن

العلماء الذين أخذ عنهم الحفظي بمكة المكرمة الشيخ صالح جمل الليل[٣٢] الذي يقول فيه : « وبمكة الشيخ صالح جمل الليل قرأت عليه الفاتحة بحضرة شيخنا الوالد ــ رحمه الله ــ وهو يدرس بين الركن والمقام[٣٣] »، ويمكن القول بأن الحفظي أخذ على بعض علماء السراة بعسير ، مثل الشيخ مسفر بن عبدالرحمن الحنبلي الدوسري[٣٤] ، وظافر بن سعيد[٣٥] اللذين كانا في عسير في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري إبان ازدهار الحياة العلمية بتلك المنطقة ، ووضوح الاتجاه السلفي فيها .

شـــيوخه : أفاض أحمد بن عبدالخالق الحفظي في ذكر مشايخه الذين تلقى العلم على أيديهم ، فلقد ذكر جملة منهم في مواطن عديدة من كتبه ومذكراته ، فضلاً عما حوته إجازته المخطوطة من ذكر لأشياخه المشهورين الذين أخذ العلم عنهم في وطنه ، أو في البلدان المجاورة التي هاجر إليها ، ولعل من أشهر مشايخه برجال ألمع والده عبدالخالق بن إبراهيم الزمزمي بن أحمد الحفظي ، وزين العابدين بن محمد بن الحفظي[٣٦] ، وعبدالرحمن بن محمد الحفظي[٣٧] وأحمد بن عبدالهادي[٣٨] ، وسليمان بن محمد الحفظي[٣٩] ، وفيهم يقول : « هؤلاء الذين أخذت عنهم العلم بمهبط رأسي من البلاد ، في منزل الآباء والأجداد المشهور بالجد والاجتهاد[٤٠] » . أما مشايخه الذين رحل إليهم فمنهم بأبي عريش : الحسن بن أحمد عاكش[٤١] ، وأحمد بن محمد الضحوي[٤٢] ، ويوسف المبارك[٤٣] ، والسيد علي[٤٤] ، ومنهم في ضمد الشريف محمد بن ناصر الحازمي[٤٥] ، والشريف عباس بن إبراهيم الحازمي[٤٦] ، وحسين بن أحمد بن إسماعيل الحازمي[٤٧] ، وفي مقام الحفظي لدى هؤلاء الأعلام ، يقول : « أقمت بقرية ضمد برهة من الزمان ، حتى كان ابتداء خلع عذاري بذالك المكان[٤٨] » ، وفي جبال عسير أخذ ابن عبدالخالق ــ كما قيل من قبل ــ عن : مسفر بن عبدالرحمن الحنبلي ، وظافر بن سعيد ، وفي مكة المكرمة أخذ عن صالح جمل الليل ، وفي أولئك العلماء جميعاً يقول الحفظي : « فهؤلاء الذين أخذت عنهم ، وصحب القوم منهم[٤٩] » .

أعمـــاله : تولى أحمد بن عبدالخالق الحفظي مَهَامَّ التدريس في المدرسة

الحفظية بعثالف ، إذ كان القيم فيها[٥٠] ، كما أنه تقلد منصب القضاء في عهد الأمير محمد بن عايض بن مرعي[٥١] (٠٠٠ ــ ١٢٨٩هـ) حيث ذكر عاكش أن من أعماله تولي « وظيفة القضاء[٥٢] » . وكان مفتياً لمنطقة عسير منذ عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م ، إذ قيل في إحدى الوثائق الخطية : « قد أذنّا للشيخ أحمد الحفظي أفندي مفتي عسير بصرف زكاة بلاده وبلاد والده على نظره . . .[٥٤] » ، وكان في عهد المتصرف التركي أحمد فيضي[٥٥] (١٢٩٤ ــ ١٢٩٧هـ) القيم في مسجد رُجَال ، إذ قيل في إحدى وثائق هذا المتصرف المرسلة لأهالي رُجَال في ٦ شوال ١٢٩٥هـ : « إن الشيخ أحمد أفندي الحفظي من العلماء الكرام ، يجب له الإكرام والاحترام ، وقبول النصيحة ، وأن وظائف مسجدكم بنظره على عادة آل الحفظي الأعلم فالأعلم ، والأرشد فالأرشد ، والمشهور أنه أعلمهم وأرشدهم[٥٦] » ، وقد أدّى هذا الحال بالحفظي أن هيأ له مقام الخطابة في جامع رجال بتهامة عسير ، وبعض بلدان السراة ، وجملة القول أنه أصبح في زمانه رئيساً لقضاة عسير ، إذ وصفه معظم مؤرخي عسير بهذه المنزلة ، فلقد قال عنه هاشم النعمي ومحمود شاكر إنه : « رئيس قضاة عسير[٥٧] » حين أسره الترك في نهاية العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري .

مؤلفــاته : أسهم أحمد بن عبدالخالق الحفظي في حركة التأليف ببلاده ، إذ ألف عدداً من المؤلفات المهمة النافعة ، وبخاصة في ميادين العلوم الدينية والتاريخية والأدبية ، ولعل نتاجه في ميدان الأدب يفوق نتاجه العلمي في الميادين الفكرية الأخرى . ومن تلك المؤلفات بعامة ماذكره الحفظي نفسه عن نتاجه العلمي إذ قال : « منّ الله عليّ بتمام تأليف : تفسير كتاب الله عز وجل[٥٨] . . . ونسخة في مصطلح الحديث ، ونسخة في أصول الفقه ، ونسخة في العقائد ، وديوان تام على حروف الهجاء » ، « وله رسائل مبسطة في الفقه والأدب[٥٩] » . وله أيضاً رسالة في ميدان التاريخ ألفها في ملوك آل عثمان وسلاطينهم[٦٠] ، ومما يؤكد وفرة نتاجه في ميدان الأدب قول محمد بن إبراهيم الحفظي في معرض ترجمته لهذا العالم ، إذ قال : « أما الشعر فقد كتب فيه وأسهب ، حتى بلغ ماقاله بضعة أجزاء[٦١] » ، ولايزال معظمه مخطوطاً ، ومنه تصديره للبردة[٦٢] وتعجيزها ، إذ

طبعت مرتين في الأستانة في عامي (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م ، ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م[٦٣]) . أما نثره فقد انحصر في خطبه ورسائله الإخوانية الوافرة التي كان يبعثها إلى مشايخه وإخوانه ، إلى جانب خطبته التي بين أيدينا ، ومذكراته الخاصة المخطوطة[٦٤] .

نفيه ، ومقامه في الأسر : يعيد بعض الدارسين سبب نفي أحمد بن عبدالخالق الحفظي إلى دعوته المستمرة للإصلاح ، وثورته ضد الترك وحكمهم ، إذ نُفي إلى تركيا في أواخر العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري ، وفي ذالك يقول محمد بن إبراهيم الحفظي بأن هذا العالم : « كان يدعو لجمع شمل المسلمين ، ورأب صدعهم ، كما يدعوهم للقيام في وجه الترك ، والثورة على حكمهم . . . مما جعل السلطات التركية تحث في طلبه بواسطة حاكمها في أبها رديف باشا[٦٥] الذي ألقى القبض عليه ، وعلى جمع من رؤساء عسير ، وأعيانها[٦٦] ، وأرسلهم إلى استانبول[٦٧] حيث قضى مع صحبه ست سنوات[٦٨] » . ويضاف إلى ذالك أيضاً : ان الدولة التركية حينما قضت على إمارة عسير في سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ، وقتلت أميرها سعت في القضاء على أسباب الإمارة . ومن ذالك أسر مشايخ عسير وعلمائها . ومنهم الحفظي رحمه الله تعالى .

وتتفاوت المصادر التي بين أيدينا الآن في تحديد تاريخ نفي هذا العالم والذين معه ، إذ ذكر صاحب كتاب : « أخبار عسير » أن تاريخ وصول أولئك الأسرى إلى استانبول كان : « يوم الجمعة الخامس من ربيع الآخر عام ١٢٨٩هـ[٦٩] » ، ويوافقه على هذا التاريخ صاحب كتاب : « عسير » الذي حدد تاريخ وصول الأسرى إلى تركيا بـ : « الخامس من شهر ربيع الثاني عام ١٢٨٩[٧٠] » ، ويكاد كتاب : « تاريخ عسير في الماضي والحاضر » يتفرد بتحديد تاريخ سقوط إمارة عسير ، ونفي أعيانها بشهر المحرم من عام ١٢٨٩هـ[٧١] ، وإذا كان أولئك المؤرخون قد حددوا تاريخ نفي هذا العالم والذين معه بعام ١٢٨٩هـ على اختلاف في تحديد يوم النفي وشهره ، فإن صاحب كتاب : « نفحات من عسير » يحدده بعام ١٢٨٨هـ[٧٢] ، ولعل هذا الرأي الأخير يدنو من الحقيقة ، وبخاصة إذا أخذ بقول أحمد بن عبدالخالق الحفظي نفسه ، الذي ذكر في أحد كتبه أنه تم الإفراج

عنه ، هو والذين معه في جمادى الثانية سنة ١٢٩٣هـ[٧٣] ، وأنه لبث هنالك نحو ست سنين وأيام[٧٤] ، حيث قال: « والحال أني أقمت بتلك البلدة نحو ست سنين وأيام ، مع ترادف الهموم والآلام ، ومفارقة الأهل والوطن[٧٥] » . وذالك يدل : أنه نفي على وجه التقريب في أوائل سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م لا في سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ، وأنه لبث في المنفى ست سنين ، وبضعة أيام ، ويؤكد هذا القول ماذكره الزركلي في أعلامه ، إذ قال : « وكان مقتل محمد بن عائض في افتتاح سنة ١٢٨٨هـ[٧٦] » .

ومهما يكن الأمر فإن مقام الحفظي في الأسر لم يَخْلُ من المشقة والآلام ، حيث حفلت مذكراته الخاصة بشيء من تلك المظاهر ، إذ ظل يتلقف أخبار وطنه ، ويتحسسها من الوافدين إلى تركيا من بلدان الجزيرة العربية[٧٧] ، إذ يجد في ذالك سلوة واطمئناناً ، فلقد ضمن الحفظي مذكراته شيئاً من تلك الأخبار . وربما اعتاد هذا العالم ، وصحبه المحافظة على قراءة الكتب الستة ، إذ قال إنه في غرة محرم سنة ١٢٩١هـ ابتدأ في قراءة : « صحيح مسلم بجامع المكتب[٧٨] » ، كما أنه همّ أيضاً بتعلم اللغة التركية ، إذ يدل تسجيله لبعض كلماتهافي مذكراته على اهتمامه بها ، ومما يشير إلى حرص الحفظي على مجالسة العلماء الترك والإفادة من أهل الفضل منهم أنه كان يحرص على تسجيل أسمائهم ، وماجرى له معهم من النقاش ، والمناظرة ، ومن ذالك قوله : « وصل مكتوب إليّ من شيخ الإسلام حسن أفندي[٨٠] » ، وقوله : « دخل حسني باشا يانيه يوم الجمعة لعله ١٨ [من[٨١]] ذي الحجة سنة ١٢٩٢هـ ، ونعم الرجل المسلم ، ودخلت عليه مراراً كثيرة ، وحصلت المجالسة والمجانسة بيني وبينه[٨٢] » ، وتشير مذكرات الحفظي أيضاً إلى واقع حياته الاجتماعية ، والذاتية ونحوها[٨٣] ، كما أن بعض المصادر الأخرى تشير إلى أن الحفظي تزوج من امرأة تركية أثناء مقامه في الأسر ، وأنه أنجب منها ، وكانت تلك المرأة تدعى « جزى البر »[٨٤] ، مما يدل على شيء من مظاهر حياته الخاصة في المنفى .

عودته من المنفى ، ومقامه في وطنه : عاد الحفظي ــ كما قيل من قبل ــ في جمادى الثانية سنة ١٢٩٣هـ ، إذ قال : إنه انتقل إلى دار الخلافة بتركيا في آخر

شهر جمادى الأولى ١٢٩٣هـ ، بعد أن شمله العفو ، وتم الإفراج عنه[٨٥] ، مما يدل على أنه اتجه إلى بلاده من بعد في غضون شهر جمادى الثانية من العام نفسه ، وعلى الرغم من أن الترك قد أحاطوه برعايتهم ، ومنحوه مقام الفتيا في عسير[٨٦] ، والقيام بشؤون المسجد الجامع برجال ألمع[٨٧] ، إلا أنه لم يترك تحرشه بالدولة العثمانية ، ونقده لها ، مما جعلهم يسعون في كيده ، وينالون منه ، حيث أسروا ابنه عبدالقادر ، ونفوه إلى تركيا ، فلم يزده ذالك إلا رغبة في النقد ، والتجريح ، وفي ذالك يقول محمد بن إبراهيم الحفظي : « وعندما وصل الشيخ بلدته لم يهدأ جانبه ، ولم يتخل عن الفكرة التي اعتقل بسببها ، فقام يدعو من جديد لوحدة إسلامية ، الأمر الذي أغاظ السلطات التركية . . . فاعتقلت ابنه عبدالقادر ظناً منها أن في ذالك إسكاتاً وردعاً له بَيْدَ أنه لم يضعف عن عزيمته أو يغير من منهجه[٨٨] » .

ومن الواضح من حياة الحفظي أن أسر ابنه قد أثر كثيراً في نفسيته ، حيث قيل بأنه تبعه إلى درب بني شعبة حيث حل ضيفاً على صديقه علي بن عبدالرحمن النعمي[٨٩] ، وتقارض معه الشعر من أجل هذا الحادث الجلل ، ثم أدركه الحزن فتبع ابنه إلى ميناء الشُّقيق[٩٠] ، حيث ستبحر به السفن إلى تركيا ، وهناك شهد رحيل ابنه ، وسمع صوت (البابور) حين همّ بالإبحار ، واحتواه الماء[٩١] ، وعند ذالك أسعف الخاطر الحفظي بقصيدة حزينة صادقة لم تخل من وضوح التجربة وصدقها[٩٢] ، ولقد أمضى الحفظي بقية حياته على هذا النهج من عدم الاستكانة والخضوع ، اذْ قيل بأنه : « بقي على حالته تلك في قرية عثالف إحدى قرى وادي حلي برجال ألمع[٩٣] » حتى أدركته المنية ، ووافاه الموت .

شـــعره : يكاد الشعر يطغى على نتاج الحفظي في ميدان الأدب ، إذ عرف بوفرة شعره وكثرته ، ولعل الظروف التي حفلت بها حياته ، قد ساعدت على وضوح هذه الظاهرة في فكر هذا العالم ، فمن الواضح أن مقامه غريباً في المنفى قد أسعف هذا الحال ، وشايعه ، حيث نظم القصائد الوافرة ، والمنظومات الطوال فكان له ــ كما يقول ــ « ديوان تام على حروف الهجاء[٩٤] » ، وصفه بأنه : « في القياس على وزن ديوان أبي فراس[٩٥] ، الأسير سابقاً ببلاد

الروم[٩٦] » ، والحقيقة أن مذكراته الخاصة[٩٧] قد حفلت بشيء من نتاجه الشعري الوافر . ويبدو أن الحفظي استغل مقامه في تركيا فطبع بعض شعره هنالك[٩٨] ، كما أن مجموعي : « نفحات من عسير[٩٩] » ، و« شعاع الراحلين[١٠٠] » قد حفلا بشيء من شعره ، هذا بالإضافة إلى مجاميعه الشعرية المخطوطة[١٠١] ، وقصائده الخطية المتفرقة[١٠٢] ، ومما وصف به عاكش شعر تلميذه الحفظي قوله : « وهو يعرف أساليب النظم . . . وقد كاتبني بشيء من آدابه ، وما يترك المعاهدة لنا بالنظم[١٠٣] » .

ويتسم هذا الشعر بأنه قد حفل بالكثير من تجارب الشاعر الذاتية ، وأنه قد عبر عن روح إسلامية جادة ، كما أنه لم يخل من مظاهر الحياة السياسية والوطنية ، يقول محمد بن إبراهيم الحفظي في معرض حديثه عن هذا الشاعر : « وقد تناول في شعره مواضيع شتى منها مايحث به على محاربة الغزاة من الأتراك ، والثورة عليهم ، ومنها ما يناجي بها ربه ، ومنها ماهو مدائح نبوية ، ومنها ما ينادي به إلى وحدة إسلامية صحيحة ، وتحكيم الكتاب والسنة ، إلى جانب ماكان يراسل به أشياخه ومعارفه[١٠٤] » ، وكان هذا النتاج الشعري وَسَطاً في مستواه الفني ، حيث يمثل موهبة شعرية مناسبة ، ومقدرة أسلوبية مقبولة ، ولكنه يتميز بمعانيه الشعرية ، ومضامينه الجادة . ويمكن القول بأن الحفظي يشبه مُعاصريه الشاعرين المبارك[١٠٥] ، والأسكوبي[١٠٦] ، ومن شعره قوله :

أَمْـرُنَـا صِـدْقٌ وَحُكْمٌ ظَـاهِـرٌ ... لَيْسَ كَـالكُفْـرِ خِيَـانَـاتٌ وَدَسّ
قَـامَ نَصْرُ الله فِيهِـم وَاضِـحٌ ... وَصَلِيبُ الكُفْرِ بالخِزْيِ انطَمَسْ[١٠٧]

وقـوله :

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَـوْقَ سَابِحَـةٍ ... كَالْموجِ في عَوَمٍ وَالْبَرُّ في هِمَمِ
قَامَتْ عَلَى قَدَمِ التَّشْمِيرِ قـائِمَةً ... تَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأبطال مُلْتَطِمِ
من كُـلِّ مُنْتَـدبٍ لله مُحْتَسِبٍ ... في كُلِّ مُبْتَدَإٍ مِنْـهُ وَمُخْتَتَمِ[١٠٨]

نثـره : ينحصر نتاج الحفظي في ميدان النثر في رسائله الإخوانية ، وخطبه الوعظية ، وماكتبه من آثار فكرية ، ولعل مستوى هذا النثر يتحقق في خطبته

النثرية التي بين أيدينا الآن ، إذ تكاد تمثل مستوى التعبير عنده ، وما تعوده في نتاجه الأدبي من أساليب تعبيرية ، ومقدرة فنية ، ولقد أثنى عليه شيخه عاكش ، إذ قال بأن له معرفة بأساليب النثر[١٠٩] ، وأن : « له براعة إذا أملى ووعظ[١١٠] » ، ولقد ذكر عاكش أنه تعود من تلميذه الحفظي المعاهدة بشيء من رسائله النثرية[١١١] ، وهو في هذا الحال لم يبعد عن مستوى الكتابة المعهودة عند معاصريه ، من حيث المحافظة على تقاليد النثر المعروفة ، ولربما كان لمقامه في تركيا أثر في أسلوبه[١١٢] ، ولكنه محدود ، لا يكاد يبين .

ومن نثره قوله : « من مخبآت المهالك ، والانفراد عن العشائر والممالك ، حتى لفظت بي الأقدار ، في ترددي بتلك الأسفار ، إلى دار الخلافة العلية ، والمملكة الجلية ، فذهبت عني بعض الغصص ، وأكدار القصص . . .[١١٣] » ، وقوله أيضاً : « . . . أردت أن أنشر هذه النميقة الخلوصية من داعيهم ، وحليف وداد مناديهم ، ومبغض مشانيهم، ومعاديهم بأحسن حالة ، وأخصر مقالة ، في علو مرتبهم والشأن ، وتاريخ سلطنتهم ، وابتداء دولتهم من أول الزمان ، إلى هذا الآن ليعلم الواقف عليها ، والناظر إليها ، أنهم أهل ملك أثيل ، وأصل جليل ، وليجب على كل خاص وعام من معاشرنا أهل الإسلام معرفة هاؤلاء السلاطين وسيوف الله المصلتة على أعدائه الشياطين ، وليعلم أيضاً حقيقة ملكهم ، وتسلسل استمرار عرف مسكهم في غرر مباني تلك الأساطين[١١٤] » .

وفاته : توفي الحفظي ـ رحمه الله تعالى ـ عام سبعة عشر وثلاث مئة وألف للهجرة بقرية عثالف برجال ألمع بتهامة عن عمر يناهز السبعين سنة[١١٥].

ظروف النص : يعود باعث هذا النص لدى الكاتب إلى ظروف نفسية شاقة ، وإلى واقع ذاتي مؤلم ، فلقد تسبب خروجه كُرْهاً من وطنه عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م إلى وجود شيء من أسباب التجربة الذاتية الصادقة ، إذْ حاول دفع تلك الأحاسيس بهذا الأثر الأدبي المميز ، ولعله أدرك عندئذ أن الأدب يكاد يكون الوسيلة المناسبة لتطهير تلك الآلام ، ودفعها ، فالحق أن الحفظي قد عاش محنة سياسية شاقة ، وغربة نفسية حقيقية ، وإذا أُدرك استيلاء الترك على عسير في تلك الفترة ، وقتل أميرها ، وتشريد علمائها ومشايخها ، تبين للناظر أن إنشاء هذه

الخطبة قد كان رد فعل لذالك العمل السياسي الجائر . إذ لابد للحفظي أن يعبر عند وصوله تركيا بشيء من نتاجه الأدبي ، على لسان رفاقه الذين معه في الأسر ، فالأمر خطير ، وغير يسير .

وفي الحقيقة أن الظروف السياسية والذاتية والاجتماعية قد أحاطت بظواهر هذا النص ، وجعلت الحفظي يعبر عن موقفه بهذا النتاج الأدبي ، إذْ يبدو أن الكدر ، وبواعث الحزن قد صاحبت هذا الأديب مذ خرج من بلاده مأسوراً مرغماً ، وجعلته يذكرها في مواطن متفرقة من مؤلفاته ، ومذكراته الخاصة ، فلقد قال ــ رحمه الله ــ في معرض حديثه عن مقامه في تركيا : « والحال أني قد أقمت بتلك البلدة نحو ست سنين وأيام ، مع ترادف الهموم والآلام ، ومفارقة الأهل والوطن ، ونسيم أرض اليمن[١١٦] » ، وهذا الإحساس يُؤَكِّدُ وفرة أوراده ، ومناجاته ، وكثرة أدعيته ، وابتهالاته[١١٧] .

ومما يمثل هذه الظروف الحزينة المحيطة بالنص هذا الدعاء الحزين الذي أطلقه الحفظي في صورة صادقة مؤلمة ، تكاد تمس الوجدان ، وتلمس سويداء القلوب ، إذ يقول : « اللهم إنك تعلم إنا أخذنا بوجهك ، وأمانك ، ووثقنا بذالك ، فَخُدعنا بك ، ومن خَدَعَنا بالله انخدعنا له . وقد وقفنا ببابك وقوف المستجيرين ، ولذنا بجنابك ملاذ الخائفين ، وخضعنا لك خضوع المظلومين ، وانقطع رجاؤنا[١١٨] إلا منك ، وخابت الآمال إلا فيك ، وانسدت الطرق إلا إليك . وقد أكرمتنا بالقرآن العظيم ، والحرمين الشريفين ، والنبي الكريم ، وبأبينا إبراهيم ، وجعلت القرآن العظيم بلساننا ، والحج ببلادنا ، ونبيك محمد ﷺ منا ، ولاشك في ذالك معنا ، اللهم إن كان ماقلتُ حَقًّا ففرج عنا فرجاً عاجلاً[١١٩] » ، وقال الحفظي أيضاً : « اللهم إنا وقفنا ببابك ، ولذنا بجنابك ، واستجرنا بك ، استجارة من ضعفت قوته ، وقلت حيلته ، وهتكت منه الأستار ، وكشف منه الصغار والكبار ، وترادفت عليه مصائب البرور ، وأهوال البحور أن تفرج لنا فرجاً عاجلاً[١٢٠] » .

توثيق النص، ووصفه:

أولاً ـ توثيقه: يجدر بالمحقق في تراث هذه الأمة، وبخاصة في عصوره الأخيرة الماضية، أن يعمل على توثيق مايقدم على تحقيقه من نصوص، وآثار مخطوطة، وأن يجهد فكره في سبيل توثيق النص وتحقيقه، فالحق أن هذا التراث لم يسلم من مظاهر التحريف والإهمال، إذ غشيه عهد من الغفلة والضياع، وذالك ماتسبب في تساهل النساخ، ووقوعهم في كثير من المآخذ الأسلوبية والمعنوية، وربما كان لندرة الأصل، وتفرده أثر في وقوع اللبس، وحدوثه، مما يدعو إلى وجوب التوثيق، والعمل على إظهاره بصورة تليق بجهود الباحث، وذالك ما يأمله المحقق، ويسعى إلى إيجاده في نهج علمي مناسب.

ومهما يكن من أمر فإن مما يؤكد نسبة هذا الأثر إلى أحمد بن عبدالخالق أنه كان مكتوباً بقلمه، ومختوماً بخاتمه، حيث جرى العمل على مقارنة تلك النصوص والتحري لحقيقة أصولها، مما دعا إلى الأطمئنان إلى هذا الأثر، والسعي في تحقيقه، وإخراجه بصورة علمية مقبولة، ومما يؤكد نسبة هذا النص للحفظي أيضاً قول عبدالله بن علي بن مسفر: «وقد ارتجل الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي كلمة أمام السلطان[١٢١]»، ولقد أضاف ابن مسفر إلى ذالك قوله: «وقد كان لهذه الكلمة وقعها الشديد عند السلطان، وأثرها العميق في نفسه[١٢٢]»، وقال علي أحمد عيسى: إن الحفظي: «ارتجل كلمة بين يدي السلطان العثماني شرح فيها موقفهم من الخلافة العثمانية، وقد أوضح في خطبته أنهم مظلومون، وأنهم لم يعارضوا الخليفة العثماني، ولم يخرجوا على جماعة المسلمين[١٢٣]» وهذا يؤكد نسبة هذا الأثر الأدبي للحفظي، ويؤكد صحته، ووجوده. وربما أمكن المحقق في هذا المقام أن يشير إلى شيوع خبر أسر هؤلاء الأعيان من عسير، وأن مقامهم في تركيا سيدفع بعلمائهم وأدبائهم هنالك إلى الحديث والمناقشة وإظهار الحقيقة، كما تحقق في هذا الأثر الفريد، إذ يعد إسهام صاحبه في هذا المقام أمراً لازماً متوقعاً، إذ لا يخفى على المؤرخين وقوعه، ولا الظروف المحيطة به، ويكاد مصدر ظهور هذه الخطبة يقتصر على إشارة الشيخ الحسن بن علي الحفظي[١٢٤] (١٣٤٥ ـ ١٤٠٦هـ) برجال ألمع حين ألمح

للمحقق عام ١٣٩٩هـ بوجود هذا الأثر ، وأنه أمَدَّ به صاحب كتاب « أخبار عسير » حينما شرع في تأليفه ، وقد صدق في هذا القول ، إذ تم الاقتباس في ذالك المصدر من تلك الخطبة كما تبين في هوامش التحقيق ، وهذا يشير إلى وجود الأصل لدى الحسن بن علي الحفظي وتفرده به ، وأنه واقع معروف معهود .

ثانياً ـ وصفه : لقد تم تحقيق هذه الخطبة على نسخة خطية واحدة ، إذ تم الحصول على صورة أصلها المخطوط من لدن الأستاذ عبدالخالق بن سليمان الحفظي . وكان ذالك الأصل مرسوماً بقلم أحمد الحفظي نفسه ، ومختوماً بخاتمه ، وموقعاً باسمه ، وكان مكتوباً بخط نسخي معتاد ، إذ يقع في سبع صفحات ، في كل صفحة نحو تسعة عشر سطراً ، قد تزيد في بعض الصفحات نحو العشرين سطراً ، عدا الصفحة الأخيرة فتقع في تسعة سطور . وفي كل سطر نحو عشر كلمات تقريباً ، ويوجد في بعض حواشيها شيء من الشروحات المحدودة ، والعبارات المكررة مما يدل على معاودة الحفظي لقراءة النص ، وتنقيحه .

وإذا كان قد تم الاعتماد في التحقيق على نسخة خطية واحدة ، فإنه قد تم الاستئناس بما ورد من اقتباس في كتاب : « أخبار عسير » ، إذ قبس مؤلفه بعض فقرات هذه الخطبة ، ولربما وجد شيء من التحريف في ذالك الأثر المطبوع مما يدل على عدم الدقة في النقل والتحرير ، إذ يبدو أن الحسن الحفظي قد استنسخ من الأصل صورة خطية ، ثم دفع ببعض منها لصاحب الكتاب الذي نشره بدوره دون تحقيق، أو توثيق ، ولقد تمت المعارضة بين النصين المخطوط والمطبوع بغية التحقيق والمقارنة(١٢٥) .

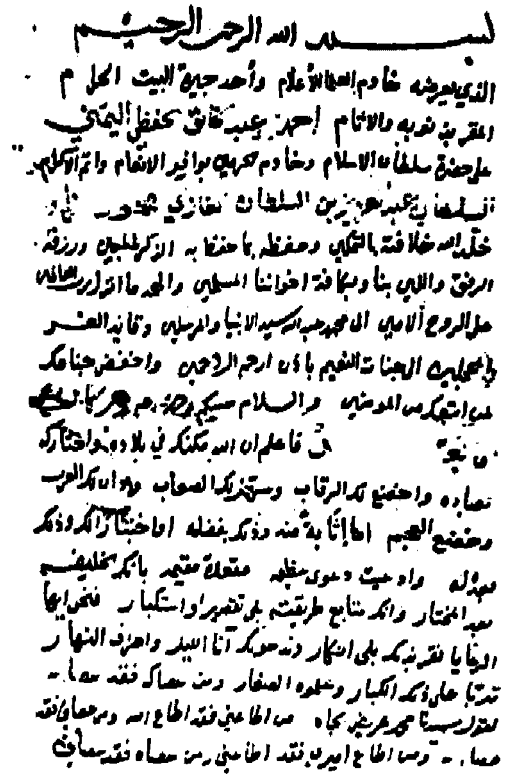
ومما يلفت النظر في حال تكوين هذه الخطبة قول صاحبها : إنها قيلت ارتجالاً ، إذ يثير هذا القول شيئاً من النظر ، والتحليل ، ويدعو إلى المقارنة والتحقيق ، فلعل هذه الخطبة قرئت مكتوبة ، ولعلها قيلت ارتجالاً ثم دونت من بعد ، وربما قيلت أيضاً ارتجالاً وسجلت من لدن بعض الحاضرين من رفاق الحفظي في الأسر ، ومما يعضد الرأي الأول كون هذه الخطبة مخدومة بمظاهر

التدوين ، وسلامة الكتابة ، وبخاصة إذا أحيط بسلامة نصها ، وتناسقه وكثرة الاستشهاد الوارد فيه ، كما يعضد الرأي الثاني قول الحفظي في خطبته : « ... فمن أخفر ذمة هؤلاء فنستنصر عليه بالله[١٢٦] » إذ يشير هذا القول إلى وجود أولئك الرجال في حضرة السلطان عند ارتجال الحفظي لخطبته ، ومع ذالك يرى المحقق أنه ربما عمد الكاتب من بعد إلى تنقيح نصه وتحريره ، وهذا لا يقدح في كون الحفظي قد ارتجل خطبته ، أو حرّرها ثم قرأها .

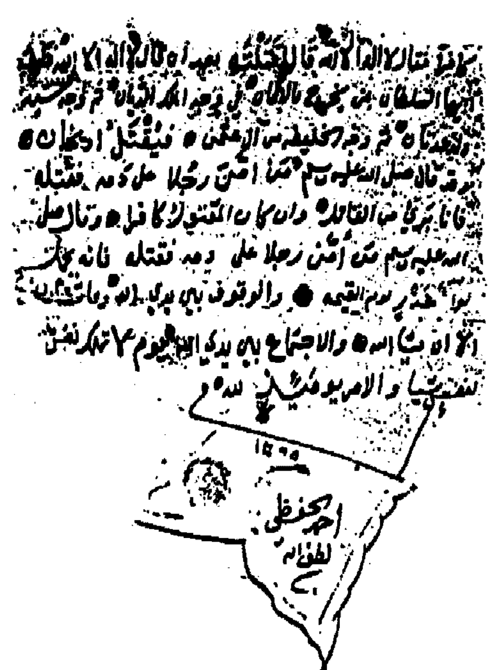
ويزيد في وصف هذا الأثر الأدبي المخطوط أن صاحبه كان يكثر من الاستشهاد بالآيات الكريمات والأحاديث النبوية ، وأنه على بصيرة واعية بالأخبار ، والوقائع والآثار ، مما ينم عن ثقافة واسعة ، ويدل على دراية واضحة بتاريخ هذه الأمة ، كذلك يتضح للناظر في متن هذا الأثر أن صاحبه كان يكثر من استخدام أساليب البديع وأنواعه ، وانه يعمد إلى تسهيل الهمز وحذفه ، وإلى عدم التفريق بين رسم المقصور والممدود ، كما انه ربما أفاد من مظاهر الكتابة وأساليب التدوين فيما يخص علامات الترقيم ، وتنظيم القول ، وبخاصة في صدر الخطبة وفي متنها ، إذ حاول فيما يبدو تزيين عنوانها وزخرفته وتقسيم عباراتها ، ويظهر في آخر صفحات هذا الأثر الأدبي رسم أول كلمة في السطر اللاحق من الصفحة التالية[١٢٧] ، وهذا أمر معهود معروف في تراث هذه الأمة ، إذ به يستغنى الناسخ عن ترقيم الصفحات وتسلسلها ، وقد ختم الحفظي خطبته بخاتمة عند تحريرها ، وقال : « أحمد الحفظي لطف الله به[١٢٨] » .

بسم الله الرحمن الرحيم[١٢٩]

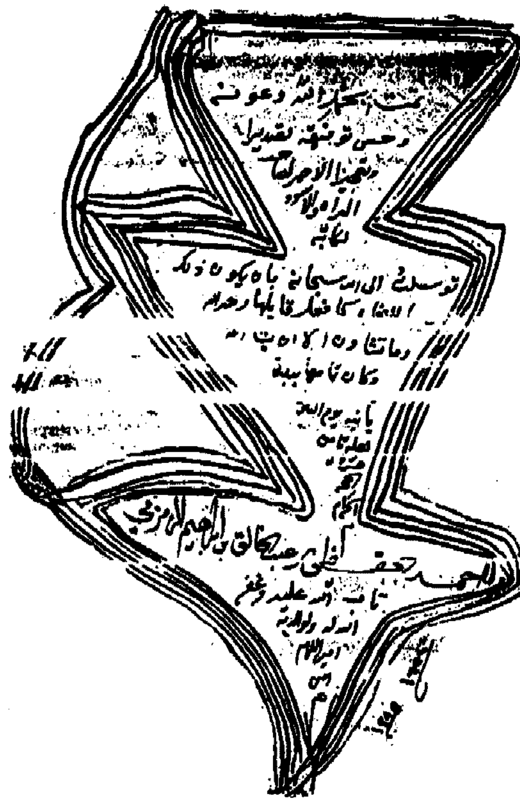
الذي يعرضه خادم العلماء[١٣٠] الأعلام ، وأحد جيرة البيت الحرام[١٣١] ، المقر بذنوبه والآثام : أحمد بن عبدالخالق الحفظي[١٣٢] اليمني[١٣٣] ، على حضرة سلطان الإسلام ، وخادم الحرمين بوافر الإنعام ، وأتم الإكرام السلطان : عبدالعزيز بن السلطان الغازي[١٣٤] محمود[١٣٥] : خلّد الله خلافته بالتمكين ، وحفظه بما حفظ به الذِّكر المبين ، ورزقه : الرفق ، واللين بنا[١٣٦] ، وبكافة إخواننا المسلمين ، وألهمه ما أنزل رب العالمين ، على الروح الأمين إلى محمد بن


بسم الله الرحمن الرحيم

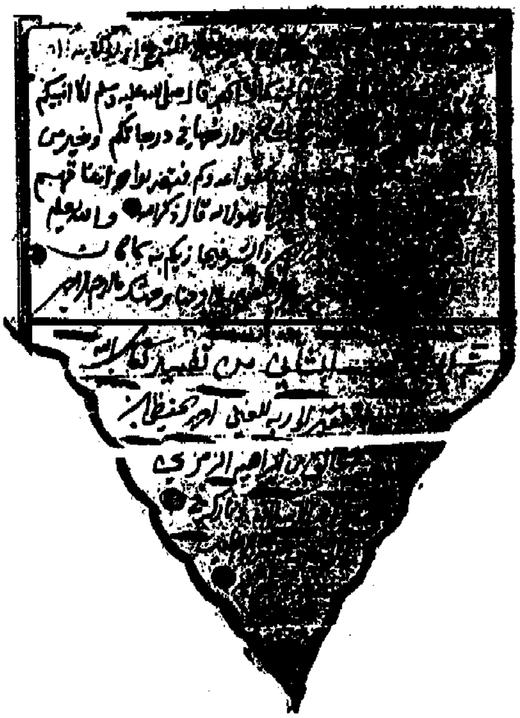
الصفحة الأولى من المخطوطة



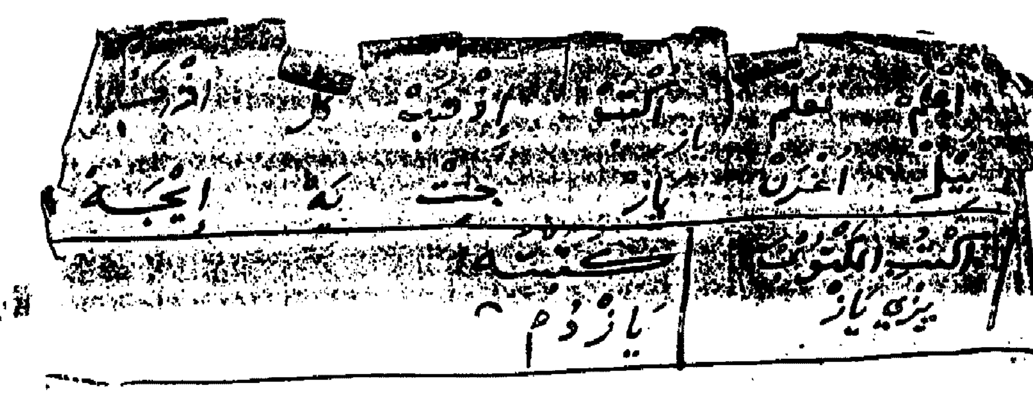
الصفحة الأخيرة من المخطوطة



من تصدير البردة وتعجيزها



من آثار الحفظي المخطوطة



من مذكرات الحفظي الخاصة

عبدالله سيد الأنبياء[١٣٧] ، والمرسلين ، وقائد[١٣٨] الغرّ المحجلين إلى جنات النّعيم بإذن أرحم الراحمين : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[١٣٩] ﴾ ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد[١٤٠] :

فاعلم[١٤١] أن الله مكّنك في بلاده[١٤٢] ، واختارك لعباده[١٤٣] ، وأخضع لك الرّقاب ، وسهل لك الصّعاب ، ودان لك العرب ، وخضع العجم[١٤٤] ، إمّا إثابة[١٤٥] منه ، وذالك بفضله ، أو اختباراً لك ، وذالك بعدله[١٤٦] ، وادّعيت دعوى عظيمة ، مقعدة مقيمة بأنك الخليفة بعد المختار[١٤٧] ، وأنك متابع طريقته بلا[١٤٨] تقصير أو استكبار ، فنحن أيها[١٤٩] الرعايا نقر بذالك بلا[١٥٠] انكار ، وندعو لك آناء[١٥١] الليل ، وأطراف النّهار[١٥٢] ، تربى[١٥٣] على ذالك الكبار ، وعَلّمُوهُ الصغار . ومن عصاك فقد عصى[١٥٤] الله ، لقول سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم[١٥٥]] : عريض[١٥٦] بجان مَنْ أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى[١٥٧] الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني[١٥٨] .

وقد عرفت أن سيدنا محمداً ﷺ أمر بإكرام العرب[١٥٩] ، وأمر بالرفق مَنْ[١٦٠] ولي كما وليت ، وجعل الرّفق أعظم القرب ، فقال : أللّهُمّ مَنْ وَلّي مِن أمور المسلمين شيئاً[١٦١] فرفق بهم فارفق اللهم به ، ومن شَقّ عليهم فاشقق اللهم[١٦٢] عليه[١٦٣] ، وبعضنا يعتقد في دعوة بعض ، فكيف بدعوة أفضل أهل السموات والأرض[١٦٤] ؟ فإنا[١٦٥] اتيناك من اليمن[١٦٦] الميمون[١٦٧] الذي أثنى على أهله الأمين المأمون[١٦٨] ، وأوصى : عليا[١٦٩] ، ومعاذا[١٧٠] لما بعثهما إلى تلك الرّحاب[١٧١] بإتقاء[١٧٢] دعوة المظلوم ، فإن ليس بينها وبين الله حجاب[١٧٣] ، فاسمع منّا ياخليفة رسول الله ، ولا تطع فينا من اتبع هواه[١٧٤] : ﴿ وَإِن[١٧٥] تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ . . .[١٧٦] ﴾ ، ونحن وهم[١٧٧] مجتمعون وسَتُسْأل[١٧٨] وتُسألون[١٧٩] ، ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ[١٨٠] عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ[١٨١] ﴾ ، واذكر[١٨٢] أن الله أوْجَدَك ، وأنت لا تعلم أنك تقوم مقاماً قامه الأولون[١٨٣] : ﴿ والله أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لا تَعْلَمونَ شَيْئًا . . .[١٨٤] ﴾ ، ﴿ . . . وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

والأَبْصَارَ والأَفئدَةَ قَلِيلاً مَاتَشْكُرُونَ[186] ﴾ .

واعلم[187] أن أقاويل المنافقين لا تغنيك بين يدي رب العالمين[188] ، حين يقوم للدعاء[189] اسرافيل[190] ، وينادي[191] ألا إن[192] : ﴿ . . . لَعْنَةَ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ[193] ﴾ ، وأن[194] مَنْ قدح فينا لديك ، وقال الكلام إليك ، يقول عنك كما قال عليك[195] : ﴿ إِنَّهُمْ لَنَ يُغْنوا[196] عَنكَ مِنَ اللهِ شيئاً[197] ، وإِنَّ الظَّالمين بَعْضُهُمْ أَوْلياء[198] بَعْض واللهُ وليُّ المُتَّقِين[199] ﴾ ، وقد قيل للأمين الأمون[200] : ﴿ ثم[201] جَعَلْنَاكَ[202] عَلىَ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فاتَّبِعْها ، ولاَ تَتَّبِعْ أَهْواءَ[203] الذين لا يَعْلَمُون[204] ﴾ ، وقال أيضاً[205] مبيناً لرفقه[206] في قوله[207] بأمر[208] الله وحوله[209] ، فاتبعك في فعلك ، وقولك ، إذ[211] : ﴿ لو[212] كُنِتَ فَظَّاً غَليظَ الْقَلب لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ . . .[213] ﴾ وقد سلاه الله بقوله : ﴿ إِنَّك مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَّيِّتُون ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيٰـمةِ[214] عِندَ رَّبِكُمُ تَخْتَصِمُونَ[215] ﴾ ، وتخلف صاحبه[216] في الغار لمّا أخرج هو والنبي المختار ، وأنزل في شأنهم : ﴿ الَّذِين[217] أُخرِجوا من ديَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ[218] ﴾ ، ثم توفاه الله[219] فقام بالخلافة بعده عمر بن الخطاب[220] حتى قتل ، وهو قائم يصلي في المحراب[221] ، وأكرم العرب[222] بلا ارتياب ، وقام لوفودهم ، وقال : أهلاً بالأحباب ، ثم لمّا قتل قام بالخلافة بعده عثمان[223] بن عفان[224] ، فاتبع طريقته ، وأحيا شريعته ، وقام بالمفروض والسنن ، واستوصى خيراً بأهل اليمن ، وإنك ثمرة من تلك الشجرة : ﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ . . .[225] ﴾ فاتبع شريعة من وقر الإيمان في قلبه ، ثم قتل عثمان[226] ، ففعل علي بن أبي طالب كما فعلوه ، حتى قتلوه ، وحقق لأهل الباطل ماجعلوه ، فآذوه وسبوه ، ولو شاء[227] ربك مافعلوه ، ثم كان الاختلاف والنكوص[228] ، والملك العَضُوض[229] ، فانظر هل فعل سيدنا المختار بأهل اليمن شيئاً[230] من الأكدار ؟ أو أُخرجوا من الديار ، بل وفدوا عليه بعد فعل فعلوه ، وأمر جهلوه[231] ، فقام لهم على قدميه ، وأوقفهم بين يديه حتى سلموا عليه ، ثم قال : أهلاً بأهل اليمن ، الإيمان يمان ، والفقه يمان[232] ، والحكمة يمانية[233] ، وانظر لخليفته الرفيق : أبي بكر الصديق ، هل

خالف طريقته ، أو ترك شريعته ، وانظر لعمر بن الخطاب لم تصغ أذنه لفاسق كذاب ، وانظر لعثمان بن عفان قام لهم بأتم الامتنان ، ثم علي بن أبي طالب ، رفع لهم صيت المناقب ، فهؤلاء[٢٣٤] هم القوم الذي[٢٣٥] يليق بمثلك لهم الاقتداء[٢٣٦] ، وبهديهم لك الاهتداء[٢٣٧] .

وأمّا مافعله الجبابرة في الأمصار ، وغيروا دين العزيز الغفّار : كبخت نَصرٌ[٢٣٨] الفجار ، وهادم عرى الإسلام والإيمان نمرود بن كنعان[٢٣٩] ، وأمثالهم : كالحجاج بن يوسف[٢٤٠] ، فشرّف الله قدرك عن اتباع أحوالهم ، أو الاقتداء[٢٤١] بأفعالهم ، لأنا نُقرّ بخلافتك ، ونطلب شريف رأفتك في الرفق واللين بنا ، وبمن وراءنا[٢٤٢] من المسلمين ، وإخواننا المؤمنين ، والاختلاف عادة بين المسلمين ، وليس مَنْ صدر منه مخالفة يفعل به كما فعل بالكافرين : ﴿ وَلَوْ شَاء[٢٤٣] رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ[٢٤٤] ﴾ ، ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ . . .[٢٤٥] ﴾ أي للرحمة ، فارحمنا كما قال الملك العلام ، ذو الجلال والإكرام : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[٢٤٦] ﴾ .

وإنا وفدنا إليك ونحن نؤمل[٢٤٧] أن توقفنا بين يديك ، ونشكو أمرنا على الله ثم عليك ، فلما وصلنا أعتابك العلية ، ومواضع الخلافة البهية ، حُجِبْنَا عن تبليغ حاجتنا إليك ، والوصول بين يديك[٢٤٨] . وقد أمّلنا فيك متابعة المختار في إكرام وفود اليمن كإكرام المهاجرين ، والأنصار ، حيث ونحن[٢٤٩] وفدنا إليك من غير جُرْم أجرمناه أو سُوْء فعلناه ، أو شر قدمناه ، أو عمل فاسد عملناه[٢٥٠] ، بل أتانا[٢٥١] رسولُك فسلمنا الطاعة[٢٥٢] ، ودخلنا مداخل الإستطاعة ، مع إنا[٢٥٣] ولله الحمد من أهل السنة والجماعة[٢٥٤] : نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي[٢٥٥] الزكاة ، ونصوم شهر[٢٥٦] رمضان ، ونحج البيت[٢٥٧] ، ونؤمن بالله ، وملائكته[٢٥٨] ، وكتبه ، ورسله ، والقدر خيره وشره ، واليوم الآخر[٢٥٩] ، ومافيه[٢٦٠] ، نصل الرحم ، ونحمل الكل[٢٦١] ، ونقريٌ[٢٦٢] الضيف ، ونعين على نوائب[٢٦٣] الحق ، ونقيم الجمعة والجماعة ، ونظهر ونسر للخليفة محتوم الطاعة[٢٦٤] ، نداوم

الصلوات[٢٦٥] ، ونأمر بذالك الأبناء[٢٦٦] والبنات[٢٦٧] ، لم نسفك دماً[٢٦٨] ، أو[٢٦٩] ننتهك محرّماً ، فبأي حجة يحتجون[٢٧٠] ؟ وبأي[٢٧١] عذر يعتذرون بين يدي من يقول للشيء[٢٧٢] كن فيكون[٢٧٣] ؟ بل لما أشرفنا على الإعلانات الباهرات[٢٧٤] التي فيها عهد الله ، وميثاقه[٢٧٥] أن لا قصد إلا محمد بن عايض[٢٧٦] ، وأن من بقى[٢٧٧] آمنون في وجه الله[٢٧٨] ، ثم في وجه رسوله ، ثم في وجه خليفتهما[٢٧٩] السلطان الأعظم[٢٨٠] فاخفر الله في ذمته[٢٨١] ، وخالف المصطفى في كلمته ، وخرج من يد خليفته باخفار ذمته ، فإن[٢٨٢] من أخفر ذمة مسلم فعليه لعنة الله والملائكة[٢٨٣] ، والناس أجمعين[٢٨٤] . وقد حصل[٢٨٥] علينا[٢٨٦] مالا يخفى[٢٨٧] على الله[٢٨٨] من هتك المحارم[٢٨٩] ، وترويع الأطفال[٢٩٠] ، وماجرى[٢٩١] علينا من الأهوال[٢٩٢] .

ونحن نحمد الله مامنا أسير[٢٩٣] صغيراً أو كبيرا[٢٩٤] لأن الأسير[٢٩٥] من لزم[٢٩٦] محاربا مقاتلاً ، ونحن[٢٩٧] صدّقنا وجه الله ووجه رسول الله ، ثم خليفتهما ، ظل الله في أرض الله ، فمن أخفر ذمة[٢٩٨] هؤلاء[٢٩٩] فنستنصر[٣٠٠] عليه بالله ، وإن كنت أخذتنا بقول فاسق[٣٠١] كذاب ، فتراجع كما قال العزيز الوهاب[٣٠٢] : ﴿ يَمْحُوا[٣٠٣] الله مَايَشَاءُ[٣٠٤] وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكتَابِ[٣٠٥] ﴾، ولم قد[٣٠٦] يؤخذ[٣٠٧] في الظلم والتلبيس أبونا آدم بشهادة إبليس[٣٠٨] ، ولا أهل سَبَإٍ[٣٠٩] بأساطير بلقيس[٣١٠] ، وإن كنت مغروراً مما فعل الحاقد ، فقل كما قال سيد الغائب[٣١١] والشاهد : اللهم إني أبرأ[٣١٢] إليك مما صنع خالد[٣١٣] .

وقد كان ﷺ يبعث الرسل بلسان قومهم ليسلم من اثمهم ولومهم ، كما قال مَنْ لا تأخذه سنة ولا نوم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ[٣١٤] ﴾ وإن[٣١٥] كان قيل لك قولاً كاذباً فنحن إليك معتذرون ، وبجناب عزالله منتصرون ، فقد قال ﷺ : «مَن اعتذر إليه[٣١٦] أخوه[٣١٧] بمعذرة فلم يقبلها منه كان عليه من الخطيئة[٣١٨] مثل صاحب مَكْس[٣١٩] » وقال أيضاً : «مَنْ اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل منه لم يرد عليَّ الحوض[٣٢٠] ، ومن أعان مؤمناً[٣٢١] على حاجته ، وهب الله له ثلاثاً وسبعين رحمة حتى يصلح الله له

دنياه ، وأخّر له ثنتين وسبعين رحمة ، مدخورة(٣٢٢) في درجات الجنة(٣٢٣) » وإنها(٣٢٤) من إخوانك المسلمين ، ورعيتك المؤمنين(٣٢٥) مَنْ قتل بعد أن قال : لا إله إلا الله .

وقد عرفت ماقال ﷺ لمن قتل كافراً ، فقال : لا إله إلا الله ، قال : أَقَتَلْتَه بعد أن قال : لا إله إلا الله(٣٢٦) ، فكيف أيها السلطان بِمَنْ يخرج بالأمان في وجه الملك الديان ؟ ثم وجه سيد ولد عدنان ، ثم وجه الخليفة من آل عثمان(٣٢٧) ، فيُقْتَلُ أو يخان(٣٢٨) ، وقد قال(٣٢٩) ﷺ :«من أمَّنَ رجلاً على دمه فقتله(٣٣٠) فأنا بَرِيء من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً(٣٣١) » وقال ﷺ : من أمَّنَ رجلاً على دمه(٣٣٢) فقتله فإنه يحمل لواء(٣٣٣) غدر(٣٣٤) يوم القيامة(٣٣٥) » والوقوف(٣٣٦) بين يدي الله : ﴿ وَمَاتَشَآءُونَ(٣٣٧) إلا أن يَشَآءَ الله . . .(٣٣٨) ﴾ والاجتماع بين يدي الله(٣٣٩) : ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً(٣٤٠) والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله(٣٤١) . . . ﴾ . . .(٣٤٢) » .

الهوامش ، والتعليقات :

(١) لقب لهذا العالم ، قيل : بأن أباه لقبه به محبة في صديقه : « الشيخ إبراهيم بن محمد الزمزمي من بيت الريس ، أحد علماء مكة » ، انظر : « نفحات من عسير » لمحمد بن إبراهيم الحفظي ١١٥ .

(٢) لقب اشتهر به الشيخ : أحمد بن عبدالقادر بن بكري ، وعرف في ذريته من بعده ، قيل : إن مرده قوة حافظته ، وقيل غير ذالك ، وفي هذا الرأي يقول محمد بن إبراهيم الحفظي : « لقب بالحفظي لقوة حافظته » كتابه السابق ٢٣ .

(٣) الحسن بن أحمد الضمدي [عاكش] ، « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري » ٣ ، ٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ٥ ، انظر : « نسب الفقهاء آل عجيل » لعبدالرحمن الحفظي ، و : « مشجرة أسرة آل بكري » .

(٥) أحمد بن محمد قاطن ، « تاريخه وأسانيده » ٤٩ .

(٦) قال العقيلي نقلاً عن الوشلي : « كان عجيل صاحب ماشية ، ثم اشترى أرضاً وازدرع ، يفعل الخير ويتعاني الحجاج ، ويصحب أكابر من أهل مكة ، والمجاورين بها ، ولهم فيه حسن ظن ، ازدحم مع أصهاره على بئر فخطوا دلوه ، فذبح عجلاً ، وعمل جلده دلوا من ساعته ، فقالوا : صاحب العجل ، ثم حذفت الإضافة وصغر » ، « التصوف في تهامة » ١٧٤ .

(٧) أحمد بن موسى عجيل ، « الغارة » ٧ ، تحقيق عبدالله أبو داهش ، وانظر : « التصوف في تهامة » للعقيلي ١٧٤ .

(٨) من بلدان تهامة اليمن ، تعد من مراكز الفكر الشهيرة في جزيرة العرب في القرون الأخيرة الماضية وتعرف بنسبتها للفقيه ابن عجيل ، انظر أخبار علمائها ورجالها في كتاب : « التصوف في تهامة » للعقيلي ، و« التصوف والفقهاء في اليمن » للحبشي ، و« تاريخ النعمي » مخطوط .

(٩) تقع بلاد رجال ألمع ، غربي مدينة أبها ، وتتكون من عشر قبائل ، وهي أزدية النسب ، عرفت في العصور الأخيرة الماضية بمكانتها العلمية ، وشوكتها الحربية ، انظر : أخبارها في : « بلاد عسير » لفؤاد حمزة ١٥١ ، و : « عسير قبل الحرب العالمية الأولى » لكنهان كورنوالس ، و « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » لحمد الجاسر ، و « رحلات في عسير » ليحيى إبراهيم الألمعي .

(١٠) عبدالرحمن بن محمد الحفظي ، نسبه السابق ، ورقة ١ .

(١١) هو : موسى بن جغشم بن عجيل بن عيسى بن حسن بن محمد بن أسعد بن عبدالله بن أحمد ، يعود نسبه في : أحمد بن موسى بن عجيل .. انظر أخباره في : « نفحات من عسير » ١٧ .

(١٢) عبدالرحمن بن محمد الحفظي ، نسبه السابق ، ورقة ١ ، ولعل ذالك في العهد التركي الأول .

(١٣) يقول فيها حمد الجاسر : « من قرى بني ظالم في بلاد رجال ألمع في إمارة عسير » « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ٤٨٧/١ ، قلت : هي حاضرة تلك البلدة ، ومن أشهر قراها ، ويختلف الناس في مسماها هل هي رُجال بالضم ؟ أم رِجال بالكسر ؟ وعندي إنها : رُجَال بضم الراء وفتح الجيم ، كما ورد في كتب التراث .

(١٤) عبدالرحمن بن محمد الحفظي ، نسبه السابق ، ورقة ١ .

(١٥) هو : « الحسن بن أحمد بن عبدالله ، المعروف بعاكش : مؤرخ . . . من أهل ضمد . . . ولد ونشأ فيها وانتقل إلى زبيد ، فصنعاء ، وتوفي بمدينة أبي عريش . . . » ، « الأعلام » للزركلي ١٨٣/٢ ، ولد عام ١٢٢١هـ/١٨٠٧م ، وتوفي عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م ، يعد من العلماء البارزين ، ومن الأدباء المشهورين ، وله عدد من المؤلفات ، وله ديوان شعر ، ترجم له عدد من المؤرخين ، انظر ترجمته في « نيل الوطر » لزبارة ٣١٤/١ .

(١٦) يوجد أصل هذه الرسالة في مكتبة الشيخ الحسن بن علي الحفظي رحمه الله .

(١٧) زيادة من المحقق .

(١٨) زيادة من المحقق ، والشيخ بكري بن محمد من العلماء المشهورين ذكره غير واحد من علماء عصره والمؤرخين من بعده ، ولقد ورد في إحدى الأوراق المخطوطة : « . . . ثلاثة لم يكن أشهر منهم بالإحسان ، وفعل الخير ، وانتشار الصيت لهم في مشرق الأرض ومغربها ، فاثنان منهم من أهل [الثروة] ، وهما : الأمير عزالدين القطبي ، وأبو الغيث بن عفلق ، وثالثهم الشيخ بكري بن محمد ، وهو يفضلهم بالعلم والولاية والإنفاق من غير ثروة . . . » ورقة مخطوطة لدى المحقق .

(١٩) ورقة ٣ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ورقة ٣ .

(٢١) من صفحات مطبوعة ، يعتقد بأنها من مؤلفات الحفظي وهو في تركيا ١٨ .

(٢٢) محمد بن إبراهيم الحفظي ، « نفحات من عسير » ١٤٣ .

(٢٣) المصدر نفسه ١٤٣ ، وأبوه هو : الشيخ عبدالخالق بن إبراهيم بن أحمد الحفظي ، ولد في رجال ألمع عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م ، وأخذ العلم عن أبيه ، ثم سافر في سبيل طلبه إلى أبي عريش ، تولى التدريس في قرية عثالف بالمدرسة الحفظية ، كما تولى منصب القضاء بعسير في عهد الأمير عايض بن مرعي ، له نتاج أدبي في ميدان الشعر ، وله بعض المؤلفات المحدودة ، من أهمها : « النور الوهاج في مناسك الحجاج » ، توفي سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م . انظر : « نفحات من عسير » ١٣٤ ، و « عقود الدرر » لعاكش ، و « إمتاع السامر بتكملة امتاع الناظر » لشعيب الدوسري ٩٣ .

(٢٤) يعد من أكبر مساجد رجال ألمع ، ومن أهمها في ميدان التدريس الأولي ، والحلقات العلمية ، نال اهتمام العلماء في تلك البلدة ، وبخاصة في ميدان العمارة ، إذ تشير المصادر إلى حرص أولئك القوم على عمارته وترميمه عبر القرون الأخيرة الماضية ، انظر ــ على سبيل المثال ــ مجموع « نفحات من عسير » لمحمد بن

إبراهيم الحفظي ٢١٢ .

(٢٥) إجازة أحمد بن عبدالخالق الحفظي ، مخطوطة ، توجد لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي برجال ألمع .

(٢٦) تنسب هذه البقعة إلى : سليمان بن طرف الحكمي الذي وَحَّد بين مخلافي حكم ، وعثر ، وقد : « شملت ما أطلق عليه اسم : المخلاف السليماني ، وهو من الشرجة إلى حلي ابن يعقوب » « تاريخ المخلاف السليماني » للعقيلي ٧١ ، ١/١٩٩ .

(٢٧) قال عنها العقيلي : « أبو عريش : بفتح العين المهملة ، وكسر الراء ، وسكون الياء المثناة التحتية وآخره شين مدينة من أشهر مدن منطقة جازان تبعد ٣٢ كيلاً عن مدينة جازان » « معجم مقاطعة جازان » ٥٨ ، انظر : « صفة جزيرة العرب » للهمداني ، و« نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير» لحجاب الحازمي » ٣٢ .

(٢٨) الحسن بن أحمد عاكش ، « عقود الدرر » ، مخطوط ٦٩ .

(٢٩) قال أحمد بن عبدالخالق الحفظي في معرض حديثه عن شيخه عاكش ومدرسته : « لقد بِتُّ معه دام فضله ، وانبسط من عرفانه ظله استماع صحيح البخاري بحضرته ، وقراءة ما قرأت بمدرسته . . . » إجازته المخطوطة .

(٢٠) إجازته المخطوطة السابقة .

(٣١) قال ياقوت : الحموي : « . . . والضمد أيضاً : موضع بناحية اليمن بين اليمن ومكة على الطريق التهامي ، وفي بعض الأخبار أن رجلاً سأل رسول ﷺ ، عن البداوة ، فقال : اتق الله ولا يضرك أن تكون بجانب الضمد من جازان . . . وأخبرني أبو الربيع سليمان بن الريحاني أنه رأى ضمد بالتحريك ، وأنها من قرى عثر من جهة الجبل . . . » « معجم البلدان » ٤٦٣/٣ ، انظر : « النهاية » لابن الأثير ٩٩/٣ ، و« نفح العود » للبهكلي ١٥ ، و« المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » للعقيلي ٢٦٥ ، و« منحة الضمد في الميسور من حديث ضمد » لأحمد بن حسن بن محمد عاكش .

(٣٢) من علماء مكة المكرمة في القرن الثالث عشر الهجري .

(٣٣) إجازته المخطوطة السابقة .

(٣٤) هو مسفر بن عبدالرحمن بن سليمان بن جعيلان الدوسري ١٢٤٣ ـ ١٣١٨هـ قال عنه شعيب بن عبدالحميد الدوسري في : « إمتاع السامر » : « ولد في القدّة في وطن آل تمام بن حسن . وكانت ولادته في عهد الأمير علي بن مجثل ، إذ كان والده أحد قضاة سعيد بن مسلط ، وعلي بن مجثل ، وعائض بن مرعي ، وتربى مسفر هذا على يد والده عبدالرحمن ، وبقية علماء المنطقة الذين يدرسون في مسجد السقا وغيره » ٦٢ ، تولى التدريس والقضاء بعسير في عهد الأمير محمد بن عايض ، المصدر نفسه ١٢ . وقال في ترجمته أحمد بن عبدالخالق الحفظي : « ومنهم الشيخ العلامة ، اللابس من التقوى أفخر لامه ، شيخنا الشيخ المشهور بالعرفان ، المعروف بالتحقيق والاتقان مسفر بن عبدالرحمن الحنبلي مذهباً والدوسري بلداً كان إماماً جليلاً ، عالماً نبيلاً ، زاحم التسعين ، ولم يختل من حواسه ما يخل بمن زاحم تلك السنين جلس بحجاز أزد شنوءة أكثر من ثلاثين سنة يتم في كل سنة إملاء الست الأمهات بغير إخلال ، ويحل عن الطالب الإشكال ، استمعت لقراءته فيها ، وقرأت عليه قليلاً منها ، واتممت عليه عمدة الأحكام للحنابلة ، وزاد المعاد لابن القيم رحمه الله ، والتوحيد نحو أربع مرات » « إجازته السابقة » ، قال النعمي : « مسفر بن جعيلان الدوسري نزيل قرية العرين من وادي أبها » « تاريخ عسير » ٢٠٦ .

(٣٥) « إجازته المخطوطة السابقة » ، وقد قال الحفظي في معرض حديثه عن شيخه ظافر بن سعيد : « كان عالماً سيما في علم الحديث ، طلب العلم بزبيد سبع سنين ، قرأت عليه المنهل الروي في الحيث النبوي ، مصطلح الحديث ، واخذت منه الإجازة كما أخذها رحمه الله » ، « إجازته المخطوطة السابقة » .

(٣٦) هو : زين العابدين بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن بكري ، من علماء رجال المع في القرن الثالث عشر

الهجري . انظر : « نسب الفقهاء آل عجيل » لعبدالرحمن بن محمد الحفظي ، وانظر : « تاريخ عسير » للنعمي ٢٠٠ .

(٣٧) هو : عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن بكري ، من علماء رجال ألمع في القرن الثالث عشر الهجري ، انظر : « نسب الفقهاء آل عجيل » لعبدالرحمن بن محمد الحفظي ، وانظر : « عقود الدرر » لعاكش ، ورقة ٥٧ .

(٣٨) قال عنه هاشم النعمي : « العلامة أحمد بن هادي بن عمر » « تاريخ عسير » ٢٠٧ ، وهو من علماء النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، من أبرز أعيان إمارة محمد بن عايض بعسير عندئذ .

(٣٩) هو : سليمان بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر بن بكري ، من علماء رجال ألمع في القرن الثالث عشر الهجري . انظر : « نسب الفقهاء آل عجيل » لعبدالرحمن بن محمد الحفظي ، و « مشجرة نسب آل بكري » لمجهول ، و « نسب الفقهاء آل عجيل » لإبراهيم بن زين العابدين الحفظي .

(٤٠) « إجازته المخطوطة السابقة » .

(٤١) انظر ص ١٥ ، ١٦ .

(٤٢) هو : أحمد بن محمد بن إسماعيل المعاق الضحوي ، ولد سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م ، تلقى تعليمه على نفر من علماء زمنه ، من مثل : عمر بن أحمد باكيله ، ومحمد بن علي العمراني ، له عدد من المؤلفات ، وله إسهام وافر في ميدان الأدب ، انظر ترجمته في « عقود الدرر » لعاكش ، و « نيل الوطر » لزبارة ١٩٨/١ .

(٤٣) من علماء ضمد في القرن الثالث عشر الهجري .

(٤٤) لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من مصادر .

(٤٥) قال في ترجمته الزركلي : « محمد بن ناصر الحازمي الحسني التهامي الضمدي [٠٠٠ ــ ١٢٨٣هـ] محدث . . . من أهل ضمد له رسالة في « إثبات الصفات » . . . » « الأعلام » ١٢٢/٧ .

(٤٦) انظر ترجمته في « عقود الدرر » لعاكش ، مخطوط .

(٤٧) لم أقف على ترجمته ، فيما بين يدي من مصادر .

(٤٨) « إجازته المخطوطة السابقة » .

(٤٩) المصدر نفسه .

(٥٠) عبدالله أبو داهش ، « الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية » ٦٨ ، ٦٩ .

(٥١) ترجم له الزركلي ، فقال : « . . . من بني مغيد : أمير بلاد عسير ، وليها في حداثة سنه ، عام ١٢٧٣هـ . وجاءته من الأستانة خلعة الباشوية ، واستمر إلى أن طمع بضم تهامة إلى عسير ، فحشد جموعاً وزحف إلى باجل ، ووجه منها قوة إلى الحديدة . وكانت في أيدي الترك فنشبت معركة انهزم بها جيش ابن عايض ، وعادت إليه الفلول ، ثم لم يلبث أن فوجئ بزحوف الترك تستولي على بلاده ، فتحصن في قرية رَيْدة ، واضطر إلى الاستسلام ، فخرج بشروط وأمان ، ونقض الترك عهدهم له ، فحبسوه مع بعض رجاله ، ثم أخرجوهم وقتلوهم جميعاً » « الأعلام » ١٧٩/٦ ، انظر : « الدر الثمين » لعاكش الضمدي ، و « تاريخ عسير » للنعمي ، و « في ربوع عسير » لرفيع ، و « عسير » لعلي أحمد عسيري .

(٥٢) « عقود الدرر » ٦٩ .

(٥٣) في الأصل : « لشيخ » .

(٥٤) وثيقة خطية ، يوجد أصلها لدى سليمان بن عبدالخالق الحفظي برجال ألمع .

(٥٥) من متصرفي عسير . ولي أمرها عام ١٢٩٤هـ . انظر أخباره في كتاب « تاريخ عسير » للنعمي ٢١٨ .

(٥٦) وثيقة خطية ، يوجد أصلها لدى سليمان بن عبدالخالق الحفظي برجال ألمع .

(٥٧) « تاريخ عسير » ٢١٦ ، و « عسير » ٢١١ .

(٥٨) يقع في ثلاثة مجلدات ، واسمع « فتح المنان » .
(٥٩) من صفحات كتابه المطبوع السابق ٢٣ .
(٦٠) يوجد شيء من أوراقه لدى المحقق .
(٦١) كتابه السابق ١٤٤ .
(٦٢) للبوصيري .
(٦٣) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ١٤٤ .
(٦٤) يوجد شيء من أوراقها لدى المحقق .
(٦٥) من قواد الترك ومتصرفيهم في عسير ، يقول فيه هاشم سعيد النعمي : « عندما سقطت بلاد عسير في يد القوات التركية [١٢٨٩هـ] باشر رديف باشا إدارتها بما عرف عنه من الجور والشدة ، وأخذ في قتل العسيريين وتشريدهم ونفي كبارهم . . . » « تاريخ عسير » ٢١٦ ، وانظر « عسير » لعلي أحمد عيسى عسيري .
(٦٦) يقول علي أحمد عيسى : « ويذكر عاطف باشا أنه تم اختيار أربع مئة من الأسرى الذين استسلموا في ريدة ، وأرسلوا إلى الآستانة . ويضيف أن الاختيار كان يتم بناء على صحة الأسير وسنه ، حيث أطلق سراح الضعاف ، وكبار السن ، بينما أبقي الشباب . وقد بلغ عددهم أربع مئة أسير . ولكن المصادر المحلية تؤكد أن عدد الأسرى الذين أرسلوا إلى الآستانة ست مئة أسير » « عسير » ٣٨٠ ، انظر : « أخبار عسير » ، و « السراج المنير » لعبدالله بن علي بن مسفر ، و « تاريخ عسير » للنعمي ، و « عسير » لمحمود شاكر .
(٦٧) وقيل بانهم أرسلوا إلى بلدة يانيه ، ولعل مقامهم في هذه البلدة بعيد وصولهم إلى استانبول .
(٦٨) كتابه السابق ١٤٣ .
(٦٩) ١٢٦ . (٧٠) ٣٨١ . (٧١) ٢١٥ . (٧٢) ١٥٢ .
(٧٣) من صفحات كتابه المطبوع السابق ٢٣ .
(٧٤) المصدر نفسه ٢٣ . (٧٥) المصدر نفسه ٢٣ .
(٧٦) « الأعلام » ١٨٣/٢ ، وانظر « الدرر الثمين » لعاكش ، و « بلوغ المرام » للعرشي ٧٦ .
(٧٧) مثل قوله : « وصل الشيخ علي بن طامي إلينا صبح الثلوث لعله ٢ شعبان الكريم سنة . . . » ، وقوله : « وصل خبر جلب البر إلى الحجاز من بني شهر . . . رمضان المكرم سنة ١٢٩١» ، وقوله : « ووصلت جريدة ذكروا فيها غور بعض ماء عين زبيدة بمكة المكرمة ، آخر رمضان المكرم سنة ١٢٩١ » ، « مذكراته الخاصة » بدون ترقيم لصفحاتها .
(٧٨) المصدر نفسه .
(٧٩) مثل قوله : اعْلَمْ = بيل ، انظر صورة الصفحة الخطية المرفقة .
(٨٠) مذكراته الخاصة السابقة .
(٨١) زيادة من المحقق .
(٨٢) « مذكراته الخاصة السابقة » .
(٨٣) مثل قوله : « حصلت الزيادة في شهر تشرين أول سنة ١٢٩٢ ، وحسبوا لي عشرة أشهر غير الحوالة الواصلة جزاهم الله خيرا » ، وقوله : « وكان تمامها ببلدة يانيه يوم الثلوث لعله ثامن عشر [من] ذي الحجة الحرام . . . ١٢٩٢ » ، وقوله : « . . . وصل عبدالرحمن بخراساني بيده مكتوب عندي » ، وقوله : « ودخل أولاد فايز مكتب الرشدية شهر شعبان ١٢٩١ » ، وقوله : « وفي يوم الثلوث لعله تاسع شهر شوال سنة ١٢٨٩ توفي بلال غلام الشيخ لاحق رحمه الله . وكانت وفاته [ثالث] ساعة من ذالك اليوم ، والصلاة عليه في أربع ، ودفنه في ست . . . » « مذكراته المخطوطة السابقة » .

(٨٤) مقابلة شخصية مع عبدالخالق بن سليمان الحفظي في عام ١٤٠٠هـ بأبها .

(٨٥) من صفحات كتابه المطبوع السابق ٢٣ .

(٨٦) وثيقة خطية ، يوجد أصلها المخطوط لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي برجال ألمع .

(٨٧) وثيقة خطية ، يوجد أصلها المخطوط لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي برجال ألمع .

(٨٨) كتابه السابق ١٤٣ .

(٨٩) يعد من علماء هذه الفترة البارزين ، وممن أدرك ضعف الحياة الفكرية والأدبية في تهامة عبر هذا العهد ، كان حياً في سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م ، له شيء من المعارضات الشعرية مع شعراء عسير ، انظر شيئاً من أخباره في كتاب : « الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية » للمحقق ٢٣١ ، ودرب بني شعبة من بلدان تهامة ، يقع شمالي جازان ويعرف من قبل بدرب ملوح ، انظر « المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » للعقيلي ١٠٢ .

(٩٠) يقول العقيلي : « بالتصغير ، بلدة سرومة في طريق الساحل من جازان إلى مكة » « المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » ١٢٨ ، قلت هو من أعمال إمارة جازان الإدارية ، ومن مشاتي عسير المهمة في زماننا .

(٩١) من قصيدة مخطوطة ، يوجد أصلها لدى المحقق ، وطالعها :

« بالدرب صرنا عند من يحمي الحما   ضيفان صدق والسحاب لنا هما »

وفي مثل هذا الحال قال شوقي ، وقد أدركه الحزن في طريقه إلى المنفى بالأندلس :

« مُستَطار إذا البواخِرُ رنَّتْ   أولَ الليلِ أو عَوَتْ بعد جَرْس »

« الشوقيات » ٤٦/٢

(٩٢) « القصيدة المخطوطة السابقة » .

(٩٣) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ١٤٣ .

(٩٤) من صفحات كتابه المطبوع السابق ٢٣ .

(٩٥) قال كحالة : « الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان الحمداني ، العدوي التغلبي أبو فراس [٣٢٠ ـ ٣٥٧هـ] أديب ، شاعر ، فارس ، جواد ، ولد بمنبج ، وأسرته الروم جريحاً فبقي بالقسطنطينية أعواماً ، ثم فداه سيف الدولة منهم بأموال ، وأعطاه أموالاً جزيلة ، وخيلاً ومماليك . وكانت له منبج ، ثم حكم حمص ، ثم قتل بناحية تدمر ، من آثاره : ديوان شعر : « معجم المؤلفين » ١٧٥/٣ ، انظر : « الأعلام » للزركلي ١٥٥/٢ .

(٩٦) من صفحات كتابه المطبوع السابق ٢٣ .

(٩٧) يوجد شيء من أوراقها لدى المحقق .

(٩٨) انظر : « نفحات من عسير » ١٤٤ .

(٩٩) لمحمد بن إبراهيم الحفظي .

(١٠٠) لعبدالرحمن بن إبراهيم الحفظي .

(١٠١) يوجد شيء منها لدى المحقق ، وفي المكتبات الخاصة برجال ألمع ، وأبها .

(١٠٢) يوجد شيء منها لدى المحقق .

(١٠٣) « عقود الدرر » ٦٩ .

(١٠٤) كتابه السابق ١٤٤ .

(١٠٥) عبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك (١٣١١ ـ ١٣٤٣هـ) .

(١٠٦) إبراهيم الأسكوبي (١٢٦٤ ـ ١٣٣١هـ) ، من شعراء الحجاز .

(١٠٧) من صفحات كتابه المطبوع السابق ٢٣ .

(١٠٨) من صفحات كتابه المطبوع السابق ١٦ ، ويمكن النظر في نتاجه الشعري والتعرف عليه من خلال كتابي المحقق : «أثر الدعوة» ، و«الحياة الفكرية والأدبية» .
(١٠٩) «عقود الدرر» ٦٩ .
(١١٠) المصدر نفسه ٦٩ .
(١١١) المصدر نفسه ٦٩ .
(١١٢) إذ ظهرت عندئذ الطباعة ، والصحافة ، ونشرت الكتب والرسائل ، مما سهل الاطلاع ، وزاد في ثقافة المفكرين والأدباء .
(١١٣) «مذكراته المخطوطة السابقة» .
(١١٤) رسالته التاريخية المخطوطة ، ورقة ١ .
(١١٥) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ١٤٤ .
(١١٦) مذكراته الخطية السابقة .
(١١٧) المصدر نفسه .
(١١٨) في الأصل : «رجانا» .
(١١٩) «مذكراته الخطية السابقة» .
(١٢٠) المصدر نفسه .
(١٢١) «أخبار عسير» ١٢٦ .
(١٢٢) المصدر نفسه ١٢٩ .
(١٢٣) كتابه السابق ٣٨١ .
(١٢٤) هو : الحسن بن علي بن محمد بن حسن بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي ، ولد ببلاد رجال ألمع في قرية رُجَال سنة ١٣٤٥هـ ، وتلقى تعليمه على يد علماء بلده ، وقد عمل في ميدان التعليم حيث قضى معظم عمره في التدريس والتأليف ، والوعظ والإرشاد ، له ديوان شعر مخطوط ، وله مكتبة مخطوطة أيضاً ، يعد خاتمة لعلماء آل الحفظي في زمانه ، وهو ممن عرف بالصلاح والتقى ، انظر إلى جانب هذا «النبذة اليسيرة التي أعدها ولده علي بن الحسن» .
(١٢٥) لعل من أسباب تحقيق هذا الأثر الأدبي العمل على دفع ماوقع في هذا المصدر المطبوع من آثار : الخطأ والتحريف . انظر «التحقيق» .
(١٢٦) خطبة الحفظي التي بين أيدينا .
(١٢٧) انظر التحقيق .
(١٢٨) الخطبة نفسها .
(١٢٩) قيل في الحاشية : «هذه صورة خط مع محمد . . . دار السلطان ، قلت : لا يستقيم المعنى نتيجة للتلف الذي أصاب الورقة .
(١٣٠) في الأصل : «العلما» ، ولقد قيل بأن وصول هؤلاء الأسرى إلى استانبول كان في يوم الجمعة الخامس من ربيع الثاني ١٢٨٩هـ على اختلاف في ذالك ، انظر : مقدمة التحقيق ، والكتب الآتية : «أخبار من عسير» ، و«تاريخ عسير» ، و«نفحات من عسير» و«عسير من ١٢٤٩هـ ـ ١٢٨٩هـ» ، وغيرها .
(١٣١) أراد الحرم المكي الشريف ، وكونه من سكان الجزيرة العربية ، ومن رجال ألمع يماني البيت الحرام .
(١٣٢) انظر مقدمة التحقيق .
(١٣٣) هكذا كان العلماء في جنوبي الجزيرة العربية ، إذ هم يرون أن اليمن ماتَامَن الكعبة .
(١٣٤) لقب معهود لدى سلاطين آل عثمان ، ويراد به : القائم بالجهاد ، والداعي إليه .
(١٣٥) قال عنه خليل مردم : «السلطان عبدالعزيز خان بن السلطان محمود الثاني ، وهو الثاني والثلاثون من

سلاطين آل عثمان ، والسادس والعشرون ممن ملك منهم بعد فتح القسطنطينية ، ولد في ١٥ شعبان سنة ١٢٤٥ ، وخلف أخاه السلطان عبدالمجيد في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٧ ، وخلع سنة ١٢٩٣ ، وانتقل إلى دار البقاء بعد خلعه بستة أيام « أعيان القرن الثالث عشر » ، انظر : أخباره مفصلة في كتاب : « تاريخ الدولة العثمانية » لعلي حسون ١٦٣ .

(١٣٦) أراد نفسه ، والذين معه من أهالي عسير المنفيين ، أذ قيل : بأن عددهم يزيد عن : « ست مئة من وجهاء القوم من علماء ومشايخ » « أخبار عسير » ١٢٩ .

(١٣٧) في الأصل : « الانبيا » .

(١٣٨) في الأصل « قايد » .

(١٣٩) آية ٢١٥ سورة الشعراء .

(١٤٠) قيل : بأن الحفظي ارتجل هذه الخطبة في حضرة السلطان عبدالعزيز بن محمود ، فقد قال عبدالله بن علي بن مسفر : « ارتجل الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي كلمة أمام السلطان جاء فيها . . . . » ، وأضاف ابن مسفر إلى ذالك قوله : « وقد كان لهذه الكلمة وقعها الشديد عند السلطان ، وأثرها العميق في نفسه ، فأمر في الحال بإطلاق سراحهم من السجن ، ورفع الأغلال عنهم ، وأنزلهم في القصور ، وأمر بإكرامهم ، ورتب لهم الرواتب ، وأجرى لهم مايبعث على سرورهم ، وراحة معيشتهم ، إلا أنه شدد الرقابة ، وقوّى الحراسة . . . » « أخبار عسير » ١٢٦ ، ١٢٩ .

ولقد اقتبس عبدالله بن علي بن مسفر شيئاً من خطبة الحفظي وضمنه كتابه السابق ، ولكنه وقع في كثير من : الزيادة ، والنقص ، والتحريف ، مما دعا المحقق في هذا المقام إلى إظهار مواطن الخطل وعقد المقارنة ، والمعارضة بين المخطوط الأصل ، وماورد في هذا الكتاب ، ولعل ذالك وقع اجتهاداً من المؤلف رحمه الله تعالى ، فلقد حدثني الشيخ الحسن بن علي الحفظي رحمه الله تعالى بأن المؤرخ عبدالله بن علي بن مسفر حصل على ذالك الاقتباس من لدنه ، وأنه زوّده بها بعد مطالبة ملحة ، فلا أدري هل تم النسخ من الأصل أم غير ذالك ؟ مما أوجد هذا الواقع ، فالحق أن الأصل المخطوط الذي بين أيدينا لا يقبل الشك ، ولا التخمين ، وإنما هو اليقين ، ولا أقول بأن للأهواء السياسية أثراً في تحريف النص ؟ .

(١٤١) كذا في الأصل ، وفي « أخبار عسير » : « اعلم » ، وقد زيد قبله في هذا الكتاب « أصلح الله السلطان » ١٢٧ .

(١٤٢) كذا في الأصل ، وفي « أخبار عسير » : « البلاد » ١٢٧ .

(١٤٣) كذا في الأصل ، وفي « أخبار عسير » : « للعباد » ١٢٧ .

(١٤٤) كذا في الأصل ، وفي « أخبار عسير » : « وانتظم في سلك خلافتك العرب والعجم » ١٢٧ .

(١٤٥) كذا في الأصل ، وفي « أخبار عسير » : « ثواباً » ١٢٧ ، قال ابن منظور : « . . . وأثابه الله ثوابة ، وأَثْوَبَة ، وتَوُبة مثوبته أعطاه إياها ، وفي التنزيل العزيز : « هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [آية ٣٦ سورة المطففين] ، أي جوزوا . . . وثوبّه الله من كذا عَوَّضه وهو من ذالك ، واستثابه سأله ان يثيبه ، وفي حديث ابن التيهان رضي الله عنه : « أثيبوا أخاكم أي : جازوه على صنيعته ، يقال أثابه يثيبه إثابة والاسم الثوابُ . . . » « اللسان » ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(١٤٦) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « إما ثوابا من فضله ، أو اختياراً من عدله » ، وقد حذف مؤلف هذا الكتاب القول الوارد في النص من بعد لفظ « عدله » حتى قوله ﷺ : « اللهم من ولي من أمور المسلمين شيئا . . . » ١٢٧ .

(١٤٧) كذا في الأصل .

(١٤٨) في الأصل : « بل » .

(١٤٩) كذا في الأصل .

(١٥٠) في الأصل : « بل » .
(١٥١) في الأصل : « آنا » .
(١٥٢) قبس الكاتب من قوله تعالى : « . . . وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وأَطْرَافَ النَّهارِ . . . » من آية ١٣٠ سورة طه .
(١٥٣) في الأصل : « تربًا » .
(١٥٤) في الأصل : « عصا » .
(١٥٥) زيادة من المحقق .
(١٥٦) كذا في الأصل ، وقد قال جرير :

إذا ابْتَـدَرَ القَـوْمُ المَكَـارِمَ عَـزَّهُمْ عَـرَاضَـةُ أخـلاقِ ابْنِ لَيْـلَى وطـوْلُـهـا

انظر : « اللسان » ٢٧/٩ ، و« الصحاح » ١٠٨٣/٣ . . [العرب: صحة الكلمة ـ كما يبدو من الصفحة المصورة [عريض الجاه] .
(١٥٧) في الأصل : « عصا » .
(١٥٨) والحديث : عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أطاعني فقد أطاعَ الله ، ومَنْ عصاني فقد عصى الله ، ومَنْ يُطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني » رواه البخاري ، ومسلم ، انظر : « جامع الأصول » ٦٣/٤ ، ٣٥٩ .
(١٥٩) انظر : « زاد المعاد » لابن القيم ٥٦/٣ ، ٧٦ ، قال ابن القيم في معرض حديثه عن قدوم وفود العرب على رسول الله ﷺ : « فقدم عليه وفد ثقيف . . . وأكرمهم وحباهم » المصدر نفسه ، وانظر « السيرة » لابن هشام .
(١٦٠) كذا في الأصل .
(١٦١) في الأصل : « شيا » .
(١٦٢) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ .
(١٦٣) أخرجه مسلم ، وانظر : « جامع الأصول » ٨٢/٤ ، ولفظ الحديث : « . . . اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أمر أُمَّتي شيئا ، فَشَقَّ عليهم ، فَاشْقُقْ عليه ، ومَنْ وَلِيَ من أمر أُمّتي شَيْئاً فَرَفَقَ بهم ، فارفق به » « المصدر نفسه » ٨٢/٤ .
(١٦٤) يشير إلى رسول الله ﷺ ، وماقبل لفظ « الأرض » محذوف في كتاب « أخبار عسير » ١٢٧ .
(١٦٥) كذالك في الأصل ، ولعلها : « وإنا » .
(١٦٦) يريد بلاده بجنوبي الجزيرة العربية ، إذ يطلق هذا القول على ما يَامَنَ الكعبة من بلدان .
(١٦٧) كذا في الأصل وفي : « أخبار عسير » : « وقد أتيناك من أرض العرب ، ومن رحاب عسير » ١٢٧ .
(١٦٨) يشير إلى رسول الله ﷺ .
(١٦٩) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، انظر : « الأعلام » ٢٩٥/٥ .
(١٧٠) معاذ بن جبل رضي الله عنه ، انظر : « الأعلام » ٢٥٨/٧ .
(١٧١) اليمن .
(١٧٢) في الأصل : « باتقا » .
(١٧٣) وفي الحديث : « . . . عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : « إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم اطاعوا لك بذالك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من

أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هُم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » رواه البخاري ، انظر : « جامع الأصول » ٤٢٠/٨ ، وهذا الكلام وماقبله محذوف من كتاب : « أخبار عسير » ١٢٧ .

(١٧٤) هذا اللفظ ساقط في كتاب : « أخبار عسير » ١٢٧ .

(١٧٥) في الأصل : « فان » .

(١٧٦) من آية ١١٦ سورة الأنعام .

(١٧٧) كذا في الأصل . وقد زيد في كتاب : « أخبار عسير » الآتي : ومن نمى علينا ووشى بنا » ١٢٧ .

(١٧٨) في الأصل : « وستسال » ، وفي : « أخبار عسير » : « وستسأل » .

(١٧٩) في الأصل : « وتسالون » ، ولعل الصواب : « ويسألون » .

(١٨٠) كذا في الأصل ، فلقد حافظ الحفظي على رسم المصحف .

(١٨١) آية ٣١ سورة الزمر .

(١٨٢) كذا في الأصل ، وفي « أخبار عسير » : « واعلم » ١٢٧ .

(١٨٣) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « تقوم بهذا المقام الذي أنت فيه » ١٢٧ .

(١٨٤) من آية ٧٨ سورة النحل .

(١٨٥) في الأصل : « الافيدة » .

(١٨٦) من آية ٢٣ سورة الملك .

(١٨٧) ساقطة في كتاب : « أخبار عسير » ١٢٧ .

(١٨٨) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « بين يدي الله » ١٢٧ .

(١٨٩) في الأصل : « للدعا » ، ولعل الحفظي أراد : « النفخ في الصور والنشور » ، وفي الحديث : « عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنْعَمُ وقد التقم صاحب الْقَرْنِ الْقَرْنَ ، وحنا جبهته ، وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ ؟ . . . » أخرجه الترمذي ، انظر : « جامع الأصول » ٤٢٠/١٠ .

(١٩٠) قال الحافظ في « الفتح » : « اشتهر أن صاحب الصُّور : اسرافيل عليه السلام » ٣٦٨/١١ . وفي : « جامع الأصول » : « عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور ، وقال : عن يمينه جبريل ، وعن يساره ميكائيل » ٤٢٣/١٠ .

(١٩١) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ .

(١٩٢) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ .

(١٩٣) من آية ١٨ سورة هود .

(١٩٤) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ .

(١٩٥) كذا في الأصل : وفي « أخبار عسير » : « إليك » ١٢٧ .

(١٩٦) كذا في الأصل : وفي « أخبار عسير » : « لا يغنون » ١٢٧ ، وهو خطأ .

(١٩٧) في الأصل : « شيا » .

(١٩٨) في الأصل : « اوليا » .

(١٩٩) آية ١٩ سورة الجاثية .

(٢٠٠) كذا في الأصل ، وقد حذفت في : « أخبار عسير » ، وقيل : « وقد قال الله تعالى للنبي الكريم ﷺ » ١٢٧ .

(٢٠١) في الأصل : « إنّا » ، والصواب : « ثم » ، وقد حذفت في كتاب « أخبار عسير » ١٢٧ .

(٢٠٢) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « وجعلناك » ١٢٧ .

(٢٠٣) في الأصل : « اهوا » ، وفي : « أخبار عسير » : « سبيل » ١٢٧ .
(٢٠٤) آية ١٨ سورة الجاثية .
(٢٠٥) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « تعالى » ١٢٧ .
(٢٠٦) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « مبيناً له الرفق » ١٢٧ .
(٢٠٧) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « في فعله وقوله » ١٢٧ .
(٢٠٨) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ .
(٢٠٩) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ .
(٢١٠) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « فاتبعها » ١٢٧ .
(٢١١) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ .
(٢١٢) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « ولو » ١٢٧ .
(٢١٣) من آية ١٥٩ سورة آل عمران ، وقد زيد في كتاب : « أخبار عسير » القول الآتي : « واذكر ما أنزل الله في شأن حماية الأخيار الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » ١٢٧ .
(٢١٤) كذا في الأصل : وهو رسم المصحف .
(٢١٥) آيتا ٣٠ ، ٣١ سورة الزمر .
(٢١٦) أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد أراد الخلافة .
(٢١٧) في الأصل : « الذي » .
(٢١٨) من آية ٤٠ سورة الحج ، قال البيضاوي في تفسيره : « يعني أهل مكة » ٥٤/٤ .
(٢١٩) توفي رضي الله عنه سنة ١٣هـ ، انظر ترجمته في : « الأعلام » ١٠٢/٤ .
(٢٢٠) انظر ترجمته رضي الله عنه في : « الأعلام » للزركلي ٤٥/٥ .
(٢٢١) قال الزركلي : « قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي [غلام المغيرة بن شعبة] غيلة بخنجر في خاصرته ، وهو في صلاة الصبح ، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال » ، « الأعلام » ٤٥/٥ ، ٤٦ . وكان ذالك في عام ٢٣هـ/٦٤٤م .
(٢٢٢) في الأصل : « بل » .
(٢٢٣) في الأصل : « عثمن » .
(٢٢٤) انظر ترجمته رضي الله عنه في : « الأعلام » ٢١٠/٤ .
(٢٢٥) من آية ٥٨ سورة الأعراف .
(٢٢٦) في الأصل : « عثمن » ، قتل رضي الله عنه سنة ٣٥هـ . « صبيحة عيد الأضحى ، وهو يقرأ القرآن في بيته » « الأعلام » ٢١٠/٤ .
(٢٢٧) في الأصل : « شا » .
(٢٢٨) في الأصل : « النكوض » .
(٢٢٩) كذا في الأصل ، وفي : « المعجم الوسيط » : « . . . مُلْكٌ عَضُوض : فيه عسف وظلم ، وفي الحديث : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم يكون ملك عضوض . . . » ٦١٣/٢ .
(٢٣٠) في الأصل: « شيا » .
(٢٣١) انظر : « زاد المعاد » لابن القيم ١٠٦/٣ .
(٢٣٢) في الأصل : « يماني » .
(٢٣٣) قال رسول الله ﷺ : « أتاكم أهل اليمن أرقُّ أفئدةً ، وألين قلوباً ، الإيمانُ يَمَانٍ ، والحكمةُ يمانية ، ورأسُ الكفر قبل المشرق ، والفخرُ والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينةُ ، والوقارُ في أهل الغنم » ، وفي رواية : « الفَخْرُ والخيلاءُ في الفَدَّادِيْنَ أهلِ الوبر ، والسكينة في أهل الغنم ، والإيمانُ يَمانٍ ،

والحكمةُ يمانيةُ » أخرجه البخاري ومسلم ، وفي رواية للبخاري قال : « أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً ، وأرقُّ أفئدة ، الفقهُ يمان ، والحكمة يمانية » ، ولمسلم قال : « جاء أهل اليمن هم أرقُّ أفئدة ، وأضعف قلوباً ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانيةٌ » ، وفي رواية الترمذي : أن النبي ﷺ ، قال : « الإيمانُ يمان ، والكفر قبل المشرق ، والسكينة لأهل الغنم ، والفخر والرِّياء في الفدّادين أهل الخيل والوبر ، يأتي المسيح حتى إذا جاء دُبُرَ أُحُدٍ صَرَفَتِ الملائكة وجهه قبل الشام ، وهنالك يهلك » « جامع الأصول » ٣٤٧/٩ ، وفي « زاد المعاد » ، قال ابن القيم : « روى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن النبي ﷺ ، قال : يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً ، فقدم الأشعريون ، فجعلوا يرتجزون :

غـداً نَلْقـى الأحِبَّـهْ محمـداً وحِزْبَهْ » ٧٢/٣ .

(٢٣٤) في الأصل : « هولاء » .

(٢٣٥) كذا في الأصل .

(٢٣٦) في الأصل : « الاقتدا » .

(٢٣٧) في الأصل : « الاهتدا » .

(٢٣٨) وقد يرسم هكذا : « بختنصر » ، وهو ملك بابل ، انظر : « تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير » ٥١٦/٢ ، وانظر : « تفسير البيضاوي » ١٩٦/٣ .

(٢٣٩) قال البيضاوي في تفسيره بأنه : القائل بإحراق إبراهيم عليه السلام ٤٣/٤ ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ، وانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ آية ٦٨ سورة الأنبياء .

(٢٤٠) أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (٤٠ ــ ٩٥هـ) ، انظر ترجمته في : « الأعلام » ١٦٨/٢ .

(٢٤١) في الأصل : « الاقتدا » .

(٢٤٢) في الأصل : « ورآنا » .

(٢٤٣) في الأصل : « شا » .

(٢٤٤) آية ١١٨ سورة هود .

(٢٤٥) من آية ١١٩ سورة هود .

(٢٤٦) آية ١٩ سورة يونس .

(٢٤٧) في الأصل : « نومل » .

(٢٤٨) انظر ص ٦ .

(٢٤٩) كذا في الأصل . وفي : « أخبار عسير » : « وإنا » .

(٢٥٠) كذا في الأصل .

(٢٥١) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « أتتنا » ١٢٧ .

(٢٥٢) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « ودخلنا مداخل الاستطاعة » ١٢٧ .

(٢٥٣) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « نحن » .

(٢٥٤) لقد صدق الحفظي إذ هم عندئذ في رجال ألمع على المذهب الشافعي ، ويؤكد هذا القول انتشار كتب الشافعية ، واتصالهم بعلماء الحجاز ، وتهامة اليمن الشوافع ، قال في هذا القول محمد بن أحمد الحفظي : « مع أن في نحو عشر مراحل من جهتنا ، لا يوجد مؤلف للحنابلة ، ماعدا الهدي النبوي لابن القيم رحمه الله ، فهو مما حصلناه لأنفسنا في هذه المدة . وإنما هي كتب الشافعية » « اللجام المكين ، والزمام المتين » ٥٧ ، وقال محمود شاكر : « وفي الوقت نفسه كان أهل عسير يحاولون أحياناً مدّ نفوذهم إلى تهامة ، ويجدون عوناً لهم من أهلها الذين يلتقون معهم في المذهب ، حيث يتبعون مذهب أهل السنة ، وكلاهما من الشوافعة » « عسير » ١٤٠ .

(٢٥٥) في الأصل : « نوق » .
(٢٥٦) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ .
(٢٥٧) كذا في الأصل ، وقد زيد في كتاب : « أخبار عسير » : « الحرام » ١٢٧ .
(٢٥٨) في الأصل : « ملايكته » .
(٢٥٩) كذا في الأصل ، وقد حذف مؤلف : « أخبار عسير » تعداد أركان الإيمان ، واستبدلها بقوله : « ونؤمن بأركان الإيمان الستة » ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٢٦٠) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٢٦١) قال الرازي في : « مختار الصحاح » : « الكَلُّ العيال ، والثقل ، قال تعالى : « وهو كَلٌّ على مَوْلاه » ، والكَلُّ أيضاً اليتيم ، والكل أيضاً الذي لا ولد له ، ولا والد . . . » ٥٧٦ ، انظر : « الصحاح » للجوهري ، و « اللسان » لابن منظور ، و« القاموس » للفيروز آبادي .
(٢٦٢) في الأصل : « ونقرى » .
(٢٦٣) في الأصل : « نوايب » .
(٢٦٤) ساقط هذا القول في : « أخبار عسير » ١٢٨ ، من قوله : « ونظهر » . . .
(٢٦٥) كذا في الأصل .
(٢٦٦) في الأصل : « الابنا » ، وقد زيد قبل هذا اللفظ في : « أخبار عسير » ، قولهم : « القاصي والداني » ١٢٨ .
(٢٦٧) زيد بعد هذا اللفظ في : « أخبار عسير » قوله : « والأخوة والأخوات » ١٢٨ .
(٢٦٨) زيد بعد هذا اللفظ في : « أخبار عسير » قوله : « إلا بحقه » ١٢٨ .
(٢٦٩) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « ولا » ١٢٨ .
(٢٧٠) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « فبأي حجة يحتج به علينا المغرضون » ١٢٨ .
(٢٧١) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « ولا بأي » ١٢٨ .
(٢٧٢) في الأصل : « للشي » .
(٢٧٣) من قوله تعالى : « إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » آية ٤٠ سورة النحل ، وهنالك آيات كثيرة تحمل هذا المعنى . وقد حذفت هذه الآية من كتاب : « أخبار عسير » ١٢٨ .
(٢٧٤) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٨ ، وقد ورد في موضع آخر من هذا المرجع . القول الآتي : « . . . وفي هذه الأثناء وصل إلى ريدة مندوب الشريف ، وبيده بلاغ من السلطان العثماني [فرمان] ، وقد جاء فيه : « إنك آمن بأمان الله ورسوله ، وإني قد قبلت جميع مطاليبك التي عرضت علينا بواسطة الشريف محمد بن عون ، وماعليك إلا تسليم البلاد لرديف باشا ، وأموالك ، وخيولك ، وجميع أملاكك مع الحصون لا تمسها عساكرنا بسوء ، إلا إذا لم تتبع أمرنا هذا السلطاني » ١٢٣ وقد سبق هذا البلاغ العديد من الإعلانات ، والمنشورات ، انظر — على سبيل المثال — كتاب : « تاريخ عسير » للنعمي ٢١٠ ، وقال العرشي في : « بلوغ المرام » في معرض حديثه عن الأمير: محمد بن عايض : « . . . وجهز السلطان لقتاله محمد رديف باشا في عسكر يزيد عدده على ستة آلاف ، ومعهم المدافع المستديرة ، والمدافع الشاشخانه ، فأخذوه في أسرع وقت ، وأخذوا كل ماجمعه . وكان شيئاً وافراً ، واستاقها لنفسه ، فقتلوه ، وذالك في سنة ١٢٨٨ ، وقالوا : وكان من أوامر السلطان الا يقتل محمد بن عايض ، فلأجل ذالك عزل محمد رديف ، وولي على العساكر احمد مختار باشا » ٧٦ ، انظر : « الحكم العثماني في اليمن » لفاروق عثمان أباظة ٧٨ .

(٢٧٥) زيد في كتاب : « أخبار عسير » بعد هذا اللفظ ، القول الآتي : « بعد قتل إمامنا » ١٢٨ .
(٢٧٦) انظر ترجمته في ص ١٨ من هذا الكتاب ، يقول هاشم النعمي : في معرض حديثه عن استسلام هذا

الأمير : «تحرج موقف محمد بن عايض عندما شاهد رجاله يستسلمون في قبضة الجيش التركي دون الرجوع إليه ، ولم يبق معه سوى حاشيته وعبيده ، فمد يده إلى مختار باشا طالباً الصلح ، فوافقه القائد التركي على شروط منها سلامته على نفسه ، وحاشيته وأمواله ، وانتهى الحال بنزوله من قصره ، واستسلامه في قبضة القائد التركي مختار باشا . . . » «تاريخ عسير» ٢١٥ .

(٢٧٧) في الأصل : «بقا» .

(٢٧٨) حذف هذا اللفظ في : «أخبار عسير» ، وقيل : «مطمئنون» ١٢٨ .

(٢٧٩) كذا في الأصل .

(٢٨٠) أراد : السلطان عبدالعزيز بن محمود .

(٢٨١) أراد القائد التركي : رديف باشا ، وفيه يقول النعمي : «وكان رديف باشا هذا سيء التدبير ، جباراً عنيداً ، أذلّ العسيريين ، وطردهم كل مطرد . وكان لا يوقر كبيراً ، ولا يرحم صغيراً ، ولا يغتفر لأحد زلة ، وبجبروته دانت لهيبته جميع الجهات التابعة لمتصرفيته ، «تاريخ عسير» ٢١٧ .

(٢٨٢) قيل في كتاب : «أخبار عسير» : «وفي الحديث» ١٢٨ ، وحَذَفَ مؤلفه : قول الحفظي من : «ثم في وجه» إلى قوله «فإن» .

(٢٨٣) في الأصل : «والملايكة» .

(٢٨٤) انظر : «جامع الأصول» ٢٦/٨ ، ولفظه : « . . . فمن أَخفَر مسلماً ، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين . . . » أخرجه : البخاري ، ومسلم في صحيحيهما .

(٢٨٥) كذا في الأصل : وفي : «أخبار عسير» : «حصلت» ١٢٨ .

(٢٨٦) زيد بعد هذا اللفظ في: «أخبار عسير» : «أيها الخليفة» ١٢٨ .

(٢٨٧) في الأصل : «يخفا» .

(٢٨٨) حذف هذا القول في : «أخبار عسير» ١٢٨ .

(٢٨٩) قال الحفظي في هذا الشأن :

«وتخبر أهل الدين هل من مبلغ ... خليفة رب العرش أعدل حاكم

فيؤجر بالتبليغ فالدين واحد ... وما أذن المولى بكشف المحارم

ولو كان يدري بالضعيف وحاله ... وترويع ذي ضعف وهتك المحارم»

«من أوراقه المخطوطة»

(٢٩٠) وقال الحفظي أيضاً في هذا الشأن :

«وترويع أطفال وتعذيب طائع ... مُصَلٍّ لرب العالمين وصائم»

«المصدر السابق نفسه»

(٢٩١) في الأصل «جرا» .

(٢٩٢) كذا في الأصل ، وفي : «أخبار عسير» : «وجرى علينا مايعلمه الله من التعب ، والمشقة ، والسفر في البر والبحر» ١٢٨ . يقول علي أحمد عيسى عسيري في كتابه «عسير» : «وأما مصير الأسرى الذين في قلعة ريدة عندما استسلم محمد بن عايض ، فقد قام أحمد مختار باشا بإرسال موسى بك مع طابور من الجند إلى داخل القلعة لتسلمها . وقد رافقها كل من سعيد بن عايض ، وسعيد بن مفرح لمباشرة عمليات التسليم حتى لا تكون هناك فرصة لوقوع أي ضرر بالأسرى . وقد تم القاء القبض على ثمان مئة أسير من الذين كانوا يدافعون عن حصون ريدة . وقد وضع كافة الأسرى الذين خرجوا من ريدة في فناء مسجد مكشوف ، ومحاط بجدران ذات نوافذ في قرية ريدة . وقد وضعت حراسة مشددة أمام النوافذ ،

والأبواب ، وكلف نصف طابور بالمحافظة على الحراسة » ٣٧٨ ، انظر وصفاً لرحلة الأسرى إلى تركيا في المصدر السابق ٣٧٨ ـــ ٣٨١ ، وانظر أيضاً : « نفحات من عسير » ، و « أخبار عسير » : « وتاريخ عسير في الماضي والحاضر » .

(٢٩٣) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « ولا يجوز أن يكون أحدنا أسيراً » ١٢٨ .

(٢٩٤) في الأصل : « كبير » ، وهي ساقطة في « أخبار عسير » ١٢٨ .

(٢٩٥) زيد بعدها في : « أخبار عسير » : « في الشرع » ١٢٨ .

(٢٩٦) كذا في الأصل ، وفي « أخبار عسير » : « أسر » ١٢٨ .

(٢٩٧) حذف هذا اللفظ ومابعده في : « أخبار عسير » إلى قوله : « في أرض الله » ١٢٨ .

(٢٩٨) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « ذمتنا » ١٢٨ .

(٢٩٩) في الأصل : « هولا » ، وهذا يدل على أن هذه الخطبة قد قيلت بالفعل في حضرة السلطان العثماني ، إذ يشير الحفظي في مقامه هذا إلى إخوانه الأسرى الذين معه في مجلس السلطان .

(٣٠٠) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « فسننتصر » ١٢٨ .

(٣٠١) كذا في الأصل ، وقبله في : « أخبار عسير » : « فاسق كذاب أشر ، فاقرأ قول الله تعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ » آية ٦ سورة الحجرات . وقد قال المؤلف من بعد إيراده لهذه الآية : « فتراجع هداك الله فإن الله يمح » ، ثم استكمل الآية الواردة في نص الحفظي ، وهذا أمر غير محمود ولا مقبول ، وقد قال الحفظي في إحدى أوراقه المخطوطة :

« وإذا أتاكم فاسق فتبينوا ... أن لا يصيب الفعل من لم يفعل »
بدون ترقيم للصفحات

(٣٠٢) هذا القول محذوف في : « أخبار عسير » ١٢٨ .

(٣٠٣) في الأصل : « يمحو » .

(٣٠٤) في الأصل : « يشأ » .

(٣٠٥) آية ٣٩ سورة الرعد ، وقد زيد بعدها في : « أخبار عسير » : « وهو رب الأرباب ، وإن كنت مغروراً بقول فاسد ، فلا تسمع لكل ناعق جاحد ، وإن كانت مؤاخذتنا عن قول كذاب ، فنحن إليك معتذرون ، ومما نسبه إلينا بريثون » ١٢٨ .

(٣٠٦) كذا في الأصل .

(٣٠٧) في الأصل : « يوخذ » .

(٣٠٨) انظر الآيات الآتية ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ سورة الأعراف .

(٣٠٩) قال ياقوت الحموي : « سَبَأ بفتح أوله وثانيه ، وهمزة آخره وقصره : أرض باليمن مدينتها مأرب ، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام . . . وسميت هذه الأرض بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان . . . » « معجم البلدان » ١٨١/٣ .

(٣١٠) بلقيس بنت الهدهاد ، قال عنها الزركلي : « بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر بن سكسك من حمير : ملكة سبأ ، يمانية من أهل مأرب ، أشير إليها في القرآن الكريم ولم يُسَمِّها ، وليت بعهد من أبيها في مأرب ، وطمع بها ذو الأذعار عمرو بن أبرهة صاحب غمدان ، فزحف عليها فانهزمت ، ورحلت مستخفية بزي أعرابي إلى الأحقاف ، فأدركها رجال ذي الأذعار فاستسلمت ، وأصابت منه غرة في سكر فقتلته ، ووليت أمر اليمن كله ، وانقادت لها أقيال حمير ، فزحفت بالجيوش إلى بابل وفارس ، فخضع لها الناس ، وعادت إلى اليمن فاتخذت مدينة سبأ قاعدة لها ، وظهر سليمان بن داود النبي الملك الحكيم

بتدمر ، وركب الرياح إلى الحجاز واليمن وآمن اليمانيون بدعوته إلى الله ، وكانوا يعبدون الشمس ، ودخل مدينة سبأ ، فاستقبلته بلقيس بحاشية كبيرة ، وتزوجها ، وأقامت سبع سنين وأشهراً ، وتوفيت فدفنها بتدمر ، وانكشف تابوتها في عصر الوليد بن عبدالملك ، وعليه كتابة تدل على أنها ماتت لإحدى وعشرين خلت من ملك سليمان ، ورفع غطاء التابوت فإذا هي غضة لم يتغير جسمها ، فرفع ذالك إلى الوليد ، فأمر بترك التابوت في مكانه ، وأن يبنى عليه بالصخر » « معجم البلدان » ٧٤/٢ .

(٣١١) في الأصل : « الغايب » .

(٣١٢) في الأصل : « ابرا » .

(٣١٣) والحديث : عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : « بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا ، يقولون صبأنا ، صبأنا ، فجعل خالد بن الوليد يقتل ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره ، فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ ، وذكرناه فرفع يديه ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين » أخرجه البخاري والنسائي ، انظر : « جامع الأصول » ٤١٤/٨ ، ٤١٥ .

(٣١٤) من آية ٤ سورة إبراهيم .

(٣١٥) كذا في الأصل .

(٣١٦) كتب الحفظي قبل هذا : « أخوه المسلم » ، ثم شطبها ، وهو الصواب .

(٣١٧) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٨ .

(٣١٨) في الأصل : « الخطية » ، وفي « أخبار عسير » حذف القول الذي بعدها ، وقيل : « مثل صاحبها » ١٢٨ ، وزيد أيضاً : وتنبه أيها الخليفة إنا من إخوانك المسلمين ، ومن العرب المؤمنين ، وقد صرنا من رعيتك ، أتيناك بالأمان وللأمان ، فلا تقتل أحدنا ، ولا يهان منا أحد » ١٢٨ .

(٣١٩) أخرجه « ابن ماجه » ، في : « سننه » ، في : « باب الآداب » ١٢٢٥/٢ من حديث جَوْذان ، وهو حديث مرسل .

(٣٢٠) وارد ، قال الزرقاني في : « مختصر المقاصد » : إنه وارد ، والحديث : « مَنِ اعتذَر إليه أخوه المسلمُ فَلَمْ يَقْبَلْ لَمْ يَرِدْ عليَّ الحوضَ » المصدر نفسه ١٨٩ .

(٣٢١) في الأصل : « مومنا » .

(٣٢٢) كذا في الأصل .

(٣٢٣) لم أجده ، وفي : « صحيح البخاري » في : « كتاب المظالم » : « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » .

(٣٢٤) هكذا قرئت في الأصل ، ولعله أراد : الخطبة .

(٣٢٥) في الأصل : « المومنين » .

(٣٢٦) والحديث : « عن أبي ظبيان حصين بن جندب ، قال : سمِعْتُ أُسامةَ بن زَيْدٍ يقول : « بَعَثَنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقَة ، فَصَبَّحْنَا القومَ فهزمناهم ، ولحقتُ أنا ورجُلٌ من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه ، قال : لا إله إلا الله ، فَكَفَّ عنه الأنصاري ، وطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قَدِمْنا ، بلغ النبي ﷺ ، فقال : يا أُسامة : أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ، قلت : إنما كان مُتَعَوِّذاً ، فقال : أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ فمازال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذالك اليوم » « جامع الأصول » ٣٥٥/٨ ، انظر : صحيحي : البخاري ، ومسلم .

(٣٢٧) في الأصل : « آل عثمن » ، يريد السلطان : عبدالعزيز بن محمود ، وقد نسبه إلى عثمان بن أرطغرل ، قال في ذالك علي حسون في معرض حديثه عن نشأة خلافة العثمانيين : « ولقد أسس تلك الدولة الشامخة التي لعبت دوراً بارزاً في العالم : عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه بن قيا ألب رئيس قبيلة قايي إحدى

قبائل الغزو التركية » « تاريخ الدولة العثمانية » ١٤ .
(٣٢٨) أراد : « يُفْتَنُّ به » ، وإنما استعمل الحفظي هذا اللفظ من أجل السجع .
(٣٢٩) زيد في: « أخبار عسير » : « النبي الكريم » ١٢٨ .
(٣٣٠) ساقطة في : « أخبار عسير » ١٢٨ .
(٣٣١) الحديث في : « الفتح الكبير » ١٧٢/٣ ، من حديث عمرو بن الحَمِق .
(٣٣٢) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « فمة » ١٢٨ .
(٣٣٣) في الأصل : « لوآء » .
(٣٣٤) كذا في الأصل .
(٣٣٥) في الأصل : « القيمة » ، وقد قيل في : « أخبار عسير » : « فإنه يبعث يوم القيامة يحمل لواء غدره » ١٢٨ ، والحديث أخرجه « ابن ماجه » في : « سننه » في « باب الديات » ٨٩٦/٢ ، من حديث « عمرو بن الحمق » .
(٣٣٦) كذا في الأصل ، وفي : « أخبار عسير » : « وهناك الوقوف » ١٢٨ .
(٣٣٧) في الأصل : « تشاون » .
(٣٣٨) من آية ٢٩ سورة التكوير ، ولم ترد هذه الآية في : « أخبار عسير » ١٢٨ .
(٣٣٩) هذه العبارة محذوفة في : « أخبار عسير » ١٢٨ .
(٣٤٠) في الأصل : « شيا » .
(٣٤١) آية ١٩ سورة الانفطار .
(٣٤٢) ختم الحفظي خطبته هذه بخاتمه ، وقال : « أحمد الحفظي لطف الله به سنة ١٢٨٩ » .

المصادر والمراجع :

أولاً ــ المخطوطات :

(١) الحفظي ، إبراهيم بن زين العابدين « نسب الفقهاء آل عجيل » ، مخطوطة ، توجد لدى محمد بن صيام ، أبها ، بدون رقم .
(٢) الحفظي ، أحمد بن عبدالخالق . « إجازته المخطوطة » ، توجد لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي ، رجال ألمع ، بدون رقم .
(٣) الحفظي ، أحمد بن عبدالخالق . « رسالته المخطوطة في سلاطين آل عثمان » ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
(٤) الحفظي ، أحمد بن عبدالخالق . « مذكراته المخطوطة الخاصة » توجد لدى المحقق ، ناقصة ، بدون رقم .
(٥) الحفظي ، أحمد بن عبدالخالق . « من أوراقه المخطوطة » ، قصيدته اللامية ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
(٦) الحفظي ، أحمد بن عبدالخالق . « من أوراقه المخطوطة » ، قصيدته الميمية ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
(٧) الحفظي ، أحمد بن عبدالخالق . « من أوراقه المخطوطة » ، قصيدته الميمية في معارضة النعمي ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
(٨) الحفظي ، عبدالرحمن . « نسب الفقهاء آل عجيل » ، مخطوطة ، توجد لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي ، رجال ألمع ، بدون رقم ، تاريخ النسخ ١٣٠٩هـ .
(٩) عاكش ، الحسن بن أحمد . « منحة الضمد في الميسور عن حديث ضمد » ، مخطوطة ، توجد في مكتبة

آل عاكش الخاصة ، بضمد ، بدون رقم .
(١٠) عاكش ، الحسن بن أحمد . « عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر » ، مخطوطة ، توجد بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود ، بالرياض ، تحت رقم ١٣٣٤ ، تاريخ النسخ ١٣٤٦هـ .
(١١) عاكش ، الحسن بن أحمد . « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري » ، مخطوطة ، توجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي ، أبها ، بدون رقم .
(١٢) قاطن ، أحمد . « تاريخه » ، مخطوط ناقص ، يوجد لدى المحقق ، بدون رقم .
(١٣) مجهول . « مشجرة نسب الفقهاء آل بكري » ، مخطوطة ، ورقة واحدة ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .
(١٤) مجهول . « ورقة مخطوطة في حال بكري بن محمد وغيره » ، توجد لدى المحقق بدون رقم .
(١٥) النعمي ، أحمد . « تاريخه » ، مخطوط ، توجد صورة منه لدى محمد بن عبدالله آل زلفة ، الرياض .

ثانياً ـ المطبوعات :

(١) القرآن الكريم .
(٢) الحديث النبوي الشريف .
(٣) أباظة ، فاروق عثمان . « الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ » ط ٢ ، دار العودة بيروت (١٤٠٠هـ/١٩٧٩م) .
(٤) ابن الأثير الجزري ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد . « جامع الأصول في أحاديث الرسول » ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، نشر وتوزيع : مكتبة الحلواني ، مطبعة الملاح ، مكتبة دار البيان (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) .
(٥) ابن الأثير الجزري ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد . « النهاية في غريب الحديث والأثر » ، تحقيق طاهر أحمد الراوي ، ومحمود محمد الطناحي ، توزيع دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ .
(٦) الألمعي ، يحيى بن إبراهيم . « رحلات في عسير » مط دار الأصفهاني ، جدة ، بدون تاريخ .
(٧) البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل . « صحيح البخاري » ، نشر المكتبة الإسلامية باستانبول ، توزيع مكتبة العلم ، جده (١٤٠٢هـ/١٩٨١م) .
(٨) البهكلي ، عبدالرحمن بن أحمد . « نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود » ، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز (٢٢) ، مط دار الهلال للأوفست ، الرياض (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
(٩) البيضاوي ، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر . « أنوار التنزيل ، وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي » ، نشر وتوزيع مؤسسة شعبان ، بيروت ، بدون تاريخ .
(١٠) الترمذي ، أبو عيسى محمد . « صحيح الترمذي » ، ط ١ ، مط المصرية بالأزهر (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) .
(١١) الجاسر ، حمد . « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، مقدمة » ، ط ١ ، مط نهضة مصر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) .
(١٢) الجوهري ، إسماعيل بن حماد . « الصحاح » ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط٢ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، بدون ذكر للمطبعة والناشر .
(١٣) الحازمي ، حجاب يحيى موسى . « نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير ٩٣٠ ـ ١٣٥٠هـ » ، ط ١ ، مط دار العلوم ، جدة ، منشورات نادي جازان الأدبي (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) .
(١٤) الحبشي ، عبدالله محمد . « الصوفية والفقهاء في اليمن » ، مط دار نشر الثقافة ، مصر ، توزيع مكتبة

الجيل الجديد ، صنعاء (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .
(١٥) ابن حجر ، أحمد بن علي . « فتح الباري » ، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، بدون معلومات للنشر .
(١٦) حسون ، علي . « تاريخ الدولة العثمانية » ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
(١٧) الحفظي ، أحمد بن عبدالخالق . « صفحات مطبوعة من أحد كتبه » ، طبع في تركيا ، بدون معلومات أخرى .
(١٨) الحفظي ، عبدالرحمن بن إبراهيم . « شعاع الراحلين » ، ط ١ ، مط دار المعارف ، مصر ، منشورات نادي أبها الأدبي ، (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) .
(١٩) الحفظي ، محمد بن إبراهيم . « نفحات من عسير » ، مط عسير ، أبها (١٣٩٣هـ/١٩٧٤م) .
(٢٠) الحفظي ، محمد بن أحمد . « اللجام المكين والزمام المتين » ، تحقيق عبدالله أبوداهش ، ط ١ ، مط مازن ، أبها (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .
(٢١) حمزة فؤاد . « في بلاد عسير » ، ط ٢ ، منشورات مكتبة النصر الحديثة ، الرياض (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .
(٢٢) الحموي ، ياقوت . « معجم البلدان » ، نشر دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، بدون معلومات أخرى للنشر .
(٢٣) أبو داهش ، عبدالله . « الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ١٢٠٠ ــ ١٣٥١هـ » ، ط ٢ ، مط الجنوب ، أبها ، نشر نادي أبها الأدبي (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .
(٢٤) الدوسري ، شعيب . « إمتاع السامر » ، مط الحلبي ، القاهرة ، (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) .
(٢٥) الرازي ، محمد بن أبي بكر . « مختار الصحاح » ، ط ١ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .
(٢٦) رفيع ، محمد عمر . « في ربوع عسير » ، دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .
(٢٧) زبارة ، محمد بن محمد . « نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر » ، مط السلفية ، القاهرة (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) .
(٢٨) الزرقاني ، محمد بن عبدالباقي . « مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » ، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ، ط ١ ، مط دار عكاظ للطباعة والنشر ، جدة ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .
(٢٩) الزركلي ، خيرالدين . « الأعلام » ، ط ٦ ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) .
(٣٠) شاكر ، محمود . « عسير » ، نشر المكتب الإسلامي ، بدون معلومات أخرى للنشر .
(٣١) شوقي ، أحمد . « الشوقيات » ، مط دار الكتاب العربي ، بيروت ، توزيع : المكتبة التجارية الكبرى ، بدون تاريخ .
(٣٢) ابن عجيل ، أحمد بن موسى . « الغارة » ، تحقيق عبدالله أبوداهش ، ط ١ ، مط الجنوب ، أبها ، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .
(٣٣) العرشي ، حسين بن أحمد . « بلوغ المرام في شرح مسك الختام » ، نشر الأب أنستاس ماري الكرملي ، مكتبة اليمن الكبرى ، بدون تاريخ .
(٣٤) عسيري ، علي أحمد عيسى . « عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ــ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م » ، ط ١ ، مط شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، منشورات نادي أبها الأدبي (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) .
(٣٥) العقيلي ، محمد بن أحمد . « تاريخ المخلاف السليماني » ط ٢ ، مط نهضة مصر ، القاهرة ، منشورات دار

اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
(٣٦) العقيلي ، محمد بن أحمد . « التصوف في تهامة » ، ط ٢ ، دار البلاد للطباعة والنشر ، جدة ، بدون تاريخ .
(٣٧) العقيلي ، محمد بن أحمد . « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، مقاطعة جازان » ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) .
(٣٨) الفيروزآبادي ، مجدالدين محمد بن يعقوب . « القاموس المحيط » ، توزيع مكتبة النوري ، دمشق ، بدون معلومات أخرى للنشر .
(٣٩) ابن القيم ، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر . « زاد المعاد في هدي خير العباد » ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مط السنة المحمدية مصر ، بدون معلومات أخرى للنشر .
(٤٠) كحالة ، عمر رضا . « معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية » ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، توزيع مكتبة لبنان ، بدون ذكر للتاريخ .
(٤١) ابن ماجه ، « سننه » ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، مط عيسى البابي الحلبي ، بدون تاريخ ، ولا معلومات أخرى .
(٤٢) مجمع اللغة العربية . « المعجم الوسيط » ، نشر المجمع ، توزيع المكتبة العلمية . طهران ، بدون تاريخ ، ولا معلومات أخرى للنشر ،
(٤٣) مردم ، خليل . « أعيان القرن الثالث عشر » ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت توزيع الشركة المتحدة ، بيروت (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م) .
(٤٤) ابن مسفر ، عبدالله بن علي . « أخبار عسير » ، ط ١ ، المكتب الإسلامي (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .
(٤٥) ابن مسفر ، عبدالله بن علي . « السراج المنير في سيرة أمراء عسير » ، ط ١ ، مط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .
(٤٦) مسلم ، أبوالحسن . « صحيح مسلم » ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) .
(٤٧) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري . « لسان العرب » ، مط كوستاتسوماس ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون تاريخ ، ولا معلومات أخرى للنشر .
(٤٨) النبهاني ، يوسف . « الفتح الكبير » ، مصورة ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون معلومات أخرى للنشر .
(٤٩) النعمي ، هاشم . « تاريخ عسير في الماضي والحاضر » ، مؤسسة الطباعة ، الصحافة ، النشر ، بدون تاريخ ، ولا معلومات أخرى للنشر .
(٥٠) ابن هشام . « السيرة النبوية » ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، نشر وتوزيع دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، مصورة (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) .
(٥١) الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب . « صفة جزيرة العرب » ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، مط نهضة مصر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) .
(٥٢) اليمني ، حسن بن أحمد [عاكش الضمدي] . « الدر الثمين » ، تحقيق عبدالله بن علي بن حميد (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، بدون معلومات أخرى للنشر .

ثالثاً ــ الوثائــق :

(١) عزت ، محمد . « وثيقة منه بيد الشيخ : أحمد بن عبدالخالق الحفظي » ، خطية ، توجد لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي ، بدون رقم .
(٢) فيضي ، أحمد . « وثيقة منه إلى من يراه من أهالي رُجال » ، خطية ، توجد لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي ، تاريخها : (٦ شوال ١٢٩٥) ، بدون رقم .

←

لمحات من تاريخ نجد :

١ـ النجديون وضبط أمور الحرمين الشريفين

الـمَعْنِـيُّ بتاريخ نجد ـ في العصور التي لايوجد لهذه البلاد تاريخ معروف ـ لايعْدم العثور في بعض المؤلفات على لمعات موجزة ، لو تصدَّى الباحث لجمعها ودراستها لاستطاع أن يصل إلى حقائق تاريخية .

ومن أمثلة ذالك مالفت نظري إليه الأخ الأستاذ حسين بن جُرَيس مما ورد في كتاب «التبر المسبوك في ذيل السلوك» للسخاوي محمد بن عبدالرحمن (٨٣١/٩٠٢) المؤرخ المعروف الذي ذيل به كتاب «السلوك» للمقريزي .

لقد ذكر المؤرخ السخاوي في حوادث سنة ٨٤٦ ص ٤٤ مانصه: (وفي يَوم الخميس خامس عشرينه حضر جماعة من عرب نجد إلى القاهرة ، كان السلطان أرسل بطلبهم ، لِيُوَلِّـيَ كبيرهم إِمْرَةَ المدينة النبوية لكونهم من أهل السنة ، قمعا للرافضة ، وأن يمشوا على مكة والمدينة ليخلصوا أهلها من الشيعة والرفضة ، فأنزلهم السلطان بالميدان ، ورتب لهم مقدارهم وأكرمهم ، لكن لم يتم له مارامه لغرض من بعض أهل الدولة) .

←رابعاً ـ مراجع غير عربية مترجمة :

(١) كورنوالس ، كنهان . « عسير قبل الحرب العالمية الأولى » ، ترجمة محمد أبو حسن ، توجد لدى علي أحمد عيسى عسيري ، لم تنشر .

خامساً ـ المقابلات الشخصية :

الحفظي ، عبدالخالق بن سليمان ـ أبها ، إدارة التعليم ـ عام ١٤٠٠هـ

سادساً ـ مراجع ثانوية أخرى :

الحفظي ، علي بن الحسن . « نبذة يسيرة في ترجمة والده الحسن بن علي الحفظي رحمه الله تعالى » ، توجد لديه في مكتبته بأبها ، خطية ، بدون رقم .

وكتبـــه

د. عبدالله بن محمد بن حسين أبو داهش

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية أبها

وكتاب السخاوي مطبوع طبعة قديمة في مصر .

وقد أورد الخبر يوسف بن تَغْرِيْ بَرْدِي (٨١٣/٨٧٤) كما في منتخبات «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» وهو كتاب ألفه ذيلاً على كتاب «السلوك» للمقريزي ، وذكر أنه اطلع على تاريخ العيني فرأى فيه أوهاماً وأغلاطاً لكبر سنه واختلاط عقله ، فألف كتابه هذا .

فهل ذكر العَيْنِيُّ في تاريخه هذه الحادثة بأبسط مما ذكره ابن تَغْرِي بَرْدِي والسخاوي؟ هذا ماينبغي البحث عنه .

وقد جرت تلك الحادثة في عهد السلطان الملك جُقْمُقْ ، أحد ملوك الشراكسة الذي تولى الحكم من سنة ٨٤١ إلى أن توفي سنة ٨٥٧ ، وشمل حكمه مع مصر الشام والحجاز ، وقد وُصف بالفصاحة باللغة العربية وبالفقه ، على مافي «الأعلام» لأستاذنا الزركلي ـ رحمه الله ـ .

٢ ـ البَدِيع ، والجُمَيْلِي

ومن اللمعات التاريخية أيضاً ماورد في كتاب «طبق الحَلْوَى ، وصِحَاف المَنِّ والسَّلْوَى» تأليف عبدالله بن علي بن الوزير المتوفى سنة ١١٤٧ (ص ١٤٦) في ذكر حوادث سنة ١٠٦٧ قال: (وفيها وصل من قبائل بحدود البصرة من بلاد الجُمَيْلي البديع مابين الحساء والدواسر ، مكتوبٌ ، يذكرون اشتياقهم إلى أن يتَدَوَّلهم الإمام ، ويسلموا إليه واجبهم ، لما بلغهم من عدله ، ولم يتمَّ ذالك لبعد الديار والأبدان ، وكون تلك الجهة مما يضبطه نائب السلطان ابن عثمان ، وهو أقرب إليهم وأشد في الوَطْأةِ عليهم) .

وقال ص ١٨٦ في حوادث سنة ١٠٧٣ : (وفيها وصل إلى حضرة أحمد بن الحسن بن القاسم شيخ يقال له الجُميلي وبلاده يقال لها البديع ، متوسطة بين الدواسر وبين الأحساء ، وولاية بلاده منسوبة إلى الشريف صاحب مكة ، فأكرمه وعاد إلى بلاده ومعه خطيب استدعاه المذكور ، فلما استقر ببلاده خطب للإمام جمعة أو جمعتين ، ثم عاد الخطيب ولم يتم ذالك الترتيب) .

وقال في ص ٢١١ بعد ذكر وفاة الشريف زيد بن محسن أمير مكة سنة ١٠٧٧ : (وإليه أيضاً من السلطان نيابة الحجاز والمدينة وينبع والصفراء وعنزة وبدر وخيبر ونجد الأعلى كالطائف ومايتصل بها الشيخ الجميلي إلى الصفدة؟ إلى حلي إلى عتْودَ وبِيْش) انتهى .

ومما ذكر هذا المؤرخ اليمني يتضح امران : ـ

الأول : أن شيخ بلاد الأفلاج جُـمَيْلِيٌّ أي من قبيلة جُمَيلة التي يرى المعنيون بدراسة الأنساب أنها جرمية قضاعية قحطانية ، وكان لها شهرة في ذالك العهد ، ولاتزال أسر كثيرة في بلاد الأفلاج وغيرها من البلاد تنتسب إليها .

والأمر الثاني: أن بَلْدَة البديع في الأفلاج كانت معروفة في ذالك العهد وكانت قاعدة الأفلاج .

بل يظهر من النصوص الواردة في بعض المؤلفات اليمنية أن البديع كانت معروفة قبل ذالك العهد ، فيحيى بن الحسين (١٠٣٥/ ١١٠٠) مؤلف كتاب « غاية الأماني في أخبار القطر اليماني » أورد في هذا الكتاب ــ ص ٢٩٢ ــ مانصه : ودخلت سنة ٥٢٤ ، فيها انقطعت الطريق من اليمن إلى البصرة والكوفة عن مرور التجارة والقوافل الكبار ، وكانوا يسافرون في كل عام مرتين ، على طريق اليمامة والحسا . وسبب انقطاعها ضعف الدولة العباسية في العراق ، وظهور القرامطة الفساق . ولم يسلكها بعد ذالك إلا أهل الجهات النجدية برفاقة من ساكني تلك الأطراف . وكانوا يخرجون من نجران إلى بلاد الدواسر ثم البديع ثم إلى الحسا في اثنى عشر يوماً .

وقد تكون البديع هذه هي التي وردت في خبر غزوة شريف مكة الحسن بن أبي نُمَيٍّ في عام ٩٨٦ بلاد نجد فقال احد شعراء مكة محمد بن علي الطبري (٩٣٢ ــ ١١١٠هـ) من قصيدة يمدح بها الشريف :

ويحسب الناس من أَهل (البَديع) وَمِنْ   أهل (السُّلَيمية) الغبراء ، و (معكانا)

انظر القصيدة في ترجمة الشاعر في كتاب « فوائد الارتحال ونتائج السفر » . ←

حول كتاب :

« نظرات في كتاب تاج العروس »

يُعد معجم « تاج العروس من جواهر القاموس » من أعظم الكتب التي عُنيت باللغة ، وهو من أوفى الكتب في شرح المفردات اللغوية وقد حَوَى معلومات عامة منوعة عن كلٍّ مايتصل بالثقافة العربية الإسلامية ، فهو ليس كتاب لغة فحسب بل هو دائرة معارف شاملة جمع معارف وجهود عدد جَمٍّ من العلماء العرب ، في حقبة من الزمن تقارب عشرة قرون في إثبات وتحقيق أسماءِ الأماكن والانساب وتراجم الرجال ، وعلوم اللغة ، والطبِّ والنحو والصرف والتفسير والتاريخ والشعر والشعراء .

← ويجد الباحث للجميلي هذا ذكراً في كتاب « عسير » للأستاذ أحمد بن حسن النعمي ، فقد نقل عن كتاب « المروج الحسان في تراجم الأمراء والأعيان » للقاضي مسعود بن جابر النهدي الطريبي قاضي تَثْلِيث : ان في عهد الأمير عبدالله ابن إبراهيم بن عايض كان أميره على الوادي حسين بن مترك بن سابق بن فطاي الودعاني ، فأساء إلى مُقْرِن بن سند بن سابق ابن عمه محاولاً ضم الأفلاج إليه ، بتحريض خاله خليفة بن فيصل بن مطلق العُتيبي الجُميلي الجرمي أمير البدع لآل يزيد ، فوقع صراع بين مُقرن وبين ابن عمه حسين أدى إلى تغلب مقرن بن سند على حسين وقتل كثير من أنصاره وخرب بلدته العودة جنوب الفرعة ، ونجا حسين بنفسه مع بعض أنصاره إلى وادي سُدير ، وتغلب حسين على وادي الفقي وانتزع إمرته سنة ٩٨١ وقتل الأمير حمدان بن بدر بن خميس السديري ــ إلى آخر ماذكر ــ .

كما ان في القصص التي يتناقلها العامة ذكراً كثيراً لفيصل الجُميلي ــ انظر « العرب » ٢٠/٤٢٤ ــ ولشهرة الجميلي نجد كثيراً من أسر قبيلة جُميلة تنتسب إليه ــ انظر « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » ــ رسم (جميلة) .

حمد الجاسر

ومؤلف « التاج » مُحمد مرتضى الزَّبيديُّ عالم واسع الاطلاع بنى كتابه شرحاً لكتاب « القاموس المحيط » للفيروزآبادي ـ فجاء من أوسع كتب اللغة ، إن لم يكن أوسع ماوصل إلينا منها ، ومن أغزرها فائدة ، فإذا كانت هناك موسوعات متخصصة ، فإن « التاج » موسوعة عامة ، جمعت فأوعت بالمعنى المصطلح لكلمة (موسوعة) وقد مكث ـ الزبيديُّ ـ نحو أربعة عشر عاماً في تأليفه ، وأعتمد على أمهات المراجع والمصادر الموجودة في عصره ، فنهل منها ماشاء له أن ينهل ، ورتب وبوَّب وشرح وفصّل ، وكان له الفضل في إنجاب هذا العمل الموسوعي الضخم ، وكشأن كلِّ عمل عظيم ، لابُدَّ أن يكون فيه ما يؤخذ على مؤلفه ، ولابد من وجود الترجيحات ، بل والتصحيفات والأوهام مادام عبءُ هذا الإنجاز يقع على فرد واحد ، هو المؤلف نفسه ، وفي أيامنا ، فإن مثل هذا العمل الكبير لايستطيع القيام به إلا مجمعٌ ، وخلال سنوات عديدة ، والإشارة إلى أن علماءنا العرب قد تفردوا بمثل هذه الأعمال الموسوعية ، هي من باب توجيه الأنظار إلى العبقرية العربية الفذَّة ، فياقوت الحمويُّ في موسوعتيه : « معجم الأدباء » و « معجم البلدان » . أمة وحده ، والصفديُّ في موسوعته « الوافي بالوفيات » يكادُ يكون فريداً في العالم كله ، كما اعترف بذالك المحققون من المستشرقين الألمان الذين أشرفوا على طباعة وتحقيق بعض أجزاء هذه الموسوعة وكثيرون غير الحمويِّ والصفدي من علمائنا ، كانت لهم مؤلفات واسعة في مختلف العلوم الأساسية والانسانية ، مازالت منابع ثَرَّةً لكل العلماء والباحثين والدارسين في الشرق والغرب .

« تاج العروس » في طبعة جديدة : هذا الكتاب الهام ـ المرجع والمصدر ـ عُني به الطابعون والناشرون في هذا القرن . فقد طُبع في مصر منذ نحو مئة عام ، طباعة ليست محققة ، فالكلمات خالية من الشكل ، والعبارات المنقولة عن مؤلفات لم تُقابل بمصادرها ، ونَفَدَتْ هذه الطبعة التي أفاد منها الدراسون في مطلع هذا القرن ، وصُورت هذه الطبعة مرتين ونفدت ، وكان لابُدَّ من طباعة « التَّاج » طباعة محققة متقنة ، فكان أن اتجهت ـ وزارة الإرشاد والأنباء ـ ثم ـ وزارة الإعلام ـ في الكويت إلى نشر الكتاب بصورة تلائم العصر من حيث تيسير

الاستفادة والانتفاع به كشأن كل الكتب التي طُبعت محققة ، وشَكَّلت وزارة الاعلام الكويتية لجنة من كبار العلماء المشتغلين باللغة في الوطن العربي لتحقيق الكتاب ومراجعته وإعداده ليكون كاملاً أو قريباً من الكمال ، ومن ثم دفعه إلى المطبعة ليكون في متناول الدراسين والعلماء والباحثين .

وصدر الجزء الأول منه عام ١٩٦٥ ، واستمر الصدور ووصلنا في (سورية) الجزء الخامس والعشرون في منتصف عام ١٩٨٨ .

إن ماقامت به حكومة الكويت ، لهو عمل جليل وعظيم ، تستحق عليه الشكر ، وكنّا نتمني لو أن الأجزاء كانت أصغر حجماً من ناحية الطول والعرض ونوع الورق ، وأن الحروف كانت أَدَقَّ ليكون من السهل الانتفاع بالكتاب والانتقال به من مكان إلى مكان ، فحمله على شكله الحالي مُرْهِقٌ ، وإيجاد مكانٍ له في المكتبة أشدُّ رَهَقاً فهو بحاجة إلى خزانة كاملة . والاتجاه المعمول به في العالم كله فيما يتعلق بالمعاجم ، هو ضغط الصفحات باستعمال ورق خاص واستخدام أساليب الطباعة المتطورة .

عندما صدر الجزء الأول من « التاج » قام العلامة المحقق الأستاذ (حمد الجاسر) بقراءته والتعليق عليه ، وإصلاح ماوقع فيه من أخطاء كان يمكن تداركها ، إذ لا يجوز أن تبقى هذه الأغاليط كما وردت في طبعة أنيقة ومحققة دون أن يشير إليها باحث ، واستمر الأستاذ الجاسر بالتعليق على أجزاء « التاج » ، ومازال يتابع هذه المهمة النبيلة حتى الجزء العشرين منه ، وكان ينشرُ هذه الدراسات والتعليقات في مجلة « العرب » حرصاً منه على سلامة الكتاب وصوناً له من أن يبقى فيه مايُسيءُ إليه ، وغيرة على اللغة ، وزيادة في الإتقان ، ولم يكن يريد من كل ما فعله إلا وجه الله سبحانه وتعالى وخدمة لغة القرآن العظيم ، ومن ثم تقديم هذا الكتاب الجليل إلى العلماء والدارسين وقد خلا مما تمكن من ادراكه من غلط في أصله أو في تحقيقه .

وقد جمع الأستاذ الجاسر هذه التعليقات والتعقيبات المفيدة في كتاب اسماه « نظرات في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس » ويقعُ في اثنتين وستين

وأربع مئة صفحة من القطع المتوسط ، وقد صدر عام ١٩٨٧ ، مطبوعاً في الرياض .

يروي الأستاذ الجاسر في مقدمة كتابه قصة هذه التعليقات والمتابعات لما ورد في « التاج » وماجرى بينه وبين المرحوم الأستاذ عبدالستار أحمد فراج ـ محقق أو مراجع أغلب أجزاء « التاج » .

لقد ثار الأستاذ فراج على ماقام به الأستاذ الجاسر من نقد وتعليق ، وتصويب لما جاء في مواد « التاج » واعتبر الأمر ، وكأنه إهانة شخصية له أو انتقاص من مكانته العلمية !! وكان من إنصاف الأستاذ الجاسر أن أثبت كُلَّ حوادث هذه الواقعة ، ونشر في صلب كتابه ردّ الأستاذ فراج ـ رحمه الله ـ عليه ، ويستطيع القارئ بسهولة ويسر أن يتبين ، أن الأستاذ عبدالستار فراج ـ رحمه الله ـ كان مستوفز الأعصاب ، وقد فهم الأمر على غير ما هو عليه ، وكان قاسياً في ردّه ، وقد أعقبت هذه القسوة جفاء وانقطعت صداقةٌ كان الأستاذ الجاسر حريصاً عليها .

اخلاقية منهج النقد : للحقيقة والتاريخ ، فقد نشر الأستاذ حمد الجاسر كل ملابسات قضية نقده وتعليقه على « التاج » وفصل منهجه وطريقته وهدفه فيما يتعلق بذالك كله تفصيلاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض في مقدمة كتابه وفي مقدمات تعليقه على كل جزء بطريقة علمية منهجية ، فيها أخلاق العالم المحقق المنصف .

فقد جاء في مقدمة تعليقه على الجزء السادس صفحة ١٣٦ مانصه : (وراجع هذا الجزء الأستاذ عبدالستار فراج ويظهر أن كلمة ـ راجعه ـ لا مفهوم لها إلا من حيث الشكل لا الموضوع مادام المحقق عالماً لغوياً معروفاً ، وهو مؤلف كتاب « المعجم العربي » الدكتور حسين نَصَّار .

وأعود لأذكر : أن بعضهم ، قد فهم من تشكيل لجنة لتحقيق ومراجعة « التاج » أمراً ؛ لا علاقة له بالعلم ؛ بقدر علاقته بالشكل والمنفعة المادية ووضع الاسم وتناول الأجر !! فما معنى أن يقوم عالم قدير بالتحقيق والتدقيق ، ثم يأتي

من يضع اسمه ويقول ـ راجعه ـ والمراجع ـ في علم التحقيق ـ يضيف ويزيد ويثبتُ وينقض ، فإذا بك لا ترى من هذا كله شيئاً !!

وكم من مضحكات مبكيات تجري في وطننا ، فهناك مؤلف جامعي قدير ولكنه مغمور ، يؤلف كتاباً ويجبر على أن يضع في العنوان : بالاشتراك مع رئيس قسمه أو عميد كليته أو رئيس جامعته !! وإذا لم يفعل فان الكتاب لا يرى النور ، والأنكى ـ كما علمنا وشاهدنا ـ أن يؤلف هذا العالم القدير كتاباً ، ولا يذكر اسمه على الاطلاق ، وإنما اسم الأقوى !!

وجاء في مقدمة تعليق الأستاذ حمد الجاسر على الجزء الثاني من صفحة ١٦٨ مانصه : (وأُكَرِّرُ القول : بأن الملاحظات التي سأبديها حول هذا الجزء ، لا أقصد من ورائها تقليل الجهد الذي بذله المحقق الفاضل وإنما أريد عكس ذالك ، وهو التعبير عن تقديري لذالك الجهد تقديراً دفعني للمشاركة برأيي حوله ، ولو لم يكن ذالك الجهد جديراً بالاهتمام لأرحت نفسي من مطالعة كتاب يقعُ في مئات من الصفحات) .

إنه يؤكد حقيقة مفادها : أن من ينقدك ، فهو كأنما يكتب معك . . والتقدير الحقيقي لإنجازٍ علميٍّ لا يكون بالمجاملة والمحاباة والنفاق ، كما لا يكون بالسكوت ، لأن الساكت عن الحقِّ شيطان أخرس ، وإنما يكون بالمشاركة وإبداء الرأي والحوار والتَّباحث والمثاقفة ، وهذا هو المنهج العلمي الذي سار عليه علماؤنا الخالدون ، والذي تَبَّناه علماء الغرب من بعدهم ، ونسيناه ، وتبنى بعضنا بدلاً منه أسلوب التقريظ والمدح أو أسلوب الهجاء والقدح !! لقد كان علماؤنا الأكابر إذا نبههم أحد إلى خطإٍ أو زلة أو هفوة ارتكبوها أو سهوا عنها شكروه وحمدوه ودعوا له بالخير ، وأثبتوا ذالك في نصوص كتبهم .

وجاء في مقدمة تعليق الأستاذ حمد الجاسر على الجزء التاسع ص ١٨٣ مانصه : (إنني أُقَدِّمُ واجب العلم على كل صداقة ، بل أعتقد أن الصداقة الحقيقة تقوى بالتمسك بالمثل العليا) .

هذه هي أخلاق العالم الحقيقية ، فالحق لا يُعْرَفُ بالرجال وإنما الرجال يعرفون

بالحق ، وأنا أحِبُكَ ، ولكنني أحِبُّ الحقيقة أكثر وما من أحد إلاَّ رَدٌّ وَرُدَّ عليه ، وما من أحد معصوم من الخطإ إلا الأنبياء والمرسلين ، فكل عالم يكمل بعلمه الذين سبقوه بالإضافة وشرح الغامض ، ثم يأتي بعده آخرون يكملون ماوقف عنده ، ويذّيلون على ما أنجز ، ويبدعون ، ولكن الفضل للسابق لأنه أرس الأساس ، وهكذا ، فان العمل العلمي في كل فروع العلوم الأساسية والإنسانية حلقات آخذ بعضها برقاب بعض ، فهل كانت النظرية النسبية من إبداع (اينشتاين) وحده ؟ هبطت عليه فجأة كايحاء ؟! إنها مجموعة هائلة من العلم الرياضي سبقت (اينشتاين) وتراكمت فدرسها واستفاد منها ، وكان له فضل الاستنتاج !! وهل نُصدق حكاية (الفراهيدي) وأن علم العروض أوحىَ إليه في سوق النُّحَاسِينَ من خلال ضربات مطارق العمال ؟! لقد سبقه آخرون بإشارات إلى هذا العلم منذ العصر الجاهلي ، وكان له فضل الاستنتاج والترتيب ووضع الضوابط والقواعد !!

إن العلم هو البحث عن الحقيقة ، والحقيقة لا علاقة لها بالميل الشخصي والعالم من يتمسك بالمثل العليا التي يدعو إليها العلم ، وهي البحث عن الحقيقة التي لا تخصُّ أحداً بذاته ، بل هي ملك للناس جميعاً ، فالعلم لا وطن له ، وإنما العلماء لهم أوطان . .

وجاء في مقدمة تعليق الأستاذ حمد الجاسر على الجزء الثالث عشر صفحة ٢٥٧ مانصه : (ولن يبلغ مني حسن الظن بنفسي أن أعتبر تلك الملاحظات صحيحة كلها ؛ ولكنني أنظر إليها باعتبارها وسيلة من وسائل التباحث مع علماء قد يبدو لي من آرائهم ما يغير وجهة نظري فيما أبديته) .

الأستاذ الجاسر ليس بحاجة إلى مجاملتي ، وأنا لست بحاجة إلى أن أنافق له ، فهو أكبر من ذالك كله ، وأنا أؤمن إيماناً راسخاً بما يؤمن به الأستاذ الجاسر فكلانا من مدرسة واحدة ، هي مدرسة الصدق والإيمان والبحث عن الحق والحقيقة ، ومن يبحث عن ذالك كله ، يكون متواضعاً عَفًا ، منصفاً ، فليس الهدف من العلم غلبة الآخرين والتعالي عليهم بَلِ المثاقفة التي تسعى إلى الحقيقة .

وأستطرد بعض الاستطراد ، وإن كان هذا الاستطراد يمت بصلة وشيجة إلى ما أنا فيه . فقد توجهت إلى أحد هاؤلاء الذين يدعون إلى ممارسة النقد ، ويزعمون أن بلادنا تخلو من النقاد ، توجهت إليه ببعض النقد الهادف الهادئ الرصين حول كتاب من كتبه ودعمت قولي بالشواهد والأدلة وأرقام الصفحات وأسماء المراجع ، وقلت له : أن يُعنى باللغة ، فهناك أخطاء فاحشة !! وفوجئت به بعد أيام يشتمني على صفحات جريدة واسعة الانتشار بشكل أربأ بنفسي عن أروي ماقاله ، وأهون ماقاله أن (بلاتين مُخّي مُسَوَّسٌ) !!

إنهم لا يريدون الحقيقة ، وإنما التقريظ والمدح ، فإذا لم يُوَجَّهْ إليهم نالوك بالسباب والقدح !! إنهم مخلوقات عجيبة . .

وجاء في مقدمة تعليق الأستاذ حمد الجاسر على الجزء الرابع عشر صفحة ٢٩٢ ــ ٢٩٣ مانصه : (ومما يحمد لمحققه الجليل ، أنه أدرك كثيراً من هفوات المؤلف ، فلم يقف عند حد التنبيه عليها فيما وضعه من التعليقات ، بل تعدى ذالك إلى أن أدخل في الأصل اصلاحات ، لا أدري ، هل يقر على إدخالها مع ما تقتضيه الأمانة العلمية التي توجب المحافظة على نصوص المتقدمين كما وصلت إلينا عنهم ، بدون التصرف فيها ، ولو كانت غير صحيحة ، فتلك من أعمالهم وحدهم ، أم يحق لنا تحويرها وتصحيحها بتغييرها مع بقاء نسبتها إليهم ، وبهذا نفتح أوسع الأبواب للتصرف في تراثنا القديم تصرفاً سوف لا ينتهي عند حدٍ لو فتحنا هذا الباب ؟!! أنا أرى إبقاء كُلِّ قديم على قدمه ، ووجوب المحافظة على نصوص المتقدمين كما وردت في كتبهم ، وإبداء مانراه حيالها فيما نعلقه على كلامهم منفصلاً ، ذالك أننا وإن توافرت لدينا من وسائل المعرفة مالم يكن متوفراً لهم ؛ إلا أننا لا نستطيع في جميع الحالات أن نحكم بأن أراءنا أصوب من آرائهم ، كما لا نقدر أن ندرك إداركاً كاملاً جميع أطراف القضايا التي أبدوا حيالها تلك الآراء ، ومهما يكن عملهم ، فإنه يجب أن ينسب إليهم وأن يحملوا تبعته وكل ما ينبغي أن نفعله ، هو ابراز آرائنا حيال مانراه من آرائهم غير متفق مع مانعتقده صواباً مع المحافظة التامة على ماوصل إلينا من نصوصهم) .

إنها قضية خطيرة جدًا هذي التي أشار إليها الأستاذ حمد الجاسر ــ وأنا معه ــ ومع الدكتور أحمد أمين ــ رحمه الله ــ في إبقاء كل قديم على قدمه ، ووجوب المحافظة على نصوص المتقدمين كما وردت لأنها ملكهم وتعبر عن شخصياتهم ولا يجوز تفسيرها ولا تحويرها ولا التصرف بهاعلى الإطلاق ، ففي ستينات هذا القرن (الميلادي) قامت معركة كبرى بين الذين يؤمنون بأن تراثنا القديم لا يجوز التصرف به في حال من الأحوال ، لا في الحذف ولا الاختصار ولا في التصويب والتصحيح ، وإذا كان هناك مانراه غير لائق بعصرنا وما تعارفنا عليه من سلوكيات ، فإما أن نحجم عن نشره ، أو ننشره على نطاق ضيق من أجل العلماء والباحثين ، ورأى فريق آخر ، أن التغيير والتبديل والحذف والاختصار جائز لإلباس تراثنا ثوب المعاصرة والحداثة ، ووقف مع هذا الفريق بعض السذّج والمخدوعين وكل المشبوهين من الحاقدين الموتورين . . والشعوبيين المارقين وأسماء لامعة من كبار المستشرقين ، بل ألف أحدهم كتاباً وطبعه وسماه « تجديد رسالة الغفران » وهو يعني أنه قد كتب رسالة الغفران للمعري بأسلوبه ؛ لتكون مفهومة للناس ، وماذا يبقى من « رسالة الغفران » إن كتبت بغير أسلوب المعري ؟! وكان العنوان البارز لهذه المعركة (تجديد التراث) وكان المقصود من ورائها الهجوم على هذا التراث ومسخه وتشويهه والإساءة إليه وإلغائه !!

إن هذا التراث ؛ هو إنجاز علماء وعطاء عبقريات وإبداع متألقين ، وفيه القدرة على الاستمرار ، لأنه عطاء إنساني ، يحمل في نسخه الحاضر والمستقبل ، ونحن لا نملك التصرف فيه ، وكل ماعلينا أن نفعله ، أن ننشره ونحققه وندرسه وندلي بدلونا حوله ، فقد حققت الدكتورة بنت الشاطيء « رسالة الغفران » تحقيقاً جميلاً ، ثم أعقبت التحقيق بكتاب منفرد ، سمته « الغفران » قالت فيه كل ماوصلت إليه من تحليل لأفكار وآراء ونظرات المعرّي . . أما « رسالة الغفران » فيجب أن تبقى كما قالها صاحبها .

ان حملات أعداء أمتنا تترى بأزياء عديدة ، وتتقنع بأقنعة شتى لتكيد لتراثنا وفكرنا ، فهم اليوم يريدون منا أن نجدد تراثنا ، لنلغي هذا التراث ، وهم اليوم يريدون منا أن نكتب بالعامية لفظاً وإملاء ، لنلغي لغتنا ، ومن وراء ذالك كله

يريدون شيئاً واحداً ، هو النَّيل من القرآن الكريم ، فليتعظ المتعظون ، وليتنبه الغافلون وليخشى الله الذين يتغمرون ولا يرفضون ، وأؤلئك الجاحدون أما آن لهم أن يرجعوا عن غيهم !!

تذييل على كتاب النظرات : إن الأجزاء العشرين من « تاج العروس » مؤلفةً من أحد عشر ألف صفحة وست وثلاثين صفحة ، وقد قام الأستاذ حمد الجاسر ، بقراءتها قراءة واعية بصيرة ، وعلق على ثمان مئة وإحدى وتسعين مادة من مواد هذه الأجزاء رآى فيها أغاليط وتصحيفات وعدم تدقيق ، وهذه الموادُّ تتعلق بأسماء الأمكنة وأسماء الأشخاص وأبيات من الشعر حقق في صحة رُواتها وصحة اسم قائلها ، وقضايا أخرى مما حفلت به هذه الموسوعة العربية الضخمة .. ان هذا العمل الجليل الذي قام به الأستاذ حمد ، محمود عليه ومشكور وهو جهد قل نظيره ، فهو لا يؤلف ولا يحقق ، وإنما ينقد الكتاب المؤلَّف والمحقَّق وهذه مهمة شاقة لا يتقنها إلا القلة ، ولا يصبر عليها إلا المخلصون المؤمنون بالعلم وبعظمة تراثنا العربي .

واقترح على وزارة الاعلام الكويتية أن تطبع هذه التصويبات الواردة في كتاب الأستاذ الجاسر باختصار وتلحقها بأحد أجزاء « التاج » ولأضرب مثلاً لتوضيح اقتراحي ، فقد ورد في تصويب الجزء العاشر صفحة ٢١٠ مانصه : (ورد ــ أبوتوزه حدير الأسلمي ، وهو كما في « الإصابة » رقم ٦٤١ ــ أبو فوزه ــ بفتح الفاء وسكون الواو وبعدها زاي) .

واقترح أن يكون التصويب باختصار على الشكل التالي : ج ــ ١٠ ــ ص ٥٦٢ ــ أبو توزه والصواب أبو فوزه .

وبعد : لقد قرأت كتاب الأستاذ حمد الجاسر وحمدت له صنيعه ، ودعوت الله أن يمده بالعمر المديد وبالصحة والعافية ، ليكمل ما بدأه ، وأحببت أن أذيل على كتابه ، والتذييل في أعم معانيه ، يعني الإضافة والإغناء :

١ ــ يقول الأستاذ الجاسر ــ صفحة ٦٢ ــ : أثارب قرية بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ ، ويظهر أن الكلام المتعلق بهذه القرية منقول من « الانساب »

ـ للسمعاني ، وفيه ـ ثلاثة أيام ـ بدل ـ ثلاثة فراسخ .

وأذيِّلُ : يقول مؤرخ حلب الكبير الشيخ كامل الغزي : أثارب ، هي جمع أثرب ، وهو الشحم الذي غشي الكرش ، وتبعد عن حلب ثلاثة فراسخ[1] .

وأقول : يظهر أن الغزي ـ قد نقل عن ياقوت الحموي في تفسير كلمة أثارب وعن السمعاني في قوله ـ ثلاثة فراسخ ـ .

٢ ـ ويقول العلامة الأسدي في موسوعته : أثارب قرية غربي حلب على طريق أنطاكية ، ظهر فيها علماء ، وكانت مدينة في العهد الآشوري اسمها (ليتنازبي) وسمتها الآثار المصرية في عهد الأسرة الثامنة عشرة (ليرابون) وسماها الرومان (ليتابورا)[2] .

٣ ـ ويقول الأستاذ حمد الجاسر ـ صفحة ١٤٦ ـ : أريحا بلد بالشام في أول طريق المدينة بقرب بلاد طيء على البحر .

هذا التعريف ظلمات بعضها فوق بعض ، فأين أريحا من بلاد طَيِّءٍ ، وأيْنَ أريحا من المدينة أو البحر ، إلاَّ إذا أُريد البحر الميت ، وأريحا لا تحتاج إلى تعريف .

وأذيل : يقول الأسدي في موسوعته : أريحا بلدة تابعة لإدْلِب ، من الآرامية (ريحا) معناها الرائحة ، واشتهرت بكرزها ، وأُريحا التي في فلسطين ، هي أريحا الجبارين للتمييز بينها وبين أريحا السورية[3] .

٤ ـ وفي كتاب « دَرُّ الحبب في تاريخ أعيان حلب » : أريحا بلدة في محافظة إدلب وهي مركز الناحية المسماة باسمها ، وتبعد عن حلب ـ ٧٥ ـ كيلاً وتقع في السفح الشمالي لجبل الأربعين ، الذي هو جزء من جبل الزاوية[4] .

٥ ـ ويقول الأستاذ حمد الجاسر ص ١٥٢ ـ قول الحطيئة : أرى لك وجهاً . . . الخ .

المعروف (أرى لي) الخ ، لأِنه يخاطب نفسه على ماذكروا ، وكذا هو في ديوانه ص ٢٥٧ ـ طبعة بيروت .

وأذيل : روى صاحب « الأغاني » أن الحطيئة التمس إنساناً يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذالك ، فأنشأ يقول :

أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلاَّ تكلّما بِشَرٍّ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ

وجعل يدور وهذا البيت في أشداقه ولا يرى إنساناً ، إذ اطلع في ـ ركي ـ بئر ـ فرأى وجهه فقال :

أَرَى لِيَ وَجْهاً قبح الله خَلْقَهُ فَقُبِّحَ من وَجْه وقُبِّحَ حَامِلُهْ(٥)

٦ ـ ويقول الأستاذ الجاسر ص ١٩١ : السُّلَيْلَةُ وَالْعَمْقُ وعلى العين فتحة والميم ساكنة ، والصواب هنا تَحْرِيْكُ الميم بالفتحة وضم العين ـ العُمَق ـ ولايزال هذا المنهل معروفاً ، وكذا ينطق وفيه يقول الراجز :

كَأَنَّهَا بَيْنَ شَرَوْرَى وَالْعُمَق نَوَّاحَةٌ تُلْوِي بِجِلْبَابِ خَلَقْ

وأذيل : والْعَمْق بفتح العين وسكون الميم هو سهل خصيب شمالي حلب فيه بحيرة ، وتنسب إلى هذا السهل الحنطة العميقة السمراء الصلبة الصالحة لأن يتخذ منها البرغل الجيد الدبق ، وورد في شعر المتنبي :

ومِثْلُ الْعَمْقِ مَمْلُوٌّ دِمَاءً مَشَتْ بِكَ فِي مَجَارِيْهِ الْخُيُولُ(٦)

٧ ـ ويقول الأستاذ الجاسر صفحة ١٩١ : واصطلحت العامة إذا عَظَّموا المحبوب أن يخاطبوه بالأستاذ .

ثم الإحالة إلى كتاب « المعرب » للجواليقي . المحبوب تصحيف سَيِّءٌ للمجبوب ـ بالجيم بدل الحاء أي الخصي ، وهاهو نص كلام الجواليقي من كتابه « المعرب » قال : واصطلحت العامة إذا عظموا المجبوب أن يخاطبوه بالأستاذ ولعله مأخوذ من قول أبي الطيب في كافور :

ترعرع الملك الأستاذ ـ البيت

من قصيدته التي مطلعها :

عِيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدتَ يَاعِيْد لِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيْدُ

وأُذَيِّلُ : أن الفلاسفة قديماً وعلماء النفس في عصرنا فرقوا بين الْعِنِّيْنِ وبين

المجبوب ، فقالوا : إن العنين يكون شاذاً قاسياً وضعيفاً مُعقداً لشعوره بالعجز ، أما المجبوب ، فهو على خلاف ذالك ، يشعر بالقوة والتركيز فضعفه ليس متأتياً عن عجز فيه وإنما عن أمر خارج إرادته ولهذا يكون شديد التركيز وحاد الذكاء ، لا تسيطر عليه الشهوة ولا تغلبه على أمره ، وإذا كانت العامة في القديم تقول : للمجبوب يا أستاذ ، فهو من باب التعظيم ، وما أكثر الخصيان وأقل الفتيان في كل مكان وزمان !!

٨ ــ ويقول الأستاذ الجاسر صفحة ٢٠٣ : عن ثجر ، أو بين وادي القرى والشام من مياه بلقين بجوشن ثم باقبال العلم بين جمل وأعفر وقد نقل المحقق الفاضل ــ الحاشية ــ قول ياقوت : ثجر ماءٌ لبني القين بن جسر بجوش ، ثم باقبال العلمين ، حمل وأعفر بين وادي القرى وتيماء .

وأقول : الصواب ــ كما نقل المحقق ــ جَوْش ــ .

وأذيّل : وعلى ذكر ــ جوشن ــ التي وردت خطأً في النّص ، فإن (جوشن) هو جبل حلب الصغير ، يطل على غربيها في سفحه مقابر للشيعة ومشهدها وقد أكثر الشعراء من ذكره[٧] . وفيه مشهد الدكة ، لأن سيف الدولة كان له دكة على الجبل المطل على المشهد ، يجلس عليها لينظر إلى حلبة السباق ، فإنها كانت تجري بين يديه في تلك الوطاة التي فيها المشهد . . وقد ذكره ياقوت في « معجم البلدان »[٨] .

وقد امتطى سكان حلب اليوم هذا الجبل ، وبنوا عليه الأبنية الجميلة وعلى قمته مبنى إذاعة حلب .

٩ ــ ويقول الأستاذ الجاسر صفحة ٢٤٢ : سُفيرةَ كَجُهينة هضبة معروفة ذكرها زهير في شعره ، وعلق المحقق الفاضل بقوله : وفي اللسان ــ قال زهير :

بكَتْنَا أرْضُنا لما ظعنا   وَحَيْتَنا سُفَيْرَة وَالْغَيَام

وليس في ديوان زهير بن أبي سُلْمَى .

وأقول : البيت في ديوان لبيد بتحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس ــ طبعة

الكويت ، وورد منسوباً إليه في « معجم ما استعجم » .

أما سَفِيْرَة ، فهي بفتح السين ، كما تنطق الآن ، هضبة عظيمة تقع غرب بلدة (رنية) في طرف الحرة ، جنوب جبل الغيام على بعد ــ ٢٥ كيلاً منه تقريباً .

وأذيل : وسفيرة بفتح السين ، هي من قرى حلب في جبل سمعان ، فيها آثار قديمة ، وقد وردت الكلمة في الآرامية (اسفيرا) بمعنى الدائرة أو الكرة أو من (شفيرنا) الآرامية بمعنى الجميلة[٩] .

١٠ ــ ويقول الأستاذ الجاسر صفحة ٣٧٤ : العكْرِش ــ بالكسر ــ نبات من الحمض يشبه (الثيل) ولكنه أشد خشونة ، قال أبو نصر : وأخبرني بعض البصريين : أنه آفة للنخل ، ينبت في أصله فيهلك أو هو الثِّيل .

ضبطت كلمة ــ الثيل ــ بكسر الثاء واسكان المثناة التحتية وهذا خطأ يخالف ضبط صاحب « القاموس » وشارحه صاحب « تاج العروس » ففيهما : والثَّيِّلُ كَكَيِّسٍ ــ نبات يفرْش على شطوط الأنهار ، يذهب ذهاباً بعيداً ، ويشتبك حتى يصير على الأرض كاللبدة ، وله عقد كثيرة وأنابيب قصار ، ولا يكاد ينبتُ إلا على أدنى موضعٍ تحته ماء ، يقال له النجم أيضاً ، انتهى . فهو بفتح الثاء لا بكسرها ثم بكسر المثَّناة التحية . مشددة لا بإسكانها .

وأذيل : قال صاحب ــ معجم لاروس ــ العكرش : نباتات حولية أو معمرة من فصيلة النجيليات تعتلفها الماشية[١٠] .

وقال : الثيل : نبات عشبي عرضي ، مداد ، مُعمر من فصيلة النجيليات يعتبر من النباتات الضارة[١١] .

١١ ــ ويقول الأستاذ الجاسر صفحة ٣٧٦ : وقال الأزهري : رأيت الحمصيص في جبال الدهناء ، وما يليها ، وهي بقلة جعدة الورق حامضة ، ولها ثمرة كثمرة الحمَّاض ، وطعمها كَطَعْمِهِ ، وكنا نأكلها إذا أجمْنا التمر حلاوته نتحمض بها ونستطيبها .

كلمة ــ جبال ــ صوابها ــ حبال ــ بالحاء المهملة ، إذْ لا جبال في الدهناء

وإنما فيها حبال من رمل ، والحمصيص من نبات الرمال ، ولايزال معروفاً ولكن العامة يشددون ميمه .

وأذيل : الحميض : جنس نباتات عشبية معمرة ، من فصيلة البطاطيات أنواعه عديدة منها البرية ، ومنها الزراعية المأكولة(١٢) .

ويقول الأستاذ الجاسر صفحة ٣٩٦ : والرمث والقضة والقلام والهرم ، والحرض والدغل والطرفاء .

في الكلام على أنواع نبات الحمض ، وكلمة (الدغل) هنا خطأ ، فالذي من أنواع الحمض (الرغل) بالراء المضمومة ــ بعدها غين معجمة ساكنة فلام .

وأذيل : الرغل : نبات بري طبي(١٣) .

والرمث : نبات عشبي بري من السرمقيات كانوا يستخرجون منه الصودا(١٤)
والطرفاء : جنس نباتات وجنبيات فيها الأثل(١٥) .

والقفه : جنس نباتات معمرة من فصيلة الكبريات وعصارتها حامزة تلئم الجروح وتطرد الديدان المعدية(١٦) .

والحرض : نبات عشبي من فصيلة السرمقيات يكثر وجوده قرب الشواطيء البحرية والمناقع المالحة(١٧) .

والهرم : ضرب من الحمض فيه ملوحة(١٨) .

١٣ ــ ويقول الأستاذ الجاسر صفحة ٤٤١ : والسبط محركة نبات كالثيل ، إلا أنه يطول .

وأذيل : السبط نبات كالدخن وهو مرعى جيد(١٩) .

وبعد : فقد آن لي أن أعترف بأني ما أردت من هذا التذييل إلا إيراد نماذج من تصويبات وتعليقات الأستاذ حمد الجاسر على ماجاء في التاج ، وقد جمع هذه التعليقات في الكتاب القيم « نظرات في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس » ←

خثعم: فروعها وبلادها

أيها الشيخ الجليل : تلك الكتابات التي أغوص في أعماقها فأراك من بعيد كما لو يراك الجليس والقعيد .

إنني أقرأك حينما أقرأ لك وإن في عيني لك إكبار ، وفي عقلي لك إعجاب ، وفي قلبي لك محبة بيضاء ، وفي نفسي لك تقدير وإعلاء - قلت هذا وأنا أعلم إنك لا تحبذ الإطراء ولكن دعني أقول ما لا تحبذ فإني أدين لك بالفضل في بناء - هيكل تاريخنا وتاريخ بلادنا المعاصر والمتمثل في مؤلفاتك ومما يسعدني أن أكشف لك عن بعض الحقائق التاريخية ذات العلاقة بقبيلة خثعم أو ببلادها والتي أتى إلمامي بها من كوني أحد أبناء هذه القبيلة - وإليك تلك الحقائق التي استنتجت عدم إلمامك بها أو ذكرك لها في بحوثك وكتاباتك عن بطون قبيلة خثعم وعن مواطنها ، فقد أطلعت على بحثك الذي نشر تحت عنوان (خثعم وبلادها) في مجلة «الحرس الوطني» في صفر ١٤٠٩هـ .

وقد وقفت أمام قولك : (لم تستطع قبيلة خثعم الصمود والبقاء بعد انحدارها في سفوح السراة الواقعة بين تربة وبيشة فقد كانت تلك البلاد قبيل ظهور الإسلام ميدان حروب ضارية بين القبائل العدنانية والقحطانية) .

← ولعلني اخترعت هذا التذييل لإيراد نماذج من كتاب الأستاذ حمد الجاسر القيم والمفيد .

حلب : **عبدالقادر عنداني**

[الحواشي] :

(١) كامل الغزي : «نهر الذهب في تاريخ حلب» ١/٤٦٩ حلب المطبعة المارونية ١٩٣٢ .

(٢، ٣، ٦، ٧، ٩) خير الدين الأسدي «موسوعة حلب» ١/٥٦ جامعة حلب ط ١٩٨٠ ، ٤/٢٠٧ ط ١٩٨٢ ، ٥/٤٦٦ ط ١٩٨٦ ، ٣/١٠٦ ط ١٩٨٤ ، ٤/٤١٥ ط ١٩٨٢ على التوالي .

(٤، ٨) ابن الحنبلي : «در الحبب في تاريخ أعيان حلب» ج ١ هامش صفحة ٣٥٢ وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٢ .

(٥) ابن واصل الحموي : «تجريد الأغاني» ١/٢٢٢ دار التحرير القاهرة ١٩٦٣ .

(١٣ - ١٩) د. خليل الجر : «معجم لاروس» ص ٨٤٥ ، ٣٧٠ ، ٤٦٥ ، ٥٩٤ ، ٦٠١ ، ٧٨٥ ، ٩٩٥ ، ٤٤٠ ، ١٢٩٤ ، ٦٤٧ على التوالي باريس ١٩٧٢م .

ولو أنك وقفت على منازل خثعم عن قرب لوجدت أنها لا زالت تحلّ في هذه المنطقة والمنتشر فيها من خثعم هم أهل الحل والتّرحال من بَدْوِ أكلبَ .

ولوجدتَ أيضاً أن خثعماً مازالت تتمركز في تهامة الحجاز وفي جبال السراة مهما قيل عن تنقلاتها وتموجاتها من تهامة الحجاز إلى السراة ومنها إلى سفوحها الشرقية والشمالية المتّصلة ببلاد نجد ، فضلاً عن انتشارها في المنطقة الواقعة بين منطقة (أجرب) ورَنْيَة سُبَيع شمالاً ومنطقة (أُحَد رفيدة) والشّعاف جنوباً .

ومن بطون خثعم القاطنة في تهامة الآن ـ وذالك على سبيل المثال :

١ ــ (بالعَرْيَان) وهي فيما أحسب منسوبة إلى : (النذير العريان) ـ وهو زُنَيْرُ بن عَمْرِو الخثعمي[١] .

٢ ــ العوامر : بنو عامر في غَور تهامة جنوباً عن بلدة (بالـجُرشِـيّ) وهي في الأصل من : عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب[٢]، ولكنها حالياً تعد في قبيلة شمْران التي دخلت في خثعم منذ قرون عدة ، والجدير بالذكر أن الأغلبية الساحقة من شمران من أصل خثعمي .

واسم (خثعم) دارج على الكل ، وهذا هو السبب الذي جعل شمران تندمج في خثعم إذ أن الأفخاذ التي في الأصل من «شمران مِنْ مذحج» قِلَّة قياساً بالأفخاذ التي تتسمى بشمران وهي من أصل خثعمي .

ومن تلك الأفخاذ التي في عداد شمران وهي من خثعم صليبة : آل مُبَشر ـ نسبة إلى مبشر بن أكلب . وآل الحارثية ، نسبة إلى الحارث وهو جليحة بن أكلب .

وأيضاً قبيلة الفزع بن شهران ، وآل كنانة ـ نسبة إلى : كنانة بن جليحة بن أكلب. وغير هؤلاء الكثير . . الكثير وسوف أبعث إليك في القريب العاجل ـ إن شاء الله ـ ببيان أوضح فيه مسميات فروع قبيلة شمران المعروفة الآن وأبين علاقة هذه الأسماء بأصول أنساب تلك الفروع وسوف تجد أنها في الغالب مُتَفَرعة من خثعم وبالذات من أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن خثعم .

ومن بطون خثعم التي مازالت تَتَبَطَّح في أعالي السراة : آل مَيْمُون ، وبنو النُّعَم ، وآل ثعلبة ـ نسبة إلى ثعلبة وهو الهزر بن مبشر بن أكلب .

وفي المنطقة المصاقبة لعالية وادي تَبالة في شرق وشمال سراتي بَالْـقَرن وخثعم تتَنَاثر بوادي قبيلتي الفَزَع ، وبني وَاس (أَلُوس) ـ من خثعم ، قال الهمداني : قَطَعَ بين بلد الحَجْر وبين بلد شَكْرٍ بطنان من خثعم يقال لهما ألوس والفزع فقطعتاه إلى تهامة . انتهى .

ومن خثعم قبيلة أكلب : أعظم فروع خثعم إلى جانب شهران ، وتنتشر في المنطقة الواقعة بين تُرَبَة وبِيشة وفي المنطقة الواقعة أيضاً بين بيشة وتَثْلِيْث وتحل ثلاثة أودية عظيمة ـ هي :

وادي رَنْيَة ، وتتمركز بطون من أكلب على أطرافه بعد هبوطه من أعالي السراة حتى دخوله في حدود بلاد قبيلة سُبَيْع قبيل قرية (العُفَيريَّة) .

ولأكلب على ضفاف رنية قرى كثيرة منها قرية (الجُعَبَةُ) بها مركز إمارة يتبع إمارة بيشة ومرافق حكومية أخرى .

ومن أهم قرى (الجعبة) قرية (القُرَيْحا) وهي قرية حديثة قائمة على أنقاض قرية القُرَيْحاء ، القديمة ومسماة باسمها ، قال الهمداني: القريحا منهل ومعلف كان فيه قرية خربت وهي على وادي رنية . انتهى . والقريحا هي التي ذكرت ياشيخ حمد في بحثك المقدم ذكره أنها المنزلة التي تلي تَبالة على طريق الحاج اليمني المتجه إلى مكة ، وقد قلت عنها في هامش بحثك : ويظهر أنها موقع مدينة رنية والصحيح أنها تقع على وادي رنية عندما يكون موازياً لوادي تَبالة من جهة الشمال الغربي ، وتَبعد عن مدينة رنية إلى الجنوب الغربي نحو مئة كيل تقريباً .

وادي تبالة : وتَتحاشد بطون أكلب على أطرافه في كثير من القرى يشملها جميعها اسم (الثُّنَيَّة) وبها مركز إمارتهم ومركز إمارة وادي تبالة الإداري ، وأعلى تَبالة لِلْفَزَع .

وادي بيشة : وتتمركز فيه الأغلبية العظمى من قبائل أكلب وأحلافها ومما تجدر

الإشارة إليه أن البدو الرُّحَّل يمثلون السواد الأعظم من قبيلة أكلب ، وينتشرون فيها يصاقب وادي رَنْيَة ، وفيها صاقب روافده العليا وفيها بين بيشة ورَنْية وتَرْج وتَبالة على أنَّ بادية أكلب تتخطى في منازلها رَنْيَة إلى الشمال الغربي ناحية أجرب وهو ماء ببلاد غامد ، كما تنتشر فروع أكلب في أرض (الميثب) المنبسطة جنوب سافلة وادي بيشة بناحية تَثْليث . ومن خثعم قبيلة شهران العريضة : وتمتد بلادها من وادي ترج وبيشة جنوباً إلى مدينة خَميس مُشَيط وبلاد رُفَيْدة في الجنوب .

ومما تَقَدَّم نستطيع أن ندرك أن قبيلة خثعم لم تظعن من منازلها التي كانت تنتشر فيها في العصر الجاهلي وهذا أمر غريب لمنافاته ما ذكره ابن الكلبي عن تنقلات خثعم في كتابه «الإفتراق» ولكنه في نفس الوقت يجعلنا نتوقع أن قبائل خثعم عادت في خلال العصر الإسلامي إلى منازلها التي كانت تحل بها في الجاهلية أو أن بَجيلة والأزد لم تَنْفَ خثعم من كامل بلادها وإنما أزحفتها من أطرافها إلى دواخلها فقط ، وربما كان هذا هدف ابن الكلبي فيها ذهب إليه من انتقال خثعم من بلاد إلى بلاد .

وفيما يلي نستعرض بعض أسماء فروع قبيلة أكلب الآن ، مع توضيح صِلات النسب التي تربط تلك الفروع بأصل القبيلة المشهورة في الجاهلية : بنو عامر : وهم : آل عطيان ويقال العطاوين والنسبة إليهم العطياني والعطيان ، وآل منيع ، والمَزَايدَةُ ، وآل بالشّنين ، والأَعَامشة ، والـحُصَنَةُ ، والجَبَارِيْن ، والـجُنَبَةُ ـ وهم مجاورون لقبيلة البقوم ومنهم فخذ دخل في البقوم في عهد ماقبل الإستقرار ، قال أحدهم :

بقمي بْحَدّ السَّيْف وأنا مِنْ أكلب إذَا كلُّ حِصْنٍ نَشَّدَتْ عَنْ عْمُوقهَا

ومن بني عامر هؤلاء قبيلة الـجُبَرَةُ فيها فخذ يدعى (آل بشر) وأنا أرى أن هذه النسبة تعود إلى رجل من أشراف أكلب وفرسانهم في آخر الجاهلية وأول الإسلام ذلك هو بشر بن ربيعة أحد بنو جَلِيْحَة بن أكلب ، وهو القائل :

أَنَخْتُ بِبَـابِ القَـادِسِيَّةِ نَـاقَتِي وسَعْـدُ بْنُ وقَّـاصٍ عَـليَّ أمِـيْرُ

وبِشْرٌ هو قاتل فرّخان الأهوازي في معركة القادسية ، وكان من أهل البلاء الحسنِ فيها .

ومن بني عامر الحيُّ العظيم الذي ذكرنا أنه في شمران ، وقُلنا إنه ينطوي تحت اسم خثعم ، وهو حَـيّ بني عامر في تهامة بَلْجُرشي ، ونسبة هذه القبائل إلى عامر صحيحة وصريحة ، وهو : عامر بن تَيْم اللاَّتِ بْنُ مُبَشّر بن أكلب ، قال أنس ابن مدرك الأكْلبيُّ :

تبـالةُ والعِـرْضَـانِ تَـرْجُ وبِيْشَـةٌ   وَقَوْمِي تَيْمُ اللاَّتِ وَالاسْمُ خَثْعَمُ

وقال آخر(٣):

أَعْشَبَ الكَوْرُ كَوْرُ (عَامِرِ تَيْمٍ)   حَـيْـثُ هِـرْجَـابَ فَـالمـاذاءُ

قبائل المحلف : وهي عبارة عن قبائِل مُتَحَالفة تَنْحدر أَنْسابُها فيما عدا الهودان ، ومعاوية ـ من أكلب بن ربيعة .

ويُجمع أهل بيشة على أن هذه القبائل تحالفت في غابر الزمان على بني عامر ـ الفرع الأكلبي الآخر فعلق بها اسم (المحلف) ويقال (المحالف) وتلك القبائل هي : بَنُو هَزْر ، وبَنُو وَاس ، والنَّشَاوَى ، وآل سَمْرَة ، والجَيَاهِين ، وبنو سعد ، والهودان ، ومعاوية ، والعُمَر ، وأهل قريتي الحَيْفة والمدرأ ، وأشهر وأعظم قبائل (المحالف) هي :

بنو هِزْر : فرع من فروع أكلب الشَّهيرة وهم : بنو الهِزْرِ ، وهو ثَعْلَبة بن مُبَشّرٍ بن أكلب .

ومن بني هزر آل ثعلبة القبيلة المتمركزة في جبال السراة الآن أي سراة خَثعم ، ومن هنا ندرك أن بني ثعلبة ـ أو بني هزر كما شئت ـ تنقسم إلى قسمين : قسم يتمركز في سراة خثعم ، وقسم يتمركز في سافلة تَبالة وبيشة وعالية رَنْية وهؤلاء من أشدِّ وأقوى فروع خثعم ، قال ابن الدُّمَيْنَة :

شَفَى النَّفْسَ أَسْيَافُ بِأَيْمَانِ فِتْيَةٍ   مِنَ الهزْرِ جَارَتْ في عُقَيْلٍ ذُكُورُهَا

هذا وقد أدركت أن جميع أحياء خثعم مُتَفَرّعة من فروع خثعم الرئيسة فقلت في بحثك السابق الذكر : وشهران ، وناهس ، مع أكلب ـ منها تتفرع أحياء خثعم ، وهذا بطبيعة الحال استنتاج صحيح ويكفي أن قبيلة شمران تتكون من بطون خثعم الآتية : بنو عامر ، والفزع ، وبَالْعُرْيان ، وأنَّ خَثْعم السراة متفرعة من أكلب وشهران مثل : آل ثعلبة وبني وَاس وبنو النّعم وآل مَيْمُون وغيرهم .

بنو سعد : القبيلة التي تَتّخِذُ منطقة جنوب سافِلة بيشة مَقراً للأغلبية من بواديها وبينها تتمركز حاضرتُها في بلدة (الـجُنَيْنَة) في سافلة مَدينة بيشة .

ولقد قدت يا سيدي نسب هذه القبيلة الأكلبية إلى الجحادر من قحطان في بعض مؤلفاتك الحديثة ولا أعلم على أي أساس ظهر هذا القول ، ولكنه قد يكون لتوافق اسمي القبيلة القحطانية ، والقبيلة الأكلبية دَوْرٌ في إيهام كثير من الناس وهم بدورهم ينقلون إليكم آراءهم الخاطئة والمخالفة للواقع إذ أن الدلائل لازالت تثبت أن بني سعد الذين في قَبيلة أكلب ينْحدرون من أصل أكلبي وذالك طبقاً لما ورد في كتب الأنساب القديمة ، ومن الدلائل القاطعة للشك أن قبيلة بني سعد مازالت تعرف باسم (جَلِيحة) وتعير به فيقال (قليحة) أي بإحلال حرف القاف محل حرف الجيم وهكذا يبدو جَليًا أن بني سعد من أصل أكلبي بَحْت ـ فاسم جليحة مازال يطلق عليها وجليحة هو : الحارث بن أكلب . منهم نفيل بن حبيب الأكلبي ـ قائد خثعم في حرب أصحاب الفيل .

أما عن مسألة استبدال اسم جليحة بقليحة ففي اعتقادي إنه أتى بقصد التهكم كما يفعل بعض الناس في تحريف اسم (عبيد) إلى (عبيص) عندما يتهكم بصاحب هذا الاسم ، وهذه الظاهرة موجودة في بيشة وبالذات في أيام الحروب قبل عهد التوحيد إذ لا يسمي عَدُوٌ عَدُوَّهُ باسمه .

وفي بني سعد فخذ كبير يندرج تحت اسم (الجذمان) نسبة إلى : جذيمة بن تَيْم اللات بن مبشر بن أكلب ، وبنو جَذيمة هؤلاء ، من بطون أكلب المشهورة قديماً وحديثاً ، وبما أنهم يندرجون تحت اسم (سعد) ، فهذا بطبيعة الحال يدل على أن جميع أحياء بني سعد من أصول أكلبية خثعمية وفيما عدا (الجذمان) قد يكون في

بني سعد أفخاذ من فروع أكلب الأخرى فقد قال أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكلابي[٤]: (وتحالفت سعد الريث وتيْم رهط ابن الدُّمينة ـ وأضاف : وبنو الفرز) .

ثم تطرق لنسب تلك القبائل فقال : أبناء عفرس بن أنمار ـ وأردف قائلاً : إن تلك القبائل غمست أيديها في الدم ثم وضعتها على يد جمل يقال له الخثعم فتحالفت فسميت خثعم . ويفهم من كلام الكلابي أن الريث بن أكلب قد ولد سعداً ، وأن سعداً هذا قد كوّن بنوه قبيلة تنسب إليه كما يفهم من كلام الكلابي أن بني سعد من مؤسسي اسم خثعم الذي لازالت بطون أكلب تنطوي تحته بالإضافة إلى بني تيم اللات بن مبشر بن أكلب ، وبني الفرز ولعله تصحيف الهِزْر ـ الفرع الأكلبي المعروف .

أضف إلى ماتقدم أن بني سعد قد يكون نسبهم منحدراً من سعد بن عامر بن تيم اللات بن مبشر بن أكلب ، وهؤلاء لهم شهرة في التاريخ كفرع من فروع أكلب القديمة ، ومنهم بطون مشهورة مثل : آل السدي ، والأعيار[٥].

وعلى ضوء ماتقدم يثبت لدينا بالدليل القاطع أن أصول أنساب قبيلة بنو سعد لا تخرج عن بطون أكلب الثلاثة الآتية : جَليحة ، وبني سعد بن عامر ، وبني الريث بن أكلب بالإضافة إلى (الجذمان) من جَذيمة بن تيم اللات بن مبشر بن أكلب ، وقد يكون في بني سَعْد لِـحَامٌ من قبائل أخرى مثل (العواجين) الذين يزعمون أنهم من قبيلة (عَنَزَة) والعواجين هم أمراء بني سعد ، وليس لهم على مايزعمون دليل ، وأنا من وجهة نظري الخاصة أرجح أن بني سعد من بني عامر ابن تَيْم اللات بن مُبَشّر بن أكلب ، على أن تكون من بني الرِّيث بن أكلب أو من جَليحة بن أكلب هذا فقط إذا لم تكن متكونة من جميع تلك البطون والفروع الثلاثة مع اندماج بنو جذيمة فيها .

ومما يلاحظ في السنوات الأخيرة تفاقم مشكلة الخلط بين (سعد العشيرة) القبيلة المذحجية القَاطنة في (تثليث) الآن والمعدودة في قحطان الجنوب وبين بني سعد القبيلة الأكلبية ، ومنشأ هذا الخلط هو تَجانُس اسمي القبيلتين وتجاورهما ، ←

[« العرب » ٣٩٢/٢٤]

عني المتقدمون من العلماء بجمع أشعار القبائل، ولكن لم يصل إلينا من ذالك سوى أشعار هذيل، ونجد في كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي انه رجع إلى أشعار جل القبائل ـ إن لم يكن كلها ـ وخاصة القبائل العدنانية ، كما يتضح ذالك مما كتبه الأستاذ عبدالستار أحمد فراج مقدمة لكتاب الآمدي وقبله عني أبو عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ بذالك فجمع شعر نيف وثمانين ، قبيلة ـ «نزهة الألباء» ١٢١ ـ .

ولعل قبيلة بني سليم من أثرى العرب بالشعراء ، فقد عرف من شعرائها عدد غير قليل وقد تحدثت عن ذالك في مجلة «العرب» ـ س ٨ ص ٢١٩/ ٣٠٠/ ٤٠١/ ٥٨٩/ ٧٦١/ ٩٤٥ وس ٩ ص ١٢٣/ ٢٤٢/ ٣٨٣/ ٦٢٣/ ٧٦٠/

← أضف إلى ذالك أنه إذا صح أن بني سعد من جَليحة ـ أو بعضهم على الأقل ـ فإن ذالك من مسببات هذا الخلط ، حيث أن هناك حلفاً قديماً كان يربط بين بني جَليحة ومذحج ، قال الهمداني(٦): وبنو طيبة ، وبنو عنم من بني جَليحة بن أكلب ثم قال : وهم أحلاف في مذحج . انتهى . ويظهر أن بعض بني جليحة توغل في الجنوب فانْدَمَجَ في قبائل مَذْحج التي يطلق عليها الآن (قحطان الجنوب) ـ ففي قحطان الجنوب الآن فرع من جَليحة مازال يحتفظ باسمه تماماً ولهذا الفرع قرية تعرف باسمه تقع على طريق (أَبْهَا) و(تَمَنِّية) في الشَّعف وتبعد عن أبها بحوالي ٦٥ كيلاً .

هذا ولا أخفي عليك ياسيدي أنني بصدد تنقيح مؤلف عن قبيلة خثعم بعد أن مهدت أمامي الطريق .

الجبيل : عبدالله بن هادي الأكلبي

الهوامش :

(١) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٣١ .
(٢) عن أنساب أكلب وتفريعاتهم وكل فروع خثعم كتاب في «سراة غامد وزهران».
(٣) «معجم ما استعجم» للبكري ص ٣٨٥ . (٤) كنز الأنساب للحقيل ص ٢٤٨ .
(٥) انظر «في سراة غامد وزهران» . (٦) صفة جزيرة العرب ـ تحقيق الأكوع .

٩١٣ ـ في سياق التعليق على ماكتبه الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري ـ رحمه الله ـ في كتابه «بنو سليم» وأوردت أسماء كثيرة فات الأستاذ ذكرها .

وتحدث معي منذ أيام أحد أبنائنا عن موضوع جمع شعر بني سليم فوعدته بأن أقدم له أسماء من عرفت من شعرائهم ، وهاهي ، وقد اعتمدت في كثير من إيراد تلك الأسماء على ماورد في كتاب «النوادر والتعليقات» للهجري فقد أورد في هذا الكتاب من شعراء بني سليم نحو أربعين شاعراً ، وساق من أشعارهم مازاد على ألف ومئتين وثلاثين بيتاً من الشعر وذكرت اسم الشاعر مشيراً إلى ورود ذكره في ذالك الكتاب مع بيان موقعه في كتاب الهجري المذكور ، في كل واحدة من القطعتين اللتين وصفتهما في كتابي عن الهجري ، ورمزت للقطعة الموجودة في المكتب الأسيوي في كلكتا بحرف (هـ) وللقطعة الموجودة في دار الكتب المصرية بحرف (م) .

وينبغي أن يلاحظ أن ترتيب صفحات المخطوطتين ليست كلها صحيحة الترقيم ، وقد اعتمدت في الأرقام التي أشرت إليها إلى المصورة التي كانت لديَّ من القطعتين .

١ ـ الأجدع السلمي «معجم الشعراء» .

٢ ـ أحمد بن عبدالله بن خزيمة الخزيمي ، وأوصل نسبه إلى سليم أورد الهجري له قصيدة في ١٧ بيتاً ـ « نوادر الهجري » المخطوطة المصرية ص ٢٩٩ .

٣ ـ أحمد بن عمرو السلمي «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٧٦٠/٧٦٢ و«معجم البلدان» السواجير .

٤ ـ أحمد بن محمد بن علي بن محمد ـ من ذرية العباس بن مرداس السلمي (٧٩٩/٨٨٧هـ) له ديوان شعر «شذرات الذهب» «تذكرة المهتار المكي» «حسن المحاضرة» عن « السحب الوابلة » .

٥ ـ أحمد بن موسى السلمي الشريدي «جمرة نسب قريش» ١٧٦/١٧٧ .

٦ ـ أحمر الرأس بن قرة السبيعي ، ذكره الهجري (١٨٧/٥/٢٠٠/٣٦٣هـ) وذكره ابن حجر في «التبصير» ص ٧٢٥ .

٧ ـ الأدرع بن مخارق العتبي عتبة خُفَاف السلمي نوادر الهجري (٢٥٩هـ) .
الأزرقي : (عمرو بن عبدالعزى) .
٨ ـ إساف بن أنمار «الإصابة» ٤٥/١ .
٩ ـ أشجع بن عمرو السلمي «الأغاني» و«الشعر والشعراء» وغيرهما .
١٠ ـ أصيد بن سلمة «الإصابة» ٦٨/١ .
ـ أبو شجرة الأزرقي : (عمرو بن عبدالعزى) .
١١ ـ أنس بن العباس السلمي «المغازي» للواقدي ٣٥٣ «فرحة الأديب» ٧٦، «معجم البلدان» الدفينة .
١٢ ـ بحير بن الصلت أبو عمر ، أعشى سُلَيم كان شاعراً بصرياً ، «الأغاني» ٢٢/٦ و١١٣/١٦/١٢ طبعة بيروت و«الاكمال» ١٩٨/١ و«ديوان الأعشى» ٢٨٢ ، و«تبصير المنتبه» ص ٦٢ (وانظر «العققة والبررة» لأبي عبيدة ص ٣٦٩ ـ نوادر المخطوطات ففي الهامش اسمه سليمان) .
١٣ ـ تميم بن الحباب السلمي «معجم البلدان» رسم (حنجر ولبى) .
١٤ ـ الثريز بن قُريزٍ الزُرَيريِّ الشريدي ـ ذكره الهجري في نوادره ـ (٢٦١هـ) .
١٥ ـ جابر بن أسيد السلمي «الاكمال» ١٦٦/١ و«تبصير المنتبه» ١٧ .
١٦ ـ جبر بن عقبة الأزرقي السلمي ، ذكره الهجري في النوادر (٤٤٣م) .
١٧ ـ الجحاف بن حكيم الذكواني السلمي صاحب المهاجاة مع الاخطل «تاريخ ابن جرير» حوادث سنة ٧٠ ، «المؤتلف والمختلف» ـ ١٠٢ ـ و«أنساب الأشراف» ٣٢٨/٥ ، «الشعر والشعراء» ٣٩٥ و«الأغاني» ج ١٩٥/١٩٤/١٢ ، «السيرة النبوية» لابن هشام ٧٥/٤ ، «الإصابة» ٢٦٦/١ .
١٨ ـ جعدة بن عبدالله السلمي «اللسان» ٧٥/٥ ـ الطبعة الأولى ـ .
١٩ ـ الجموح السلمي الظفري «معجم البلدان» (الراحة) «شرح أشعار هذيل» ٨٧١/٨٥٩/٤٧٠ .
٢٠ ـ جواب بن المسور السلمي كان في أيام عبدالملك «الاكمال» ١٦٨/٢ .
٢١ ـ حاتم بن رثاب «معجم البلدان» فران .
٢٢ ـ حاتم بن مدرك من بني الحارث «نوادر الهجري» (٤٥٥م) .

٢٣ ـ الحارث بن حبس أخو هاشم بن عبدالمطلب لأمه «الاكمال» ٢/٣٥٤ و«التبصير» ٤٦٨ ، و«المنمق» ٣٣ .

٢٤ ـ الحارث بن عباس بن مرداس «ذيل الأمالي» ص ٢١٣/٢١٩ .

٢٥ ـ حارث بن سباع العميري الخفافي «نوادر أبي علي الهجري» (٢٥٩هـ) . وانظر «أبو علي الهجري» ص ١٨٠ ، ٣٤٥ .

٢٦ ـ حِبَّان بن الحكم ، ذكره ابن حبيب في كتاب «المحبر» وأورد له شعراً ، وهو صحابي .

٢٧ ـ حبيبة بنت الضحاك السلمية ـ زوج العباس بن مرداس «الأغاني» ١٤/٢٨٩ ـ بيروت .

٢٨ ـ الحجاج بن علاط البهزي «الحماسة البصرية» ٢/٧٨ و٢٦٦ «الإصابة» و«معجم البلدان» الجـر .

٢٩ ـ حصين الفوارس الذكواني السلمي «نوادر الهجري» (٣٠٧م) حيث أورد له أرجوزة في ٢٢ بيتاً (شطراً) .

٣٠ ـ حكيم بن العلاف السلمي «شرح الدامغة» ٦٤ .

أبو الحواس الخزيمي البهثي السلمي ، تقدم في اسمه (أحمد بن عبدالله) .

٣١ ـ حيان بن الحكم ـ الفرار السلمي ـ «الحماسة البصرية» ١/٢٨ .

٣٢ ـ حية الجذمي الخفافي السلمي ، ذكره الهجري (٣٦٠هـ) وأورد له رجزاً .

٣٣ ـ خفاف بن نُدْبة وهو خفاف بن عمرو ، أو عمير ، حامل لواء سليم يوم الفتح ـ له ديوان مطبوع .

٣٤ ـ الخنساء لها ديوان مطبوع .

٣٥ ـ داود السلمي «معجم البلدان» (فخ) .

٣٦ ـ الدبابي السلمي «نوادر الهجري» (١٩٣/٢٣٧هـ) .

٣٧ ـ ذؤابة بن مرداس اليحياني المرداسي السلمي ذكره الهجري (٤٢٦/٤٥٣هـ) .

راشد بن عبد رَبّه (عبدالله) السلمي «الإصابة» و«العقد الفريد» و«المناسك» و«اللسان» ١٨/٨٠ «معجم البلدان» ـ هبل ـ «شرح أشعار هذيل» ـ ٨٨٠ .

٣٨ ـ رُفيع بن أُهبان السُلَمي «المؤتلف والمختلف» ١٧٨ .

٣٩ ـ ريًا بنت الغطريف السلمية «الجواب الكافي» لابن القيم .

٤٠ ـ ريطة بنت عاصية السلمية «شرح أشعار هذيل» ٨٦٤/٨٦٦ .

٤ ـ أبو الريف السلمي «الحماسة البصرية» ١/٢٠٠ .

٤٢ ـ زرعة بن السليب المطرودي يعرف بابن قرقرة «جمهرة النسب» لابن الكلبي .

٤٣ ـ أبو الزكركر الشريدي السلمي ، ذكره الهجري في النوادر (٣٢٢هـ) «أبو علي الهجري» وأبحاثه ١٢٤ .

٤٤ ـ زياد بن واصل السلمي «فرحة الأديب» ٢١٢ .

٤٥ ـ سباع بن عرفطة السلمي «الحماسة البصرية» ٢ / ٣٧٨ .

٤٦ ـ سباع بن كوثل السلمي «مجالس ثعلب» ص ٦٥ و«لسان العرب» و«تاج العروس» ـ كوثل ـ .

٤٧ ـ سراقة بن مرداس السلمي أخو العباس «معجم البلدان» و«وفاء الوفاء» نضاد «اللسان» ٩/٣٣٣ و«الإصابة» ٢/١٩ .

٤٨ ـ سفيان بن عمرو السلمي «الإصابة» ٣٦٨٨ ج ٢/١١٢ .

٤٩ ـ سويد بن عرين البهزي « جمهرة النسب » .

٥٠ ـ شجاع بن ركاض السلمي «فرحة الأديب» ٩٥ .

ـ أبو شجرة الأزرقي السلمي ، ذكره الهجري «النوادر» (١٤٧/١٥١/٣٤٤هـ) و(٣٠٣م) . (ابن الخنساء) واسمه سليم وفي «كنى الشعراء» لمحمد بن حبيب أن اسمه عمرو وذكره الطبري في تاريخه ٣/٢٦٦ ـ ط المعارف ـ و«الإصابة» رقم ٣٤٤١ (ج ٢ ص ٧٢) ، و«الكامل» للمبرد و«الحماسة البصرية» ٢/٨٧ (ص) وانظر (عمرو بن عبدالعزى) .

٥١ ـ الشريد بن رياح بن يقظة «الإكمال» ٤/١٨ .

٥٢ ـ شغنوب بن أبي صالح السمالي السلمي ذكره الهجري (٩٨هـ) وأورد له قصيدة في ١٨ بيتاً وروى عن ابنه .

٥٣ ـ صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء «الشعر والشعراء» و«الحماسة

البصرية» ٣١١/٢ و«معجم البكري» (النقيع) و«الأغاني» ٣٧/٥ و١٥/٦٣،٦٤ .

٥٤ ــ صفوان بن المعطل الذكواني «الإصابة» ١٨٥/٢ .

٥٥ ــ الضحاك بن عبدالله السلمي «الشعر والشعراء» ٦٣٢ .

٥٦ ــ الضحاك بن معن السلمي ممن مدح الهادي «تاريخ ابن جرير» حوادث سنة ١٧٠ .

٥٧ ــ ضمرة بن الحارث السلمي «الإصابة» ٢٠٣/٢ .

٥٨ ــ ضمضم بن الحارث السلمي «السيرة النبوية» ١١٣/٤ طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٥ .

ــ ابن أبي عاصية «معجم البلدان» ــ أحد ــ ، «تاريخ المدينة» لابن شبة ٤٧ «اللسان» ٢٦٤/٨ . «الموفقيات» «الموشح» ٢٣٠/٦٤ و«ذيل الأمالي» ص ١٢٦/١٢٧ (وانظر معن ويعقوب) .

٥٩ ــ أبو عاصية السلمي «اللسان» . رسم (نقب) و(عصا) .

٦٠ ــ أبو عامر بن حارثة السلمي وهو جد العباس بن مرداس «فرحة الأديب» ٧٨/٧٧/٦٢ ــ وفي المطبوع ١٢٧ وانظر «تاج العروس» ــ قمر ــ .

٦١ ــ عباس بن أنس بن عامر الرعلي وهو ابن ريطة «الأغاني» ٥٥/١٦ و«معجم الشعراء» ١٠٣ و«الحيوان» للجاحظ ١٧٦/٦ و«الإصابة» ٢٦٢/٢ .

٦٢ ــ عباس بن أنس بن عباس بن مرداس «معجم الشعراء» ١٠٣ .

٦٣ ــ بنت عباس بن عامر السلمي «شرح الدامغة» ٧٩ .

٦٤ ــ العباس بن مرداس السلمي له ديوان مطبوع .

٦٥ ــ عباية السلمي الراجز «التكملة» ــ جرب ــ .

٦٦ ــ عبدالحميد المرداسي السلمي ذكره الهجري (١١٤هـ) .

٦٧ ــ عبدالرحمن بن عبدالأعلى السلمي شاعر وراوية «الموشح» ٣٣٦ .

٦٨ ــ عبدالله بن رواحة بن عبدالعزى السلمي «الشعر والشعراء» ٢٦٠ ، و«معجم ماستعجم» ١٣٧٤ .

٦٩ ــ عبدالله بن أبي شجرة السلمي «معجم ماستعجم» ــ ودّان ــ .

٧٠ ـ عبدالله بن عجرة السلمي «الإصابة» ٢٣٦/٢ عن «معجم الشعراء» للمرزباني وغيره .

٧١ ـ عبدالله بن كامل بن حبيب الذكواني «الإصابة» ٣٥٣/٢ و٩٣/٣ ـ عن «معجم الشعراء» للمرزباني .

٧٢ ـ عبدالله بن هبة المرداسي ، أورد له الهجري قصيدة في الاصلاح بين سليم وهلال ، «النوادر» (١٠٦/١٨٣/١٩٢/٢٠٢/٢٠٧/٤٤٤م) .

٧٣ ـ أبو عبيدة من ناصرة من سليم ، «التكملة» رسم (وذح) . وذكر أنه هجا أبا وجزة السعدي .

٧٤ ـ عتمي بن محمد ممن أكثر الهجري الرواية عنه وهو شاعر (٢٩٥م) .

٧٥ ـ عرعرة بن عاصية السلمي «معجم الشعراء» ١٤٧ ، «الأغاني» ١٠٠/١٢ طبعة بيروت و«معجم ماإستعجم» ٣٧٧ .

٧٦ ـ عزيرة بن قطاب وَسَمَّاهُ المرزباني هزيرة (٤٧٥) «معجم البلدان» ـ الغار ـ «رسالة عرام» «معجم الشعراء» «أبو علي الهجري» ١٢٤ .

٧٧ ـ عسكر بن عقبة المرداسي ذكره الهجري «النوادر» (١٥٤هـ و١٨٣/١٩٢/٢٠٢/٢٠٧/٤٤٤م) .

٧٨ ـ عطية بن أبي شجرة الأزرقي السلمي «نوادر الهجري» (٣٠٤/٣٠٥م)، و«معجم البلدان» ـ وجرة ـ و«أبو علي الهجري» ٣٤٢/٣٨٤ .

٧٩ ـ عقبة بن مرداس السلمي «الحماسة البصرية» ٢٥١/٢ .

٨٠ ـ علي بن بدال السلمي ذكره الزجاجي «أمالي الزجاجي» ٢٠ ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢ بمصر .

٨١ ـ علي بن سليمان بن طريف «معجم الشعراء» ١٤٧ .

٨٢ ـ ابن عمارة السلمي «الأغاني» .

٨٣ ـ عمر بن أبي ربيعة السلمي «معجم البلدان» ـ دوران ـ .

٨٤ ـ عمرو بن الحارث «من اسمه عمرو» .

٨٥ ـ عمرو بن خالد ، «من اسمه عمرو» .

٨٦ ـ عمرو بن رياح بن يقظ «التاج» ـ روح ـ وسمي الشريد ببيت قاله و«التبصير» ٥٨٩ .

٨٧ ــ عمرو بن سفيان الذكواني ــ أبو الأعور ــ «الاستيعاب» .
٨٨ ــ عمرو بن عاصية السلمي «شرح أشعار هذيل» و«الأغاني» ١١/١٣ .
٨٩ ــ أخت عمرو بن عاصية السلمي «الأغاني» ١١/١٣ و١٢ ص ٩٧ ــ طبعة بيروت .
٩٠ ــ عمرو بن عامر السلمي «ذيل الأمالي» ٣/٤ و«الإصابة» ٣/١١٥ .
٩١ ــ عمرو بن عبدالعزى السلمي «الهجري» (٣٠٣م) و(١٤٧/١٥١/٣٣٠/٣٤٤هـ) و«معجم البكري» ٨١٥ و«جمهرة النسب» ٣١٣ ، وهو أبو شجرة الأزرقي .
٩٢ ــ عمرو بن عبدالعزيز «من اسمه عمرو» .
٩٣ ــ عمرو بن مرثد أبو الغراف ــ «من اسمه عمرو» ــ و«معجم الشعراء» ص ٣٠ .
٩٤ ــ عمرو بن مسعود الذكواني السلمي «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا ص ١٣١ .
٩٥ ــ عمرو بن المسلم الرياحي السلمي ذكره الهجري في «النوادر» (١١١/ ١٦٠/ ٢١٩/ ٢٥٨/ ٣٣٤/ ٣٧٩/ ٣٨٨/ ٤٤٨هـ) و(١٤٠/ ٣٣٣/ ٤٧٣م) . و«الورقة» و « من اسمه عمرو » لابن الجراح .
٩٦ ــ عمرو بن ناعصة «المؤتلف» ٣٠٠ .
٩٧ ــ عمرة بنت مرداس أخت العباس «الأغاني» ١٤/٣٠٢ طبعة بيروت و«معجم ماستعجم» ٨٠٠ .
٩٨ ــ عمير بن الحباب ممن هاجى الاخطل «تاريخ ابن الأثير» حوادث سنة ٧٠ «الأغاني» ١٢/٢٠٣ و٢٣/٨٤، ٨٥ ــ ط بيروت و«معجم الشعراء» ٧٤ .
٩٩ ــ عود الحرب (؟) الرعلي ــ ذكره الهجري (٣٤٢هـ) فأورد له شعراً .
١٠٠ ــ ابن غادية السلمي «الحيوان» للجاحظ ١/٢٣٠ .
١٠١ ــ غزلان الشامي الخفافي السلمي «أبوعلي الهجري» ٣٤٦ و«النوادر» (٢٩٦/٢٩٧م) .
١٠٢ ــ فادح السلمي ذكره الزمخشري في «المستقصى» ١/٣٤٧ .
١٠٣ ــ قدد بن عمار السلمي «تاريخ ابن شبة» ٩٤ و«طبقات ابن سعد»

١/٣٠٨ وفيها (قدر) تصحيف و«الإصابة» رقم ٧٠٩٣ .

١٠٤ ــ قرة بن عياض اللبيدي ذكره الهجري (٢٨٧م) .

١٠٥ ــ أبو القنافذ السلمي (الأغاني) ٥/٣٣٣ (طبعة بيروت) .

١٠٦ ــ ابن قند المرداسي السلمي «أبو علي الهجري» ١٤٧ .

١٠٧ ــ قيس بن خزاعي بن حزابة «المنمق» ١٥٧ .

١٠٨ ــ قيس بن نشبة السلمي «تاريخ ابن شبة» ٩٤ ، «طبقات ابن سعد» ١/٣٠٨ وفيها (نسبيه) تصحيف «الإصابة» ٧٢٤٤ ، «المنمق» ١٦٥/١٦٦ ، «الأغاني» ١٧/٢١٠ .

١٠٩ ــ كليب بن عهمة السلمي «شرح أشعار هذيل» ٧٦٩ ، «معجم ماااستعجم» (القرية) ، و«الإصابة» ٣/٢٩٠ .

١١٠ ــ أبو كنانة السلمي «معجم ماااستعجم» ٥٦٠ .

١١١ ــ مالك بن عمرو «الإصابة» .

١١٢ ــ مالك بن عمير الناصري «معجم الشعراء» ٢٦٢ و«الإصابة» ٧٦٧٢ (٣/٣٣١) .

١١٣ ــ المتنكب البجلي ــ بإسكان الجيم ــ السلمي «المؤتلف» ٢٧٤ ــ و«معجم الشعراء» ٧٦/٤٤٠ و«الاكمال» ١/٣٦٦ و«الأنساب» ٢/٩٥ .

١١٤ ــ مجالد بن وهب الذكواني السلمي «نوادر الهجري» (٤٠٤م) .

١١٥ ــ المجنون بن وهب بن معاوية الشريدي «المؤتلف» ٢٨٩ .

١١٦ ــ محمد بن أبي بدر السلمي «معجم الشعراء» ٤٠٥ .

١١٧ ــ محمد بن أقيصر السلمي «جمهرة نسب قريش» ١٥١ ، أو عمر بن محمد ــ له مرثية في عبدالله بن مصعب المتوفى سنة ١٨٤ .

١١٨ ــ محمد بن سعيد السلمي «معجم الشعراء» ٤٢٠ .

١١٩ ــ محمد بن شهاب الارطائي الخفافي ، ذكره الهجري (٢٣٥هـ) .

١٢٠ ــ محمد بن رياح الرياحي ، ذكره الهجري (٤٩٦هـ) .

١٢١ ــ محمود بن رياح الرياحي السلمي ، ذكره الهجري (٤١٥م) وأورد له رثاء في فرسه قصيدة في ١٨ بيتاً و(٤٩٦هـ) .

١٢٢ ــ مرداس بن أبي عامر «الأغاني» ٦/٣٢٢ و١١/١٤٣ ، طبعة بيروت ،

و«النقائض» ٦٧٣/٦٧١ .

١٢٣ ـ المرداسي السلمي ـ ذكره الهجري (١٩٨/٤٥٣هـ) . لم يتضح اسمه في النسخة المصورة .

١٢٤ ـ مرة بن جارية السلمي «فرحة الأديب» ٦٢ .

١٢٥ ـ مرة بن دودان السلمي «الأغاني» .

١٢٦ ـ أبو مصلح البهزي السلمي ذكره الهجري «النوادر» (٢٩٩م) و«أبو علي الهجري» ٣٤٠ .

١٢٧ ـ مطلي بن عميرة العمري الخفافي السلمي «نوادر الهجري» (٢٩٤م) .

١٢٨ ـ معاوية بن الحكم السلمي «معجم الشعراء» ـ ٣١٤ هامش ـ .

١٢٩ ـ معاوية بن عمرو ، أخو الخنساء ، «الإصابة» ٢/٥٠٠ .

١٣٠ ـ معاوية بن مالك السلمي «معجم الشعراء» ٣١٢ .

١٣١ ـ المعترض بن حبواء الظفري السلمي «معجم البلدان» ـ قدوم ـ و«معجم ماستعجم» . ١١٩٨ و«شرح أشعار هذيل» ٦٧٨ ـ ٦٨٢ .

١٣٢ ـ معن بن أبي عاصية «معجم الشعراء» ٤٩٥ .

١٣٣ ـ معن بن أبي فهيرة السلمي «نوادر الهجري» (٣٢٦/٢١٣م) .

١٣٤ ـ المفضل بن خالد السلمي «معجم الشعراء» ٢٩٧ .

١٣٥ ـ مكرم بن قرة اللبيدي السلمي «نوادر الهجري» (٢٩٠) .

١٣٦ ـ منجوف بن مرة السلمي «نور القبس» ص ٢١٦ .

١٣٧ ـ مؤرج السلمي «أبو علي الهجري» ٢٤٣ ، و«معجم البكري» رسم - بقر - .

١٣٨ ـ موسى بن عبدالله بن خازم «معجم الشعراء» ٢٨٧ ، ولي خراسان بعد أبيه وله شعر في أخيه لما قتل «التبصير» ٢٨٨ .

١٣٩ ـ موسى بن محمد السلمي ـ أبو عمران ـ «معجم الشعراء» ٢٩٠ ؛ و«الورقة» ص ١١ .

١٤٠ ـ نصر بن حجاج السلمي «الأوائل» ١٢٤ و«تاريخ المدينة» لابن شبة .

١٤١ ـ نصيحة بنت المسلم ، ذكرها الهجري (٣٢٥/ ٣٣٩/ ٤٢١) .

١٤٢ ـ نضلة السلمي «الحماسة البصرية» ٦٧/١ ، و«أيام العرب» مخطوطة ، ←

الأحامدة في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة»

[انظر عن الأحامدة ماكتبه الأخ سعيد بن مصلح الأحدي في «العرب» س ١٧ ص ٣١٢]

جرى الحديث في إحدى الليالي بحضور عدد من الإخوة المثقفين ، حول نسب الأحامدة ، فذكرت أنَّ بعض العلماء ينسبهم إلى قبيلة بَلِيٍّ ، ولم يكن المرجع أمامي في ذالك الوقت ، وهاأنا أقدمه لعلَّ من بين القراء من يستطيع إيفاء البحث حقه . ومن المعروف أن الاسم الواحد قد يطلق على أكثر من قبيلة ، فهل اسم الأحامدة يطلق على فرع من قبيلة بلي ، وفرع آخر من قبيلة حرب؟! أو أنهما من أصل واحد؟ وهل لايزال الفرع المعروف قديماً في بَلِيٍّ معروفاً هناك؟

إنَّ مثل هذه الأمور لايستطيع التعمق في ادراكها وبحثها إلاَّ من كان من أبناء

← و«التاج» ـ فصح ـ .

١٤٣ ـ واصل بن محمد الأزيدي السلمي ذكره الهجري (٤١٧م) ، و(٢٥٨هـ) .

١٤٤ ـ هند بن خالد بن صخر بن الشريد «معجم الشعراء» ٤٦٨ .

١٤٥ ـ هوذة بن الحارث بن عجرة السلمي يعرف بابن الحمامة ، «تاريخ المدينة» لابن شبة ١٣٥ ، «الإصابة» رقم ٩٠١٣/٩٠٥٩ .

١٤٦ ـ الهيثم بن فراس السلمي «وفيات الأعيان» ٤/٤٥ .

١٤٧ ـ يحيى بن ربيق السلمي «أبو علي الهجري» ٣٢٣ و«النوادر» (٢٥٤هـ) .

١٤٨ ـ يزيد بن أبي مساحق السلمي «الأغاني» ٦٨/٧ ـ طبعة بيروت ـ .

١٤٩ ـ يزيد بن عبيد السلمي ـ أبو وجزة السعدي ـ «الأغاني» ٧٥/١١ ، و«الإصابة» رقم ٩٤٥٠ ، و«خزانة الأدب» .

١٥٠ ـ يعقوب بن أبي عاصية السلمي «معجم الشعراء» ٤٩٥ .

عدد هؤلاء الشعراء خمسون ومئة .

حمد الجاسر

القبيلة نفسها ، وهم الآن ولله الحمد على درجة من الكثرة ومن الثقافة والمعرفة .

ويتضح مما ذكره الجزيري ـ فيما سيرد من كلامه ـ أن الأحامدة كانوا يسيطرون على طريق الحج من وادي تِلْبَة الواقع بين واديي الأزلم وعَنْتر في المنتصف فيما بين ظبا والوجه إلى وادي أكْره الذي هو مفيض وادي الحَمْض في البحر (أنظر لتحديد هذه المواضع كتاب «المعجم الجغرافي» قسم شمال المملكة) .

تحدث الشيخ عبدالقادر بن محمد الجزيري الحنبلي (٩١١ ـ بعد سنة ٩٧٦م) في كتاب « الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج ، وطريق مكة المعظمة » في النسخة الكاملة التي نشرتها «دار اليمامة» في ثلاثة مجلدات سنة ١٤٠٣هـ تحدث عن قبيلة الأحامدة في مواضع من كتابه ولكنه عدَّ هذه القبيلة مَرَّةً فرعاً من قبيلة بَلِيٍّ ومرة ذكر (الأحامدة) بَطْنا من بني سالم ، من فروع قبيلة حرب .

أحامدة بلـي :

قال في حوادث سنة ٩٦٨ في كلامه على إمارة عثمان بن أزدمر لركب الحجاج : ـ وأفحش السيرة مع أهل الدرك ، فقطع عوائدهم ومرتباتهم ، فلم يقابله غالبهم ، ومن أتى إليه لم يَفُزْ منه بطائل ، وحال بينه وبين عوائده كل حائل ، فغضبتْ بنو عَطِيّة ، واستمر عصيانهم ، وعصت عربان الأحامدة والعزايزة في الذهاب والإياب .

ـ وذكر (ص ١١٠٩) في حوادث سنة ٩٧٠ تَعَرُّض عربان بَلـيٍّ الأحامدة لرسول محمود باشا (والي اليمن) إلى الباب السلطاني قال : فأخذوا منه من الذهب ألفاً ومئة وخمسين ديناراً وقبضوا على مملوك له فعوقوه رَهينةً ، وذكروا أن ذالك عِوضاً عما قطعه عثمان أمير الحاج في السنة الماضية من صُرَرِهم ، ومااخذه من جمالهم وخيولهم ، وشكوا إلى مصطفى باشا واقعتهم ، فأرسل إلى عثمان يأمره بدفع ما للأحامدة عنده ، فلم يُبْدِ عَنْ ذالك جواباً .

ـ وقال (ص ١٣٩٢): وعربان بَلِيٍّ أصحاب الدرك طوائف كثيرة، فنذكر ماتيسر منها . أما أصحاب درك الأزلم فمنهم بَلِيٍّ الأحامدة ، والأحامدة

بَدَنَاتٌ : منهم الخُرشان ، والركبان ، والغدايرة ، منهم شاهين بن أحمد بن غدير وأولاد عمه .

والعتيبات كَفُشَيْغَة بن سالم ، وجبار بن ادريس بن غديف .

والسلامات كعمران بن خليفة بن عمران .

وآل هلال .

والقردانيات .

ــ وقال (١٣٨٧) : فَمِنْ حَذْرَةِ دَامَة إلى تِلْبَة درك فُشَيْغَة بن سالم بن عريفطة ، وجبار بن ادريس ، وكلاهما من أصحاب درك العتيبات ، وعربان الجعافرة من بَلِـيّ ومن معهم . ومن تَلْبَة إلى اسْطَبَل عنتر والفيحاء ووادي الأراك إلى كبرة ، درك جماعة الغدايرة من بَلـي ، وهم شاهين بن أحمد بن غدير ، وصبيح وحسن أولاد سلامة بن غدير ، وأولاد دبوب ومن معهم (يلاحظ أنه عَدَّ هاؤلاء من الأحامدة فيما تقدم) .

وقال: ومن كبرة أوّل حَـدِّ الوَجه فمنه إلى المحل المعروف بفشيغة الوجه ، دركُ جلاس بن نصار بن جماز ، وولده حميد ، وعمر بن أحمد بن نصير ، وسالم وحسن أولاد علي بن نصير من بَلِـي الأحامدة .

ومن فشيغة الوجه إلى مفرش النعام إلى أَكْرَا درك عمران بن خليفة بن عمران ، ومشايخ السلامات وأحمد بن بيض .

وأما أكرا فالْـهِيْشُ التي بها وهو محل الماء والحفاير والأَثْل هناك ، درك أولاد قناع بن علي من جعافرة الشنابلة .

ومناخ الركب أَكْرَا فقط درك عمر بن سبع بن غنام وأولاده من بَلِـيٍّ الجواهرة .

احامدة بني سالم :

وَرَدَ ذكر الأحامدة عرضاً حين تحدث عن طوائف بني سالم فقال ←

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٥٩ ـ

٢٦٨ ـ بَابُ حَشٍّ، وَخُشٍّ، وَجُشٍّ[1]

أَمَّا الأَوَّلُ: ـ بِفَتْحِ الحَاءِ ـ وَيُقَالُ بِضَمِّهَا ـ بَعْدَهَا شِينٌ مُشَدَّدَةٌ ـ: حَشٌّ

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: (بَابُ حُنَيْنٍ وَخُنَيْزٍ وَحَبِيْرٍ وَحَشٍّ وَجُشٍّ وَخُشٍّ).

← (ص ١٥٦٤): وحَـدُّ هذا الدرك من ابتداء السهْلِ من الوعر، إلى فِسْقِيَّة طَاز، إلى وادي الغزالة، إلى آخر قبور الشهداء، وصاحب الدرك الآن زَبْن بن جمعة ابن جبار شيخ بني سالم المراوحة، وتوفي قتيلاً في واقعة عَرَبٍ ذَبَّ فيها عن الدرك، فأتَتِ الحراميَّةُ على نفسه فَقُتِلَ، ودفن بالقرب من قبور الشهداء، واستقر عوضه شيخاً على أهل الدرك ولده ومن معه. وبنو سالم المذكورون طوائف: منهم السعادين، والسواعد والتُّمَمُ، وأولاد وافي، والأحامدة والرَّدَّادة والحوازم، والمراوحة منهم الرحلة ومُزَيْنَة وبنو جَميل، والثوابت والغربان والخُضرة والمفالحة، والوسدة والْـحُجَلَة، والكِذَاذَات، وذوي طاهر، والجوامع، والقراف. وفي هذا الوادي يقول الصلاح الصَّفَدِيُّ:

نَـظَرْتُ فِـي وَادِي بَنِـي سَـالِمٍ ... لِـكُـلِّ لِصٍّ ظَـالِمٍ غـاشِـمِ
يَسْرِقُ كُحْلَ العَـيْنِ من جَفْنِهَا ... بِـجُـرْأةٍ مِـنْ مُـقْـلَةِ الـنَّـائِـمِ
كَمْ عَـاطِب فِيْـهِ وَكَمْ هَـالِـك ... وَهْــوَ مـضـافٌ لِبَـنِـي سَـالِمِ

[يقصد بابتداء السهل من الوعر الخروج من مضيق الصفراء إلى المنصرف (المسيجيد) وبعده وادي الروحاء الذي عبر عنه بوادي الغزالة ووادي بني سالم].

حمد الجاسر

كَوْكَب بِالْمَدِيْنَةِ عِنْدَ بَقِيعِ الغَرْقَدِ ، وَهُنَاكَ دُفِنَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ(٢) ، وَحَشُّ طَلْحَةَ مَوْضِعٌ آخَرُ بِالْمَدِيْنَةِ(٣) .

وأَمَّا الثَّانِي : ــ بِضَمِّ الخَاءِ المُعْجَمَةِ ــ: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى إِسْفَرَائِيْنَ ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضاً خُوْشُ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَدٍ النَّيْسَابُورِيُّ الـخُشِّـيُّ ، سَمِعَ ابْنَ عُيَيْنَةَ ، والفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ ، والوَلِيْدَ بْنَ مُسْلِمٍ ، وابْنَ المُبَارَكِ ، وابْنَ عُلَيَّةَ وغَيْرَهُم ، رَوَى عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ الهِلاَلِيُّ ، ومُحَمَّدُ بْنُ عَبْدالوَهَّاب العَبْدِيُّ ، ومُحَمَّد بْنُ إِسْحَاقَ الطَّالَقَانِيُّ(٤) .

وأَمَّا الثَّالِثُ : ــ أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ ــ: بَلَدٌ بَيْنَ صُوْرَ وطَبَرِيَّةَ ، عَلَى سِيْفِ البَحْرِ(٥) .

---

(٢) حَشُّ : قَالَ نَصْرٌ بِفَتْحِ الحَاءِ وشِيْنٍ مُعْجَمَة مُشَدَّدَة ــ: حَشُّ كَوْكَب في بَقِيعِ المدِيْنَة في أقْصَاهُ ، حَيْثُ دُفِنَ عُثْمَانُ ـ الخ ـ وَعِنْدَ يَاقُوت ـ بَعْدَ ضَبْطِه بالفَتْح وبِضَمٍّ ــ: والحَـشُّ في اللغة البُسْتَانُ ، وبِهِ سُمِّـيَ المخْرَجُ حَشاً لأَنهم كانُوا إذا أرادوا الحاجة خَرَجُوا إلى البَساتِيْنَ ، وكَوْكَب الّذي أُضِيْفَ إِلَيْهِ اسْمُ رَجُلٍ من الأنْصَار ، وهُوَ عند بَقِيْع الغَرْقَد ، اشْتَرَاهُ عُثْمَان بن عَفَّان ــ رضي الله عنه ــ وزَادهُ في البَقِيْع ، ولَمَّا قُتِلَ أُلْقِيَ فيه ، ثُمَّ دُفِنَ في جَنْبه . انتهى . كانَ الثُّوَّار الَّذيْنَ قَتَلُوا الخليفَة الرَّاشد حَالُوا دُوْنَ دَفْنِه في البَقِيع ، فَدُفن لَيْلاً في ذالك الموضع الَّذي اتَّصل بالبَقيع ، وانظر لِتَفْصِـيل ذالِك ، ولِتَحْديد مَوْقع حُـشّ كَوْكَب «وَفَاء الوفاء» ــ ٩١٣ ــ.

(٣) عِبَارة نَصْرٍ : وبِالمدِينة حُـشُّ طَلْحَة مَوْضِعٌ . وأَوْرَدَ يَاقُوت نَصَّ عِبَارة الحازميّ : وذكر السَّمْهوديُّ في «وَفَاء الوفاء» ــ ١١٩١ ــ أنَّهُ مَوْضِعُ الدُّوْرِ التي شامِـيُّ المسجد ونَقل ص ٧٢٧ ــ: عن ابن شَبَّة أنَّ إلى جنب خوخة آل يَحْيَـى بن طَلْحة حُـشُّ طَلْحَة بن أبي طَلْحَة الأنصارِي ، وهو اليوم خَرَاب صوَافي عن آل ابْن بَرْمَك ــ هذا من كلام ابْنِ شَبَّة ، وأضَاف السَّمْهُودي : والظَّاهِرُ أنَّ في محلِّه اليوم الفُرْن المحاذِي لِقُربِ مؤخرة المَسْجد من المغرب وأضيف: وهو الآن من المسجد .

(٤) خُـشّ ــ لَمْ يزِدْ نَصْرٌ على قَوْل: وأَمَّا بِخَاءٍ مُعْجَمَة مَضْمُومةٍ أَيْضاً نَاحِيَةٌ مِنْ أَذْرِبِيْجَان . وفي «مُعْجم البُلْدان» وَرَدَ الاسْـم في رَسْم (خُوش : ــ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وشِيْنٍ مُعْجمة ــ: قَرْيَة مِنْ نواحِـي أَسْفرايِيْنَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو عبدالله محمد بن أَسَدٍ النَّيْسَابُورِيُّ الخُوشِيُّ ، سَمِعَ ابن عُيَيْنَة والمبَارك(؟) والفُضَيل بن عياض وغيرهم . انتهى . وكلمةُ المبارك ، صَوَابُهَا عبدالله بنُ المبارك ، كما في «الأنساب» للسَّمْعَانِيِّ نَقْلاً عن الخَطِيب البَغْدَاديّ في كتابِهِ «تأريخ بَغْدَاد» فقدْ تَرْجَم محمد بنَ أَسَدٍ وعَدَّ شُيُوخه ، وعرَّف السَّمْعَانِيُّ البَلْدة بِنَحْوِ مَاعَرَّفها بِهِ الحَازميُّ .

(٥) جُـشُّ : عِنْدَ نَصْرٍ : بِضَمِّ الجيم وشِيْنٍ أيضاً ــ: جَبَلٌ صَغِيرٌ بالحِجَاز في دِيارِ جُشَم بْن بَكْرٍ ، وبَلَدٌ بَيْنَ صُوْر وطَبَرِيَّةَ عَلَى سَمْتِ البَحْر . انتهى . ولَعَلَّ (سَمْت) تحريف (سِيْف) أَوْ أَنَّ يَاقُوتاً نَقَلَهَا كَما هي في كتاب نَصْرٍ فقد وَرَدَت في كتابه بهذا النَّصّ : جَـشٌّ ــ بالفَتْح والضَّمِّ ثُمَّ التَّشْدِيد ، قال الأَزْهَرِيُّ : الـجَشُّ النَّجفَةُ وفيه ارْتِفاعٌ ، والجَشَّاءُ أَرْضٌ سَهْلَةٌ ذَاتُ حَصْباء ، تُسْتَصْلح لِغَرس النَّخل ، وقَالَ غَيْرُهُ : الـجُشُّ الرَّابِيَةُ ، والقُفُّ وَسَطُهُ ، والجَمْع الجِشَّانُ ، وقَدْ أُضِيفَ إِلَيْهَا وسُـمِّـيَ بِهَا عِدَّة مَوَاضِع ، منها جِـشٌّ : بَلَدٌ بَيْنَ صُوْر وطَبَرِيَّة ، على سَمْتِ البَحْرِ ، وجُشٌّ أَيْضاً : جَبَلٌ صَغِيرٌ بالحِجَاز في دِيَار جُشَم بْن بَكْرٍ .

وجَبَلُ صَغِيْرٌ بالحِجَازِ في دِيَارِ جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ(٦).

وَجُشُّ جَبَلٌ عِنْدَ أَجَإٍ، أَمْلَسُ الأَعْلَا سَهْلٌ تَرْعَاه الإِبِلُ والحَمِيْرُ، كَثِيْرُ الكَلإِ، وفي ذِرْوَتِهِ مَسَاكِنُ لِعَادٍ، وَإِرَمَ، فِيْهَا صُوَرٌ مَنْحُوتَةٌ مِنَ الصَّخْرِ(٧).

وَجُشُّ أَعْيَارٍ: مِنَ المِيَاهِ الأَمْلَاحِ لِفَزَارَةَ بِأَكْنَافِ الشَّرَبَّةِ(٨).

---

(٦) هُو نصُّ كلام نصْر، ولَمْ يَزِدْهُ يَاقُوت - كَمَا تَقَدَّم نَصُّ كَلَامِهِما - ولم أرَ لِجَبل جُشّ المَنْسُوب لبني جُشَم بْنِ بَكْرٍ - وهُمْ عِنْدَ الإِطْلاق قوم دُرَيد بْن الصِّمَّة - ذِكْراً غَيْر هذا، وبلادُ هاؤُلاء فيما بَيْنَ سُفُوح جبال الحِجَاز الشَّرْقيَّة وحَضَن، بِمَا يَلِي الطَّائف، ومِنْ جِبَالهم بُسٌّ - وأخشى أن يَكُون تَصَحَّف على نَصْرٍ، ولكِنَّه لَيْسَ صَغِيراً، بَلْ جانِبٌ مُرْتفع أَسْوَدُ من الحَرَّةِ مُطِلٌّ عَلَى مَنْهل عُشَيْرة، يُشَاهَدُ مِنْ مَسَافَاتٍ بَعِيْدَةٍ.

(٧) وَهَذَا نَصُّ كَلَام نَصْرٍ سِوَى كَلِمَتَيْنِ فَعِنْده: جُشُّ إِرَمٍ - أيْ بإضَافته إلى إِرَم - والثَّانيَةُ (الإبل) فهي (الإِيَلُ) بهمزة مَكْسُورةٍ بَعْدَهَا يَاءٌ مُثَنَّاةٌ تَحْتِيَّةٌ مُشَدَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ فَلَامٌ - وهُوَ الوَعِل الحَيَوانُ البَرِّيُّ المعروف والحَمِيْرُ هُنَا حُمُر الوَحْش، أيْ إنَّ هذا الجَبَل مُرْتفع لا يَعْلُو قِمَّتَهُ إلاَّ الوُعُولُ والحُمُر الوحْشِيَّة وعَنْ نَصْرٍ نَقَلَ يَاقُوتُ بِنَصِّه ولم يُسَمِّه. وجَبَلُ الجُشّ - وكذا ينطق الآن معرَّفاً غَيْر مُضَاف - يَقَعُ بَعيداً عن أجَإٍ بمسافة تقرب مِن خمسين ومئة كَيْلٍ، غَرْبه في النُّفُودِ (رَمْل بُحْتر من رمْل عالج) بقُرب خَطِّ الطول ١٨/٤٠° وخطِّ العَرض ٤٥/٢٧° - بمنطقة إمَارة حائل.

(٨) جُشُّ أَعْيَارٍ عَرَّفَهُ نَصْرٌ كَتَعْرِيف الحازِميِّ ولكنْ بزِيادة (بِعَدَنَة) وكَذَا فَعَلَ يَاقُوتُ، وأَضَاف قَوْلاً لِلأَزْهَرِيِّ: مَوْضِعٌ مَعْرُوف بالبادية، كَمَا أَضَاف: وقال بَدْرُ بن حِزَّان الفَزَارِيُّ يُخَاطِبُ النَّابِغَةَ:

أَبْلِغْ زِيَاداً وحَيْنُ المَرْءِ يَجْلِبُهُ ... فَلَوْ تَكَيَّسْتَ أَوْ كُنْتَ ابْنَ أَحْذَارِ
مَا اضْطَرَّكَ الحِرْزُ مِنْ لَيْلَى إلى بَرِدٍ ... تَخْتَارُهُ مَعْقِلاً عَنْ جُشِّ أَعْيَارِ

- بَدْرُ بن حِزَّانَ: صَوَابُهُ (بن حَزَّاز) بِزَاءَيْنِ أولاهما مخففة كَمَا في «الإكمال» ٢/٤٤٦ - و«مُعْجَم ما اسْتَعْجَمَ» - رسم جُشّ أَعْيَارٍ - وهذا المَوْضِعُ ذَكَرْتُهُ والَّذي قَبْلَهُ في (قِسْم شَمَال المَمْلكةِ) مِنَ «المُعْجَم الجُغرافِيِّ لِلبِلَاد العَرَبيَّة السعودية» وقُلْتُ هُنَاكَ عَنْ جُشّ أَعْيَار: يُفْهَمُ مِنْ كَلَام المُتَقَدِّمِينَ أنه يَقَعُ غَرْبَ الجَبَلَيْنِ - أجَا وسَلْمَى - غَيْرَ بَعِيْدٍ عَنِ الحَرَّةِ، حَيْثُ بِلَادِ غَطَفَانَ، قَرِيبٌ مِنْ أَعْيَار (عِيَار) الَّذِي بِقُرب وَادِي الشُّعْبَة، وكُلُّ هذِهِ المَوَاضِعِ تَقَعُ في عَدَنَةَ، شَمَالَ الشَّرَبَّةِ.

وَزِيَادَاتُ نَصْرٍ:

(١) حُنَيْنٌ: عَرَّفَهُ بِقَوْلِهِ: أَمَّا بالحَاءِ ويَاءٍ سَاكِنَةٍ بَيْنَ نُونَيْنِ - : قُرْبُ مَكَّةَ، ذُكِرَ في القُرْآنِ. انتهى يُشِيرُ إلى الآية الكَرِيمَةِ الـ (٢٥) مِنْ سُورَةِ (التَّوْبَةِ): ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ الآية والَّتي بَعْدَهَا وَذَلِكَ حِينَ انْهَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ في غَزْوَةِ حُنَيْنٍ في أوَّلِ الوَقْعَةِ، ثُمَّ انْتَصَرُوا - لَمَّا غَزَوْا هَوَازِنَ في السَّنَةِ الثامِنَةِ مِنَ الهِجْرَةِ، فحَدَثَتِ المَعْرَكَةُ في وَادِي حُنَيْنٍ المَعْرُوفِ الآنَ باسْم الشَّرَائِعِ، أعْلَاهُ وَادِي يَدْعانَ (جَدْعانَ) وأَسْفَلُهُ الشَّرَائِعُ حَيْثُ البَلْدَة المَعروفَةُ بهذا الإسْمِ، الوَاقِعَةِ شَرْقَ مَكَّةَ بِنَحْوِ أَرْبَعَةٍ وعِشْرِينَ كَيْلاً. وآخِرُ الوَقْعَةِ حَدَثَ في أَوْطاسٍ، بَعِيْدًا عَنْ حُنَيْنٍ إذْ هَرَبَ المُنْهَزِمُونَ مَنْ هَوَازِنَ فَأُدْرِكُوا بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا مِنَ الجِبَالِ إلى الأَرْضِ البَرَاحِ المُوَالِيَةِ لِذَاتِ عِرْقٍ.

(٢) خَيْبَرُ: قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ يَلِيْهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَرَاءٌ - : صُقْعٌ مِنْ أَعْرَاضِ =

٢٦٩ ـــ بَابُ حُصُوْصٍ ، وخُصُوصٍ ، وحَضُوْضٍ[(١)]

أَمّا الأَوّلُ : ـــ بِضَمِّ الْحاءِ وَبِصادَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ ـــ : مَدِيْنَةٌ عِنْدَ الْمَصِّيْصَةِ يُقَالُ لَهَا الْحُصُوْصُ ، فِي شَرْقِيِّ جَيْحَانَ ، بَنَاهَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِالْمَلِكِ ، وَخَنْدَقَ عَلَيْهَا[(٢)].

وأَمّا الثّانِي : ـــ أَوّلُهُ خاءٌ مُعْجَمَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ الأولِ ـــ : مَوْضِعٌ عِنْدَ الْـحِيْرَةِ[(٣)].

= الْمَدِيْنَةِ يَشْتَمِلُ عَلَى حُصُونٍ ومَزَارِعَ ونَخْلٍ كَثِيرٍ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ الْمَدِيْنَةِ أَيّامٌ ، وحُمّاهَا مُتَنَاذَرَةٌ ، قَالَ الأَخْنَسُ بْنُ شِهَابٍ :

كَمَا اعْتَادَ مَحْمُوماً بِخَيْبَرَ صَالِبُ

الصَّقْعُ : النّاحِيَةُ . الأَعْرَاضُ : الْجَوَانِبُ والنَّوَاحِي ، مُتَنَاذَرَةٌ : أَيْ يُنْذَرُ بِهَا بِمَعْنَى يُخَوِّفُ ويُحَذِّرُ لِشِدَّتِهَا . والصَّالِبُ مِنَ الْحُمّى : الْحَارَّةُ ـــ بِخِلَافِ النّافِضَةِ .

والأَخْنَسُ شاعِرٌ جاهِلِيٌّ مِنْ تَغْلِبَ ، والشّاهِدُ مِنْ قَصِيْدَةٍ فِي « الْمُفَضَّلِيّاتِ » هِيَ الـ (٤١) وصَدْرُهُ :

ظَلِلْتُ بِهَا أُعْرَى وأُشْعَرُ سُخْنَةً ... كَمَا اعْتَادَ مَحْمُوماً بِخَيْبَرَ صَالِبُ

وخيبر مِنْطَقَةٌ وَاسِعَةٌ تُحِيطُ بِهَا الْحِرَارُ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي ، ذَاتُ قُرَىً وأَوْدِيَةٍ ونَخْلٍ كَثِيرٍ ، أَوْفَيْتُ الْكَلَامَ عَنْهَا فِي كِتَابِ « فِي شمالِ غَرْبِ الجزيرة » .

(٣) خَبِيْرٌ : قَالَ نَصْرٌ : وأَمّا بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وباءٍ مُوَحَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ ، ثُمّ يَاءٍ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَرَاءٍ ـــ : مِنَ الْمَوَاضِعِ الْحِجَازِيَّةِ . انتهى . وَفِي « مُعْجَم البلدان » : حَبِيْرٌ ـــ بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكَسْرِ وياءٍ سَاكِنَةٍ وَرَاءٍ ـــ : قَالَ أَبو مَنْصُور : الْحَبِيْرُ مِنَ السَّحَابِ مَايُرَى فِيهِ مِنَ التَّنْمِيرِ ، مِنْ كَثْرَةِ الْمَاءِ ، قَالَ : والْحَبِيْرُ مِنْ زَبَدِ اللُّغَامِ إِذا صَارَ عَلَى رأسِ الْبَعِيرِ قال : وهو تَصْحِيْفٌ والصَّوَابُ الْخَبِيرُ ـــ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ـــ فِي زَبَدِ اللُّغَامِ .

قالَ : وأَمّا الْحَبِيْرُ بِمَعْنَى السَّحَابِ فَلا أَعْرِفُهُ ، فإِنْ كَانَ مِنْ قول الْهُذَلِيِّ :

تَغَذَّمْنَ جانِبَيْهِ الْحَبِيْرِ ... لَمّا وَهَى مُزْنُهُ فاسْتُبِيحَا

فَهُوَ بِالْخَاءِ ايضاً . والْحَبِيْرُ مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ . قَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبّاسِ اللَّهَبِي :

سَقَى بِمَنَ الْمَوَائِلِ مِنْ حَبِيْرٍ ... بَوَاكِرُ مِنْ رَوَاعِدَ سَارِيَاتِ

ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَهَا هُنَا السَّحَاب مايرى . انتهى وأبومنصور هو الازهري ، وكلامه في كتاب « التهذيب » ٥/٣٥ وبه يتضح غموض تحديد هذا الموضع وعَلَى فَرْضِ صِحَّةِ الْكَلِمَةِ فما أَوْسَعَ الحجاز وأكثر مواضعه !!

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : بَابُ الْحَصُوصِ وَالْخُصُوصِ وَحَضُوضٍ .

(٢) هُوَ نَصُّ تَعْرِيفِ نَصْرٍ ، سِوَى كَلِمَة : (يُقَالُ لَهَا الْحُصُوْصُ) الَّتِي يَتِمُّ التَّعْرِيْفُ بِدُوْنِهَا . وَلَمْ يَأْتِ يَاقُوتُ بِزِيادَةٍ عَلَى تَعْرِيفِ نَصْرٍ ، ولِكِنَّهُ قَالَ عَنِ الْمَصِّيْصَةِ : مَدِيْنَةٌ عَلَى شَاطِئِ جَيْحَانَ ، مِنْ ثُغُورِ الشّامِ ، بَيْنَ أَنْطاكِيَةَ وبِلادِ الرُّوْمِ ، تُقارِبُ طَرَسُوس ـــ وأَطَالَ عَنْهَا ـــ فَهِيَ الآنَ فِي بِلَادِ التُّرْكِ ، وهُنَاكَ الْمَصِّيْصَةُ أَيْضاً مِنْ قُرَى دِمَشْقَ ، ذَكَرَها ياقُوتُ أَيْضاً . وهِشَامٌ هو الْخَلِيفَةُ الأُمَوِيُّ الْمَعْرُوف .

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ : وَبِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ : مَوْضِعٌ بِالْقُرْبِ مِنَ الْحِيْرَةِ ، وفِي « مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ » : الْحُصُوصُ ـــ بِضَمِّ أَوّلِهِ وصَادَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ ـــ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْكُوفَةِ ، تُنْسَبُ إِلَيْهِ الدِّنَانُ فَيُقَالُ دَنٌّ حَصِيٌّ ، وهُوَ مِمّا غُيِّرَ فِي النَّسَبِ ، وكَذَا رَوَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ والْحَازِمِي بِضَمِّ أَوّلِهِ كَأَنَّهُ جَمْعُ الْحَصِيصِ . والْحُصُوصُ ـــ بِالضَّمِّ أَيْضاً ـــ : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ صَعِيْدِ مِصْرَ شَرْقِيَّ النِّيلِ ، كُلُّ مَنْ فِيهَا نَصَارَى . وقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : =

وأمَّا الثَّالِثُ : ـ أوَّلُهُ حاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَبِضَادَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ ـ : جَزِيْرَةٌ فِي الْبَحْرِ[٤].

= اجْتَمَعَتْ قَسْرٌ عَلَى عُرَيْنَةَ فأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وذَالِكَ في الإسْلَامِ فقالَ عَوْفُ بنُ مالِكِ بْنِ ذُبْيَان وَبَلَغَهُ أَمْرُهُمْ :

أَتَـانِيَ ـ وَلَمْ أعْلَمْ بِـهِ حِـيْنَ جَـاءَنِيْ ـ   حَـدِيْثٌ بِصَحْـرَاءِ الْخُضُـوْضِ عَجِيْـبُ
تَـضَـامَمْتُـهُ لَـمَّـا أَتَـانِيْ يَـقِيْـنُـهُ   وَأَفْـزَعَ مِـنْـهُ مُخْطِئٌ وَمُصِيْـبُ
وَحُـدِّثْتُ قَـوْمِي أَحْـدَثَ الـدَّهْـرُ بَيْنَهُمْ   وَعَـهْـدُهُـمُ بِـالـنَّـائِبَـاتِ قَـرِيْـبُ
فَقِيْـرُهُـمُ مُـبْـدِي الْغِـنَى وغَنِيُّـهُـمْ   لَـهُ وَرَقٌ لِـلسَّـائِلِيْنَ رَطِيْـبُ
وَحُـدِّثْـتُ قَـوْمـاً يَفْـرَحُـوْنَ بِهُلْكِهِـمْ   سَيَـأْتِيْـهِـمُ م الْـمُـنْـدِيَـاتِ نَصِـيْـبُ

هكذا رَوَاهُ ابن الكَلْبِيُّ في «أوراق العرب» (؟) وَفي «الحَمَاسَةِ» أنَّه لِجَزْءِ بْنِ ضِرَارٍ ـ أخِي الشَّمَّاخِ ـ وقال :

حَدِيْثٌ بِأَعْلَى الْقُنَّتَيْنِ عَجِيْبُ

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

أَبْـلِـغْ خَـلِيْـلِيْ عَـبْـدَ هِـنْـدٍ فَـلَا   زِلْـتَ قَـرِيْـبـاً مِـنْ سَـوَادِ الْخُضُـوْضْ

أَنْتَهَى كَلَامُ يَاقُوت ، وكِتَابُ ابْنِ الكَلْبِيِّ الْمَعْرُوْفِ « افتراقُ الْعَرَبِ » فَلَعَلَّ ماتَقَدَّمَ تَصْحِيْفٌ مع تكرره في مطبوعة « المعجم » كما في (حضن) والخَبَرُ والشِّعْرُ في « معجم ما اسْتَعْجَمَ » ـ ٦٠ ـ سِوَى الْبَيْتِ الأوَّل مَعَ اخْتِلَافٍ في بَعْضِ الأبْيَاتِ ـ ورِوَايَةُ صَاحِبِ « الحماسة » ـ ص ٢٠١ تحقيق الدكتور عبدالله عُسَيْلان ـ : وَقَالَ جَزْءُ بْنُ ضِرَارٍ ـ وَهُوَ أخو الشَّمَّاخِ بْنِ ضِرَارٍ :

أَتَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِيْنَ جَاءَنِي   حديث ـ الخ ـ

ولكِنْ شَارِحَ « الحماسة » الأنْبَارِيُّ ذَكَرَ أنَّ قائِلَهَا عوفُ بْنَ مَالِكِ بْنَ ذُبْيَانَ الْقَسْرِيُّ ـ وَذَكَر السَّبَبَ كَمَا تَقَدَّمَ ـ وبَيْتُ عَدِيٍّ في « ديوانه » ـ ٦٨ ـ .

(٤) حَضَوضٍ • عِنْدَ نَصْرٍ : وأمَّا بِفَتْحِ الحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَضَادَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ ـ : جَزِيْرَةٌ في الْبَحْرِ . كَذَا قَالَ مَعَ أنَّ في مَخْطُوطَةِ كِتَابِهِ فَوْقَ الضَّادِ الأولَى ضَمَّةٌ والأخِيْرَةَ مُفْرَدَةٌ لَا حَرَكَةَ فَوْقَهَا ، فَهَلْ كانَ مُلْحَقٌ بها أَلِفٌ مَقْصُورَةٌ ؟! (حَضَوْضَى) هَذَا ما يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ ياقُوتٍ : حَضَوْضَى ـ بِفَتْحِ أوَّلِهِ والضَّادَيْنِ وسُكُونِ الْوَاوِ ، مَقْصُورٌ مِثْلُ قَرَوْرَى ـ : جَبَلٌ بِالْغَرْب (؟) كَانَتِ الْعَرَبُ في الجاهِلِيَّةِ تَنْفِي إلَيْهِ خُلَعَاءَهَا . وَقَالَ الْحَازِمِيُّ : حَضَوضٌ ـ بِغَيْرِ أَلِفٍ ـ جَزِيْرَةٌ في الْبَحْرِ . ثُمَّ أضَافَ يَاقُوتُ : الحَضُوضُ ـ بِغَيْرِ أَلِفٍ ـ نَهْرٌ كَانَ بَيْنَ الْحِيْرَةِ والقَادِسِيَّةِ . انتهى . وذكر ابن جرير في تاريخه ـ ٣/٤٩٢ : أن سعد بن أبي وقاص كتب إلى عمر رضي الله عنهما بِوَصْفِ البلد الذي بين المسلمين وبين المدائن : أنَّ القادسية بين الخندق والعتيق ، وأنَّ ما عَنْ يسار القادسية بحر أخضر في جَوْفِ لَاحٍ إلى الحِيْرَة بطريقين : فاما أحدهما فعلى الظهر ، وأما الآخرُ فعلى شاطئِ نهرٍ يدعى الحَضُوض ، يطلع بِمَنْ سلكه إلى بين الخَوَرْنَقِ والحيرة ، وما عن يمين القادسية إلى الوَلَجَةِ فَيْضٌ من فيوض مياههم . انتهى . وتَقَدَّمَ اسْمُ مَوْضِعٍ قُرْبَ الحِيْرَةَ (خُضُوض) فَهَلْ مِنْ صِلَةٍ بَيْنَ الاسْمَيْنِ ؟! . أمَّا مَكَانُ الْمَنْفَى فَقَدْ وَرَدَ في « القاموس » وشرحه « تاج العَرُوس » ـ رسم حضض ـ : وحَضَوْضَى ـ كَشَرَوْرَى ـ ويُقَالُ حَضُوضٌ ـ مِثْلُ صَبُورٍ ـ جَبَلٌ في الْبَحْرِ أوْ جَزِيْرَةٌ فِيْهِ ، كَانَتِ الْعَرَبُ تنفي إليه خُلَعَاءَهَا ـ كَمَا في « الْعُبَاب » و « التَّكْمِلَة » . انتهى . إذًا =

٢٧٠ ــ بَابُ حِصْنٍ ، وَحضَنٍ[1]

أمَّا الأوَّلُ : ــ بِكَسْرِ الْحَاءِ بَعْدَهَا صَادٌ مُهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ ــ : ثَنِيَّةٌ بِمَكَّةَ ، بيْنَها وَبَيْنَ دَارِ يزِيْدَ بْنِ مَنْصُورٍ فَضَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْمُفَجَّرُ .

وَأَيْضاً فِي مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ[2].

وأَمَّا الثَّاني : ــ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ــ : جَبَلٌ ضَخْمٌ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ ،

= صَحُّ الاِسْتِدْلاَلُ بالأَسْمَاءِ فَقَدْ كَانَ فِي بَحْرِ الْقُلْزُمِ (الْبَحْرِ الأَحْمَرِ) جَزِيْرَةٌ فِيْهَا جَبَلٌ كَانَتْ تُعْرَفُ بِاسْمِ حَضَوْضَا ، بَلْ هُمَا جَزِيْرَتَانِ مُتَجَاوِرَتَانِ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابنُ أَنَسٍ العُذْرِيُّ فِي الكَلاَمِ عَلَى جُزرِ ذَالِكَ البَحْرِ وَمَرَافِئِهِ لِلْمُتَّجِهِ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ جَزِيْرَةِ (ابْنَةِ سَحْرٍ) الْوَاقِعَةِ فِيْهَا بَيْنَ يَنْبُعَ وَأُمِّ لُجٍّ ــ جَزِيْرَتَيْ حَضَوْضَا ، تَمُرُّ السُّفُنُ بَيْنَهُمَا إِلَى مَدِيْنَةِ الْحَوْرَاءِ . وَمَوْقِعُ الْحَوْرَاءِ لاَتَزَالُ آثَارُهُ بَارِزَةً شَمَالَ أُمِّ لُجٍّ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهَا ، وَتُدْعَى تِلْكَ الْجَزِيْرَةُ حَسَّان، وَرَدَ اسْمُهَا فِي بَعْضِ كُتُبِ الرِّحْلاَتِ (جَبَل حَسَّان) ـ انظر هذا الجزء ص ٤٥٣ و(قسم شمال المملكة) مِنَ «المعجم الجغرافي للبلادِ العربية السُّعُودِيَّةِ» أَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ ذَالِكَ الْجَبَلَ الَّذِي تُنْفِي إِلَيْهِ الْعَرَبُ خُلَعَاءَهَا فَانْ كَانَ الْمَقْصُودُ مَغْرِبَ بِلاَدِهِمْ ، فَبَحْرُ الْقُلْزُمِ يَقَعُ مَغْرِبَهَا ، وإِنْ قُصِدَ مَغْرِبٌ آخرُ فَمَا كَانَ سُلْطَانُ الْعَرَبِ يَمْتَدُّ إِلَى بِلاَدٍ خَارِجَةٍ عَنْ بِلاَدِهِم ، لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ النَّفْيِ إِلَيْهَا . واسْمُ حَضَوْضَى يُطْلَقُ عَلَى عَدَدٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ فِي بِلاَدِنَا تَحَدَّثْتُ عَنْهَا فِي «قسم شمال المملكة» مِنَ «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

وحَضَوضَى التي بقرب (أُمِّ لُجٍّ) يظهر أنها هي المنفى ، فقد ذكر المتقدمون من المؤرخين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غَرَّبَ أبا مِحْجَنٍ الثَّقَفِيَّ إلى جزيرة في البحر يقال لها (حَضَوضَى) ولكنه هرب ولحق بسعد وهو يحارب الفرس ، وأبو مُحْجَنٍ هذا كان بطلاً شجاعاً شاعراً مطبوعاً ، ولكنه كان منهمكاً في الشُّرْبِ ، فجلده عمر مراراً ، ومن شعره لما هرب على ما أورد ابن شبة في « أخبار المدينة » ٢/٧٦٢ وصاحب « الأغاني » ١٨/٢٨٩ ط الثقافة بيروت :

أَبْلِغْ لَـدَيْـكَ أَبَـا حَـفْصٍ مُـغَلْغَلَةً ... عَبْـدَ الإلـهِ إِذَا مَـاغَـارَ أَوْ جَلَسَـا
الحَـمْـدُ لله نَـجَّـانِي وَسَـلَّـمَـنِي ... مِنَ ابْنِ جَهْـرَاءَ وَالْبُـوصِيُّ قَـد حُبِسَا
مَنْ يَـرْكَبِ الْبَحْـرَ وَالْبُـوصِيُّ صَاحِبُـهُ ... إِلَى حَضَـوضَى فَبِئْسَ الصَّـاحِبُ الْتَمَسَـا

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : (بَابُ الْحُضْرِ والْخُصْرِ والحِصْنِ وحَضْرٍ وحَضَنٍ) .

(٢) لَيْسَ فِيْهِ زِيَادَةٌ عَلَى تَعْرِيفِ نَصْرٍ . وَنَقَلَ يَاقُوتُ التَّعْرِيْفَ مَنْسُوباً إِلَى الْحَازِمِيِّ ، وأَطَالَ فِي ذِكْرِ الْحُصُونِ ، أمَّا دَارُ يَزِيْدَ بن مَنْصُور فَيُفْهَمُ من كلاَم الأزْرَقي في « أخبار مكة » ج ٢ ص ٢٧٦ ــ أنَّها في أعْلى مكة ، وأنَّ المفجر ما بَيْنَ الثَّنِيَّةِ الخضْرَاءِ إلى خلف دار يزيد بن منصور التي تفضي إلى مَأْزِمَيْ مِنىً ، وفي المفجر بطحاء قريش التي كانوا يتنزهون بها ، وهي الأقحوانة ، وليس المفجر المعروف في منى الآن ، وليزيد دارٌ أخرى في جهة السويقة ، ذكرها الأزرقي ــ ج ٢/٢٨٤/٢٩٥ .

ويزِيْدُ بنُ مَنْصُورٍ هُوَ الْحِمْيَرِيُّ خالُ الْخَلِيْفَةِ الْمَهْدِيِّ ، ومن أمَراء الدَّوْلَة العباسيَّة . كانَ أميرَ الْبَصْرةِ لِلْمَنْصُور سَنَةَ ١٥٢ وأميرَ الْحَجِّ سنة ١٥٩ وأميرَ الْيَمَنِ سنة ١٦٠ ، ثم سَوَاد الكُوفة سنة ١٦١ وتولىَّ ابنهُ مَنْصُور إمارة اليمن سنة ١٦٤ ــ انظر تاريخ خليفة بن خيّاط ــ .

بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِهَامَةَ مَرْحَلَةٌ ، تَبِيضُ فِيهِ النُّسُورُ ، لاَ تُؤْنَسُ قُلَّتُهُ ، سَاكِنُهُ بَنُو جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ ، يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : (أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حَضَناً) وَلَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ(٣).

---

(٣) حَضَنٌ ؛ قَالَ نَصْرٌ : ــ وأَمَّا بفتح الحَاءِ الْمُهْمَلَةِ والضَّادِ الْمُعْجَمَة وآخِرُهُ نُونٌ ــ : مِنْ جِبَالِ سَلْمَى ، وأَيْضاً : جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى السِّيِّ إِلَى جانِبِ دِيَارِ سُلَيْم ، وَهُوَ أَشْهَرُ ، وَيُقَالُ : أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حَضَناً ــ أَيْ شَارَفَ نَجْداً ــ وقِيلَ : جَبَلٌ ضَخْمٌ بِنَجْدٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ تِهَامَةَ مَرْحَلَةٌ ، تَبِيضُ فِيهِ النُّسُورُ ، لاَ تُؤْنَسُ قُلَّتُهُ ، سَاكِنُهُ بَنُو جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ وهُمْ أَعْجَازُ هَوَازِنَ . انتهى وقَوْلُهُ : هُو أَشْهَرُ أَيْ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي عَدَّهُ مِنْ جِبَالِ سَلْمَى وَهُوَ مُتَصِلٌ بِجَبَلِ أَجَإٍ ومُنْفَصِلٌ عَنْ سَلْمَى ويُدْعى الحَضَنَ ــ بالتَّعْرِيفِ ولاَيزالُ مَعْرُوفاً أَوْضَحْتُ مَوْقِعَهُ في (قسم شمال المملكة) مِنَ « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وفي نَجْرَانَ الحَضَنُ معروفٌ نَاحِيَةٌ هُنَاكَ ، وفي بِلاَدِ بَاهِلَةَ (عِرْض القويعية) ولكنَّهُ لا يعرف الآن وأَشْهَرُها كُلها الجَبَلُ الْمُشْرِفُ على صَحْراءِ رُكْبَة (السِّيِّ) مِنْ شَرْقِيِّها ، ويُشَاهَدُ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنْ سِلْسِلَةِ جِبَالِ الْحِجَازِ في الأَرْضِ الْبَرَاحِ ، والمَسَافَةُ بَيْنَهُ وبَيْنَ تِهَامَةَ تزيد على ثلاثِ مَرَاحِلَ (نحو ٣٠٠ كيل) وَشُهْرَةُ هذا الجَبَلِ تُغْنِي عَنِ الإِطَالَةِ بِإِيرادِ كَلاَمِ المتقدمِينَ عَنْه ، إِنَّه لَيْسَ جَبَلاً بِالْمَعْنَى المَفْهُومِ ، ولكِنَّهُ حَرَّةٌ سَوْدَاءُ واسِعَةٌ ذات شِعَابٍ كَثِيرةٍ ، قَدْ تَكُونُ قَدِيماً امْتِدَادُ لِحَرَّةِ كُشُبِ الْوَاقِعَةِ شَمَالَها ، وهَذِهِ طَرَفٌ شَرْقِيٌّ ــ أَوْ امْتِدَاد لِلسِّلْسِلَةِ الْبُرْكَانِيَّةِ الْمُمْتَدَّةِ بِامْتِدادِ سِلْسِلَةِ جِبَالِ الحِجَازِ من جَنُوبِ مَنْهَلِ عُشَيْرَةَ حَتَّى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَة ، وَيَتَوَسَّطُ بَيْنَ حَرَّةِ كُشُبٍ وبَيْنَ حَرَّةِ حَضَنٍ وبَيْنَ الْحَرَّةِ الغَرْبِيَّة ، الْمَعْرُوفَةِ قَدِيماً بِحَرَّةِ بَنِي سُلَيْم ، وحَدِيثاً بِحَرَّةِ رُهَاطٍ ــ يَتَوَسَّطُ بَيْنَهَا سَهْلٌ وَاسِعٌ هُوَ سَهْلُ رُكْبَةَ [يَقَعُ حَضَنٌ بَيْنَ خَطَّي الْعَرْضِ : ١٥/٢١° و١٥/٢٢° وبَيْنَ خَطَّي الطُّوْلِ : ١٥/٤١° و٤٥/٤١°] .

وَمَدْلُولُ الْمَثَلِ أَنَّ مَنْ رَأَى حَضَناً وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ سِلْسِلَةِ جِبَالِ الْحِجَازِ فَقَدْ بَلَغَ بِلاَدَ نَجْدٍ ، إِذْ لاَ يُرَى إِلاَّ بَعْدِ الْخُرُوجِ إلى الأَرْضِ الْبَرَاحِ الَّتِي هِيَ سُهُولُ رُكْبَةَ (السِّيِّ) وَمَا اتَّصَلَ بِهَا .

وَمِنْ زِيَادَاتِ نَصْرٍ :

(١) الْحَضْرُ : قَالَ عنه : أَمَّا بِفَتْحِ الْحَاءِ وسُكُونِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ــ : مَدِينَةٌ بَيْنَ دِجْلَةَ والْفُرَاتِ ، كانَتْ مَثَلاً فِي الْحَصَانَةِ وَالامْتِنَاعِ ، نَازَلَهَا سَابُورُ ذُو الأَكْتَافِ فَأَعْيَتْهُ الْحِيَلُ ، فَدَسَّ إِلَى ابْنَةِ رَئِيسِهَا مَنْ أَفْسَدَهَا وأَطْمَعَهَا حَتَّى فتح . انتهى . وأَطَالَ يَاقُوتُ الْكَلاَمَ عَلَيْها . وقَدْ أَجْرَى عُلَمَاءُ الآثَارِ بُحُوثاً مُسْتَفِيضَةً وتَنْقِيباً وَاسِعاً عَنْ آثَارِهَا ، وأُلِّفَتِ الدِّرَاسَات الْمُفِيدَةُ عَنْهَا فِي عَصْرِنَا .

(٢) الْخُصْرُ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ وَصَادٍ مُهْمَلَةٍ ــ : جَبَلٌ خَلْفَ شَابَةَ ، وَهُمَا بَيْنَ السُّلَيْلَة والرَّبَذَة . لَمْ يَضْبُطِ الإِسْمَ ، وَوَقَعَ فِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِهِ فَوْقَ الْخَاءِ ضَمَّةٌ والصَّادِ سُكُونٌ . ولكِنَّ يَاقُوتاً قَالَ : خَصْرٌ ــ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وتَسْكِينِ ثَانِيهِ وَآخِرُهُ رَاءُ ــ : وأَوْرد نصَّ كَلامِ نَصْرٍ ، وأَضَاف : وَيُرْوَى : الْحَضْرُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ والضَّادِ الْمُعْجَمَةِ قَالَ عَامِرُ الْخُنَاعِيُّ :

أَلَمْ تَسْلُ عَنْ لَيْلَى وَقَدْ نَفِدَ الْعُمْرُ وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهَا الْمَوَازِجُ والْحَضْرُ

وأَعَادَ يَاقُوتُ الْبَيْتَ فِي الْمَوَازِجِ ، واكْتَفَى بِالْقَوْلِ : الْمَوَازِجُ مَوْضِعٌ . امَّا الْبَكْرِيُّ فِي « مُعجم ما استعجم » فَذَكَرَ انَّ الْحَضْرَ حِصْنٌ مَعْرُوفٌ بِتَيْمَاءَ ، والْمَوَازِجَ مِنْ دِيَارِ هُذَيْلٍ . وَهِيَ مُتَصِلَةٌ بِنَوَاحِي الْمَدِينَةِ ، وهُنَاكَ كَانَ تَبَدَّى جَرِيرٌ ــ والله أعلم ــ يَعْنِي جَرِيرَ بن عَبْدِالله الْبَجَلِيَ ، مَعَ أَنَّهُ أَوْرَدَ بَيْتَ الْبُرَيْقِ الْهُذَلِيِّ ــ عامِرِ الْخُنَاعي ــ وقَالَ عَنْهُ : وَقَدْ هاجَرَ أَهله إلى مِصْرَ . وَمَا أَرَى البكريَّ ــ رَحِمَهُ الله ــ إِلاَّ خلَطَ فِي تَحْدِيدِ الْمَوْضِعَيْنِ ، فَهُذَيل بِلاَدُهَا بِنَوَاحِي مكَّة ــ لاَ الْمَدِينَةِ ــ والْحَضْرُ الْحِصْنُ فِي العراق ــ لاَ تَيْمَاء ــ ←

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

حول كتاب «جمهرة الأنساب»:

أنساب أسَر من عَنَزَة

اطلعت على الطبعة الثانية من «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» وأورد أن أبدي ملاحظاتي حول ماورد عن بعض الأسر العَنَزِيَّة، مع إضافة مَنْ ثبت عندي انهم من عَنَزَة، ولم يرد لهم ذكر في ذالك الكتاب النفيس، وأرجو قبول هذا التوضيح .

١ ـ جاء في ص ١٤ : الابراهيم في حرمة وسدير من المدلج من بني وهب من الحسنة .

والأصح تقديم الاسم الأصغر على الأكبر فهم من المدلج من الحسنة من المنابهة من بني وهب .

← فَحِصْنُهَا الأَبْلَقُ ، وَبِلَاد جَرِيرِ البَجَلِيِّ بِيْشَةُ وَنَوَاحِيها ـ كَمَا وصَفَهَا لِلرَّسُولِ ﷺ ـ عَلَى مَافِي الخَبَرِ الَّذِي أَوْرَدَهُ البكريُّ فِي رَسْمِ بِيْشَةَ ، وَتَوَهَّمَهَا فِي بَادِيَةِ السَّمَاوَةِ .

وفي «شَرْحِ أشْعَارِ الهذليين» ـ ٧٤٨ ـ : وقال البُرَيْقُ أيضاً ، ورواها الأصمعيُّ لِعامر بن سَدُوس :

أَلَمْ تَسْلُ عَنْ لَيْلَى وَقَدْ ذَهَبَ الدَّهْرُ وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهَا المَوَازِجُ والحَضَرُ

كُلُّها مواضع . وروى أبو عمر : المَوَاجِنُ والحَضَرُ .

وَقَدْ هَاجَنِي مِنْهَا بَوَعْسَاءِ قَرْوَعٍ وَأَجْمَادِ ذِي اللَّهْبَاءِ مَنْزِلَةٌ قَفْرُ

ويروى : بِوَعْسَاءِ قَرْمَدٍ فَاذْ نَابِ ذِي . . . ، وهذه كلها مواضع ، انتهى . ويُفْهَمُ مِنْ هذا أنَّ المَوَاضِعَ مُتَقَارِبَةٌ ، وأَنَّهَا فِي بِلَادِ هُذَيْلٍ .

(٣) حَضَرُ : قَالَ نَصْرٌ : ـ وأَمَّا بِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ والضَّادِ المُعْجَمَةِ وَرَاءٍ ـ : فَفِي الشِّعْرِ ، وأَرَاهُ أَرَادُوا بِهِ حُضُوراً وحَضْرَمَوْتَ وكِلَاهُمَا يَمَانٍ . انتهى . وَفِي «مُعجم البلدان» : حَضَرُ ـ بِالتَّحْرِيكِ ـ : مَوْضِعٌ فِي شِعْرِ الأَعْشَى ، أَعْشَى بَاهِلَةَ ـ :

وَأَقْبَلَ الخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثَ مُصْغِيَةً أَوْ ضَمَّ أَعْيُنَهَا رَغْوَانُ أَوْ حَضَرُ

ـ وبَعْدَهُ الحَضْرُ بِإِسْكَانِ الضَّادِ ـ وَمَا تَتَّضِحُ لِيَ إِسْتِقَامَةُ كَلَامِ نَصْرٍ لَاسِيَّمَا والأَعْشَى قَرَنَ المَوْضِعَ بِرَغْوَانَ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ لَا يَزَالُ مَعْرُوفاً فِيهِ مَرْكَزٌ حُكُومِيٌّ من قرى مِنْطَقَةِ الحُمْضَةِ فِي نَوَاحِي تَثْلِيثَ ـ انظر «العرب» س ٢٢ ص ٨٠٧/٨١٧ ـ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ المَوْضِعُ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي ، مَعَ التَّثَبُّتِ مِنْ صِحَّةِ الإِسْمِ .

وفي ص ٢٠ : الإدريس نفس الملاحظة تقديم الحسنة على وهب لكون الحسنة الفخذ الأصغر وينبغي إضافة المنابهة لكون وهب يجمع ثلاث قبائل ولها فروع وهي ولد علي ، والمنابهة ، والشراعبة .

٢ ـ وفي ص ٢٢ : آل رباع من بني وائل من عنزة .

وينبغي أن يوضح انهم من الحسني من الدغيم من السلقا من العمارات من عنزة .

٣ ـ ص ٢٩ : الباحوث في بريدة من الدهامشة من العمارات من وايل .

والأصح : من المفوز من السلامة من العيد من الزبنة من العلي من الدهامشة من العمارات من عنزة .

٤ ـ ص ٣٧ : البدر في المجمعة والتويم والزلفي والكويت من الجلاس من عنزة .

والأصح : البدر من البدور من الأشاجعة من المحلف من الجلاس من عنزة .

٥ ـ ص ٣٩ : البراك في الشقة .

ينبغي ربط نسبهم بآل رباع من الهواملة من الحسني من الدغيم من السلقا . . . الخ .

٦ ـ ص ٤١ : البركة من الحوشان من وائل .

لا يكفي اسم وائل بل يجب عند ذكر أي فرع من فروع الحوشان يجب أن يوضع الحوشان من الصقور من الجبل من العمارات من عنزة .

٧ ـ ص ٤٩ : البعاما : كما أشرنا عند ذكر الاسر التي ترجع لرباع تنسب بالتسلسل لقصد الاستدلال على نسبها الحقيقي وكذالك البكور ص ٥١ .

٨ ـ أما البلالا في ص ٥٢ : فقد ذكرتم انهم من الجلعود من الصقور .

وفي هذا خطأ أولاً أن الجلعود ليسوا من الصقور بل إنهم من الدهامشة ،

وثانياً أن البلالا من الابلا من الجميشات من الدهامشة وليسوا من الجلعود .

٩ ـ ص ٥٧ : البيدا من الفراج من الحمادا من آل أبوربا ع من الحسنة .

والصحيح انهم من الحسني بالياء وليسوا من الحسنه بالهاء .

١٠ ـ ص ٧٩ : الثابت في المجمعة من العسكر من عنزة .

والملاحظة يجب عند ذكر العسكر أو أحد فروعهم القول بأنهم من البدور من الأشاجعة من المحلف من الجلاس .

١١ ـ ص ١٠٠ : الجطيل . سبقت الملاحظة عن المدلج .

١٢ ـ ص ١٠٤ : الجلعود الجلاعيد ذكرتم انهم من الجلاعيد من السويلمات .

ونظراً لما تكرر من الأخطاء في نسب الجلاعيد أحياناً إلى الصقور وأحياناً إلى السويلمات أود أن أوضح تفرع الدهامشة للوصول إلى معرفة نسب آل جلعود ليكون دليلاً لدفع تكرار الخطأ مع انني سبق أن اشرت إلى بعض هذه الأخطاء في مجلة « العرب » س ١٧ ص ٩٥٣ ومابعدها ، وأيضاً س ١٨ ص ١٢٩ ومابعدها .

وهنا أوضح ان دهمش أنجب ثلاثة : ١ ـ علي الكبير ، ٢ ـ سويلم جد السويلمات ، ٣ ـ سلطان جد السلاطين .

وأنجب علي اثنين : ١ ـ جلعود ، ٢ ـ حمدان .

ومن جلعود حضيري ، ومن حمدان علي غريب الدار .

وقد أنجب حضيري جلعود الثاني ولايح وعمار .

ومن جلعود فخذ الجلعود من الجلاعيد ومن لايح فخذ اللوايحه ، من الجلاعيد .

ومن عمار فخذ العماير من الجلاعيد .

والجلاعيد المشار إليهم هم من أحفاد جلعود بن حضيري بن جلعود بن علي الدهمشي وليسوا من السويلمات ، ولا من الصقور ، انتهى .

١٣ ـ ص ١١٢ : الجميلات عندنا انهم كان يطلق عليهم اسم (روس الجمال) وهم فرع من المرعي من العبيات من البجايدة من السلقا .

١٤ ـ ص ١٢٤ : النويطات لا يعرف هذا الفخذ الآن من بني وهب ، فلعله العطيفات وليس النويطات .

١٥ ـ ص ١٢٥ : تكررت الحسنة عند الحجيلان بالشقة والأصح الحسني ، فالحسنة أولاد حسين من المنابهة من وهب ، والحسني أولاد حسن من السلقا يلاحظ الفرق .

١٦ ـ ص ١٣٠ : تكررت عند ذكر الحزاما تقديم وهب على الحسنة .

١٧ ـ ص ١٣٧ : الحسنة ليسوا من ولد علي بل هم وولد علي في وهب .

١٨ ـ ص ١٣٨ : الحسني والحسنة : الواقع حسب ما كتبنا سابقاً في « العرب » س ١٧ صفحة ٢٩٠ ومابعدها وهو الفرق بين الحسنة والحسني .

١٩ ـ ص ١٥٠ و ١٥١ : حول الحقيل فعندنا انهم من البسسات من الحبلان من الجبل من العمارات ، وليسوا من الرولة .

٢٠ ـ ص ١٥٨ : الحمادا فقد ذكروا هكذا من الحسني (الحسنة) من الرباع من السلقا من الجبل من العمارات من بشر من عنزة ، والخطأ يكمن في وجود الحسنة وفي نسبة السلقا من الجبل أما الصحيح فهم من آل رباع من الهواملة من الدغيم من السلقا من العمارات من بشر من عنزة ، والجبل فهو يضم الحبلان والصقور فقط ولا يضم السلقا ، انتهى .

٢١ ـ ص ١٥٩ : العقيل الذين جدهم سليم .

عندنا انهم من الصقور وقد مشى جدهم سليم مع آل رباع والجميع من العمارات بدليل أن وسم الرباع معروف وهم يسمون اسم الرباع المشقلب

(للـ) ورباع الجد الجامع لهم فكلمة رباع عندنا اسم جدهم ، فيقال وسم رباع مثل قولة خميس مشيط نسبة إلى مشيط أحد مشايخ قبيلة شهران أما العقيل أبناء سليم فإن وسمهم الحلق (○○○) وهذا وسم الصقور كما أن الشيخ عبدالرحمن العقيل رحمه الله أكد لي أنه من الصقور ، انتهى .

٢٢ ــ ص ١٦٣ : الهزازنة .

يجب ذكر البدور من الأشاجعة من المحلف ثم من الجلاس .

٢٣ ــ ص ١٦٧ : الحمود في المجمعة من العسكر من البدور من بشر من عنزة .

وهم من الجلاس من ضنا مسلم وليسوا من بشر .

٢٤ ــ ص ١٧١ : تكررت نسبة الجلاعيد من السويلمات وقد أوضحنا عنهم كما سبق ذالك .

٢٥ ــ ص ١٨١ : الحوشان كما أسلفنا .

٢٦ ــ ص ٢١١ : الخليفة حكام البحرين عندنا انهم من الرباع من الحسني .

٢٧ ــ ص ٢١٤ : الخنيزان عندنا أنهم هم الحتايت حسب قول سمعته دون تأكيد .

٢٨ ــ ص ٢٦٠ : الراشد تكرر نسب الجلعود من الصقور والصحيح مانوهنا عنه .

٢٩ ــ ص ٢٦٧ : تحذف كلمة الحسنة من آل أبورباع .

٣٠ ــ ص ٣٣١ : السحيم يضاف إليهم من السحيم من المحمد من الجمعة من الحبلان من الجبل من العمارات .

٣١ ــ ص ٣٥٠ : السعوي جاء عندهم اسم السابح وليس هذا الاسم فهناك السباح من الفرجة من الرولة وهناك أيضاً السبابيح من الزبنة من الدهامشة والمقصود بكلمة السابح هم السبابيح والمرجح أنهم من الرباع وما أردناه ليس ترجيح هذا أو ذاك بل هو تعديل الاسم المقصود من السابح .

٣٢ ـ ص ٤٤١ : تكرر نسبة الجلاعيد إلى السويلمات وسبق التنويه .

٣٣ ـ ص ٤٤٣ : تحذف كلمة الحسنة ويكتفى بالحسني عند الصقر .

٣٤ ـ ص ٤٦٦ : الطعيسان من الحسني وليس من الحسنة .

٣٥ ـ ص ٤٧١ : الطيايرة يضاف انهم من المشادقة من ضنا مفرج من ولد علي من وهب من عنزة .

٣٦ ـ ص ٤٩٤ : العباد من البدر من الجلاس .

معروف ان بين الجلاس وبين بدر عدة أسماء يجب ان تذكر فآل بدر من البدور من الجماش من الأشاجعة من المحلف من الجلاس .

٣٧ ـ ص ٤٩٨ : العبدالعزيز تكراراً لخطأ الجلاعيد من السويلمات وهم ليسوا من السويلمات ، سبق التنويه وكذالك العبدالله في صفحة ٥٠٣ ليس من السويلمات وكذالك العلي من الجلاعيد صفحة ٥٦٧ تكررت نسبة الجلاعيد من السويلمات وهذا خطأ والصحيح كما ذكرنا .

٣٨ ـ ص ٦١٣ : الغبين يضاف انهم من العربيد من الغبين من الجديع من ضنا كحيل من ضنا ماجد من الفدعان من ضنا عُبيد من بشر من عنزة .

٣٩ ـ ص ٦٤١ : الفراج من عيال مطلق من الغافل من السعيدان من العيد من الغبين ثم بقية ماذكر .

٤٠ ـ ص ٦٥٨ : الفهيد نفس الخطأ الواقع بالجلاعيد .

٤١ ـ ص ٧٤٧ : المرزوق في الأسياح .

عندنا أنهم من الغشوم من الحبلان من الجبل من العمارات .

٤٢ ـ ص ٧٦١ : المسند بخب الشماس عندنا انهم من العدينان من الجعيثن من الجمعة من الحبلان . .

هذه الملاحظات تشمل الطبعة الجديدة من « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » ولدينا معرفة الكثير من الأسر التي لم تذكر في هذا الكتاب النفيس مع أنها

معروفة فإذا رغب شيخنا ان نرسل له مالدينا فسوف نوافيه بذالك بكل ترحاب .

والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

الرياض : عبدالله بن عبار العنزي

[العرب] : شكراً للأخ الكريم عبدالله على إيضاحه لما ظهر له من أخطاء في الطبعة الجديدة من الكتاب ، وأرجو أن أتلقى من القراء المزيد حول بيان ماوقع في الكتاب من نقص أو خطإ ، وأن يبعث الأخ ابن عَبَّارٍ مالديه عن الأسر التي لم يرد لها ذكر . وله الشكر الجمُّ على اهتمامه بهذه المباحث .

هذيل .. وفروعها

اطلعت على مجلة « العرب » ج ٣/٤ س ٢٣ رمضان/ شوال١٤٠٨هـ . ما كتبه الأستاذ الفاضل راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي ص ٢٧٣ حول قبيلة هذيل . ولقد رأيت من الأخ راشد التمادي في اتهامي بالخلط والتشويه وأنا لم أعمد إلى ذالك وهذا شيء خارج عن إرادتي بل ورد عن طريق الخطأ المطبعي .

ولعله استعرض بعض المواقف التي دارت بيني وبين الأخ محمد بن علي الحتيرشي حول (كبكب والكباكبة) فهو يقول : إن هناك قبيلة بهذا الاسم . وأنا أقول لا توجد . بل قبائل متحالفة يسمون أنفسهم بأهل كبكب . وكما ذكرت فهم متحالفون من قحطان وعدنان وقد فصلت في عدد سابق ذالك .

ولم أتحدث عن أناس أموات ، بل هم أحياء . نقلاً عنهم . وقد استدل الأخ الحتيريشي بما كتبه الجزيري بأن الشريف الحسن استنفر هذيلاً والكباكبة وبني عدوان وبني صاهلة وبني جابر وبني ريشة وبني لحيان وهذا غير كاف للاستدلال على اسم الكباكبة .

وقد قرأت في مقال الأخ راشد (ص ١٨٩) من الجزء المذكور (قبيلة هذيل وأصولها القديمة) منقولاً عن « معجم ما استعجم » ، و« نهاية الأرب » و « ديوان الهذليين » بشرح السكري .

ولو تتبعت هذه الأصول لم تجد منها إلا العدد القليل المعروف . ولو قارنت بين

فروع الهذليين قديماً ومانشره حمد الجاسر عن فروع الهذليين في كتابه « معجم قبائل المملكة » لوجدت اختلافاً بين القديم والحديث .

فمثلاً : السبعان أصلهم من خزاعة ، دخلوا في أعداد الهذليين ، وتحدثنا عنهم سابقاً . وذكر أبو علي الهجري منازلهم بنعمان وأنهم من خزاعة وأحياؤهم يقولون ذالك .

وبنو جابر هم من ذرية عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . وإسقاط هذيل كما ذكرت خطأ مطبعي .

أما عن اسم قرد فليس من أبناء معاوية ، ولكن يقال : إن جدهم قتل قرداً ولقب به . أيضاً لا ننسى أن العرب لا يسمون بهذه الأسماء .

ومعاوية بن تميم بن سعد بن هذيل هم يقولون بأنفسهم : نحن بنو عمرو بن معاوية .

وآل مناع هم من ذرية منيعة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل وهم يقولون هذا . ورأيت أنك قلت منعة بن سعد بن هذيل . . لا أدري عن المصادر التي نقلت عنها هذا الاسم . بينما ورد في كتاب « أيام العرب » ومن آل مناع أنفسهم يقولون : نحن أبناء (منيعة) بالياء بعد النون . وتأكيداً لذالك فلديهم مواقع من الأرض تسمى بهذا الاسم .

وعن الطلحات كما ورد عنهم أنفسهم أنهم من ذرية طلحة الخير طلحة الطلحات ، وهذا الرجل نسبه من قبيلة خزاعة . انظر « جمهرة أنساب العرب » نسب خزاعة . علماً بأن الطلحات هم من أكثر سكان المناطق المجاورة للطائف وهم في عداد الهذليين حتى الآن .

أما ذكرك عن الطلحيين في كتاب « أخبار مكة » للأزرقي فلم يؤكد بأنهم هذليُّون بل قال: الطلحيين وحلفاء بني لؤي من قريش .

والناس أمناء على أنسابهم . وماداموا هم يقولون أنهم من طلحة الخير طلحة الطلحات فهم خزاعيون لا محالة .

وبنو عدوان وبنو جابر والكباكبة ذكرهم الجزيري في استنفار الشريف الحسن بن محمد أبي نمي الثاني عام ٩٦٠هـ . وهذه القبائل كما هي معروفة ليست من هذيل إلا ماذكرناه عن أهل كبكب .

وعدوان من بقايا قيس عيلان وبنو جابر هم من بقايا الأنصار ولقد أجلاهم الشريف الحسن بن عجلان في ٧٠٠ هـ . عن هدى الشام (المدة) فقسم منهم دخلوا في عداد الهذليين وسكنوا رهجان والخشعة والقسم الآخر في عداد حرب .

وختاماً أرجو من خلال هذه الملاحظات أن أكون قد توصلت إلى بعض الحقائق المفيدة (وفوق كل ذي علم عليم) .

محمد بن جابر الحسني

مكة المكرمة: مدرسة الكر الابتدائية والمتوسطة

عشائر وأسر خثعمية نزحت من بلادها

نتيجة لشظف العيش ، وبفعل الحروب والتموجُ القبلي الذي كان سمة من سمات الحياة في الصحراء عامة قبل أن يُقَيِّضَ الله لهذه البلاد الملك الموحد ــ رحمه الله تعالى ــ نزح كثير من بطون خثعم وأفخاذها في العصور الماضية ومن هاؤلاء النازحين :

١ ــ آل عفالق :

ولا أعلم عن سيرة هاؤلاء إلا ماسطر في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » . . والظاهر أن نزوحهم قديم جداً .

٢ ــ الدَّمَاسِين :

قوم الشغَّار ، وهاؤلاء من بني هِزْر ، وكانت منازلهم في أسفل وادي تَبالة ولازالت معروفة ، وقد جلوا منها فحلوا في منطقة الدوادمي مع (الرُّوقَةِ) في عُتيبة ، ويقال : إنَّ لنزوح الدَّماسِين أسباب وقصة أعرضت هنا عن ذكرها بسبب طولها .

والمعروف أنَّ رحيل الدماسين من نواحي بيشة حديث لا يتجاوز مئتيْ سنة حسب ما تناقله أبناء قبيلة أكلب .

٣ ــ السُّلَسَة :

مع (الرُّوَقَة) من عُتَيْبَة وهم في الأصل نَزَحُوا من بلدة الْجُنَيْنَةِ مع الدماسين حينما نزحوا ، ودخلوا في (روق) أيضاً ، ولازال منهم فَخِذٌ كبير في الْجُنَيْنة مع قبيلة بني سعد ــ من أكلب هو فخذ السُّلَسَةِ .

٤ ــ الجنبة :

نَزَحَ هاؤلاء من قرية النقيع في بيشة وحلُّوا في تُرَبَةَ مع قبيلة الْبُقُومَ وهم من قبيلة الْجُنَبَةَ المعروفة في بني عامر من أكلب ، نُزُوحُ هاؤلاء حديث جدًّا فهو في السنوات التي سبقت معارك التَّوحيد .

٥ ــ الرُّوَسَةُ :

وهمْ من فخذ الرُّوسة المعروف الآن في بلدة الْجُنَيْنَةِ ، من بني سَعْدٍ ، من أكلب ، جلوا من تلك البلدة فَحلُّوا في بلدة اليمامة في منطقة الْخَرْج واستقروا فيها حتَّى الآن .

٦ ــ الـدِّرْعُ :

رحل هاؤلاء من تَبالة قُبيل قيام الدولة السعودية الحديثة بسنوات ، وأستقروا في الخرج وفي الرياض ، ومنهم أسرة استوطنت في الكويت ، وهاؤلاء لازالوا يقومون بزيارات لأقاربهم في تبالة وهم من المهارى الفصيلة المتفرعة من فخذ اللوامية من بني هِزْر ، من أكلب .

٧ ــ أهل الجُمَّيْزَةِ بمكة :

هاؤلاء هم أتباع عمدة الجميزة الشيخ سعود بن حسين الأكلبي ولقد انتقل هاؤلاء من بيشة إلى مكة على أثر حرب حَدَثَتْ بين أكلب وشهران .

٨ ـ الدُّوْشَانُ :

أمراءُ قبيلة مُطَير يقال أنهم من ناهس من شهران والله أعلم .

٩ ـ بنو شعبة :

ومسكن هاؤلاء في الدَّرْبِ على وادي (عِتْود) في المخلاف السليماني وهم من أكلب ، وقد أنتقلوا من بيشة إلى (الدَّرْبِ) في عهد متقدم ، قال العلامة الشيخ عبدالرحمن بن أحمد البهكلي المتوفى سنة (١٢٤٨هـ) : كان مسكنهم فيها قبل بلاد شهران وبيشة . وقال : وهم يزعمون أنهم من تغلب ــ وأضاف ــ : وفهمت من بعض رؤسائهم أنهم من أكلب[١] . انتهى .

ومما يزكي القول أن بني شُعبة من أكلب ماقاله الشيخ عبدالله بن مضفّ العطيان شيخ شمل قبائل أكلب إذ قال لي : أنه سار إلى الجنوب مع القوات النَّجدية في أيام معارك التَّوحيد ، وفي أثناء مروره بـ (الدرب) انضم إليه مع من معه من رجاله خمسةُ وستون من بني شعبة وقالوا له : نحن منكم وتحدثوا له عن روابط النسب بين أكلب وبني شُعبة .

وقول بنو شعبة : إنهم من تغلب لا يناقض قولهم إنهم من أكلب فالمعروف أن أكلباً تُعرف بتغلب أيضاً ، وتفتخر بتغلب وأكلب وتغلب كلاهما من ربيعة النزارية عند ابن الكلبي الإمام في علم النسب ، ومن نحا نحوه ، ومنذ القدم وشعراء أكلب يذكرون تَغْلِباً في قصائدهم وينسبون إليه قال رجل من أكلب[٢] :

فَإلاَّ يَكُنْ عَمَّايَ حَلْفاً ونَاهِساً   فإنِّي امْرُؤٌ عَمَّايَ بَكْرٌ وتَغْلِبُ

واستمر الشعراء من أكلب يفاخرون بتغلب حتى هذا العهد ، قال علي بن محمد الهزري أحد شعراء أكلب النبطيين قبل نصف قرن :

حنَّا بَني (تغلب) خْمى هِذبَ الأغْرَاسْ   عَـدُوّنَا نَجْعَـلْ فُـوادِه رعِيْبِ
نبْني مَنَازِلْنَا علَى رُوْسَ الأطْعَاسْ   ولاَ نِخِشّ بْيُـوتْـنَـا بَـالـزّرِيْبِ
وِذْلاَلْنَا فِنْجالْهَا يِقْعدَ الرَّاسْ   وْلاَ نْسَمّجْهَـا بْـكِـثْرَ السِّـرِيْـبِ
ويَامَا رَكَبْنَا مِنْ عَلَى هِجْنِ وافْراس   ويَامَا لَطَمْنَا مِنْ عُيُونَ الْحَرِيْبِ

وقال سعيد بن ثنيان الأكلبيّ :

أَنا مِنْ بِني تَغْلب وهو من قبائل عبس   وَيَا بُعْدَ مابَيْني وَبَيْنه قُطِعْ حَبْهْ

وقال آخر من شَهران يمدح أكلب :

بني تَغْلُبٍ ، من ذمهم عَيَّتَ ٱلْملاَ   وِشْيُوخْ نَجْدٍ والَّذِي في شْرُوْقْهَا
بَنِي تَغْلُبٍ كَمْ أغْرَقُوا مِنْ طْلاَبَهْ   إلاَّ طَلاَبِيْنَا خَذَيْنَا حْقُوقْهَا

والأبيات من قصيدة طويلة أسندها سالم الشهراني إلى محسن المدافع الأكلبي في عهد ماقبل الاستقرار ، كذالك قال الكثير من شعراء أكلب والقبائل المجاورة فأطلقوا اسم تغلب على (أكلب) بل بلغ بهم الأمر في بعض الأحيان إلى أن أطلقوا اسم (كليب بن تغلب على (أكلب) وماذالك إلا لوجود صلة نسب بين أكلب وهاؤلاء وشهرة كليب وتغلب ، وهذا شاعر من بني سَلُول ، يدعى فَرْوَان يوجِّهُ قصيدة إلى الفارس الشاعر محسن المدافع الأكلبي فيقول :

يقول فَرْوَانٍ بْعَينٍ مَرِيْضَهْ   بْمِثْلَ الرَّمَدْ نَوْمَ ٱلْملاَ مَا تْلاَيْمَهْ
خَلِّهْ وَلاَيَارَاكِبٍ عَيْدَهِيَّهْ   أَوْ عَيْدَهِيٌّ دَارِبٍ في خَدَايْمَهْ
يَسْرَح مِنَ (الْجِحْفَ الْهَلاَلِي) مْغَبِّشْ   وإِنْ (مِلْحَةَ السَّرَّاحْ) بَأَوَّلْ جَهَايْمِهْ
يسرح مع (ذي خَشَا) باوَّل الضَّحى   وْيَلْقَى فَرِيْقٍ نَازِلِيْنْ عَدَايْمَهْ
يَلْقَى فَرِيْقٍ مِنْ (كليب بن تَغْلب)   مايَذْبَحُون إلاَّ مَنْ الْجَلب غَايْمَهْ
تُحَطّ للَضَّيْفَان مَاهِي بْجِزْيَهْ   قصِيْرَهُمْ مِنْهَا كْبَارٍ ضَغَايْمَهْ
ثُمَّ خُصّ لِي وِلْدَ ٱلمدافِع محسن   شَيْخٍ تَرَى كَسْب الثَّنَا مِنْ وَهَايْمَهْ

الجبيل : عبدالله بن هادي الأكلبي

[الحواشي] :

(١) « نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود » ــ ١٩٨ ــ طبع (دارة الملك عبدالعزيز) وانظر عن بني شعبة « العرب » س ٨٩٢/٨ وس ٦٩/٩ .

(٢) « معجم ما استعجم » ص ٨٣ « الروض الأنف » ج ١ ص ٦٦ .

الشرارات وفروعها

كتب الأخ سالم بن حمدان الشراري من طَبَرْجَل في وادي السرحان يشير إلى ماوقع في كتاب « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة من الأخطاء المتعلقة بنسب قبيلته الشرارات وملخص ماكتب : ان مؤلف الكتاب ذكر أن فروع الشرارات ثلاثة : الحلسة والفليحان والعزام ، وقال : ولم يذكر الفرع الرابع (الضباعين) . وأضاف : ان الضباعين هم بنو ضبع وهم من البطون العريقة في القدم من الأسبع من كلب بن وبرة من قضاعة من القبائل القحطانية ذكر ذالك ابن دريد في « الاشتقاق » وورد ذكرهم في « جمهرة النسب » لابن حزم .

ثم قال : والسرحان سرحانان احدهما سرحان طيء والثاني سرحان كلب وهو أخو ضبع والضباعين مازالوا على ذالك الاسم ومنهم في العزازمة في بئر السبع على ماذكر عارف العارف في كتابه « بئر السبع وقبائلها » . هذا ملخص ماكتب به الأخ سالم بن حمدان الشراري .

أنساب الرشاطي

تحدثت « العرب » في مواضع عن كتاب « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواد الآثار » لعبدالله بن علي الرشاطي الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٢ ، ولعل مما يسر القراء مانشر في نشرة « أخبار التراث العربي » ـ ج ٤ ع ٣٧ ص ٢٨ ـ التي يصدرها معهد المخطوطات العربية في الكويت من أن رئيس قسم التاريخ الإسلامي في جامعة غرناطة في اسبانيا الدكتور اميليو مولينا لوبث قام بتحقيقه ونسبت النشرة إلى صالح بن محمد السنيدي في جامعة غرناطة القول بأن الكتاب على وشك الصدور .

حول كتاب « الجمهرة » :

تصحيح .. واضافات ..

سرني خروج كتابكم الثمين « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » في طبعته الثانية وعندما اطلعت عليها وجدتها طبعة منقحة حيث تلافيتم ذكر بعض

الأسر ، واستدركتم بعض الأمور الهامة .

وقد ظهرت لي بعض الملاحظات وهي :

١ ــ في ص ٢٦ : (الأنصار : من الأوس من الخزرج من الأزد من قحطان) ولكن الأوس ليسوا من الخزرج .

في ص ٣٨ : (آل براك من الجدعة من بني عامر من سُبَيْع) والصواب (القدعة) لا (الـجُدعة) .

٣ ــ في ص ٤٠٨ : (آل شديد : من القريشات من السهول ، والقرشة المعروف أنهم من بني خالد) .

نعم القرشة من بني خالد ولكنهم غير القريشات الذين هم من الزكور من سُبيع ، ودخلت طائفة منهم مع السهول في حلف يضم كثيراً من سُبيع مثل : الظهران والمَحْلَف والزقاعين والقبابنة وآل مرصوع وآل منجل وغيرهم .

٤ ــ يرد في الكتاب كثيراً أنَّ آل كثير من الفضول وعلى سبيل المثال فقط :

ص ٤٠ : (آل برخيل : من آل كثير من الفضول من بني لأم من طيء) .

ويرد أيضاً أن آل مغيرة من الفضول وعلى سبيل المثال فقط :

ص ١٠٠ : (آل جسَّاس : من آل مُغيرة من الفضول من لأم من طيء) .

ولكن لا علاقة لآل كثير وآل مغيرة بالفضول إلا انهم يجتمعون في بني لأم فقط .

لأن بني لأم الآن ثلاثة أفخاذ هي :

١ ــ آل مغيرة . ٢ ــ آل كثير . ٣ ــ آلفضول .

٥ ــ وقد كنت كتبت إليكم مقالاً مطبوعاً بعنوان : (أنساب الأسر السبيعية في الحريق ونعام والحلوة وحوطة بني تميم) ولكن ظهرت بعض الأخطاء المطبعية عندما نقلتموه إلى كتابكم وهي :

١ ــ (آل وطبان ص ٨٦٤ في الحريق والرياض من النبطة من سبيع)

والصحيح انها آل وطيان بالياء وليس بالباء كما كتبتم .

٢ ــ (آل مسعر) ٧٥٩ في الحلوة وهم بنو محمد بن زيد بن حمد بن حمد بن عيسى ، ولكن الصحيح (آل مسرع) من السرعة وكررتم اسم حمد مرتين والصحيح أنه مرة واحدة .

٣ ــ آل خثلان : ص ١٩٧ وهم آل زيد (منهم البرازات وآل حمد) وآل سليمان منهم (آل عبدالله وآل مهنا) . وآل علي بن محمد . . . الخ .

والصواب (سلمان) بدلاً من (سليمان) وعلي بن حمد بدلاً من علي بن محمد .

٦ ــ ص ٤٢١ : الشميسات : في الحريق والخرج والأحساء (قال الدكتور الدبل في كتابه عن (الحريق) :

(القويزاني في سبيع من الشميسات ، منهم آل رشود في الحريق ومنهم الشيخ عيسى بن رشود . . . الخ ومنهم القبابنة في ضرما وبرك وستارة وحراضة والغيل . . .) .

ولكن لا يوجد في الحريق الآن أسرة تعرف بآل رشود ، بل انما جاء الشيخ عيسى بن رشود القباني الشميسي السبيعي إلى الحريق ليعمل في القضاء والفتيا بالإضافة إلى أن كلام الدبل مضطرب قد يسبب اللبس والحيرة للقارئ .

والصواب في نظري أن تصاغ العبارة على هذا النحو :

الشميسات : في الحريق والخرج والأحساء من الزكور من سبيع .

ومن الشميسات : القبابنة في ضرما وبرك وستارة وحراضة والغيل .

ومن القبابنة : الشيخ عيسى بن رشود وهو أحد العلماء الذين خدموا في القضاء والفتيا في بلدان كثيرة .

ومن القبابنة : آل قويزاني في الحريق .

٧ ــ وفي ص ٨٩١ ــ وبعد حديثكم عن الحريق وبرك ونعام : (فيظهر أن بني عقيل حلت هذه البلاد ، انتزعتها من سكانها الأقدمين بني هِزَّان منذ عهد

بعيد ـ ثم استعادها الهزانيون من القواودة من سُبيع ، وسُبَيْع من بني عامر الذين منهم بنو عُقَيْل ، وقد يكون القواودة منهم ، نسبوا إلى سُبَيْعٍ بعد اشتهار هذا الفرع ، وخمول ذكر بني عُقَيل عند ضعفهم .

وقد أشار الهمداني إلى أن من سكان نعام : آل راشد . ومن الهزازنة فرع يعرف بـ (آل راشد) فقد رأيت ورقة . . . . في تلك الورقة : الهزازنة : آل راشد بن رشيد بن مسعود الهزاني) .

ولكن ابن بشر وابن عيسى قالا : (وفي سنة أربعين وألف : استولى الهزازنة على نعام والحريق ، أخذوه من القواودة من سبيع[١] .

ويستفاد من هذا النص في ان الهزازنة طارئون على نَعام والْحَرِيق ، وان آل راشد الذين ذكرهم الهمداني (٢٨٠ ــ ٣٣٤) ليسوا آل راشد بن رشيد بن مسعود الهزاني ، لأن راشداً هذا هو الجد الخامس لمحمد بن حمد الهزاني المتوفى عام ١٣٩٨هـ كما ذكرتم ص ٨٩٢ .

وقد بحثت في كتب الجزيرة العربية فوجدت أن الجغرافيين يتفقون أن المجازة لبني هزان ، أما برك ونعام ، فإن بني هزان ليسوا سكانها الأقدمين كما ذكرتم .

قال الأصمعي : (١٢٢ ــ ٢١٦) : برك ونعام : ماءان وهما لبني عُقَيل ما خلا عُبادة قال الشاعر :

فما يخفى عليَّ طريق برك   وإن صعَّدت في وادي نعام[٢]

وقال الهمداني (٢٨٠ ــ ٣٣٤) : قال الجرمي : أجلةُ لجرم أسفل بُريك ، والمجازة لبني هزَّان ، قال : وأعلى بُريك لبني نفيع وهم من بني شيبان ولآل المغرب وآل أبي قرة . . . . ونعام : يعرف لآل راشد من بادية بني عبيد[٣] .

وقال الأصفهاني : برك ونعام : وهما لبني عقيل ماخلا عبادة[٤] .

وقال ياقوت الحموي (؟ ــ ٦٢٦) : برك ماءٌ لبني عقيل بنجد . . . . وبرك أيضاً لبني قشير بأرض اليمامة ، وقيل : هو لهزان (ولاحظ أن قيل صيغة تضعيف) . نعام وادٍ في اليمامة لبني هزان . ←

*** غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام:**

ولجامعة (أم القرى) جهد مشكور في إبراز تاريخ البلدة الطيبة مكة المكرمة ، وكان آخر ما أصدره (مركز إحياء التراث الإسلامي) في معهد البحوث العلمية في هذه الجامعة الجزء الثاني من كتاب « غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام » لعزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد (٨٥٠/ ٩٢٢) ، وقد تقدم الحديث عن الجزء الأول من هذا الكتاب ـ « العرب » ٤٣٢/٢١ ـ وهاهو الجزء الثاني قد صدر محققاً على غرار سابقه ، وقد قام بتحقيقه الأستاذ فهيم محمد شلتوت ، وحوى من التراجم إحدى وثلاثين ترجمة تبتدئ من ترجمة (الشريف أبي

← وقال نصر : برك ونعام : واديان وهما البِرْكَانِ أهلها هزان وجرم[٥] .

وأقدم هاؤلاء العلماء وأوثقهم هم الأصمعي وهو يقول : إن برك ونعام لبني عُقيل ، وهذا مما لا يجب تجاهله ، وأرى أن بني هِزان وبني قشير قدموا بعد حلول بني عُقَيْل بن كعب .

الرياض : عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

العرب : بنو هِزَّان أقدم قبيلة سكنت تلك الجهات ، ثم لما ضعفت في أزمان متأخرة شاركتها القبائل الأخرى واستولت على بعض بلادها ، وهذا مما لا يتسع المجال لتفصيله .

[الحـواشي] :

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٥١ .
(٢) معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٩٣ .
(٣) صفة جزيرة العرب ص ٣٠٦ .
(٤) بلاد العرب للأصفهاني ص ٤ .
(٥) معجم البلدان رسم (برك) و (نعام) .

نُمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة) الذي ولي إمرة مكة نحو خمسين سنة حتى توفي في سنة إحدى وسبع مئة ، وآخر المترجمين في هذا الجزء هو : أمير الحرمين الشريفين والحجاز قاطبة وحَلْي ابن يعقوب وجازان ، محمد بن بركات بن حسن ابن عجلان ، الذي تولى إمرة مكة سنة تسع وخمسين وثمان مئة إلى سنة ثلاث وتسع مئة ، فكان هذا الجزء وسابقه يحويان من تراجم أمراء مكة أربعاً بعد المئتين (٢٠٤) في خلال عشرة قرون .

وطباعة الجزء جيدة حروفاً وورقاً وتَتَبُّع مصادر ، وقد بلغت صفحاته ٦٣٦ وطبع في(شركة مكة للطباعة والنشر) وصدر هذا العام ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م) .

* الكُنَى والأسماء :

وللجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عناية مَشكورة بنشر مايتعلق بالحديث الشريف من مؤلفات توضح مختلف الجوانب التي تعين على ضبطه وتصحيحه ، ومن ذالك أَسْمَاءُ نَقَلَتِهِ من الرواة من الصحابة فمن دونهم ، ومَنْ أَوْلَى بهذا العمل من هذه الجامعة الكريمة ؟! وقد أكرمها الله بأن هيأ لعلمائها الاستقرار في بلدة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وكان مما نشره (المجلس العلمي) القائم بإحياء التراث الإسلامي في هذه الجامعة كتاب «الكنى والأسماء» للإمام مسلم بن الحجاج صاحب «الصحيح» وقد

تولى دراسته وتحقيقه الشيخ عبدالرحيم محمد أحمد القشقري ، فنال به شهادة العالمية (الماجستير) في الحديث وعلومه ، بإشراف الشيخ حماد بن محمد الأنصاري في عام ١٣٩٩ ، وقام المجلس العلمي بنشر هذا الكتاب فكان الحلقة الثامنة في سلسلة منشوراته ، ووقع في مجلدين بلغت صفحاتها ١٠٣٤ ، وقد ألحق بالكتاب فهارس مرتبة على حروف المعجم لما ورد في الكتاب من أسماء أعلام أو كُنَى .

وصدر الكتاب سنة ١٤٠٤ (١٩٨٤م) ولم يذكر اسم المطبعة .

* المقتنى في سرد الكُنَى :

وكانت الحلقة السادسة عشرة من منشورات (المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي) في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كتاب «المُقْتنى في سرد الكُنى» للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، قام بتحقيقه الشيخ صالح عبدالعزيز المراد ، صدره بمقدمة وافية عن موضوع الكتاب وعن طريقته في تحقيقه ، وألحق به فهارس تشمل الأحاديث النبوية والتراجم مع فهرس إجمالي .

ووقع الكتاب في جُزْءَيْن أولهما صفحاته ٤٤٨ والثاني ٤١٦ وصدر سنة ١٤٠٨ مطبوعاً بمطابع الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

* تاريخ اليمن الحديث :

هذا الجزء الكريم من وطننا عُنِي علماؤه منذ العصور القديمة بالاهتمام بتاريخه ، ولهذا فقد تسلسلت حلقات ذالك التاريخ من أول العهد الإسلامي إلى عصرنا .

ولعل من أبرز المعنيين بهذا المؤرخ الجليل الأستاذ القاضي محمد بن علي الأكوع الذي وَجَّهَ جُلَّ عنايته لتحقيق ماعثر عليه من مؤلفات نادرة ، ثم نشر تلك المؤلفات كالأجزاء التي عُرِفَت من كتاب «الإكليل» للهمداني و «صفة جزيرة العرب» و «شرح القصيدة الدامغة» و «المفيد» لعمارة الحكمي وغيره من المؤلفات .

وقبله قام المؤرخ اليمني المعروف السيد محمد بن محمد بن زبارة بجهد بارز في هذا السبيل وخاصة في فن التراجم ، حيث نشر ذيله على كتاب «البدر الطالع» واتبع ذالك بكتاب «نشر العرف في نبلاء اليمن بعد الألف» وتصدَّى أول

ماتصدى لتاريخ أئمة اليمن فأصدر كتابه الحافل الشامل في الموضوع في عدة أجزاء .

وممن اتجه هذه الوجهة في إبراز تاريخ اليمن الأستاذ الدكتور حسين بن عبدالله العَمْرِيُّ الذي قام بنشر «تاريخ صنعاء» وهو من أقدم المؤلفات في موضوعه ، ثم مازال يواصل عمله ويبذل جهده في هذا السبيل ، وكان من آخر ماتحف القراء به من مؤلفات :

*** مئة عام من تاريخ اليمن الحديث :**

تصدّى فيه لإيضاح ماقام به مؤرخو اليمن في الحقبة الواقعة من سنة ١١٦١ إلى ١٢٦٤ إذ هي حقبة خصبة الإنتاج في هذا المجال .

وقد صدر هذا الكتاب في مجلد صفحاته ٤١٨ في طبعته الثانية ١٤٠٨ (١٩٨٨م) .

*** المنار واليمن :**

ومما امتع الأستاذ الدكتور حسين بن عبدالله العمري به القراء كتابه «المنار واليمن» يحوي دراسة لمجلة «المنار» التي كان يصدرها في مصر العلامة الجليل الشيخ محمد رشيد رضا فيما بين عامي ١٣١٥ ـ ١٣٥٤ فقام الدكتور العَمْرِي بدراسة مانشر في هذه المجلة عن اليمن بصفة عامة واستخرج النصوص المتعلقة بذالك ، فيسر للباحثين الإستفادة من تلك المجلة الكثيرة الأجزاء التي ليس من السهل لكل قارئ أن يطلع عليها .

وقدم عن ذالك مجلداً بلغت صفحاته ٦٦٤ لا يستغنى عنه من يعنى بتاريخ ذالك القطر الكريم في تلك الحقبة من الزمن .

٢٨٥ - ٢٨٦

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف ٤٦٢١٢٢٣
ص. ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩، ١٠ س ٢٤ الربيعان ١٤١٠هـ ـ تشرين: ١، ٢ (أكتوبر/نوفمبر) ١٩٨٩م

عبد الله بن عَمْرو بن أبي صُبح المزني

[في الجلسة الثالثة المنعقدة في صباح يوم الاربعاء ٢٣ رجب ١٤٠٩هـ (١ آذار ١٩٨٩م) للدورة الخامسة والخمسين للمؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة ألقى الأستاذ الشيخ عبدالعزيز الرفاعي - عضو المجمع - بحثاً ممتعاً عن الشاعر عبدالله بن عَمْرو بن أبي صُبْحٍ المُزَني ، كان مثار الاعجاب والتعليق أثناء الاجتماع من المعنيين بالدراسات الأدبية ولعل من المناسب إيراد طرف من محضر تلك الجلسة حول ذالك البحث بعد إيراده كاملاً] :

١ ـ اخباره :

هذا شاعر من شعراء القرن الثاني الهجري ، قلما عُنِيَتْ به المصادر الأولى ، أو ترجمه المترجمون ، بالرغم مما يتميز به شعره من طلاوة ، حتى كتاب « الأغاني » الضخم ، الذي استقصى الكثير من الأخبار والأشعار ، لم يرد فيه ذكر هذا الشاعر ، أو أي خبر عنه ، مع أننا نجد أبا الفرج مؤلف الكتاب ، ينقل الكثير الكثير عن الزبير بن بكار - والزبير هو المصدر الأول لأشعار هذا الشاعر - ولكنه لا ينقل إلى « الأغاني » شيئاً من خبره ولا شعره .

والزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ = ٨٧٠م) ، يكاد يكون المصدرَ الوحيدَ الذي نقل إلينا طائفة من شعر هذا الشاعر ، في القسم الذي طبع من كتابه عن أنساب قريش . . أعني كتاب « جمهرة نسب قريش » الجزء الأول ، الذي حققه الأستاذ محمود محمد شاكر ، ولم يصدر بعد الجزء الأول شيء .

وحينما أقول (يكاد) فإنما أعني أنني عدا ما ذكرت لم أقف - حسب اطلاعي الضئيل - على شيء من شعره في كتاب مطبوع إلا في « التعليقات والنوادر » لأبي

علي هارون بن زكريا الهجري ، المتوفى حوالي سنة ٣٠٠هـ = ٩١٢م[١]، وَإِلاَّ قطعة واحدة من أربعة أبيات ، جاءت في كتاب « الورقة » ، نقلها صاحب « الفهرست »، وسيأتي الكلام عنها بعد قليل .

أما ماورد لدى كل من الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في « تاريخ بغداد » وابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، من شعر ، فهو ينتهي بروايته إلى الزبير بن بكار .

ولم أقف على من ترجم له ترجمة مستقلة من قُدَامى المؤرخين ، إلا النَّدِيمَ أو ابن النديم في « الفهرست » .

وقد دل على « الفهرست » الأستاذ محمود محمد شاكر في هامش ٦٧ و ٦٨ من كتاب « جمهرة نسب قريش » الجزء الأول ، في الفقرة (١١٩) .

وبالرجوع إلى « الفهرست » طبعة (رضا ـ تجدد) وجدته قد ترجم له في (فصحاء الأعراب) ، وجاءت ترجمته في ص (٥٥) وهذا نصها : (ابن أبي صُبْح ، عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المازني ، أعرابي بدوي ، نزل بغداد ، وبها مات . كان شاعراً فصيحاً ، أخذ عنه العلماء ، وله مع الفَقْعَسيِّ أخبار طريفة . قال دِعْبِلُ : حضر الفقعسي داراً فيها وليمة ، وحضرها ابن أبي صبح الأعرابي ، فازدحما على الباب ، فغلب ابن أبي صبح ، ودخل قبل محمد وقال :

ألا لَيْـت أَنْـكِ أُمَّ عَـمْـرٍو شَهِـدتُ مُقَـاوِمِي كَيْ تعـذُرِيْنِي
وَدَفْعِي مَـنْكِـبَ الأسـديِّ عَنِي عـلى عَجَـل بنَـاجِيَـة زَبُـونِ
بِمَنْـزِلَـةٍ كـأن الأُسْـد فِيـهـا رَمَـتْنِي بـالـحَـواجِـبِ والعُـيُـونِ
وَكُنتُ إذا سمِعْتُ بِحق خَصْمٍ مَنَعتُ الخصْمَ أن يَتَـقَـدَّمُـونِي

أما خصمه الفقعسي ، الذي زاحمه على باب الوليمة ، فقد ترجم له أيضاً صاحب « الفهرست » قبله مباشرة ، ويبدو أنهما يزدحمان حتى على باب « الفهرست » للترجمة ، ولكن الفقعسي كان هذه المرة هو الغالب ، فقد تقدمه في الترتيب ، وهذا نَصُّ ما أورده صاحب « الفهرست » أيضاً :

(الفقعسي ، واسمه محمد بن عبدالملك الأسدي ، راوية بني أسد ، وصاحب مآثرها وأخبارها ، وكان شاعراً ، أدرك المنصور ومَنْ بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد ، فمن شعره يمدح الفضل بن ربيع :

النَّـاسُ مُخْتَلِفُـون في أحـوالهم وابْنُ الرَّبيع عَلى طَرِيقٍ وَاحِـدِ

وله من الكتب المصنفة كتاب « مآثر بني أسد وأشعارها »[٢]).

ولكننا نجد ابن الجراح ، محمد بن داوود المتوفى سنة ٢٩٦هـ = ٩٠٩هـ ذكر ابن أبي صبح في كتابه « الورقة » ص ١٤ ، حينما ترجم لخصمه : محمد بن عبدالملك الفقعسي الأسدي ، سالف الذكر في ص ١٣ ، (ورُبَّ ضارَّةٍ نافعة) قال ما نصه : (قال ابن أبي خيثمة : قال دِعْبل : حضر محمد بن عبدالملك الفقعسي داراً فيها وليمة وحضرها ابن أبي صبيح الأعرابي ، وكان بدوياً نزل بغداد ، ومات بها ، وكان شاعراً مُجيداً ، فازدحما على باب الدار ، فغلب ابن أبي صبيح ، ودخل قبل محمد ، فقال ابن أبي صبيح : ـ ثم أورد الأبيات الأربعة التي سلف ذكرها ـ . .

ونحن نرى تشابه النصين عند ابن الجراح وابن النديم ، ماعدا بعض الاختلاف ، فرواية ابن الجراح تقول : إنه كان شاعراً مُجيداً ، ويقول ابن النديم : كان شاعراً فصيحاً . وهو عند ابن الجراح ابن أبي صُبَيْح ، بضم الصاد وبعدها باء فياء تصغير صُبْح ، ولكنه عند ابن النديم ابن أبي صَبح بصاد ثم باء فحاء ، وهو يقول في تعريفه (المازني) نسبة إلى (مازن) وابن الجراح لم ينسبه إلى قبيلة .

وابن الجراح كان أسبق وأقدم ، وقد نقل ابن النديم من كتابه « الورقة » الشيء الكثير . . وربما اعتمد عليه في نقل هذا النص مع شيء من التغيير . . وكلاهما ينقل الشعر عن (دِعْبل) ، وهو دِعبل بن علي بن رزين الخزاعي (١٤٨ ـ ٢٤٦هـ = ٧٦٥ ـ ٨٦٠م) الشاعر المعروف ، له كتاب « طبقات الشعراء »[٣]، وربما كان هو مصدر هذه النصوص .

ولكن لا يفوتنا ان ابن الجراح ، يقول في بداية نصه : (قال ابن أبي خيثمة) . . وابن أبي خيثمة هو أحمد بن زهير (١٨٥ ـ ٢٧٩هـ = ٨٠١ ـ ٨٩٢م)، وهو من أبرز تلامذة المصعب بن عبدالله بن مصعب الزُّبَيري ، صاحب كتاب « نسب قريش » ، وأحد كبار الرواة للأخبار والأشعار ، وعليه اعتمد ابن أخيه الزبير بن بكار ، في كتابه « نسب قريش » ، أو « جمهرة نسب قريش » . . وهذا يقودنا إلى السند الزبيري . . ولا يبعد أن يكون كتاب « جمهرة قريش » ، هو مرجع هؤلاء الذين نقلوا أخبار ابن أبي صبح أو على الأقل طرفاً من أخباره ـ بيد أنني لا أستطيع الجزم ما دام جزء كبير من هذا الكتاب لم ينشر بعد ، غير ما هو مفقود منه لم يعثر عليه حتى الآن .

على أنه وقد تطرق الحديث إلى كتاب « الفهرست » وما أورده من تعريف عن ابن أبي صبح ـ مهما كان ضئيلاً ـ فلا أود أن أتجاوزه دون أن أذكر أنه قال عنه في باب (الفن الثاني ـ من المقالة الرابعة ـ ص ١٨٧ ـ من طبعة تجدد : (ابن أبي صُبح مقلّ) ، وسواء أنقل هذا من كتاب « الورقة » لابن الجراح أم لم ينقله ، فهو يعطينا معلومة انتهى إليها علمه ، وهي أن هذا الشاعر مقل . . فهل كان مقلاً حَقًّا ؟ هذا ما أرجو أن أعود إليه بالحديث فيما بعد إن شاء الله .

المصدر الأقدم ـ إذنْ ـ الذي نجد فيه ذكر ابن أبي صُبح هو كتاب « جمهرة نسب قريش » ، ولكنه ليس المصدر الوحيد ، فهناك مصدر آخر هو كتاب « التعليقات والنوادر » لأبي علي هارون بن زكريا الهجري ، المتوفى نحو سنة ٣٠٠هـ = ٩١٢م ، أي أنه كان معاصراً لابن الجراح[٤].

وقبل أن أتعرض بالتفصيل ، لما جاء في هذين المصدرين . . أودُّ أن أقف قليلاً عند ما جاء من اختلاف في اسم الشاعر ونسبته . . فهل هو ابن أبي صُبح ؟ أو ابن أبي صُبَيْح كما جاء عند ابن الجراح ؟ وهل هو من مازن ؟ كما قال صاحب « الفهرست » وتابعه على ذلك الأستاذ (سزكين) في « تاريخ التراث العربي » ؟

أقول هو عند الزبير بن بكار في « جمهرته » وعند (الهجري) في « تعليقاته » وهما أسبق وأقدم (ابن أبي صُبح) أي بدون تصغير ، كما هو عندهما مُزَنِـيٌّ

لا مازني . . وبين النسبتين فرق ، كما هو معلوم . . وبعض كتب الأنساب تذكر اسم (عبدالله بن عمرو المُزني) في النسبة إلى مُزَيْنة . . كما هو عند السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ، ولا أستطيع أن أجزم أيقصد هذا الشاعر ، أو علما آخر . ؟ ذلك أن شاعرنا اشتهر بلقب (ابن أبي صبح) يلازم اسمه . . ومهما يكن الأمر فهو ليس مازنيًّا وقد يكون الخطأ في « الفهرست » تحريفاً من الناسخ .

وقد جاء في شعر هذا الشاعر ما يجزم بأنه من مُزَينة ، وهو قوله يمدح مصعب ابن عبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري :

إنّي لأحبس نَفْسي وهْي صَادية   عَنْ مُصْعب، ولقد بانَتْ لي الطُّرق
رَعْوى عليهِ كَما أرعى عَلى هَرِمٍ   قبلي زُهيرٌ وفينا ذَالك الخُلُقُ

وزُهير الذي يعنيه هو زهير بن أبي سُلمى ، وهو شاعر مُزني : بل هو يصرح بمزينة في قوله مادحاً مُصْعَبا :

لَسارت إليه مِدْحة مُزَنِيَّةٌ   يَلَذُّ بها في المُنْشِدين نَشِيد

ولا ينبغي أن يفوتني عندما أعزو معظم ما انتهى إلينا من شعره إلى رواية الزبير ابن بكار ، أن أذكر أن هذا يروي الكثير مما ورد في كتابه « جمهرة نسب قريش » عن عمه مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري ، وهذا كان صديقاً حميماً للشاعر ، وطالما امتدحه الشاعر ، وسيأتي من الشواهد ما يدل على ذالك ، على أنه مما يلفت النظر حقاً أن مصعباً لم يشر إطلاقاً إلى اسم صديقه الشاعر في كتابه « نسب قريش » ، وذالك لأن منهجه فيه كان إيرادَ الأنساب فحسب ، متجنباً الأخبار والأشعار ، وكأنما كان يدخرها لكتاب آخر ، أو كأنه ادخرها لابن أخيه ـ أعني الزبير بن بكار ـ الذي كان مولعاً بالاستطراد الأدبي ، فذكر أخباراً وأشعاراً كثيرة إلى جوار الأنساب ، وحسنا فعل ، فقد أصبح كتابه وثيقة تاريخية مهمة ، ومما يؤسف له أن لا يصدر منه إلا قسم واحد فحسب ، وأن يظل باقيه مطويًّا حتى الآن . .

وغني عن القول أنَّ بعض القدامى قد أكثروا منه النقول ، ومنهم على سبيل

المثال ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ ، في كتابه « تاريخ دمشق » .

قال صاحب « الفهرست » ص ١٨٧ : (إنه مقل) . أي في شعره ، ولكن النصوص التي رأيتها فيما نشر من « جمهرة نسب قريش » تدل على خصب انتاجه وشاعريته . . وهي جزء من شعره لا كله ، وربما كان في سائر الكتاب مما لم ينشر بعد ، أو فيما لم يصل إلينا من مخطوطته نصوص أخرى ، فإن الزبير بن بكار كان حَفيًّا به ، لصلته الوثيقة بآل الزبير ، فهو كثير المدح لهم ، والثناءِ عليهم ، وفيما وقفت عليه من نصوص « الجمهرة » ما يدل على أن الشاعر طرق باب الأرجوزة ، وإن لم يورد من أرجوزته إلا أبياتاً معدودة .

وفي محاولة لإسْتِقْرَاءِ شيء عن حياته وأسرته ، فيما اطلعت عليه من شعره ، وجدت بعض الإشارات التي نستطيع أن ندرك منها المعلومات التالية :

١ ــ أن له أبناء يفخر بهم ، كما يفخر بأجداده وأسرته أو عصبته :

أَبى الضَّيْمَ لي قَلب ذَكيٌّ وصارمٌ ... وأَنْف حَميٌّ قدْ أَبى الذُّلَّ والخَذْلا
وأَبْناء صدق مـاجِدون، وأُسـرَةٌ ... مَصاليتُ، كانُوا لا بِطَاءً وَلا نُكْلا[٥]

٢ ــ انه ذكر في شعره اسم (شميسة)، وهو في أَغلب الظن اسم زوجته ، وذلك في قصيدة كافِيَّة طويلة ، والشاهد في مطلعها :

قَالتْ (شُمَيْسَة)، إذ قامَتْ تُوَدِّعُني ... والدَّمْع يَجْري عَلى الخدَّيْن أَسْلاكَا
لاَيُلْهِيَنَّـكَ عَنَّـا، بَعْـدَ فُـرْقَتِنَـا ... بُعْدُ المَزَارِ، وإِنْ صَاحَبْتَ أَمْلاَكَا

وهو يُكَنِّيها بأُمِّ عَمْرٍو، إِذْ تردُ بعد البيتين تَتِمَّة الحِوار:

فقُلْت: لَو كُنت أَنْساكم يومًا نَسيتُكُم ... إذْ قال لِيْ مُصْعب: لَوْ شِئْتَ أَجْزاكَا
خَـطَّانِ في شِبْر قرْطاسٍ يـطيرُ بـه ... مِنَّـا جَرِيٌّ، وتَمْضي. فقلتُ: كـلاكا
لَابُـدَّ مِن نظْرةٍ أَشْفي بِهَـا كَمـدي ... مِنْ أُمِّ عَمْـرٍو، قَليلاً ثم أَلْقَـاكا[٦]

فعمرو على ما يبدو ابنه من (شُميسة)، ويؤيد ذالك أن مناقضه أبا مُدْرِكٍ ،

حَاتِم بن مُدرك السُّلمي[٧] قال يخاطبه وقد انعقد بينهما صُلْحٌ في مسجد رسول الله ﷺ :

دعَاني أبو عَمْرٍو إلى الله دعْوَةً   أصَاب بهَا ما في فُؤادِي ولا يَدْرِي
إلَى حَلَق مِنْ خَير منْ وطيءَ الحصَا   وَفي رَوْضَةٍ بَيْنَ الأسَاطِين والقَبْرِ
فَتُبنا وأشْهَدنا الزُّبير، وإن نَعُدْ   بِنَقْضٍ فَمَا منْ تَوْبَةٍ آخر الدَّهْرِ[٨]

فقد كنّاه الشاعر هنا .. بأبي عمرو ..

ونعلم من نَصّ آخر ورد في « جمهرة نسب قريش » ١/٢١١ ، أن له ابنا اسمه (عَديٌّ) ، وهذا هو النص :

(أنشدني عَدِيٌّ بنُ عبدالله بنِ عَمْرو بن أبي صُبح المزني لأبيه، يمدح مصعبَ ابن عبدالله بن مصعب ، حين أجمع المسير إلى اليمن ، لميعاده مصعبا أن يَطَّلِعَ أهْله ثم يأتيه بصنعاء فقال :

تقولُ ابنةُ الزَّيْديِّ: أصبَحْتَ وَافِداً   عَلَى مَلِكٍ أيَّ المُلوكِ تُرِيـدُ؟

ــ إلى آخر القصيدة ــ

أقول : ولعل المراد بابنة الزَّيْدِيِّ هنا هو (شُميسة)[٩].

ولا يُعين ماوقفتُ عليه من النصوص والأخبار على تعيين زمن مولده ، ولا موضع ميلاده ، ولا مَنَازِلِهِ ، ولا تاريخ وفاته ، ولكنها تفيدنا مما ذكره عن ممدوحيه الذين سنجد أسماءهم في النصوص التي سَأُوْرِدُهَا ـ إن شاء الله ـ ما يجعلنا نقول إنه من شعراءِ القرن الثاني من الهجرة ، وإنه كان يقصد الزبيريِّيْن بمدائحه في المدينة المنورة وصنعاء ، وإنه كان صديقاً حميماً لمصعب بن عبدالله بن مصعب ، وإنه لَحق به في صنعاء عندما ولّى هارونُ الرشيد أباه ـ عبدالله بن مصعب ـ إمارة اليمن ، حيث احتفى الأب والابن به ، ونزل ضيفاً في دار الإمارة ، وقد بلغ من حفاوة مصعب به أنه كاد أن يحمله معه إلى صنعاء ، لولا أن الشاعر استمهله ريثما يصل إلى أهله فيزورهم ويودعهم ، وذلك ما صرح به

في قصيدتَيْه : (قالتْ شُمَيْسَة) و (تقول ابنةُ الزيديِّ) . . وهذا يدل على أن أسرته لم تكن تقيم في المدينة ، وأن منازله تحتاج إلى عَدَّاءٍ أو جَرِيٍّ أو نَجَّابٍ :

إذ قال لي مصعب لوشئتَ أجزاك ، خطان في شِبْر قرطاس ، يطير به منا جَرِيٌّ ، ويمضي . . ؟ قلت : كلا . . لابُدَّ مِنْ نظرة أشفى بها كمدي ، من أم عمرو . .

وهو ـ فيما تدل عليه نصوصُه الشعرية ـ شديد الالتزام للزبيريِّيْنْ ، وليس لمصعب وأبيه فقط ، بل لغيرهم أيضاً ممن سترد أسماؤهم في أشعاره ، وهذا مُنَاقِضُهُ حاتِمُ بنُ مدركٍ يقول له :

وتُنــذِرُنـا آلُ الـزُّبَـيْرِ، كـأنَّنـا   طُلِبْنا بجُرْمٍ ، أو حَمَلْنَا لَهُم ذَحْلا

وهذه النصوص تدل على أن شاعرنا كان أعرابياً مُتَبَدِّيًا ، وأن دياره قريبة من المدينة المنورة ، يسهل على العَدَّاءِ أن يصل إليها على قدميه ، فهو إذن يسكن حوالي المدينة المنورة ، مما يدل على أنه من مُزَيْنَةَ .

وبالرغم من أن إحساساً يُخَامِرُني ـ مما رأيت من طلاقة الشاعر ، وانصرافِهِ للمديح ، خاصَّةً لمن عاش في كنفه من الزُّبيريِّيْنْ ، ودخوله أحياناً في بعض المعارك الشعرية ، وتَطَرُّقِهِ إلى شيء من الغزل ـ أن شعره كان كثيراً جدًّا ، ولكن لم يصل إلينا منه إلا هذا القدر المتداول .

أما وقد أوردتُّ ما وسعني الوقوف عليه من معلوماتٍ عن هذا الشاعر ، فقد حان أن أنتقل إلى الجزء الثاني من المقال ، وهو إيراد ما عثرتُ عليه من شعره في المصادر القليلة التي أُتيحَ لي الاطلاع عليها ، ولعل من الباحثين من يستطيع أن يضيف إليها نصوصاً جديدة ، خدمة لتراثنا الشعري والأدبي .

٢ ــ أشعاره :

البــاء

١ ــ قال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب الزبيري :

لَعمرُك إنَّ المنْتَمي بابْن مُصْعبٍ ... لَـمُعْتَدِلُ المجرَاةِ، جَزْلُ المَوَاهِبِ
وإنَّ امرَأً بينْ الزُّبَيْرِ إذ انْتُضِـيْ ... وبَيْنَ أبي بَكْرٍ لَمحضُ المضَارِبِ

البيتان في « جمهرة نسب قريش »، للزبير بن بكار ، الجزء الأول ، شرح الأستاذ محمود شاكر وتحقيقه ، ص ١٤٢ .

المعنى : أن من كان عبدالله بن مصعب أباه ، فهو على طريق مستقيمة ، أجزل الله له المواهب ، كيف وقد جاء من جَدَّيْن عظيمين هما الزبير بن العوام ، جدّه من جهة آبائهِ ، وأبو بكر الصدِّيق جدُّ عبدالله بن الزبير لأمه ، فهو ابن أسماء بنت أبي بكر ، ذاتِ النِّطَاقَيْنِ .

٢ ــ قال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري :

إذَا شئْتَ يومًا أنْ تَرَى وَجْه سَابِقٍ ... بَعيد المدَى فَانْظُرْ إلَى وَجْه مُصْعَبِ
تَـرَى وجْـه بَسَّـام أغَـرَّ كـأنَّمـا ... تفرَّجَ تاجُ المُلْكِ عَنْ ضَوْءِ كَوْكَبِ
فتًى هَمُّه أن يَشْتَرِي الحَمْدَ بالنَّدَى ... فَقَدْ ذَهَبَتْ أَخْبَارُهُ كُـلَّ مَذْهَبِ
مُفِيــدٌ ومِتْـلاَفٌ كَــأنَّ نَــوَالَــهُ ... عَلَيْنـا نِجَاءُ العـارِضِ المتَنَصِّبِ

المصدر : ٢١٣/١ من «جمهرة نسب قريش»، وقد جاءت الأبيات أيضاً في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ، المجلد السادس عشر من المخطوطة ص ٥٥٠ . وفيه البيت الأخير : (بحار) بدلاً من (نِجاءِ) . والنِّجاءُ : جمع نَجْوٍ ، وهو السحاب أولَ ما ينشأ ، والعارض : السحاب المطل يعترض الأفق ، كما جاءت الأبيات في ج ١١٣/١٣ من «تاريخ بغداد». وفيه في البيت الأخير، (المتصبب) بدلاً عن (المتنصب) .

١ ــ قال يمدح عبدَالله بن مُصْعب الزبيري ، وابنه أبا بكر :

أكرم بذي شَرفٍ ألْفَى مَكَارمَهُ فوقَ الثريَّا فعلَّى فوقَ ماوجَـدَا
ذَاكَ ابن مُصْعبٍ الموفي بذمَّتـه أَعْطَى الجزيلَ، وأوْفى كُلَّ ماوَعدَا
منْ فِتْيَةٍ صبرُوا في كُلِّ نائبَـةٍ حتَّى نَفَوْا عنْهُم ما عابَ فَانْتُقِدَا
بِيْضٍ بهَالِيْلَ سيَما المُلْك شَامِلُهم لَا يَسأل الناسُ عنهم: من هُمُ أبدَا
إن أَمْتَدحكُم فقدْ جَلَّت صَنائِعكُم مُجْرَى المَدِيح وَقَد رَاخَيْتُم الأَمَدَا
قَد رِشتُمُوني، فهذَا رِيْشُكُمْ خَضِلٌ بَـاد عليَّ، وقـد أنعمتُمُ رَغَـدَا
إن الحـواريّ والصـدِّيق وابنَهُـما وابْنَ الزُّباب، بَنَوْا بُنْيَانَكُم صُعَدَا
ثم الأَميْرَانِ شدَّا عَقد عُرْوَتكُمْ ولاَ سَبيلَ إلى حَلِّ الَّذي عَقَدَا
نِعْم الأَمــيران بكَّــارٌ وَوَالِــدُهُ مَا أشرفَ الوالدَ المَيْمُون والوَلَدَا
المَــالِئَــان بعَــدْل الله قَبْضَتَــهُ والمُصْلحانِ، بإذْنِ الله ما فَسَدَا
والحَـافِظَان لمـا أوصَى الإله بِـهِ مِنْ حقِّ ذي الحقِّ إنْ غَابَا وإنْ شَهِدَا
والصَّادران مَعًا عَنْ كُلِّ مَا تَرَكَا والـوَارِدَان جَمِيعًا كـلَّ مَـا وَرَدَا
والـطَّاعِنان صُـدُوْرَ الخَيْل مُقْبلَةً والضَّاربَانِ إذَا غَاب القنَا قِصَدَا
أعزِزْ بِمَنْ كَانَ عبـدُالله ناصِـرَهُ وَمَنْ يكُون أبُو بكْرٍ لَهُ عُضَدَا

المصدر ١/١٤١ و١٤٢ من «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار .

٢ ــ وقال يرثي عبدالله ومحمدا ابنَيْ مصعب بن ثابت :

قُـلْ لِلأمـير جَـزَاهُ الله عـارِفَـةً وأهل وُدِّي جَميعًا من بني أسدِ
إنِّي نَذَرْتُ إن الرَّحمن سَلَّمنِي حَتَّى أقُوم صحيحًا غيرَ ذِي أودِ
مَـشْيًـا بـحقِّـكُـمُ حـتَّى أُوَدِّيَـهُ هل يُبْرِدَنْ ذَاكَ من حرٍّ عَلَى كَبِدي
أوْ يُنْشِرَنْ ذاكَ عبدالله لي أبَدًا أو يُنْشرَنْ لي أَخَاهُ آخر الأَبَدِ
إنْ يَشْمَتِ اليوم حُسَّادي بِمَوْتِهِمَا فقدْ يَمُوتُونَ قبلَ اليَوْم مِنْ حَسَدِي
وَقَـد أرَانـا وعبـدالله يَحْمِلُنَـا كَحَامل الغَيْث بيْنَ الغَوْرِ والنُّجُدِ
فَأن جزعْت فمِثْلُ الشرِّ أجزعَني وإنْ صبرْتُ فأدنَى ليْ إلى الرُّشَدِ

وإنْ شكَرْت فَقَدْ أبقى الإلهُ لَنَا خَلائِقاً من بَنِيه ثُبْتَ العَمَدِ
إنْ يُعْقب الله يومًا مِنْ مُصِيبَتِهِ فَبِالأمِيرِ، وإلاّ لجَّ بي كَمَدِي

المصدر: ١٥٢/١ و١٥٣ من «جمهرة نسب قريش». والمقصود ببني أسد هنا: أسد بن عبدالعزى جد الزبيريِّين: والأبيات على ما يبدو موجهةً للأمير أبي بكر بن عبدالله بن مصعب، الذي خلف أباه في إمارة المدينة المنورة، وهو المعروف ببكّار.

٣ ـ قال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب، حين أجمع المسير إلى اليمن لميعاده مصعباً أن يطلع أهله ثم يأتيه بصنعاء:

تَقُولُ ابنة الزَّيْدِيّ: أصبحْت وافداً عَلى مَلِكٍ أيَّ الملُوكِ تُرِيدُ؟
فقلت لها: مُستوردٌ حَوْضَ مُصْعَبٍ فقالت: وأنّى والمسيرُ بعيدُ؟
فَقُلْت لَهَا: لَوْ كُنْت في سِجْن عَارِمٍ بِدِمْيَاطَ، قَدْ شُدَّت عليَّ قُيُودُ
لَسَارتْ إلَيْه مِدْحةٌ مُزَنِيَّةٌ يَلَذُّبها في المُنْشِدِيْن نَشِيدُ
أرَى الناسَ فَاضُوا ثُمّ غَاضُوا وَمُصْعَب عَلى العَهْدِ يَغْطي بَحْرُهُ وَيَزِيدُ
إذَا صدرَتْ بالحمْدِ عَنْ حَوْضِ مُصْعَبٍ وَفُودٌ، وحلّتْ بعْدَ ذَاكَ وفُودُ
تَهَلَّلَ فيّاضُ النّدى عَاجِلُ القِرَى إذا انهلَّ وهْنًا قِطْقِطٌ وجَلِيْدُ
أقُولُ لمُغْتَاظٍ عَليَّ كأنَّما بلَبّيهِ حَامي السِّنَانِ حَدِيْدُ:
تَبَرَّدْ بِعَيْبِي في الخَلاءِ فَإنّهُ نَفَى العَيْبَ عَنِّي مَشْهَدٌ وجُدُودُ
وبَغْرَةُ أمْلاك تَنَجَّيتُ نَوْءَهَا فَأسْقِيتُهَا والحاسِدُونَ شُهُودُ
تَعَلَّقْتِ الحسَّاد مِنْهَا زَمَانَةٌ فَلَم يَبْقَ إلاّ أنْ يَمُوتَ حَسُودُ

المصدر: «جمهرة نسب قريش» ٢١١/١ و٢١٢، وقد رواها الزبير بن بكار عن عدي بن عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني، ابن الشاعر. وقد نقلها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٥٢/١٦ ـ المخطوط.

وفي البيت الرابع إشارة صريحة إلى قومه (مزينة)، ويغطي في البيت السادس معناها يزيد، ومعنى قِطْقِط في السابع: صِغَار البَرَد. والبغرة: في البيت العّاشر معناها الدفعة الشديدة من المطر.

الـــــراء

قال يمدح مصعبَ بن عبدالله :

فَما عَيْشُنا إلاّ الـرَّبيعُ ومُصْعَبٌ يَـدُورُ عَلَيْنَـا مُصْعَبٌ ويَـدُورُ
وفي مُصْعَبٍ إنْ غَبَّنا القَطْرُ والنَّدَى لَـنَـا وَرَقٌ مُغْـرَورِقٌ وشَـكِـيرُ
مَتَى مايَرَى الرَّاؤونَ غُرَّةَ مُصْعَبٍ يُـنِـيرُ بهـا إشْرَاقُـهُ، فَيُـنِـيرُ
يَـرَوا مَلِكًا كَـالبَـدْرِ أمَّا فِنَـاؤُهُ فـرَحْبٌ، وأمَّـا قَـدْرُهُ فَكَبِـيرُ
لَـهُ نِعمٌ مَنْ عَـدَّ قصَّرَ دُونَها وَلَيْسَ بِهَا عَمَّا يُـرِيـدُ قُصُـورُ
عَدَدْنَا فَـأكثرْنـا ومَدَّتْ فـأكْثَرَتْ فَـقُلْنَـا كَـثِـيرٌ طَيِّبٌ، وكَثِـيرُ
لَعَمْرِي لَئِن عَدَدتُ نَعْماءَ مُصْعَبٍ لأشـكُـرَهَـا إنِّي إذًا لَشَـكُـورُ

المصدر: «جمهرة نسب قريش» ٢١٢/١ ، ونقلها ابن عساكر في المجلد السادس عشر/ المخطوط ص ٥٤٩ ، كما نقل خبرها الوارد في «الجمهرة» ونصه : (حدثنا الزبير بن بكار ، وكان أبو غَزِيَّة محمد بن موسى الأنصاري كثيراً ما يجلسُ إليَّ ، فجلس إليَّ لَيْلةً بين المغرب والعشاء الآخرة ، في مسجد رسول الله ﷺ ، وهو إذ ذاك قاض ، فتحدثنا إلى أن ذكرنا الشعر ، فقال : ابن أبي صبح المزني أشعر الناس ، حيث يقول لعمِّك) ثم ذكر الأبيات .

أقول: وترجمة محمد بن موسى في «أخبار القضاة» ٥٧/١ مات سنة ٢٠٧ . وفي هامش ص/٢١٢ من «جمهرة نسب قريش» ذكر المحقق بعض مصادر ترجمته .

ومعنى (الشَّكِير) في البيت الثاني: الورق الصغير يتلُو الورق الكبير في النُّمو .

الصـــــاد

وقال :

أبى قَلْبـه مِنْهنَّ أن يَتَـخلَّصـا وَقَدْ مَحَّ سِرْبَالُ الشَّباب وقُلِّصَا
رَمَـيْنَ وأَرماهُنَّ في كُـلِّ مَوْطِنٍ فَأَحْذَيْنَهُ نَبْلَ الخَبَـال، وأشخصا
إذَا شِئْنِ أن يُؤْطِينه حَبْلَ عَاثِرٍ لِيَضْطدْنَ مِنه فُرْصةً مَرَّ أفرصـا
تَلَبَّسْنَ أبْـرادًا وأَبْـرَزْنَ أَوْجُهـاً حِسَاناً، وأظْهَرْنَ الجمَانَ المخَرَّصَا

وفَتَّرْن حُوراً إنْ دَعَتْ قَلْبَ تَائِبٍ أَجابَ، وإنْ نَصْنَصْنَ قَلْباً تَنَصْنَصَا
سَقَى الله مِنْ نَوْءِ الثُّرَيَّا ظَعَائِناً تَيَمَّمْنَ نَجداً، واخْتَصَرْنَ المُرَخَّصَا
ظَعَائِنَ مِمَّن سَارَ فاحْتَلَّ (رَابِغًا) وَ (وَدَّانَ) أَيَّامَ الجلاَءِ، فَالاخْمَصَا
أَقَمْنَ بِهِ حَتَّى أَتَى الصَّيْفُ قادِمًا وَقَضَّوْا لُبَانَاتِ الرَّبِيْعِ فَأَشْخَصَا

المصدر: «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري (٤٠٨) مصورة مخطوطة المكتب الآسيوي في (كلكته)، أطلعني على محل الشاهد أستاذي الشيخ حمد الجاسر - جزاه الله خيراً - وخطها غير جلي، وقد استعنت ببعض الأصدقاء على حل رموزها، وتركت محل كلمة بياضاً لعدم وضوحها، وذالك في البيت الثالث.

[العرب : اقرب قراءة لصورتها ما وضع في محل البياض] .

الألفاظ الغريبة :

١ ــ مح : بلى ، قلّص : تقلص .
٢ ــ أحذينه : أعطينه ، وأشخص : جاء في هامش الأصل : اشحص بحاء غير معجمة : طلع سهمه عن القصد . وأشحص وأشوى واحد . انتهى .
والمقصود أن سهامهن أصابته وأخطأ سهمه فلم يصبهن . .
٤ ــ المخرصا : أي الذي ازدان بالخرصان ، وهي حلق الذهب والفضة أو ما يماثلها .
٥ ــ المرخص : طريق بقرب (٠٠٠) كلمة غير واضحة .
٦ ــ أشخص (في البيت الأخير): ارتحل .

الفــاء

قال يمدح عبدالله بن مصعب وابنيْه : أبا بكر ومصعبا :

يَا أَيُّها الرَّجلُ المهْدي الغنَاء لَهُ مِنْ كُلِّ شِعْبٍ يُدَاني ثُمَّ يَخْتلِفُ
دَعْ عَنْكَ لَيْلى، فَما لَيْلَى بِجَارِيَةٍ لاَ تجهَلَنَّ ولاَ يَلْجَجْ بِكَ الكَلَفُ

وَاذْكُر بِأحسن قَولٍ أَنْت قائِلُهُ آلَ الزُّبَيْرِ، فَقَدْ أَعْطَوا وَقَدْ عَطَفُوا
وقَدْ سقوْكَ بسجْلٍ مِنْ سِجَالِهُمُ حَتَّى رَوِيْت، وقَدْ زَادُوا وقد لَطُفُوا
وَقَدْ كَفَاكَ نَدَاهُمْ نَوْءَ غَيْرِهِمُ فَلَا تَعُولُ عَلَى الغَرْفِ الَّذي غَرَفُوا
قَدْ كانَ لِي في أبي بَكْرٍ وَوالِده ومُصْعَبٍ ذي النَّدى مِنْ تالِدٍ خَلَفُ
وَالثَّابِتيُّون قَوْمٌ في وِدَادِهِمُ غُنْمُ الحياةِ، وَفي أَحْقادِهِمْ تَلَفُ
اللَّاحِظُونَ بِنُور الله إنْ غَضِبُوا وَالشَّامِلُونَ بِيُمْنٍ حَيْثُما انْصرَفُوا
وَالفَارِطُونَ فلا تُوبَى حِيَاضُهُمُ بِالوَارِدِيْن، وَإنَّ ذُوَّادَهَا قَصَفُوا
إنَّ ابنَ مصعبٍ المَيْمونُ طَائِرُهُ ثُبَّى عَلَى خَيْرِ مَا سَدَّى لَهُ السَّلَفُ
لا يُدْرِكُ النَّاسُ في المجرَاةِ غايَتَهُ وَلَوْ تَعالَوْا ، وَلَوْ خَبُّوا ولَوْ خَنَفُوا
تَمْشي المُلُوكُ عَلَى أَذْيَال لأُمَتِهِ إنْ سارَ سَارُوا وَإنْ أَوْمَا قِفُوا، وَقَفُوا
يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ لقَدْ فرَّجتَ مِنْ كُرَبي ورَفَّلْتَني لَكَ الفَيْضَاتُ والتُّحَفُ
وقد جَبَرتَ جَنَاحي بعْد رِقَّتِهِ حَتَّى انْتَهَضْتُ، وحَتَّى مَسَّني التَّرَفُ
وَقَد تَخَلَّصْتَني من بَيْنِ مَأْسَدَةٍ أذلَّني لَهُمُ السُّلْطانُ والصُّحُفُ
أَدْرَكْتَني بَعْدَما دارتْ عُقَابُهُمُ وَقَدْ بَلَلْتُ لَهَا رَأْسي وقَدْ وَحَفُوا

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/١٤٠ وينظر أيضاً ١/١٢٢ .

ومعنى البيت التاسع أنهم يتقدمون قومهم ، وقوله لا تُوبى حياضهم : أي لا تنقطع من الماء ، وقصفوا : تزاحموا .

وفي البيت العاشر : ثُبّى : اقتفى ، وسدى : خلّف .

وفي البيت الحادي عشر أراد الشاعر أن الناس لو جاروه لما استطاعوا اللحاق به مهما استعملوا من أنواع العَدْو .

وفي البيت الثالث عشر : أراد في الشطر الثاني : أنك جعلتني أرفل في فيضك وتحفك .

وفي البيت الأخير يقول : أدركتني بعد أن تهيأت لاستقبال الحالقة ، وبللت

رأسي لحلق لمتي ، وهو نوع من التعزير كان يخضع له المغلوب والأسير ، ومعنى وحَفُوا : أسرعوا .

القـــاف

١ ــ وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب من أرجوزة يقول فيها :

يَا بَكْرُ أَدْعُوكَ وَفِيًّا صَادِقاً

ثم قال فيها :

وَقَـدْ رأَيْنَـا الْـحلَقَ المصَـالِقَـا وهْي تُسَـامي تُرْسِـلُ الشَّقاشِقَـا
إنْ نَـظَرْتْ يومـاً إلَيْـه بَـاسِقـاً أَوْ كَـرَّ فِيها نـاظراً أو نَـاطقاً
أَلْقَتْ عَلَى الأَرْضِ لَهُ العَنَافِقَا

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١٨٥/١ .

المعنى : الحلَق : جمع حَلَقَة . المصالق : ذات الضجيج . تسامى : تتعالى . الشقاشق : الهدير . العنفقة : الشعر تحت الشفة السفلى : أي أن حلقات الرجال التي تهدر بضجيجهم ، إذا جاءها فنظر أو نطق أبدت خضوعها واستمعت إليه .

٢ ــ وقال يمدح مصعب بن عبدالله :

وَقَـدْ عَلِمْتُ، أَلَا وَاللَّهُ يَعْلَمُهُ مَا قُلْتُ زُوراً وَلَا مِنْ شِيْمَتِي المَلَقُ
إني لأَحْبِسُ نَفْسِي، وهْي صَادِيَةٌ عَنْ مُصْعَبٍ، وَلَقَدْ بَانَتْ لِيَ الطُّرُقُ
رَعْوَى عَلَيهِ كَمَا أَرْعَى عَلَى هَرِمٍ قَبْلِي زُهَيْرٌ، وفِيْنا ذالِكَ الخُلُقُ
مَدْحُ الكِرَامِ وسَعْيٌ في مَسَرَّتِهِمْ ثُمَّ الغِنى، ويَدُ المَمْدُوحِ تَنْدَفِقُ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ٢٠٧/١ « تاريخ دمشق » ٥٤٩/١٦ مخطوط .

المعنى : الرعوَى : الرعاية والإشفاق ، وهو يشير في البيت الثالث إلى أن زهير ابن أبي سلمى ، وهو مزني مثله ، كان يشفق على ممدوحه هرم بن سنان . ذكر محقق « الجمهرة » الأستاذ محمود محمد شاكر في الهامش نقلاً عن « الأغاني »

١٠/٣٠٥ أنَّ هرِماً كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه ، فاستحى زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملإ قال : عِمُوا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وفي البيت إشارة إلى كونه من مزينة ، ولعله يقصد بالغنى في البيت الأخير التعفف .

٣ ــ وقال يمدحه أيضاً :

إِذَا رَفَعت أحراسُهُ السَّيْر واسْتَوَى عَلَى ظَهْرٍ مَصْفُوفٍ عَلَيْهِ النَّمارِقُ
بَدَا مَلِكٌ في صُوْرَةِ البَدْرِ طَالِعاً فَيَالَكَ حُسْناً زَيَّنَتْهُ الخَلاَئِقُ
خَلائِقُ أَحْرَارِ المُلُوكِ ونُورُهَا يَلُوحُ عليه نَظْمُهَا المُتَنَاسِقُ
فتًى لم تَفُتْهُ خُطَّةٌ، تُجمَعُ التُّقَى إلى المَجْدِ إلاَّ ضمَّهَا فَهُوَ رَائِقُ
فَنَحْنُ بِحَمْدِ الله في فَضْلِ مُصْعبٍ لَنَا صَابحٌ مِنْ ذِي نَداهُ وغَابِقُ
سَتَبْلُغُ عَنِّي مُصْعباً ـ غَيْرَ باعِدٍ ـ مَدَائِحُ تَذْرُوْهَا الرِّيَاحُ الزَّوَاعِقُ
جزاءً بِآلاَءٍ له إنْ شَكَرْتُهَا شَكَرتُ عَظِيماً لَمْ تَصِفْهُ المَنَاطِقُ
أَلَمْ تُلفِنِي ذَا خَلَّةٍ فَاصْطَنَعْتَني وأَطْلَقْتَ مَالي، وهْوَ في الرَّهْنِ غَالِقُ
وأنقذتَني مِنْ لُجَّةِ الدَّيْن بَعْدَما غَرِقْتُ، وَغَاشي لُجَّة الدَّيْنِ غَارِقُ
وأَغْنَيْتَنِي عَمَّنْ سِوَاكَ وأَنْبَتَتْ رِيَاحُكَ رِيْشي والنَّجَاءُ الدَّوافِقُ
وأَسْبَلْتَ إِسْبَالَ الرَّبِيعِ وأَخْصَبَتْ رِيَاضُك لِلْجَادِيْن ، والله رَازِقُ
فأُقْسِمُ لاَ أُحْصِى الَّذِي فِيكَ مَادِحٌ بِمَدْحٍ ، ولَكِنِّي جَزُوفٌ مُخَارِقُ
وَلاَ ضِنَّ نُصْحاً عَنْك بالغَيْب مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَلاَ عَادَاكَ إِلاَّ مُنَافِقُ
ولا خفتُ إلاَّ الكَاشِحِينَ مُلِمَّةً عَلَيْكَ، ولَكِنِّي بِذِي العَرْشِ وَاثِقُ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ٢٠٩/١ ، ٢١٠ ، وهي في مخطوطة « تاريخ دمشق » لابن عساكر ٥٥١/١٦ و٥٥٢ . وقدم وأخر في البيتين الأخيرين .

وفي البيت التاسع إشارة إلى أن ممدوحه فكَّ الرهن الذي كان فيه ماله ، ولعل هذا يفسر لنا قوله في القصيدة الفائية التي سلفت حينما قال :

وَقَـدْ تَخَلَّصْتَني مِنْ بينَ مَـأْسَدةٍ أَذَلَّني لَهُم الـسُّلْطَانُ والـصُّحُـفُ
أَدْرَكْتَني بَعْـدَمـا دارَتْ عُقَــابُهُمُ وَقَدْ بَلَلْتُ لَهَا رَأْسي وَقَدْ وَحَفُوْا

الكـــاف

١ ـ قال يمدح مصعب بن عبدالله :

قَالَتْ (شُمَيْسَةُ) إذْ قَامَتْ تُوَدِّعُني والدَّمْعُ يَجري عَلَى الخَدَّيْنِ أَسْلاَكَا
لاَ يُلْهِيَنَّك عنَّا ـ بَعْدَ فُرْقَتِنَا ـ بُعْدُ المَزَارِ، وَإنْ صَاحبْتَ أَمْلاكَا
فَقُلْتُ: لَوْ كُنْتَ أَنْسَاكُمْ يَوْماً نَسِيْتُكُمُ إذْ قَالَ لي مُصْعَبٌ لَوْ شِئْتَ أَجزاكَا
خَطَّانِ في شِبْرِ قِرْطَاسٍ يَطِيرُ بِهِ مِنَّا جَرِيٌّ وَنَمْضي، قُلْتُ: كَلاَّكَا
لابُدَّ مِنْ نَظْرَةٍ أَشْفي بها كَمَدِي مِنْ أُمِّ عَمْرٍو، قَلِيلاً، ثُمَّ أَلْقَاكَا
دَعْ عَنْكَ ما فَاتَ، واكْسُ الرَّحْلَ مُعْتَرِفاً أَعْـطَاكَـهُ مُصْعَبٌ أَيـامَ أَلْفَـاكَـا
عَارٍ جَنَاحُك قَدْ حُصَّتْ قَوَادِمُهُ قَدْ عَضَّكَ الدَّهْرُ عَضَّاتٍ فَأَدْمَاكَا
يَاذَا النَّدى، لَيْس لي في غَيْرِكُمْ وَطَرٌ أَغْنَيْتَني بِـالْغِنَى، والله أَغْنَـاكَـا
إنْ أَمْتَدِحْكُمْ، فَخيرُ القَوْلِ مَدْحُكُمُ وَقَدْ تُنَالُ بِغَـيْرِ المَدْحِ جَـدْوَاكَا
يَا أَوْسَعَ النَّاسِ فَضْلاً بَعْدَ وَالِدِهِ إنْ تُعْطِ خيراً فإنَّ الله أَعْطَاكَا
مَجداً تَطَأْطَأَ عَنْهُ كُلُّ ذِي شَرَفٍ فَيَمْنَعُ النَّاسَ أَنْ يَجْرُوا بِمَجراكَا
مَـدَّ ابنُ أسماءَ كَفَّيْـهِ بِـمَكْرُمَـةٍ وابنُ الرَّبَابِ فقَالاَ: مُصْعَبٌ هَاكَا
أَنْتَ ابْنُنا، مَا اجْتَمَعْنَا قَطُّ في رجُلٍ فَيَسْتَـطِيعُ لَـهُ السَّاعُـونَ إدْرَاكَـا
ثُمَّ الأمـيرُ أَدامَ الله صـالِحَـهُ نِعْمَ المُبَـوَّا بحمْـدِ الله بَـوَّاكَـا
رَقَّاكَ في المَجْدِ حَتَّى نِلْتَ ذِرْوَتَهُ فَمَنْ بَغَاكَ محلَّ النَّجْمِ وَافَـاكَا

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/٢٠٨ و ٢٠٩ ، ومخطوطة « تاريخ دمشق » لابن عساكر ١٦/٥٤٩ و ٥٥٠ . وفيه البيت الثالث بدون (فقلت) وهي هنا زائدة ، وبها يختل الوزن . وفي الخامس (كبدى) محل (كمدى) .

وقد ذكر الزبير بن بكار قصة هذه الأبيات ، بعد إيرادها ، فقال : (حدثني عبدالله بن عَمْرو بن أبي صبح المزني قال : لما استُعْمِل عبدالله بن مصعب على اليمن ، قال لي مصعب بن عبدالله : امْضِ معنا إلى صنعاء . فقلت : لم أُعْلِم أهلي ذالك . فقال : ترسل رسولاً ونكتب معه بحاجتك ، وتمضي معنا وتُكْفَاهُمْ . فقلت : لا بدَّ لي من مطالعتهم ، ثم ألحقكم ، وهو حين قلت هذه القصيدة . ثم قدمت عليهم صنعاء ، فأنزلني عبدالله بن مصعب معه في دار الإمارة ، وأجرى علي خمسين ديناراً في كل شهر ، وأكرمني ، ثم غَرِضْتُ (قلقت) فشكوت ذالك إليه ، واستأذنته في الانصراف ، فأذن لي وأعطاني خمس مئة دينار ، وكساني كسوة فاخرة من عَصب اليمن ، وأمرني فدخلت على نجائبه ، فأخذت منها نجيباً مهريًّا ، فانصرفت سالماً غانماً إلى أهلي). أهـ .

السـلام

١ ـ قال يمدح أبا بكر بن عبدالله :

كَأَنْ لم تريْ غبَّ ارتحالي وغَيبَتي ... وَعَرْف أَبِي بَكْرٍ بسَجْلٍ عَلَى سَجْلِ
مَدحتُ أبا بَكْرٍ فما خابَ عندهُ ... مَدِيْحِي، وَمَا أَلْفَيْتُهُ عَنْهُ ذَا شُغْلِ
وَمـا كَذَّبَتْني سُنَّحُ الطَّيْرِ دُوْنَـهُ ... وما كذبَتْ رُؤْيَايَ إذ نِمْتُ بالرَّمْلِ
أَنَخْتُ فلمَّا مِلْتُ في نَشْوَةِ الكَرَى ... رَأَيتُ عليَّ الرِّيشَ أخضرَ كالبَقْلِ
وأَبْصَرْتُني أَسْمُو إلَى البَدْرِ طَالعاً ... وأَعْقِدُ في أَسْبَابِ أَحْبُلِهِ حَبْلِي
وأَغْرِفُ مِنْ فَيْضِ الفُرَاتِ وأَكْتَفِي ... مِنَ النِّيل عَبَّاباً فَأَسْقِي بِهِ نَخْلِي
فَقُلْت لِأَصْحَابي: جَرَتْ طَيْرُ أَسْعُدٍ ... لَكُم فَوْتَ أَعْنَاقِ الغُرَيْرِيَّةِ الفُتْلِ
وَرُؤْيَاكَ أَخْذَ الكفِّ بِالكَفِّ بَشَّرتْ ... بِيومِ نَدًى مِنْ ذِي نَدًى وَاسِعِ الفَضْلِ
مَتَى تَهْبِطُوا أَرْضَ الزُّبَيْرِيِّ تُعتِقُوا ... خِشَاشَ المَطَايَا، مِنْ سَامٍ وِمِنْ هَزْلِ
أثـابَـكَ عنّـا الله حُسْنَ ثَـوَابِـه ... بِعَدْلِكَ في الأَحْكَامِ والخُلُقِ الجَزْلِ
خَلَفْتَ لَنا الصِّدِّيق تَهدي كهَدِيهِ ... وَهَدْيِ الزُّبَيْرِ حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
وسِرْت إلَيـنَـا وَالبِــلَادُ كَـأَنَّهَا ... لِمَا غَبَّ مِنْ أَدْوَائِهَا مِرْجَلٌ يَغْلي
فَـدَاوَيْتَها حَتَّى إذَا مـا شَفَيْتَهَـا ... مِنَ الدَّاءِ والتامَتْ جَمِيْعاً عَلَى العَدْلِ

وَطِئْتَ عَلَى سِيسَائِهَا فَكَأَنَّمَا رَسَا (وَرِقَانٌ) فوقَها وَقُرَى (تُبُلِ)
فَأَصْبَحْتُ يَا ابْنَ الخَيْر تَنمى إلى العلى عَلَى حَنَقِ الأَعْدَاءِ والحذقِ الشُّهْلِ
وإنَّ أَمِيرَ المؤْمِنِينَ لَعَارِفٌ غَنَاءَكَ عَنْهُ فِي البَلَاءِ الَّذي تُبْلي
وَإِنِّي لَمُثْنٍ بِالَّذي قَدْ فَعَلْتُمُ بَنِي ثَابِتٍ فِي النَّاسِ مَا اشْتَدَّ لي عَقْلي
وَإِنِّي لأَدْعُوكُمْ إِذَا جَلَّ حَادِثٌ مِنَ الدَّهْرِ أو ضَاقَتْ بِنا عُرْوَةُ الحَبْلِ
وأَعْلَمُ لولا الزُّهْرُ مِنْ آلِ ثَابِتٍ لَمَرَّتْ ببعْضِ القَوْمِ خَفَّاقَةُ الرِّجْلِ
وَلكِنَّهُم جَادُوا وَسَادُوا وأَنْعَمُوا وَقَادُوا وَردُّوا بالنَّدى طِيْرَةَ الجَهْلِ
ومَاحُوا ورَاحُوا بِالنَّدَى حِينَ لم تَرُحْ بِدِرَّتِها أُمٌّ عَوَانٌ عَلَى طِفْلِ

المصدر : «جمهرة نسب قريش وأخبارها» - ١٦٦/١ - .

وكانت بينه وبين أبي مُدرك ، حاتم بن مدرك الحبشي من بني الحارث ، سُلميٌّ ، ملاحاة شعرية . وقد جاء في كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي هارون بن زكريا الهجَري ، أنشدني شيخ من جبلة الفُرع[١٠] لأبي مُدْرِكٍ ، يردُّ على عبدالله بن أبي صبح المزني :

أَلا أَيُّها الغَادي اتَّقِ الله واحْتَمِلْ لَنَا حَاجَةً لا تَسْتَبِينُ لها ثِقْلَا
تبلغْ يعقُوبَ بن يَحْيى رِسَالَةً وعَمْراً وشِبْلاً أُوْدِعُ الله لي شِبْلَا
وَحَيٌّ بَنِي لُقْمَانَ فَالحَيُّ جِيرَةٌ وَتَقْرا عَلَيْهِمْ من تَحِيَّتِنَا مِثْلَا
وكُلّ بني عَيْشِ الكرَامِ فإنَّهم صَدِيقٌ وجِيرَانٌ أَرَى لَهُم فَضْلَا
إِذَا جِئتَهُم من مَخْدَعِ الغَيْبِ سَاعَةً لِأَنْظُرَ مَاهُم لَم أَجِدْ لَهُم دَغْلَا
وقُلْ بعدَ هذا كُلِّه: إنَّ حاتِمًا يَقُولُ لَكُمْ: قُولُوا لِصَاحبِكمْ: مَهْلَا
وَقُولُوا لَهُ: مَا بَال عَقْلكَ ناشِئاً وَجَهْلُكَ لمَّا عُدتَ ذَا شَيْبَةٍ كَهْلَا
كأَنَّكَ لَم تَقْرأ مِنَ الوَحْي سُورَةً بِأَرْضٍ ، ولَمْ تَسْمَعْ بِهَا سَاعَةً تُتْلَى
إِذَا ما التَقَينا عِدَّما كانَ ما بيْنَنا مِنَ الحِلْفِ والإِسْلَامِ واجْتَنَبَ الجهْلَا
وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ سَاعةً قِيلَ: يَفْتَرِي عَلَيَّ، فَلَا أَدْرِي أَأَشْتِمه أَمْ لاَ؟
أم اعرضُ عَنْ عَوْرَاتِه فهوَ جَاهِلٌ فَيَكْفُرَ إِحْسَاني، وَيَحْسَبَهُ ذُلَّا

أم اشتِمُ جِيراني فأُصبحَ مِثْلَهُ   أعوذُ بِربّي، أنْ أكونَ لَهُ مِثْلا
وَإني لأستَحيِي منَ القَوْمِ أنْ أرى   جَبَاناً جهولاً لا حَليمًا ولا نكْلا
أوَانْ يعلَمَ الأقوامُ أنّي كالّذي   يَكُونُ عَلَى مَعْرُوفِهِ أبَداً قُفْلا
فَما زِلْتَ تَغْشَانا بِسَبِّك ظالمًا   وَنصفَحُ حتّى ما تظنُّ لَنا عَقْلا
وتُنذرنَا آل الزُّبَيْرِ كَأنّنا   طُلِبْنَا بجرْمٍ أوْ حَمَلْنا لَهم ذَحْلا
وتَقْتَحمُ الأنسابَ مِنْ دُون خِنْدِفٍ   كَأنّكَ تُعطي دُونَهم باليَدِ السُّفْلَى
كأنّكَ لم تَعْلم أبًا لَكَ دُونَهُ   بَلَى، قَدْ عَلِمْنَا أنّ في خِنْدفٍ فَضْلا
وأنّ قُرَيْشًا خيرُ من وَطيءَ الحَصَى   وأنْعَمَهُ فرْعًا وأكْرَمَهُ أصْلا
فإنْ كُنْتُمُ إخوانَهُ فَابْنُ عَمِّهِ   حَبيبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مُسْتَوْجِبٌ وَصْلا
كَرِيمٌ فلم يَبْسُطْ يَداً بِعَداوةٍ   إلَيْهم وَلَم يَبْعثْ بِهَا لَهُم رِجْلا
فلا تَطرَحنّا أنْ سَقوكَ عَلَى الظَّمَا   مَعَ النَّاسِ يومًا مِنْ سجالِهمُ سَجْلا
فَمَا هيَ إلاّ نقمةٌ تُبْتَلَى بِهَا   كَمَا كُنْتَ بالأولى الّتي قَبْلها تُبْلَى
فَلَيْتَ لَنا عدْلاً فيحكُمَ بَيْنَنا   وَأهْوَنُ مِمّا بَيْنَنا يبتغي عَدْلا
لـه رَبَذِيٌّ مِنْ قُرى قَطَرِيّةٍ   شَدِيدٌ جَديدٌ مُدْمَجٌ مُحكَمٌ فَتْلا
فَيَنْظُرَ أسوانَا إذا كان عَائِبًا   لِصَاحِبِهِ عيبًا، وأقْبَحُهُ فِعْلا
وَأشْبهَنَا وَجْهًا إذا كَانَ بَيْنَنا   بوجْهِ الظَّلُومِ ثُمَّ يوجِعُه غَسْلا
ويَشْهَدُنا آلُ الزُّبيرِ وهَاشِمٌ   وَآلُ أبي بَكْرٍ مجالسَ لا تُقْلَى
ويُجلسُ ذَلْفاءَ المليحَةَ عِنْدنَا   وجُمْلا فإنَّ اللهَ مَلَّحَ لِيْ جُمْلا
هِجَانَانِ قالَ اللهُ: كُونَا فكَانَتَا   كَمَا قَال: لا تدرُون أيُّهما أحْلَى
وَذَلفاءُ مِن غير التِمَاسٍ لِعَيْبِهَا   بِغُورٍ، فلم تَسْكُنْ دِمَاثاً وَلاَ سَهْلا
وَليستْ كأخرَى بالبِيَاضِ فأُعْطِيتْ   بيَاضًا ولَحْماً مايِراً وشَوًى خَدْلا
مَلاَ العَيْنِ، ريَّا الحجْلِ يَلْعَبُ سِمْطُهَا   كَأنَّ بِعَيْنَيْهَا ولم تكتحلْ كُحلا
فَلاَ يَرفعُ الجلاّدُ عَنْهُ سِيَاطَهُ   بِمَحْضِرِهِمْ حتّى يقُولُوا لَهُ: بَسْلا
وحتّى يرَى آلُ الزُّبيرِ وهاشِمٌ   وآلُ أبي بكرٍ عُقُوبَتَهُ مَثْلا
ويُقْدَرُ للمظْلُومِ أنْ يجمعَا لَهُ   ويُجلَدُ أسْواطاً أشدُّها بُخلا

٢ ـ فأجابه عبد الله بن أبي صبح الـمُزَنـيُّ :

الا حَيِّيَا الذُّلْفَا ألا حيِّيَا جُمْلا … وقُولاَ: تَغَنَّى حاتمٌ بِكُـمَا جَهْلاَ
لِكَيْـما تَـظُنَّـا اليـوم أنَّـهُ فـارِغٌ … وأُقْسِمُ إنّي قَدْ مَلأتُهُ بِي شُغُلاَ
وَفَضْلُكُمْ يـا جُمْـلُ كَيْـما لَعَلَّني … أَرُوحُ مَغِيظًا قد حَمَلْتُ لَكُم ذَحْلاَ
وأَنتِ من أن تَشْفي بنا كَحمامَةٍ … بِمكةَ يَقْرُو سِرْبُهَا حَـرَمًا سَهْلاَ
سقَى الله ذَلْفاءَ الرَّبيـعَ وتِربَهـا … وجُمْلاَ فَأَسْقَى اللهُ من صَيِّفٍ سَجْلاَ
سَقَى كُلَّ منجادِ المحلَّةِ والنَّوى … أناة... ضا تَمْلأُ القَلْبَ والحَجْلاَ
إذا بَرَزَتْ بينَ القطِينْ وأَبرزَتْ … جَميلَ المحيَّا لاَ كَثِيباً ولا جَبْلاَ
رأَيتَ إلَيْهَا البيضَ مِيْلاً كـأنَّما … أُمِرْنَ بأَنْ يَرْعَيْنَها الحدَقَ النُّجلاَ
أ... مَهْلاً فإنك قُلْتَ لي: مهلاً … وَإنْ قُلْتَ قَوْلاً فانتبِلْ نُبلاً جَزْلاَ
إلَيكَ فإنّي غافِرٌ لَـكَ مَا مَضَى … من الذنب إلاَّ أن تُحمِّلَنَا ثِقْلاَ
وتُلْقي عَلَيْنـا جَـانبَيْـكَ كِلَيْهـمَا … وتُشْرِعُ في أَعْرَاضِنا الجدَّ والهَزْلاَ
وتُعرِضُ دُونَ الجانِبينِ فلاَ أَرَى … لِمثْلِكَ إلاَّ أَنْ أُعـرِّضَـهُ نكْـلاَ
فَإنْ كُنْتَ قد أَبصرت من بعدِ عَشْوَةٍ … فَأَهْلاً بِمَا أَحْدَثْتَ مِنْ سِلْمِنا أَهْلا
فَلَسْتَ وَلاَ أطْغَى بأوَّلِ عاشِـي … عَشَا، فجعَلْتُ القافياتِ لَهُ كُحْلاَ
وَمَا إنْ أُحِبُّ الشَرَّ مَا لَمْ تَـجُرَّهُ … عليَّ جُناتي أو أَكُـونَ لَهُ نَعْـلاَ
بَـلَ اصفحُ إجمـالاً وأدرأ سُبَّـةً … بِـأَحْسَنِ ما تُـدْرَى وأَدمُلُهُ دَمْـلاَ
وَأَدفعـه حَتَّى إذا حـلَّ سـاحَتي … صلَيْتُ بأذكى حَرِّهِ كُلَّ مَنْ يَصْلَى
أَبَى الضيْمَ لي قَلْبٌ ذكيٌّ وَصارِمٌ … وأنفٌ حميٌّ يَأْبَيَا(؟) الذلَّ والخذْلاَ
وأَبنَـاءُ صِدْقٍ مَـاجـدُون وأُسْـرَةٌ … مَصَالِيتُ كَانُوا لاَ بِطَاءً وَلاَ نُكْلاَ
وعَقدي بِحبْلَيْ مُصعَبٍ وابنِ مُصْعَبٍ … وَحَبْلِ أبي بكْرٍ برغْم العُدَى حَبْلاَ
كَأَنَّكَ تشنَا أَنْ فَخَرْتُ بخنْدفٍ … كَأَنَّكَ لاَ تَـرْضَى طَـرِيقَتَـك المثْلَى
كَـأَنَّك لم تَعْلَمْ أبَـا لَـكَ مِثْلَهُ … وَلاَ وَأَبيكُمْ لا تَكُونُوا لَهُ مِثْلاَ
فَإنْ تَكُ قد أَصْبَحْتَ ثَوْبَان آمِناً … مُثِلاَ وغرَّتْكَ الأكولةُ والرَّسْلاَ(؟)
فلا تأمَن الأولَى الَّتي قَدْ تعرفَتْ … فَقَارَكَ حتَّى عُدْتَ ذا شَيْبَةٍ كَهْلاَ

أَلاَ يَا لَقَوْمٍ مَنْ يُرَى مِثْلُ حَاتِمٍ ... يَجُورُ وَيَبْغِي بَيْنَنَا حَكَمًا عَدْلاَ
وَيَدْعُو لَنَا أَنْ يُرسِلَ الله جَالِداً ... على شَرِّنا رَأْياً ، وأقْبَحِهِ فِعْلاَ
وأَشْبَهِنَا وَجْهاً إذا قيسَ بَيْنَنَا ... بِوَجْهِ الظُّلومِ ، ثُم يُوجِعَهُ غَسْلاَ
وَيَشْهَدُنَا آلُ الزُّبيرِ وهاشِمٌ ... وآلُ أبي بَكْرٍ مَجالِسَ لا تُقْلَى
فَقُلْتُ لَهُ (آمينَ آمين) إنَّما ... دَعوتَ على الأرْدى فَبَسْلاً لَهُ بَسْلاَ
فَإنْ شَهِدَتْ آلُ الزُّبير وهاشِمٌ ... وآل أبي بَكْرٍ فَقَدْ عَلِمُوا الغَسْلاَ
وكُلُّ قُريشٍ يَعْلَمُونَ أُمُورَنَا ... وَحَيْثُ يَظُنُّونَ الدَوَاغِلَ والدَغْلاَ
تَمَنَّيْتَ لِلذُّلفاءِ بُخلا لَعَلَّها ... تُعاقَبُ، والذُّلفاءُ خَالِيَةٌ بُخْلاَ
وَسَمَّحْتَ جُملاً وهي ظَنِّي بَخِيلَةٌ ... ولكنْ بِمَا قَدْ تَنْطِقُ الكَلِمَ الخَطْلاَ

المصدر : «التعليقات والنوادر» ٢/٢٥٤ وما بعدها .

ويلاحظ أن في هاتين القصيدتين ألفاظاً غير مفهومة ، وبعضها ترك محله محقق الكتاب بياضاً ، ويبدو أن المخطوطة كانت غامضة الخط .

الميم

١ ــ قال يمدح هاشم بن يحيى بن هاشم بن حمزة :

فَمَنْ سَائلي عَنْ هاشِمٍ: كَيْفَ هاشِمٌ؟ ... فَإنَّا وَجَدْنَا هاشِماً خَيْرَ هاشِمِ
وَجَدْنَا فَتًى أفضَتْ إلَيْهِ جُدُودُهُ ... بِبَنْيِ المَعالي، واكْتِسَابِ المَكارِمِ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/٦٧ و ٦٨ وحمزة : هو حمزة بن عبدالله بن الزبير .

٢ ــ وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب ، وما تمتع الناس به من أَمْنٍ على عهد ولايته للمدينة المنورة :

أَمْسَى الحجَازُ امِنَتْ أَصْرامُهُ ... وصحَّ نَجدٌ وبَرَا سَقامُهُ
رَقَّعَهُ وقد وَهَتْ أَخْصامُهُ ... بالعَدْلِ حَتَّى سَكَنَتْ عُرّامُهُ
ثُمَّتَ جَادتْ بالنَّدَى رِهامُهُ ... فَهْوَ كَغَيْثٍ مُسْبِلٍ غَمامُهُ

إرْزَامُـهُ بـالـوَبْـلِ وانهزَامُـهُ مَـا قَالَ فيـه بَصرٌ يشَـامُـهُ
عَـدْلُ أبي بَكْرٍ وَلَا إسْـلَامُهُ وَلَا الحـوَارِيُّ ولا إقـدامُـهُ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/١٦٥ .

(١) الأصرام : الفرقة من الناس ينزلون ناحية من الماء .
(٢) الأخصام : زوايا المزادة وجوانبها .
(٣) الرهام : المطرة الصغيرة الدائمة .
(٤) الإرزام : صوت الرعد يصحب الغيث . والانهزام : تشقق السحاب بالماء مع صوت . وقال إذا تفرس فاخطأ ولم يصب .

٣ ـ وقال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب :

إنَّ الحـوَاريَّ والصِّـدِّيق وابنَهُـمَا دعائِمُ الدِّيْنِ إذْ شُدَّتْ لَهُ الدِّعَمُ
وثابتاً ذا النَّدَى والمصْعَبَيْنِ مَعاً وذَا اليمينَـيْنِ، عَبْـدالله بعْـدَهُمُ
شَدُّوا عُرَى مُصْعَبٍ في كُلِّ مَكْرُمَةٍ وَعَلَّمُوهُ مِنَ الخيْرَاتِ ما عَلِمُوا
فَهْـوَ الكـريمُ مُـلَاقَـاةً ومُختَـبَراً وابنُ الكُرامِ إذَا مَا حُصِّلَ الكَرَمُ
رَحْبُ الفِنَاءِ، رَخِيُّ الباعِ ، مُحْتَمِلٌ للمُضْلِعَاتِ إذَا اشتدَّتْ بِنَا الأزَمُ
لا تُنْكِرُ العُوذُ مِنْهُ أن يُضرَّ بِهَا وَلَا العِشَارُ إذَا أضْيَافُهُ قَدِمُوا
وَلَا يُبَـالِي وَإنْ كَـانَتْ مُمَـانِحَـةً أنْ يَخْضِبَ السَّيْفَ من أنْسَائِهِنَّ دمُ
يَاذَا النَّدَى، والَّذي حَجَّ الحجيجُ لَهُ هَلْ بَعْدَ هَذَا عَلَى ذي مِحْنَةٍ قَسَمُ
لَئِنْ نَشَرتُ ثناءً لا خَفَـاءَ بِهِ لَقَـدْ بَسَطْتَ عَـطَايا مَـالَهَا قِيَمُ
ذُقْنَا الثَّنَاءَ فلمْ نَأْلُ الجزَاءَ بِـهِ وَقَدْ جَهِدْنَا ومَافي نُصْحِنَا وَخَمُ
لَنْ يُنْفِدَ القوْلَ مَاأسْدَيْتَ من حَسَنٍ يَا ابْنَ الحَوَارِيِّ حَتَّى تَنْفَدَ الكَلِمُ
وَلَا نَـزَالُ بخيْرٍ مَـا بَقِيْتَ لَنَـا تَمَّتْ عَلَيْنَـا بِـكَ الآلَاءُ والنِّعَمُ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/٢١٣ و ٢١٤ ، وهي في « تاريخ دمشق » المجلد ١٦/٢٥٢ المخطوط .

النـــون

قال ابن أبي خَيثمة : قال دِعْبل : حضر محمد بن عبدالملك الفقعسيُّ داراً فيها

وليمة ، وحضرها ابنُ أبي صبح الأعرابي ، وكان بدويًا نزل بغداد ومات بها ، وكان شاعراً مُجيداً ، فازدحما على باب الدَّارِ ، فغلب ابنُ أبي صبح ودخل قبل محمد ، فقال ابنُ أبي صبح :

أَلَا يَـالَيْتَ أَنَّـكِ أُمَّ عَـمْـرٍو   شَهِدتِّ مُقَاوِمِي كَيْ تَعْذُرِيْنِي
وَدَفْعِي مَنْكِبَ الأَسـدِيِّ عَنِّي   عَلَى عَجَلٍ ، بِنَاحِيَةٍ زَبُـونِ
بِمَنْزِلَـةٍ كَـأَنَّ الأُسْـدَ فِيْهَـا   رَمَتْنِي بِـالحَوَاجِبِ والعُيُـونِ
وَكُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ بِحَيٍّ خَصْمٍ   مَنَعْتُ الخَصْمَ أَنْ يَتَقَـدَّمُـونِي

المصدر : كتاب « الورقة » لابن الجراح ١٤ ، و« الفهرست » ٥٥ .

الرياض ـ جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ   عبدالعزيز الرفاعي

تعليق اعضاء (مجمع اللغة العربية) على البحث :

وهاهو ما دار حول هذا البحث بعد إلقائه ـ كما جاء في محضر الجلسة الثالثة ، من جلسات دورة انعقاد المؤتمر السنوي :

الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس الجلسة : والآن نستمع إلى بحث للأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي بعنوان (عبدالله بن عَمْرِو بن أبي صُبْحٍ المزني) .

وبعد أن تلا سيادته البحث دارت حوله المناقشات الآتية :

الدكتور ناصر الدين الأسد : أستأذن الأستاذ الرفاعي في تصحيح بعض ما جاء ببحثه القيم :

١ ـ الاسم الوارد بالسطر الثالث من أسفل الصفحة الأولى يصحح إلى : (لأبي علي هارون بن زكريا الهجري) .

٢ ـ بيت الشعر الأول الوارد في الصفحة الثانية يصحح على النحو التالي :

ألا يا ليت أنك أم عمرو ....

٣ ـ ويصحح البيت الأخير ليكون على النحو التالي :

وكنت إذا سمعت بحي خصم ....

الدكتور شوقي ضيف : أنا أشكر الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي على هذه الدراسة القيمة للشاعر عبدالله بن عَمْرِو بن أبي صُبح ، وتحقيقه الدقيق لشعره بعد جمعه جمعاً مُسْتَقْصِياً من كتاب « جمهرة نسب قريش » للزبير بن بكار وغيره من كتب التراث ، وهو أحد فصحاء الأعراب الذين كانوا ينزلون طوال القرن الثاني الهجري الكوفة والبصرة وبغداد ، وكانوا ينشدون اللغويين بعض أشعارهم وبعض أخبار قبائلهم وأشعارها ، وكانوا يمدونهم بأشعار فيها غريب كثير ليدرسوه لطلابهم ، كما كانوا ينشدونهم أشعاراً فيها نَسِيْبٌ وغَزَلٌ رقيق وقد ترجم صاحب « الفهرست » لثلاثين شاعراً منهم ، وقد أهملهم من درسوا الشعر العباسي في القرن الثاني الهجري لانشغالهم بشعراء المدن مثل بَشَّار في البصرة ، وأبي العتاهية في الكوفة ، ومسلم بن الوليد في بغداد . والأستاذ عبدالعزيز الرفاعي مشكور لأنه فتح لنا بدراسته لأحدهم ـ وهو ابن أبي صُبْحٍ ـ باباً كبيراً للعكوف على دراستهم ، ولعل دراسته لابن أبي صبح وتحقيقه لأشعاره لعل ذلك يكون إرهاصا لدراسته طائفة من هؤلاء الشعراء النجديين الفصحاء فيخرجهم بذلك مسلطاً عليهم وعلى أشعارهم كثيراً من الأضواء ، وبذلك تتكامل دراسة تاريخ الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . وشكراً .

الدكتور حسين علي محفوظ : أثني على دراسة الأخ الزميل الأستاذ عبدالعزيز الزفاعي ، وأُطْرِي جهده القيم في كتابة سيرة عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني من شعراء الظلّ ، وجمع ما تفرق من أشعاره وهو عمل طريف مفيد .

والاهتمام بشوارد الآداب ، وتقييد ما شذَّ عن عمود تاريخ الأدب من أشعار وشعراء وأدباء ونتاج . هو أمر مُهِمٌّ جِدًّا لتكميل أحكامنا الأدبية والتقديرية في الأدب والتراث .

أما كتاب « الأغاني » الذي أشار الزميل أنه لم يظفر فيه بشيء من أخبار المزني وأشعاره ، وتَعَجَّبَ من ذالك فإن « الأغاني » لم يصل إلينا كله . وهو عند القدامى من الكتب التي كانوا يتشاءمون منها . ويتطيرون من استكمالها فكانوا يتعمدون أن لا يجمع كاملاً في خزائنهم ؟!

وفي بعض خزائننا في الكاظمية مجلدان على ظهر أحدهما إشارة إلى نحوس كتاب « الأغاني » .

هذا ـ ودِعْبِلٌ الخزَاعيُّ الشاعر الكبير الذي كانت بعض أشعار المزني من رواياته هو من مصادر أعمال المرزباني الأديب المؤرخ الناقد المؤلف المكثر ، صاحب الكتب المفصلة الكبيرة . وكذالك أخوه ، فقد جمعا بين الأدب ورواية الأدب .

ومن الطرائف وأنا من بني أسد أن أشير أنه لولا « الحواجِب والعيون » ما قبلتُ أن يدفع المزنيُّ مَنْكِبَ الأَسَدِيِّ صاحبِه ، وهو رَاويةُ بني أسدٍ ، وصاحبُ مآثرها وأخبارها ، محمد بن عبدالملك الفقعسي . ولكن شفعت له « الحواجب والعيون » . وشكراً .

الدكتور أحمد السعيد سليمان : أكرر الشكر للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي على الجهد الذي بذله في إعداد هذا البحث ، فالجزء الأول في التراجم ، وقد عانى فيه ما عانى ، والقسم الثاني : في نَصٍّ شعري ، وهذا أيضاً جهد مشكور ، ولاحظت أنه وقف وقفة طويلة أمام كنية الشاعر (أبو عمرو) وأنا أتساءل : هل تكون الكُنَى بأسماء الأبناء فعلاً ؟ نحن نعلم أن الشاعر قال : (لها كنية عمرو ، وليس لها عمرو) ونعلم أن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تكنى بأم عبدالله ، وعبدالله ابن اختها ، فإذا كانت الكنية مشكلةً أراد الأستاذ حَلَّها فليته درس شَيئاً لنفيد منه عن مسألة الكنية . هذه واحدة .

الأخرى مسألة (الظل) التي أشار إليها محاضرنا في بحثه .

وإذا كان الباحث من جزيرة العرب فأتساءل عن عربية كلمة (الظل) هل كلمة الظل كلمة وافدة ترجمت إلينا في اللغة العربية أَلَيْسَ من الممكن أن يقال (الشعراء غير المشاهير) مثلاً . أعتقد أن كلمة الظل وافدة إلينا في هذا المقال ، فالظل عند العرب شيء يدرك ، وأدعو الله أن يظلني وإياك في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وأن تكون عباراتنا كلها من الفصيح ، ومن العربي الصرف الذي لم تَشُبْهُ شائبةٌ من ترجمة أوربية وشكراً لكم .

الأستاذ منير البعلبكي : حلاً للخلاف الذي نشب حول العنوان الذي اختاره المؤلف ، والعنوان الذي يقترحه الدكتور أحمد السعيد سليمان ، أقترح أن يكون : (شعراء مغموررون) فالمغمور يقابل : غير المشهور ، ونحن في هذا نتبع خطى القدماء الذين قالوا : (شعراء مغموررون) .

الأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي : أشكر السادة الزملاء على ما تفضلوا به من ملاحظات ، وخاصة التصحيحات ، وأود أن أعلق على ملاحظة الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان فيما يتعلق بكلمة (الظل) فقد قلت في عنوان البحث (شعراء في الظل) ولم أقل (شعراء الظل) وأعتقد أن هناك فارقاً بين العبارتين ، هذه واحدة . والأخرى أن كلمة (الظل) كلمة عربية فصيحة ولا ضير في استعمالها على ماهو عليه من قبيل الإيجاز . وشكراً .

وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة من بعد الظهر عندما أعلن الدكتور الرئيس رفع الجلسة . وكان مما قرر فيها : (شكر الأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي على البحث الذي ألقاه ، وشكر السادة الذين عقبوا عليه) .

الحواشي :

(١) العرب: الباحث الكريم عوَّل في تحديد وفاة الهجري على ماورد في كتاب «الاعلام» لأستاذنا خير الدين الزركلي ، الذي استنتج هذا التحديد استنتاجاً ولكن يظهر من نصوص وردت في القطعتين اللتين عُرِفتا حديثاً من كتاب الهجري أنه عاش إلى ما بعد سنة ٣٠٠ ـ فقد روى عن محمد بن عبيدالله بن طاهر بن حيي ـ المحدث ـ بن الحسن بن جعفر ، الملقب بـ (مسلم) وهذا كان يُدبِّرُ أَمْرَ مِصْرَ أيّام كافُور ـ كما في «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ـ ٥٥ الطبعة الثانية ـ وانظر تفصيلاً عن أحوال مسلم هذا في كتاب «العبر» لابن خلدون ج ٤ ص ٢٣٢ حيث ذكر أنه توفي في السجن سنة ٣٦٥ أما رواية الهجري عنه فنصها: (أنشدني أبو جعفر مسلم ، محمد بن عبيدالله بن طاهر بن يحيى لبدويَّة ترثي أخاها ـ ثم أورد ثلاثة أبيات ـ المخطوطة المصرية (١٤) المطبوعة (٥٥) ـ .

(٢) يبدو أنه مخطوطاً أيضاً عند الزركلي ، فقد ترجم له في «الأعلام» ولم يترجم للمخصم . . فذهب إلى أن وفاته نحو سنة ٢١٠هـ = ٨٢٥م ، وقال إنه أدرك أيام المنصور العباسي ، ومدح الرشيد والمأمون ، وبعض رجالهما ، واعتمد على كتاب « الورقة » لابن الجراح .
«العرب»: وانظر طرفاً من ترجمة الأسدي هذا ومن إشعاره في «العرب» س ١ ص ٩٩٩ إلى ١٠٠٦ وس ٢ ص ٩٥ ـ .

(٣) انظر عنه «تاريخ التراث العربي» لسزكين ج ٤ من المجلد الثاني الخاص بالشعر ، ص ٩٠ وما بعدها ، ←

عُيونُ الطائف

يتردد على أفواه العامة أنه كان على وادي (وَجّ) ما ينوف على تسعين عيناً ، وأن مزارعه كانت متصلة من أعلاه إلى أسفله ، وأن حماة المزارع من الطير إبان الحصاد يسمع بعضهم بعضاً ، ويبالغون في هذه الروايات ، ولكن المشاهد والملموس من طبيعة هذا الوادي لا يعطيان ترجيحاً لهذه الروايات ، لأن العيون التي عليه ، عامرها ودامرها لا تبلغ العشرين عيناً ، فأين يا ترى هذه العيون ؟ ، بل إن جميع العيون في منطقة الطائف ، وفي جميع أوديته لا تبلغ ثلاثين عيناً ، ولكي نحصي عيون الطائف رأيت أن أتحدث عن كل واد على حدة ، ذاكراً ما عليه من عيون ، مبتدياً من أعلاه حتى آخر عين عليه ، إذ كان به أكثر من

← وهو يقول عن هذا الكتاب : (وهو كتاب كثر النقل عنه) .

(٤) لأستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر كتاب مطبوع عن الهجري . [العرب : انظر الحاشية رقم (٢) عن وفاة الهجري] .

(٥) «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري ، تحقيق الدكتور حمود عبدالأمير الحمادي ٢/ ٢٦٠ .

(٦) الأبيات من قصيدة طويلة وردت في «جمهرة نسب قريش» ١/ ٢٠٨ وسترد في شعره .

(٧) يبدو أن هذا الشاعر من الأغفال الذين لم تترجمهم المصادر التي بين أيدينا ، يقول الأستاذ محمود محمد شاكر محقق كتاب «جمهرة نسب قريش» ١/ ١٠٨ في الهامش عند ايراد هذه الأبيات : (لم أجد له ترجمة) ، ويقول محقق كتاب « التعليقات والنوادر » لأبي علي الهجري ٢/ ٢٥٤ في ذكر بعض مناقضاته لابن أبي صُبح : ورد اسمه في «اللسان» في مادة (نهض) يهجو أبا العيوف ، ولم يرد ما يفصح عنه شيئاً في المصادر الباقية . أقول : لم يذكره الزركلي في « الأعلام » ، ولم أجده لدى سزكين في كتابه « تاريخ التراث العربي » ، المجلد الثاني - الجزء الرابع (الشعر) .

(٨) « جمهرة نسب قريش » للزبير بن بكار ، ١/ ١٠٨ .

(٩) [الزيديون فخذ من بني عمران ، ثم من بني عثمان ، من مُزينة ، ومزينة هي أم عثمان وأوس ابني عمرو بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ، أورد الهجري في «التعليقات والنوادر» ما نصه : لغُزْلان الشامي من ثمامة بن كعب بن جذيمة بن خُفاف :

خليليّ صُباني وَرَحلي وناقتي ... على فَلَج الرَّيان ثم ذَرَانيا
فإن أنتُما لم تَفعَلا ومررْتُما ... على حائِطِ الزيدي فاستودِعانيا
أُسائِلُ عن عَمْق وعَن حُسْن حاله ... ولولا ابنةُ الزيدي قل سُؤاليا

عَمْقُ الزُروعِ : قرب الفُرْع ، وعَمقُ المضيقِ . بيليل : قرب بَدرٍ . وقال : الزيديون من بني عمران ، من مُزينة ثم من بني عثمان] .

(١٠) جبلة والفُرع : موضعان قرب المدينة .

عين ، وقد التزمت في بحثي هذا إيراد المسميات المصطلح عليها في الحجاز الخاصة بالعيون ، فكلمة (الأُمَّيْةُ) - تعني المنبع ، - و (الخَرَزة) - تعني غرفة التفتيش ، و (الدبل) - يعني المجرى أو القناة ، - و (الوجبة) تعني اثنتي عشر ساعة سقياً من ماء العين ، و (الشحَّاذ) - يعني الدَّبْل الفرعي ، أو الدبل الرافد للدبل الرئيسي ، وهو مايعرف بالأب ، وذالك حفاظاً على لغة مزارعي هذه العيون ولكي لا تلتبس على القارئ إذا ما وجد هذه المسميات في بعض المؤلفات والوثائق القديمة . ولكون وادي (وَجّ) هو وادي الطائف وأكثر الأودية عيوناً حَبَّذْتُ الابتداء بذكره ، وذكر ما عليه من عيون .

وادي (وج)

وادي (وج) يأخذ أعلا مسايله من ديار (الطّلحات) من هُذَيْل ، وديار بني سفيان من ثَقيف ، وديار قريش ، فأعلاه من بلاد (الطلحات) يعرف بوادي المخاضة ، ويظل بهذا الاسم حتى يصل مزارع (الوُهَيْطِ) فيلتقي بوادي شَقَرَا الآتي من اليمين من ديار بني سُفْيان ، وبعد التقائهما وتجاوزهما للوُهَيْط يأتيهما من اليسار وادي الْـمَاوَيْنِ الآتي من جِمَى قُريش ، ومن ثَمَّ يُطلق عليه وادي (وَجّ) وقبيل وصوله إلى (الْوَهط) يأتيه من اليسار وادي (الضَّحْياء) وبعد التقائهما يصل الوادي إلى (الْوَهط) جاعِلَهُ عن يمينه ، وفي مضيق هناك حذاء الوهط أُنْشِيءَ سَدٌّ حديث عُرِفَ بسدَ عِكْرِمَة ، وذالك في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز سنة ١٣٧٥هـ ، وبعد تجاوزه لمزارع الوهط والْكُدَا يرفده من اليمين ، وادي (صَعْب) وهو وادي أُنْشِيءَ عليه سدٌّ حديث ، ويستمر الوادي في انحداره مخترقاً مدينة الطائف وهو معروف بوادي (وَجٍّ)حتى يتجاوز مزارع (جَبْرَة) وهي تقع على عدوته اليُمْنَى ، يقف أمامها من الشمال جبل - (دَمَه) ومن ثم يطلق عليه وادي (الْعَرْج) فيقوم عليه قرى ومزارع كثيرة ، لكل مزرعة اسم خاصٌ بها ، من أشهرها زُرَيْقَا والْعُقَيْلَة ، والفرايد ، والعقْرب . وبعد تجاوزه للعقرب يُطْلَقُ عليه وادي الأُخَيْضِر ، فيقع عليه قرى ومزارع كثيرة من أشهرها البستان ، والعوجاء ، والـمُوَيْزرية والثعالِب على صيغة جمع ثعلب - وبعد تجاوزه لمزارع الأُخَيْضِر يأتيه

من اليسار وادي شَرِب ، فَيَكُونانِ وادياً واحداً ، يطلق عليه وادي الْـمَبْعُوث ، ويستمر في انحداره نحو الشمال الشرقي حتى يضمحل في سهل (رُكْبَة) لإنْدِيَاحِ الأرض أمامه . هذا هو وادي (وجّ) من أعلاه إلى أسفله بكل إيجاز .

العيون على وادي (وَجّ) :

١ ــ عين المخاضة : رأيتُ بوادي المخاضةِ آثارَ دَبْلٍ لعين دامرةً بالقرب من مزرعة حديثةٍ ، لبعض القرشيين ، تقع عن شمالك وأنت منحدر مع الوادي ، لاصقة تلك الآثار بسفح الجبل ، لم يُعْرف لهذه العين اسم ، ولا أين كانت مزرعتها .

٢ ــ عين شقَرَا : رأيت بوادي شَقَرَا خَرزاتٍ لدبل عين دامرة ، حاول تتبعها الشيخ عبدالله بن محمد المهنا عندما كان مشرفاً على عمارة عيني الوهَط والوُهَيط إلا أنه تخلّى عنها عندما رأى صعوبة ذالك ، لما تحتاجه من إمكانات لم تكن تحت يده ، وهي عين لم يعرف اسمها ولا أين كانت مزرعتها ، وإنما أطلق عليها هذا الاسم لوقوعها في وادي شَقْرَا .

٣ ــ عين الوُهَيْط : الوهيط مزرعة تقع على عدوة الوادي اليسرى ، عند التقاء وادي المخاضة بشقرا ، وأعتقد أنها حائِطا بَرَد اللذَيْن ذكرهما الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[1] حيث قال : (ووادي قريب من الطائف ، يقال له برد ، فيه حائطان لزبيدة عظيمان يقال لموضعهما وج) وبَرَدُ ليس وادياً كما ذكر الهمداني ، وإنما هو جبل كبيرٌ أسمر ، يقف خلف الوُهَيْط غرباً عنه ، مشمخراً من الجنوب إلى الشمال ، ليس ببعيد منه ، يرى من أحياء الطائف الجنوبية .

ودبل هذه العين يصعد مع الوادي المخاضة حتى يصل ـ أُمِّيَتَها ، التي تقع أسفل هذا الجبل بوسط الوادي .

ويظهر أنه قد مرت على هذه العين حقبة طويلة وهي دامرة ، لا يعرفها أحد ، ولا يظن ظَانٌّ أن بتلك الناحية عيناً لبعد الزمن على خرابها ، فقد حدثني بعض المعمرين أنها لم تعرف ولم تبعث إلا في عهد أمير مكة المكرمة في أوائل القرن الرابع

عشر الهجري ، الشريف عون الرفيق ، قال : تتابع الحَيَا في سنة من السنين في ذالك العهد ، على تلك الديار ، من جبال ووهاد ، فتعاظمت السيول ، حتى ظلت الأودية تُنْجِلُ والقِلاَتُ تجري ، فنبعت هذه العين من خرزة لها بقرب الوُهَيْط ، وانساحت مع الوادي ، فَأُخْبِرَ عنها الشريف عونُ ، إذ كان مُصَيِّفاً في الطائف ، فاهتم بها وبعثها ، وأصلح دَبْلها ، وعمر مزرعتها ، فظلت تحت يده وأيدي أولاده من بعده ، حتى نزعت الحكومة السعودية ملكيتها لمصلحة مياه الطائف ، وذالك في أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري . وقد قامت الحكومة بإصلاحها ، وتعمير دبلها عمارة متينة من بدايته إلى نهايته ، وهي الآن تُعَدُّ من مصادر مياه مدينة الطائف ، وماؤها يُعَدُّ من أعذبِ المياه في منطقة الطائف ، ولكنها ليست عِدًّا عندما يَشِحُّ السحاب ، ونِصَابُ وَجَبَاتِها أربعون وجبة ، والوجبة ١٢ ساعة كما مر .

٤ ـ عين الحطَّابة : وقد يسميها البعض عين الماوين ، لأنها تأتي من ناحية وادي الماوين ، وهذه العين لها مزرعة دامرة ، فوق الوهط ، بالقرب منه ، على يمين الوادي ، تسمى السَّدّ ، لم يبق منها إلا أساسات الجدر مما يلي الوادي ، وبركة العين مما يلي الجبل . وهذه العين كانت مجهولة ، لا يعرفها إلا القليل من معمري تلك الناحية ، حتى قامت الحكومة السعودية بتعمير عين الوهط ، تحت إشراف الشيخ عبدالله بن محمد المهنا ، وكانت خطة التعمير تقضي بِفَرْيِ الأرْضِ من فوق الدَّبْل ، حتى الوصول إليه ليتمكن العمال والفنيون من العمل دون إعاقة أو مضايقة ، وفي أثناء قيام ـ الحفّارات ـ (الدركترات) ـ بهذه المهمة كسرت دبل عين الحطَّابة فانساح الماء منه ، فتأكد الشيخ المهنا أن هذا الدبل لعين أخرى ، متقاطعة مع عين الوهط من فوقها ، وجعل لها مسقطاً على عين الوهط ، وحاول تتبعها ومعرفة منتهاها وموقع أُمَّيَّتها ولكن لانشغاله بعين الوهط لم يستطع ذالك ، وظل ماؤها ينساب في عين الوهط مدة طويلة ، شاهدته بعيني ثم نضب ، وأعتقد أنا أنَّ ذالك ليس من قل ماء ، ولكن من خراب طَرَّأ من جَرَّاء حفر الحفّارات (الدركترات) وعملها في تلك الناحية .

ويظهر أن هذه العين حُفِرت وعمرت بعد عين الوهط ، لكون دبلها متقاطع مع دبل الوهط من فوقه ، وهي الآن من العيون الدامرة .

٥ ــ **عين الوهط**[٢] : الوهط ضيعةٌ تقع على عدوة الوادي اليمنى ، وهي من أخصب المزارع وأكرمها في تلك الناحية ، كانت جَنَّةٌ غَنَّاءَ وروضةٌ يكاد اللسان يعجز عن وصفها لما كانت تحويه من أشجار وغروس وزروع ، تعطي أطيب الفواكه وألذ الخضار . وعينُها من أقدم العيون التي وَجَدتُّ لها ذكراً في التاريخ ، فقد ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في « الأغاني » في قصة من قصص تأبَّطَ شرّاً وسطواته[٢] قال : أغار تأبط شرًّا ومعه ابنُ بَرَّاقٍ الفهمي على بَجِيلة ، فأطْرَدَا لهما نَعماً ، ونذرت بهما بَجِيلةُ ، فخرجت في آثرهما فسبقوهما إلى الوهط ، وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف ، فدخلوا لهما قصبة العين ، وجاؤا وقد بلغ العطش منهما إلى العين ، إلى آخر القصة فهذا النص يعلمنا أن هذه العين معروفة منذ العصر الجاهلي ، وأن عمارتها منذ ذالك العهد ، وفي العصر الإسلامي يخبرنا التاريخ أنها آلتْ إلى عمرِو بن العاص ، وأنها كانت في أفضل عمارتها ، وأن مافي الوهط من كَرْمٍ كان يُعْرَشُ له بألف ألف عُودٍ ، وهذا يدلنا على غزارة ماء هذه العين في ذالك الحين ، إذْ أنَّ مثل هذه الكروم في كثرتها لا يسقيها إلاَّ عِدٌّ من الماء ، ولكن في القرون المتأخرة اجتاح هذه العين ما يجتاح مثلها من الخراب والدمار ، حتى تقلصت مزرعتها إلى أقل من العشر ، فقد ذكر العُجَيْمِيُّ في عصره حالة الوهط فقال : وبهذه القرية مزارع كبيرة ، إلا أنها الآن ضعيفة ، وأما بستانها المذكور فلم يبق على معشار ما كان عليه .

وحسبما علمتُ من بعض أشياخنا أنها في أواخر القرن الثاني عشر الهجري آلتْ إلى الجدِّ الشريف سرور بن مساعد آل زَيْد ، أمير مكة في حينه ، فعمرها وأصلح ما طرأ عليها من خراب في دَبْلِها ، وأحيا مزرعتها ، فظلت تحت يده وأيدي عقبه من بعده ، لم يظهر منها إلا القليل ، حتى نزعتْ ملكيتَها الحكومة السعودية لمصلحة مياه الطائف ، فحظيت من الدولة بعناية كبيرة ، وعمرتها عمارة لم يسبق لها مثيل ، إذْ قامت الدولة بنقض دَبْلها القديم ، وأعادت بناءه بناءاً متيناً بالحَجر

والأسمنت ، من أوله عند مسجد الوهط إلى نهايته عند أُمِّيَّةِ العين ، بوسط الوادي قبالة مزرعة الوُهَيط ، بطول يزيد على خمسة أكيال تقريباً ، وهي عين عِـدٌّ لا يكاد ينضب ماؤها إلا إذا توالت عليها سنون المحل الطويلة ، وتُعَدُّ الآن من مصادر مياه مدينة الطائف . ونصاب وجباتها ستة وثلاثون وجبة ، وأما المزرعة فقد اجتاحها الدمار والخراب لاعتلاءِ مياه السَّدّ لها واغراقها ، وحفر تربتها من قِبَلِ بعض أصحاب المزارع الحديثة ، لإخصاب تربة مزارعهم ، وهكذا أصبحت مزارع الوهط(٣) أثراً بعد عَيْنٍ .

٦ ـ عين الـمَثْنَاةَ : الـمَثْنَاةُ ضيعة كبيرة ، تقع في غربي مدينة الطائف ، على عدوتي الوادي ، من مزرعة الدُّمينة قرب الْكَدَا إلى السَّلاَمَةِ ، كان بها عشرات البساتين اليانعة ، الحافلة بشتى أشجار الفاكهة من الخوخ والتفاح والعنب والعُنَّاب والتين والتوت والرمان ، وما إلى ذالك من فواكه الطائف المشهورة ، وقد أصبحت المثناةُ الآن من أحياء الطائف الحديثة ، بعد أن ركبها العمران ، وأما بساتينها فقد يَبِسَتْ بعد أن سُحِبَتِ العينُ لمصلحة مياه الطائف ، وبها بستان يعرف ببستان عَدَّاسٍ ، به مسجد ، يتردد على أفواه العامة أنه المكان الذي تظلل تحت كرمه الرسول ﷺ ، وأتاه فيه عَدَّاسُ مولى عُتْبَة وشَيْبَة ابني رَبِيعة ـ رضي الله عنه ـ بِقِطْفِ العنب ، بعد أن ردَّتْه ثقيفُ عليه السلام ذالك الرد القاسي .

وهذه العين لم أجد لها ذكراً فيما اطلعت عليه من مراجع قديمة ، إلا ما ذكره العجيمي ـ وهو من أعْلام القرن الحادي عشر الهجري ـ بأن المثناة موضع ، وفيه بساتين كثيرة ، وأبنية متعددة . وفي القرن الثالث عشر آلتْ هذه العين إلى الشريف غالب بن مساعد آل زيد ، أمير مكة المكرمة في أوائل ذالك القرن ، فتعهدها بالإصلاح والتعمير ، وإحياء ما انْدَثَر من مزارعها حتى غدت جنةً من جنات الأرض ، وظلت من ضمن أوقافه ، تحت أيدي عقبة من بعده ، حتى نزعت ملكيتها الحكومة السعودية ، مع عيني الوهط والوُهيط ، في أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري لمصلحة مياه الطائف . وهي من أقصر العيون طولاً في منطقة الطائف فمشرعتها عند مسجد الكُوعِ المنسوب إلى النبي

ﷺ ، وأميتها حذاء مزارع الكَدَا من الغرب أسفل الحصون[٤] عن يمين الوادي للمنحدر معه ، وهي مسافة لا تتجاوز الكيلين . ويظهر أنها أحدث عمارة من عين السلامة ـ شُبْرَا الآن ـ إذْ أنّ دَبْلها يمر من فوق دَبْل السلامة ، متقاطعاً معه ، هذا ما قاله لي بعض العارفين بهذه العيون ودبولها من أهل المنطقة[٥] . وهي عين عِدٌّ من أشهر عيون الطائف ، ونصاب وجباتها ست وثلاثون وجبة .

٧ ـ العين الفيصلية : في الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري وجدتْ (مصلحةُ مياه الطائف) دبْلاً جِذَاء الكَدا ، فتتبعته بالتنظيف والإصلاح ، حتى بلغت أُمَيَّته ، فوجدت ماء رَهِيًا ، فأطلقتْ على هذه العين اسم (الفيصلية) نسبة إلى الملك فيصل ـ رحمه الله ـ وقد عارض في ذالك الحين أهالي المثناة ، زاعمين أن هذه العين من روافد عينهم ، ولكن بعد التأكد من أهل الخبرة والعارفين بالعيون وأحوالها ، ظهر أنها عين بذاتها ، لا مِلْكَ لأهل المثناة عليها فاقتنعوا بذالك وهي الآن من مصادر مياه مدينة الطائف .

٨ ـ عين السلامة : عَين شُبْرَا ـ هذه العين من أقدم العيون ذكراً في التاريخ ، ذكرها الهمداني بقوله : وفي قبلة الطائف حائِطُ أُمِّ المقتدر ، الذي يدعى سَلاَمة ، وهي كذالك بالنسبة للطائف القديم ، وأما اليوم فإن السلامة أصبحت محلة من محلات الطائف الحديثة . وقد مر عليها حينٌ من الدهر كانت فيه أكبر قريةٍ بالطائف ، حتى كانت نُزُلَ أعيان مكة وفضلائها ، ثم لحقها ما يلحق البلاد والعباد من الإدبار ، فخرِبَتْ ، حتى تحول عنها أهلها[٦]، وتهدم شامخ دورها ، وعالي قصورها .

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري أَحْيَا الشريف عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة في حينه مزرعةً في شمالي الطائف ، أمام باب الـحَزْم ، أَحَدِ أبواب مدينة الطائف ، وسماها (شُبْرا) على اسم (شبرا القاهرة) ، وأَوْلَى هذه المزرعة جُلَّ اهتمامه ، فأقام فيها القصور والحدائق وجلب لها الغروس والأشجار ، وحفر بها الآبار ، رأى أن عمله لا يكتمل حتى يجلب لهذه المزرعة عيناً ، فساوم أهلَ السلامةِ على عينها ، وكانت مملوكةً لبعض من الأشراف ،

فوافقوه على بيعها ، فاشتراها منهم وعمرها ، وشقَّ لها دَبْلاً من السلامة ، حتى أوصله (شبرا) وجعل عليه من حذاء سور الطائف من الشرق ثلاثَ خرزات مفتوحةٍ ، لسقيا أهل الطائف ، فعرفت من ذالك الحين بعين شبرا ، أو عين الطائف ، ودَبْلُها يصعد مع وادي (وَجٍّ) حتى يتجاوز مزارع المثناة جميعاً ، والدُّمينيَّة ، وعلى محاذاة مزارع الكَدَا من الشرق بطرف الوادي تقف أُمِّيَّتها بالقرب من أُميَّة الفيصلية هذه بطرف الوادي وتلك فوقها غرباً ناحية الحزم ، لا يفصل بينهما أكثر من مئتي متر تقريباً ، وهي الآن من مصادر مياه الطائف ، ونصاب وجباتها ست وثلاثون وجبة .

وبشبرا قصر شبرا المشهور ، الذي أصبح تحت رعاية ـ (إدارة الآثار بمديرية التعليم بالطائف) ـ وهو من أجمل القصور وأفخمها في مملكتنا المجيدة ، بناه الشريف علي باشا في أوائل العشرينات من القرن الرابع عشر الهجري ، حينما كان أميراً على مكة المكرمة بعد عمه الشريف عون الرفيق . وأما (شبرا المزرعة) فقد شملها العمران ، وأصبحت من أجمل أحياء الطائف ، لما قام فيها من عمائر كبيرة ، وشوارع فسيحة .

٩ ــ **عين الْـجَال** : الجال ذكره ياقوت[٧] محرفاً بالحاء المهملة ، على أنه من مخاليف الطائف . وهو مزارع كثيرة ، وضَيْعة كبيرة تقع شرقي وادي (وَجّ) بما يقرب من الكيل ، وكان لها خليج مرصوف بالحجارة إلى الوادي عُبِّدَ مكانَه شارعٌ سمي (شارع الجال) ، وهي الآن تقع شرقي حي القُمْرِيَّة ويحفها من الغرب شارع القُمْرِيَّة الدائري الذي يقع في غربيه سوق الخضار ، الذي أنشأته (البلدية) ثَمَّة ، وهي الآن تُعَدُّ من ضمن مدينة الطائف ، إذ تجاوزها العمران من جميع الجهات ، إلا أنَّ مزارعها لازالت كما هي .

وقرية الجال هي مسقط رأسي ، وملعب طفولتي ، ومجمع أهلي وبني أبي ، إذ أنها من مخلفات الجدِّ الشريف عبدالله بن سرور ، ومن ضمن أوقافه ، التي لازالت تحت أيدي عقبه من بعده حتى الآن . وأما عينها فهي من أطول عيون الطائف ، فَدَبْلُها يقرب حتى يصل الوادي فيتبطَّنُهُ مُصْعِداً معه ، حتى يصل جبلي

(البازِم) فيتفرع منه دَبْلٌ يخترق حارة الشرقية ، يقول أشياخنا : إنه يصل إلى وسط المدينة إلى قرب مسجد الهادي ، وأما الدبل الرئيسي فإنه يستمر في صعوده مع الوادي ، حتى يصل مبنى الهاتف هناك ، فيتفرع منه دَبْلٌ آخر يخترق مزارع (حَوَايَا) قديماً ـ النزهة حديثاً ـ متجهاً جنوباً لا يعرف منتهاه ، ويستمر الرئيسي مع الوادي على طرفه الجنوبي حتى يتجاوز جسر السَّدَاد الآن ، إلى رَكِيْب كان هناك يسمى الزُّغاف ، فتعترض الدبْلَ صفاةٌ تَسُدُّهُ ، وفي أعلاها كُوَّةٌ مثل السَّرب ، يسح منها الماء ، وما خلفها من الدبل لا يعرف منتهاه ، وجميع هذه الدبول الآن ركبها العمران ، واعتلتها الدور ، وأصبح ماءُ العين آسِناً غير نقيٍّ ، لما يتسرب إليه من مياه المجاري ، وهي ليست عِدًّا ، كانت كثيراً ما ينضب ماؤها ويَجِفُّ دَبْلُها ، ونصاب وجباتها ست وثلاثون وجبة .

١٠ ـ عين القطبية : القطبية مزرعة تقع على وادي (وَجٍّ) حَذْر الجال ، في غربي مزارع (قَمْلَةَ) وعينها دامرة من قديم ، لحقنا بعض آثار دَبْلِها بطرف مُسِيل (مغيظ الجال) غربي جبيل أسود هناك ، بني على متنه الآن عمارة سكنية ، ويتجه دبلها إلى الغرب ، مخترقاً حَيَّ القُمْرِيَّة الآن حسبما كان ظاهراً من آثار خرزه قبل عمارة تلك الناحية ، ولطول الزمن على خرابها لا يعرف عن دبلها ولا عن أميتها شيء ، وأما المزرعة فلا زالت عامرة ، وتسقى مزروعاتها من آبار خاصة بها ، وقد أصبحت الآن في كنف مدينة الطائف من جميع جهاتها . وهذه العين لم أجد لها ذكراً فيما اطلعت عليه من كتب التاريخ ، ولكن اسمها يغريني بالقول أنها كانت للشيخ القطبي ، أحد علماء مكة في القرن العاشر الهجري ، صاحب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » و «البرق اليماني» وغيرهما من المؤلفات ، لأن التاريخ يحدثنا بأن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان كثير التنزهات في الطائف ، وأنه كان يصطحب معه بعضاً من العلماء والأدباء ، ينفق عليهم ويقوم بكفايتهم ، فغلب على ظني أن اسم هذه المزرعة ما أطلق عليها إلاَّ نسبةً إليه .

١١ ـ عين قملة : قَمْلَة اسم يطلق على مزرعتين ، تقعان على وادي (وَجٍّ) الجنوبية منهما تقع شرقي القطبية لا يفصل بينهما إلا الهضبة المعروفة بهضبة قَمْلَة ،

وهي لفخذٍ من العِمْرِيَّة العُصَمَة ، يعرفون بالمواشل . وأما قملة الأخرى فهي التي لها العين ، وتقع شمالي مزرعة العُصَمَةِ ، لا يفصل بينهما إلا مجرى السيل الآتي من وادي وج ، وهذه كانت للأشراف آل عون ، ثم خرجت بالبيع إلى محمد صالح كشميري ، من أهالي الطائف ، في أوائل السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري ، وهي في ملكه حتى الآن ، وهذه العين ذكرها العجيمي(٨) بقوله : (وبالقرب منها ـ يعني أُمَّ خُبْزٍ ـ موضع يسمى قَمْلة ، كانت فيه عين فانقطعت ، وبه الآن بستان) وهي كما قال العجيمي ، عرفتها دامرة ولكن آثار دبلها ظاهرة ، وحينما اشتراها الكشميري تتبع دبلها ، وأصلح خرابها ، فنزَّتْ مُدَيْدَةً ثم انقطعت .

ودبلها يتبطَّنُ وادي (وَجّ) مُصْعِداً معه ، حتى يتجاوز مزارع الريَّان ثم تقف أميتها هناك ، بطرف الوادي من الغرب ، أمام مدرسة للبنات هناك . ولبعد الزمن على خرابها لم يُعْرَفْ نصاب وجباتها .

١٢ ـ عين شويحط : مزرعة شُوَيْحِط تقع على وادي الحلقة ، ولكن لها خليج وشِرْبٌ من وادي العَرْج ، وعينها من العيون الدامرة قديماً ، حتى بعثها في الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري أصحابها الأشراف ذَوُوْ فوَّاز بن ناصر العبادِلَة ، فأصلحوا خرابها ، وتتبعوا دبلها حتى نهايته ، فجرت مُدَيْدَةً قصيرة ثم نضبتْ وانقطع ماؤها .

ودَبْلُها يصعد مع وادي العَرْج ، حتى يصل حذاء مزارع (زريقاء) فتقف أميتها هناك في قَوْزٍ جنوبي مزرعة النِّعِـي(٩) وهي عين (فليس) لم تجر بعد انقطاعها من ذالك التاريخ ، رغم ما جاء من سيول عظام ، وأمطار غزيرة .

١٣ ـ عين العُقَيْلة : العُقَيْلَةُ مزرعة تقع على وادي (العَرْج) بالعدوة اليمنى منه ، ولها عين ليست على غرار العيون العُدُود في الدبل والخرز والعُمْقِ في الأرض ، وإنما لها مثل الدبل كمجرى للماء ، من مكان بالوادي ليس بالبعيد ، يَنْجُلُ عندما يجود السحاب ، ويتوالى الحيا ، فينساب الماء مع ذالك المجرى حتى

يصل المزرعة ، وهذا النوع من العيون يسمى في منطقة الطائف (قَرِيْحَة) وهو مسمًّى له حظٌّ من الفصحى .

١٤ ــ **عين العقرب** : على اسم الحشرة السامة ، ضيعة واسعة ، تقع على وادي (العرج) بجاله الأيسر للمنحدر معه ، وهي من أكرم المزارع وأخصبها في تلك الناحية ، يقفُ خلفها من الغرب ضِلْعُ (الصالح) وهو ضلع أسود ، يمتدُّ من الشمال إلى الجنوب ، يقع عنه غرباً وادي شَرِب ، وعينها تفرغ في بركة كبيرة جنوبي المزرعة ، ومنها ينساب الماء إلى المزرعة ، ودبلها يتبطَّنُ الواديَ مُصْعِداً معه ، حتى يصل منتهاه عند أُمِّيَّتِها التي يذكر العارفون أنها تقف حذاء مزارع (الفَرايد) بالوادي ، وهي عين ضحضاح ، لا تجري إلا في أعقاب السيول ، وغزير الأمطار ، وملكها الآن (للعثامين) من عدوان ، عَقِب عثمان المضايفي الأمير المشهور .

١٥ ــ **عين أم هيثم** : وتسمى أيضاً العُقَيْرِبَ بالتصغير مزرعة تقع بجوار العَقْرب من الشمال ، وعينها دامرة من القديم ، ولا يعرف اتجاه دَبْلها ، ولا موقع أُمِّيَّتها ، حدثني الشيخ سعد بن علي العدواني أن جدَّه عبدالله بن عثمان أراد عمرانها ، ولكنه عندما بدأ في العمل انهجم الدَّبْلُ على من فيه من العمال فقضى عليهم فتشَاءَمَ من عمارتها وتركها ، فهي على حالتها وخرابها حتى الآن .

١٦ ــ **عين البستان** : البستان مزرعة تقع في أول وادي الأُخَيْضِرِ ، على جاله الأيسر ، في مُسَامَتَةِ العقرب أسفل منها بما يقرب من ثلاثة أكيال تقريباً ناحية الشمال . وعينها تُصْعِدُ مع الوادي متبطِّنَةً له إلا أنها مجهولة الأميَّةِ لبعد الزمن على إصلاحها ، ويقال : إن لها دَبلين دَبْلاً يذهب مع وادي العرج ، ودَبْلاً يغرِّبُ من تحت جبل (الصالح) حتى يصل وادي شَرِب ، وهي عين ضحضاح لا تجري إلا في أعقاب الرَّجْع والحيا . وملكها الآن لذوي أحمد ، من الأشراف ذوي حَرَازٍ ، ومن ضمن أوقافهم .

١٧ ــ **عين المبعوث** : هذه العين دامرةٌ من القديم ، ولا تعرف أميتها ، ولا مبدؤها ، وإنما يذكر المعمرون في تلك الناحية ، عما يرويه الخلف عن

السلف ، أن بالمبعوث عيناً ، ولكن من أين وإلى أين ؟ لا يعرفون ، وفي أواخر القرن الرابع عشر الهجري عام أربعة وتسعين وثلاث مئة وألف على ما أذكر تتابعت الأمطار ، وتعاقبت السيول على تلك الناحية ، فنبعت العينُ مع خرزة من خرزها بوسط الوادي جنوبي ضلع (الْـخَلَص) المعروف في تلك الناحية ، والمذكور في بعض المراجع بأنه من أعلام (عكاظ) وقد حاول أهل الدِّيرة ذَوُو جُود الله الأشراف تنظيفَ الدبل وإصلاحه وتتبعه ، وقد فعلوا قدر جهدهم ثم توقفوا عنه لضعف إمكاناتهم المادية والفنية ، فبقيت على حالها ودمارها حتى الآن ، ولكن من جراء ماعملوا ظهر أن دبلها متبطن للوادي مُسَنَّدٌ معه .

وهذه العين ذكرها عرام في رسالته المشهورة « أسماء جبال تهامة وسكانها »[١٠] عند ذكره لعكاظ حيث قال : (وعكاظُ صحراء مستوية ، ليس لها جبل ولا علم ، إلاّ ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية) ـ إلى أن يقول ـ: (وحذاؤها عين يقال لها خُلَيْص للعمريين ، وخليص هذا رجل وهو ببلاد تسمى رُكْبَةَ) الخ . وقوله (رجل) هو بلا شك تحريف (جبل) ، وإلاّ فما معنى قوله : (وهو ببلاد تسمى ركبة) . وجبل الخلص هو على حافة أعالي ركبة من الغرب ، وهذا النص يعطينا تأكيداً أن هذه العين معروفة منذ العصور الأولى في الإسلام ، ولكنها خربت بعد ذالك .

والمبعوث لم أجد له ذكراً فيما اطلعت عليه من المراجع قبل « سمط النجوم العوالي » للعِصَامِي ، فالمؤلف ـ رحمه الله ـ ذَكَرَهُ مراراً في كتابه ، ويظهر مما ذكره أن المبعوث في عصره كان مصيفاً لأمراء مكة وأشرافها ، ومنطلقاً لغزواتهم إلى أهل أواسط الجزيرة ومن يصاليهم من القبائل المتمردة ، وأَكَّدَ ـ رحمه الله ـ أنه أتاه بنفسه ، ونزل فيه على حمود بن عبدالله قال : وكان[١١] مولانا السيد حمود ـ رحمه الله ـ نازلاً بالمبعوث في المربعة المنسوبة إلى مولانا السيد محمد الحارث ، وكنت إذْ ذاك نازلاً عنده في تلك البقعة ، وصلت إليه اشتياقاً لِـمُحَيَّاهُ السعيد ، وفرحاً بعد طول الغيبة بأُنْسِ الرجعة) الخ . وفي المبعوث آثار مزارع وبئار ودور وقصور ، شاخصة للعيان ، يرى بعضها من طريق الرياض المعبَّد ، يرجع قديمها على ما أرجح إلى القرن الحادي عشر الهجري ، أو ما فوقه بقليل ، وهي من آثار

أمراء مكة وأشرافها ، وليست كما ظن بعض الكتاب أنها من بقايا سوق عكاظ ، أو من آثاره الجاهلية ، فأين للجاهليين في عكاظ البناء بالجص والنورة وإتقان الأقواس والعقود ، التي لازال بعضها قائماً حتى الآن ، وهذه المنطقة قد أوفاها حقها من البحث والتقصي حبيبنا الكريم الشيخ حمد الجاسر - في رسالة أسماها «سوق عكاظ» فمن أراد التثبت فليرجع إليها .

وادي (قَــزْوَى)

يأخذ أعلى مسايله من حجرة آل حُميدان القرشيين ، وجبلِ الغُمَيْر ، وما هنالك من هضاب ووهاد ، غربي مدينة الطائف ، وبعد تَكَوُّنِ الوادِي وانحداره إلى الشمال أول مزارع تقع عليه مزارع (العقيق) وبعد تجاوزه إياها تقع عليه مزارع أمّ خُبْزٍ ، والحزمان والشبيرية[١٢] - بياءين - والـمُلَيْسَاء التي يلتقي من بعدها بوادي مسَرَّة فيكوّنان وادياً واحداً يعرف بوادي (القَيْم) وهو من أشهر أودية الطائف بكثرة مزارعه ، وجودة عِنَبِه ، وكان قديماً مشهوراً بالقمح فنسبت إليه الحنطة اللُّقَيْمِيَّة .

ويرفده من الغرب بعض التلاع والوديان الصغيرة ، الآتية من حِمَى الحمدَةَ ، والضَّبط ، كالعريجاء والـحَفْيَا ، ويظل باسمه هذا حتى يتجاوز مزارع أُمِّ الـحَمْضِ فتقع عليه مزارع (القُدَيْرة) فيأخذ اسمها عند بعض الناس ، وبعد أن يجتازها يستمر الوادي في انْصبابه صوب الشمال الشرقي ، ترفده بعضُ التلاع والنواشع الآتية من حَزْمُ (القُمَيْع) حتى يتجاوز (الـحَوِيَّةَ) جاعلها غرباً عنه ، حيث يرفده وادِي الـحَوِيَّة ، وهو أكبر روافده في هذه الناحية ، ومن ثَمَّ يطلق عليه وادي (شَرِب) ويقع عليه بعد هذا المسمى ضياع ومزارع كثيرة ، جُلُّها للأشراف الشنابرة ، والخماميش من عدوان ، والنباعين من العُصَمَةِ . وآخر مزرعة تقع عليه قبل التقائه بوادي الأُخَيْضِر (العِوَاجِيَّة) وبعد تجاوزه إياها بيسير يلتقي بوادي الأُخَيْضِر فيكوّنان وادي المبعوث كما مُرَّ في وادي (وج) .

(العيون على وَادِيـيْ قَرْوَى وشَرِب) :

١٨ ـ عين قَرْوَى : عين خراب دامرة ، كانت بعض آثارها شاخصة في غربي محلة (قَرْوَى) بطرف الوادي ، مما يلي حجرة آل حميدان القرشيين ، لا يُعْرَف مَبْدَؤُها ولا منتهاها ، ولا اسم مزرعتها التي كانت تسقيها ولا أين تقع ، وقد ركبها الآن العمران فلم يُبْقِ لها أثَراً .

١٩ ـ عين الحوش : الـحَوشُ مزرعة بوادي شرب ، تقع على جانبه الأيسر ، لها عين دامرة من القديم ، ولكن آثارها شاخصة ، ويظهر أن خرابها نسبيًّا ولم يكن جائحاً ، لأنها في بعض الأحيان تجري متى تتابع الرجع وتكاثرت السيول ، ودبلها يتبطَّنُ الوادي ، إلا أنه مجهول المنتهى ، وغير معروف الأمية ، وكانت هذه العين من أملاك الأشراف الشنابرة ، ثم انتقلت بالبيع إلى سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، ولازالت في ملكه حتى الآن .

٢٠ ـ عين العَواجيَّة : العواجية مزرعة تقع على وادي (شرب) وهي آخر مزرعة عليه ، ولها عين كانت دامرة ، ولكنها لما آلت إلى الشريف علي بن الحسين آل عون تتبع دبلها فنثله ، وأصلح خرابه ، فجرتْ مُدَّةً ثم جَفَّتْ ، ويقول بعض المعمرين ممن لحقنا : أن الشريف علي لم يعمر إلا القليل من دبلها ، وأما الأكثر فهو خراب حتى الآن ، ودبلها يصعد مع الوادي ، ولكنه مجهول الأمية . وقد آل ملكها الآن إلى سمو سلطان بن عبدالعزيز .

وادي (جَفْـن)

وادي جَفْنٍ يعرف الآن بوادي ثُـمَالَة ، نسبة إلى قبيلة ثُمالة التي تسكنه ، وتملك جُلَّ مزارعه ، من أعلاه إلى أسفله . وهو يأخذ أعلا مسايله من بلاد (العُبَلَةِ) و (رَبيع) وترفده تلاع وشعاب ونواشع كثيرة ، مما يكتنفه من جبال ووهاد ، وبعد أن يتجاوز السَّدَّ يأتيه من الشرق وادي (آل عمر) ومن عند الأصَيْفِر وادي (الضَّبَاعِين) وهما واديان كبيران ، يأخذان أعلى مسايلهما من ديار (الثُّبَتَة) من بني سَعْدٍ ، وبعد تجاوزه لمزارع الصُّخَيْرَة ـ تصغير صخرة ـ يأتيه من

الجنوب وادي بني سالم ، وهو واد كبير ، يتكون من ثلاثة فروع : الأوسط منها يسمى (مُرَحِّض) - بضم الميم وفتح الراء والحاء المهملة مثقلة والضاد المعجمة - والشرقي يسمى (الـحَجْلاَء) والغربي يسمّى (قُرَيْضَة) وتجتمع قبل أن تلتقي بجفن ، وكل هذه الأودية عامرة ، ومنظومة بالقرى والمزارع وآهلة بالسكان . وعندما يصل جفن إلى مزارع الأشراف (الفُعُور) المعروفة بِعُمْقَان يأتيه من الجنوب وادي (عُمْقَان) وهو وادٍ يأخذ أعلا مسايله من حِـمَى عوف ، وغربي ديار بني سالم ، وما أقبل إلى الشرق من جبال (لِيَّة) ومن هناك يفرغ جفن في وادي (لِيَّة) ويعد أكبر رافد له ، وجفن فيه السد المشهور (السد السَّمَلَّقِي) في منطقة الطائف وهو سدٌّ أثري عظيم ، يرجع بعض الباحثين عمارته إلى العهد الأموي .

وعلى متن السدّ صخور عظيمة الكبر ، يقف العقل حائراً أمامها لمعرفة الوسيلة التي رُفِعَتْ بها هذه الصخور في هذه الناحية النائية عن مراكز الحضارة ، وخاصة في تلك العصور القديمة التي لا تملك الإمكانات الفنية والآلية الموجودة لدينا اليوم ، ولا شك أنها وسيلة عبقرية ، مكنتهم من بناء مثل هذا السد العظيم .

وجَفْـنُ ذكره ياقوت[١٣] على أنه ناحية بالطائف ، واستشهد على اسمه ببيت لمحمد بن عبدالله النُّمَيْري الثقفي وهو قوله :

طَرِبْتَ وهاجَتْكَ الْـمَنَازِلُ مِنْ جَفْنِ ... أَلَا رُبَّـمَا يَعْتَادُكَ الشَّوْقُ بِالْـحُزْنِ

(العيون على (جِفْـن) :

٢١ ـ عين الأُصَيْفر : الأُصَيْفر ـ بالفاء بالتصغير ـ ضيعة كبيرة ومزرعة كريمة ، تقع على جانبي الوادي قبل التقائه بوادي (الضُّبَاعِيْن) .

وعينها على ما أسمع يظهر أنها ضحضاح ، إنْ أُغِيْثَ الوادي وسال مشتْ وجرتْ وإن شَـحَّ السحابُ أقطعت، وجفَّتْ . ودبلها يُصْعِدُ مع الوادي حتى يصل أميتها التي يُرَجِّحُ أهلُ المعرفة هناك أنها بقرب السدِّ من دونه ، وهي الآن تُعَدُّ من العيون الميتة الدامرة ، لانقطاعها منذ مدة طويلة ، وأما المزرعة فتسقى من آبار خاصة بها ، وهي في ملك الأشراف (ذَوِي شَرَّيْنِ ، الفعور) .

٢٢ ــ عين شِيْحاط : شِيحاط مزارع تقع على وادي (جَفْنٍ) بأسفله قبل وصوله إلى عُمْقَان . وعينها كانت كثيرة الانقطاع لا تجري إلا في سنين الرخع والحيا . ودبْلُها يُصْعِدُ مع الوادي ، وكان معروفاً إلى وقت قريب ، إلّا أن أميتها مجهولة الموقع ، وقد أخبرني أخي وصديقي الشريف فهيد بن فهد الفِعْر ، أنَّ أميتها ـ على ما يسمع ـ بالوادي حذاء الصُّخَيرة . وهذه العين ذكرها شرف البركاتي في رحلته(١٤) على أنها من عمارة الشريف حمزة بن عبدالله الفعر ، قال : (وفي هذا الوادي عين جارية ، حفرها الشريف حمزة الفعر العبدلي ، ولكنها تارة تسيل وتارة يمتنع سيلها ، إذا كف السيل عن الوادي ، وذالك لعدم تمام عمارتها إلى النهاية) الخ .

والعين ليست في الحقيقة كما ذكر البركاتي بأنها من عمارة الشريف حمزة الفعر ، ولكنها عين قديمة لا يعرف من حفرها ولا من أجراها ، وإنما الفعر ـ رحمه الله ـ كان يَرِمُّ من دبلها وخرزها ما يطيق على قدر جهده ، وهي الآن خراب وملكها يعود للأشراف ذوي زيد (الفُعُور) .

٢٣ ــ عين دحنا : دحنا اسم يطلق على منطقة واسعة ، تقع في شمال (رِحَاب) بها آثار سدود وعمارة قديمة ، ومن ضمن مابها من آثار دَبْلُ عينٍ وبركة لها ، يذكر بعض الرواة أن الشريف زيد بن فواز العبدلي أمير الطائف في أوائل القرن الرابع عشر الهجري تتبع دبلها وأصلح خرابها ، فنزَّت قليلاً ثم أقطعت ، فاجتاحها الدمار بعد ذالك ، وهي الآن تُعَدُّ من العيون الميتة التي لم يسمع أنها جرت لما يقرب من قرن من الزمان ، ودَبْلُها ـ على ما أسمع ـ قصير الـمَدَى ، لا يتجاوز الحزم القائم من (دَحْنَا) جنوباً والذي يظن أن أميتها به .

و (دَحْنَا) على ما يظهر أنها كانت في يوم من الأيام ضيعة زراعية ، لها شهرة ومكانة ذكرها ياقوت(١٥) بقوله : (قال ابن إسحاق ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف إلى (دَحْنَا) حتى نزل الـجِعْرَانَة ، فيمن معه من الناس فقسم الفيء واعتمر ، ثم رجع إلى المدينة ، وهي من مخاليف الطائف) انتهى . والـمِخْلَافُ في عرف الأقدمين لا يطلق إلا على منطقة بها قرى وضياع زراعية ،

ولكن قد مَـرَّ عليها دهرٌ وهي خراب . وأما في عصرنا الحاضر فقد قامت فيها مزارع حديثة كثيرة ، تعتمد في رَيِّ زراعتها على الآبار العادية التي حفرت بها . وقد أتت هذه المزارع على ما كان بها من آثارٍ إلا القليل ، وهي اليوم في ملك الأشراف ذوي ناصر العبادلة .

٢٤ ــ عين مُرْع : (مُرْعُ) وادٍ يأتي من سَرَاة طُوَيْرقٍ من ثَقِيف ، به آثار قرى كثيرة ومزارع ، وأساسات جدر وعطاف ، قد مَـرَّ على خرابها قرون طويلة ، يدل على ذالك رموس آثارها الباقية . ويُفْرِغُ (مُـرْعُ) في وادي (قَرْنٍ) من الناحية الجنوبية ، بالقرب من بلاد زراعية هناك تعرف باسم (بلاد راضي) يملكها الشريف غازي بن زيد بن فواز العبدلي ـ رحمه الله ـ لازالت في ملك أولاده من بعده .

وقبل بضعة أعوام كثرتِ الأمطار على تلك الناحية ، وتتابعت السيول الجارفة ، فكشفت عن دبل عين به ماءٌ ، فدل ذالك على أنه من آثار عين دامرة ، لَـمْ أجد من يعرف عنها شيئاً ، لا من أين تأتي ولا أين تنتهي ولا أين كانت مزرعتها .

وَادِي (قَــرْن)

يأخذ أعلى مسايله من بلاد قُرَيْشٍ وديارها ، ويتكون من ثلاثة فروع رئيسة . الأول : وادي (الشِّـق) ـ بكسر الشين المعجمة بعدها كاف ـ ويأخذ أعلا مياهه من جانب جِـمَـى قريش الشمالي . الثاني : (السُّـرَب) ـ بضم السين المهملة وفتح الراء وآخره باء موحدة ـ ويأخذ أعلا مياهه من رؤوس جبال (عَلَق) والأرواع الموصلة إلى الضَّحياء .

الثالث : (الخـش) ـ بضم الخاء المعجمة وآخره شين معجمة ـ وأعلاه يسمى (مَغَل) ـ بالفتح والغين معجمة ـ ويأخذ أعلا مياهه من جبال (الـحَبَلَة) ـ بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة واللام وآخره تاء ـ وكل واد من هذه الأودية يصب فيه شعاب وتلاع ونواشع كثيرة لا تكاد تحصر . وبعد اجتماع هذه الفروع جميعاً

وتكوينها للوادي الفحل ، يمرُّ على قرى ومزارع لقريش فيسمى من عندها بـ (الغَدِيْرَيْن) وبعد تجاوزه مزارع قريش هذه يمر على مزارع وقرى للنمور من ثَقيف ، يخترقها طريق مكة المكرمة عَبْرَ عَقَبَةِ (كَرَا) فيسمى الوادي من هناك (وادي الـمَحْرَم) لكونه ميقات الإحرام لمن أراد حَـجًّا أو عمرة ، وعلى جانبه الشرقي يقع مسجد الميقات الحديث ، عن يمين الطريق المعبد ، والقديم عن يساره ، كان على طريق الدواب على طرف الوادي ، ويظل هذا الاسم رديفاً لقرن على طول الوادي ، وبعد تجاوزه لقرى النمور التي من أشهرها قرى القِبْسَةِ والمشاهِبَةِ واللُّوَامِيَة ، والمشاييخ ، والدار البيضاء ، يمر على مزارع وقرى لِـ (طُوَيْرق) من ثقيف ، من أشهرها الـمُلْتَوَى ، والدار والـحُرْقة ، ثم تنقطع عنه المزارع حتى تَصل (رحاب) نازلة عنه شرقاً فيأتيه مسيل (وُدَيْمَة) ثم (دَحْنَا) من الشرق ، وبعدهما يأتيه من الغرب الجنوبي وادي (مَـرْع) آتياً من بلاد (طُويرق) بالقرب من مزرعةٍ ثَمَّةَ ، تعرف ببلاد راضي ، ومن هنا يكتنفه من الشرق (حُزَيْمُ فواز) ومن الغرب (حُزَيْم طويرق) وهي كانت أحماء فيما مضى ـ والوادي في مسيرته هذه يرفده الكثير من الشعاب والتلاع والوديان الصغيرة حتى يصل (السيل الكبير) وعند تجاوزه لعمران السيل يأتيه من الشرق وادي (الـمُلَيْح) المذكور في مسير النبي عليه الصلاة والسلام إلى الطائف بعد حُنَيْنٍ ، وهو من أكبر روافده في تلك الناحية ، وبعد تجاوزه لديرة الثُّبَتَةِ ينقطع عنه اسم قَرْنٍ ، وتختلط به أودية كثيرة حتى يفرغ في وَادي (نَخْلَةَ الشَّامِيَّة) وقرن يعتبر أعلى مسايل وادي نخلة الشامية الذي يعد من الأودية الفحول في تهامة .

ويحاذيه من الجنوب وادٍ فَحْلٌ آخر هو (نخلة اليمانية) يأخذ أعلا مسايله من أودية الهَدَى (الهدة) وحِـمَـى النمور ، وبلاد طُويرق ، وديار الـجَوَازِيْن ، وأودية الشُّرقَةِ والشريف[١٦]، عبر رافدين كبيرين هما (الكُفُـوُ) والشعب الأحمر ، وأما مسايله القريبة فهي تأتيه من (البُهَيتَةِ) ـ البوباة ـ وما حولها من هضاب وجبال . وبعد التقاء النخلتين عند (الـجَدِيدة) يسمى بوادي (الزبارة)[١٧]، ويظل بهذا الاسم حتى يتجاوز (عين المبارك) فيسمى بوادي الشَّرِيف ، أو وادي فاطمة ،

وهو (مَـرُّ الظهران) قديماً ، ثم يمر على (حَدَّاء) مخترقاً الـخَبْت الواقع عنها جنوباً حتى يقتحم في البحر الأحمر جنوبي جُـدَّةَ .

٢٥ ـ عين الدار البيضاء : الدار البيضاء قرية ومزارع في وادي (الـمَحْرَم) على جانبي الوادي ، حَذْرَ مزارع المشاييخ وقريتهم . وهي ضيعة كبيرة ، ومزارع كثيرة ، تكاد تكون أعظم مزارع على وادي (الـمَحْرَم) وقريتها أكبر قرية في الوادي ، وأهلها حسب عرف قبيلة النمور يُعَدُّونَ رُبُـعَ القبيلة ، لكثرتهم وهم عدة أفخاذ من النمور[١٨].

وأما عينها فقد أخبرني بعض العارفين بأن دبلها يُصْعِدُ مع الوادي ، متبطناً له حتى يصل حذاء قرية (القِبَسَةِ) بوسط الوادي ، حيث تقف أميتها ، وهي عين ضحضاح كثيرة الانقطاع ، لا تجري إلا في سنين الرجع والحيا . وهي مملوكة لأفناء من الناس ، ونصاب وجباتها اثنان وأربعون وجبة ونصف ، وهو أكبر نصاب عين في المنطقة ، إذْ أن أغلب العيون بمنطقة الطائف كان نصابها ستة وثلاثين وجبة .

وادي (لِيَّـــة)

يأخذ أعلى مسايله من سَرَاة بني سُفْيان من ثقيف ، ويتكون من فرعين رئيسين هما وادي (غَدِير البَنَات) وهذا يأتي من جِـمَـى بني عمر ، ويفرغ في وادي خُمَاس المسمى أسفله بالأُقَيْلِح ، وأكثر جبال بني سفيان الشرقية ، وأعلى مسايله يأخذها من الفَرْع وجبال (دَكا) و (شعار) ، ثم ترفده شعاب ومسايل قُرْنيت من بلاد (آل ساعد) وهو جبل سامق ، يراه المقبل على الطائف من الشرق والشمال كأعلى جبل في سراته ، له قمة ذات رأسين .

وبعد تجاوز الوادي ديار بني عمر ، ترفده مسايل (عَفَارِ) آل (حَـجَّة) وهو غير (عَفَار قُريش) ثم إذا أسهل قليلاً يأتيه مسايل جِـمَـى عوف من الشرق .

والفرع الثاني لوادي (لِـيَّة) هو وادي عُرَضَة ، وهذا يأخذ أعلى مسايله من جبال (القُرَّة) و (الـخُلَّاص) والجبال الشرقية الشمالية من ديار آل حجة من بني

سفيان ، ثم ينحدر مخترقاً بلاد قريش يُـمِدُّهُ منها كثير من الشعاب والتلاع ، حتى يلتقي بِغَدير البنات ، فيكوِّنانِ وادي (لِـيَّةَ) وبعد التقائهما بقليل وفي مضيق هناك أُنْشِـيَ سـدٌ حديث لحفظ مياه السيول ، والانتفاع بها لريٍّ المزارع وإثراء المياه الجوفية في المنطقة وأول مزرعة تقع عليه بعد السّدّ تسمى (أبو حِـجارة) .

وهو وادٍ عامر ، ومنظوم بالقرى والمزارع ففي أعلاه قرى ومزارع لبعض أهل الطائف الحاضرة ، ولذوي سلطان الأشراف (الفعور) ثم قرى ومزارع (عوف) ثم مزارع الأشراف (الشنابرة) ثم مزارع وقرى آل زيد بن سليم (الفعور) الأشراف ، ثم مزارع الفِتَات ، ثم مزارع آل بركات (العبادلة) ثم قرى ومزارع الزُّوَران من (عتيبة) ، وهي تكاد تشغل النصف الأسفل من الوادي ، وهناك أملاك ومزارع لأفراد غير من ذكرنا لا يتسع البحث للتقصي وذكر أسمائهم .

وعندما يصل الوادي إلى مزارع (الفعور) المعروفة بِعُمْقَان ، يأتيه من الشرق وادي (جَفْن) وهو واد كبير ، ويعد أكبر رافد لوادي (ليَّة) وعند تجاوزه لمزارع الوهابية وجسر طريق الجنوب المقام على الوادي يأتيه من الشرق وادي سمنان ، ومن الغرب وادِي اليُسْرَى ، الذي كان اسمه (الضُّيْقَة) فأسماه الرسول عليه الصلاة والسلام اليسرى[١٩] ، وذالك عند مروره عليه بعد غزوة حُنَيْنٍ ، لحصار أهل الطائف ، قال ابن هشام : (ثم سلك في طريقٍ يقال لها الضُّيْقَة ، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال : « ما اسم هذه الطريق ؟ » فقيل له : الضيقة فقال : « هي اليسرى » ثم خرج منها على نَخِب) وهي كما قال ابن هشام أعلاها يخرج على وادي نَخب . والوادي في مسيرته هذه تُمِدُّهُ تلاع ونواشع كثيرة من كلا جانبيه ، وإذا تجاوز مزارع الـجُمَّع (ذوى جُمْعَة) من الزُّوران يأتيه من الشرق وادي شُرُس ، وهو وادٍ ليس بالطويل ، يأخذ أعلا مسايله من هضاب وجبال السِّـرِّ .

وعندما يصل وادي (ليَّة) إلى المزارع المسماة بالمختلطة المناوحة لمزارع (خَـدِّ الحاج) على الجانب الأيسر للوادي يأتيه من الغرب وادي نَخِب ، وهو وادٍ متوسطُ الطول يأخذ أعلى مسايله من القَرَاحِين ، وهضاب وجبال أُمِّ العَرَاد والرِّدْفِ

والسِّدَادِ ، والتُّومَان والوَشْحَاء ، وهو عامر بالمزارع والقرى ، من أشهرها أُمّ سباع وقد وصلها عمران الطائف ، والقُنَيْنَة ـ تصغير قُنَّة ـ والدار العُلْيا وقُصْعَان ، وهي قرية بُذَيْوي بن جُبْران الوقداني ، الشاعر الشعبي المشهور ، وقرية الهباهبة ، والصور ، وظُـهَـيّ ، والنّشارِيّة والسِّنَانِيَّة ، والدَّمْجاء ، والزَّهرانية ، وتسكن وادي نخب قبيلةُ وَقْدَان من عُتَيْبة .

ثم إذا تجاوز لية (خَـدَّ الحاج) والرُّميدة والقويسم أُطْلِق عليه من هناك اسم (جَلِيل) فيقع عليه قُرى ومزارع كثيرة ، أغلبها لِلْعُصَمَة الوبارى ، والشجاعين ، من أشهرها الدهماء ، وظبية ، والهيشة ، والسُّرَيج ، والفُقَيَّة ، والبَاسَة ، والفُضَيَّة ، والبِيْشِيَّة ، والثابِتِيَّة ، والـخُضَيرة ، وَزَحَّام ، وفَوْزَان ، والصانعيَّة ، والـخُفَيْج ، وأبو سليلاء ، وبعد انقطاع مزارع (جليل) يصل الوادي إلى بلاد (عَذْوان) فتقع عليه عدة قرى ومزارع ، هي أم الشُّرَم ، والعُبيلاء ، والمجانب ، وصُلَّبَة ، والباردة ، وهي آخر مزرعة عليه ، وبعد تجاوزه للباردة يأتيه من الجنوب وادي (لُوَان) ـ بضم اللام وفتح الواو بعدها ألف فنون ـ وهو وادٍ ميت ، يأخذ مسايله من هضاب الشَّط ، وقفافِه ، وبعد التقائهما بقليل يطلق عليه اسم (الـجُفُر) ويعرف بوادي العُصَمَة ، تقع عليه بثار للبادية ، ويستمر الوادي في انحداره إلى (رُكْبَة) حتى يحاذي جبل (البَرْثِ) من الشمال الغربي ، فتقع عليه هناك بثار لبادية العُصَمَة ، تسمى (سَوَامِيد) ـ واحدتها سامودة ـ هي آخر مورد عليه لبدو تلك الناحية ، وبعد تجاوزه إياها تنداح (رُكْبَةُ) أمامه ، فيضمحل في سهل الـجَرَدِ المعروف هناك .

ووادي (لية) له ذكر في كتب الأقدمين قال الأصفهاني[٢٠] : (ووادٍ يقال له لِيَّة أعلاه لثقيف وأسفله لنصر ، وبين لِيَّة وبَسِلٍ بلد يقال له (جَلْذان)[٢١] تسكنه بنو نصر) وقال الهمداني[٢٢] : وبشرقي الطائف وادٍ يقال له لِيَّة ، تسكنه بنو نصر من هوازن) وقال ياقوت[٢٣] : (ولِيَّة من نواحي الطائف ، مَرَّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حُنَيْنٍ ، يريد الطائف ، واستشهد على اسمه ببعض أبيات من الشعر منها قول غيلان بن سهم :

جَلَبْنا الخَيْل مِنْ أَكْنافِ (وَجٍّ)   ولِيَّةَ نَحْوَكُم بِالدّارِعِيْنا

وقول عبدالله بن علقمة الجِذْمِيِّ من جَذِيمة كِنانة :

أَرَيْتَكِ إنْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدتُكُمْ   بِلِيَّةَ أَوْ أَدْرَكْتُكُم بِالخَرَانِقِ

أعتقد أن (الخَرَانق) محرفة عن (الخَرَائق) وهي معروفة إلى اليوم أسفل وادي بسل ، حَذْرَ السُّدَيْرَةِ ، بِعُلُوّ (رُكْبَة) .

٢٦ ـ عين خدّ الحاج : (خَدُّ الحاجّ) ضيعة كبيرة ، تقع بأسفل وادي (لِيَّة) على العدوة اليمنى منه بعد التقائه بوادي (نَخِب) وكانت تُعَدُّ من أكرم مزارع لِيَّة ، لما تجود به من وافر الثمار ، وطيب الخضار ، فرمَّانُها كان يضرب به المثل في الكبر والحلاوة ، وتَمْرها من أجود التمور في منطقة الطائف ، ولكن السنين توالت عليها حتى أصبحت الآن شِبْهَ مواتٍ لا منتوج لها يذكر . ويذكر بعض العارفين أنه كان لها عينان عين تتبطَّنُ الوادي وتسند معه ، وعين تحفُّ الجبل الواقف عليها من الشرق ، وتصعد نحو الجنوب في محاذاة العين الأخرى ، ولكنني أعتقد أنها عين واحدة ، وعند إقبالها على المزرعة يتفرع الدبلُ إلى فرعين : فرع يأتي البلاد من أعلاها وفرع يسقي أسافلها ، وقد ذكر بعض المعمرين أنه لحقها تجري ، وتسقي المزرعة ، ولكن ذالك في سنين الرجع والحيا ، فيظهر أنها عين ضحضاح وليست عِدًّا ، إنْ سال الوادي جرتْ وإنْ شَحَّ السحاب جفَّتْ وانقطعت ، وتُعَدُّ الآن من العيون الدامرة ، ولا تعرف أميتها ولا بدايتها ، وهي في ملك الأشراف ذوي بركات العبادلة .

هندسة العيون :

هندسة قنوات العيون ودبولها شيء فيه الإتقان والدقة والعظمة أيضاً ، حتى إنْ الإنسان في عصرنا يحار في معرفة الآلات والوسيلة التي استخدمها مُبدعو هذه العيون . فدبول هذه العيون تعمق في الأرض عند أمياتها إلى ما يقرب من سِتّين متراً أو أكثر أو أقل قليلاً ، ثم يتناقص هذا العمق تدريجياً حتى يظهر الدَّبْلُ على

وجه الأرض عند المزرعة ، وينساب الماء منه فيها دون رفع أو ضَـخّ ، وهذا أمر لا يحصل إلا بدقة متناهية في نسبة الانسياب تجعل الماء يجري بحسبان ، والدبْلُ في انحداره لا يأخذ خطًّا مستقيماً بل يأخذ شكلاً في اتجاهه يشبه أثَر الأفْعَى في التعرج والتلوِّي ، وذالك للحفاظ على جوانبه وأرضه من التآكل والانجراف من ضغط الماء ، عند ارتفاع منسوب الماء في سنين الرجع والحيا . وقد شاهدتُ ذالك بعيني في دَبْلِ عين (الوهَط) عندما عمرت الحكومة السعودية دبلها القديم في أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري ، حينما كان يشرف على عمارتها أخي وصديقي الشيخ عبدالله بن محمدْ المهنا ، رئيس بلدية الطائف الأسبق .

والدبل في انصبابه من أميته إلى المزرعة لا يكون في ارتفاع واحد بين أرضه وسقفه ، بل إن فيه من الهندسة الشيء العجيب ، ففي مواضع منه لا يستطيع الإنسان دخوله إلا مضطجعاً وعلى جنبه ، وفي مواضع أخرى يستطيع الـحَبْوَ فيه ، وفي مواضع يستطيع السير واقفاً ، وفي مواضع لو وقف على ظهر مطية لما لحق السقف ، وفي مواضع يتسع حتى يكون كأكبر ما تكون البِرَكُ ، وفي أماكن يكون جداره مبنيًا بالحجارة ، وفي أماكن يكون منحوتاً في الجبال نحتاً لا ترى للبناء فيه أثراً ، على غرار ما يُعرف في مكة المكرمة بـ(الغمس) .

وبطول هذا الدبل ينفذ من عمقه ، غُرَفٌ للتفتيش ، خرز ، إلى أعلاه ، لا يتجاوز بُعْدُ الواحدة عن الأخرى أكثر من ثلاثين متراً تقريباً ، وهي دائماً تكون مبنيةً بناءاً دائِرياً من أسفلها إلى أعلاه ، وبقطر لا يزيد في الغالب عن متر واحد ، ولكنَّ غطاءها غالباً ما يكون متساوي الارتفاع إلى وجه الأرض ، أي لايبعد غطاء الخرزة عن وجه الأرض بأعمق من مترين ، وذالك ليستطيع متتبع الدبل إذا صعد في الخرزة أن يسمع من فوقها في غطائها الحجري من أسفل فيكشفون عنها التراب ، ويفتحونها ، وهكذا دواليك إذ احتاج الأمر لفتح أكثر من خرزة .

تاريـــخ العيـــون :

العيون في منطقة الحجاز منتشرة في أوديته وواحاته ، وبخاصة فيما بين الحرمين

الشريفين وماحولها من أودية ، كَيَنْبع ، والفُرُع ، ورُهَاطٍ ، ومَرّ الظهران ـ وادي فاطمة ـ ونَعْمان ، ومِلْكان ، ونَخْلَة اليمانية ، ونخلة الشامية ، والزَّبَارة ، وأودية الطائف ، ومرّان ، وغيرها ومع أنها قديماً هي العمود الفقري للإقتصاد في الحجاز إذْ الزراعة هي الركيزة الأولى التي يعتمد عليها سكان هذا الإقليم في معاشهم وانتعاشهم ، سواء فيه الحاضرة والبادية ، إلا أنني لم أجد ـ حسب اطلاعي ـ من أرخ لهذه العيون ، ماعدا العيون الخاصة بالمدينتين المقدستين مكة والمدينة ، تاريخاً واضحاً ، يحدد زمان عمارتها ، وأسماء من عمرها ، والطريقة التي كانت متبعة في مثل هذه الأعمال للحفر والبناء ، والنحت في أعماق الأرض ، لأن عمل قنوات هذه العيون ودُبولها فيه شيء من الإعجاز لا يستوعبه المرء بدون معرفة تلك الطريقة ، والوسائل المستعملة فيها . لهذا انطبع في عقول العامة أن الذي عمر هذه العيون هو سيدنا سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ وأنه استخدم في ذالك الـجِنَّ والرياح ، لأن في تصورهم أن الإنسان العاديَّ لا يستطيع مثل هذا العمل في أعماق الأرض ، وبتلك الدقة والإتقان في البناء والنحت ، والإنسياب المائي المحسوب .

والحقيقة التي لا شك فيها أنها من عمل البشر ، ومن صنع أيديهم ، ولكنهم بلا شك أيضاً كانوا يقضون السنين الطوال في إنجاز عمارة عين واحدة ، فالتاريخ يحدثنا أن (فاطمة خانم) ابنة السلطان سليمان ، عندما أرادتْ إيصال (عين زبيدة) من خلف مِنَى ، حيث وقف عمل السيدة (زبيدة) ببئرها المشهورة إلى مكة المكرمة ، استغرق ذالك العمل عشرة أعوام حتى وصلت إلى دَبْلِ عين حُنَيْنٍ الواصل إلى داخل مكة ، وهي مسافة قصيرة لا تزيد[٢٤] على ألفي ذراع أي مايقرب من كيلين ، فمن هذا يتضح أن عمارة العيون لم تكن من السهولة بمكان ، ولا في مقدور كل إنسان ، بل لا يستطيعها إلا ذو قوة وثراء .

وأَوْفَى من رأيته تحدث عن عمارة العيون ، والطريقة التي كانت متبعة ، والوسائل المستخدمة في حفر الدبول وشقها وبنائها هو العلامة القطبي[٢٥] ـ رحمه الله ـ في القرن العاشر الهجري ، عندما ذكر عمل السيدة (فاطمة خانم) في عين زبيدة ، وإيصالها إلى مكة ، فقد ذكر أنه كُتِبَ نحو ألف نفس من العمال والبنّائين

والمهندسين والحفارين ، وأنه جلب من مصر وبلاد الصعيد ومن الشام وحلب واستنبول ، ومن بلاد اليمن ، طوائف بعد طوائف من المهندسين ، وخدام العيون والآبار ، والحدادين والبنائين ، والحجارين والقطاعين والنجارين ، وغيرهم ممن يحتاج إليهم كما أتى بآلات العمارة من مصر ، وهي عبارة عن مكاتل ومساحي ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص وما إلى ذالك مما يحتاجه العمل .

ولكن القائم على إنجاز العمل من قبل (فاطمة خانم) عندما اصطدم في شَقِّهِ للدبلِ بالحجر الصلد الذي لا تأكله المعاول والأسَافِينُ ، ذكر القطبي أنه لم يجد وسيلةً إلا النار ، فراح يُوقِدُهَا على وجه الحجر لتفتيته وتكسيره ، فكان يوقد مقدار مئة[٢٦] حمل من الحطب الجزل ، ليلة كاملة ، على مساحة لا تزيد عن سبعة أذرع في خمسة أذرع بذراع العمل . ومع كثرة الحطب وصغر المساحة التي كان يوقد عليها إلا أن النار كان تأثيرها قليلاً على وجه الحجر ، لأن تأثير النار كما هو معروف يكون قوياً على مافوقها ، وقد ذكر القطبي أن تأثيرها في الصخر كان بمقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطاً من الذراع ، حسب اصطلاحهم في ذالك التاريخ ، فيكسر الجزء الذي تأثر بالنار بالمعاول والأسافين ، حتى ينتهي إلى الحجر الصلد ، فتعاد الكرة مرة ثانية بالنار ، فظل العمل عشرة أعوام ، ذالك دأبه إلى أن نفدَ الحطب من جبال مكة وماحولها ، وصار يجلب من جهات بعيدة ، وقد أنفق على شَقِّ ذالك الدَّبْل ـ التوصيلة ـ بين بئر زُبيدة ودبل عين حُنَيْنٍ مئة ألف من عملتهم الذهبية في ذالك التاريخ .

ومع أن القطبي ذكر ما شاهده في القرن العاشر الهجري عن عمارة (عين زبيدة) وتوصيلة دبلها ، إلا أنني أعتقد أن الأقدمين في الجاهلية وصدر الإسلام ممن عمروا العيون كان لهم طريقة أخرى غير ما ذكر القطبي ، إذ لوكانت طريقتهم هي نفسها التي وصفها القطبي لما انتشرت العيون في الحجاز ذالك الإنتشار الواسع ، الذي يجعلها تبلغ عشرات العيون في وادٍ واحد ، كما هو مشاهد في ينبع ومر الظهران وَ (وَجّ) .

ومن هذا الاعتبار أكاد أجزم أنَّ للأقدمين طريقةً ووسائل أخرى غير ما ذكر القطبي هي أيسر وأنجع مما ذكر الشيخ ، وبواسطتها استطاعوا استنباط العيون الكثيرة في أودية الحجاز ، أعتقد أنها لازالت سِرًّا حتى اليوم لم يكشف لنا الباحثون عن كنهها .

الطائف: الشريف محمد بن منصور آل عبدالله

الحواشي :

(١) ص ١٢٠ .

(٢) «الأغاني» ج ١٨ ص ٢١١ - ط الساسي - .

(٢) قال العجيمي: وعين الأزرق بالطائف هي عين الوهط ص ٩٥ .

(٣) جاء في « مروج الذهب » للمسعودي عندما تحدث عن تركة عمرو بن العاص قوله: (وضيعته المعروفة بمصر بالوهط قيمتها عشرة آلاف ألف درهم) كذا ولا أدري هل كلمة (بمصر) مقحمة أم أن له في مصر وهطاً آخر - انظر ج ٣ ص ٣٢ .

(٤) الحصون اسم الحزم هناك عليه آثار دور قديمة .

(٥) وقد حدثني ثقة من أهل المنطقة بأن الدبلين لا يتقاطعان .

(٦) « اهداء اللطائف » للعجيمي ص ٨٧ .

(٧) « معجم البلدان » رسم (الحال) .

(٨) « اهداء اللطائف » ص ٨٦ .

(٩) النمي مزرعة على وادي العرج بجانبه الأيسر .

(١٠) ص ٧٩ .

(١١) ج ٤ ص ٥١٩ .

(١٢) كل هذه المزارع أصبحت ضمن محلة الفيصلية الحديثة .

(١٣) «معجم البلدان» رسم (جفن) .

(١٤) «الرحلة اليمانية» ص ٩٣ ط ٢ .

(١٥) «معجم البلدان» رسم (دحنا) .

(١٦) هذا الوادي أعتقد أنه الذي ذكره الهمداني في « صفة جزيرة العرب » مصحفاً باسم الشريق بالقاف بدل الفاء .

(١٧) ويعرف أيضاً بوادي بني عمير .

(١٨) انظر : « قبائل الطائف وأشراف الحجاز » للشريف محمد بن منصور .

(١٩) « السيرة » لابن هشام ج ٤ ص ٩٢٠ .

(٢٠) « بلاد العرب » ص ٣٠ .

(٢١) يعرف اليوم بالشط .

(٢٢) « صفة جزيرة العرب » ص ١٢١ .

(٢٣) « معجم البلدان » رسم (لِيَّة) .

(٢٤) « الأعلام » للقطبي ص ٢٩٠ .

(٢٥) « الأعلام » ص ٢٨٩ - بتصرف - .

(٢٦) « الأعلام » ص ٢٩٠ - بتصرف - .

نظرات في كتاب :
ـ ٣ ـ

الجيـــم

لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني المتوفى سنة ٢١٠ تقريبا

لقد عهد (مجمع اللغة العربية) بتحقيق الجزء الأول من كتاب «الجيم» للأستاذ إبراهيم الأبياري ، فتولى ذالك ، وقام بمراجعة الجزء عالم جليل من أعضاء المجمع هو الأستاذ محمد خلف الله أحمد (توفي سنة ١٩٨٣م) وصدر سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) في مجلد بلغت صفحاته ٣١٦ مصدراً بكلمة موجزة للأستاذ محمد خلف الله ، ثم ببحث مفصل للمحقق الفاضل عن أبي عمرو الشيباني مؤلف الكتاب وعن كتابه وعن منهج التحقيق الذي سار عليه الأستاذ ، كل هذا وقع في نحو ٥٠ صفحة من الجزء .

والأستاذ الأبياري من أقدم المعنيين بتحقيق التراث ، ولعله مع ذالك من أجرإهم على محاولة تغيير بعض النصوص التي لا يتضح له وجه صوابها ، إما بتغيير لفظ أو زيادة لفظ آخر .

واذكر أنني تعرضت لذالك في مقال لي نشرته عن تحقيق الأستاذ الأبياري كتاب «نهاية الأرب في أنساب العرب» للقلقشندي ، وكان الأستاذ إذ ذاك مفتشاً في وزارة الثقافة في مصر ، وكان مما قلت ما معناه : ان مهمة المحقق ينبغي أن تنحصر في تقديم نسخة أقرب ماتكون إلى نسخة المؤلف على مافي نسخة المؤلف نفسه ، إذ ليس على المحقق أن يغير بزيادة أو نقص أو تصحيح في الأصل ، وإنما يفعل ذالك إذا أراد في حواشي مايحققه ، ولكن الأستاذ أمين الخولي ـ رحمه الله ـ دافع عن الأستاذ الأبياري في مقال نشر في مجلة «الأدب» التي يصدرها الأمناء بأن المحقق ليس مطالباً بأن يقدم نسخة مماثلة لأصل المؤلف، أو مقاربة حسب الإمكان ، من توفير الأصول الصحيحة .

ويبدو أن الأستاذ الأبياري لايزال مقتنعاً بصحة الطريقة التي سار عليها منذ

عهد قديم ، كما يتضح هذا مما سأعرضه من عمله في هذا الجزء من هذا الكتاب .

ولن ألاحظ على المقدمة الطويلة للأستاذ الأبياري سوى :

١ ـ لا أدري أكان يعلم أنَّ باحثاً ألمانياً هو (فرنر ديم W. Diem) قد تناول كتاب «الجيم» بدراسة قد تكون وافية نشرت باللغة الألمانية سنة ١٩٦٨م - أي قبل نشر هذا الجزء بست سنوات ـ وقد نال هذا الباحث الألماني شهادة (الدكتوراه) من إحدى الجامعات في ميونخ - على تلك الدراسة ـ فلعل الأستاذ الأبياري لم يعرف شيئاً عنها .

٢ ـ قال الأستاذ الأبياري في المقدمة ص ٣٧ مانصه : وماأكثر ماجاء في كتاب «الجيم»: الأكوعي والسعدي والطائي والعُماني وهو لا يريد وَاحِداً بعينه ، وإنما يريد واحداً منسوباً إلى قبيلة من هذه القبائل ـ كذا قال ـ

وقد يكون في اطلاق هذا القول من الأستاذ الأبياري مايحمل القارئ على الاعتقاد بأن أسماء الرواة الذين ورد ذكرهم في كتاب «الجيم» لا يقصد المؤلف بهم رواة معنيين ، ولكن الأمر بخلاف ذالك ، فقد يروي المؤلف عن رجل من قبيلة ، فينسبه إليها ولكن كثيراً ممن روى عنهم ليسوا نكراتٍ ، بل معروفين ، فهو يروي عن الكلابي مثلاً ، ويقول في روايته عنه (١/١١٩): وأنا أشك فيه ، وأخاف أن يكون الأعرابي تخرصه . وهذا يدل على شدة تحريه الصدق ممن يروي عنه ، وهو يسمى رواته في كثير من الأحيان ، مثل أبي السمح من بني أبي بكر بن كلاب (٢/٢٥١)، وغسان التميمي اليمامي (١/١٦٥ و٣/٢٨٢) والدكين الطائي ثم المعني (١/١٥٩) والخزاعي أحد بني ربيعة من بني حُبْشِيَّة بن كعب أورد له شعراً في مدح الرسول ﷺ (٢/١٤٠) وأبي زياد الكلابي (١/٢٩٨) والتَّبالِي من بني أبي بكر بن كلاب (٢/٢٣٠) والغنوي نصر (١/١٢٣) والوالبي ، ولقبه أبو الخرقاء (١/١٣٧) والفزاري أبو خليفة (١/١٤٢ و٢٤٣) والنميري أبو السفاح (١/٢٤٧) والسعدي أبو جابر (١/٢٢٤) والفَرِيْري حازم بن عتّاب (١/٥٦) إلى غير ذالك من الرواة الذين سمّى بعضهم وكنى آخرين ، مما يدل على أنه لم يقصد نكرات مجهولة .

٣ ـ مع جودة نسخة الأصل التي تُعَدُّ فَرِيْدَةً إلا أنها لا تخلو من الأخطاء (٨١/١): البرك جبل بين حَلّ وضنكان . كذا في المخطوطة ، وهذا خطأ أدركه المحقق الفاضل فوضع الصواب (حَلْـيٍ) ، كما أن كثيراً من كلماتها تصعب قراءته ، فالكاتب لا يفرق بين اللام والكاف في آخر الكلمة ، وبهذا تشتبه كثيراً من الكلمات التي آخرها ذالك الحرف مثل كلمة (يعلك) فقد تقرأ (يعلل) وهكذا ، كما أن الناسخ لا يثبت النون الملحقة بالفعل ، مثل (ليحلفن) بل يجعلها ألفاً (ليحلفاً) ويضع ألِفاً بعد الواو وان لم تكن للجماعة ، ولا يكتب الهمزة في بعض الكلمات مثل (المرة) أو يكتبها بدون ألف (المرءه) مع وجود كلمات كثيرة يظهر أنها لم تتضح له فوضع فوقها حرف (ص) ولعله يقصد أنها وردت في الأصل بهذه الصورة .

لهذا فقد استعصت قراءة بعض الكلمات على الـمُحَقّق الفاضل ، ومن الأمثلة على ذالك (١٣٨/١): (قابلت بهذا الجزء مافيه نسخة أبي موسى الحامض) .

والصواب: (قابلت بهذا الجزء ثانية نسخة أبي موسى الحامض) .

ولا أطيل بذكر أمثلة لهذا .

ولعل تلك الهنوات الواقعة في مخطوطة الأصل مما دفع المحقق الفاضل إلى عدم الاطمئنان إلى كثير من الكلمات الواردة في هذا الكتاب الذي يعتبر من أصول كتب اللغة يُرْجع إليه ، ويستدَلّ بما فيه على ماوقع في تلك الكتب لا العكس (انظر ١٢٩/١ و ١٣٠ حيث تجد ملاحظتين للمحقق بضدٍّ هذه الناحية) بل بلغ الأمر به ـ وفقه الله ـ إلى أن يغير كثيراً من الكلمات ، إما بزيادة أو إبدال أو غير ذالك مما اكتفى بِعَرْضِ نماذج منه ، ولعل من أَسْوَإها إدخال أسماء الشعراءِ الذين لم يذكرهم المؤلف في صُلْب الكتاب عند إيراد شواهده ، فقد يكون المؤلف ممن يرى عدم صحة نسبة الشعر إليهم .

١ ـ ص٥٣ : وأنشد :

تَعَلَّمْ يـا أبـا الجحّـافِ أنِّي أخٌ لَـكَ مـاتَبَيَّنْتَ الـطَّرِيْقَـا

ومـالَـمْ تَغْشَ أوْقـا إنَّ عَجْـزًا بِـرَأْيِ المَـرْءِ أنْ يَغْشَى الأُوْوُقـا

زاد قبل كلمة (وأنشد): [الأَوْقُ الجَوْرُ] وقال عن هذه الزيادة : (تكملة يقتضيها السياق) .

٢ ــ ص٥٣ : وتقول: هم أَلْبٌ عليه ، إذَا كانوا عليه .

زاد في الجملة : إذا كانوا [مجتمعين] عليه . وقال في الهامش : (تكملة تقتضيها السياق) .

٣ ــ ص٥٦ : وقال: أتاني في أُجَاجِ الصَّيْف .

زاد المحقق : [أي حين أجدب] وكتب في الهامش : (بمثل هذه التكملة يستوي الكلام) .

٤ ــ ص٥٨ : وقال : أَفَرَ يَأْفِرُ أَفْراً .

زاد : (عَدَا وَوَثَبَ) ووضع في الحاشية : (بمثل هذه التكملة يتم الكلام «لسان العرب» (ا ف ر) .

٥ ــ ص٦٣ : الأَطِيْمُ لَحْمٌ وشَحْمٌ يُطْبَخُ ويُشَدُّ رأْسُهَا .

وفي هامش الأصل : (ض: كذا ويشدُّ رأسها) وحذف الهامش في المطبوعة وزاد (في قِدْرٍ) وأضاف في الهامش : التكملة من شرح القاموس) .

٦ ــ ص٦٣ : السَّمَاءُ تَأْلِبُ إذَا مَطَرتْ .

وزاد في المطبوعة : (فهي أَلُوبٌ) وقال في الهامش : (تكملة من كتب اللغة يستوي بها الكلام) .

٧ ــ ص٦٤ : والمؤْنِفُ الَّذي يرعَاهَا أُنُفاً ، لم يَطَأْهُ أحدٌ .

وفي المطبوعة : (والمؤنف الذي يرعاها ، ومكان أُنُفٌ لم يطَأْهُ أحد) .

٨ ــ ص٦٤ : فإذا كانَ دَقيقاً فهو الحبل .

في المطبوعة : (وإذا كان مستطيلاً رقيقاً فهو الحبل) فزاد (مستطيلاً) وصحّف (دقيقاً) .

٩ ــ ص ٦٩ : والإِفْتُ الناقة حين تلقح قال :

كَأَنِّي لَمْ أَقُلْ عاجٍ لإِفْتٍ   تُرَاجِعُ بعد هِزَّتِها الرَّسِيْمَا

في المطبوعة : الأَفْتُ وزيادة (ابن أحمر) بعد كلمة قال . وحذف حاشية نصها : (ض: الإِفْتُ بالكسر) وحاشية أخرى: (س : حفظي: أُفْت) .

١٠ ــ ص ٧٠ : إبِلٌ أَبِلَةٌ : أَيْ جازِئةٌ .

وزاد في المطبوعة : (عن الماء بالرُّطْب ، وفي الحاشية : (بمثل هذه التكملة يتمُّ المعنى) .

١١ ــ ص ٨٥ : وأنشد :

لَقَدْ تَأَوَّبَنِي هَمِّي فقلَّبَني   كَمَا تَقَلَّبَ في قُرْمُوْصِهِ الصَّرِدُ

وفي المطبوعة : وأنشد [للراعي] أدخلها في صلب الأصل ، لا في الهامش .

١٢ــ ص ٨٨ : تقول مَاأَبْشَعَهُ وأقلَّ مِلْحَهُ : وقال :

مِثل الجمال الشُهْبِ لا بَلْ أبشعا

زاد في المطبوعة بعد كلمة قال : [رُؤْبة] .

١٣ ــ ص ٩٠ : وقَالَ : البَهْرَجُ بَهْرَجَهُ إذا تركه .

وفي المطبوعة : (وقال: البَهْرَجُ [التَّرْك] الخ فزاد في الأصل .

١٤ ــ ص ١١٥ : الجَشَرُ الذين في خَيْلهم وإبِلِهِمْ وشاتِهِم لا يأْوون إلى أهل .

وفي المطبوعة : الجَشَرُ الذين [يبيتون] في خيلهم وإبلهم وشاتهم . الخ .

وفي الحاشية : (تكملة يقتضيها السياق) ولكن السياق يكمل بدونها ، وبما هو

أشمل وأعم منها ككلمة (يبقون) .

١٥ ــ ص١١٨ : وقال : تُراحُ إلى جَوِّ الحِيَاضِ وتَنْتَمِي .

يتركونَها بين الحيِّ ، من الفَزَعِ.

وفي الهامش بعد كلمة (تنتمي): (بياض في الأصل) وليس في المطبوعة .

وفيها : ([أي] يتركونها من الفزع) بزيادة (أي) على مافي الأصل .

١٦ ــ ص١١٨ : وقال : جُدَّةٌ من الأَمْرِ ، أي رآى رأْياً مثل جُدَدِ الثَّوْب ، أي خطط .

وفي المطبوعة : (وقال [رآى] جُـدَّةٌ)الخ فزاد (رآى) .

١٧ ــ ص١١٨ : كأنَّما تَجَاذَوْا على نَصْبِ حَجَر .

وفي المطبوعة (حَجَرا) بزيادة ألف .

١٨ ــ ص١٢٣ : قال :

تهُبُّ الرياحُ المرسَلاتُ إذَا جَرَتْ عــلى جـــنــز تــقصر قــابــره

وبعد كلمة جنز بياض كتبت فوقه كلمة (بياض) وفي المطبوعة وَضَعَ المحقق مكانها [منه] وفي الحاشية (بمثل هذه التكملة يستقيم الوزن) .

١٩ ــ ص١٣٧ : وجهرنا البِئْر ، إذا أخرجوا مافِيها ، إن كان فيها ماء ، أو لم يكن ، وجهرنا . ثم بياض في الأصل مقدار ثلاثِ كلمات بعده :

مِلاَوَةً كأنَّ فوقي جَلَدَا

وفي المطبوعة : (وجَهَرْنا . . .

قال العجَّاج : ملاوة) الخ .

وفي الحاشية على كلمة (وجهرنا): (للكلام بقية) !

٢٠ ــ ص١٤٢ : تقول للشيء يُتَعَجَّبُ منه ، وقال :

تَــزُوْرُوْنَهَا ولا نَــزُوْرُ نســاءَكُمْ   أَحَــارِ لِأَوْلَادِ الإمـاءِ الحَــواطب

وفي الهامش : (في نسخة ض : تقول للشيء يُتَعَجَّبُ منه : (أَحَارِ) .

ونَصٌّ مافي المطبوعة : (تقول للشيء يتعجب منه [أحارُ] وقال)الخ بزيادة [أحارُ] وفي الهامش : (التكملة من ض) وكلمة (أحار) في الأصل مكسورة الراء - لا كما في المطبوعة .

٢١ ـ ص٥٣ : قال :

وَالْـحَيُّ أَمْسَـى أَوْقُهُـمْ مُجَمَّعَـا

غير كلمة (الحي) فجعلها (والجن) اعتماداً على ماجاء في «مجموع أشعار العرب» وقال : المشطور لرؤبة وقبله :

لَوْ أَنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مَعَا
والنَّاس أحلافاً علينا شِيَعا
وعاد عادُوا واستجاشوا تبعا
والجنُّ .

٢٢ ـ ص٥٤ : وأنشد لراشد :

لو أَنَّها دَخَلَتْ ضَرِيْحاً مُظْلِمـاً   فَاسْطَاع قام على الضَّرِيحِ فَآقَهَا

فغير العجز إلى :

فاسطاعها قام الضَّرِيْحُ فآقها

وفسر هذا في الهامش : (اسطاعها : أطاقها ، لغة في استطاع . وآقَهَا : أي آق عليها) .

٢٣ ـ ص٥٤ : الفُرْضَةُ موضع الزَّنْدِ ، والذي يخرج منه الكَبْلُ الأتِيُّ .

غَيَّر الكَبْلَ فجعلها (السيل) وكتب في الهامش : (لعل صوابه ما أثبتنا) وفَسَّر الآتِـيُّ بأنه الغريب وأحال إلى « القاموس » .

٢٤ ــ ص ٥٥ : وما أنا بناقص مِنْ أُرْثَتِهِ ، وتأرِيثِهِ .

غير الكلمة الأخيرة فجعلها (وبِأُرْثَتِهِ) .

٢٥ ــ ص ٥٦ : وفي إعطائك إذا رَدَّده . جعلها : وفي عطائك إذا ردده .

٢٦ ــ ص ٥٦ : وهو المعتَكَلُ قال حازم بن عتاب الفرِيريُّ :

لاَقَى لِزَازٌ من غَدِيرٍ مُنْكَرَهْ تَرَكَهُ مُنْجَدِلاً على الإِرَهْ

ورد في المطبوعة : والـمُعْتَكَلَ ، وقال حازم :

تركته .. الخ .

٢٧ ــ ص ٥٦ : قد أَدَتْ .

وفوق الكلمة (خف) وفي الهامش : (كذا وهو آدتْ . ض) .

واعتمد الأخيرة المحقق ولم يُشِرْ إلى ما جاء في الأصل وفي هامشه .

٢٨ ــ ص ٥٦ : وناقة مُؤَيَّدَة : شديدة .

وفي الهامش : (ض : مؤيَدَة شديدة) وكذا وردت في المطبوعة بدون إشارة إلى ما في الأصل .

٢٩ ــ ص ٥٦ : جعلتُ فلاناً أَدَمَةَ أَهْلِي ، أي أُسْوَتَهُمْ ، وأُدْمَةَ يَدِي .

غير الجملة الأخيرة فجعلها : (وأُدْمَهُمْ) وأشار إلى ما في الأصل في الهامش قائلاً : (ليس في المظانّ ما يؤيده) .

٣٠ ــ ص ٥٧ : وقال : هم أَقِطُونَ .

غيَّرها إلى : هم أَقْطَوْني . وزعم ما في الأصل تحريفاً ، وفسَّر ماوَضَعه : أقطوني : أطعموني الأقط ... واللحياني لا يُعَدِّيه .. الخ .

٣١ ــ ص ٥٧ : التأنية حَلْبَةٌ إلَى حَلْبَةٍ ، جعلها : (على حلبة) .

٣٢ ــ ص ٥٨ : وقال : اشترى فلان أَلْبِيَةً حَسَنَةً . يعني دِرْع الحديد .

غير كلمة (أَلْبِيَةُ) فجعلها : (أَلَّةٌ) وأشار إلى ذالك في الهامش قائلاً : (وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا) .

٣٣ ـ ص ٥٩ : وقال رجل من بني أبي بكر بن كلاب يُكْنَى أبا علي : هو أكْذَبُ من الأخِيذ الصُّبْحان . قال : زعم أنه رَجُلٌ مُحلِبٌ ، لَقِيَهُ قومٌ فسألوه عن أهْله ، فكذَبَهم ، وكان قد اصْطَبح فَنَجَا . فهو الأخيذ حذف كلمة (وكان) فأصبحت الجملة (وقد اصْطَبَح) .

٣٤ ـ ص ٦٠ : أرَّيْتُ للجمل وللفرس . . وهو الآريُّ ، وهي الأخيةُ ، والجماعة الأواريُّ .

وفوق كلمة (الأخية) : (خف) إشارة إلى تخفيف الياء ولكنها وردت في المطبوعة مشددة (الآخيَّة) وفي الهامش: (س: في كتابه الأَخيَّة مشددة وهو خطأ ـ ض : الأخيَّة مشدّدة كما كان في الكتاب ، بخلاف لقول س) . ومافي الهامش لم يرد في المطبوعة .

٣٥ ـ ص ٦١ : وقال الكلبي الزُّهَيْري .

غيرت كلمة (الزهيري) فجعلت (الزهري) وفي الهامش: (الأصل الزهيري تحريف) ولم يورد دليلاً على هذا مع أن الزهيري تكررت في الكتاب (ص ٨٤) وبنو زهير بطن من كلب ، وآخرون من نَهد .

٣٦ ـ ص ٦٢ : وقال البكريّ آسُ الطريق : إذا ضَلَّ عنك الطريقُ ورأيت بَعْراً أوْ أثَراً فذاك آسُهُ .

غيرت إلى (الآسُ الطّريقُ) الخ .

٣٧ ـ ص ٦٢ : وقال: رجل إلَاقٌ ، للكذاب ، وقَدْ أَلَقَنِي يَأْلِقِنِي أَلْقاً .

وفي الهامش: (ض : أنا أظُنُّه أَلَّاق ـ ض : إلَاقٌ كذا في الأصْل) .

وحُذِف ما في الهامش ، وغيرت كلمة (إلاق) فجعلت (أَلَّاق) .

٣٨ ــ ص ٦٢ : وقال الطائي : أيلولة الظعينة ، لظعينة المرة ، مَرْكَبُها ، تقول : أعِيْرِني أيلولتك وهو العَرْيش ، والرقم .

جُعلت كلمة لظعينة (الظعينة) والمرة (المرأة) والعريش (العرش) .

وفي الهامش : (في الأصل : ظعينة ، ولا تستقيم بها العبارة التي يبدو أنها لأحد الشراح ، واُقحمت على الأصل) .

٣٩ ــ ص ٦٣ : لَدَى الكَرَّاز ، تَأْتِلُ لِلنِّطاح جعلها في المطبوعة (الكذَّان) وقال في الهامش : (الأصل الكراذ؟) وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا . والكذان الحجارة كأنها المدر ، فيها رخاوة) .

ومادخل الكذَّان الحجارة في هذا الموضع ، وصَدْرُ البيت :

من العُوْسِـيِّ مَلْبُوبٌ خُصَاهَا

وإذَنْ فالصواب مافي الأصل (الكرَّاز) وهو الكَبْشُ الذي يحمل خُرْجَ الراعي ، ولا يكون إلاَّ أَجَمَّ لِأَنَّ الأقرن يشتغل بِالنِّطاح .

٤٠ ــ ص ٦٤ : الـمُؤمُّ الذي تصيبه الأَمُّ ، فيعظم رأْسُهُ ، ويَدقُّ جسمه .

وفي الهامش : (كذا ض كما في الكتاب : المؤمُّ الذي تصيبه الأمُّ) .

وفي المطبوعة : (المؤوَّم الذي يصيبه الأَوْمُ) وقال عما في الأصل إنه تحريف .

٤١ ــ ص ٦٥ :

تبـدَّلْتُ منهـا خُلَّةً وتبـدَّلَتْ خليـلاً فصاحبا تَبَـدُّلَ أَبْعَـدَا

وكلمة (فصاحبا غير واضحة ولعلها (فهامنا) .

أما في المطبوعة فجاءت (فصاحبنا) ولكن وزن البيت لا يستقيم .

٤٢ ــ ص ٦٦ : وقال الأسعديّ إنَّ شبابه بِـإِفَّانٍ . وقال : طعامه بإفَّانٍ ، أي كما هو في المطبوعة (الأشعري) لا الأسعدي الذي كثرت النقول عنه ـ

ص ٨١/٢٧٩/٢٨١/٣٠٣ وذكر في الهامش أن في الأصل الأسعدي - أي إن التغيير مُتَعَمَّدٌ ، ولم يذكر السبب .

٤٣ ــ ص ٦٦ : ثَمَّ ماءٌ لا يُؤْبَى : أي لا ينقطع منه .

حذف في المطبوعة كلمة (منه) .

٤٤ ــ ص ٦٧ : أَبِلَتْ الإبِلُ أَبَلًا إذا كثُرَتْ ، وأُبولاً ، أَبَل يأْبِلُ ، وأَبَلَتْ تَأْبِلُ ، إذا تأَبَّدَتْ .

غيرت كلمة (أبل يأبل) فجعلتْ (أَبَلَتْ تَأْبِلُ) أي كررت . وأشير في الحاشية إلى هذا التغيير وبعد الإشارة : (وما أثبتناه أَوْلى بالسياق) .

٤٥ ــ ص ٦٨ : قد أَلَتَهُ يميناً ، أي أحْلفه .. يَأْلِتُ .

وفي المطبوعة (يَأْلِتُه) وفي الحاشية : (الأصل بالتاء) !!

٤٦ ــ ص ٦٩ : وأنشد :

لا تَعْدم العَيْسَجُورُ الإفْتُ ضَرْبَتَهُ عِنْد الحفاظِ إذا ماالخَرَوَّط السَّفَرُ

وفي المطبوعة : (القيسجور) .

ولم يخرج البيت وهو في «جمهرة أشعار العرب» في رثاء المنتشر الباهلي لأعشى باهِلَة .

٤٧ ــ ص ٧٠ : المؤَالُ الذي قد أُغْلِيَ حتى صار خاثراً . وقال اللعين :

سَمَغْمَغَــة كــأنَّ بِمَغْصَمَيْهــا وضــاحِي جِلْدِهــا رُبًّــا مُؤَالاَ

وفي الهامش فوق كلمة المؤال : (مثل معال) وفوق كلمة : مؤَالا : (مثل كلمة مُعَالى) .

أما في المطبوعة فجاءت الكلمة الأولى (المؤالى) ولا إشارة إلى ما في الهامش .

٤٨ ــ ص ٧٢ : وقال: إذْ كُلُّ شيء يتكلم ، ولا يأكل الإنسانُ الضَّبَّ ، ولا يدري ماهو ، فناداه ضبٌّ : يا إنسانُ ، يا إنسان ! حتى إذا نظر إليه قال :

ويلك ما تركتَ بالواد ، تركت أيّمَا زاد ، كُشَى بأكْبادٍ . فرجع إليه الإنسانُ فأخذ، فقال : أُخَيْك ! أُخَيْك . فأرسله . فلما ذهب عنه ناداه بمثل الكلام الأوّل ، فرجع إليه فسطحه وأكله ، فلم يزالوا به يأكلونه بعد .

في المطبوعة: (وتلك) بدل (ويلك) وزيادة كلمة (مثلاً) بعد (فأرسله) .

٤٩ ـ ص ٧٣ : كعرفجة الضَّبِّ الذي يتدلَّلُ. في المطبوعة (تتذل) .

٥٠ ـ ص ٧٤ : جماعة العِنّين : العَنَانَى .

وفي المطبوعة : (العنانين) وإشارة في الحاشية إلى مافي الأصل .

٥١ ـ ص ٧٤ : الآسُ سَلْحُ النَّحْلِ ، والفَتْلُ أيضاً سَلْحٌ ، والـمَجُّ قَـيْءٌ .

وفي المطبوعة (الفحل) و (الفَتِلُ) .

٥٢ ـ ص ٧٤ : أَثَا بِهِمْ يَأْثُوا إثاً .

وفي المطبوعة : (إثاوة) مع إشارة في الحاشية إلى مافي الأصل وجملة (وصوابه ما أثبتناه) .

٥٣ ـ ص ٧٦ : الأَلُّ : السَّرِيع .

وفي المطبوعة : (السُّرْعة) وفي الحاشية إشارة إلى مافي الأصل ثم (صوابه ما أثبتنا) .

٥٤ ـ ص ٧٧ : والتَّيحانُ الذي لا يزال مَعْروفه ينفحه هاهنا وهاهنا المَتَفَتِّي .

وفي المطبوعة : (والتَّيحانُ المتَعَنِّى ، الذي لا يزال معروفة ينفحه هاهنا وهاهنا) .

وفي الحاشية : (الأصل المتغنِّي ، ومكان هذه الكلمة في الأصل بعد قوله : وهاهنا) .

٥٥ ـ ص ٨٠ : والبُغَيْبِغُ : التَّيس من الظِّبَاءِ ، إذا كان شاحًّا سَمِيْناً .

وفي المطبوعة : (شادخاً) وأنها الصَّواب لا مافي الأصل .

٥٦ ـ ص ٨٥ : البُغْلُول : الغَوطُ من الرَّمْل ، وهو ينبت .

وفي المطبوعة : (البُلُوق) وفي الحاشية : (في الأصل البغلوق صوابه ما أثبتنا) .

٥٧ ـ ص ٨٥ : وقال الوادعي : المَبْناةُ النِّطْع وفي المطبوعة (وقال الوداعي) الخ .

٥٨ ـ ص ٨٧ : قال اليماني أبو أحمد : البَرَامةُ العَظَايَةُ .

وفي المطبوعة : (قال اليامي) الخ .

٥٩ ـ ص ٨٨ : وقال : يقولون للناقة لم تُنْتِجْ حتى بَزَلَتْ : إنَّها لَبِكْرُ الضَّرْع .

وفي المطبوعة : (ويقال للناقة) الخ .

٦٠ ـ ص ٨٨ : دَلْوٌ مَبْصورة وهو أن تخرج الخرْزَ من جانِبك إلى الجانب الأخر ثم ترده .

وفي المطبوعة : (وهو أن تخرج الخرزة من جانب) .

٦١ ـ ص ٨٨ : وقَال : بَرْحاً له إذا تعجَّبْتَ منه .

وفي المطبوعة : (وقال : بَرْحَى لَهُ) الخ .

٦٢ ـ ٨٩ : وقال الطائي :

يـا حُسْنَ مـا بَـطَائنٍ وأوْسُقٍ لَوْ كُنَّ مِنْ شيْءٍ سِوَاءِ البَوْرَقِ

وفي المطبوعة : (البَرْوَقِ) وفي الحاشية : (الأصل : البودق تحريف ، انظر « القاموس » وشرحه ـ برزق) .

وهذا نَصُّ مافي « القاموس » وشرحه عن (برزق) . قال الليث : البرزق

كجعفر نبات . قال الأزهري : هذا منكر ، والصواب إلبروق بالواو ـ فغيّر ـ قال الصاغاني : ليس هذا في كتاب الليث في هذا التركيب . انتهى . على أنه سيرد قريباً ـ في الأصل ـ اسم البورق وأن المراد به البروق ـ .

والبَوْرَقُ وهو البَرْوق .

وفي المطبوعة : (والبرزق وهو البَرْوق) .

وفي الحاشية : (الأصل : البودق) .

والواقع أن حرفي (د) و (ر) يتشابهان كثيراً في المخطوطة .

٦٤ ـ ص ٩٠ : والمَخْرَمُ مُنْقَطَعُ الجَبَل ، وهو الوتير .

وفي المطبوعة : (وهو الريد) . وفي الحاشية : (الأصل الوتيد ، وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا) .

٦٥ ـ ص ٩٠ :

قالت بُنَيَّ إنّما أبغي النَّـجا

وكلمة (إنما) غير معجمة النون فجاءت في المطبوعة (أيّما) .

٦٦ ـ ص ٩١ : قَدْ أَبَاءَتْ أَدِيمَها ، إذا جَعَلَتْهُ في الدِّباغ .

وفي المطبوعة : (قد أَبَاتَ) الخ .

٦٧ ـ ص ٩٣ : إنّه بِنَزْهٍ عن الماءِ ، إذا كان بعيداً عنه .

وفي المطبوعة : (إنه بنزهة من الماء) مع الإشارة إلى نصّ الأصل .

٦٨ ـ ص ٩٣ : البَتِيْلَةُ من النَّخْلِ الوَدِيَّةُ ، وقَدْ أبْتَلَتْ .

وفي المطبوعة : (وقد انْبَتَلَتْ) مع الإشارة إلى مافي الأصل .

٦٩ ـ ص ٩٤ : البُوْصُ : ثَمَرُ الأُراين ، يقال قَدْ بَوَّصَ .

وفي المطبوعة : (البُوْصُ : ثَمَرُ الأُرانَ ، قَدْ بَوَّص) .

٧٠ ــ ص ٩٤ : بَرْهَمَ : أدام النَّظَر ، وبَرْشَمَ مثْلها .

وفي المطبوعة : (ويرسم) .

والذي في كتب اللغة : بَرْشَم ـ بالشين المعجمة ، والبَرْشَمَةُ كالبَرْهَمَة : إدَامَةُ النظر .

٧١ ــ ص ٩٦ : قال أبو جُوْنَةَ :

بَرَاعِيْسُ كَالآجَام لَمْ يُمْشَ وَسْطَهَا ... بِسَيْفٍ ولم تَسْمَعْ رُغَاءَ قَرِيْنِ

وفي المطبوعة (لم يُخْش) وفي حاشيتها : (في الأصل : لم يُمْشَ ، وظاهرٌ أنَّها محرفة عما أثبتناه والأصل فيها : لم يُحْشَأْ بالهمزة ، وسُهِّل ، وحَشَأَهُ بسوط أَوْ نحوه ضرب به جنبه وبطنه) .

٧٢ ــ ص ٩٧ : لقَدْ غَنُوْا في تِلةٍ .

وفي المطبوعة : (لَقَدْ غفُوا) الخ .

٧٣ ــ ص ٩٨ : اترزت حَبْلَها أيْ فَتَلَتْهُ فَتْلاً شديداً ، وفي الحرر والطلق كذا وردت (الحرر) في الأصل وتحتها : (ض : كذا) .

أما في المطبوعة فقد جاءت : (الجَرْم) بدون إشارة إلى ما تحتها .

٧٤ ــ ص ٩٨ : أَتْبَرَ فلانٌ عن هذا الأمر إذا انتهى .

وفي الهامش مما لم يذكر : (إِيْتَبَرَ)

٧٥ ــ ص ٩٩ : المُتَالُّ : الذي يطلب بِفَرسِهِ الفحول .

وفي المطبوعة (لفرسه) وفي حاشيتها : (الأصل بفرسه ، وما أثبتنا من كتب اللغة) .

٧٦ ــ ص ٩٩ : وقال : التُّؤَيْلُ القَمِيْءُ . وقال :

تُؤَيْلِيَّةٌ تَمْرِي بِآنُفِها الصَّبَا ... لها قُطُفٌ من صُوفِها وبَرَانِسُ

وأنا أشكُّ فيه .

وفي المطبوعة : (وأنا أشكُّ فيها) .

٧٧ ــ ص ١٠٠ : وقال العذريُّ : القصبات وقال : مابينهما عِرَمٌ . وأهل نَجْران يسمون حِجازَ مابينهما فجير .

وفي المطبوعة (فَجِيراً) .

٧٨ ــ ص ١٠١ : وقال معروف : التِّربية عن يَمِيْنِ العنق وعن شماله ، وهي شحمةٌ إذا كانت سَمينةً .

وفي المطبوعة : (التِّرْيَمَةُ) .

٧٩ ــ ص ١٠١ : وقال : نَنْزِعُهَا من الإبل إذا كان بها سُهَام .

وفي المطبوعة : (المُتْرَعَةُ من الإبل) الخ .

وفي الحاشية : (الأصل يترعها) .

٨٠ ــ ص ١٠٢ : وقال أبو الجرَّاح : الإِتِّنَامُ أن يأكلوا لحمًا بغير شيء .

وفي المطبوعة : (الإِتْتَام) .

٨١ ــ ص ١٠٥ : في صفات الأمة باللؤم في الأصل : الكتعاء .

وفي المطبوعة : الكثعاء .

٨٢ ــ ص ١٠٥ : وقال الطائِيُّ : الثُّنْيُ من الجزور الرأْس والقلبُ .

وفي المطبوعة : (الثنيا) وفي الحاشية : (في الأصل المثنى ، وما أثبتناه من كتب اللغة) . ومافي الأصل (الثني) لا المثنى والكلمة واضحة ومضبوطة بالحركات .

٨٣ ــ ص ١٠٦ : وقال القُطَاميّ :

مياه السُّوَى يَحْملنها قبل الصوى دليف الروايا بالمثممة الوفْرِ

المثممة : المكففة .

وفوق الصوى : (العُرَى) .

أما في المطبوعة فقد ورد صدر البيت بهذه الصورة :

مِيَاهُ السُّوَى مايَحْمِلْنَها على الصُّوى

وجاء في الهامش : (الأصل قبل ولا يستقيم بها الوزن ـ البيت مما فات الديوان) .

٨٤ ـ ص ١٠٦ : امرأة مُثَفَّيَةٌ : أي قد مات لها ثلاثة أزواج . .

وقال العقيلي : المُثَفَّى : الذي تموت عنده ثلاث نسوة .

وفي المطبوعة : (مثفاة التي) و (المُثْفَى) .

٨٥ ـ ص ١٠٨ : وقال قد ثنِتَ القَرْحُ إذا أَدَاد .

قال يزيد بن الحكم :

نَكَأْتْ قروحاً في قُلُوبٍ فَأَصْبَحَتْ براءً، وهل يُشْفَى عَلَى الثَّنْتِ قارِحُ

وفي الهامش : (س : أنا أقول : ثَنِتَ اللحْمُ إذا أَنْتَنَ حتى يَنْهرِتَ ويتساقط) وسقط هذا من المطبوعة .

وورد فيها (في القلوب فاصبحت) .

و (نكأت) التاء مسكنة وهي في الأصل مضمومة. وحاشية الأصل لم ترد في المطبوعة.

٨٦ ـ ص ١١٢ : وقال :

يَـامَيُّ أَرْوَى جِـيرتي فَحَـبَّبُـوا وأعقبـونـا المـاءَ لَمَّـا جَـبَّبُـوا

وورد في المطبوعة : (فجببوا) ـ أي بالجيم وهي في الأصل بالحاء المهملة .

٨٧ ـ ص ١١٢ : والجِرْضِمُ من الغنم : الكبيرة السَّمِيْنَةُ . وجُرَيْضَةٌ مثلها .

وفي المطبوعة : (وجُرَبِضَةٌ) .

٨٨ ــ ص ١١٢ : من بَكَراتٍ حُلِبَتْ ونِيْبِ وفي الهامش (ض : حُلِّئَتْ) .
وأشار إلى هذا المصحح ولكن قرأ الكلمة أو حَرَّفها الطابع (حلتث) .

٨٩ ــ ص ١١٢ : الجائز أصل الشجرة مالْمْ تفرّق .
وفي المطبوعة : (مالم تُغْرس) .

٩٠ ــ ص ١١٣ : جَرَذَ الأرضَ بِحافِرِه ، يَجْرِذُها إذا أثر فيها وحفرها بيده .
وفي الهامش : (ض : جرذ الأرض لحافرها يجْرِذُها وهو الصحيح) .
وفي المطبوعة : (جرذ الأرض لحافرها) الخ وفي الهامش : (الأصل بحافره ، وما أثبتناه عن ض) .

الحامض كأنه استدرك على ماني الأصل مصححاً ، ولكن إبقاء مافي الأصل ، وذكر تصحيح الحامض في الهامش هو ما ينْبغي .

٩١ ــ ص ١١٣ : وقال :

وأَوْقَ البُحُور الحَضْرمُونَ كأنَّما ... يُناب بِهِمْ رُكْنٌ من الرِّيفِ مُجْنَبُ

وفي الهامش : (ض : وأق البحور) .
وفي المطبوعة : (وأق) وفي حاشيتها : (الأصل وأوق ، وما أثبتنا عن الحامض) .

٩٢ ــ ص ١١٥ : والمَجالح من الإبل التي تُديم ألْبانها في الشتاء ، وخِسَّةِ المِضاغ .
وفي الهامش : (ض : المضاع) .
وفي المطبوعة : (والمجالح من الإبل : تُديم ألبانَها التي في الشّتاء ، وخسّة المضاغ) .

٩٣ ــ ص ١١٦ : خرج لهم من جِرَاب خَفْرَةٍ أيْ بَرَزَ إليهم ، وهو مثل .

وفي المطبوعة : (خرج إليهم من جراب خَفْرِهِ ، إذ برز إليهم وهو مثل) .

فغير : (لهم) و (خَفْرَةٍ) و (أي) وقال في الحاشية : (الأصل خفرة تصحيف) .

٩٤ ــ ص ١١٦ : وقال : جَوْزْتَ حوضك أي قَعْرْتَهُ وفي الهامش : (ض : جَوَّرت) .

وفي المطبوعة : (جَوَّرت) مع الإشارة إلى مافي الأصل وقول : (ما أُثبت من ض وهو يتفق ومافي كتب اللغة) .

٩٥ ــ ص ١١٨ : الجؤْرَةُ حُفْرةُ النَّارِ ، والجَيَّرُ .

وفي المطبوعة : (الجَيَّار) .

٩٦ ــ ص ١٢٠ : رجلٌ حَجْلٌ : إذا كان غليظ الوَجْه ، واسع الجبين ، كَرِهاً ، في عظمٍ وغِلظ وأسنانٍ .

وغير في المطبوعة (كرها) فجعلها (كزّه) وقال في الحاشية : (الأصل كرها تحريف صوابه من « اللسان » حجل) .

٩٧ ــ ص ١٢٠ : تقول للغلام : هو الجَبْرُ ، ولِلْعُوْد الجبْر .

وفي المطبوعة : (وللعود جَبْرٌ) .

٩٨ ــ ص ١٢٢ : جُشُّ القُفِّ وسَطُهُ ، وهي الجشَّان .

وفي المطبوعة : (وهم الجشَّان) وقال في الحاشية : (في الأصل وهي صوابه ما أثبتنا) .

٩٩ ــ ص ١٢٦ : وقال طُفَيْلٌ الغنويُّ :

لَوْ كُنْتَ سَيْفاً كانَ أثْرُك جُعْرَةً وكنتَ ددانـاً لا يغيِّرهُ الصَّقـلُ

وفي المطبوعة : (وكنت دَدٍ أنْ لا يغيره) الخ .

وفي الحاشية : (كذا ورواية اللسان : وكنت حَرٍ أنْ لا يغيرك) .

١٠٠ ــ ص ١٢٩ : أكل انفَحة ، بيضاء مُصْلحة ، في صِغْو مِقْدحة . التي يغرف فيها .

وفي المطبوعة : (التي لا تغرق فيها) وفي الحاشية (كذا في الأصل) ونسب إليه : (الأصل اتفحة ـ تصحيف) وهي في الأصل صحيحة لا كما قال .

١٠١ ــ ص ١٢٩ : ما في القَلْتِ إلا نُطْفَةٌ جلسٌ ، وهي أردأُ الماءِ وشرُّه .

وفي المطبوعة : (مافي القَلْبِ) الخ .

١٠٢ ــ ص ١٢٩ : الجُرْمُ النَّوى ، وأنشد لأوس بن حَجَر :

جُلْذِيَّـةٌ كأتـانِ الضَّحْلِ صَلَّبَهـا   جُرْمُ السوادي رَضُّوهُ بأَرْضَـاحِ

وفي المطبوعة : (رضوه بمرضاح) وفي حاشيتها : (الأصل بأرضاح ، وما أثبتناه من المراجع السابقة) يقصد « الأمالي » ٢/٢٧ و « الديوان » ـ ١٨ ـ و « سمط الآلي » ـ ٢٦٢ ـ .

١٠٣ ــ ص ١٣٠ : وقال أبو الأسود :

أتاني في الطَّيْفَاءِ أَوْسُ بْنُ عامِرٍ   لِيخْـدَعَنِي عنهـا بِجِنّ ضِرَاسِهـا

وفي المطبوعة : (في الضبعاء) اعتماداً على اللسان وشرح القاموس و « التهذيب » .

١٠٤ ــ ص ١٣٢ : وإذا كانت السفينةُ خاليةً قالوا : هي جُرَاب ، وإذا كانت شَاحِنةً قالوا : هي أمِدٌ .

وفي المطبوعة : (آمِدٌ) بمدّ الألف .

١٠٥ ــ ص ١٣٢ : وقال ابنُ عطيَّة النُّمَيريُّ :

وَجدتُ أخاكَ إنْ يُعْتِبْكَ يَوْماً   فَسَـوْفَ إلى خليقَـتِـه يَـؤُوْل

كِقِـدْحِـكَ إنْ تُقَـوِّمْـه يُؤْلِـهُ   إلَى ضَلَعٍ بـه نَبَت الـطُّلُولُ

وفوق كلمة يُؤْلِه : (كذا) .

وفي المطبوعة : (إن تُقَوِّمْهُ [سَوِيًّا]).

وفي الحاشية : (بمثل هذه الكلمة يستقيم الوزن) .

١٠٦ ـ ص ١٣٣ : وقال : جَلِّبْ بِضَرْعِ ناقَتِك ، أي شُدَّهُ عليها وهو الصِّرَارُ .

وفي الهامش : (ض : جَلِّبْ ضَرْعَ ناقتك) .

ولم ترد هذه الحاشية في المطبوعة .

١٠٧ ـ ص ١٣٣ : قال :

لا تَبْكِيَـا إنْ أَبْقَتِ الخيلُ ولْـدَةً   صغـارًا، وصرًّا بالحِقِـيْنِ وأَجْلِبَا

وفي المطبوعة : (وجلِّبَا) بحذف الألف .

١٠٨ ـ ص ١٣٣ : وقال :

بِغَـوْجٍ لُبَـانَـاهُ يُتِمُّ بَـرِيمَـهُ   على نَفْثِ راقٍ خشْيَةَ العَيْنِ مُجْلِبِ

وفي المطبوعة :

بِغَوْجٍ لبَانُهُ يُتَمُّ بَرِيمُهُ

وفي حاشيتها : (الأصل لباناة ، وما أثبتنا من الديوان (ص ٢٤) واللسان والتكملة - جلب) وذكر أنه لعلقمة .

١٠٩ ـ ص ١٣٣ : وقال : الجِلِبْنَاةُ : النَّاقَةُ القوية على السفر .

وفي المطبوعة : (الجَلْنَبَاةُ) الخ .

١١٠ ــ ص ١٣٦ : الجوازمُ : وافِيَةٌ ، قال عُيَيْنة بن أوس :

وقـالـوا سَيُعْـطَى بـالقُلُوَّةِ أَرْبَـعٌ ... وبِـالْمُهْرَةِ الأُخـرى ثمانٍ جَـوَازِمِ

وفي المطبوعة : (الجوازم الوافية) وفي حاشيتها : (الأصل وافية ، وما أثبتناه أنسب) .

وفي المطبوعة أيضاً : (بالغَلُوَّة) بالغين المفتوحة .

١١١ ــ ص ١٣٧ : قال مُلَيْحٌ :

بِـذِي حُبُكٍ مِثْـلِ القُنِيِّ تَزِيْنُـهُ ... جُدَامِيَّةٌ من نَخْـلِ خَيْبَرَ دُلَّـحِ

وفي المطبوعة : (دُلَّخِ) وفي الحاشية : (الأصل دُلَّح ـ بالحاء المهملة تصحيفٌ ، وما أثبتنا من اللسان جدم) !!

وأقول : مافي الأصل هو الصواب ، ومافي « اللسان » و « تاج العروس » خطأ ، وقد أشار إلى ذالك الأستاذ عبدالستار فرّاج ـ رحمه الله ـ في « شرح أشعار الهذليين » ١٣٣٣ ـ

والبيت من قصيدة حائيّة وردت في « شرح أشعار الهذليين » وهو البيت الـ ٢١ منها ، وقبله :

سَبَتْـكَ وما تَسْبِيـكَ إلاّ غَـرِيْـرَة ... لَهَا والِدٌ تَرْضَى بِهِ حـين يُمْدَحُ

١١٢ ــ ص ١٣٨ : قال أبو صَخْر :

مُجَاجَة نَحْلٍ مِنْ قَرَاسَ سَبِيئَةً ... بِشَاهِقَةٍ جَلْسٍ يَزِلُّ بِهَا الغُفْـرُ

وفي المطبوعة : (مجاجة نَخْلٍ) .

١١٣ ــ ص ١٤٠ : وقال : مازالوا يَتَحَتْحَتُوْنَ إلينا حتى اجتمع إلينا بشرٌ كثيرٌ .

وفي المطبوعة : (يَتَحَتَّجُوْنَ) وفي الحاشية : (كذا ولعلها يتنحنحون ، وتكون

من غير هذا الباب) ؟

١١٤ ــ ص ١٤١ : الحِرْجُ : العُنُقُ والرأس والأكارع والإهاب والظهر كله غير القطن ، للذي يَرْمِي الصَّيْد ، أوْ يحتبِلُهُ أو يصيده كلبه .

وفي المطبوعة : (للذي يُرْمَى للصَّيْدِ) الخ وفي الحاشية : (الأصل : يرمى الصيد تحْريف صوابه ما أثبتنا ـ اللسان ـ حرج) .

١١٥ ــ ص ١٤١ : ناقة حرشاء أي حدباء .

وفي المطبوعة : (أي جرباء) مع الإشارة إلى تحريف مافي الأصل وأن التصويب من القاموس وشرحه .

١١٦ ــ ص ١٤١ : الحَدَرُ : بَثْرٌ مثلُ الحَصْبَةِ .

وفي المطبوعة : (الحرر) .

١١٧ ــ ص ١٤١ : الحَضْرَمَةُ : أنْ تُغِيْرَ الحَبْلَ إغارةً شدِيدةً .

وفي المطبوعة لم ترد كلمة (الحبل) في الجملة .

١١٨ ــ ص ١٤٢ : قد حَشِيَتِ الخَيْلُ إذَا رَبَتْ ، وفي المطبوعة : (إذا دَبَتْ) !

١١٩ ــ ص ١٤٤ : وقال : هو من حَبَأِ المَلِكِ أي خاصَّته .

وفي الهامش : (س : حفظي من أَحْبَا الملك ، واحدهم حبأ) .

وفي المطبوعة : (هو من أَحْباءِ الملك) وفي حاشيتها : (الأصل حباء وهو واحد الأحباء) .

١٢٠ ــ ص ١٤٥ : الأَحْنَفُ أن يكون في رجليه تقابُلٌ ، كلُّ واحدةٍ مائلةٌ إلى الأُخرى ، تحاتنانِ .

وفي الهامش : (في نسخة : تحانيان) .

وفي المطبوعة : (تجانفانِ) مع الإشارة إلى مافي الأصل ، وقال : (وفي نسخة : تحاتيان ، صوابها ما أثبتنا) .

١٢١ ــ ص ١٤٥ : قال :

لَما دُفِعْنَا إلَيْـهِ وَهْـوَ مُحْضِـرُكُمْ   وأنْتُم تُعْـرِضُونَ الخَـرْجَ حُلْوَانـا

وفي المطبوعة : (وهو مُحْضِرَنا) وفي الحاشية : (الأصل محضر ، ولعل صوابه ما أثبتنا) .

١٢٢ ــ ص ١٤٦ : الحِجْلُ : حَلْقَةٌ من حَدِيْدٍ مكانَ الخِلْخَال وكلمة (مكان) لم ترد في المطبوعة .

١٢٣ ــ ص ١٤٦ : المَحْوَقُ : أن تُكْشَف غُلْفَتُهُ عن حَشَفَتِهِ يقال : حَوَّقَهُ .

كلمة (يقال) ليست في المطبوعة .

١٢٤ ــ ص ١٥١ : المِحْرَافُ الميل الذي يُنقش به الشَّجَةُ وفي الهامش (س : حفظي : تقاس) وفيه أيضاً : (في نسخة : تنفش كذا في الأصل) .

أما مافي المطبوعة فهو : (تقاس) وفي حاشيتها : (في نسخة ينقش ، وما أثبتناه يتفق ومافي كتب اللغة) .

ويؤخذ على هذا ـ عدا مخالفة الأصل :

١ ــ الإيهام بأنَّ لدى المحقق نسخة قديمة غير الأصل وتكرر مثل هذا ص ١٥٦ .

٢ ــ أن ما أثبت هو ماذكر السكريُّ بأنه هو حفظه ، فلا داعي لإقحام كتب اللغة ، مع عدم الإشارة إلى أن السكريَّ ذكره في الهامش .

١٢٥ ــ ص ١٥١ : مَرَّتِ الإبلُ تحشُّ الأَرْضَ حَشًّا .

وفي المطبوعة : لم ترد كلمة (الأرض) التي وضعها ناسخ الأصل بين السطرين فلم تتضح للمحقق . وستأتي الجملة صحيحة ـ ص ١٧٩ ـ .

١٢٦ ــ ص ١٥١ : قال الحطيئة :

تَنْحَاشُ من جِسِّها الأفعى إلى الوَزَرِ .

وفي المطبوعة : (تَنْحَاسُ من حَشِّها) الخ . وفي حاشيتها : (الإشارة إلى مافي الأصل ، وأنّ الصَّواب مافي المطبوعة ـ ثم الإحالة إلى « شرح ديوان الحطيئة ، وأن ثمة (؟) رواية هي : تنحاز من جِسِّها .

ولكن رواية الأصل صحيحة وقد وردت مكررة ـ ص ١٧٩ ـ فكلمة (تنحاش) ـ بمعنى تهرب ـ صحيحة ولاتزال مستعملة في بلاد نجد بهذا المعنى ـ والحس الصوت على ماهو معروف في كتب اللغة ، ومستعمل الآن بين أهل نجد وغيرهم .

١٢٧ ــ ص ١٥٣ : وقال الحارثي : الحَشَرُ : التِّبْنُ . والحَمَاطُ : تِبْنُ الذُّرَة .

وفي المطبوعة : (الحَشَر : التِّبْنُ) .

١٢٨ ــ ص ١١٩ : وقال : الجاذِبَةُ التي لا يَمْنَعُهَا القُرُّ ولا الجدْبُ أنْ تَدُرَّ ، إذا أَدَرَّتْ لا تعتل .

وفي المطبوعة : (إذا أدرت تعتل) بدون (لا) .

١٢٩ ــ ص ١١١ : فيقال هذه أحسن من هذه ، تجابَبْنَ اليوم فَأُجِبَّتْ فلانةُ على فلانة فَجَبَّتْهَا ، أي غلبتها حُسْنًا .

وعلّق المحقق على كلمة (فَأُجِبَّتْ) بما هذا نَصُّه : (ض : يقال أهجرت) .

والواقع أنَّ كاتِبَ الأصل ألحق في هامشه بعد كلمة (أحسن من هذه) ماهذا نصه : (ض : فيقال : أُهجرت فلانةُ على فلانة فجبَّتْها أي غلبتها حُسْنا) .

وكان ينبغي إيراد هذا كامِلًا لإيضاح اختلاف نسخة الحامض ، إذ ماأورده هو مما نقله وليس من قوله .

(للبحث صلة) حمد الجاسر

ومرة أخرى حول كتاب :

« قبيلة مزينة »

المعروف أن النقد هو الإدلاء بدليل ثابت ، أو نَصٍّ إجماع متَّفق عليه لمعارضة رأي خطأه ذالك الدليل ، أو هذا الإجماع ، فهذا في نظرنا هو الذي يسمى نقداً بمفهومه الصحيح ، وحسب دلالة اللفظ عليه .

أما النقد عند كثير من نقّاد العصر فهو الإطاحة برأي سابق دون الاستناد إلى دليل أو شاهد يوجب المناقشة وبين هذين الأمرين فرق واسع ، لا يخفى على المتأمل . وهذا الأخير يسمى معارضة ولا يسمى نقداً بالمعنى الحقيقي . لأنه ليس من الإنصاف أن تَرُدَّ رأيي بدون أن تذكر الأدلة ووجهات النظر حول الموضوع المراد طرحه ، ومناقشة الآراء حوله .

← ٤ ــ ملح : ملاح ٥ ــ عين فور : الجنفور .

٦ ــ ألمع الحجاز : يرى الأستاذ عبدالله أن صوابها : ألمع الشام .

٧ ــ وعلق على كلمة (علي أمير عسير) : (علي بن مجثل) .

٨ ــ وصحح كلمة (حجلة) : (حجلا) .

٩ ــ جوة : جوحان ووصفها بأنها قرية من ضواحي أبها الشرقية .

١٠ ــ قلاع رهدة : أصلحها : قلاع ريدة ، قرية واقعة على السفح الغربي من جبل تهلل المنحدر سيله نحو البحر الأحمر ، وهي تابعة لقبيلة بني مغيد من أعمال مدينة أبها ، كما يتضح من كلام المؤلف عنها .

١١ ــ وقال : أما اسم رفيدة المذكورة في الخريطة فأميل إلى الاعتقاد بأن المراد منه قبيلة دوسري المتحمي الذي كان مرافقاً للحملة ، وكامل الاسم هو ربيعة ورفيدة ، وهذه القبيلة تقع منازلها شمال غربي مدينة أبها ، ومن أشهر قراها طبب .

وخلاصة القول أن النقد في المجال الأدبي لا بُدَّ أن يكون مستنداً على أمرين ذكرناهما آنفاً وهما : النص الصحيح الصريح ، والإجماع وهو ما قبلته العقول التي يستبعد أن تجتمع على خطإ . فالنص أمر مُسَلَّم به لا جدال . والإجماع يُستأنس به للقرب من الحقيقة إذا لم يعارض بآراء صائبة ، وما سوى ذالك فهو إثبات المخالفة ولا يصح أن يسمى نقداً .

وقد لفت انتباهي ماورد في مجلة «العرب» في جزءي جمادى عام ١٤٠٩هـ من ملاحظات على كتابي «قبيلة مزينة في الجاهلية والإسلام ، نسبها وتاريخها وتراجم بعض الصحابة منها» للأخ فايز بن موسى البدراني الحربي .

تلك الملاحظات التي سمتها المجلة على غلافها نقداً ، وعندي في ذالك نظر (!!) وبداية القول شكر الأستاذ الأخ فايز على الثناء الحسن ، وذكره إياي ذكره الله بما يذكر به عباده الصالحين ـ ولا أذيع سِرّاً إذا قلت : إني سررت بما كتبه وإن خالفني الرأيَ لأن الغاية واحدة ، وطرح أي قضية للمناقشة بغية إثراء جوانبها بالأدلة والشواهد أمر مقبول عند أهل العلم .

ولعلي أُورد بعض الملاحظات على الملاحظات ، وهيَ إنْ صح التّعبير ـ دعابة مع الأخ فايز ، أرجو أن يتسع صدره لقبول ما لم يجانب الصواب فيها ، وأن يجعلني في حل مما عدا ذالك :

أولاً : أورد الكاتب اسم الكتاب مبتوراً دون أن يشير إلى اسمه كاملاً ، ولا شك ، أن أول اسم الكتاب يشير إلى مفهوم خاص ، وآخره يشير إلى مفخرة إسلامية تعتز بها القبيلة ، وهي ما كان من ذكر للصحابة من هذه القبيلة رضي الله عنهم ، وبتر الاسم أو اختصاره بهذه الطريقة أمر غير مقبول ، سامح الله أخي الأستاذ فايز ، وقد يقرني على هذه الملاحظة من أمعن النظر في الاسم محصوراً بين القدم الجاهلي للقبيلة والفخر الإسلامي ، فسيرى أنه لا ينبغي الاقتصار على بعض الاسم دون بعض . ومن أدرك أيضاً بواعث التأليف تبينّ له مايدل عليه الاسم مما أريده .

ثانياً : قال الأخ فايز : إن الكتاب ناهز ثلاث مئة صفحة . الخ . ولا أشك

أن هذا القول متعمد ومقصود فمن أين لأخي حفظه الله أن يلغي مائة صفحة ، والكتاب يناهز الـ (٤٠٠) فهو ثلاث مئة وتسعون صفحة ، إلا إن أراد الأخ فايز أن القيمة العلمية لهذا الكتاب تتمثل في الثلاث مئة فقط فهذا شيء نشكره عليه وهو تقييم نرضى به غاية الرضا .

وكان الواجب على الأخ فايز أن يعطي نبذة وافية عن الكتاب بشكل عام ثم ينقد ماشاء ، إذا توافرت عنده الأدلة الواجب الانقياد لها ، فهذه هي الطريقة المثلى عند من أراد النقد ، وقد أشار إلى ذالك من قال : (أثبت العرش ثم انقش) .

ثالثاً : ذهب الأخ فايز مذهباً بعيداً وخالف طريقي فالكتاب يعالج تاريخ قبيلة مزينة فقط ، ولم يتعرض لأي قبيلة أخرى ، بينما الأخ فايز يتكلم عن قبيلة (حرب) عامة ، وهذه لم نتعرض لها بما يوجب هذا التحامل ، ولو فهم الكاتب الأسباب الداعية لتأليف الكتاب لأقرني ونهج منهجي ، ولكنه خالفني في موجبات القضية ، فاستمر مجانباً لقَصدي ، محايداً عن طريقي ، والاتفاق في هذه الحال من أصعب الأمور ، ولهذا يحاول الأخ فايز أن يقحمني بأمور لم أتعرض لها ، وكأنه يريد أن يُثيْرَ من الأمر قضية .

رابعاً : يقول : إن المؤلف أساء إلى نفسه وإلى قبيلته ، فأما الإساءة إلى نفسي فلو علمت ذالك لما فعلت ، ولعله يكون رأياً له ولا اعتراض لنا عليه ، وأما الإساءة إلى القبيلة فلم يتضح ماذا يعني . فإن أراد (مُزَينة) فلا أظن في نظري وحسب اطلاعي أن رجلاً أهدى لقبيلته مثل ما أهديت لقبيلتي ، خصوصاً بعد أن أفردتها (حرب) على لسان الأستاذ البلادي - .

وأما إن أراد قبيلة (حرب) فلا أعلم أنِّي أسأت إلى أحد ، ولا ذكرته بسوء ، غير أني أبديتُ رأياً رأيته في معرض الرد على الهمدانيّ ، ولا أرى أنه يخالف نصوصاً صحيحة ، أو إجماعاً ، وحسبي أنْ أقف عند منتهى علمي ، لأني لم أَدْرِ بما كتبه شيوخنا الأفاضل في الأنساب ، ولم أطلع على شيء منها ، ومن قرأ قائمة المصادر في كتابي عرف ذالك ، ولا يخفى على أحد مشكلة نقص التوزيع في كتب

الأنساب خاصة . ولهذا ليس من حق أحد أن يُلْزِمَنِيْ الأخذ بأقوال لم أرها ، ولم تكن في مكتبتي ، والكلام أو هو الرأي الذي ذكرته عن قبيلة (حَرْب) ونسبتها إلى عدنان لا يوجب هذا التّحامل ، كما لا ينبغي الرد عليَّ وتخطئتي في ذالك ، فإني قد أسندت كما أسند غيري ونسبت القول إلى قائليه . وصواب الأمر أن يوجه الرَّدُّ إلى من سبقونا فإن ثبت رأيهم فهو الذي رأينا ، وإن لم يثبت فإن رأينا أولى بالزوال لأنه مبني على آرائهم ، وبنفس الطريق يتجه الرأي المعارض (وذكاة الحُوَيِّر من ذكاة أمه) كما في المثل الشعبي في كلا الحالين لأن الرأي الخاطيء حجة على من اتبعه ، والحق أحق أن يتبع ، وليس من طبعنا التحيز لرأيٍ مخالف لأنه رأينا .

وأما قولك يا أخي فايز : إني قد أسأت للأستاذ عاتق البلادي فالعجب من هذه لا ينقضي ، أليس من الواجب رحمك الله أن تنظر إلى نص كلام الأستاذ في قبيلة مزينة في كتابه « معجم قبائل الحجاز » الذي هو السبب في تأليف كتابي ، ولا أعتقد أنك لم تطلع عليه ، لأني ذكرت ما قال في كتابي الذي بين يديك في الصفحة الـ (٣٤) فلماذا هجرت ذلك وصدَّدت عنه مدافعاً بغير إنصاف ، وجعلت عمدتك كتابه «نسب حرب» ولو نظرت نظرة بعيدة عن تحاملك هذا لاتضح لك أن كتاب الأستاذ عاتق المسمى «نسب حرب» مختص بمسروح فقط ، ولم يذكر من بني سالم إلا ميمون ذكرهم تعليقاً في المشجرة المرسومة ، أما المراوحة من بني سالم !!!؟ فانظر يا أخي لتجد أن الكتاب ناقص نقصاً بيناً ، ويحتاج إلى استدراك أو استدراكات لا بد منها ومن ضمنها الأخطاء في قبائل مسروح بالذات ، وحسب الشيخ أن ينتبه له فيصلحه ، وهذا لا يحط من قدر كتبه وإنما هو التنبيه والإشارة إلى أن كتب الأنساب من الصعب استقامتها إلا بعد تمحيص شديد وطول أمد ، وأن الهمداني رحمه الله لم يحط كل الإحاطة بقبيلة حرب ، مما يدل دلالة واضحة على عدم إلمامه بالموضوع لا من ناحية النسب ولا من ناحية التاريخ ، وإلا لم يهمل هذا القسم ، إلا إن كانت القبيلة لم تنقسم إلا بعد عهد الهمداني وهذا يحتاج إلى دليل .

وإذ لا دليل على ذالك فيما نعلم سوى ما ذكره الهمداني نفسه فإن الواجب اتباع القاعدة الأصولية (أن الـمُثْبِت مقدَّم على النافي ، ومن حفظ حجة على من لم

يحفظ) ، والعلماء الذين جاءوا بعد الهمداني وكتبوا في الأنساب حفظوا أشياء لم يحفظها وأثبتوا في الأنساب خاصة علوماً لم يتعرض لها ، فقولهم أولى بالإتباع في نظرنا ، وقولنا بشذوذه رحمه الله في هذه المسألة لا ينقص من قدره أيضاً ولا يوجب اطراح علمه ، ولكن (كل يؤخذ من قوله ويترك إلا سيد الخلق ﷺ) (وحسب المرء أن تعد معايبه) .

خامساً : يقول الأخ فايز : إني لم أكْتَفِ بمخالفة رأي البلادي بل عمدت إلى تسفيه رأيه الخ .

فليت أخي جزاه الله خيراً ابتغى كلمة غير التّسفيه لكانت الأولى في سياق كلامه مع تحامله الواضح ، فلم تَجْرِ هذه الكلمة على لساني ولا في كلامي ما يدل عليها لا نصاً ولا قياساً ولست مطالباً بما لم أتلفظ به ، وقولي (إن البلادي لم يَتَحَرَّ الدقة) هذا إخبار في نظري وليس تسفيهاً وكذالك هو في نظر الأخ فايز بدليل أنه رده إليَّ فهل كان هذا القول في حق البلادي تسفيهاً وفي حق غيْره ليس كذالك أم ماذا !؟ ولم تأت يا أخ فايز بما يوجب مُقَارعَتَك بِحجة النّص والدليل ، وكل مافي الأمر أنك انتصرت للشيخ البلادي ، وهذا لا ننكره ابتداءاً ولكن لا نقبله على حساب التاريخ ، مع أنك لم تنظر إلى اعترافنا بعلمه وسعة اطلاعه . ويبدو أنك تريد أن تضع من قبيلة حرب موضعاً للمناقشة وذالك يدل على أنك لم تقتنع بما تم لدى العلماء في نسب حرب ، فأردت أن تطرق الموضوع لتتظافر الأدلة حوله ، ولو أنك اقتنعت لما عرّضت القضيّة للمناقشة ، ذالك لأن الأشياء الثابتة لا تؤثر بها عواصف الآراء ، وعلى كل فالأمر ليس وارداً عندي . لأن كلامي في كتابي كله منصب على ما قاله الأستاذ عاتق البلادي في قبيلة مزينة ، ولم يأت ذكر حرب إلا عرضاً في معرض ردّ أقوال الهمداني ، كما تقدم .

أما إبداء الرأي الصريح في انتساب حرب إلى عدنان أو قحطان فهو يحتاج إلى بَحْثٍ مستقل ليس بالإشارة والتعليق ، وقد قُلْتُ في كتابي أكثر من مرة : إني أعترض على القول القائل بنسبة حرب إلى قحطان وإن كنت لا أميل إليه وأرى رأي العلماء السابقين المخالفين لرأي الهمداني ، ولم أزل حتى يبلغني خلافه أميل إليه لدليله ، وفي هذا احتراز واضح لا يخفى .

لكن الذي أثار القضية هو ما ذكره الهمداني واتبعه الأستاذ عاتق في إيراد الحوادث التي أشرنا إليها في الكتاب والتي أساءت إلى تاريخ قبيلة مزينة ، وغيرها من القبائل العدنانية أهل تلك الديار بطريقة فضلاً عن أنها غير مقبولة فهي لا تستند إلى أدلة ، ولو كان الأستاذ البلادي سابقاً لعصرنا لربما كان قوله فيها معتمداً لكن بحكم المعاصرة (نحن رجال وهم رجال ، نأخذ من حيث أخذوا) وترضينا زيادة الأدلة ، أما إن كان العمدة هو قول الهمداني فلا عبرة به لشذوذه في هذه المسألة .

سادساً : أشار الأخ فايز إلى مانعته بسوء الفهم في قولي : (لا ضير على مزينة العدنانية أن تذكر نسبها بوضوح وأن يكون لها تاريخها الواضح الجلي الذي لا يستطيع أحد أن ينكره) الخ والجواب : أن الذي أشرت إليه هو إنكار تاريخ القبيلة لا نسبها ، وأي إنكار للتاريخ أعظم من أن يكون ست مئة يغلبون خمسة آلاف ويخرجونهم من ديارهم صاغرين أذلاء ، هذا الذي لا نصدق به يا أخ فايز لا الهمداني سابقاً ولا غيره لاحقاً فليكن الأستاذ البلادي أو غيره . والكل يعلم طريقة الهمداني في البحث ، فهو يخرج على بعيره من صنْعاء إلى مكة ، ولا يمر بأحد - إلا ويسأله عن ما يعرفه من الجبال والأودية والأنساب وأخبار الحوادث ويسجل كل ذالك كحاطب ليل ، من قوله ما يصيب ومنه ما يخطيء ، وليس قوله الفصل في حادثة بينهُ وبينها مايزيد على قرنين من الزمان إذا لم يتابعه عليها أحد ، ومن شذ في مسألة خالفه فيها الناس فقوله غير مقبول عند أهل العلم قاطبة . فليت شعري من هم شيوخه الذين روى عنهم أليس أكثرهم من الأعراب سكان الفلوات .

أما ما أشرت إليه من أن حرباً نَمَوْا وكثروا ثم بعد ذالك غزوا مزينة وأخرجوها من ديارها فإن هذه يا أخي من الطامات ، فعندما أثبت الهمداني أن هؤلاء ست مئة ذكر أيضاً أن أولئك خمسة آلاف ، فهلا تفضّل الهمداني - أو من روى له هذه الرواية - وأخبرنا بالسبب الذي جعل نساء حرب يلدن التوائم فيما كانت نساء القبائل العدنانية أُصِبْنَ بالعقم ، ورجالها أُصِيبوا بالطاعون ، حتى صار هاؤلاء يزيدون وهاؤلاء ينقصون في برهة قصيرة من الزمن ، وأين منازل حرب في هذه

المدة كلها ؟ هلاّ تفضلت أنت أيضاً يا أخ فايز بتحقيق ما كتبه الهمداني بطريقة علمية لتعرف أين منتجع القبيلة ومنازلها خلال تلك الحقبة التي هي فيها تعد العدة لغزو القبائل الأخرى فربما يتبين لك غلط الهمداني في هذه المسألة ومن حذا حذوه .

وإذا عرفت أن حرباً قبل أن تستوطن في البلاد بدأت بـ (عَنَزَة) فأخرجَتْهَا من ديارها ثم بمزينة ثم بسُلَيْم ، دون أن ينضم إليها أحد من القبائل عن طريق الحلف أو غيره يزيد به عددها .

إذا عرفت ذلك وتأملته عرفت لماذا أنكرته في كتابي ، وقلت : هذه القبائل كلها عدنانية وذات قوة ومنعة ، فكيف تخضع هذا الخضوع لِثُلَّةٍ جاءت من اليمن تريد أن تنهب الأموال ، وتغتصب الديار ، ولماذا لم تجتمع كلها على هذا العدو المهاجم دَرْءاً لمقتضى المثل : (من تغذَّى خويِّـي تعشابِي) إن الأمر يدعو للاستغراب والعجب .

وإذا ضعف هذا الجانب من رواية الهمداني وتبين عدم إدراكه لما حدث ، فمن باب أولى ضعف الروايات الأخرى التي خالف فيها جماهير أهل العلم الذين كتبوا في الأخبار والأنساب .

ولهذا نرى أن يكون الأولى بأهل العلم والمنتسبين إليه أن يَنْتَصروا للأدلة فهي أحق بالإنتصار .

وإن اتباع الآراء الشاذَّة للإنتصار لتاريخ قوم على حساب تاريخ قوم آخرين ، ليس من العدل في نظرنا ، كما أن اتباع الجماهير أيضاً في أمر من الأمور دون بينة ليس من الحكمة ، ولهذا فالعبرة بالطريق القويم والرأي السليم .

سابعاً : يتساءل الأخ فايز ويقول : كيف غابت عنه آية سورة البقرة في قصة طالوت في قوله تعالى : ﴿ **قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلةٍ غلبتْ فئة كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ والجواب ياأخي : ماغابت عني ولكن أسباب النزول مهمة في تفسير الآيات ، وسياقها هو الطريق إلى تنزيلها منازلها للاستدلال بها ولو استعرضت الآية لعرفت أنها :

أولاً : جاءت في معرض القصص القرآني .

وثانياً : أن فيها التحريض على القتال ، واستشعار للصبر ، واقتداء بمن صدق ربه ، واقرأ القصة من أولها يتبين لك الأمر ، وتكون على جلية منه ، ثم اعلم أن الآية لا تنطبق إلا في حق من ورد وعد الله لهم بالنصر ومعيَّة التوفيق ، والتسديد ، إذ يقول العلماء : إن النصر له شروط منها . قوله تعالى : ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله ﴾ الآية آخر سورة آل عمران . وقوله: ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ آل عمران (١٢٢) .

وقوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ سورة النحل آخر آية . وقوله : ﴿ ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ . سورة الحج آية ٤٠ . وقوله : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ آية ٤٥ من الأنفال .

فهذه أسباب النصر وشروطه ، وهي معدومة عند من يقاتل إخوانه المسلمين ليستحل دماءهم وأموالهم ، وبين هذه الأسباب وبين من هذا فعله كما بين الثَّرَى والثُّرَيَّا ، ومثل هذه الآية ياأخ فايز يستشهد بها للرجاء وتَحَرِّي النصر إذا انطبقت عليها الشروط التي ذكرها العلماء والتي قدمناها آنفاً . ولا يستشهد بها على أمور سبقت وحوادث انتهت ولم يتحقق وقوعها فيها ، وليست مزينة بهذا الضعف الذي ذكره الهمداني واتبعه من نقل عنه ، بحيث تضعف عن الدفاع وهي بهذه الكثرة عن قرى كقرى العراق في غلتها .

ثامناً : نقل الأخ فايز ماكتبه الشيخ عاتق البلادي في كتابه «نسب حرب» عن قبيلة مزينة وظنَّ أنه يكفي في اتباع القاعدة التي تقضي بأن المعتمد رأي المؤلف الأخير لكونه ناسخاً للرأي الأول ، وأن هذا القول هو غاية الإنصاف في رأيه .

ونحن مع الأخ فايز في مقتضى هذه القاعدة ، إذا كان المصدر واحداً أما إذا كانت المصادر متعددة ، وأسماؤها متغايرة وموضوعاتها متباينة ، فما قيل في شيء منها يعتبر هو القول الأخير للمؤلف ، وهذا ماحدث بالنسبة لكتاب الشيخ عاتق ←

حول « المعجم الكبير »

[« المعجم الكبير » هو الكتاب الذي اضطلع (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بتأليفه منذ إنشائه ، ليكون شاملاً لجميع مفردات اللغة ، وقد صدر منه مجلدان يحويان مواد حرفي الألف (الهمزة) و (الباء) وبلغ إعداد مواده إلى حرف (الحاء) حيث قدم أثناء انعقاد دورة المؤتمر السنوي الخامس والخمسين من مواد ذالك الحرف من (ح ذ ي) إلى نهاية (ح ر ك ل) في مجلد بلغت صفحاته (١٧٥) جرى التداول فيها ومناقشتها في الجلسة الثانية عشرة التي عقدت صباح يوم الأحد ٤ شعبان سنة ١٤٠٩هـ (١٢ آذار سنة ١٩٨٩م) وهاهي الملاحظات التي عرضت ونوقشت ، وأُقِرَّتْ] .

١ ــ ص : ٢ ــ (دُبَيَّةُ السُّلَمِـيُّ من آل صُوفة خدام الكعبة) .

ليس دُبَيَّةَ السُّلَمِـيَّ من آل صوفة ، إنه دُبيةُ بن حَرَمَـيٍّ الشَّيْبَاني السُّلَمـيُّ ـ كما في « الأصنام » لابن الكلبي و « معجم البلدان » وغيرهما وكان سادن العزى .

أما صوفة فهم بنو الغوث بن مُـرٍّ بن أُدٍّ بن طابخة بن الياس ، الذين كانوا

← «معجم قبائل الحجاز» وماذكر فيه عن قبيلة مزينة ، ولم نطلع على ما ينسخه ، وهذا يشهد على الأخ فايز بتحامله علينا دفاع تعصب لا دفاع أدلة .

وَالْأَدْهَى من ذالك أن الأخ فايز أقحم في الموضوع أسماء علماء أجلاء وجعلني مسفهاً لآرائهم ولا أدري كيف سمح لنفسه باستثارة هاؤلاء الفطاحل مع أني ما ذكرت أحداً منهم ، وليس لدي رد عليه في ذلك .

فالله المستعان ، ، ، ،

المدينة المنورة ـــ مساعد بن مسلم المزني

يُجيزُونَ بالحاج من مِنًى ، وانقرضوا في الجاهلية فورث الإجازة آلُ صفوان بن شِجْنَةَ من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ « جمهرة أنساب العرب » ص ٢٠٦ .

ومنشأ الخطإ هُنا تلفيقُ خَبَرَيْنِ مُتَغَايِرَيْنِ أحدهما ورد في « شرح أشعار الهذَلِيِّنْ » ص ١٢١٢ ونصه : (وقال في صديق له من آل صوفة خدام الكعبة في الجاهلية كان حذاه نَعْلَيْنِ) ثم أورد البيتين ، والخبر الثاني ورد في تعليق محقق الكتاب نقلاً عَنِ « الأغاني » من رواية ابن حَبيب وفيه : نزل أبو خِرَاشٍ على دُبَيَّةَ السلميّ ، وكان صاحب العُزّى فأعطاه نعلين - إلى آخر الخبر - .

٢ ــ ص : ٣ ــ (دَارِيْنُ قريةٌ على الساحل الشرقي من بلاد العرب) .

ليست دارينُ قريةً بل جزيرةٌ واسعة فيها قرى كثيرة في ساحل القطيف ، على الخليج العربيّ ، وكانت فيها فرضةٌ ترسو فيها السفن الواردة من الهِنْد وغيرها من البلاد ، حاملة البضائع التي من بينها الـمِسْك الذي يُنْسَبُ إلى فرضة دَارِين التي كان يرد عن طريقها ويُصَرَّفُ فيها ببيع ونقل . وتعرف الآن بجزيرة دارين ، وبجزيرة تَارُوت ، وأصبحت الآن متصلة بالقطيف .

٣ ـ ص : ٥ ــ (فلا يَقْتَسِمُ فيها السَّفَرُ الماء) .

وعلى الفاء فتحة والصواب إسكانها (السَّفْرُ) جمع مسافر .

٤ ــ ص : ٧ ــ (قَرَنُ ميقات أهْلِ نجد) .

والراء مفتوحة والكلمة مكررة والصواب إسكان الراء (قَرْنٌ) إذِ القَرْنُ الجبل وهذا هو قَرْنُ المنازل المعروف .

٥ ــ ص : ١١ ــ (الحذِيَّةُ اسمُ هضبةٍ قربَ مكة) .

في شرح قول أبي قِلاَبَة الهذليّ : يئست من الحذية أُمّ عَمْرٍو ـ والمصدَر ياقوت . ولكن ياقوتا في «معجم البلدان» أورد هذا القولَ منسوباً للسكري ولم يَرْتَضِه ، بل أضاف إليه بعد إيراده : قلت أنا الحذِيَّةُ في اللغة العطية ، ولو فُسِّرَ البيتُ بالعطية

كان أحسن . انتهى كلام ياقوت . وسبقه إلى هذا التفسير أبو عمرٍو العالِمُ اللغويُّ المعروف ، كما في «معجم ما استعجم» للبكري .

٦ ــ ص : ١٢ ــ (أرِيكُ وادٍ في بلاد بني مُرَّةَ) .

القول بأنَّ أرِيكاً واد في بلاد بني مرة لأبي عبيدة مَعْمَرِ بن الـمُثَنَّى نقله ياقوت ولكنه أضاف : (وقال في موضع آخر : أُرِيكُ إلى جنب النَّقْرَةِ ، وهما أريكَانِ أسْوَدُ وأحْمَرُ وهما جبلان) إلى آخر ما ذكر . وأريكانِ الجبلان لا يزالان معروفيْنِ في عاليةِ نَجْدٍ جنوب النقرة وقد ورد تعريفهما صحيحاً في ـ «المعجم الكبير» ج ١ ص ٧١٦) ـ ويحسن الرجوع إلى هذا الكتاب في المواد المذكورة فيه لئلا يقع اضطراب في نصوصه .

ونسبة المواضع إلى قبائلَ أصبحت غيرَ معروفةٍ الآن ليس من العلم في شيء ، فبنو مُرَّةَ المذكورون هنامن غَطَفان أصبحوا مجهولين .

ومثل هذا التعريف ما ورد في ص ٢٠ : (عاقلُ جبل بنجد في ديار كندة) وعاقل هذا وادٍ لا يزال معروفاً بمنطقة الرَّسِّ ، من بلاد القصيم ، يسمى (العاقليّ) وكان من ديار بني أسد حين كان يرأسهم رجلٌ من كندة هو الملك الحارث الذي توفي في هذا الوادي كما قال لَبِيد :

والحـارثُ الحرَّابُ حَـلَّ بِعَاقِـلٍ   جَـدَثـاً أقَـامَ بِـهِ فلَمْ يَتَحَـوَّلِ

فنُسب الوادي إليه وما كان بديار كندة .

٧ ــ ص : ١٣ ــ (ترج : جبل في الحجاز وقيل وادٍ على طريق اليمن) .

قد يُطْلَق اسم الموضع على ما يقاربه من جبال أو مياه . ولكنَّ تَرْجاً هذا عِرْضٌ من الأعراض ، وهي الأودية العظيمة المأهولة ، ذات القرى ، وهو من أعظم أودية جنوب الجزيرة قال ابن مدرك الخثعميُّ :

تَبَـالَةُ والعِـرْضَـانِ تَـرْجٌ وبِيْشَـةٌ   وقومِـيَ تَيْمُ اللاَّتِ والاسْمُ خَثْعَمُ

وهذا الوادِي من روافد وادِي بيشة العظيم وهو في جنوب نجد ، يمر به الطريق إلى بلادِ عَسيرٍ ، ونَجْرَانَ وشرقِ اليمن .

٨ ــ ص : ١٤ ــ (قال مخارق بن شهاب) :

سَيُصْبِحُ فِي سَرْحِ الرِّبَابِ وَرَاءَهَا إِذَا فَزِعَتْ أَلْفَا سِنَـانٍ مُـحَرَّبِ

(السَّرْحُ فِنَاء الدار) .

المفهوم من البيت أن السرح هنا الأنعامُ السارِحةُ فوراءها من يحميها بالأسِنَّةِ الـمُحَرَّبَةِ ، الـمُذَرَّبَةِ .

٩ ــ ص : ١٦ ــ (حَرْبُ : قبيلةٌ بالحجاز من بطون بني هلال) .

حربُ قبيلة خولانية قحطانية ، تنسب إلى حرب بن سَعْدِ بن سعد بن خولان ، وكانت مع إخوتها من خولان في نواحي صَعْدَةَ ، فنشأ شقاقٌ في القبيلة فارتحلت قبيلةُ حرب سنة ١٣١ من اليمن ، واستقرت فيما بين الحرمين الشريفين ، وسيطرت على تلك البلاد منذ القرن الثالث الهجري تقريباً إلى عصرنا ، بحيث تُعَدُّ الآن هذه القبيلة أقوى القبائل في الحجاز ، وأوْسعَهَا داراً ، وأكثرها فروعاً ، وقد فَصَّل نسبَها وخبرَ انتقالها من اليمن مؤرخُ اليمن أبو محمد الحسن الهمداني في الجزء الأول من كتاب « الإكليل » ص ٣٩٢ الطبعة العراقية وهو أوثق من كتب عن أنساب القحطانيين .

١٠ ــ ص : ١٨ ــ (حُرَبُ بن مَذْحِجَ بْن مَظَّةَ ، وفي قضاعة : حُرَبُ بنُ قاسط ، وكلُّ اسم في العرب حَرْبٌ سوى هذين الاسمين) .

ليس حُرَبُ ابناً لِـمَذْحِجَ بل هو حُرَبُ بْنُ مَظَّةَ بن سِلْهِمَ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرة ، وهؤلاء من مَذْحِجَ ، وبالرجوع إلى كتاب « مختلف القبائل ومؤتلفها » لابن حبيب وكتاب « الإيناس » للوزير المغربيِّ يتضح صوابُ العبارة ونصها فيهما : (كلُّ شَيْءٍ في العرب حَرْبٌ سَاكنٌ ، إلَّا اسْمَيْنِ : احدهما في مَذْحِجٍ ، فإنه حُرَبُ بنُ مَظَّةَ بن سلْهِمَ بن الْـحَكَمِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيْرةِ ابْن مالك بْن أُدَدٍ ، وفي قضاعة

حُرَبُ بنُ قاسِطِ بن بَهْراء) انتهى . ومالك بنُ أُدَدٍ هو مَذْحِجُ ، وبَهْرَاءُ القبيلة القُضَاعية المعروفة .

١١ ـــ ص : ٢٢ ـــ (مُحَارب : بنو محارب قبائل منهم مضر : محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ومحارب قيس عيلانة (؟) ومحارب بن مر بن اد بن طابخة ، ومنهم في ربيعة محارب بن عمرو) إلى آخر الجملة وهي بحاجة إلى صياغة كأن يقال : بنو محارب قبائل منهم محارب بن خصفة ، في قيس عيلان ، ومحارب بن فهر في قريش ، ومحارب بن عمرو بن وديعة في عبدالقيس .

هذه الثلاث أشهر من عُرِف بهذا الاسم .

ولم يرد ذكرُ أشْهرِ قبيلة عرفت به عند الإطلاق وهي محاربُ بن خصفة بن قيس عيلان ، وينسب إليها رجال مشهورون من الصحابة وغيرهم ، وهي المقصودة عند إطلاق هذا الاسم .

١٢ ـــ ص : ٣٥ ـــ (بنو حارثة من الأوس) .

هذه القبيلة جديرةٌ بالتفصيل ، لأنها إحدى الطائفتين المذكورتين في القرآن الكريم : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ وفي «السيرة النبوية» لابن هشام ١١٢/٣ : ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ﴾ بنو سَلِمَةَ بنِ جُشَمِ بن الخزرج ، وبنُو حارِثَةَ بنِ النَّبِيْتِ ، من الأوس ، وهما الجناحان يوم أُحُدٍ ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ أنْ تَنْخَذِلاَ ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾ الـمُدَافِعُ عنهما ما هَمَّتَا به من فَشَلِهما . انتهى . وبنو حارثة هاؤلاء هُمْ بنو النبيت واسمه عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة من الأزد ، وهم من أنصار النبي ﷺ أهل المدينة .

وبنو سلِمة بكسر اللام من الأنصار أيضاً . ويحسن الرجوع إلى كتب التفسير لمعرفة ماهَمَّتَا به من فَشَلٍ .

١٣ ـــ ص : ٥٠ ـــ (قال الشاعر: حراجيج ..... ديوانه ١٤١٩/٣) وسقط اسم الشاعر وهو ذو الرُّمَّة .

١٤ ــ ص : ٦٢ ــ (حَراد بن نداوة ... حراد بن شَلْخَب الأكبر) .

١ ــ الكلام منقول من «التاج» وبعده : (وكغراب حراد بن مالك بن كنانة وحراد بن نصر) ثم اسمان آخران ومصدر صاحب «التاج» كتاب «التبصير» للحافظ بن حجر . ولكن الذي في «التبصير» في الأسماء المذكورة (حَدّاد) بدالين مهملتين ، ومصدر ابنُ حجر كتاب «مختلف القبائل ومؤتلفها» لابن حبيب وفيه بالدالين المهملتين أيضاً ، وإذَنْ فقد تصحف على صاحب «التاج» .

٢ ــ كلا الاسمين المذكورين نكرة مجهولة ، إذ لم يوصف أحدهما وصفاً يستحق به أن يذكر في «المعجم» ، ولهذا يحسن الاكتفاء بالعبارة الواردة ص ٦٢ : (حراد علم لغير واحد) .

٣ ــ (نداوة) صوابها (بذاوة) بالباء بعدها ذال معجمة ـ كما في «الإيناس» رسم (حداد) وكما تقدم يحسن حذف تلك الأسماء والاكتفاء بالجملة الشاملة لها .

١٥ ــ ص : ٦٣ ــ (حَرْدُ : اسم قرية باليمن وقيل : اسمها حَردة) .

في اليمن موضعان أحدهما حَرَدُ ـ بفتح الحاء والراء ـ اسم وادٍ في مخلاف ذي رُعَيْنٍ ، في عزلة كَحْلَان من خُبَانَ ، شرقيَّ مدينة يَريم ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ٢١٦ والموضع الثاني اْلـحِرْدَةُ ـ بكسر الحاء ـ وهذه أشهر من الأول وكانت من موانِيء تهامة المعروفة ، وصفها الهمداني بأنها ساحل مَدِينة الـمَهْجَم الواقعة على وادي سردد من أشهر أودية تهامة ، ولها ذكر في كتب التاريخ ، كتاريخ الطبري وغيره ، لأن أهلها ممن سارع لتصديق الأسود العنسيِّ المتنبِّـيء في اليمن عند وفاة الرسول ﷺ وقد وقع في كتاب «التاج» ممن سارع لتصديق مسيلمة . وهذا خطأ ، وقد درست الـحِرْدَة ، وموقعها في المنتصف بين اْلـحُدَيدة جنوباً وحَرَضٍ شمالاً على الساحل في تهامة اليمن .

١٦ ــ ص : ٦٩ ــ (حردبة اسم لص من بني اسال بن مازن) .

والإحالة إلى كتابي «الكتاب» لسيبويه و «جمهرة اللغة» . وقد رجعت إلى الكتابين فلم أجد اسم (أسال) في واحد منهما وما أراه إلا محرفاً .

١٧ ــ ص : ٧٥ ــ (حُرَارُ : هضبَاتٌ بأرض سلول بين الضِّبَابِ وعمرو ابن كلاب) .

يحسن أن يضاف : (وسَلول) كما في «معجم البلدان» فالهضاب في بلاد سلول . وأن يُشَار أيضاً إلى عدم اطمئنان ياقوت إلى ضبط الاسم لأنه أعاده مرة أخرى برسم (حُزاز) بزايين معجمتين ـ وفي «التكملة» للصاغاني : وحُرَار . . . بأرض سلول ، ويقال بالزاي .

١٨ ــ ص : ٨٣ ــ (وللعرب حِرار كثيرة) إلى (الحرة أرض بظاهر المدينة) .

في هذا الكلام عدم ترتيب أسماء الحرار على الحروف ، وفيه تكرار . مثال ذالك حرة النار لبني سُلَيم ، وحرة النار لبني عبس ، وحرة راجل ، وحرة الرجلاء . وفيه (إحدى حرار الحجاز الست المحترمة) .

والمفهوم من كلام المتقدمين أن حرة النار وصف يطلق على كل الحرار ، وكذا راجل والرجلاء .

أما (إحدى حرار الحجاز المحترمة) فصواب الكلمة : إحدى حرار الحجاز المحتزمة به . إذ الحرار محتزمة بجبال الحجاز ، ولا حرة فيها محترمة .

وحرة جفل : صوابها حرة حَقْل بالحاء المهملة والقاف . كما في «معجم البلدان» وغيره ـ وحَقْلٌ اسم بلدةٍ لا تزال معروفة بقرب العقبة ، في سفح جبال حِسْمَى ، وبقرب حَقْلٍ حرة تنسب إليه .

وحرة ليلى بنت مرة . الصواب : حرة ليلى لبني مُرَّة .

وأرى أن يقتصر في المعجم على تعريف الحرة تعريفاً لغوياً ، مع الإحالة في التعريف الجغرافي إلى كتب تحديد الأمكنة . أو الاكتفاء بالقول : وللعرب حرار كثيرة أشهرها الحرار المحيطة بالمدينة ، وفي إحداها وهي حرة واقم حدثت وقعة الحرة المشهورة أيام يزيد بن معاوية . والحرار المحيطة بواحة خيبر ، وحرة بني سُلَيم وتعرف الآن باسم حرة رهاط .

١٩ ــ ص : ٨٧ ــ (يمدح بلال بن ابي بُرْدٍ) .

صوابه : بلال بن أبي بُرْدَةَ . وشهرته تغني عن سياق نسبه .

٢٠ ــ ص : ٩٢ ــ (محرر بن عامر الخزرجي البخاري) .

صوابه النجاري الخزرجي من بني النجار من فروع قبيلة الخزرج .

٢١ ــ ص : ٩٥ ــ (حَرَارٌ جبل بمكة وليس كما تظنه العامة) .

سقطت جملة : (وليس جبل حِرَاءٍ ، كما تظنه العامة كأنهم يصحفونه) كذا في «القاموس» وشرحه ، وأرى الاسم تصحيفَ حِراءٍ ، فالأزرقي مؤرخ مكة الذي لم يدع جبلاً أو موضعاً مشهوراً في مكة إلا ذكره لم يرد له ذكر في كتابه . وأرى أن يذكر هنا (حَرَاز) أحدَ مخاليف اليمن المشهورة ذكره ياقوت وغيره ويقع غرب مدينة صنعاء ، يمر به الطريق منها إلى الحديدة ونسب إليه كثير من المشاهير قديماً وحديثاً .

٢٢ ــ ص : ٨٩ ــ (حروراء : رملة وعثة بالدهناء) .

لا تزال هذه الرملة معروفة الموقع فيها (عِرْقُ الْـحَرُوريِّ) و(دَحْلُ الْـحَرُوْرِي) وتقع شرق الدهناء بِقُرْبِ (حُزْوَا) .

٢٣ ــ ص : ٩٧ ــ (حُرَيْزٌ بلد باليمن) .

ضبط ياقوت الاسم بالفتح ثم الكسر ، ثم نقل عن الحازمي (بِزَايَيْنِ) وأحال إليه في التفصيل ، ولو صَحَّ (حُرَيْزٌ) لكان المقصود منهلاً في وادي تثليث كان من مياه بني عقيل بمنطقة إمارة بلاد عسير . لا البلد الذي في اليمن ، إذْ مع شدة تقصي الهمداني اليمني في «صفة جزيرة العرب» لذكر أمكنة اليمن لم يرد في كتابه هذا اسم هذا البلد ، ولكن ورد فيه ص ١٤١ : من جبال جعدة العظمى : حَرِير وهو غير حزيز ، وعلق محقق الكتاب القاضي الأكوع اليمني : حَرِير ـ بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وتسكين الياء وآخره راء ـ جبلٌ مشهور يشتمل على قرى ومزارع ، ومنتجاته القات والبن والموز وجميع أنواع الحبوب ، ويقع جنوب

قُعْطُبة . ويشرف عليها ويصبُّ في وادي أبين ، وهو في ٱلْأَجْعُودِ من الجنوب اليمني .

وذكر الهمداني أيضاً (جِزْيَن) - بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الياء المثناة التحتية ، ثم زاي أخرى - وذكر من المنسوبين إلى هذه القرية ثابت الـجِزْيَزِي ، من رواة الحديث ، وهي قرية لا تزال عامرة تقع على قارعة المحجة من صنعاء إلى ذمار جنوب صنعاء بنصف مرحلة وفيها قتل الإمام يحيى حميد الدين سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨) .

٢٤ ــ ص : ٩٨ ــ (الحرازج : مياه لِبَلْجُذام قال راجزهم) : إلى آخر الشعر .

أَقْلِبَةُ الحرازج جمع قليب لا تزال إلى الآن معروفة ولكن العامة يحرفونها إلى (القليبة) بدون إضافة وكانت من أشهر مناهل الطريق للقادم من مصر أو جنوب الشام إلى الجزيرة وكانت واقعة في بلاد جذام ، وتقع شرق مدينة تبوك بنحو١٠٠ كيل ، بقرب خط الطول ٣٧/٤٠َ° وخط العرض ٢٨/٤٧َ° تقريباً ، وواديها من روافد وادي ثَجْرِ من أعظم الأودية الواقعة شمال الجزيرة ، وقد أصبحت (القَلِيبة) أَقْلِبَةُ الحرازج قرية .

وقائل الرجز ليس من جُذام كما يفهم من النص ، ولكنه جندَبُ بنُ عَمْرِو بن مَجْزُوءِ الذُّبْيَانِـيُّ الغطفاني ، وكان أقبل من مِصْرَ مع الشماخ الشاعر ، في نفر من قومه فنزل يحدو بالقوم وكانوا بِثَجْرٍ فقال من أرجوزة طويلة :

يَـارُبَّ ثَوْرٍ بِـرِمَـالِ عَـالِـجِ ... كَـأَنَّـهُ طُـرَّةُ نَـجْـمٍ خَـارِجِ
فِـي رَبْرَبٍ مِثْلِ مِلَاءِ النَّاسِـجِ ... لَقَـدْ وَرَدْتُّ عَـافِـيَ ٱلْـمَـدَارِجِ
مِنْ ثَجْـرَ أَوْ أَقْلِبَـةِ ٱلْـحَـرَازِجِ ... فِـي غُبَّرٍ مِنْ قَيْظِ لَيْلٍ وَاهِـجِ

ــ وانظر «ديوان الشماخ» ــ ٣٦٢ تحقيق صلاح الدين الهادي .

٢٥ ــ ص : ١٠١ (والمثل عَجزُ بيت لابي هَمَّامٍ السلولي) وصدرُه :

فساع إلى السلطان ليس بناصح .

والعَجُزُ هُوَ : ومحترسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهْوَ حارِسُ) .

صوابُ اسمِ الشاعر عبدُالله بنُ هَمَّامٍ السَّلُوليُّ ، من سلول القبيلة المعروفة الآن ، وهي من قيس عيلان وعبدالله شاعر إسلامي توفى سنة (١٠٠) على مافي «الأعلام» والبيت من مقطوعة في هجو الفلافس ، صاحب شرطة الكوفة في عهد الشاعر وأولها :

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا أَبْنَةَ مَـالِكٍ وذُمِّـي زَماناً سَادَ فِيهِ (الْفُلاَفِسُ)

فساع مع السلطان ـ البيت ـ ....

انظر عن هذا الشاعر وشعره «العرب» س ٢٣ ص ١٥٠ ـ ومابعدها ـ .

٢٦ ــ ص : ١٠٢ ــ (الْـحَرْسُ جبلٌ في ديار عبس) و ص ١٠٣ (الـحَرْسَانِ : جبلان مُثَنَّى حَرْسٍ ــ ببلاد بني عامر) وص : ١١٣ (حَرْشَان : جبلانِ وردا في قول مزاحم العُقَيْلِـيِّ :

نَظَرْتُ بِمَفْضَى سَيْلِ حَرْشَيْنِ والضُّحَـى ...

مدلول هذه الثلاثة الأقوال واحدٌ ، فكلها تنطبق على مكان يقع في جنوب نجد ذِي جبال ، ووادٍ فيه مياه ، وكان قديماً في ديار بني عُقَيْلٍ ، من بني عامر ، كما أورد ياقوت في «المعجم» : حَرْسُ من مياهِ بني عُقَيْلٍ في نجد ، ونقل عن أبِـي زيادٍ في شرح قول مُزَاحم : هما ماءان اثنانِ يسميان حَرْسَيْنِ ـ أي بالسين المهملة لا بالشين ــ.

وفي ذالك المكان مياه عدة تُسَمَّى (حُرُوس) والمياه أكثر ما تكون في الأودية ، وغالباً ما يكون بقربها جبال ، وكذالك الأمر بالنسبة إلى حَرْس ، فهو أحد مياهِ حُروس في واد يضاف إلى هذا الاسم ، بين جبال تدعى الآن الضِّيْرَيْن ــ في

المصور الجغرافي رقم ٢١١ حُرِّف بـ (أثيرين) خطأ ، بقرب خط الطول ٤٣/٥٤° وخط العرض ٢٢/٢°) وقد قَرَنَ عَبِيدُ بنُ الأَبْرصِ اسْـمَ حَروس بصاحةَ في قوله :

لِـمَنِ الدِّيَارُ بِصَاحَةٍ فَحَرُوسِ؟ دَرَسَتْ مِنْ ٱلإِقْفَارِ أَيَّ دُرُوْسِ

وصاحة تقع شرق حَروس بميلٍ نحو الشمال (بقرب خط الطول ٤٤/٢٠° وخط العرض ٢٢/١٢°) .

٢٧ ــ ص : ١١٤ ــ (وفي «التكملة» : إنه تصحيف والصواب جِرْبِش) .

(جِرْبِشُ) هنا بالحاء المهملة لا بالجيم (جِرْبش) كما تقدم ص ٢٩ ــ إذْ مادة (جِرْبش) ــ بالجيم ــ مهملة .

٢٨ ــ ص : ١١٥ ــ (جَخْجَبِيّ) وفوق الياء شدة .

والصواب جَخْجَبَا بالألف المقصورة .

٢٩ ــ ص : ١٣٢ ــ (حُرَاضُ : موضع قرب مكة بين الـمُشَاشِ وٱلـغُمَيْر ، فوقَ ذات عِرْقٍ إلَى البستان ، قيل : كانتْ به العُزَّى ، وقيل : كانتْ بالنخلة الشامِيَّةِ ، قال الفضلُ بن العباس اللَّهبي نسبةً إلى قبيلة بني لَهب) إلى آخر الكلام .

يحسنُ حَذْفُ كلمتي (قيل) (وقيل) إذْ لا محلَّ لهما ، فٱلعُزَّى كانتْ في وادِي حُرَاض ، على ما ذكر ابن الكلبيِّ وابن حَبيب وغيرهما ، وحُرَاضُ هذا من روافد وادِي نَخْلَة الشامية ، فلا منافاة بين القولين ، ونصُّ ياقوتٍ في «المعجم» : وكانتْ بِوَادٍ من نخلة الشامية ، يقال له حُرَاض .

أما الفضل بنُ العباسِ فليس من قبيلة بَنِـي لِهْبٍ ، بل هو حفيد أبي لَهَبٍ عم رسول الله ﷺ فهو الفضل بن عباس بن عُتْبَة بن أبي لَهَب ، وقبيلة بني لِهْبٍ عند

الاطلاق قبيلة أَزْدِيَّةٌ معروفة مشهورة بالعِيافة ـ وضَبْطُ الاسمين مُخْتَلِفٌ فَعَمُّ الرسول ﷺ بفتحتين ، واسم القبيلة بكسرٍ فسكون .

ووادي حُراض لا يزال معروفاً باسمه ، وهو من الروافد الجنوبية لوادي نخلة الشامية وأَعْلاَهُ شِعْبٌ يقال له سُقَام ، قال في كتاب «الأصنام» : كانتْ قريشٌ قد حَمَتْ لِلْعُزَّى شِعْباً من وادِي حُراض يقال له سُقَامُ ، يضاهُون به حَرَمَ الكعبة ، وفيه يقول أَبُو خِراش الهذليُّ بعد إحراق ٱلـعُزَّى :

أَمْسَى سُقَامُ خَلاءً لَا أَنِيْسَ بِهِ إِلَّا السِّبَاعُ ومَرُّ الرِّيْحِ بِٱلغَرَفِ

ويقع وادِي حُرَاض شَرقَ مكة بِحوالي ٦٠ كيلاً (بقرب خط الطول ٣٥/٤٠° وخط العرض ٤٥/٢١°) .

٣٠ ـ ص : ١١٣ **(حُرَاضَانُ وادٍ من اودية ٱلقَبَلِيَّةِ)** .

أصل الكلام عن عُلَيِّ بن وَهَّاسٍ شيخ الزمخشريِّ ، وهُوَ في كتاب «الجبال والمياه» للزمخشريِّ ، في سرد أسماءِ أودية ٱلقَبَلِيَّةِ ، ولم يَنُصَّ على أَنَّهُ بصيغة الافراد ، والنَّصُّ مِنْ ياقوت .

وٱلقَبَلِيَّةُ : هي سَرَاةٌ بين المدينة وينبع ، ما سال منها إلى ينبع يُسَمَّى ٱلغَوْر ، وما سال إلى المدينة يسمى ٱلقَبَلِيَّة ، وحُراضَان من الأودية التي تسيل إلى جهة المدينة .

٣١ ـ ص : ١٣٣ **(حُرَاضَةُ ماءٌ قرب المدينة لبني جُشَمِ بنِ مُعَاوِيَة)** .

بلادُ بني جُشَمٍ تقع بعيدةً عن المدينة ، شرقَ الطائف وحوله واسم حُرَاضَة يطلق على مواضع :

١ ـ وادٍ وجبالٌ فيها مَعْدِنٌ تقع بين ٱلـحَوْرَاءِ وينبع ، ولا يزال هذا الموضع معروفاً .

٢ ــ ماء لبني جشم بن معاوية من بني عامر ، قوم دُرَيْد بن الصِّمَّةِ ، وهذا الماءُ في نجد على مقربة من جبل حَضَنٍ على ماحدد الأصفهانيُّ في كتاب «بلاد العرب» ص ٨ .

٣ ــ وادٍ من أودية الأفلاج ، فيه نخيل ومياه ، ذكره المتقدمون ولا يزال معروفاً .

٣٢ ــ ص : ١٣٧ ــ (حُرُضُ وَادٍ من اودية قَنَاة ، منَ المدينة على ميلين قال كُثَيِّرُ عَزَّةَ :

ارْبَع فَحَيِّ مَعَارِفَ ٱلْأَطْلَالِ بِٱلْجِزْعِ مِنْ حُرُضٍ فَهُنَّ بَوَالِي

وذُو حُرُضٍ : وادٍ بالمدينة عند أُحُدٍ) إلى آخر الكلام .

١ ــ مدلول القولين واحدٌ فوادي قَنَاةَ دُون جَبَلِ أُحُدٍ ، لهذا يحسن أنْ تضاف كلمة (دُون أُحُدٍ) إلى التعريف الأول وتُحْذَفَ كلمة (على ميلين) ، إذ عُمرانُ المدينة الآن غطَّى المسافة .

٢ ــ قول كُثَيِّرٍ لا ينطبق على الوادي القريب من المدينة ، بل على واد آخر يدفع في رَحْقَانَ أحدِ فروع وادي الصَّفراء الذي يقع فيه بَدْرٌ المكان المشهور : فَكُثَيِّرٌ قَرَنَهُ بمواضع كلها في جهة الصفراء ذكرها بعده هي رَيْمَةُ ، وأُثَيْثُ ورُحَيِّبُ وأرابنُ ونُخَالُ وكُتَانَةُ وفُرَاقِدُ وبُعَال ، كما في الأبيات التي بعد الشاهد ــ وانظر «معجم ما استعجم» رسم (حُرُض) .

ولا أستبعد أن يكون اسم (حُرض) في قول كُثَيِّرٍ مصحفاً صوابه (خرص) بالخاء المعجمة والصاد المهملة ، إذْ لا يزال معروفاً من روافد رحقان رافِدٌ بهذا الاسم ، وعلى كل حال فقول كُثَيِّرٍ لا ينطبق على الموضع المشهور الذي بَيْنَ المدينة وجَبَلِ أُحُدٍ ، بَلْ عَلَى الموضع الثاني كما يتضح من كلام البكريّ ، وإنْ لم يلاحظ الفرق بين الموضعين اللذين ذكر .

٣ ــ ينبغي ذكر وادي حَرَضٍ ـ بفتحتين ـ إذْ هو أشهر الأودية المعروفة بهذا الاسم قديماً وحديثاً ، وهو واد في تهامة بين جازَانَ وألـحُدَيْدَةِ ذُو قُرى ، وله ذكر بارز في التاريخ القديم والحديث ، وفيه عقد مؤتمر حَرَضٍ مرتين للصلح بين الجمهوريين والملكيين عند قيام الجمهورية اليمنية ، وإليه ينسب الحافظ أبو بكر العامريُّ ألْـحَرَضِـيُّ ، صاحب كتاب «بهجة المحافل» في السيرة النبوية ، وقد ذُكر هذا الوادي في «القاموس» وشرحه وفي «معجم البلدان» وغيرها .

٤ ــ كما يحسن ذكر حَرَضٍ بن خولان بن عَمْرو ، من حِمْيَرَ ـ سكان وادي حرض قديماً ، على ما ذكر الهمداني في «الإكليل» وياقوت في «معجم البلدان» وغيرهما .

٣٣ ــ ص : ١٦١ ــ (ألحُرَقَتَانِ تَيْمُ ، وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن المنذر بن عُكَابة بن سعد) .

١ ــ كلمة (المنذر) لا محل لها فثعلبة هو ابن عُكَابَة وقد نبه على هذا صاحب «تاج العروس» .

٢ ــ سعد صوابه (صَعْبٌ) وهو ابن علي بن بكر بن وائل على ماهو معروف في كتب النسب .

٣٤ ــ ص : ١٦٣ ــ (الـمُحَرَّقَةُ بَلْدَةٌ باليمامةِ قال ابن السكيت: هي قُرَّانُ) .

يظهر أَنَّ كلمة ألْـمُحَرَّقَةِ وصف بها عددٌ من القرى ، ولعل أشهرها قَرْيَة ألْـمُهَيرِ بن سُلْمِـيٍّ الحنفي الذي ثار سنة ست وعشرين ومئة على الدولة الأموية ، فاستولى على اليمامة ، وقد حدَّدَ موقعها صاحب كتاب «بلاد العرب» فقال ـ ص ٣٥٨ ـ : إذا خرجت من السوق ـ يقصد سوق حَجْرٍ ـ تُصْعِدُ مستقبلاً المغرب ، فأول ماء يستقبلك (يَايَةُ) ثم عن يمينها (ألْقَرِيُّ) ثم عن يسار ذلك مُنْصَبّاً من بطن العِـرْضِ مُحَرَّقَة وهي قرية آل ألْـمُهَيْر ـ ثم ذكر بعد ذلك ثُمَاراً

وغُمَيْلَة ومنفوحة ، وهذه الثلاث معروفة ، وذكر ياقوت أنَّ الـمُحَرَّقَة كانتْ في قبلة حَجْرٍ على نِصْفِ فرسخ ، (ميل ونصف = نحو أربعة أكيال) وكانت تسمى البادية ، كان أهلُ حَجْرٍ يَتَبَدَّوْنَ فِيها وقد أحرقها الأرقم بنُ عُبيد بن ثعلبة الحنفيُّ نكاية بإخوته سكانها الذين لم يسهموا له معهم لما تقاسموا البلاد ، كما أحرق منفوحة ، فقام أهلها بنو قيس بن ثعلبة ، قوم الأعشى فأحرقوا الشَّـطَّ ، وفيه البادية وهو بين الوُتْرِ والْـعِرْض ، فقال الأعشى :

وأَيَّـام حَجْـرٍ إذْ نُحَـرِّقُ نَخْلَهُ ثَـأَرْنَـاكُمْ يَـوْمـاً بِتَحْـرِيْقِ أَرْقَمِ

وقد درستِ البادية وما بقربها من الْـقُرى بدروس مدينة حَجْرٍ التي قامت على أنقاضها مدينةُ الرياض ، حتى شمل عمرانها حَجْرا وما حولها من الْـقُرَى وفيها الْـمُحَرَّقةُ التي كانت على شَفِيرِ الوُتْرِ - (وادي البطحاء) الذي يتوسط الآن مدينة الرياض - .

٣٥ ـــ ص : ١٦٥ ـــ (مالقَى الْبِيضُ من الحُرْقُوصِ) وعلى القاف فتحة .

الصواب بكسر القاف وإثبات الياء نُطْقاً وكتابة (لَقِيَ) ليستقيم وزن الرجز .

٣٦ ـــ هَنَوَاتٌ اكثرها (تطبيع) اي خطأ مطبعي :

١ ـــ ص ١٣ ـــ : (عند إحراق أهل الشام الكعبة) .

يحسن (عند إحراق جيش يزيد الكعبة) .

٢ ـــ ص ١٧ ـــ : الأعشى الحرمازي .

يضاف: شاعر إسلامي (صحابي) .

٣ ـــ ص ٢١ ـــ : (الإمام المنصور بالله) .

يكتفي بـ(الخليفة المنصور) .

٤ ـــ ص ٢٥ ـــ : (محارِيب غُمْدانَ قُصُورها)

غُمْدانُ قصرٌ واحد ، ومحاربيه صدور مجالسه ، وفي «اللسان» و «التاج» :

المحاريب صدور المجالس ، ومنه مَحارِيْبُ غُمدان باليمن .

٥ ــ ص ٥٤ ــ : (ذَا قُبَّةٍ مُوَقَّرةٍ أحراجاً)

وعلى الواو فتحة ، والقاف شدة . والصواب إسكان الواو وتخفيف القاف (مُوْقَرة) ليستقيم الوزن .

٦ ــ ص ٦٩ ــ : (حِين خرج لقتال الصفد)

والاسم (الصُّغْدُ) بالغين المعجمة لا بالفاء .

٧ ــ ص ٧٥ ــ : (قال شَمِرٌ : سمعتُ منْ شيخٍ باهلة) .

وهي : (سمعت من شيخٍ منْ باهلة) سقطت (من) .

٨ ــ ص ٧٦ ــ : (وقد تَركَتْ حَيَّة) .

و(حَيْهِ) اسمُ فِعْلٍ لزجر الضأن ـ بكسر الهاء كما في «التاج» ويجوز إسكانها ولكن يختلُّ هُنَا وزن الرجز .

٩ ــ ص ١٠٩ ــ : (الضَّبُّ تُحِب التمر) .

والضَّبُّ مذكر (يحب) .

٣٧ ــ في بعض الجمل تكرار ، مثل :

١ ــ حُرَيثُ بن عَتَّاب ص ٣٦ ، ٣٨ .

٢ ــ الحَرِيصُ الثوب يحرق : ص ١٢٤ في وسط الصفحة وفي آخرها .

٣ ــ قال أبو كَبِيرٍ : ذهبتْ بشاشته .

البيت وشرحه ص ١٥٤ وص ١٥٩ .

حمد الجاسر

٢٧١ ــ باب الـحَصَّاصَـةِ وَالـخَصَاصَـةِ[1]

أمَّا الأوَّلُ : بِفَتْحِ الحاءِ وتَشْدِيدِ الصَّاد الأُولَى : ـ نَاحِيَةٌ مِنْ قُرَى السَّوَادِ ، قُرْبَ قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ[2].

وأمَّا الثَّاني : بِفَتْحِ الخَاءِ المعْجَمَة وتَخْفِيفِ الصَّادِ : ـ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي زُبَيْدٍ ، وبَنِي الحارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، بَيْنَ الحجَازِ وتِهَامة[3].

---

(١) في كتاب نَصْرٍ بِنَصِّهِ .

(٢) هو نَصُّ تَعْرِيفِ نَصْرٍ ، وَزَادَ ياقوت في «مُعْجَم البُلْدان»: مِنْ أعْمال الكُوفة ـ بَعْدَ أَنْ أوْضَحَ مَعْنَى الحَصّ لُغَوِيًا . وورد اسم الموضع في تاريخ ابن جرير ـ في حوادث سنة ٦٥ ـ في مَوْضعين مما يَدُلُّ على قُرْبِهِ من الأنْبار . وَسَوَادُ العِرَاقِ ضِيَاعُهُ وقُراه المخضرة بالزُّروعِ والأشْجار التي تُرَى مِنْ بُعد سَوْداء ، والعَرَبُ تُسَمّي الأخْضَر سَوَاداً ، والسَّوَاد أَخْضَرَ ، قال الفَضْلُ بن العبَّاس اللَّهَبِيُّ :

وَأنــا الأخضرُ مَــنْ يَــعْـرِفُــني ... أَخْضَرُ الجِلْدة مِنْ نَسْـلِ العَـرَبْ

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ : وأمَّا بالخاءِ المعْجَمة وتَخْفيف الصَّاد ــ: مَكَان حجَازِيٌّ وتِهامِيٌّ بَيْنَ دِيارِ بَني زُبَيْدٍ وبني الحارث بن كَعْبٍ وفي «مُعجم البُلْدان»: الخصَاصَةُ ـ بِلَفْظِ التي تُذْكر في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ بُلَيْدٌ في دِيار بَني زُبَيْدٍ وبَني الحارِثِ بْنِ كَعْب ، بَيْنَ الحجَازِ وَتِهامة ، فُتِح في أيَّام أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي الله عَنْه ـ سنة ١٣ للهجرَة عَلى يَدَيْ عِكْرِمَة بْنِ أَبِي جَهْل ـ وأطَالَ في بَيَانِ المعنَى اللُّغَوِيِّ لِكَلِمة (الخصَاصَة) . وَيُلاحظ عَلَى ما تَقَدَّم :

١ ــ أنَّ بِلَادَ بَني زُبَيْد وبني الحارِث لا تَتَّصلُ بِتِهامة ، بَلْ هي في سُفُوح السَّراة الشَّرْقية المُتَّصِلَة بِنَجدٍ ، وفي أطرافِ تلك السَّراة إلى بِلَادِ نَجْران .

٢ ــ أنَّ الاسْم بالحاءِ المهْمَلَة لَا يَزَالُ مَعْرُوفاً في بِلَاد بَني زُبَيْدٍ ـ التي حَلَّتها الآنَ فُرُوعٌ مِنْ مَذْحِج تُدْعَى قَحْطان ، عَبِيدة وغَيْرها .

٣ ــ بِلَادُ زُبَيد وبني الحارِث دَخَلَتْ في الإسْلَام في عَهْد النَّبيِّ ﷺ ، فالقَوْل بأنَّ الموضِعَ فُتِح في عَهْدِ الصِّدِّيق ، لعَلَّ المقْصُودَ به أنَّ أهْلَهُ حُورِبُوا أيَّامَ الرِّدَّة فانْقَادُوا .

٢٧٢ ـ بَابُ حَصِيرٍ ، وَحَضِيرٍ[1]

أَمَّا الأوّلُ : بِفَتح الحاءِ وكَسْرِ الصَّادِ المهمَلَة وآخِرُهُ رَاءٌ ـ : حِصْنٌ باليَمَنِ ، مِنْ أَبْنِيَة مُلُوكِهم .

وأَيْضاً جَبَلٌ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ[2].

---

(١) عِنْد نَصْرٍ : بَابُ الحصير والحضير .

(٢) هُوَ تَعْرِيفُ نَصْرٍ ، وَزَادَ : وقيلَ الحصيرُ السِّجْنُ وَأيضاً جَبَلٌ في بِلَاد بني كِلَاب ـ وقِيْلَ : هُوَ بالضَّادِ ـ وجَبَلٌ في بِلَاد غَطَفان انتهى . وفي «معجم البلدان» وحَصير حِصْنٌ باليمن ، مِنْ أَبْنِيَة مُلُوكهم القدماء لم يَرِد فيما اطَّلعت عليْه من المؤلَّفات اليمنية ذِكر هذا المَوْضِع اليَمَني . والقاضي الأكوع إسْمَاعِيل حينَ أَوْرد كَلَام يَاقوت هذا اكتفَى بالقول : لَعَلَّها حَضْير بالضاد المعجمة ـ بلدةٌ شمال صَعْدة كما أفاد القاضي محمد الأكوع والغَرِيْبُ أَنَّ القاضي محمداً الأكوع أَوْرد كَلام ياقوت عند ذِكر حَضْير قائلاً : حَضْبَرٌ ـ بالفتح والسّكون ـ مَوْضع شمال صَعْدة ، ذَكَره الحارث الرّائش في قصيدته المشهورة :

فَـنَـطَحْتُـهُم طَـحْنَ الـرَّحَـا بِثِقَـالِهَـا ... بِجَيْشٍ يَـضِيـقُ الحفْـلُ عَـنْـه وَحَضْـبَرُ

وَقَال يَاقُوت : حَضْبَرٌ حِصْنٌ باليَمَن مِنْ أَبْنية مُلُوكهم ـ هامش «صفة جزيرة العرب» ١٦٣ ، وفي أُرْجُوزة الرَّدَاعِي :

يَـاهِنْـدُ لَـوْ أَبْصَـرْتِ حُـسْنَ المَـنْـظَرِ ... قَـلائِـصـاً مِـثْـلَ الـقَـطَا بِـحَـضْـبَرِ

ولكِنَّ ياقُوتاً لم يَذْكُرِ اسْم حضْبَرَ في موضِعِه مِن «المُعجم» .

وذَكَر يَاقُوت مِن مَعَاني الحصِير المحبس وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّم لِلْكَافِرِيْن حَصِيرًا ﴾ . وحَصِيرٌ جَبَلٌ في بلاد غَطفان وأوردَ عليه شاهِداً من قولِ مُزاحم العُقيليّ :

ومَـاهَـاجَـه مـن بِـمَنْـةٍ بَـانَ أَهـلُهَـا ... فَـأَمْسَتْ قَـوًى بَـيْنَ الحصِـيرِ ومحبـلِ

ونقل عن الأصمعي : من مِياه نَمَلَى تُرعَى والحصير ، وهو جَبَلٌ وأنشد :

تَـطَالَلْتُ كَيْ يَبْـدُوَ الحصِـيرُ فَمَـابَـدا ... لِعيْنِي ويَـالَيْـتَ الحصِـيْرَ بَـدَا لِيَـا

وأوْرد البكريُّ في «معجم مااستعجم» من شِعْر تَوْبَة بن الحمير :

عفَتْ نُـوبـةٌ مـن أهلهـا فسُـورُهَـا ... فَـذَاتُ الصُّفَيْـحِ المُنْتَضَى فَحَصِيـرُهَـا

فَـبُرْق مُـرَوْرَى الـدَّانيـاتُ فَصَـائِفٌ ... إلى الأَدْمَى أَقْوَتْ مِنَ الحيِّ دُوْرُهَـا

وعلَى ما تَقَدَّم الاسْم يُطْلَقُ علَى مواضِع مِنْها في جَنُوب نَجْدٍ ماوَرَدَ في شِعر تَوبَة ومُزاحم العُقَيْلِيَّيْن ، ولَيْسَ في بلاد غَطفَان ، ومنها القاعُ الواقِعُ في أسْفَل النَّقيع بِقُرب المدِيْنَة ، ومِنْها في بِلَاد غَطفان ، وفي غَيْرها كما =

وأمَّا الثَّاني : بِالضَّادِ المعْجَمَة والبَاقِي نَحْو الأوَّل ـ : قَاعٌ فِيه آبَارٌ وَمَزَارِعُ ، يَفِيضُ عَلَيْهِ سَيْلُ النَّقِيْع ، وبَيْنَ النَّقِيْع وَبَيْنَ المدِيْنَةِ عِشْرُوْنَ فَرْسَخاً[٣].

= يُفْهم من النُّصوص الوارِدَة في كتُب المتقدِّمين.
أمَّا مَا نَقَل ياقوتُ عنِ الأصمَعي فقدْ وَرَدَ في كتاب «بِلَاد العَرب» ـ ١٤٣ ـ : ومِنْ نَمَلَى يَرْغَبَا ، والأمْلَح والشَّمِيطُ والحصيرُ قَالَ الشَّاعِرُ :

كَـأنَّ خَـرَاطِـيْـمَ الحـصِـيـرِ وأكْـلُـبٍ ... فَـوَارِسُ تَـحْـتَ خَـيْـلِـهَـا لِـفَـوَارِسِ

فَكَلِمة (تُرْعى) عِند ياقوت مُصَحْفَة عنْ (يَرْغَبَا) الَّتِي يَنْطقها العامَّة الآن (رَغْبَا) كَأمْثَالِهَا مِنَ الأسْمَاءِ المبْدوءة باليَاءِ مثل (يَجُودَة) و (يعقُوبُ) و (ياقوت) فهم يقُولُون (جُوده) و (عقوب) و (قُوت) والأخيرُ اسم أنْثى ونَمَلَى تُعْرف الآن باسم (رَغْبَا) وكانت مِنْ بِلَاد بني بَكْر بن كِلَاب من بني عامِرٍ ، بِقُرب بِلَاد بني عُقَيل ـ مِنْ عامِرٍ أيضاً ـ وهي الآن في بلاد عُتَيبة ، تَقَع جَنُوب بَلْدة (عَفِيف) بنحو ثمانين كِيْلاً .
والجبَلُ الَّذي في بلاد بَني كِلَاب هو أحد جبال نَمَلَى الَّتي طغَى عليها اسمُ أحد مياهِهَا القَدِيْمَة (يَرْغَبَا) فسُمِّيَتْ (رَغْبَا) وهي جبالٌ سُودٌ واقعة في الجنوب الغربي من عَالِيَةِ نَجْدٍ ، وبِلادُ غَطَفَان في الشَّمال الغربيِّ منها .

(٣) هو تَعْريف نصٍّ بإسْقاط جُمْلة بعْدَ كلمة (سَيْل النَّقِيع) هي : (ثُمَّ يَنْتهي إلى مُزْج وبَيْنَ النَّقيع) إلى آخره ، ومِثْله في «معجم البُلْدان» بزيادة : وقيلَ : عِشْرُون مِيْلاً ، ويَجُوز أنْ يكونَ أصْلُهُ من الخضْر وهو العَدْو ، وأوْرَدَ شاهِداً شِعْرياً لا أراهُ ينطبق عَلى هذا الموضع ، وفي «وفاءِ الوَفَا» : خَضير ـ كأمير ـ : قَاعٌ فِيهِ آبارٌ وَمَزَارع ، إلَيه يَنْتَهي النَّقِيْعُ ويَبْتَدِيءُ العَقِيقُ . وفِيهِ : مُزْجُ ـ بالضَّمِّ ثُمَّ السُّكون ثمَّ جِيْم ـ : مِنْ غُدُر العَقيق ، يُفضي السَّيْل من خضير إليه ، وهو في شِقٍّ بَيْنَ صَدْمَتَيْنِ ـ يعني حِجَابَيْنِ مِنَ الحرَّة ، يَمُرُّ بِهِ السَّيْلُ فَيَحْفرهُ لِضِيقِ مَسْلَكِه ، ولاَ يُفَارِقُه الماءُ ـ انتهى ولعلَّ صَوابَ (صَدْمَيْن) : (صدَّيْن) وفِيْه أيضاً : ونَقَلَ أبو عليٍّ الهجريّ أنَّ العَقِيق يَبْتَدِيء أوَّلُهُ من خضير وَزَاد مؤلِّفُ الكتاب : ـ عَن خَضِير ـ : مَزَارِع مَعْرُوفة بِقُرب النَّقيع ، عَلى أزيد من يَوْمٍ عَنِ المدينَة ، وخَضِيرٌ آخرُ النَّقيع وأوَّل العَقيق ـ وفي الكلام على حِمى النَّقيع ذَكَر أنه على عِشْرِيْن فَرْسَخاً من المدينة ، ونَقَل عَنِ ابْن شَبَّةَ أنه عَلى أربعة بُرُدٍ من المدينة ـ أي ٤ × ٤ = ١٦ فَرْسخاً × ٣ = ٤٨ مِيْلاً ـ وأضافَ : ولَعل المرَاد مِنْ رِوَاية ابْن شبَّة طَرَفُهُ الأقْربُ من المدينة ومُرَادُ الهجري ـ أي ٢٠ × ٣ = ٦٠ مِيْلاً ـ طرَفه الأقصى . وفي «معجم ما استعجم» للبكْريّ ـ في الكلام على النَّقيع ـ وَصْفٌ لخضير هذا فيه تَفْصِيل ، ولكِنَّه وَرَدَ مُصَحَّفاً بالصادِ المهمَلة وَمِنْهُ : وسَيْلُ النَّقيع يُفْضي إلَى أرْضٍ بيضَاء جهادٍ لا تنبتُ شَيْئاً لَهَا جِسٌّ تَحْتَ الحافِرِ ، ويَلِيْهَا أسْفَلَ مِنْهَا حَصِيرٌ ، قَاعٌ يَفِيضُ عَلَيْهِ سَيْلُ النَّقيع ، فيه آبارٌ وَمَزَارِعُ ، ومَرْعًى لِلْمالِ ، مِنْ عِضَاهٍ ورِمْثٍ وأشْجارٍ ، وفِيْهِ يَقُولُ مُصْعب ، وكان يَسكنه هُو وَوَلده ، ولاَمَتْه امرأتُهُ في بَعْضِ أمْرِه وتَرْكِه المدِيْنَة ـ وأوْرَدَ سِتَّةَ أبياتٍ منها :

سَـتَـكْـفِـيـنِـي المـذَاقَ عَـلى حَـصِـيـرِ ... فَـتُـغْـنِـيـنِـي وأحْـبِـسُ في الـدَّرِيْـنِ

وَيَدْفع عَلى حصِيرِ الأئمَّةُ أئمَّة ابن الزُّبير ثُمَّ يُفْضي مِنْ حَصير إلَى غَديْر يقال لَهُ المزْجُ ، لاَ يُفَارِقُه الماءُ ، وهُو في شِقٍّ بين جَبَلين يَمُرُّ به وَادِي العَقِيق فيحْفُره لضِيقِ مَسْلَكِه ، وهذا الجبلُ المنْفَلِقُ الَّذي يَمُرُّ به السَّيْل يُقَال لَهُ سُقْفُ ـ إلى آخر ما ذَكَر ـ

٢٧٣ ـ بَابُ حِصَارٍ ، وخُضَارٍ[1]

أَمَّا الأَوَّلُ : بِكَسْرِ الحاءِ وبالصَّاد المُهْمَلَة ـ : مَوْضع رَمْيِ الجِمَار بِمِنَى[2].

وأَمَّا الثَّانِي : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا ضَادٌ مُعْجَمَةٌ ـ : مَوْضِعٌ باليَمَنِ[3].

٢٧٤ ـ بَابُ الحَضَارِمِ ، والخَضَارِمِ[1]

أَمَّا الأَوَّلُ : بِفَتْح الحاءِ ـ : حَضْرَمُوتُ أَحَدُ مَخَالِيْفِ اليَمَن والنِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَضْرَمِيٌّ[2].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : بَابُ الحِصَابِ وخُضَاب ـ أي بالباء الموحدة في الموضعين بدل الراء .

(٢) لَمْ يَرِدْ ذِكْرُ الحَرْف الأَخير مِنَ الاسْمَين في مَخْطوطَتَي كِتَاب الحازميِّ ، ولاَ شَكَّ أَنَّ إثباتَ الرَّاءِ هُنَا مِنْ تَصْحِيف النَّاسخ ، إذْ لَيْسَ مِنَ المَعْقُول أَنَّ الحازِميَّ الواسِعَ الإطِّلاع عَلَى العلُوم الشَّرعيَّة يَجْهَلُ الحِصَابَ ـ بالبَاءِ مِنَ الحَصْبَاءِ ، قال نَصْرٌ عنه : ـ بِالحاءِ وكَسْرِها وصَادٍ مُهْملة ـ : مَوْضع رَمْي الجِمَار بمِنَى . انتهى وهَذا نَصُّ كَلَام الحازِميِّ . وقال ياقوت في « معجم البلدان » : الحِصَابُ بالكَسْر وهُوَ مِنَ الحَصْبِ ، وهُو رَمْيُك الحَصْباء الحصَا الصِّغار ، مَصْدر حَاصَبْتُه مُحَاصَبَةً وحِصَاباً ، ثم أَوْرَدَ التَّعْريف المتَقَدِّم ، واسْتَشْهَدَ بِقَولِ عُمَرِ بن أَبِي رَبِيْعَةَ ، كما أَوْرَدَ مِنْ شِعْرِ كَثِيرِ بْنِ كَثِيرِ بْن الصَّلْتِ :

إنَّ أَهْلَ الحِصَابِ قَدْ تَرَكُوني ‏ ‏ ‏ ‏ مُوزَعاً مُولَعاً بِأَهْلِ الحِصَابِ

وَذَكَر صَاحِبُ « مُعجم ما اسْتَعجم » أَنَّ الحصَابَ لُغَةٌ في المَحَصَّبِ واسْتَشْهَد على ذالِكَ بِقولِ عُمَرِ بْنِ أَبِي رَبِيْعَة :

وَعَرَفْتُ أَنْ سَتَكونُ دَاراً غُرْبَةً ‏ ‏ ‏ ‏ مِنْهَا إذَا جَاوَزْتُ أَهْلَ حِصَابِ

(٣) في مَخْطُوطَتَيْ كِتَاب الحازميّ (خُضَار) وفي مَخطوطة كِتَاب نَصْرٍ (خُضَاب) والتَّعْرِيفُ في الكِتَابَيْنِ واحِدٌ ، ولكِنَّ ياقُوتاً أَوْرَدَهُ بالبَاء قائِلاً : خُضَابُ ـ بِضَمِّ أَوَّله وآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدةٌ ـ : مَوْضِعٌ باليَمَن ـ انتهى ولكنّي لَمْ أَجد فِيمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الكُتُب اليَمَنِيَّةِ هذا الاسْمَ أو (خضار) وقَدْ أَوْرَدَ القاضي اسْمَاعيل الاكوعُ قَوْل يَاقُوتٍ ولَمْ يُعَلِّق عَلَيه كَعادتِهِ بإضافةِ تعريفٍ ، أوْ تَحديدِ مَوْقعٍ .

(١) عِنْد نَصْرٍ : بَابُ حَضْرَمِيٌّ ، وخِضْرِمِيٌّ .

(٢) قالَ نَصْرٌ : حَضْرَمُوتُ مِخْلافٌ مِنْ مَخاليفِ اليَمن ، إذا نُسِبَ إلَيْه قَالُوا : حَضْرَمِيٌّ . امّا يَاقوتُ فَقال عَنْ حَضَارم : جَمْع حَضْرَمَيّ ـ وَهُوَ اللُّحْنُ في الكلام ـ : وهُوَ اسْمُ بَلَدٍ بِحَضْرَمَوْت وأطال الكَلاَمَ عن (حضرموت) وشهرة هذا الإقْليم تُغني عن تَحْديده .

وأمَّا الثَّاني : بِفَتْح الخَاءِ المعْجَمَةِ ــ : جَوُّ الخَضَارم قَصَبَةُ اليَمَامَةِ ويُقَال لِبَلَدِها خِضْرِمَة ــ بِكَسْرِ الخَاءِ والرَّاءِ ـ يُنْسَبُ إِلَيْهَا نَفَرٌ مِنْهُم خُصَيْفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمن الخِضْرِمِيُّ ، ثُمَّ الجَزَرِيُّ ، وَعَبَّاسُ بْنُ الحَسَنِ الخِضْرِمِيُّ ، يَرْوِي عَنِ الزُّهْرِيِّ ، حَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ جُرَيْجٍ .

(٣) وقال نَصْر : والخِضْرِمَةُ ناحية من نواحي المدينة ، من نسب إليه خضرمي ويقال لمدينة جَوُّ هناك : جَوُّ الخضَارم . انتهى . وعبارته ـ رحمه الله ـ فيها إيهام ، فليست الخضْرِمة من نواحي المدينة بل من نواحي اليمامة وإن سمي باسم الخضرمة مواضع متعددة ، إذْ الاسم مشتقٌ من الوصف .

فالخِضْرِمُ ـ بِكَسْرِ الخاءِ والرَّاء ـ البِئْر الكَثيرةُ الماءِ ، والبَحْرُ ، والكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شيْءٍ ، جَمْعُهُ خَضارِمُ وخَضَارِمَةٌ ، ولعلَّ تَسْمِيَة الموضِع بِهَذا الاسْم ذَاتُ صِلَةٍ بكَثْرة مائِه ، وقَدْ حَدَّد الهَمْدانيُّ مَوْقِعَ جَوِّ الخضارم تحديداً دقيقاً فقال في « صِفة جَزيرة العَرَب » ـ ٢٥٢ ـ في وَصْف الطَّريق من البَحْرَيْن إلى اليَمامة ما مُلَخَّصُه ـ : ثُمَّ تَقْطَعُ العَرَمَة فَتَرِد وسِيْعًا ثُمَّ تَسِير في السُّهْبَا ، ثُمَّ الرَّوْضة ، ثُمَّ تَرِدُ الخضْرِمة ، جَوُّ الخضَارِم ، مدِينَةٌ وقُرى وسُوقٌ ، فِيها بَنُو الأخَيضر بْن يُوسُف ، وهي دارُ بني عَدِيِّ بْن حَنِيفَة ، وبني عامِر بْن حَنيفة ، ودارُ عجل بن لجَيْم ، وَدِيَارُ هَوْذَة بن عَليٍّ السُّحَيْميِّ الحنَفِي ، وهي أوَّلُ اليمامَة مِنْ قَصْد البحرين ـ ثُمَّ ذَكَر المواضِع القَريبَة مِنْها ، وكُلُّها في إقليم الخَرْج ، والوَصْف يَنْطَبِقُ على قَرْيَةِ اليَمامَة ومَاحَوْلها ، وهي في أسفل مَجَارِي عُيُونِ السَّيْح ، حيثُ تكْثُرُ المياه الجارية ولعلَّ اسم الخضارم أخذَ من هذا ولايزالُ اسم الخضرمة هناك يُطْلق على أرض واسِعَةٍ واقعةٍ شمال بَلْدة اليمامَة ، يفْصل بيْنهما مَجْرى الوادي ، وقد تكونُ المدينَةُ واسِعَةً ، وهي في جَوٍّ فسيْح قد انحسَرَت عنه الجبالُ والآكامُ ، واسْتَوَتْ أَرْضه ، ويبْعُدُ جَوُّ الخضارِم عَنْ مدينة الرِّياض بِنَحْو ثَمانين كِيْلًا ، شَرْقاً بِمَيْلٍ نَحْوَ الجَنُوب .

وفي « معجم البُلدان » : الخَضَارِمُ وادٍ بأرض اليمامة ، أكثر أهْله بَنُو عِجْل ، وهُمْ أخْلاطٌ مِنْ حَنِيفَة وَتَمِيم . قالَ ابْنُ الفَقِيه ـ يَقْصِدُ الهَمَذانِيَّ صاحب كتاب « البلدان » ــ : حَجْرٌ مِصْرُ اليمامة ، ثُمَّ جَوٌّ ، وهِيَ الخضْرِمَة ، وهيَ مِنْ حَجْر عَلَى يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ، وبِهَا بَنُو سُحَيْمٍ وبَنُو ثُمامَةُ مِنْ حَنِيفَة ، ثُمَّ أوردَ شِعْراً لِطَهْمَانَ الكِلابيِّ ، جَاءَ فِيْهِ :

وَإِنَّ بِحَجْرٍ والخَضَارِم عُصْبَةً ... حَرُورِيَّةً خُبْناً عَلَيْكَ بُطُونُها

وفي رَسْم خِضْرِمة : الخضْرِمَةُ بَلَدٌ بأَرض اليَمَامة لرَبِيْعة ، وقالَ الحازِمِيُّ : جَوُّ اليَمامَة (كذا) قَصَبَةُ اليَمامَة ، ويُقَالُ لِبَلَدِها خِضْرِمَة ـ بِكَسْرِ الخاءِ والرَّاء ـ وَذَكَر المَنْسُوبِيْنَ إِلَيْهَا بأَكْثر مِمَّا في كتاب الحازميّ فقال : خُصَيْفُ بن عبدالرحمن الخِضْرِمِيُّ وأخُوهُ خِصَافُ ، وفي كتاب « دِمَشْق » : خُصَيْفُ بن عبدالرحمن ، ويقال : ابنُ يَزِيْد ، أبُو عَوْن الجزريُّ الحرَّاني الخِضْرِميُّ ، مَوْلَى بني أُمَيَّة ، أخُوه خِصَاف ، وكَانا تَوْأَمَيْن ، وخُصَيفُ أكْبَرُهُمَا ، حَدَّثَ عَنْ أَنَس بْن مالِكٍ وسَعِيد بْن جُبَيْر ، ومُجَاهِدٍ ، وأبي عُبَيدة بن عَبْد الله بْن مسْعُود ، ومُقَسَّم بْن عِكْرِمَة مَوْلَى ابْن عبَّاس ، وعُمَر بْن عبْدالعَزيز ، رَوَى عَنْهُ عبدالله بن أبي نجِيح المكِّيُّ ، ومُحَمَّدُ بنُ إسْحَاقَ صَاحِبُ « المغازي » وابنُ جُرَيْج ، وإسْرائيلُ بن يُونُس ، وسُفْيان الثَّوْرِيُّ ، وعَتَّابُ بْن بَشِير ، ومَعْمَرُ بنُ سُلَيْمان الرَّقِّيُّ ، وَمَرْوان بنُ حَيَّان الرَّقِّيُّ ، وشَرِيْكُ بنُ عبدالله القاضي ، ومحمد بن فُضَيلٍ ، وابنُ غَزْوَان ، وغَيرُ هاؤُلاءِ كثيرٌ ، وقدِمَ عَلَى عُمر بن عَبْدالعَزيز ، وقَال يَحْيى بْنُ مَعِيْنٍ : خُصيف ثقةٌ ، وقالَ أَحْمَدُ بن حَنْبَل : خُصَيْفُ لَيس بِحُجَّة في الحدِيْث . وعَبَّاسُ بنُ الحسَن الخِضْرِميُّ يَرْوي عن الزُّهريِّ ، حَدَّثَ عنه ابْنُ جُرَيْج ، قال أبو بكر المقرئُ الأصبهانيُّ ←

بشائر.. في أفق العروبة

[لأعضاء (مجمع اللغة العربية) السعوديين نشاط ومشاركات لا تقف عند حدّ المشاركة بأرائهم فيما يعرض أثناء انعقاد المؤتمر السنوي للمجمع من مصطلحات العلوم والفنون على اختلافها، مما به إثراء للغة، ومحاولة لأن تفي بمتطلبات العصر، ومستجدات الحضارة، بل يتعدّى ذالك إلى جوانب ثقافية فكرية عامّة يكون لهم فيها صوت مسموع .

وهاهي قصيدة الأستاذ الشاعر حسن بن عبدالله القرشي ـ عضو المجمع ـ التي ألقاها أثناء انعقاد الجلسة الخامسة من جلسات دورة المؤتمر الـ (٥٥) ضحى يوم الثلاثاء ٢٤ رجب ١٤٠٩هـ (٢٨ شباط ١٩٨٩م) فقوبلت باستحسان وتقدير] .

* * *

حُلُمٌ غـابَ في سَـمَاءٍ بَعيـدَهْ   ثـم آبتْ أطْيَـافُـهُ المحـمُـودَهْ
ومَـرَاءٍ ضَـاعَـتْ وَرَاء عِجَـافٍ   مِن سِنِين ذِئَـابُهـا مَـرْصُـودَهْ
ثُم عَادَتْ تَرِفُّ مِثْلَ رَفِيفِ الْـ   ـفَجْرِ، تُحَيِّي أوطَانَنـا الـمَوعُـودَهْ

← ـ وَهُوَ مُحَمَّد بنُ إبراهيم العاصِميُّ ـ سَأَلْتُ أَبَا عرُوبة عنِ العبَّاس بن الحسن الخِضرِميّ فقال : كان لاشيْء ، وفي رِجْله خَيْط . انتهى وقريْبٌ من هذا ـ معَ زِيَادة في المنسُوبين إلى الخضْرمَة في « الأنْساب » للسَّمعاني . ولخُصَيف ترجَمة في « تهذيب التهذيب » وَفيه أنَّهُ توفي سنة ١٣٧ ـ والعبَّاسُ بْنُ الحسَن مُتَرْجَمٌ في « لسان الميزان » وفيه : ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان في الثّقات ، يَرْوى عن الزُّهري نُسْخَةً أكثرها مستقيمة (كذا) .

واسم الخضْرِمة يُطْلَقُ على مِيَاهٍ أخرى ، كما يُطْلق على مَكانٍ يقع في مُفيض وَادي الوُتْر (البطْحَاء) عَلَى (مَنْفُوحة) وأرى هذا المكَان هو مَوْقِعُ الخضرمة التي أَقْطعها أبو بَكْرٍ الصّدِّيْقُ مُجّاعة بنَ مُرَارَة الحنفِي ـ كما في « معجم ما استعجم » ـ ١٠٠٨ ـ وهي التي قال الهمدانيُّ عنها : ومَن الخَرْج إلى الخِضْرمة مَرْحَلةٌ « صفة الجزيرة » ـ ٢٧٩ ـ لِأَنَّ جَوَّ الخضَارم في الخرْج نَفْسه ، ولعلَّ الخضْرمة هذه هي الواردةُ في قَوْل أحمد بن إبراهيم بن أبي رياش القَيْسِيِّ المتوفَّ سنة ٣٣٩ : وُلِدْتُ بالبَادية ، ولعبْتُ بالخِضْرمة وتأدَّبْتُ بالبصْرة « معجم الأدباء » ج ٢ / ١٣٢ ـ وقال عنها ياقُوت : بُسْتَانٌ في ناحِيَة اليمامَة ، لَهُ خاصِيَّةٌ في عظم البصل ، فابْنُ أبي رِيَاش قيسيٌّ ـ منْ قَيس بنْ ثعلبة أهْلِ مَنْفُوحة ومَاحَوْلَها ، والخضْرِمَةُ مُتَّصِلَةٌ بِهَا ، وبَلَغها العُمْرانُ ، ولَعَلَّ المرَاد بـ (البَادية) القرْية التي كانتْ بِقُربها وعُرِفت باسْمِ المحَرَّقة ـ انظر « العرب » ص ٦٩٥ من هذا الجزء .

وَحَّدَ (ٱلْمَغْرِبُ الكبيرُ) سُرَاهُ وَبِهِ جَدَّدَ الإخَاءُ خُلُودَهْ
قَبْلُ أحْيَا (الخَلِيجُ) وَحْدَةَ شَعْبٍ ثُمَّ أدْنَى مَسَارَهَا وحُدُودَهْ
وَبَدَتْ (مِصْرُ) في شَمَائِلِهَا ٱلغُرِّ بِجَمْعِ الْقُلُوبِ جِدُّ سَعِيدَهْ
تَنْثُرُ الزَّهْرَ في الدُّرُوبِ وتسمو بِرُؤَاهَا أوْطَارُهَا ٱلمَعْهُودَهْ

* * *

هِيَ (بَيْتُ القَصيدِ) في أُمَّةِ الْعُرْبِ ومِنْهَا الزَّمَانُ أهْدَى نَشِيدَهْ
حَمَلَتْ رَايَةَ الكِفَاحِ وَمَازَالَتْ، تُبَارِي أيَّامَهُ المشْهُودَهْ
فاحْمَدِ الصَّبرَ كَمْ أنَارَ سَبِيلاً كَمْ بِهِ حَقَّقَ الزَّمَانُ وُعُودَهْ
لاَ أرَى ٱلأُفْقَ غَائِماً مِثْلَما كَانَ، ولكِنْ أُحِسُّ ثَمَّ رُعُودَهْ
فَٱئْتِلافُ النُّفُوسِ يَرجُو مَزِيداً مِنْ صَفَاء ٱلعُرُوبَةِ ٱلمَمْدُودَهْ
ورِفَاقُ الكِفَاحِ مَازَالَ فِيهِمْ عَاتِبٌ، غَاضِبٌ، ورُؤْيَا عَنِيدَهْ!

* * *

لَا تَسَلْنِي عَنْ أرْزِ (لُبْنان) غابَ (الْأرْزُ) وَٱسْتَهْدَفَ ٱلجَوى غِرِّيدَهْ
وَيْحَ (لُبنَان) قَدْ عَرَاهُ ذُبُولٌ وَأسىً أرَّثَ الصِّرَاعُ وَقُودَهْ
غَالَهُ ألُّهُ، وَرُبَّ سَلاَمٍ ضَاعَ في مِحْنَةِ الأمَانِي البَلِيدَهْ
نَحْنُ في مَوْسِمِ الرَّبيعِ، فَلِمْ لَاَ تَتَفَيَّا ظِلاَلَهُ المَنْشُودَهْ؟
كُلَّما شَاقَنِي عَبِيرُ رَوَابِيهِ تَحَامَلْتُ، مُرْسِلاً تَنْهِيدَهْ
إنْ أكُن قد عَشِقتُ مِنْهُ قَدِيماً إنَّني رَافِضٌ بِحَقٍّ جَدِيدَهْ
أيَظَلُّ الإنْسَانُ فِيهِ مُضَاعاً وتَظَلُّ ٱلمَذَابِحُ العَرْبِيدَهْ

* * *

شَهَرَ الْغَدْرُ فيهِ أمْضَى سِلاَحٍ وَٱسْتَجَدَّ الْعَدُوُّ فِيهِ المَكِيدَهْ
فَغَدَا صَرْحُهُ حِمًى مُسْتَبَاحاً أتُرَى يَكْسِرُ ٱلإخاءُ قُيُودَهْ
أتُرَى يَسْتَعِيدُ مَجْداً مُضَاعاً فَنُحَيِّي أطْيَافَهُ، وَوُرُودَهْ؟
لَهْفَ نَفْسِي لِجَنَّةٍ قد تَهَاوَتْ وَلِحُرِّيَّةٍ غَدَتْ مَفْقُودَهْ
نَكَّسَ الدَّهْرُ ثُمَّ أعْلاَمَهُ جَوْراً، فَهَلْ يَسْتَعِيدُ خُضْراً بُنُودَهْ؟
فِي (فَلَسْطِيْنَ) عَاصِفٌ هَالَ (صُهْيُونَ) فَأضَتْ آمَالُهُم مَصْفُودَهْ

نَفَضَ الثَّائِرُونَ أَكْفَانَ ذُلٍّ … وَآرْتَدَوْا حُلَّةَ النِّضَالِ العَتِيدَهْ
مِنْ صِغَارٍ عَادُوا كِبَاراً بِعَزْمٍ … رَاعَ زَحْفَ ٱلعَدُوِّ، فَلَّ حَدِيدَهْ
تَرَكُوهُ فِي ذَهْلَةِ الذُّعْرِ يَهْذِي … لَمْ يُبَالُوا تَهْدِيدَهْ وَوَعِيدَهْ
مَضَغُوا ٱلجَمْرَ، فَآسْتَحَالُوا شَرَاراً … حَفَزَتْهُمْ إِلَى ٱلجِهَادِ ٱلعَقِيدَهْ
صَعَّقُوهُ حِجَارَةً بَارَكَ اللهُ … لِيَصْلَى نِيرَانَهَا ٱلمَوْقُودَهْ
أَرْخَصُوا مِنْ عِنَادِهِ مُسْتَبِدًّا … نَشْوَةُ الثَّأْرِ تَسْتَفِزُّ شَهِيدَهْ
وَدِيَارُ الأَحْرَارِ مَهْمَا آسْتُضِيمَتْ … فَهْيَ تُخْزِي ٱلبَاغِي، وتَعْجُمُ عُودَهْ

* * *

صَمَدَ النَّاشِئُونَ فِي خَيْمَةِ ٱلقَهْـ … ـرِ، فَأَضْحَوا عَلَى الزَّمَانِ شُهُودَهْ
أَذْكَرُونَا أَمْجَادَ مَاضٍ عَرِيقٍ … فِي زَمَانِ ٱلمَطَامِحِ ٱلمَحْدُودَهْ
أَرْجَعُوا دَوْلَةً بِرَغْمِ المآسِي … وآسْتَعَادُوا كِيَانَهُمْ، وَوُجُودَهْ
مَصْرَعُ البَغْيِ حَانَ فَالْبَغْيُ مَخْذُو … لٌ، وَأَحْلَامُهُ غَدَتْ مَوْؤُودَهْ!
أُمَّةَ ٱلعُرْبِ غُرْبَةُ الرُّوحِ طَالَتْ … ولَوى الدَّهْرُ عَنْ أَمَانِيكِ جِيدَهْ
قَدْ تداعَى عَلَيْكِ فِي غَفْلَةِ النَّصْـ … ـرِ، خَبِيثٌ ضَارٍ يَحُثُّ جُنُودَهْ

* * *

فَاسْتَعِزِّي بِوَحْدَةٍ تَرْفَعُ الظُّلْـ … ـمَ، وتُعْلِي رَايَاتِنَا ٱلمَعْقُودَهْ
إِنْ تَوَحَّدْتِ فَانْتِصَارُكِ آتٍ … أَوْ تَفَرَّقْتِ فَالأَمَانِي بَدِيدَهْ
قَدَرٌ أَنْ تَعِي مَصِيرَ شُعُوبٍ … قَدَرُ ٱلعُرْبِ، وَحْدَةٌ مَشْهُودَهْ
مُنْذُ حِينٍ ونَحْنُ نَرْقُبُ صُبْحاً … قَدْ أَطَالَ آزْوِرَارَهُ وَشُرُودَهْ
أَتَرَاهُ يَجِيءُ بَعْدَ تَنَاءٍ … فَنُنَاجِي بِفَرْحَةِ القَلْبِ عِيدَهْ؟!

* * *

حسن عبدالله القرشي

شميم (نجـد)

[أثناء انعقاد (مؤتمر مجمع اللغة العربية) في القاهرة في شهر رجب ١٤٠٩هـ (شباط ١٩٨٩م) كان اللقاء بالأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ ـ وكنت اجتمعت به في بغداد ـ أثناء (مهرجان مرور ألف عام على إنشاء بغداد وذكرى فيلسوف العرب الكندي) وكان من أثر التعارف إرشادي إلى مكان مخطوطة الكتاب الذي نشرته بعنوان «المناسك ومعالم الجزيرة وطرق الحج» منسوباً للإمام أبي إسحاق الحربي ـ وأشرت إلى ذالك في المقدمة . وإلى الخلاف في نسبة الكتاب ـ وقد أفضل الأستاذ الدكتور حسين فقدم لي في اللقاء الأخير فريدة من شعره . تقع في (١٢١) بيتاً ، لإتحاف قراء مجلة «العرب» بها ـ إلاّ أن ازدحام مواد هذا الجزء المحدود الصفحات حال دون نشرها كاملة و (يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد) كما قيل ـ ومعذرة للأستاذ الجليل] .

* * *

هِيَ هذِي (نَجْدُ) فقبِّل ثَرَى أهْـ ـلِك شَوْقاً وقُمْ وحَيِّ الدَّارا
والْتَمِسْ في رِيَاضِهَا عَبَقَ الرَّنْـ ـدِ ذَكِيّاً يُفَاوِحُ النُّوَّارَا
وتَنَشَّمْ عَطِيرَ رَيَّا رُبَاهَا أرِجاً طابَ نَرْجِساً وبَهَارَا
هذِهِ هذِهِ بِلاَدِي فَقَدْ نَمْ عَلَيْهَا فَوْحُ الشَّذَا مِعْطَارَا
كُلُّ شِبْرٍ مِنْ أرْضِهَا مَرْبَعٌ رَحْـ ـبٌ سَنِيٌّ يُطَاوِلُ الدُّوَّارَا

* * *

عَانِقَا أَثْلَةَ (الأُبَيْرِقِ) عَنِّي واسْتَمِلاَّ شَمِيمَهَا والعَرَارَا
أنَا أرْوِي حَدِيثَ (نَجْدٍ) صَحِيحاً مُسْتَفِيضاً عَنْهَا طِوَالاً كِثَارَا
لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهَا حَسَبٌ عِدٌّ وَمَجْدٌ مُؤَثَّلٌ لاَ يُجَارَى
(أَسَدِيٌّ) ومِنْ (ربيعةَ) أخْوَا لِيَ، وأُنْمَى إلَى (تَمِيمٍ) مِرَارَا

* * *

يَادِيارَ الآبَاءِ أسْعَدَكِ اللهُ حِمًى مُعْرِقاً شَأَى الأمْصَارا
وَسَقَاكِ جَوْدُ الغَوَادِي ثِقَالاً وهَمَى صَوْبُ دَجْنِهِ تَيَّارَا
مُلْتَقَى (حِمْيَرٍ) هُنَا وَ(مَعَدٍّ) وَ(سَبَا) صافَحَتْ هُنَا (أَنْمَارا)

يَتَسَاقَوْنَ رَحْمَةً وَحَنَاناً   يَتَصَافَوْنَ جَهْرَةً وسِرَارَا

عُمِرَتْ لِلْوَفَا رِبَاعُهُمُ الْبِيـ   ـضُ تَرَاهَا تَمُجُّ نُوراً وَنَارَا

وَاشْمَخَرَّتْ قِبَابُهُمْ عَالِيَاتٍ   تَتَقَرَّى أَسَاسُهَا الأَسْوَارَا

كَتَبَ الْعِزُّ فِي ذُرَاهَا سُطُوراً   شَامِخَاتٍ تَعْلُو الطِّوَالَ قِصَارَا

* * *

جَمَعَتْنَا (الضَّادُ) الْكَرِيمَةُ وَالأَرْ   حَامُ أَهْلاً احِبَّةً أَبْرَارَا

وَرَعَتْنَا (جَزِيرَةُ الْعَرَبِ) الْفَيْـ   ـحَاءِ أَكْرِمْ بِهَا مَنَاطاً وَدَارَا

نَحْنُ فِي ظِلِّهَا الظَّلِيلِ وَأَفْيَا   ءِ بَنِي عَمِّنَا الأَعِزَّةِ جَارَا

أَنَا لَوْ نَازَعَتْنِي النَّاسُ أَوْطَا   نِي وَأَهْلِي اعِيذُ أَهْلاً وَدَارَا

حَاشَ لَمْ أَرْضَ عَنْ أُحِلِّكُمُ الْكَوْ   نَ بَدِيلاً وَلاَ النُّجُومَ قَرَارَا

وَطَنِي كُلُّ بُقْعَةٍ تُنْبِتُ (الْعُرْ   بَ) كِرَاماً أَعِزَّةً أَحْرَارَا

مَرْبَعُ الْعَقْلِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْحِكْـ   ـمَةِ وَالْعِلْمِ وَالنُّهَى زَخَّارَا

وَسِرَاجُ الْبَيَانِ وَالأَدَبِ الْغَضْـ   ـضِ وَضِيئاً يُفَجِّرُ الأَنْوَارَا

وَجَبِينُ التُّرَاثِ أَبْيَضُ وَضَّا   حُ الأَسَارِيرِ يَخْطِفُ الأَبْصَارَا

وَمَنَارُ الْهُدَى إِذَا أَطْبَقَ الْجَهْـ   ـلُ أَحَالَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ نَهَارَا

* * *

يَا بَنِي عَمِّنَا الأَكَارِمِ حُيِّيـ   ـتُمْ وَطِبْتُمْ دَاراً وَطِبْتُمْ قَرَارَا

أَنْتُمْ مِنْ سَرَاةِ قَوْمِي وَأَهْلِ الْـ   ـفَضْلِ فِيهِمْ وَأَشْرَفُ النَّاسِ دَارَا

غَلَّلَتْكُمْ نَفَاحَةُ رِيحِ (نَجْدٍ)   وَكَسَتْكُمْ وَشْيَ الرَّبِيعِ نِثَارَا

وَطَعِمْتُمْ شَذَا الْمَوَدَّةِ يَضُوْ   عُ عَرْفاً مُطَيَّباً عَطَّارَا

* * *

ذَكَّرَتْنِي (نَجْدُ) عُمُومَتِي الْغُرْ   وَآلِي وَقَوْمِي الأَطْهَارَا

كَانَ لِي فِي (أَجَا) وَ(سَلْمَى) عَرِينٌ   وَأَبِي كَانَ فَحْلُهُ الْهَدَّارَا

هَلَّلَتْ لِي الرُّبُوعُ حِينَ تَرَاءَيْـ   ـنَا وَكَبَّرَتْ حِينَ شِمْتُ الْمَزَارَا

وَتَنَشَّقْتُ مِنْ نَسَائِمِ (حُزْوَى) نَفَحَاتٍ تُهَيِّجُ التِّذْكَارَا
وَسَكَبْتُ الدُّمُوعَ مِنْ فَرْحَةِ اللُّقْـ ـيَا غِزَاراً وَصُغْتُهَا أَشْعَارَا

* * *

أَدْهَشَتْنِي الذِّكْرَى: (أَلَا يَاصَبا نَجْـ ـدٍ) فَتَاهَتْ هذِي الْقَوَافِي حَيَارَى
قَلَّدَتْهَا أَنْفَاسُ (نَجْدٍ) سِخَاباً وَحَذَاهَا مِنْ نَوْرِهِ أَزْهَارَا
وَحَبَاهَا مِنَ الْمَعَانِي خِضَمًّا زَاخِرَ الْمَوْجِ طَامِياً مَوَّارَا
لَحِقَتْ بِـ (الْمُعَلَّقَاتِ) طِوَالاً وَاسْتَعَارَتْ م الْمُذْهَبَاتِ نُضَارَا
إِنَّهَا مِنْ شَمِيمِ (نَجْدٍ) تَشُقُّ الْـ ـفَجْرَ عِطْراً يُضَمِّخُ الأَسْحَارَا

* * *

يَا أَحِبَّايَ فِي مَرَابِعِ (نَجْدٍ) ذَرَفَتْ عَيْنِيَ الدُّمُوعَ غِزَارَا
قَدْ لَقِينَاكُمُ زَمَاناً قَصِيراً وَكَحَلْنَا بِالرُّؤْيَةِ الأَبْصَارَا
مَوْسِمٌ كَانَ لَحْظَةً ثُمَّ وَدَّعْـ ـنَا وَذُبْنَا تَفَجُّعاً وَادِّكَارَا
وَسَفَحْنَا دُمُوعَنَا فِي ثَرَاهُ وَاشْتَكَيْنَا الأَشْجَانَ وَالأَوْطَارَا
ثُمَّ صَاحَ الْفِرَاقُ وَانْتَشَرَ الْجَمْـ ـعُ وَأَرْخَى الْحَادِي الْمُغِذُّ الْمَهَارَا
فَقَضَيْنَا دَيْنَ اللِّقَا عَبَرَاتٍ وَسَقَيْنَا طُلُولَهُ وَالدِّيَارَا
وَتَعَفَّى رَسْمٌ وَشَطَّ مَزَارٌ وَبَكَيْنَا الأَوْطَانَ وَالسُّمَّارَا
وَكَأَنَّ اللِّقَاءَ طَيْفُ خَيَالٍ رَوَّعَ الصُّبْحُ حُلْمَهُ فَاسْتَطَارَا
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ ظِلُّ نَهَارٍ ثُمَّ أَرْخَى الدُّجَى عَلَيْهِ إِزَارَا

* * *

يَارُبُوعَ الدِّيَارِ حَيَّتْكِ وَطْفَا ءُ سَكُوبٌ رَجَّاسَةٌ لَا تُجَارَى
وَسَقَاكِ الْحَيَا مُلِثًّا هَتُوناً يَتَقَرَّى الرُّسُومَ وَالآثَارَا
وَحَبَاكِ الْعَيْشُ الرَّفِيهُ هَنِيئاً سَابِغَ الرَّفْلِ رَافِهاً مِدْرَارَا
وَتَمَشَّى النَّسِيمُ فِي رَبْعِكِ الأَخْـ ـضَرِ رَطْباً يُطَارِحُ الأَزْهَارَا

* * *

الدكتور حسين علي محفوظ

حذف (ابن) استعمال (ال) مكان (آل)
كلمتا (الأسرة) و (العشيرة)

هذه ملاحظات دائماً ما يراودني طرحها وتمر عليّ يومياً ، وهي تتعلق بطريقة تداول وكتابة أسماء الناس في وقتنا الحاضر لذا رأيت أن مجلة العرب هي المجلة المتخصصة وهي المكان المناسب لتفريغ تلك الملاحظات بها وهي :

١ ـ يلاحظ أن كثيراً من الناس قد درجوا على كتابة الأسماء بدون وضع كلمة (ابن) أو (بنت) بين اسم الشخص واسم أبيه ثم جده وهكذا ولفظ (بنت) للمرأة ، فنرى مثلاً أن الاسم يكتب هكذا (محمد عبدالله زيد) وهذا خطأ من ناحية اللغة بل والمنطق أيضاً وفي هذه الحالة يكون الاسم مركباً لو نظر إليه من الباب اللغوي أي أن كل هذه الأسماء لشخص واحد بعينه فلماذا لا يكون مثلاً محمد بن عبدالله بن زيد ، والذي معناه أنّ محمداً ابْنُ أي ولد لعبدالله وعبدالله ابنٌ لزيد وهكذا ، وهذا شيء متعارف عليه منذ خلق الله الدنيا فلماذا اختلف .

أيضاً نجد أن أسماء النساء أخذت نفس النَّمط فنجده يقال مثلاً (هدى أحمد الثقفي) بدلاً من هدى بنت أحمد الثقفي أو بشكل أصح الثقفية ، أيضاً تورد هدى الثقفي ونحوها فياء النسب الأخيرة هذه ياء نسب لذكر لا لأنثى والصحيح أن تكون هدى الثقفية . بحيث تضاف تاء النسب للنسْوة ، وهذا ما وجدناه في كتب اللغة والتاريخ والثقافة عند ذكر علم من الأعلام رجالاً ونساء ، فلماذا لا نساير لغتنا وسلفنا ؟!

الملاحظة الثانية : وهي مرتبطة بالأولى وهي أن أكثر الناس الآن يجعلون من الاسم الأخير أي اسم العائلة أو العشيرة كما لو كانت لقَباً أو صفةً للشخص الأول الوارد اسمه ومثال ذالك قولهم (محمد عبدالله الناصر) وإذا نظرنا لهذا الاسم بتمعن وتفكير من باب اللغة والمنطق فإن كلمة (الناصر) كما يظهر وبوضوح تعتبر

صفة لمحمد هذا وأنه ناصر أي معين ومعاون ، أضِف إلى ذالك أن اسم (الناصر) من أسماء الله جل جلاله . بينما المقصود أن (الناصر) هنا هو جدُّ هذه الأسرة وأن اسمه ناصر ، ولم يكن الناصر هكذا وبما أن كل من ينتسب إلى هذا الشخص يعد من أهله وذريته فالأصح لغوياً ومنطقياً أن يكون الاسم محمد بن عبدالله آل ناصر ، أو بشكل آخر محمد بن عبدالله بن ناصر ولو أن ناصراً هذا ليس الجد الأول لمحمد ولكن باعتبار أن كل ذرية ناصرٍ هذا يعدون أبناءه بدليل أنه يقال للإنسان أيّ إنسان آدمي : ابن آدم نِسْبة إلى أبينا آدم عليه السلام .

ومثل ذالك من الأخطاء التي وقع بها الناس اليوم قولهم عندما يقصدون أُسْرَةً ما مثلاً يقولون (عائلة الصالح) و(عائلة الراشد) و(السلطان) و(الزايد) . . . ونحوها فأجدَادُ هذه الأسر مثلاً كانت أسماؤهم : صالح وراشد وسلطان وزايد ولم تكن أسماؤهم مدخلاً عليها (ال) أساساً لأننا عندما نقول مثلاً سعد الصالح فإذا نظرنا إلى هذا الاسم لغوياً نجد أن سعداً هذا يوصف بأنه رجل صالح أي صالح في سيرته أو هذا الرجل راشد وراجح في عقله إذا قلنا الراشد وهكذا تكون الأسماء في حالة إدخال (أل) عليها لمثل هذه الأسماء ونحوها تكون حينئذ صفات ، ولكن الأصح لغة ومنطقاً أن تكون أسماء أُسر آل صالح وآل راشد وآل سلطان وآل زايد وهكذا .

وقد ورد في القرآن الكريم وهو دستورنا وأصل لغتنا ما يدخل في هذا السياق فهناك سورة (آل عمران) هكذا ولم تكن سورة (العمران) لأن لفظ العمران بهذا الشكل يكون المقصود به تلقائياً العمارة والبناء ، أيضاً ورد في مواضع كثيرة من القرآن لفظ (آل نوح) و(آل لوط) و(آل إبراهيم) و(آل يعقوب) و(آل محمد) ونحن نُردِّد في صلاتنا كل وقت : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، . وعلى آل إبراهيم ـ والمقصود بها أهل نبينا محمد وذويه وذريته وكذالك إبراهيم عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، وهكذا غيرهم كثير مما وجد في كتب التراث والثقافة والأحاديث والأدب العربي القديم عند ذكر أي عَلَمٍ من الأعلام .

ومن الأخطاء أيضاً التي شاعت اليوم قولهم مثلاً (محمد العلي السالم) أو (محمد العبدالله) وهكذا وهذه طريقة أكثر خطأً ، ولو نظرنا إلى كلمة (العبدالله) وخاصة

عند تجزأتها نجد أن لفظ (العبد) وحدها تعني (عبداً) و(الله) لفظ الجلالة فعبارة أن الله جلّ جلاله (عبد) أيصح هذا ؟!

أما استخدام (أل) في بداية اسم النّسب (الأخير) إذا كان المقصود أسرة أو قبيلة بادئة أساساً بحرف (أل) فهذا لا مانع فيه أو إذا كانت النسبة إلى بلد مثلاً مثل قول فلان القرشي أو التميمي أو الأسلمي نسبة إلى بني الأسلم مثلاً أو الخراساني أو الهمداني فهذه صحيحة ولا غبار عليها وغيرها مما يلعب فيه المنطق وثبوت المعنى دوراً أيضاً .

وهناك ملاحظة ورأي مني وهي أن تلك التي نُسميها أُسَراً أو عائلات اليوم مثل التي سُرِدَتْ أسماؤها في كتاب «جمهرة الأسر المتحضرة في نجْد» مثلاً ، فالمعروف أن الأسرة أو العائلة تلك الأفراد الذين يعيشون في منزل واحد ، مثلاً أي مكونة من أب وأم وأولاد فإذا ما أطلقنا على هذه أسرة وأيضاً إذا أطلقنا على جماعة من الناس ينتمون إلى جد واحد وهم متفرقون في أكثر من منزل أو بلد إذا أطلقنا على هؤلاء أيضاً اسم أسرة فكيف إذَنْ التفريق ، لكنني أرى أن الأسرة أو (العائلة) هي تلك المكونة من أب وأم وأولاد هذه هي الأسرة فعلاً ، أما تلك الأفراد الأكثر عدداً كأبناء العم مثلاً والأقربين لهم ممن يجتمعون في جدٍّ واحد وليكن الخامس أو السادس مثلاً أو أقل أو أكثر فأرى أن التّسمية الصحيحة لهؤلاء (عَشيرة) وقد ورد في القرآن الكريم في مخاطبة رسول الله ﷺ ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ والمعروف أن المقصود بها أقرباء رسول الله ﷺ مثل أعمامه وأبناءهم وعماته ونحوهم ، ولم يكن المقصود بها أهل بيته فقط أو قبيلته قريش كلها ، لأن العشيرة هم أولئك الناس الأبعد من أهل البيت أي الأسرة ، والأقرب من بقية أفراد القبيلة .

هذا رأيي الشخصي أطرحه على أستاذنا الكريم حمد الجاسر راجياً إيلاء كل ما جاء في ملاحظاتي الاهتمام والتعليق عليها حسب ما يراه من رأي صائب . حتى لا ننسى لغتنا العربية حتى في أبسط الأمور ، وهي أسماؤنا .

وفق الله الجميع والسلام ،

جامعة الملك سعود ـ كلية الآداب ـــ ناصر بن عبدالعزيز آل مبارك

«العرب» حقاً هذه ملاحظات جديرة بالاهتمام ، وجدير بالمعنيِّين بالحرص على صيانة لغتنا الانتباه لها ، والنظر إليها بما تستحق من معالجة .

١ ـ ابن : لقد شاع حذف كلمة (ابن) منذ أن كثر في مدارسنا الأساتذة القادمون من الأقطار المجاورة لبلادنا ، الذين اعتادوا عدم ذكر (ابن) ولعلهم في ذالك تأثروا بمن يجاورهم من الأعاجم من غربيين وغيرهم .

وأرى منشأ ذالك عند الغربيين أنهم يجيزون التَّبَنِّي ، إذ قد يعمد أحدهم إلى أخذ طفل من أحد الملاجِئِ ، فيقوم بتربيته وبعد ذالك يضيفه إلى اسم العائلة بدون أن يذكر كلمة (ابن) أو قد يُرَبِّي طفلاً قريباً له من غير طريق الأبوة فيضيفه إلى الأسرة . ولاشك أن مثل تلك الإضافات لا تستلزم ذكر كلمة (ابن) لانتفاء البنوة هنا ، ولكن الإسلام أبطل التبني ، وأوجب أن ينسب الإنسان إلى أبيه ، وقد تغلغلت هذه العادة في المجتمعات العربية ، ولكن ليس معنى تغلغلها أنها مقبولة أو أنها تتلاءم مع ما يجب أن نتصف به ، بصفتنا أمة لها أخلاقها ومقوماتها ولها لغتها التي هي من أقوى تلك المقومات .

ولعل من أغرب الأمور أن يعمد أستاذ فاضل إلى إلقاء محاضرة في (مجمع اللغة العربية) في القاهرة أثناء اجتماع مؤتمره في السنة الماضية في ١٢ رجب ١٤٠٨هـ يحاول أن يقرر في تلك المحاضرة أنه لا داعي لذكر كلمة (ابن) ، والغريب أن ذالك الأستاذ وهو الدكتور أمين علي السيد حاول الاستدلال بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية ، وبأن هذا الأمر أصبح سائراً مقبولاً حتى في البلاد المحافظة على لغتها كبلادنا . بل قد استشهد بأحد كبار الموظفين بأن حذف كلمة (ابن) لم يكن له أي تأثير في جريان المعاملات الرسمية ، إلا أن أكثر أعضاء المؤتمر لم يقروه على ما أورد في تلك المحاضرة ، وتستدعي المناسبة إيراد ما دار في تلك الجلسة من نقاش حول تلك المحاضرة ، فبعد أن انتهى الأستاذ الدكتور المحاضر تتابع المعلقون عليها على النحو الآتي : كما ورد في محضر جلسات ذالك اليوم من محاضر (مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والخمسين) لعام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) :

الدكتور عدنان الخطيب رئيس الجلسة : شكراً للزميل الأستاذ الدكتور

أمين علي السيد على هذا البحث اللطيف الجامع .

الأستاذ حمد الجاسر : أشكر السيد الكريم الذي أتحفنا بهذا البحث الفضفاض الذي لم أدر أهو نحو أم اجتماع أم دين ، وعلى كل حال فهو يستحق الشكر ، ولكني كنت أتمنى ألَّا يَزُجَّ بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية مستدلاً على أن كلمة (ابن) لا معنى لها ، والحقيقة مخالفةٌ لذالك تماماً ، فلو تتبعنا كتب السنة في مصادرها الأولى ، وكذالك كتب التفسير لما وجدنا دليلاً يثبت ما أراد أن يصل إليه . وثمة نقطة أخرى هي أن كلمة (ابن) اتخذت وضعاً اجتماعياً شاملاً ، فجميع الأقطار العربية باستثناء الجزيرة وبعض نواحيها لا يستعملون كلمة (ابن) . أما ما أشار إليه الزميل الكريم في قوله : (إنه سمع في جهة من جهات الحقوق المدنية في الرياض بأن حذف كلمة (ابن) لن يحدث أي اضطراب في الأسماء ، فقد يكون هذا صحيحاً ، ولكن لعله لم يعلم أنه صدر أخيراً أمر بضرورة وضع كلمة (ابن) بين الأعلام ، لأن حذفها أدى إلى تداخل واختلاط في الأسماء .

وعلى كل فإثبات كلمة (ابن) بين الأعلام هو الثابت في اللغة العربية منذ أن عُرِفَ العرب إلى عصرنا الحاضر ، وأما القول بأنه لا حاجة إلى وجودها والاستدلال على ذالك بالقرآن الكريم والسنة النبوية فقول تعوزه الدّقة وينقصه الدليل .

الدكتور احمد عزالدين عبدالله : سبق أن أصدر المجمع قراراً في موضوع هذا البحث ، وكان ذالك في الدورة الحادية والعشرين ، وعلى الرغم من ذالك اكتفى الزميل المحاضر بقول : (حدثني الدكتور شوقي ضيف عن سبق صدور قرار) ، وكان ينبغي عليه ـ بعد أن علم أنَّ ثَمَّة قراراً أصدره المجمع ـ أن يدرس هذا القرار ، فإما أن يسلم به وإما أن يعترض عليه ثم يأتي بجديد ، ولكن الزميل طرحه جانباً ، ولذا أعتقد أن موضوع هذا البحث ـ بلغة القانون ـ قَضيَّةٌ غير صالحة للنظر والحكم ، لأن هناك قراراً سابقاً .

وبناء على مامضى أقترح ألا نُصْدِر قراراً في شأن هذا البحث ، وأن نحيله إلى

إحدى اللجان اللغوية ، لتدرسه في ضوء قرار المجمع الصادر في الدورة الرابعة والأربعين ، أما أن نفصل فيه الآن فقد يترتب على هذا الفصل حدوث تناقض بين ما نصدره الآن وما هو صادر بالفعل من قبل المجمع أيضاً .

الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع : الحقيقة أن للمجمع قراراً خاصّاً بموضوع بحث الزميل الدكتور أمين علي السيد ، كما قال الزميل الدكتور أحمد عزالدين عبدالله ، ويتولى عرضه على حضراتكم الأستاذ إبراهيم الترزي وكيل الوزارة لشؤون المجتمع .

الأستاذ إبراهيم الترزي : أود التنويه بأمر يتصل بهذا البحث الذي أُلقي على السادة أعضاء المؤتمر الموقر . . فقد سبق أن أصدر مؤتمر المجمع في الدورة الرابعة والأربعين قراراً في هذا الشأن نصه مايلي : (يُجيز المجمع ما يجري على الألسنة من حذف (ابن) من الأعلام المتتابعة ، في مثل : (سافر محمد علي حسن) ، وتُضْبَطُ هذه الأعلام على أحد الوجهين الآتيين :

١ ــ يعرب العلم الأول بحسب موقعه ويجر ما يليه بالإضافة .

٢ ــ تسكن الأعلام كلها إجراءً للوصل مجرى الوقف) .

وقد كان هذا القرار ثمرة بحوث متعددة بدأها الأستاذ أحمد حسن الزيات في الدورة الحادية والعشرين ببحث في هذا الموضوع ، وأُرْجِيَ البتُّ فيه إلى الدورة الثانية والعشرين التي أحالته إلى لجنة الأصول ، ثم عُرِضَ تقرير اللجنة على المؤتمر فرأى إرجاء البتِّ فيه . ثم قُدِّمَتْ بحوثٌ بشأنه في الدورة الحادية والثلاثين من السادة الأعضاء الدكتور الشيخ عبدالرحمن تاج ، والأستاذ الشيخ محمد علي النجار ، والأستاذ أمين الخولي ، والأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس ، والأستاذ شوقي أمين والدكتور عبدالصبور شاهين . ولكن المؤتمر ظل على موقفه بإرجاء البت في اتخاذ قرار بشأنه ، حتى أقبلت الدورة الرابعة والأربعين فَأَثَارَ الأستاذ الدكتور شوقي ضيف الموضوع من جديد ، وفي مؤتمر هذه الدورة صدر القرار الذي تلوته على السادة أعضاء المؤتمر .

الدكتور إبراهيم السامرائي : أشكر الزميل الكريم للفوائد التي أَفَدْتُها من بحثه هذا ، وأما قول سيادته عن الكُـنَى فأرى أنه كان ينبغي أن يَرْجِع إلى العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع ، إذ كيف نَنْسَى أبا الحسن الدار قُطْنِـيَّ ، والإمام الحافظ ابن حَجَر ، ومجدَ الدين ابن الأثير في كتابه « المرصَّع » فهاؤلاء هم الذين بدأوا هذا الباب وكتبوا فيه ، أما الكتاب الذي أسبغ عليه من المديح واستحسنه الدكتور أمين علي السيد فهو كتاب خاص في كُـنَى رجال الشيعة فقط . فما كان أجدر بسيادته أن يرجع إلى هذه الأصول قبل أن يكيل المدح لرجل متأخر !!

الدكتور الشيخ محمد نايل احمد : شكراً للأستاذ الدكتور أمين علي السيد ، وكنت أُحِـبُّ ألاّ أتكلَم مادام للمجمع قرار في نفس الموضوع ، ولكني ـ بعد سماعي القرار ـ آثرتُ أَنْ أُبْدِي رأيِـي في ذالك ، فالمجمع إنما أجاز حذف كلمة (ابن) بين الأعلام ، وتركِ للنطق سبيلين : أحدهما إضافة الأول إلى الثاني والذي بعده ، والآخرُ تسكينُ ما بعد الأول ، وكنت أُحِـبُّ لو أن الزميل المحاضر أتى بِنَصٍّ قديمٍ من عصور الاحتجاج ، فيه ما يدل على أن العرب حذفوا كلمة (ابن) بين الأعلام ، لأنني أرى أن المجمع تَجَوَّزَ في القرار الذي اتخذه بعض الشيء ، والدليل على ذالك أن ثَمَّةَ فرقاً كبيراً بين (الحسين بن علي) و(الحسين علي) فالأول معروف للسامع بلا شك أو مراء ، أما الثاني فلا يدري السامع شيئاً محدداً عن كلمة (علي) أهي بدلٌ من (حسين) أم أنها تفسير له ، أم لها طريق ثالث ـ وأضيف إلى ذالك أنَّ النطق بالتسكين على الأعلام ـ كما رأى المجمع ـ أو إعراب الأول وإضافة الثاني إليه ، يحتاج إلى إعادة النظر فيه وفيما يمكن أن يسانده من نصوص ، لأننا إذا عُرِضَ علينا اسمٌ يليه أربعة أسماء أو أكثر فسوف يكون لدينا أربعُ إضافات أو تزيد ، واللغة العربية تأبى تكرار الإضافات ، وفي رأيـي أن (مسألة تسكين الأعلام) هذه اضطر إليها المجمع اضطراراً ، ليواكب ماجرى عليه العرف في عاميّتنا الآن .

وأخيراً ، معذرة للمجمع الموقر ، وأسأل الله العظيم أن يوفقه إلى إعادة النظر في هاتين القضيتين بكثير من الاحتياط لما قد يترتب عليه ، وشكراً .

الأستاذ عبدالسلام هارون : في الواقع لا يفوتني أن أثني عظيم الثناء على الزميل الكريم الأستاذ الدكتور أمين علي السيد ، على هذا البحث المستوعب الذي طوَّفَ بنا حول كل مايخصُّ العَلَم ، والحقيقة أنني أوافق الأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد تمام الموافقة فيما ذهب إليه من إعادة النظر في هاتين القضيتين ، لأننا إذا ما قلبنا في أقوال العرب الفصحاء فلا تكاد أعيننا تقع على شاهد حُذِفَتْ فيه كلمة (ابن) سوى بيت واحد (لأبي الطيب المتنبي) حذف فيه كلمة (ابن) من (عمرو بن حابس) فقال (عمرو حابس) .

الدكتور عدنان الخطيب رئيس الجلسة : أظن أن قرار المجمع لا ينصب على الأعلام التاريخية ولكن ينصب على الأعلام الحديثة ، ومع ذالك أقترح أن يرد هذا الأمر إلى اللجنة لدراسته .

الدكتور عبدالله الطيب : بعد الثناء الحسن على الكلمة التي سمعتها ، أُضيف صوتي إلى الذين يطلبون من المجمع أن يعيد النظر مرة أخرى في هذا الأمر ، ولا نحتاج إلى شواهد كثيرة ، لأن الأمر ليس مأخوذاً عن العامية - في أغلب ظني - بل هو مأخوذ عن الافرنج ، فهم يذكرون الاسم ثم يضيفون إليه لقب العائلة وهو ما يسمونه (Fuir name) ومثال ذالك (وليم شكسبير) الانجليزي ، أما عاميتنا فما زالت - بحمد الله - تتبع الفصحى ، ففي السودان ، مازالوا يقولون : فلان ولد فلان وكلمة (ولد) تعني (ابن) .

ومن ثم أدعو الله أن تنتهي هذه البدعة ، لأنها بدعة ليس لها أصل عربي .

الدكتور احمد عزالدين عبدالله : أُبْدِيْ اعتراضي على اقتراح الزميل الدكتور الشيخ محمد نايل بإصدار قرار بأن يُعيد مجلس المجمع النظر في قراره السابق ، وإنما أساس اعتراضي هو أنَّ القرار السابق ليس مطروحاً أمامنا الآن ، ولكن المطروح الآن بحث للأستاذ الدكتور أمين علي السيد ، كما أنه ليس مقبولاً من حيث الشكل أن يقرر المؤتمر إعادة النظر في قرار قرره المجلس منذ سنوات .

الدكتور عدنان الخطيب رئيس الجلسة : ما ذكره الزميل الدكتور أحمد عزالدين عبدالله كلام صحيح ، وأرجو من السادة الزملاء الالتزام به .

الدكتور سليمان حُزَيِّن : أشكر الزميل الدكتور أمين علي السيد على هذا البحث ، لأنه لفت نظرنا إلى أمر مُهِمّ جدًّا ، هو أنه يجوز أن نعيد النظر في بعض مسائل سبق أن أخذنا فيها قراراً ، كما أنه جاء ببعض مسائل وأسماء ورسائل خاصة بتعريف الأشخاص في العصور السابقة ، ولذا أرجو أن تبحث لجنة الأصول هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً وأن تتعقبه في العصور السابقة والعصر الحالي أيضاً .

الدكتور عدنان الخطيب رئيس الجلسة : معروض على حضراتكم الآن اقتراحٌ بإحالة البحث الذي أعده الدكتور أمين علي السيد إلى لجنة الأصول ، فهل توافقون على ذالك ؟

(موافقـــــــــة) :

الأستاذ الشيخ حمد الجاسر : أود أن أُنَبِّـهَ إلى أنني لم أعترض على ما وصل إليه المجمع في إعراب الأعلام أو غيره ، وإنما اعتراضي خاص بما استدل به الزميل المحاضر من القرآن الكريم والسنة النبوية على أن كلمة (ابن) ليس لها معنى ، لأنه لا يوجد دليل واحد على أن حذف كلمة (ابن) بين الأعلام لا يؤثر ، فلم يأتِ فيما أعلم شيء من هذا القبيل في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة بل ولا في أقوال متقدمة على القرن الثالث الهجري .

الدكتور أمين علي السيد : بسم الله الرحمن الرحيم ، أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأستاذنا الجليل فضيلة الشيخ حمد الجاسر ، وأؤكد لسيادته كما أؤكد لزملائي جميعاً وأساتذتي أنَّنِي لم أكن لأقصد أن أُزَجَّ بالقرآن الكريم ولا بالسنة النبوية في شيء كهذا الذي قد يفهم ، فالحمد لله القرآن فوق كل اعتبار ، وأنا لم أستنبط مما ورد في القرآن الكريم من ذكر عَلَـمَيْنِ اثنين منسوبين إلى الأم أو الأب أن كلمة (ابن) ليس لها معنى ، بل قصدت أن أتناول دليلاً على الاستغناء عنها ، وخلاصة ما أهدف إليه أنه يجب أن توضع كلمة (ابن) عندما يحدثُ لَبْسٌ ، وقمت بالنص على ذالك في الأعلام المزدوجة التي تتكون عادة من اثنين ، يحتمل أن يكون كل منهما علماً لشخص مستقل عن الآخر ، فأنا أستبعد ـ كما أشار إلى

ذالك الأستاذ الشيخ حمد الجاسر - القرآن الكريم والسنة النبوية ، وإنما أقصد بالسنة تلك الآثار التي دُوِّنَت وكُتبت ، وأكتفي بذكر ما يدل دلالة قطعية على الشخص ، فأبو هريرة مثلاً تردد كثيراً ولكن قد لا يعرف كثير من الذين يقرءون كتب الحديث أن اسمه (عبدالرحمن بن صخر) .

وأما الاقتراح الذي تفضل به الأستاذ الدكتور أحمد عزالدين عبدالله باستبعاد هذا البحث فهذا لا يضيرني في شيء .

الدكتور احمد عزالدين عبدالله : أنا لَـمْ أقترح استبعاد هذا البحث ، وإنما اقترحت أن يحال إلى اللجنة المختصة لترى فيه رأيها ، وذالك لأنني عَـفُّ اللسان . انتهى ما في المحضر .

ولا يتسع المجال لإيراد نص المحاضرة لطولها ، وهذا ملخص ما دار تعليقاً على تلك المحاضرة .

ولا شك أن حذف كلمة (ابن) بين الأعلام سُنَّة سَيِّئَةٌ دَخِيلةٌ في أساليبنا العربية ، وفي عاداتنا وتقاليدنا ، وينبغي لكل المعنيين بشؤون أمتنا عدم التساهل في مثل هذه الأمور التي تبدو يسيرة ولكنها بالغة التأثير .

٢ ـ الاستعاضة بحرف (ال) عن اسم (آل) كأن يقال في أسرة (آل جاسر) : (الجاسر) وفي أسرة (آل عبدالله) : (العبدالله) .

أرى أن هذا من قبيل الاختصار ومثل هذا كثير في لغة العرب فهم يقولون (بلعنبر) و(بلحمر) في (بني العنبر) و(بني الأحمر) ومادام هذا ظاهر المعنى في كلامهم فلا أرى ما يحمل على القول بأنه غير سائغ ، ولا شك أن استعمال ذالك في بعض الأحيان قد يفهم منه ماليس سائغاً وخاصة عندما يقال : (العبدالله) ومثل هذا فيما يضاف إلى اسم الله عزّ وجل ، كما أشار الأخ الكريم ولكن التعويل على المعاني المتعارفة ولو ترك هذا لكان أحسن .

٣ ـ أما ما ذكر الأخ عن معنى (الأُسرة) وان التسمية الصحيحة هي (العشيرة) فهذا له أصل في اللغة إذ ذكر الثعالبي في «فقه اللغة» ـ ص ٢١٨ ـ مانصه : ←

• إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام:

لعل من أوفى من كتب عن تاريخ الكعبة المعظمة في عصرنا الحاضر الشيخ حسين بن عبدالله باسلامة (١٢٩٩/١٣٥٦هـ) وكتابه المعروف طبع مراراً، وممن سبقه في التأليف في ذالك الشيخ محمد صالح بن أحمد الشيبي المتوفى سنة ١٣٣٥ في كتابه « إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام » وقد تصدى لتحقيق هذا الكتاب الأستاذ إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ ، فقام بدراسة الكتاب دراسة وافية ، وترجم مؤلفه ووصف النسخ التي أعتمدها في التحقيق ، وأورد فصلاً عن بني شيبة أسرة المؤلف ، سدنة الكعبة المشرفة ، وتحدث عن عصر المؤلف كل ذالك في (٥٧ صفحة) ثم ساق نَصَّ الكتاب مضيفاً إليه في الهوامش إيضاحات وافية ، وألحق به فهارس مفصلة حتى بلغت صفحات الكتاب جميعها ٣٩٦ وقام (نادي مكة الثقافي الأدبي) بنشره في طباعة حسنة بمطابع الصفا بمكة المكرمة وقد صدر سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م) .

← الشعبُ ، ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العَشيرة ، ثم الذُّرِّيَّة ثم العِتْرة ثم الأسرة . وكأنه أراد ترتيب القرابة على ذالك النحو الذي سرد ، ولكن ورد في كتب اللغة : أُسرة الرجل رهطُه الأدنون، وكذا فصيلَتُه وعِتْرَتُه والْـحَيُّ ، يقال له في ذالك كله - « المخصص » لابن سيده ٣/١٣٠ - وفي «اللسان» : الأُسْرة من الرجل الرهطُ الأدنون وعشيرتُه لأنه يتقوَّى بهم وفيه أيضاً : عشيرةُ الرجل بنو أبيه الأدنون ، وقيل هم القبيلة ، فأنت ترى أن الأسرة قد تطلق على العشيرة وأن العَشيرة قد يقصد بها (الأسرة) وهي بنو أبي الرجل الأَدْنون وهذا هو المقصود في كتاب «جمهرة أنساب الأُسر المتحضرة في نجد» لأنَّ النصوص هنالك ترتبط بالأقربين من الرجل ، ثم من فوقهم وهكذا إلى القبيلة .

* **الطبقات الكبرى :**

محمد بن سعد بن مَنيع (١٦٨ / ٢٣٠هـ تقريباً) من أجلَّةِ العلماء الذين تصدوا لتدوين سيرة المصطفى ﷺ ، وتراجم أصحابه ، ومن بعده إلى وفاته ، وكتابه المعروف باسم « الطبقات الكبرى » يُعَدُّ من أوثق المصادر وأقدمها في ذالك ، فقد طبع منذ ٨٦ عاماً في أوروبا بعناية بعض المستشرقين الألمان ، طباعة جيدة إلا أنها عن نسخ ناقصة لم يتمكن أولئك العلماء من العثور على ما يكملها .

وعن هذه الطبعة صدرت طبعتان : إحداهما في القاهرة سنة ١٣٥٨هـ عن لجنة (نشر الثقافة الإسلامية) والثانية في بيروت سنة ١٣٧٦هـ عن دَارَيْ بيروت وصادر ، ومع أن الطبعتين الأخيرتين أشرف عليهما عالمان جليلان وَاسِعَا الاطلاع على ما تحويه المكتبة العربية من نفائس المخطوطات ، وهما الشيخ محمد زاهد الكوثري وأستاذنا الدكتور إحسان عباس ، إلا أنهما لم يستطيعا استكمال شيء مما وقع من النقص في الطبعة الأوربية ، ولهذا كثيراً ما يعترض الباحث نقول عن ابن سعد ، يجدها في المطبوع من كتابه ناقصة ـ انظر مثلاً ترجمة عمر بن سعد الحفري ج ٦/ص ٤٠٣ وقابلها بما نقل الحازمي في كتابه « الأماكن » وياقوت في « معجم البلدان » رسم (حفر السبيع) ، فقد نقلا عن ابن سعد تعريفه ولكنه لم يرد في المطبوعة ـ .

وقد وُفِّقَ أحدُ الباحثين في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة للعثور على قطعة غير منشورة من ذالك الكتاب ، فتولى دراستها وتحقيقها ، وتقديمها للباحثين ، وهي تحوي قسمًا متممًا لتراجم التابعين من أهل المدينة ومن بعدهم ، من ربع الطبقة الثالثة إلى منتصف الطبقة السادسة ، وذالك نحو ٤٠٠ ترجمة ، وهذا الباحث هو الدكتور زياد محمد منصور ، الذي صَدَّرَ ماعثر عليه من الكتاب بترجمة مفصلة لابن سعد ، وألحق بما حقق خاتمةً تحوي ذكر ما رجع إليه من المصادر ، ثم فهارس مفصلة وافية ، وأضاف إلى الأصل شروحاً وزيادات أكسبته إمتاعاً وزادته فوائد جَمَّة ، وجاء الكتاب في ٥٩٢ صفحة في طباعة جيدة ، وصدر عن (مكتبة العلوم والحكم) في المدينة المنورة سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م) في طبعته الثانية بدون ذكر اسم المطبعة .

العَرَب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف ٤٦٢١٢٢٢
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ١١، ١٢ س ٢٤ الجماديان ١٤١٠هـ - كانون: ١، ٢ (ديسمبر/يناير) ٨٩/١٩٩٠م

نظرات نحوية في لغة طَيِّء

(طيِّءُ) من القبائل اليمنية ، وتعدُّ من أقوى القبائل العربية . كانت منازلهم باليمن ، فخرجوا على أثر خروج الأُزْد منها ، عند تفرقهم بعد خراب سدِّ مأرب . ونزلوا في جوار بني أسد ، ثم غلبوهم على أجأ وسَلْمَى ، وهما جبلان في بلادهم ، يعرفان الآن بجبلَيْ طَيِّءٍ ، فاستمروا بهما ، وافترقوا في أول الإسلام على الفتوحات .

قال ابن سعد : في بلادهم الآن أمم كثيرة تملأ السهل والجبل ، حجازاً وشاماً وعراقاً . وهم أصحاب الرياسة في العرب بالعراق والشام ، وبمصر منهم بطون[1] .

وطَيِّءُ هو جُلْهُمَة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان . أخو حِمْيَر بن سبأ . وبنو كهلان هم الأزد ابن الغوث بن النَّبْت بن مالك بن كهلان[2] .

ومن بطون طيِّءٍ : جَدِيلة - وهي أمهم - ، والغوث ، وللبطنين المذكورَيْن فروع .

فمن فروع جَدِيلة : الثعالب ، وبنو تَيْم ، وبنو طريف ، وبنو ثمامة ، وبنو لأم .

ومن فروع الغوث : ثُعَلُ ، وبُحْتُر ، ونَبْهان ، وبَوْلان[3] .

وطَـيِّىءُ بتشديد الياء ، وهمز آخره على المشهور ، ويقال : بلا همز[٤].

قال الخليل : أصل بناء طيٍّ من طاءٍ وواوٍ ، فقلبوا الواوَ ياءً فصارت ياء ثقيلة ، كان الأصل فيه : طَوْي[٥].

وهو عربي صحيح ، وقد استعملها الشعراء ، وهو مصروف .

وقد نسب إلى هذه القبيلة جماعة كثيرة من الأجواد والفرسان والشعراء والمحدِّثين[٦].

* * *

وبعد هذه الفكرة الموجزة في التعريف بـ (طَـيِّىءٍ) أودُّ أن أدرس لغتهم ولغةَ مَنْ أشبههم فيها . فقد تتفق عدة قبائل ذات لغات مختلفة في لغة واحدة ، وأصولها مختلفة ، وقد تمتُّ إلى أصل قبيلة واحدة ، مثل قبيلة بَلْحارث وأزد شنوءة وطَـيِّىءُ تَمُتُّ إلى أصلٍ ، فهي من القبائل اليمنية القحطانية .

ومعلوم أن بين العرب تأثر وتأثير ؛ لأن القبائل العربية لم يكن بينها حدود ثابتة ، وعادتهم الرحيل التي كانت قوام حياة العرب ، وما يتبع ذلك من أخذٍ وعطاء ، بحكم السعيِّ في طلب الرزق .

ولغة طَـيِّىءٍ من اللغات المشهود لها بالفصاحة والتميز بين العرب ، وقد احتفلت كتب اللغة بها احتفالاً كبيراً .

وليس قصدي من هذه الدراسة أن نجاريَهَا ونُحَاكِيَهَا ونَقِيْسَ عليها دون أن يَنُصَّ علماءُ العربية على جواز ذلك ، وإنما قصدي معرفة الكمِّ الغزير من ميراث أسلافنا الذي يختفي وراء لغات القبائل العربية ؛ لما لها من اتصالٍ وثيق بعلوم القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث النبوي ورواياته ، ومنثور كلام العرب وشعره .

* * *

(ابنية الأفعال) :

● إلحاق الفعل علامة التثنية والجمع :

لغة طـيِّءٍ وأزد شنوءة[٧] إلحاق الفعل الألف والواو والنون على أنها حروف دوالّ ، كتاء التأنيث ، لا ضمائر ، وهذه اللغة يسمِّيها النحويون بلغة (أكلوني البراغيث)[٨].

قال سيبويه في « الكتاب » (٢ : ٤٠) : (واعلم أن من العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ، فشبَّهوا هذا بالتاء التي يُظْهِرُونَها في قالتْ فلانة ، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامةً كما جعلوا للمؤنث ـ وهي قليلة) .

والقاعدة العامة في ذلك : أنه إذا أُسْنِدَ الفعل إلى الفاعل الظاهر فالمشهور تجريده من علامة التثنية والجمع ، ففي « الكتاب » (٢ : ٣٦) (وإنما قالت العرب : قال قومُك وقال أبواك ؛ لأنهم اكْتَفَوْا بما أَظْهَرُوا عن أن يقولوا : قالا أبواك وقالوا قومك ، فحذفوا ذالك اكتفاءً بما أظهروا)[٩].

قال ابن أبي الربيع في « البسيط » (٢ : ٦٩٢): (قولهم : أكلوني البراغيث بلاشك لم يقله النحويون إلاّ بالسماع من العرب ، وليس بمثال وَضَعُوهُ ، إذ لو كان كذالك لوضعوه على القياس ، فقالوا : (أكلتني البراغيث) ؛ لأن الواو لا تكون إلاّ للمذكر العاقل ، و (البراغيث) ليست كذلك .

فإن قلت : يكون بمنزلة قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ (النمل: ١٨) والواو ضمير النمل ، والنمل لا يعقل .

قلت : إنما جاء (ادخلوا) لأنه سبحانه وصفها بصفة من يعقل ؛ لأن الكلام لا يكون إلاّ من عاقل ، وليس الأكل كذلك ، يكون من عاقل وغير عاقل .

وأشار ابن مالك في ألفيته إلى هذه اللغة بقوله :

وقـد يقـال : سعـدا وسعـدوا   والفعـل للظاهـر بعـد مسنـد

وقال السيوطي في «همع الهوامع» (١ : ١٦٠): (وكان ابن مالك يسمي هذه اللغة لغة يتعاقبون فيكم ملائكة وهو مردودٌ) .

وسبب الرد أن الرواية المذكورة قطعةٌ من حديثٍ ، والحديث بروايته التامة موافق للّغة المشهورة ، وهي أنه لا يَلْحَقُ الفعلَ علامةُ تثنيةٍ ولا جمعٍ .

وهذا الحديث أخرجه البخاري بروايات مختلفة ، منها ما جاء في «صحيحه» في (كتاب بَدْءِ الخلق ـ باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم) (٤ : ٨١) بلفظ : الملائكة يتعاقبون ، ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار) .

وقد عدَّ الحريريُّ في «درة الغواص» (ص : ١٤٥) هذه اللغة من اللحن .

والحقُّ أنها ليست بلحنٍ ؛ لأنها وقعتْ في القرآن الكريم في آيتين كريمتين في أحد الأوجه ، وهما قوله تعالى : ﴿ ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم ﴾ (المائدة : ٧١) ، وقوله سبحانه : ﴿ وأَسَرُّوا النجْوَىٰ الذين ظلموا ﴾ (الأنبياء : ٣) .

وللنحاة عدَّة وجوه في إعراب الآية الأولى :

الوجه الأول : (كثير) بدل من الواو ، كما يقال : (رأيت قومك ثلثيهم) ، والتقدير: ثم عمِـي كثير منهم وصَمَّ بعد تبينّ الحق لهم بمحمد ﷺ .

الوجه الثاني : (كثير) خبر لمبتدإ مضمر ، أي : العُمْيُ والصمُّ كثيرٌ منهم .

الوجه الثالث : (كثيرٌ) فاعل لـ (عَمُوا) والواو حرف دال على الجمع على لغة (أكلوني البراغيث)[١٠] .

وكذالك للنحاة عدَّة وجوه في إعراب الآية الثانية :

الوجه الأول : أعرب (الذين) بدلاً من الواو في (أَسَرُّوا) وهو عائد على الناس المتقدم ذكرهم .

وفي «الكتاب» (٢ : ٤١): (وأما قوله جل ثناؤه: ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ ، فإنما يجيء على البدل ، وكأنه قال : انطلقوا ، فقيل له : مَنْ ؟

فقال : بنو فلان . فقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ على هذا فيما زعم يونس .

وقال المبرد : هو كقولك : إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبدالله ، فـ (بنو) بدل من الواو في (انطلقوا) .

الوجه الثاني : على حذف القول ، والتقدير : يقول الذين ظلموا : ﴿ هل هذا إلَّا بشرٌ مثلُكُم ﴾ . . وحذف القول مثل قوله تعالى : ﴿ والملائكة يَدْخُلُونَ عليهم مِن كُلِّ بابٍ ● سلامٌ عليكم ﴾ (الرعد : ٢٣ ، ٢٤) . واختاره النحاس .

الوجه الثالث : (الذين) في موضع نصب على الذم بـ (أعني) مقدراً .

الوجه الرابع : (الذين) في محل خفض على أنه نعت (الناس) في قوله : ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ . قاله الفراء في «معاني القرآن» (١ : ٣١٦) .

الوجه الخامس : (الذين) مبتدأ مؤخر ، وجملة (أسروا) خبر مقدم .

الوجه السادس : (الذين) فاعل لـ (أسروا) والواو حرف دال على الجمع ، على لغة (أكلوني البراغيث) . أجازه الأخفش[١١] .

قال الحسنُ بن أمِّ قاسم المرادي في «الجنى الداني» (ص : ١٧١) : (وحَمَلَ بعضهم على هذه اللغة قولَه تعالى : ﴿ ثم عَمُوا وصَمُّوا كثير منهم ﴾ و ﴿ أسروا النجوى ﴾ ، ولا ينبغي ذالك ؛ لأن هذه اللغة ضعيفة ، فلا يحملُ القرآن إلَّا على اللغات الفصيحة) .

وأيد هذا الرأيَ ابن هشام فقال في «شرح شذور الذهب» (ص : ١٧٩) : (وقد حُمِلَ على هذه اللغة آيات من التنزيل العظيم ، منها قوله سبحانه : ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ والأجود تخريجُها على غير ذالك ، وأحسن الوجوه فيها إعرابُ ﴿ الذين ظلموا ﴾ مبتدأ ، و (أسروا) خبراً)[١٢] .

قال ابن أبي الربيع في «البسيط» (١ : ٢٦٩) : (وإذا احتمل الشيءُ أن يكون على فصيح كلام العرب فلا ينبغي أن يحمل على ما قلَّ) .

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى باللغة السائدة عند العرب ، وهي لغة قريش[١٣]، أي أغلبه ، فلا نحمل بعضه على لغة غيرها ما أمكن حمله عليها .

وقد ذكر النحاة عدَّة أحاديث وآثار تحمل على لغة طَـيِّـءٍ في أحد الأوجه :

منها : مارواه البخاري في أول «صحيحه» (١ : ٤) من قوله ﷺ : « أَوَ مُخرِجِـيَّ هُمْ » لورقة بن نوفل حينما قال : ليتني أكون حياً إذ يُخْرِجك قومُك .

أورده ابن عقيل في «المساعد» (١ : ٢٠٧) ، والشيخ خالد في « التصريح » (١ : ٢٧٥) على أنه قيل : إنه من هذه اللغة .

والأصل : أو مخرجوي هم ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء ، وأبدلت الضمة التي كانت قبل الواو كسرة تكميلاً للتخفيف .

وأعرب ابن مالك في « شواهد التوضيح » (ص : ٦٥) (مخرجيّ) خبراً مقدماً ، و (هم) مبتدأ مُؤَخَّراً .

ومنها : مارواه مسلم في «صحيحه» في (كتاب الأشربة ـ باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدىء) (٣ : ١٦٠٣) من قول أنسٍ : قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وأنا ابنُ عشرٍ ، ومات وأنا ابنُ عشرين ، وكُنَّ أمهاتي يحثثنني على خدمته[١٤] .

قال النووي في «شرحه» (١٣ : ٢٢) (قوله : (كنَّ أمهاتي) على لغة (أكلوني البراغيث) ، وهي لغة صحيحة ، وإن كانت قليلة الاستعمال) .

أقول : نسب سيدي خادم رسول الله ﷺ هو : أنس بن مالك بن النضر بن ضَمضَم بن زيد بن حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النجار ، أبو حمزة الخزرجي[١٥]، والخزرج من قحطان[١٦] والحديث من قوله .

ومنها : مارواه أحمد في «مسنده» (٣ : ٣٠٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من كنَّ له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهنَّ وجبت له الجنة البتة » .

وقع في هذه الرواية : «كنَّ» بتشديد النون على لغة طَيِّء ، والوجه (من كان له) أو (من كانت له)[١٧].

أقول : أخرج قريباً من هذا الحديث ابن ماجة في «سننه» في (كتاب الأدب ـ باب برّ الوالد والإحسان إلى البنات) (٢ : ١٢١٠) من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً بلفظ : «من كان له ثلاثُ بناتٍ فَصَبَرَ عليهنَّ وأَطْعَمَهُنَّ وسَقَاهُنَّ وكساهُنَّ من جِدَتِهِ (أي غناه) كنَّ له حِجَاباً من النار يوم القيامة» .

والترمذي في (أبواب البر والصلة ـ باب ماجاء في النفقة على البنات والأخوات) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ : «من كان له ثلاثُ بناتٍ ، أو ثلاثُ أخواتٍ أو ابنتان أو أختان فَأَحْسَنَ صحبتَهُنَّ واتَّقى الله فيهنَّ فله الجنة»[١٨].

وهاتان الروايتان من قول النبي ﷺ جاءتا على المشهورة ، أما حديث جابر بن عبدالله بن عمرو بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة الأنصاري السَّلَمي[١٩]، فهو كما ترى من نسبه أنه أنصاري ، ولعلَّه تصرَّف في الحديث جرياً على لغة طيِّءٍ بناءً على رأي من يجيز رواية الحديث بالمعنى[٢٠].

ومنها : ما أخرجه أبو داود في «سننه» في (كتاب الصلاة ـ باب افتتاح الصلاة) من حديث عبدالجبار بن وائل بن حُجْر من قول أبيه في سجود النبي ﷺ : «فلما سجد وقعتا ركبتاه إلى الأرض قبل أن تقعا كفَّاه»، وعبدالجبار لم يسمع من أبيه[٢١].

فقول أبي دواد : (عبدالجبار لم يسمع من أبيه) معناه: أنه روى عمن لقيه مالم يسمعه منه موهماً سماعه . وهذا مايسمىٰ عند علماء الحديث بـ(تدليس الإسناد). وهو مكروه مذموم[٢٢]. هذا أمرٌ .

والأمر الآخر : أن الصحابي الجليل وائل بن حُجْر راوي الحديث ينتهي نسبه إلى قحطان[٢٣].

ومنها : ماذكره العيني في «المقاصد النحوية» (٢ : ٤٦٠) قال السهيلي : ألفيت في كتب الحديث المروية الصحاح مايدل على كثرة هذه اللغة وجودتها . . . نحو : يخرجن العواتق ، وذوات الخدور .

أقول : هذا الحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب الحيض ـ بابُ شهودِ الحائض العيدين) (١ : ٨٤) من حديث أم عطية مرفوعاً بلفظ (تَخْرُجُ العواتِقُ وذوات الخدورِ). وفي (كتاب الحج ـ بابُ تَقْضِـي الحائضُ المناسِكَ كلها إلاَّ . . .) (٢ : ١٧٢) بلفظ : (لِتَخْرُجْ) مكان (تَخْرُجُ) .

ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الحج ـ باب استحباب الرمَل في الطواف والعمرة) (٢ : ٩٢٢) من قول ابن عباس : «حتى خَرَجَ العواتِقُ من البيوت» .

والنسائي في «سننه» في (كتاب الحيض ـ باب شهود الـحُيَّض العيدين ودعوة المسلمين) (١ : ١٩٤) من حديث أم عطية مرفوعاً بلفظ : «لِتَخْرُجْ العواتِقُ وذوات الخدور» .

ومما سردته من الروايات يتضح أن الحديث ورد في البخاري ، ومسلم والنسائي على اللغة المشهورة ، والقاعدة عند أهل الحديث : أنه لا يُقَدَّمُ أحدٌ على البخاري في العزو ، ويَعزون الحديثَ للصحيحين إذا كان فيهما ، ولكن يسوقون لفظَهُ لمسلم ؛ لشدَّة محافظته على الألفاظ النبوية[٢٤].

ومنها : قول الحسن البصري يصف طالب علم : (وأعمدتاه رجلاه) أي : صيَّرتاه عميداً ، وهو المريض الذي لا يستطيع أن يثبت على المكان حتى يُعْمَدَ من جوانبه لطول اعتماده في القيام عليها ، فهو على لغة طَـيِّءٍ كما في «لسان العرب» (عمد ٣ : ٣٠٣). والحسن ـ ١١٠هـ ولد بالمدينة ، وكان أبوه من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار[٢٥]. وقد تأثَّر بلغة طَيِّءٍ في هذه الجملة .

وخلاصة القول : أن ماجاء من كلامه ﷺ على هذه اللغة نادر جداً ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قرشيٌّ لا يتكلم إلاَّ بلغة قومه ؛ لزيادة شرفها ، وعظيم مكانتها ، فقد أخرج مسلم في «صحيحه» في أول (كتاب الفضائل ـ باب فضل نسب النبي

ﷺ) (٤ : ١٧٨٢) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً : « أنَّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قُرَيشاً من كنانةَ ، واصطفى من قريشٍ بني هاشمٍ ، واصْطَفَاني من بني هاشمٍ »(٢٦).

نعم من خصائصه ﷺ أنه (عُلِّم أَلْسِنَةَ العرب فكان يخاطِبُ كلَّ أمةٍ منها بلسانها ، ويُحاوِرُها بلغتها ، ويُبَارِيها في مَنْزِع بلاغتها ، حتى كان كثيرٌ من أصحابه يسألونه في غير موطنٍ عن شرح كلامه ، وتفسير قوله)(٢٧).

ولكن كلامه ﷺ بلغات قبائل العرب ـ سوى لغة قريش ـ قليل ؛ لأن صَفْوَةَ الـخَلْق ﷺ لا يعقل أن يتكلَّم بلغة قومٍ ولغتهم دون لغته ﷺ إلاّ لغرض الإفهام والتفهيم ؛ لأن لغة غير قريش من العرب ليست بكفْء للغة قريش(٢٨).

ومن هذه اللغة ماجاء في الـمَثَل : (التقتا حلقتا البطان). ويقال على هذه اللغة : (الرجلان ماخرجا إلاّ هما) و (الرجال ماخرجوا إلاّ هم) و (النساء ماقُمْنَ إلاّ هُنَّ)(٢٩).

وفي «شرح الكافية الشافية» (٤ : ٢٠٠٦): (وشذَّ قولُهم: التَقَتَا حَلْقَتَا البِطان، بثبوت الألف ، والجيد حذفها) . وعلّة الشذوذ التقاء الساكنين .

● وقد ورد من شعر الفصحاء الذين يحتج بلغتهم في هذه اللغة . فمن ذلك قولُ أمية بن أبي الصلت :

يلومـونني في اشــتراء الـنخيـ ـلِ أَهْــلِي فَكُلُّهـمُ يَعْـذِلُ(٣٠)

أي: يلومني أهلي . وقول الفرزدق :

ولـكــن دِيَــافِيٌّ أبــوهُ وأمُّــهُ بِحَوْران يَعْصِرْن السليطَ أقارِبُه(٣١)

أي: يعصر أقاربُه . وقول عمر بن أبي ربيعة :

رأيْنَ الغواني الشيبَ لاحَ بعارضي فَأَعْرَضْنَ عنِّي بالخُدودِ النواضِرِ(٣٢)

أي: رأت الغواني . وقول عمرو بن مِلْقَط الطائي :

أُلْفِيَتَـا عينـاكَ عنـد القفـا أَوْلى فـأولىَ لـك ذا واقيـة(٣٣)

أي: أُلْفِيَتْ عيناك . وقول الشاعر :

نَصَرُوكَ قَوْمِيْ فاعْتَزَزْتَ بنصرهم وَلَوَ اَنَّهم خَذَلُوكَ كنتَ ذليلا(٣٤)

أي: نَصَرَك قومي . وقول عبيدالله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير :

تــولىٰ قتال المــارقــين بنفســه وقــد أسلماه مبعــدٌ وحميــم(٣٥)

فألحق علامة التثنية وهي الألف في أسلماه مع المتعاطفين ، وهما مبعد وحميم .

وقول عروة بن الورد يمدح الغِنَى ويذم الفقير :

ذريـني لـلغِنــىَ أسعــى فـإني رأيت النـاس شرُّهـم الفـقــيرُ
وأحــقــرُهــم وأهــونُهم عــليــه وإن كـانَا لـه نَسَبٌ وخِـيرُ(٣٦)

فألحق علامة التثنية وهي الألف في (كانا) مع المتعاطفين ، وهما (نسب وخير) .

وقد ردَّ أبو حيان ببيتي عبيد الله وعروة على الخضراوي حيث قال : لا نعلم أحداً يجيز (قاما زيد وعمرو) ، ولا (قاموا زيد وعمرو وبكر) .

وقال ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص : ٤٨٠ ـ ٤٨١) : (وليس الردُّ بشيء ، لأنه يَمْنَعُ التخريجَ لا التركيب) اهـ بتصرف .

ومن ذلك : قول قيس بن الـمُلَوَّح :

ولو أَحْدَقُوا بي الإنس والجنُّ كلُّهم لكي يمنعوني أن أَجِيكَ لَجِيتُ(٣٧)

أي: ولو أحدق الإنس والجن . وقول الشاعر :

نُسِيـا حـاتم وأوس لَــدُنْ فـا ضت عطاياك ياابن عبدالعزيز(٣٨)

أي : نُسِــيَ حاتم وأوس .

إلى غير ذالك من الشعر العربي المحتج به . وقد استمرت هذه اللغة في أشعار

المولدين من الطائيين وغيرهم . هذا أبو تمام المتوفى سنة ٢٣١هـ يمتلىء شعره بالأبيات التي جاءت على هذه اللغة .

فمن ذالك قوله :

شجىً في الحَشَا تَرْدَادُه ليس يَفْتُر   به صُمْنَ آمالي وإني لَمُفْطِرُ[٣٩]

ولو قال : صام آمالي لاستقام الوزن ، ولكنه طائي .

وقوله :

ولو كانت الأرْزَاقُ تَجْرِي على الحجا   هَلَكْنَ إذَنْ من جَهْلِهِنَّ البهائم[٤٠]

وقد سَرَت هذه اللغة إلى شعر المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤هـ . فمن ذالك قوله :

ورَمَى وما رَمَتَا يَداه فَصَابَني   سَهْمٌ يُعَذِّب والسهام تُرِيحُ[٤١]

ومنها قوله :

نَفْدِيكَ من سَيْلٍ إذا سُئِل النَّدَى   هَوْلٍ إذا اخْتَلَطَا دمٌ ومَسِيحُ[٤٢]

كما ظهرت في قول أبي فراس الحمداني التغلبي المتوفى سنة ٣٥٧هـ :

نتج الربيعُ مَحَاسِناً   أَلْقَحْنَها غُرُّ السحائب[٤٣]

أي : ألقحها غرُّ السحائب .

وإدراج ابن هشام في «أوضحه» (٢ : ١٠٢) و «شرح شذوره» (ص : ١٧٨) والسيوطي في «همع الهوامع» (١ : ١٦٠) هذا البيت مع الشواهد القديمة يوهم أنه منها ، وليس كذلك ، فأبو فراس من المولدين ، كما هو معلوم من تاريخ وفاته .

وأخيراً : إنَّ هذه اللغة منتشرة وشائعة وحسنة ، وماجاء منها مُسَلَّمٌ للقبائل التي تنطق بها ، ولا يصح أن نحمل جميع ما سمع منها على التأويل ؛ (لأن الأئمة المأخوذَ عنهم هذا الشَأنَ مُتَّفِقُون على أن ذلك لغةٌ لقومٍ مخصوصينَ من العربِ ،

فوجبَ تصديقُهم في ذالك كما نصدِّقُهم في غيره)[٤٤]. ولكن لا نقيس عليها .

● **كسر حرف المضارع في (إخال ، ونِخال) :**

كسرُ حرف المضارعة من الفعل الأجوف ماعدا الياء لغةٌ ، نحو : (خِلْنا ، فنحن نِخال ، وأنا إخال) بكسر النون والهمزة .

جاء في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (١ : ٢٤٨) : (قال بعضُ بني جَرْمٍ من طَـيِّءٍ :

إخـالُكَ مُـوْعِدِي ببنـي جُفَيْفٍ وهــالَــةَ، إنــني أنْهَاكِ هــالاَ

يقال : (خِلْتُ أخالُ ، وإخالُ) طائية ، فكثر استعمالُها في ألسنة غيرها حتّى صار أخال كالمرفوض) .

فكسر الهمزة أصل في طيِّءٍ ثم انتشرت إلى القبائل الأخرىٰ .

قال أبو ذؤيب الهذلي :

فَغَبَـرْتُ بَعْدَهُمُ بِعَيْشٍ نـاصبٍ وإخــال أَنِّي لاحِقٌ مُسْتَتْبِعُ[٤٥]

وقال كعب بن زهير :

أرجُـو وآملُ أن تَـدنُو مَـوَدَّتُـهـا وما إخالُ لَدَيْنَا مِنكِ تنويل[٤٦]

وقد وردت في الحديث الشريف بكسر الهمزة ، فقد أخرج أبو داود في «سننه» في (كتاب الحدود ـ باب في التلقين في الحد) كما في «مختصره» (٦ : ٢١٧) والنسائي في «سننه» في (كتاب قطع السارق ـ باب تلقين السارق) (٨ : ٦٧) ، وابن ماجه في «سننه» في (كتاب الحدود ـ باب تلقين السارق (٢ : ٨٦٦) من حديث أبي أمية المخزومي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال للصِّ الذي اعترف : «ما إخالُكَ سَرَقْتَ» قال : بلى . . .

وهنا يسئل : هل الحجازيون يكسرون الهمزة أو يفتحونها[٤٧]؟

والظاهر أنه يجوز عندهم الوجهان :

الوجه الأول : الكسر ، بدليل الحديث النبوي المتقدم .

والوجه الثاني : الفتح ، بدليل قول عمر بن أبي ربيعة[٤٨] (وهو مكي) :

مــا لِقَلْبِي كــأنَّــهُ ليسَ منِّي وعِــظَامِي أَخــالُ فيـهِنَّ فَـتْرا

قال علماء اللغة : (إِخالُ)، بكسر الهمزة لغة طـيِّءٍ وغيرهم ، وهو فصيح وكثير في الاستعمال ، وشاذ في القياس . وبفتح الهمزة لغة بني أسد ، وهو القياس ، لكونه على صيغة المتكلم ، من (خال) كـ(خاف) بمعنى ظنَّ[٤٩] .

● طَيِّءُ لا تشترط حرف الـحَلْق في باب فعَل يفعَل :

وفي «الكتاب» (٤ : ١٠٥ - ١٠٦) : (وقالوا: جَبَى يَجْبَى ، وقَلَى يَقْلَى ، فشبهوا هذا بقَرَأَ يقرأُ ونحوِه) مما هو حلقي اللام صحيحٌ غيرُ مضعف فيكون مضارعه على يفعَل) .

ثم قال : (وأما جَبَىٰ يَجْبَىٰ ، وقَلَىٰ يَقْلَى ، فغيرُ معروفين إلاَّ من وُجَيْهٍ ضعيفٍ) .

وفي «شرح الشافية» (١ : ١٢٥) : (وأما قَلَى يَقْلَىٰ فلغة ضعيفة عامرية ، والمشهور كسر مضارعه ، وحكى بعضهم : قَلِـيَ يَقْلَى - كتعب يتعب - فيمكن أن يكون متداخلاً ، وأن يكون طائياً[٥٠]؛ لأنهم يجوزون قلب الياء ألفاً في كل ما آخره ياء مفتوحة فتحةً غير إعرابية مكسورٌ ماقبلها ، نحو : (بَقَىٰ) في (بقِـيَ)، و(دُعَىٰ) في (دُعِـيَ)، و(ناصاة) في (ناصِيَة).

وفي «الصحاح» (قلى ٦ : ٢٤٦٧) : (والقِلَىٰ البُغْضُ ، فإن فتحت القافَ مددتَ . تقول : قَلَاهُ يَقْلِيهِ قِلىً وقَلاءً ، ويَقْلَاهُ لغة طـيِّءٍ) .

وفي «لسان العرب» (قلى ١٥ : ١٩٨) : (حكى ابن جني : قَلَاهُ وقَلِيَهُ . قال : وأرى : يَقْلَىٰ إنما هو على قَلِيَ) .

وفي «ديوان الأدب» (٢ : ١٣٨) : (فأما المفتوح العين في الماضي والمستقبل فهو لا يقوم إلاَّ أن يكون فيه أحد حروف الحلق في موضع العين أو اللام ، إلاَّ في لغة طَيِّء ، فإنهم يخالفون العرب في هذا بإجازة ذالك فيما خلا من حروف الحلق) .

● (مَحَا) (يَمْحُو) ، و(صَفَا) (يَصْفُو) :

جاء في «الكتاب» (٤ : ١٠٦ - ١٠٧) : (قالوا : شَأَىٰ يَشْأَىٰ ، وسَعَى يسعَىٰ ، ومحا يَمْحَىٰ ، وصَغَا يَصْغَى ، ونحا يَنْحَى . فعلوا به ما فعلوا بنظائره من غير المعتلّ) فجاءوا بمضارعه على (يفعَل) لكونه حلقي العين .

ثم قال : (وقد قالوا : يَمْحُو ، ويَصْفُو ، ويَنْحو ، كما فعلوا بغير المعتلّ) .

وفي «تاج العروس» (محا ١٠ : ٣٣٨) : (وقالوا : محاه ، يمحيه ، ويمحوه ، ويمحاه ، محياً ، الأخيرة لغة طَيِّء[٥١]، بمعنى أذهب أثره .

وفي «النوادر» (ص : ٥٣٣) : (قال أبو الحسن : أما قوله : يَمْحَاهُ ، فإنَّ العرب تقول : محا يمحو ويَمْحَىٰ ، وقد جاء يَمْحِي ، وهي شاذة قليلة . يقول بعضهم : مَحَيْتُ ، كما يقول الآخرون : مَحَوْتُ . ومن قال : يَمْحَىٰ فإنَّما يفتح ؛ لأن الحاء من حروف الحلق) .

ولا يجيز الصرفيون في (محا) و(صفا) و(نحا) فتح العين في مضارعها رغم أن عينها حلقية ؛ لأنها معتلة اللام[٥٢].

● (فَعُلَ يَفْعَلُ) وزنٌ شاذ عند الصرفيين :

ومن المعروف : أن كل ماكان على فَعُل فقياس عين المضارع فيه الضم ، ولم يأت غيرُ ذالك إلاَّ في كلمة واحدة من المعتلّ ، وهو (كُدْتَ ، تكادُ) وهو شاذ ، والمشهور (كِدْتَ تكادُ) مثل : (خِفْتَ تَخَافُ)[٥٣].

وجاء في «الكتاب» (٤ : ٤٠) : (وقد قال بعض العرب : كُدْتَ تَكَادُ ، فقال : فَعُلْتَ تَفْعَلُ ، كما قال : فَعِلْتَ أَفْعَلُ ، وكما تركَ الكسرة كذالك تركَ

الضمَّة . وهذا قولُ الخليل ، وهو شاذ في بابه) .

وفي «سر الصناعة» (٢ : ٧٥٣) : (كُدْت أكاد ، لا نظير له ، وقد دلت الدلالة على كونه : فعُلَ يفْعَلُ) .

وفي «أدب الكاتب» (ص : ٤٨٤) : قال الفراء : الذين ضموا (كُدْنا) أرادوا أن يُفرِّقُوا بين فِعْلِ الكيدِ من المكيدة في فَعَل وبين فعل الكيد في القُرْب ، فقالوا : (كُدْنا نفعلُ ذالك) ، وقالوا : (كِدْنا القومَ) من المكيدة ، كما فرَّقوا بينهما في يَفْعَلُ فقالوا في الأول : تَكَادُ وفي الثاني : تَكِيدُ) فسيبويه عزى هذه اللغة إلى بعضِ العرب ، وعزاها ابن منظور[٥٤] إلى بني عدي ، ولعلَ المراد بهم أبناء عدي ابن أخْرَم وهم بطن من طَـيِّءٍ ، وهم : بنو عدي[٥٥] بن أخرم بن أبي أخرم بن ربيعة بن جَرْول بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن طَـيِّءٍ . وذالك لأنه عُزِي إلى طَـيِّءٍ (يَمَاتُ) في مضارع (مُتُّ) بضم الميم ، وأما (مِتُّ) بكسر الميم فعُزِي إلى الحجازيين ، وعلى هذا فإذا قالت طَـيِّءٌ : (مُتُّ ، أمات) ، قالت : (كُدْتُ ، أكادُ) .

ففي «بصائر ذوي التمييز» (٤ : ٥٣٦) : (يَمات ، ويموت ، ويميت مضارع مات ، وأكثر من يتكلم بيَمات طَـيِّءٍ ، مع أن سائر العرب يتكلَّم بها قليلاً . قال الراجز :

بُـنَـيَّـتي يــا خَـيْــرَةَ الـبـنــات   عِيشـي ولا نَأْمَنُ أن تَمَاتِـي[٥٦]

ويعضهم يعدّ ذالك من قبيل تداخل اللغات ، وهو أن الماضي أُخذ من باب نَصَرَ ، والمضارع أُخذ من باب عَلِمَ ، كما أن (كِدْت) بكسر الكاف تكون كذالك ، أُخذ ماضيه من باب عَلِمَ ، ومضارعه من باب نَصَرَ ، وهو بذالك لا يكون شاذاً[٥٧] .

وعلَّلوا بأنَّه لا يعدل إلى القول بالشذوذ ما أمكن الحمل على وجه صحيح .

وفي هذا ردٌّ على سيبويه القائل بالشذوذ ، ومَنْ قال بقوله .

وأنا أميل إلى ما قاله سيبويه ؛ لأن الشاذ في كلامهم ما يكون بخلاف القياس من غير نظرٍ إلى قلّةٍ وجوده وكثرته ، وذالك مثل : استحوذ[٥٨].

● **حذف ياء الفعل الماضي حين اتصاله بتاء التأنيث :**

جاء في «لسان العرب» (سأد ٣ : ٢٠١) :

أنشد اللحياني :

لم تَلْق خيلٌ قبلها ماقد لَقَتْ   من غِبِّ هاجرة وسير مُسْأَدِ

أراد : لَقِيَتْ ، وهي لغة طَيِّءٍ .

ومُسْأَد : من أَسْأَدَ السيْرَ : أَدْأَبَهُ .

(ابنية الأسماء) :

● **جاء مصدر (فَعِل) على : فَعْلٍ ، وفُعْل :**

جاء في «الكتاب» (٤ : ١٧) : (قالوا : سَقِم ، يسقَم سَقماً ، وقالوا : السُّقم ، وقالوا : حزِن حَزَناً ، وقالوا : الحُزْن) .

وفي (٤ : ٢٣) : (قالوا: سَكِرَ ، يسكَرُ ، سَكَراً ، وسُكْراً) .

وفي (٤ : ٣٤) : (قالوا : رَشِدَ ، يَرْشَدُ ، رَشَداً ، وقالوا : الرُّشد ، كما قالوا : سَخِطَ ، يَسْخَط ، سَخَطاً ، والسُّخط) .

عزى الفراء[٥٩] المصدر فَعْل إلى بني تميم ، وعزاه الفيوميُّ[٦٠] مرة إلى بني أسد ، ومرة إلى أهل نجد ، وعزاه ابن حسنون[٦١] إلى طَيِّءٍ .

وأما فَعِل ، فُعْلاً فلغة أهل الحجاز . قال الفراء في «معاني القرآن» (١ : ٤٤٧) عند قوله تعالى : ﴿ والذين لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ ﴾ (التوبة : ٧٩) : (الجُهْد لغة أهلِ الحجاز والوُجْدُ لُغَةُ غيرهم الجَهْد والوَجْدُ) .

● بناء المصدر الميمي من الثلاثي الذي فاؤه واوٌ :

جاء في «المزهر» (٢ : ٩٨) : (فالمصدر منه والاسم على (مَفْعِل) بالكسر . ألزموا العين الكسرة في يفعِل إذا كانت لا تفارقها من مفعِل لم يشذ منها إلاّ مورَق اسم رجل ، ومَوْكَل اسم رجل أو بلد . وجاء فيما كان من هذه البنية على يفعَل : موهَب اسم رجل بالفتح وحده . والموحَل موضع الوحل باللغتين .

وطَـيٌّءِ تقول في هذه البنية كلها بالفتح ، ولِطَـيٌّءِ توسع في اللغات) .

● الضم إتباعاً للضم في كلمة :

جاء في «لسان العرب» (سود ٣ : ٢٢٨) : (السُّودَدُ : الشرف ، وقد يُهْمَزُ فيقال : السؤدَدُ . وطَـيٌّءُ تضم الدال الأولى) . وبهذا يتحقق انسجام الضمة مع الضمة[٦٢] .

(الموصـول) :

● (استعمال (ذو) بمعنى الذي) :

● الرأي الأول (وهو المشهور) :

تكون ذو بمعنى الذي مبنية في لغة طَـيٌّءِ . نحو : جاءني ذو قام ورأيت ذو قام ومررت بذو قام .

قال ابن يعيش في «شرح المفصل» (٣ : ١٤٧) : (وأما ذو فإن طيئاً تقول : هذا ذو قال يريدون الذي قال . وهي ذو بمعنى صاحب ، نقلوها إلى معنى الذي ، ووصلوها بالجملة من الفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر التي توصل بها الذي ، وبنوها لاحتياجها إلى مابعدها كما كانت الذي مبنية ، فقالوا : هذا زيد ذو قام ورأيت زيداً ذو قام ومررت بزيد ذو قام أبوه فيكون حال الرفع والنصب والجر بالواو ، وهذه الواو عين الكلمة ، وليست علامة الرفع ، وتقول : مررت بالمرأة ذو قامت ومررت بالرجلين ذو قاما ومررت بالرجال ذو قاموا فيستوي فيه التثنية والجمع والمؤنث) .

ـ ومن ذالك قولهم : لا وذو في السماء بيتُه[٦٣].

ـ وقال الفراء في «لغات القرآن» : سمعنا أعرابياً من طَـيٍّءٍ يسأل ويقول : بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامةِ ذاتُ أكرمكم الله بَهْ[٦٤] يريد الأعرابي : أسألكم بالفضل الذي فضلكم الله به والكرامة التي أكرمكم الله بها . فبنى (ذات) على الضم .

وأما (بَهْ) الأخيرة فهي بفتح الباء ، وسكون الهاء ، وأصلها (بِها) بباء الجر المكسورة ، وضمير المؤنثة العائد على الكرامة ، فألقى حركة الهاء ، وهي الفتحة على باء الجر بعد سلب حركتها وحذف ألف (ها) ، ووقف بالسكون .

ـ وفي الـمَثَل : (أَتَى عَلَيْهم ذو أتى)[٦٥]، وذو في لغة طَـيٍّءٍ تكون بمعنى الذي يقولون : (نحن ذو فعلنا كذا) أي : نحن الذين فعلنا كذا وهو ذو فعل كذا وهي ذو فعلَتْ كذا .

ومعنى المثل : أتى عليهم الذي أتى على الخلق ، يعني حوادث الدهر .

وقال أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» (١ : ٤٦٥) : (وتقول طَـيٍّءُ : جاءني ذو قال ذاك ورأيت ذو قال ذاك ومررتُ بذو قال ذاك بمعنى الذي ، كل ذلك بالواو) .

ـ وقال سنان بن الفحل الطائي (الأموي) :

فـإنَّ المـاءَ مــاءُ أبي وجَــدِّي   وبئري ذو حَفَرْتُ وذُو طويتُ[٦٦]

وصف البئر بـ(ذو) وهي مؤنثة ، أي : التي حفرت والتي طويت .

ـ وقال حاتم :

ومِنْ حَسَـدٍ يجـورُ عـليَّ قـومي   وأيِّ الدهر ذو لم يحسدوني[٦٧]

أراد أي الدهر الذي لم يحسدوني فيه .

ـ وقال عارق الطائي وهو قَيْسُ بن جِرْوَة (الجاهلي) :

لئن لم تُغَيِّر بعضَ ما قَدْ صَنَعْتُمْ   لأَنْتَحِيَنْ للعَظْمِ ذو أنا عارِقُـهْ

فجعل ذو بمعنى الذي ووصلها بالمبتدإ والخبر .

وذكر ابن يعيش في «شرح المفصل» (٣ : ١٤٩) وجوهاً في الفرق بين ذو التي بمعنى الذي على لغة طَـيِّءٍ وبين ذو التي بمعنى صاحب .

فمنها : أن ذو في لغة طَـيِّءٍ توصل بالفعل ، ولا يجوز ذلك في ذو التي بمعنى صاحب .

ومنها : أن ذو في مذهب طَـيِّءٍ لا يوصف بها إلاَّ المعرفة ، والتي بمعنى صاحب يوصف بها المعرفة ، والنكرة إن أضفتها إلى نكرة وصفت بها النكرة ، وإن أضفتها إلى معرفة صارت معرفةً ، ووُصِفَتْ بها المعرفة ، وليست ذو التي بمعنى الذي كذالك ؛ لأنها معرفة بالصلة على حدّ تعريف مَنْ وما .

ومنها : أن التي في لغة طَـيِّءٍ لا يجوز فيها ذا ولا ذي ، ولا تكون إلاَّ بالواو ، تقول : مررت بالرجل ذو قال أي : الذي قال ، ورأيت الرجل ذو قال .

وليس كذلك التي بمعنى صاحب .

● الرأي الثاني : وتكون ذو بمعنى الذي معربة بالحروف الثلاثة إعراب ذو بمعنى صاحب عند بعض الطائيين .

ـ منه قول منظور بن سحيم الفقعسي :

فـإمـا كـرام مـوسرون لقيتهم   فَحَسْبِيَ من ذي عندَهم ماكفانيا(٦٨)

فيمن رواه بالياء .

أي : من الذي عندهم ، ووصله بالظرف كما تصل الذي به في قولك : جاءني الذي عندهم .

● الرأي الثالث : وقد تؤنث ذو الموصولية ، وتثنّى وتُجْمَعُ(٦٩) عند جماعة من

طَـيِّءٍ يقولون في المفرد المذكر ذو قام ، وفي مثناه ذوا قاما ، وفي جمعه ذوو قاموا ، وفي المفردة المؤنثة : ذاتُ قامت وفي مثناها ذواتا قامتا وفي جمعها ذوات قُمن .

قال الفراء في «لغات القرآن» : وربما قالوا : هذان ذوا تعرف وهؤلاء ذوو تعرف .

ويجعلون مكان (التي (ذات) ويرفعون التاء على كل حال ، وفي تثنيتها : هاتان ذواتا تعرف وفي جمعها : هؤلاء ذوات تعرف[٧٠] .

وفي «شرح التسهيل» لابن مالك : ومنهم من يقول : رأيت ذاتُ فعلت ، وذواتُ فعلن . بمعنى التي فعلت واللاتي فَعَلْنَ .

ومن ذلك قول الأعرابي : بالفضل ذو فضلكم الله به وبالكرامة ذاتُ أكرمكم الله بَهْ . وقول رؤبة :

جمعتُهـا من أينُـقٍ مَـوَارِقٍ ذواتُ يَنْهَضْنَ بغـير سـائِقِ[٧١]

● الرأي الرابع : وحكي في ذات وذوات إعرابها بالحركات إعراب ذات وذوات بمعنى صاحبة ، وصاحبات .

حكى الأول أبو حيان في « ارتشاف الضرب » ، وحكى الثاني أبو جعفر النحاس الحلبي .

فذات ترفع بالضمة ، وتنصب بالفتحة ، وتجر بالكسرة ، مع التنوين في الأحوال الثلاثة لعدم الإضافة ، فتقول : جاءني ذاتُ قامت ورأيت ذاتاً قامت ومررت بذاتٍ قامت . وذوات ترفع بالضمة ، وتجر بالكسرة ، وتنصب بالكسرة نيابة عن الفتحة ، كجمع المؤنث ، وتنون في الأحوال الثلاثة أيضاً[٧٢] فتقول : جاءني ذواتٌ قمنَ ، ورأيت ذواتٍ قمن ومررت بذواتٍ قمن .

(الإضافـــة) :

● **قلب ألف الاسم المنقوص ياء عند إضافتها إلى ياء المتكلم** :

القاعدة في الإضافة إلى ياء المتكلم هي أنَّ ما أضيف إلى ياء المتكلم حكمه

الكسر في الصحيح ، وماجرى مجراه ، نحو : غلامي ، دلوي .

فإن كان ما قبلها ألف فلا تتغير . وعلى ذلك قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ قال هي عصاي ﴾ (طه : ١٨) ، وعليه أيضاً ما أخرجه النسائي في (كتاب الطهارة ـ باب ذكر الاستتار عند الاغتسال (١ : ١٢٦) وابن ماجه في «سننه» في (كتاب الطهارة ـ باب ماجاء في الاستتار عند الغسل) (١ : ٢٠١) من حديث أبي السَّمْح قال : كنت أَخْدُمُ رسول الله ﷺ فكان إذا أراد أن يَغْتَسِلَ قال : « وَلِّنِـي قَفَاكَ » فأُوَلِّيه قفاي فأَسْتُرُهُ به .

ومن العرب مَنْ يقلب الألف ياءً ، ويدغمها في ياء المتكلم .

وهذه اللغة عزاها ابن منظور في «اللسان» إلى طـيِّء كما حكاها الواحدي في «البسيط» عنهم[٧٣] .

وجاء على هذه اللغة حديث طلحة رضي الله عنه في يوم الجمل حين قال له عليٌّ كرم الله وجهه : عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق . . فقال طلحة : بايعت واللُّجُّ على قَفَيَّ[٧٤] أي : وضعوا السيف على قفاي . قال ابن منظور : هي لغة طائية .

كما تعزى لهذيل[٧٥] كقول أبي ذؤيب الهذلي يرثى أبناءه :

سَبَقُـوا هَـوَيَّ وأعنقـوا لِهَـوَاهُمُ ... فَتُخرِّموا ولكلِّ جنبٍ مَصْرَعُ[٧٦]

(الإبـــدال) :

● إبدال الميم من اللام في (أل) المعرفة :

هذه اللغة نسبها الرضي في «شرح الكافية» (٢ : ١٣١) وابن هشام في «مغني اللبيب» (ص : ٧٠) ، والسيوطي في «همع الهوامع» (١ : ٧٩) إلى طَـيِّءٍ وحمير . ونسبها ثعلب في «مجالسه» (١ : ٥٨) إلى الأزد ، وهي اللغة المعروفة بالطمطمانية نحو : (قام امْرَجُلُ ، وطاب امْهَواء ، وصفا امْجو)[٧٧] .

● ومن هذه اللغة الحديث الشريف في بعض رواياته : «ليس من امبر امصيام في امسفر» ● ، والمعنى : ليس من البر الصيام في السفر .

قال الزمخشري : (رَوَى النمر بن تولب عن رسول الله ﷺ : « ليس من امبر امصيام في امسفر » رُوِي أنه مارَوَى عنه ﷺ غيرَ هذا الحديث ، وطوبَى للنمر وليتني مكان النمر . . . وكان لي بمكة غُلامٌ مولَّدٌ فصيح ، سَرَوِيٌّ[٧٨] المولِدِ ، حَلَوِيٌّ[٧٩] المنشأ يقول للكوكب الطالِع بالعَشي مَعَشِي آمْبقرِ ، وطانَهُ الله على الخير وطامَهُ[٨٠]، ورأيتُه من كَثَبٍ وكَثَم)[٨١] .

● ومن هذه اللغة ماورد في «لسان العرب» (فرك ١٠ : ٤٧٥) : (قال شمر : سمعت حِمْيَرِيَّةً فصيحةً سألتُها عن بلادها ، فقالت : النحل قُلٌّ ، ولكن عيشتنا امْقَمْحُ امْفِرْسِكُ امْعِنَب امْحَماطُ طوب ، أي : طيِّبٌ ، فقلت لها : ما الفِرْسِكُ ؟ فقال : هو امتينُ عندكم . وقيل : الفِرْسك : الخوخ) . اهـ .

● ومن هذه اللغة ماورد في «لسان العرب» (صقع ٨ : ٢٠٠) و«تاج العروس» (صقع ٥ : ٤١٤) : (وفي الحديث : « من زنىٰ من امبِكْر فاصقعوه مئة »[٨٢] .

● ومن هذه اللغة قولُ بُجَيْرِ بن عَنَمَة الطائي الجاهلي :

ذاك خـليـلي وذو يُـوَاصِـلُني   يَرْمِي ورائي بامْسَهْمِ وامْسَلِمَهْ

أي : بالسهم والسلمة .

قال ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص : ٧١) : (إن هذه اللغة مختصة بالأسماء التي لا تدغم لامُ التعريف في أوّلها نحو : غلام ، وكتاب ، بخلاف : رجل ، وناس ، ولباس . وحكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع في بلادهم من يقول : « خذ الرُّمْحَ واركب امْفَرَسَ» . ولعل ذلك لغة لبعضهم لا لجميعهم ، ألا ترى إلى البيت السابق ، وأنها في الحديث دخلت على النوعين) .

وعن قياسية هذه اللغة وعدمها قال ابن يعيش في «شرح المفصل»

(٩ : ٢٠) : (ذالك شاذ قليل لا يسوغ أن يقاس عليه) .

والبغدادي في «خزانة الأدب» (١١ : ٤٦٥) : (إن الطُمْطُمانية هي أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم ، يقال : رجل طِمْطِم ، أي : في لسانه عُجْمَة لا يفصح) . اهـ .

لذا ورد في «طبقات فحول الشعراء» (١ : ١١) : (قال أبو عمرو بن العلاء : ما لسانُ حِمْيَرَ وأقاصي اليمنِ اليوم بلساننا ، ولا عربيَّتُهم بعربيتنا .

تحقيق راوي الحديث : «ليس من امبرا مصيام في امسفر» :

فريق من النحاة كالزمخشري وابن يعيش والزنجاني والسخاوي والرضي(٨٤) وابن هشام وغيرهم تواردوا على ما لا أصل له حين نسبوا هذا الحديث للنمر بن تولب .

والصحيح أن الحديث الشريف بهذه الرواية رواه الحافظ عبدالرزاق في «المصنَّف» ، ورواه عن عبدالرزاق الإمام أحمد (٥ : ٤٣٤) ، ومن طريق أحمد رواه الطبراني في «معجمه الكبير» . كما في «نصب الراية» (٢ : ٤٦١) . وانظر «مجمع الزوائد» (٣ : ١٦١) .

وراوي الحديث: كعب بن عاصم الأشعري رضي الله عنه ، لا النَّمر بن تولب .

● (العجعجة) وهي إبدال الياء جيماً :

وعلل ابن يعيش في «شرح المفصل» (١٠ : ٥٠) هذه اللغة بقوله : (الجيم تبدل من الياء لا غير ؛ لأنهما أختان في الجهر والمخرج ، إلَّا أن الجيم شديدة ، ولولا شدتها لكانت ياءً ، وإذا شُدِّدَتِ الياء صارت جيماً . وأصل هذا الإبدال في الوقف على الياء لخفائها ، وشبهها بالحركة قال أبو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : مِمَّن أنت ؟ فقال : فُقَيْمِجّ ، أي : فُقَيْمِـيٌّ ، فقلت : من أيهم ؟ فقال : مُرِجّ ، أي : مُرِيّ) . فالعلاقة بين الجيم والياء قوية .

قال الأصمعي : هي كلُّ ياء مشدَّدة للنسبة وغيرها ، فإن بعض العرب يقلبها جيماً ، ثم يقول بعد ذالك : وزعم الفراء أنها لغة طَـيِّءٍ[٨٥].

وقد نسبت هذه اللغة أيضاً إلى بني دُبَيْر ، وحنظلة ، وفقيم ، وبعض أهل اليمن ، وناسٍ من تميم ، وناس من بني سعد ، وقُضاعة[٨٦]. وتسمى عجعجة قضاعة[٨٧].

وفي «الصحاح» (عجج ١ : ٣٢٨) : و(العجعجة في قُضاعَة ، يُحَوِّلون الياء جيماً مع العين ، يقولون : هذا راعِجٌ خرج مَعِجْ أي هذا راعيّ خرج معي) .

وقد تكون هذه اللغة قضاعيةَ الأصل ، حملتها طَـيِّءٌ معها إلى نجد فتأثَّر بها جيرانها من أسد وتميم ، لما في صوت الجيم من شدةٍ تتفق وطبيعة الأداء البدوي[٨٨].

قال سيبويه في الكتاب (٤ : ١٨٢) : (وأما ناسٌ من بني سعدٍ فإنَّهم يُبْدِلون الجيم مكان الياء في الوقف ؛ لأنها خفيّة ، فأبدلوا من موضعها أبينَ الحروف ، وذلك قولهم : هذا تَميمِجْ يريدون : تميمِـيٌّ ، وهذا عَلِجّ يريدون علي ، وسمعت بعضهم يقول : عَرَبَانِـجْ يريد عَرَبانِـيٌّ . وحدثني من سمعهم يقولون :

خالـي عُوَيْـفٌ وأبـو عَلِـجِّ
الـمُطْعِمَانِ الشَّحْـمَ بالعَشِـجِّ
وبـالغـداةِ فِلَـقَ البَرْنِـجِّ[٨٩]

فأبدلوا الجيم من الياء في عليّ والعشي البرنيّ ؛ لأن الياء خفية ، وتزداد خفاءً بالسكون للوقف ، فأبدلوا مكانها الجيم لأنها من مخرجها ، وأنها أبين منها .

ومن ذلك قول الراجز :

ياربِّ إن كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ
فلا يَزَالُ شاحِجٌ يأتِيكَ بِجْ
أَقْمَرُ نَهَّاتٌ يُنَزِّي وَفْرَتِجْ[٩٠]

أبدل الجيم من الياء الخفيفة ، والأصل : حِجَّتي ، وبي ، ووَفْرَق . بياء المتكلم في الثلاثة .

● **إبدال السين ياءً** : وفي «لسان العرب» (دسس ٦ : ٨٢): (قال الفرّاء : دسَّاها ، من دَسَّسْتُ ، بُدِّلَتْ بعض سيناتها ياء كما يقال : تَظَنَّيْتُ ، من الظنِّ) .

جاء في «إبدال أبي الطيب» (٢ : ٢١٦) :

وأنت الذي دسَّيْتَ عمراً فأصبحت . . .

وأصلها «دسست» . وعُزِيَتْ هذه اللغة إلى طَـيِّءٍ[٩١].

● **إبدال النون ياءً** : وفي «لسان العرب» (أنس ٦ : ١٣) : (حكي أن الإيسان لغةٌ في الإنسان طائية ، قال عامر بن جرير الطائي :

فيا ليتني من بَعْدِ ما طافَ أهلُها   هَلَكْتُ، ولم أسمعْ بها صوتَ إيسانِ

قال ابن سيده : كذا أنشده ابن جني ، وقال : إلاَّ أنَّهم قد قالوا في جمعه : أياسِيَّ ، بياء قبل الألف ، فعلى هذا لا يجوز أن تكون الياء غير مبدلة .

قال اللحياني : في لغة طَـيِّءٍ (مارأيت ثَمَّ إيساناً) أي : إنساناً ، وجمعه : أياسين . وقوله تعالى : ﴿ ياسين والقرآن الحكيم ﴾ بلغة طَـيِّءٍ[٩٢].

وقال الفراء العرب جميعاً يقولون الإنسان إلاَّ طيئاً فإنهم يجعلون مكان النون ياءً) .

● **إبدال التاء من الصاد** : وفي «لسان العرب» (لصص ٧ : ٨٧) : (واللَّصْتُ لغة في اللَّصِّ ، أبدلوا من صاده تاءً ، وغيَّروا بناء الكلمة لما حدث فيها من البدل . قال اللحياني : هي لغة طَـيِّءٍ وبعض الأنصار ، وجمعه : لُصُوتٌ) .

كما عزيت هذه اللغة لغير طَـيِّءٍ[٩٣] أيضاً .

● **إبدال الزاي من الصاد** : قال ابن عصفور في «الممتع» (١ : ٤١٢) : (وأما الزاي فأبدلت من الصاد إذا كان بعدها قاف أو دال : فقالوا في مَصْدَق

ومَصْدُوقة : مَزْدَقٌ ومَزْدُوقةٌ[٩٤].

وإنما تفعلُ ذالك كَلْبٌ قال :

يــزيــدُ، زادَ الله في خــيراتِــهِ حامي نزارٍ، عنـد مزدوقـاتِهِ[٩٥]

وقال الآخر :

وَدَعْ ذا الهَوَى قَبْلَ القِلَى، تَرْكُ ذي الهَوَى مَتِينِ القُوَى، خيرٌ من الصَّرْمِ، مَزْدَرا[٩٦]

وذلك للعلاقة القوية بينهما في المخرج والصغير ، وهي تناسب الدال في الجهر وعدم الإطباق[٩٧].

وفي «الكتاب» (٤ : ٤٧٨) : (سمعنا العرب الفصحاء يجعلونها ـ أي : الصاد ـ زاياً خالصة ، وذالك قولك في التصْدِير : التَزْدِير ، وفي الفصد : الفَزْد ، وفي أصْدَرْتُ : أزْدَرْتُ .

وإنما دعاهم إلى أن يقرِّبوها ويبدلوها أن يكون عَمَلُهم من وجهٍ واحدٍ ، وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحدٍ ، إذ لم يصلوا إلى الإدغام ، ولم يجسُروا على إبدال الذال صاداً ؛ لأنها ليست بزيادة كالتاء في (افتعل) والبيان عربي ، فإن تحركت الصاد لم تبدل . .).

ويرجح الدكتور الجندي عزوَ هذه اللغة إلى قبيلة طَيِّءٍ ، واستدلَّ لهذا بما روي عن حاتم بن عبدالله الطائي حيث يقول : هذا فزدي أَنَهْ أي : فصدي[٩٨]. ويروى : هذا فصدي أنه[٩٩].

● إبدال الهاء من الهمزة : في «الكتاب» (٤ : ٢٣٨) : (وقد أبدلت [الهاء] من الهمزة في هَرَقْتُ وهَرَتُ وهَرَحْتُ الفرس ، تريد أرحتُ . . ويقال : إياك وهِيَّاكَ) .

وفي «شرح المفصل» (١٠ : ٤٢) : (أبدلوا الهاء من الهمزة إبدالاً صالحاً على سبيل التخفيف ، إذ الهمزة حرف شديد مستفل ، والهاء حرف مهموس خفيف ،

ومخرجاهما متقاربان إلّا أن الهمزة أدخل منها في الحلق ، قالوا : هرقت الماء أي : أرقته ، فأبدلوا الهاء من الهمزة الزائدة .

وقالوا : هرحت الدابة أي : أرحتها ، وهنرت الثوب أي : أنرته ، وهو أفعلت من النير ، وقالوا : هردت الشيء أي : أردته . حكى ذالك ابن السكيت .

وقد أبدلوها منها وهي أصل ، قالوا : هياك في إياك ، قال الشاعر :

فَهِيَّاكَ والأمرَ الذي إنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضاقَتْ عليكَ المصادِرُ[100]

هكذا أنشده أبو الحسن، وقد قُرِئَ[101]: «هياك نعبد وهياك نستعين» . وعن قطرب أن بعضهم يقول : أَياك بفتح الهمزة ، ثم يبدل منها الهاء فيقول : هياك ، وقالوا : لَهِنَّك قائم والأصل : لَإنك . قال الشاعر :

ألا ياسنا بَرْقٍ على قُلَلِ الحِمَى لَهِنَّكَ مِنْ بَرْق عليَّ كريمُ[102]

وقالوا : هَمَا والله لقد كان كذا ، يريدون : أما والله .

وهِنَّ فعلت ، يريدون : إنَّ . وهي لغة طائية ، وأنشد أبو الحسن :

وأَتَى صواحِبُها فَقُلْنَ: هَذَا الذي مَنَحَ المَوَدَّةَ غيرَ ذا وَجَفَانَا[103]

وهذا الإبدال وإن كثر عنهم ، فإنه نزرٌ يسيرٌ بالنسبة إلى ما لم يبدل ، فلا يجوز القياس عليه ، فلا تقول في أحمد : هحمد ، ولا في إبراهيم : هبرهيم . ولا في أترجه : هترجه ، بل تتبع ما قالوا : وتقف حيث انتهوا) .

وفي «شرح الشافية» (٣ : ٢٢٣) : (وطـيِّءٌ تقلب همزة إن الشرطية هاءً)[104].

● إبدال ياء ساكنة من ألف التأنيث المقصورة في (فَعْلَى) :

جاء في «الكتاب» (٤ : ٢٥٥ ـ ٢٥٦)[105]: (وتلحق الألف رابعةً للتأنيث

فيكون على (فَعْلَىٰ) . . . ويكون على (فَعَلَىٰ) فالاسم : قَلَهَىٰ وهي أرضٌ ، وأَجَلَىٰ ودَقَرَىٰ ونَمَلَىٰ ، والصفة : جَمَزَىٰ وبَشَكَىٰ ومَرَطَىٰ . . .

وبعض العرب يقول : صَوَرَيْ وقَلَهَيْ وضَفَوَيْ ، فيجعلها ياءً ، كأنهم وافقوا الذين يقولون : أَفْعَيْ وهم ناسٌ من قيسٍ وأهل الحجاز) .

وقد عزيت هذه اللغة لِطَـيِّءٍ . كما في «شرح المفصل» (٩ : ٧٧) ولعلَّهم آثروا الياء ، لأنها أظهر وأبين من الألف ، والقبائل البدوية تحرص على الأصوات الواضحة ؛ لتتفق وسرعتها في الأداء(١٠٦) .

● **فتح ما قبل الياء إذا تحركت الياء** : تفتح طَـيِّءُ ـ قياساً ـ ما قبل الياء إذا تحركت الياء بفتحة غير إعرابية فتقلب تلك الياء ألفاً(١٠٧) . وكذلك كل فعل ثلاثي سواء كانت الكسرة والياء أصليتين نحو : بَقِـيَ ونَسِـيَ وفَنِـيَ ، أو كان ذالك عارضاً ، كما لو بني الفعل للمفعول في هُدِيَ زيدٌ وبُنِـيَ البيتُ : هُدَا زيد ، وبُنَا البيت .

جاء في «شرح المفصل» (٢ : ١١) : (إنَّ طيئاً يبدلون من الياء الواقعة بعد الكسرة ألفاً ، فيقولون في فَنِـيَ : فَنَا ، وفي بقي : بَقَا ، قال الشاعر :

وما الدنيا بباقاة علينا

يريد : بباقية ، وفي جارية ، جاراة ، وهو كثير) .

وعلى ذلك جاء قول زيد الخير الطائي :

لَعَمْـرُكَ مـا أَخْشَى التصَعْلُكَ مـابَقَـا   على الأرضِ قَيْسِيٌّ يَسُوقُ الأباعِرَا(١٠٨)

أي : ما بَقِـيَ .

وقال :

فلولا زهـيـرٌ أَنْ أُكَـدِّرَ نِعْمَـةً   لَقَاذَعْتُ كَعْباً مابَقِيتُ وما بَقَا(١٠٩)

كما قال :

أفي كلِّ عامٍ مَأتَمٌ تَبْعَثُونَهُ على مِحْمَرٍ عَوْدٍ أُثيبَ وما رُضَا
تُجِدُّونَ خَمْشاً بعد خَمْشٍ كأنّه على فاجعٍ من خيرِ قومِكُم نُعا[110]

ورُضَا بمعنى رُضِيَ فعل مجهول ، وهو لغة طَيِّءٍ ، يكرهون مجيء الياء المتحركة بعد الكسرة ، فيفتحون ما قبلها لتنقلب إلى الألف لخفّتها ، يقولون في بَقِيَ : بقا ، وفي نُعِيَ : نُعا[111].

وقال حَرِيٌّ بن عامر الطائي :

وأَسْمَرَ مَرْبُوعٍ رَضَاهُ ابنُ عَاذِبٍ فَأَعْطَى ولم يَنْظُرْ بِبَيْعٍ حِلَالِ[112]

أي : أُعْطِيَ :

وفي «شرح شواهد الشافية» (٤ : ٤٨) :

نَسْتَوْقِدُ النبلَ بالحَضِيضِ ونَصْـ طادُ نفوساً بُنَتْ على الكَرَمِ[113]

أصله : بُنِيَتْ فتح ما قبل الياء على لغة طَيِّءٍ ؛ لتحرك الياء بفتحة غير إعرابية ، فانقلب الياء ألفاً ، وكانت طرفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار (بُنَات) فحذفت الألف لالتقاء الساكنين .

وقال ابن جني في «إعراب الحماسة» : هذه لغة طائية ، وهو كثير ، إلّا أنه ينبغي أن تعلم أن الكسرة المبدلة في نحو هذا فتحةٌ مُبْقَاةَ الحكم غير مَنْسِيَة ولا مطروحة الاعتداد بها ، ألا ترىٰ أن من قال في بَقِيَ : بَقَا ، وفي رَضِيَ : رَضَا ، لا يقول في مضارعه إلا يَبْقَىٰ البتة) .

وقرأ الحسن قولَه تعالىٰ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا ﴾ (البقرة : ٢٧٨) : مابَقَا[114].

وقرأ الأعمش قوله تعالى : ﴿ فَنَسِيَ ولم نَجِدْ له عزما ﴾ (طه: ١١٥): فَنَسَىٰ .

وقد عُزِيَتْ هذه اللغة لـ (بلحارث بن كعب) وأسد[115] كذلك .

● من لغات (حيثُ): (حَوْثُ) : عزاها اللحياني إلى طَـيٍّء ، وعزاها غيره لبني تميم وهذه اللغة دالة على الأصل[116].

وحيث ظرف مبهم في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة ، وهو اسم مبني ، وإنما حرك آخره لالتقاء الساكنين .

ـ فمن العرب من يبنيها على الضم تشبيهاً بالغايات ، ولأنها لم تجيء إلاّ مضافة إلى جملة ، والإضافة إلى الجملة كلا إضافة ، لأن أثرها ـ وهو الجر ـ لا يظهر ، نحو : أقومُ حيث يقومُ زيد ولا يقال : حيث زيدٌ . ونحو : حيث تكون أكون .

ـ ومنهم من يبنيها على الفتح ، مثل كيفَ للتخفيف ، استثقالاً للضمٌ مع الياء .

ـ ومنهم من يبنيها على الكسر على أصل التقاء الساكنين .

وهي من الظروف التي لا يُجَازىٰ بها إلاّ مع ما نحو : حيثما تجلسْ أجلسْ في معنى أينما ، وقولُه تعالىٰ : ﴿ ولا يُفْلِحُ الساحِرُ حيثُ أَتىٰ ﴾ (طه : ٦٩) ، وفي حرف ابن مسعود : أين أتىٰ .

والعرب تقول : جئتُ من أينَ لا تَعْلَمُ ، أي : من حيث لا تَعْلَمُ .

قال الأصمعي : ومما تُخْطِيء فيه العامة والخاصة (باب حينَ وحيثُ)، غلط فيه العلماءُ مثل أبي عبيدة وسيبويه .

قال أبو حاتم : رأيت في كتاب سيبويه أشياء كثيرة يجعل حين : حيثُ ، وكذالك في كتاب أبي عبيدة بخطه .

قال أبو حاتم : واعلم أن حينَ وحيث ظرفانِ ، فحين ظرف من الزمان ، وحيث ظرف من المكان ، ولكل واحدٍ منهما حدٌّ لا يجاوزه ، والأكثر من الناس

جعلوهما معاً حيث . قال : والصواب أن تقول : رأيتُكَ حيثُ كنتَ ، أي : في الموضع الذي كنت فيه .

واذهب حيثُ شئتَ ، إلى أيِّ موضعٍ شئتَ .

وقال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ فكُلَا من حيثُ شِئْتُما ﴾ (الأعراف: ١٩) .
ويقال : رأيتُكَ حينَ خرجَ الحاجُّ ، أي : في ذالك الوقت ، فهذا ظرف من الزمان .

ولا يجوز : رأيتك حيثُ خرجَ الحاجُّ .
ويقال : ائتِنِي حين يَقْدَمُ الحاجُّ .
ولا يجوز : ائتني حيثُ يقدَمُ الحاجُّ .

وقد صيَّر الناس هذا كلَّه حيثُ فَلْيَتَعَهَّد الرجلُ كلامَهُ . فإذا كان موضعٌ يحسن فيه أَيْنَ وأيُّ موضعٍ فهو حيثُ ، لأن أينَ معناه حيثُ .

وقولهم : حيث كانوا وأين كانوا ، معناهما واحد ، ولكن أجازوا الجمع بينهما ، لاختلاف اللفظين .

واعلم أنه يَحْسُنُ في موضع حين : لما ، وإذ ، وإذا ، ووقتٌ ، ويومٌ ، وساعةٌ ، ومتى .

نحو : رأيْتُكَ لما جِئْتَ وحين جئتَ وإذ جئت .
ونحو : سأُعْطِيكَ إذ جئتَ ومتى جئتَ(١١٧) .

وفي «مغني اللبيب» (ص : ١٧٦) :

(حيث للمكان اتفاقاً ، قال الأخفش : وقد ترد للزمان ، والغالب كونها في محل نصب على الظرفية ، أو خفض بـ (مِنْ) وقد تخفض بغيرها كقوله : [أي : زهير بن أبي سلمىٰ] :

[فَشَــدَّ ولم يُفْــزِعْ بُيــوتــاً كثيــرةً] لَدَىٰ حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ(١١٨)

وقد تقع حيث مفعولاً به وفاقاً للفارسي ، وحمل عليه قوله تعالىٰ : ﴿ الله أعلم حيثُ يجعلُ رسالتَهُ ﴾ (الأنعام : ١٢٤) إذ المعنى أنه تعالى يعلم نفس المكان المستحقَّ لوضع الرسالة فيه ، لا شيئاً في المكان ، وناصبُها (يعلم) محذوفاً مدلولاً عليه بـ (أعلم) لا بـ (أعلم) نفسه ، لأن (أفعل التفضيل) لا ينصب المفعول به .

وتلزم حيث الإضافة إلى جملةٍ اسميةٍ أو فعليةٍ ، وإضافتها إلى الفعلية أكثر . . .

وندرت إضافتها إلى المفرد ، كقوله :

[ونطعنهم حيث الحُبا بعد ضربهم] ببيض المواضي حيثُ ليِّ العمائمِ(١١٩)

وأندرُ من ذلك إضافتُها إلى جملة محذوفة ، كقوله [هو أبو حية النميري] :

إذا رَيْدةٌ من حيثُ ماانفحتْ له أتاهُ بريَّاها خليلٌ يواصلُه(١٢٠)

أي : إذا ريدة نفحت له من حيث هَبَّتْ ، لأن ريدة فاعل بمحذوف يفسره نَفَحَتْ ، فلو كان نفحت مضافاً إليه حيث لزم بُطلانُ التفسير ، إذ المضافُ إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ، وما لايعمل لا يفسر عاملاً .

وقال ابن جني في «التمام»(١٢١): ومن أضاف حيث إلى المفرد أعربها . اهـ . ورأيت بخط الضابطين :

أما ترىٰ حَيْثُ سُهَيلٍ طالعاً

بفتح الثاء من حيث ، وخفض سهيل ، وحيث بالضم ، وسهيل بالرفع ، أي : موجود ، فحذف الخبر .

وإذا اتصلت بها (ما) الكافة ضُمِّنت معنى الشرط ، وجَزَمَتِ الفعلين ، كقوله :

حيثُما تستقم يُقدِّر لكَ الله نجاحاً في غابر الأزمان

وهذا البيت دليل عندي على مجيئها للزمان .

* * *

(الوقف) :

● الوقف على نون (أنا) بهاء السكت : جاء في «شرح الشافية» (٢ : ٢٩٤) : (وبعض طَيِّءٍ يقف على (أنا) بالهاء مكان الألف ، فيقول : أَنَهْ ، وهو قليل . قال حاتم : هكذا فَزْدِي أَنَهْ) .

وقد عزا البغدادي هذه اللغة في «خزانة الأدب» (١١ : ٢٢٩) إلى عُليا تميم ، وسفلى قيس ، وأفاد بأنها لغة جيِّدة .

● الوقف على الهاء بالتاء : عزيت هذه اللغة إلى طَيِّءٍ وحِمْيَر .

قال الفراء : والعرب تقف على كلِّ هاءٍ مؤنث بالهاء ، إلَّا طيئاً فإنهم يقفون عليها بالتاء ، فيقولون : هذه أَمَتْ وجارِيَتْ وطلحَتْ[١٢٢] .

وفي «الكتاب» (٤ : ١٦٧) : (وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون في الوقف : طَلْحَتْ كما قالوا في تاء الجميع[١٢٣] قولاً واحداً في الوقف والوصل) . اهـ . وهي لغة فاشية .

والهاء التي للتأنيث نحو : تمرةٍ ، وطلحةٍ ، تبقى هاءً في الوقف . وفي لغة حِمْيَرِ تُقْلَبُ في الوقفِ تاءً ، فيقال : تَمْرَتْ ، وطَلْحَتْ[١٢٤] .

ومن ذالك قولُ بعضهم : يا أهل سورة البقرت ، فقال مجيب : لا أحفظ منها ولا آيت[١٢٥] .

ومن ذلك قولهم : وعليه السلام والرحمت[١٢٦] .

ومن ذلك قول أبي النجم العجلي :

الله نَجَّـاك بكَفَّيْ مَسْلَمَتْ ... من بَعْدِ ما وبعدِ ما وبعدِ مَتْ
صارتْ نُفوسُ القومِ عند الغَلْصَمَتْ ... وكادَتِ الحُرَّةُ أنْ تدعى أَمَتْ[١٢٧]

وقول الراجز :

بل جَوْزِ تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الحَجَفَتْ[١٢٨]

وفي «سر صناعة الإعراب» (١ : ١٦٢) : (فلما كان الوصل مما يُجْرىٰ فيه الأشياء على أصولها في غالب الأمر ومطَّرِد اللغة ، وكان الوقف مما يُغَير فيه الأشياء عن أصولها ، ورأينا عَلَمَ التأنيث في الوصل تاء نحو : قائمتان وقائمتكم ، وفي الوقف هاءً نحو : ضاربهْ ، وقائمهْ ، علمنا أن الهاء في الوقف بدل من التاء في الوصل) .

وبالرجوع إلى كتاب الله تعالى نرىٰ أن بعض القراء وقفوا على هذه الهاء بالتاء ، موافقة لصريح الرسم القرآني ، وهي لغة طَـيِّءٍ[١٢٩] .

وقال أبو حيان : وعلى هذه اللغة كتب في المصحف ألفاظ[١٣٠] بالتاء نحو قوله تعالىٰ : ﴿ إنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّوم ● طَعَامُ الأَثيم ﴾ (الدخان : ٤٣ ، ٤٤) : ﴿ أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ ربِّكَ ﴾ (الزخرف : ٣٢) .

● **الوقف بالحذف** : حذف الجزء الأخير من الكلمة لغة طَـيِّءٍ .

جاء في «همع الهوامع» (٢ : ٢٠٦) : (أن بعض العرب تحذف ألف ضمير الغائبة في الوقف ، مثال ذلك قولهم : والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ ، يريد (بِهَا) ، فحذف الألف ، وسكن الهاء ، ونقل حركتها إلى الباء ، ولذلك فتحها) .

وقد نسب (الأشموني) (٤ : ٢٠٦) هذه اللغة إلى طَـيِّءٍ ومما يؤيد أنها لِطَـيِّءٍ ما جاء في «الإنصاف» (٢ : ٥٦١ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧) : (قال عامر بن الطُّفَيْل الطائي :

فلم أَرَ مِثْلَهَـا خُبَـاسَـةَ واجِـدٍ ونَهْنَهْتُ نَفْسِـي بعدَما كَدْتُ أَفْعَلَهْ

والأصل[١٣١] : أَفْعَلُها أي الخصلة ، فحذفت الألف وألقيت الهاء على

ما قبلها ، وهذا التأويلُ في هذا البيت حكاه أبو عثمان عن أبي محمد التوزي عن الفراء .

وحكي أن بعض العرب قتل رجلاً يقال له مَرْقَمَةُ وقد كلفه وآخَرَ أن يبتلعا جُرْدانَ الحمار ، فامتنعا فقتل مرقمةَ ، فقال الآخر : طاح مرقمة فقال له القاتل : وأنت إنْ لم تَلْقَمَهْ ، يريد : تَلْقَمُهَا ، فحذف الألف وألقى حركة الهاء على الميم . وكما قال الشاعر :

فإنيِّ قد رأيتُ بِدَارِ قَوْمِي ... نَوَائِبَ كُنْتُ في لَخْمٍ أَخَافَهْ

يريد : أخافُها ، فحذفت الألف وألقى حركة الهاء على الفاء ، وهي لغة لخم .

وحكي : نحن جِئْنَاكَ بَهْ ، أي : بِهَا ، فحذفت الألف ، وألقى حركة الهاء على الباء) .

وهذه اللغة ، وهي الانتقاص من أطراف الكلمة في الوقف كما عزيت إلى طَيِّءٍ عزيت إلى لخم ، كما في نصِّ «الإنصاف» المتقدم ، والعلاقة بينهما أنهما من القبائل اليمنية[١٣٢] .

وقد عُزِيَ إلى طَيِّءٍ قولهم : يا أبا الحَكا ، بقطع الكلام ، يريدون : يا أبا الحكم ، وتسمى القُطْعَة في طَيِّءٍ كالعنعنة في تميم[١٣٣] .

وهذا شبيه بما في «الكتاب» (٣ : ٣٢١) : (وسمعت من العرب من يقول : ألا تا ، بَلَىٰ فا ، فإنما أرادوا : ألا تفعل وبلىٰ فافعل . ولكنَّه قطع كما كان قاطعاً بالألف في أنا) .

وقد عُزِي هذا الحذف إلى بني سعد[١٣٤] .

● **إحلال الياء أو الواو محل الألف** : جاء في «الكتاب» (٤ : ١٨١) : (هذا باب الحرف الذي تبدل مكانه في الوقف حرفاً أَبْيَنَ منه يُشبِهه لأنه خَفِيٌّ ، وكان

الذي يُشبِهه أَوْلَىٰ ، كما أَنَّك إذا قلت : مُصْطَفِينَ ، جئت بأشبه الحروف بالصاد في موضع التاء ، لا من موضع آخر .

وذلك قول بعض العرب في (أَفْعَىٰ) : هذه أَفْعَيْ ، وفي حُبْلَىٰ : هذه حُبْلَيْ ، وفي مُثَنًّى : هذا مُثَنَّيْ . فإذا وصلتها صيَّرْتَها ألفاً . وكذلك كلُّ ألفٍ في آخر الاسم .

حدثنا الخليل وأبو الخطَّاب أنها لغةٌ لفزارةَ وناسٍ من قيسٍ ، وهي قليلة . فأما الأكثر الأعرف فإن تَدَعَ الألف في الوقف على حالها ولا تُبْدِلَها ياءً . وإذا وصلت استوت اللغتان ؛ لأنَّه إذا كان بعدها كلام كان أبينَ لها منها إذا سَكَتَّ عندها ، فإذا استعملتَ الصوت كان أبينَ .

وأما طَـيِّءٍ فزعمُوا أنهم يَدَعونها في الوصل على حالها في الوقف ؛ لأنها خفيَّة لاتُحَرَّك ، قريبة من الهمزة .

حدثنا بذالك أبو الخطاب وغيره من العرب ، وزعموا أنَّ بعض طَـيِّءٍ يقول : أَفْعَوْ لأنها أبينُ من الياء ، ولم يجيئوا بغيرها لأنها تُشْبِه الألف في سعة المخرَج والمدِّ ، ولأن الألف تُبدل مكانَها كما تُبْدَل مكان الياء ، وتُبْدَلاَنِ مكانَ الألف أيضاً ، وهنَّ أخواتٌ) .

وجاء في «شرح الحماسة للمرزوقي» (٢ : ٨٢٩) عند الكلام على بيت لتأبط شرًّا :

مُـطْرِقٌ يَرْشَـحُ مَـوْتـاً كـما أَطْ   رَقَ أَفْعَىٰ يَنْفِـثُ السَّـمَّ صِـلُّ

شَبَّهَ نفسه في إطراقه وسكونه ، منتظراً لفرصةٍ ينتهزها في إدراك ثأره بالحية ، وأنه في إمساكِهِ يرشحُ بالموت لعَدُوِّهِ ، كما أن الحية إذا أطرق نَفَثَ بالسمّ . . .

قال الخليل : الأفعىٰ حَيَّةٌ قصيرةٌ عريضة الرأسِ . ويُنَوَّنُ فيقال : أفعىً ، وبعض طَـيِّءٍ يقلِبُ أَلِفَهُ واواً فيقول : أَفْعَوْ ، وبعضُ (قيس) يقلبها ياء فيقول : أَفْعَيْ ، ومنه : تَفَعَّى فلانٌ إذا ساء خُلُقُه . وقال سيبويه : صرفُه أكثر وأجود ،

ويصلح للذكر والأنثى . والأُفْعُوان الذكر لا غير) .

وورد في «همع الهوامع» (٢ : ٢٠٦) : (وربما قلبت الألف الموقوف عليها همزة أو ياء أو واواً ، نحو : هذه أفعأ أو أفعَيْ أو أفعَوْ في هذه أفعى ، هذه عصأ أو عصيْ أو عصوْ في هذه عصا الأولى والأخيرة لغة بعض طَـيِّءٍ ، والثانية لغة فزارة .

ونص سيبويه على أن هذه اللغات الثلاث في كل ألفٍ في آخر اسم سواء كانت أصلية أو غير أصلية) .

يشرح قوله : لأنها خفية ، ما جاء في «شرح الشافية» (٢ : ٢٨٦) : (وإنما قلبوها ياء لأن الألف خفية ، وإنما تبين إذا جئت بعدها بحرف آخر ، وذلك في حالة الوصل ، لأن أخذك في جَرْس حرف آخر يُبين جرس الأول وإن كان خفياً ، وأما إذا وقفت عليها فتخفى غاية الخفاء حتى تظن معدومة ، ومن ثم يقال : هؤلاه ويارباه ، بهاء السكت بعدها ، فيبدلونها إذن في الوقف حرفاً من جنسها أظهر منها ، وهي الياء ، وإنما احتملوا ثقل الياء التي هي أثقل من الألف في حالة الوقف التي حقها أن تكون أخف من حالة الوصل للغرض المذكور من البيان ، مع فتح ماقبلها ، فإنه يخفف شيئاً من ثقلها ، وهذا عذر من قبلها همزة أيضاً ، وإن كانت أثقل من الألف .

وطَـيِّءٍ يدعونها في الوصل على حالها في الوقف ، فيقولون : أَفْعَيْ بالياء في الحالين .

وبعض طَـيِّءٍ يقلبونها واواً ؛ لأن الواو أبين من الياء ، والقصد البيان ، وذلك لأن الألف أدخل في الفم لكونه من الحلق وبعده الياء لكونه من وسط اللسان ، وبعده الواو لكونه من الشفتين ، والياء أكثر من الواو في لغة (طَـيِّءٍ) في مثله ، لأنه ينبغي أن يراعى الخفة اللائقة بالوقف مع مراعاة البيان .

والذين يقلبونها واواً يَدْعُون الواو في الوصل بحالها في الوقف ، وكل ذلك

لإجراء الوصل مجرى الوقف ، وإنما قلبت واواً أو ياءً لِتَشَابُهِ الثلاثة في المدّ وسعة المخرج) .

ومن هذا النص يعلم أن الإبدال يكون في حالة الوقف[١٣٥].

● **الوقف على التاء بالإبدال هاءً** : حكى قطرب عن طَـيِّءٍ[١٣٦] إبدال تاء الجمع هاء في الوقف تشبيهاً بتاء التأنيث الخالصة .

وكذلك عزا هذه اللغة إلى طَـيِّءٍ الشيخ (خالد) في «التصريح» (٢ : ٣٤٣) والسيوطي في «همع الهوامع» (٢ : ٢٠٩) والأشموني في «شرحه» (٤ : ٢١٤) .

وفي «الإفصاح» أن ماحكاه الفراء وقطرب من الوقف على التاء بالهاء شاذ لا يقاس عليه .

وسمع من هذه اللغة الحديث : «دفن البناه من المكرماه»[١٣٧] أي : دفن البنات من المكرمات .

وسمع : كيف الإخوة والأخواة أي : الإخوة والأخوات .

وسمع[١٣٨] أيضاً : هيهاه وأولاه في هيهات وأولات .

قال ابن جني[١٣٩]: وقف بعضهم على اللات بالهاء فقال : اللاه .

وفي «شرح المفصل» (٩ : ٨١): (فأما هيهات ففيها لغتان : فتح التاء وكسرها . فمن فتح جعلها واحداً ووقف عليها بالهاء ، ومن كسرها جعلها جمعاً ووقف عليها بالتاء) .

(الإتبـــاع) :

● **كسر نون (مِنْ) للاتباع** : هذه اللغة نُسبت في «لسان العرب» (منن ١٣ : ٤٢٢) و «تاج العروس» (٩ : ٣٥٤) إلى طَـيِّءٍ وكلب .

وتعلل هذه اللغة على أصل التقاء الساكنين ، وإتباعاً لكسرة الميم[١٤٠].

وفي «الكتاب» (٤ : ١٥٤) : (وزعموا أنَّ ناساً من العرب يقولون : (مِنِ

الله) فيكسرونه ويُجرونه على القياس) .

يعني أن الأصل أن تكسر لالتقاء الساكنين ، واللغة المشهورة في نون (مِنْ) إذا جاء بعدها (أل) الفتح .

ويعلل سيبويه ذالك في «الكتاب» (٤ : ١٥٣) فيقول : (قولهم : مِنَ الله ومِنَ الرسول ﷺ ومن المؤمنين ، لمّا كثرتْ في كلامهم ولم تكن فعلا وكان الفتحُ أخفَّ عليهم فتحوا ، وشبّهوها بأين وكيف) .

يعني أنه قد كان حكمها أن تُكْسَرَ لالتقاء الساكنين ، لكن فتحوا لما ذكر .

ومن هذه اللغة : اطلبوا مِنِ الرحمنِ .

وفي «المحتسب» (١ : ٢٨٣) : (حكى أبو عمرو أن أهل نجران يقولون : ﴿ بَرَاءَةٌ مِن الله ﴾ (التوبة : ١) يجرون الميم والنون . قال أبو الفتح : حكاها سيبويه ، وهي أول القياس ، تكسرها لالتقاء الساكنين ، غير أنه كثُر استعمال (مِن) مع لام المعرفة ، فهربوا من توالي كسرتين إلى الفتح) .

● وبعد أن عرضت الظواهر العامة للغة طَيِّءٍ في ظلال القراءات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والكلام العربي : شعره ونثره ، فإني أخرج بنتيجة ، وهي أن لهذه اللغة جذوراً ثابتة في العربية ، وأصولاً فصيحة .

وقد أشار الأصمعي إلى ذالك بقوله : جَرْم فُصْحَى الناس[١٤١].

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . . .

د. محمود فجال
رئيس قسم النحو والصرف في كلية اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها

الحواشي :

(١) «نهاية الأرب» (ص : ٢٩٧) و«سبائك الذهب» (ص: ٣٤) .
(٢) «الاشتقاق» (ص : ٣٦٢) و«نهاية الأرب» (ص : ٢٩٧ ، ٣٦٦) .
(٣) «الاشتقاق» (ص : ٣٨٠ ـ ٣٩٧) و«مجموع بلدان اليمن وقبائلها» (٢ : ٥٦١) .
(٤) «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» (١ : ٧٣) .

(٥) « الاشتقاق » (ص : ٣٨٠) .
(٦) « تاج العروس » (طاء ١ : ٩٢) .
(٧) كما في «الجنى الداني» (ص : ١٧١) و« المساعد » (١ : ٣٩٤) و« همع الهوامع » (١ : ١٦٠) و« التصريح » (١ : ٢٧٥) ، كما عزيت في « مغني اللبيب » (ص : ٤٧٨) و« بصائر ذوي التمييز » (٥ : ١٤٩) إلى بلحارث أيضاً .
(٨) انظر « الكتاب » (١ : ١٩) .
(٩) أي : لا يضمرون في الفعل إذا كان فاعله اسماً ظاهراً .
(١٠) انظر « الجامع لأحكام القرآن » (٦ : ٢٤٨) .
(١١) انظر « الجامع لأحكام القرآن » (١١ : ٢٦٨) .
(١٢) انظر « البحر المحيط » (٦ : ٢٩٦) .
(١٣) « الإتقان » (٢ : ١٠٣) .
(١٤) انظر « إعراب الحديث النبوي » (ص : ٢٨) .
(١٥) انظر « جمهرة أنساب العرب » (ص : ٣٥١) و« الإصابة » (١ : ١٢٦) .
(١٦) « مجموع بلدان اليمن وقبائلها » (١ : ٦٩) .
(١٧) انظر « إعراب الحديث النبوي » (ص : ٣٩) .
(١٨) انظر « عارضة الأحوذي » (٨ : ١٠٥) .
(١٩) « الإصابة » (١ : ٤٣٤) .
(٢٠) انظر « المحدِّث الفاصل » (ص : ٥٣١) .
(٢١) انظر « مختصر سنن أبي داود » (١ : ٣٥٨) .
(٢٢) « تدريب الراوي » (١ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤) .
(٢٣) انظر « جمهرة أنساب العرب » (ص : ٤٦٠) و« الإصابة » (٦ : ٥٩٦) .
(٢٤) « التراتيب الإدارية » (١ : ٤٦) .
(٢٥) « الأعلام » (٢ : ٢٢٦) .
(٢٦) انظر « الخصائص الكبرى » (١ : ٣٨) .
(٢٧) « الشفا » (١ : ٧٠) .
(٢٨) انظر « شرح النووي » (١٥ : ٣٦) .
(٢٩) « المساعد » (١ : ٣٩٣) . وفي « مجمع الأمثال » : « التقت حَلْقَتَا البطان » . يقولون : البِطَان للقَتَب الحِزَام الذي يُجْعَل تحت بطن البعير ، وفيه حلقتان ، فإذا التَقَتَا فقد بلغ الشدُّ غايتَه . يضرب في الحادثة إذا بلغت النهايةَ .
(٣٠) ديوانه (ص : ٦١) ، ويروى في « التصريح » (١ : ٢٧٦) (فكلهم ألوم) .
(٣١) « الكتاب » (١ : ٢٣٦) و« شرح المفصل » (٧ : ٧) .
(٣٢) « ديوانه » (ص : ٢٠١) وانظر « المساعد » (١ : ٣٩٣) .
(٣٣) « شرح شواهد المغني » (ص : ١١٣) و(شعر طيِّىء وأخبارها) (ص : ٤٥٥) .
(٣٤) « شواهد التوضيح » (ص : ٢٤٧) و« شرح الأشموني » (٢ : ٤٧) .
(٣٥) « شرح الكافية الشافية » (٢ : ٥٨١) و« التصريح » (١ : ٢٧٧) . وأراد من قوله : (مبعد وحيم) كلَّ الناس .
(٣٦) « التصريح » (١ : ١٧٧) .

(٣٧) « ديوان مجنون ليلى » (ص : ٨٤) .
(٣٨) « شواهد التوضيح » (ص : ٢٤٧) .
(٣٩) « شرح ديوانه للتبريزي » (٢ : ٢١٤) .
(٤٠) « شرح ديوانه للتبريزي » (٣ : ١٧٨) . وانظر أمثلة أخرى في (١ : ٢٢٤ ، ٢ : ١٢٨ ، ١٣١ ، ٢٨٨ ، ٣ : ١٠ ، ٧٤) .
(٤١) « شرح ديوانه للبرقوقي » (١ : ٣٦٩) .
(٤٢) « شرح ديوانه للبرقوقي » (١ : ٣٧٧) .
(٤٣) « التصريح » و « حاشية يس » (١ : ٢٧٦) و « يتيمة الدهر » (١ : ٥٩) .
(٤٤) « شرح الكافية الشافية » (٢ : ٥٨٣) .
(٤٥) « شرح أشعار الهذليين » (١ : ٨) .
(٤٦) « خزانة الأدب » (٩ : ١٥٢) .
(٤٧) انظر « اللهجات العربية » (٢ : ٣٩١) .
(٤٨) ديوانه (ص : ١٩٨) تحقيق مهنا .
(٤٩) انظر « لسان العرب » (خيل ١١ : ٢٢٦) و « خزانة الأدب » (٩ : ١٥٢) ، و « حاشية السندي على سنن النسائي » (٨ : ٦٧) .
(٥٠) انظر « شفاء العليل » (٢ : ٨٤٤) .
(٥١) وقد عزيت إلى (عقيل)، ومثلها: صفا ونحا . انظر «اللهجات العربية» (٢ : ٥٧٣) .
(٥٢) انظر «الممتع» (١ : ١٧٤) و «شرح الملوكي» (ص : ٥٩) .
(٥٣) انظر «شرح الجرجاني على تصريف العزي» (ص : ١٨) و «شرح الشافية» (١ : ١٣٨) .
(٥٤) «لسان العرب» (٣ : ٣٨٢) .
(٥٥) انظر «سبائك الذهب» (ص : ٥٦) و «معجم قبائل العرب» (٢ : ٧٦٤) .
(٥٦) انظر «الدرر المبثثة» (ص : ٢٢٦) و «شرح الشافية» (١ : ١٣٧) .
(٥٧) انظر التعليق على «شرح الشافية» (١ : ١٣٨) .
(٥٨) انظر «شرح الجرجاني على تصريف العزي» (ص : ١٧) .
(٥٩) «معاني القرآن» (٢ : ٣٣٣) .
(٦٠) «المصباح المنير» (١ : ١٤٢ ، ٢٢٩) .
(٦١) «اللغات في القرآن» (ص : ١٧) .
(٦٢) انظر «اللهجات العربية» (١ : ٢٦٨) .
(٦٣) «المساعد» (١ : ١٤٧) .
(٦٤) كما في «التصريح» (١ : ١٣٨) ، وكتاب «لغات القرآن» . لم أعثر عليه .
(٦٥) «مجمع الأمثال» (١ : ١١٨) .
(٦٦) البيت في «شرح المفصل» (٣ : ١٤٧) و «شرح التسهيل» لابن مالك (١ : ٢٢٢) و «البسيط» (١ : ٤٩١) و «أوضح المسالك» و«همع الهوامع» (١ : ٨٤) .
(٦٧) البيت في «شرح التسهيل» لابن مالك (١ : ٢٢٢) .
(٦٨) البيت في «شرح المفصل» (٣ : ١٤٩) و «المساعد» (١ : ١٤٧) و «أوضح المسالك» (١ : ١٥٣) و «الدرر اللوامع» (١ : ٥٩) ويروى البيت على الوجهين ببناء «ذو» وإعرابها .
(٦٩) «أوضح المسالك» (١ : ١٥٣) وانظر «شرح التسهيل» لابن مالك (١ : ٢٢٣) .

(٧٠) «التصريح» (١ : ١٣٨) .
(٧١) ملحقات الديوان (ص : ١٨٠) و«المساعد» (١ : ١٤٦) و«همع الهوامع» (١ : ٨٣) وأينق جمع ناقة ، موارق : سريعات السير .
(٧٢) «أوضح المسالك» (١ : ١٥٧) و«التصريح» (١ : ١٣٨) .
(٧٣) «التصريح» (٢ : ٦١) .
(٧٤) أورد هذا الحديث ابن الجوزي في «غريب الحديث» (٢ : ٣١٤) وابن يعيش في «شرح المفصل» (٣ : ٣٣) و«لسان العرب» (قفا ١٥ : ١٩٣) ، وانظر «البداية والنهاية» (٧ : ٢٣١) .
(٧٥) انظر «اللهجات العربية» (٢ : ٥٤٠) .
(٧٦) «شرح أشعار الهذليين» (١ : ٧) .
(٧٧) انظر «اللهجات العربية في التراث» (١ : ٣٩٨) .
(٧٨) أي : منسوب إلى السراة ، وهي الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة ونجد . «معجم البلدان» (سراة ٣ : ٢٠٤) .
(٧٩) منسوب إلى حَلْيَ وهو موضع باليمن . انظر «معجم البلدان» (حلي ٢ : ٢٩٧) .
(٨٠) طانه وطامه بمعنى ، أي : جَبَلَهُ .
(٨١) كثب وكثم بمعنىً ، أي : من قرب . وانظر نص الزمخشري في «منير الدياجي» (ص: ٣٠٨ - ٣١٣) .
(٨٢) هذا الحديث للآن لم أعثر على من خرَّجه في كتب السنة .
(٨٣) وامْسَلِمَهْ : السَّلِمَهْ ، واحدة السِّلام ، وهي الحجارة «الصحاح» (سلم ٥ : ١٩٥٠) . والبيت في «الكافي شرح الهادي» (ص : ١١٩٣) و«شرح المفصل» (٩ : ٢٠) و«المقاصد النحوية» (١ : ٤٦٤) و«مغني اللبيب» (ص : ٧١) .
(٨٤) «شرح الكافية» (٢ : ١٣١) .
(٨٥) «إبدال أبي الطيب» (١ : ٢٥٧) نقلاً عن «اللهجات العربية في التراث» (١ : ٣٧٤) .
(٨٦) انظر «اللهجات العربية» (١ : ٣٧٤ - ٣٧٥) .
(٨٧) «شرح الأشموني» (٤ : ٢٨١) .
(٨٨) انظر «اللهجات في الكتاب» (ص : ٢٩٢) .
(٨٩) الرجز في «شرح المفصل» (٩ : ٧٤ ، ١٠ : ٥٠) و«المقاصد النحوية» (٤ : ٥٨٥) و«شرح شواهد الشافية» (ص : ٢١٢) و«التصريح» (٢ : ٣٦٧) .
(٩٠) الرجز في «النوادر» (ص : ٤٥٦) و«سر صناعة الإعراب» (١ : ١٧٧) .
(٩١) انظر «اللهجات العربية في التراث» (١ : ٣٥٢) .
(٩٢) وقالت العلماء : إنه من الحروف المقطعة .
(٩٣) انظر «اللهجات العربية» (٢ : ٤٥٤) .
(٩٤) المزدوقات : المصدوقات جمع مصدوقة ، وهي الصدق . كما في «لسان العرب» (صدق ١٠ : ١٩٥) .
(٩٥) أي : مصدوقاته . والبيت في «سر صناعة الإعراب» (١ : ١٩٦) .
(٩٦) أي : مَصْدَرا ، والبيت في «سر صناعة الإعراب» (١ : ١٩٦) و«شرح المفصل» (١٠ : ٥٢) .
(٩٧) انظر «شرح الشافية» (٢ : ٢٣٢) .
(٩٨) انظر «اللهجات العربية» (٢ : ٤٤٩ - ٤٥٠) .
(٩٩) قاله حاتمٌ عندما عَقَرَ إبلاً لضيف ، فقيل له : هلاَّ فصدتها ؟ فقال هذا المَثَلَ . انظر «النوادر» للقالي ، و«شرح المفصل» (١٠ : ٥٣) .

(١٠٠) «شرح الشافية» (٣ : ٢٢٣) ونسب في حاشيته إلى طفيل الغنوي .
(١٠١) عزاها في «البحر المحيط» (٢ : ٢٣) لابن السوار الغنوي .
(١٠٢) «شرح المفصل» (٨ : ٦٣) .
(١٠٣) أي : أذا الذي ؟ فأبدل الهمزة التي للاستفهام هاءً ، ويروى في «شرح الشافية» (٣ : ٢٢٤) : وأتت صواحِبُها ، وفي حاشيته : أنشده اللحياني عن الكسائي لجميل بن معمر كما في «اللسان» .
(١٠٤) انظر «اللهجات العربية» (٢ : ٦١٣) .
(١٠٥) تحت عنوان : (هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة ، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ، ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه ، وهو الذي يسميه النحويون : التصريف والفعل) «الكتاب» (٤ : ٢٤٢) .
(١٠٦) «اللهجات في الكتاب» (ص : ٢٦٨) .
(١٠٧) «شرح شواهد الشافية» (٤ : ٤٨) . قال ابن مالك في «الكافية الشافية» (٤ : ٢١٣٧) :

بِـنَـحْـوِ رَاضَى وبُـنَـتْ في راضي وبُـنِـيَـتْ لِـطَـيِّءٍ تَـرَاضِـي

(١٠٨) «النوادر» (ص : ٢٧٩) .
(١٠٩) «النوادر» (ص : ٣٠٣) .
(١١٠) «النوادر» (ص : ٣٠٢) باختلاف يسير في الرواية ، يقال : أجدَّ فلانٌ الشيءَ واستجدَّه إذا أحدثَهُ ، فَتَجَدَّدَ ، والخمش : جرح على ظاهر البشرة .
(١١١) «خزانة الأدب» (٩ : ٤٩٥) .
(١١٢) «النوادر» (ص : ٢٩٩) ، وجِلَالٌ جمع جِلَّةٍ ، وهي جماعة البيوت .
(١١٣) البيت في «شرح الكافية الشافية» (٤ : ٢١٣٨) .
(١١٤) «البحر المحيط» (٢ : ٣٣٧) .
(١١٥) انظر «اللهجات العربية» (١ : ٩٦ ، ٢ : ٥٣٥) .
(١١٦) انظر «الكتاب» (٣ : ٢٩٢) و«المساعد» (١ : ٥٢٩) و«اللهجات العربية» (١ : ٧٧) .
(١١٧) ما تقدم مأخوذ من «لسان العرب» (حوث ، حيث ٢ : ١٣٩ - ١٤١) .
(١١٨) «أم قشعم» هي الحرب ، ويقال : هي المنية . انظر «شرح شعر زهير» (ص : ٢٩) .
(١١٩) الحبا ، أي : في أوساطهم ، وبيض المواضي : جمع أبيض ، وهو السيف . انظر «خزانة الأدب» (٦ : ٥٥٣) .
(١٢٠) الريدة : الريح اللينة وما زائدة للتعويض عن الجملة المحذوفة .
(١٢١) هو «التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري» .
(١٢٢) «الصحاح» (ها ٦ : ٢٥٥٩) .
(١٢٣) يعني تاء جمع المؤنث السالم .
(١٢٤) «المصباح المنير» (هاء ص : ٦٤٤) .
(١٢٥) «همع الهوامع» (٢ : ٢٠٩) .
(١٢٦) «شرح المفصل» (٩ : ٨١) .
(١٢٧) الرجز في «شرح المفصل» (٩ : ٨١) و«همع الهوامع» (٢ : ٢٠٩) و«شرح شواهد الشافية» (ص : ٢١٨) . الشاهد في : مسلمت ، الغلصمت ، أمت . أما (بعدمت) فالمراد : بعدما ، فأبدلت الألف في التقدير هاء فصارت : (بعدمه) ، وقد أبدلت الهاء من الألف . و(مسلمت) هو (مَسْلَمة بن عبدالملك) .

(١٢٨) «سر صناعة الإعراب» (٢ : ٥٦٣) و«شرح المفصل» (٩ : ٨١) و«شرح شواهد الشافية» (ص : ٢٢٠) .

(١٢٩) انظر «إتحاف فضلاء البشر» (ص : ١٠٣) وفيه أمثلة كثيرة .

(١٣٠) «همع الهوامع» (٢ : ٢٠٩) .

(١٣١) في أحد الأوجه .

(١٣٢) انظر «اللهجات العربية» (٢ : ٥٠٧ ـ ٥٠٨) .

(١٣٣) «لسان العرب» (قطع ٨ : ٢٨٦) و«تاج العروس» (٥ : ٤٧٤) .

(١٣٤) «لسان العرب» (أه ١٥ : ٤٣٠) .

(١٣٥) انظر «اللهجات العربية» (٢ : ٤٩٨) .

(١٣٦) انظر «سر صناعة الإعراب» (٢ : ٥٦٣) .

(١٣٧) ورد بلفظ «دفن البنات من المكرمات» في «تمييز الطيب من الخبيث» (ص : ٧٩) وفيه : رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وغيرهما عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما عُزي بابنته رقية قال : «الحمد لله» وذَكَرَهُ وهو غريب .

(١٣٨) «شرح الأشموني» (٤ : ٢١٤) .

(١٣٩) «سر صناعة الإعراب» (٢ : ٥٦٣) .

(١٤٠) انظر « اللهجات العربية» (١ : ٢٧٢) .

(١٤١) كما في «العقد الفريد» (٢ : ٤٧٦) .

أهم مصادر البحث ومراجعه :

ـ «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي ١٣٥٩هـ بمصر .

ـ «الإتقان» للسيوطي ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم . دار التراث . الثالثة ١٤٠٥هـ القاهرة .

ـ «الاشتقاق» لابن دريد . تحقيق عبدالسلام هارون . الخانجي .

ـ «الإصابة» لابن حجر . بتحقيق البجاوي ـ الفجالة ـ القاهرة ١٣٨٣هـ .

ـ «إعراب الحديث النبوي» للعكبري . تحقيق عبدالإله نبهان . الثانية ١٤٠٧هـ .

ـ «الأعلام» للزركلي ـ الرابعة ـ دار العلم للملايين ١٩٧٩م الثانية ١٤٠٧هـ . مجمع اللغة العربية بدمشق .

ـ «أوضح المسالك» لابن هشام . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . الخامسة ١٩٦٦ ـ بيروت .

ـ «البحر المحيط» لابن حيان ـ السعادة ١٣٢٨هـ .

ـ «البداية والنهاية» لابن كثير . الأولى ١٣٥١هـ . السعادة بمصر .

ـ «البسيط في شرح جمل الزجاجي» لابن أبي الربيع . تحقيق د . / عياد الثبيتي . الأولى ١٤٠٧هـ . دار الغرب الإسلامي .

ـ «بصائر ذوي التمييز» للفيروزابادي . تحقيق محمد علي النجار ، وعبدالعليم الطحاوي من ١٣٨٤ إلى ١٣٩٣هـ . المجلس الأعلى .

ـ «تاج العروس» للزبيدي . ١٣٠٦هـ ـ الخيرية بمصر .

ـ «تدريب الراوي» للسيوطي ـ تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف الثانية ١٣٩٩هـ بيروت .

ـ «التراتيب الإدارية» لعبد الحي الكتاني . دار الكتاب العربي ـ بيروت .

ـ «التصريح» للشيخ خالد ، ومعه حاشية يس ـ البابي الحلبي .

ـ «تمييز الطيب من الخبيث» لابن الديبع ١٣٨٢هـ القاهرة .

- «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي . مصورة عن دار الكتاب في القاهرة .
- «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم . دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٠٣هـ .
- «الجنى الداني» للمرادي . تحقيق . د/ قباوة حلب ١٣٩٣هـ .
- «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» البابي الحلبي ١٣٥٩هـ .
- «حاشية الصبان على شرح الأشموني» عيسى الحلبي .
- «خزانة الأدب» للبغدادي . تحقيق عبدالسلام هارون . دار الكتاب العربي - ١٣٨٧هـ القاهرة .
- «الخصائص الكبرى» للسيوطي . دار الكتب العلمية . بيروت .
- «الدرر اللوامع» للشنقيطي . مصورة عن طبعة مصرية ١٣٢٨هـ .
- «ديوان أبي تمام» بشرح التبريزي . تحقيق محمد عبده عزام . دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .
- «ديوان أمية بن أبي الصلت» تعليق سيف الدين الكاتب . دار مكتبة الحياة - بيروت .
- «ديوان مجنون ليلى» جمع عبدالستار أحمد فراج دار مصر للطباعة .
- «سر صناعة الإعراب» لابن جني - تحقيق د. / حسن هنداوي - الأولى ١٤٠٥هـ دار القلم بدمشق .
- «شرح أشعار الهذليين» للسكري - حققه عبدالستار فراج . راجعة محمود شاكر . المدني .
- «شرح التسهيل» لابن مالك . تحقيق د. / عبدالرحمن السيد . الأولى الأنجلو ١٩٧٤م .
- «شرح الجرجاني على تصريف العزي» طبع بمصر .
- «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي . تصوير عالم الكتب بيروت .
- «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي . نشر أحمد أمين ، وعبدالسلام هارون . الثانية . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٧هـ القاهرة .
- «شرح ديوان المتنبي» للبرقوقي . دار الكتاب العربي . بيروت ١٤٠٠هـ .
- «شرح الشافية» للرضي - تحقيق محمد نور الحسن وزميليه . دار الكتب العلمية - بيروت .
- «شرح الشافية الكافية» لابن مالك - تحقيق د/ عبدالمنعم الهريدي - مطبوعات جامعة أم القرى - الأولى ١٤٠٢هـ .
- «شرح شذور الذهب» لابن هشام . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . السعادة - السابعة ١٣٧٦هـ .
- «شرح شعر زهير» لثعلب . تحقيق د/ فخرالدين قباوة . دار الآفاق الجديدة - الأولى ١٤٠٢هـ بيروت .
- «شرح شواهد المغني» للسيوطي . لجنة التراث العربي - بيروت .
- «شرح الكافية» للرضي - استانبول ١٣٠٥هـ .
- «شرح المفصل» لابن يعيش - المنيرية بمصر .
- «شرح الملوكي» لابن يعيش - تحقيق د/ فخرالدين قباوة . المكتبة العربية بحلب . الأولى ١٣٩٣هـ .
- «شفاء العليل في إيضاح التسهيل» تحقيق د/ الشريف الأولى ١٤٠٦هـ . مكة المكرمة .
- «الشفاء» للقاضي عياض - مصورة دار الفكر .
- «شواهد التوضيح والتصحيح» لابن مالك تحقيق د/ طه محسن . طبع وزارة الأوقاف - العراق ١٤٠٥هـ .
- «الصحاح» للجوهري . تحقيق أحمد عبدالغفور العطار . القاهرة ١٣٧٧هـ .
- «صحيح مسلم» بشرح النووي - المطبعة المصرية بالقاهرة ١٣٤٩هـ .
- «عارضة الأحوذي» بشرح صحيح الترمذي ، لابن العربي . دار الكتاب العربي .
- «العقد الفريد» لابن عبد ربه - شرح أحمد أمين وزميليه . طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٩هـ .
- «الكافي شرح الهادي» للزنجاني . رسالتي الدكتوراه .
- «كتاب سيبويه» تحقيق عبدالسلام هارون . الثانية . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- «اللغات في القرآن» رواية ابن حسنون - تحقيق د/ صلاح الدين المنجد . الثالثة . دار الكتاب الجديد - بيروت .

←

أهلية المرأة المالية
عند العرب قبل الاسلام

تَمَتَّعتِ المرأةُ العربية ـ قبل الإسلام ـ بأهلية ماليَّةٍ كاملة . فقد تمتعت بأهلية الوجوب ، فكانت أهلاً لاكتساب الحقوق والتَّحمل بالالتزامات المالية . كما تمتعت بأهلية الأداء ، فكانت أهلاً ـ بدءًا من سنّ معينة ـ لإجراء التصرفات القانونية ، المختلفة ، التي تكسبها حقا أو تحملها بالتزام . وتدل الشواهد على أن المرأة البدوية والمرأة الحضرية ، كانتا في هذا الشأن ، على حدٍّ سواء .

وفيما يلي نتحدث أولاً عن أهلية الوجوب ، ثم عن أهلية الأداء .

أولاً ـ أهلية الوجوب :

انْتَقَلَتْ إلينا من العصر الجاهلي شواهد كثيرة تدل على أن المرأة العربية ، ـ بدوية كانت أم حضرية ـ تمتعت في ذلك العصر بأهلية اكتساب الحقوق والتّحمل

ـ «اللهجات العربية في التراث» د/ أحمد علم الدين الجندي . الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ١٩٨٣م .
ـ «اللهجات في الكتاب لسيبويه» لصالحة راشد . مطبوعات جامعة أم القرىٰ ـ الأولىٰ ١٤٠٥هـ .
ـ «مجمع الأمثال» للميداني . حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ـ عيسى الحلبي ١٣٩٨هـ .
ـ «المحدِّث الفاصل» للرامهرمزي . تحقيق د/ محمد عجاج . الأولىٰ ـ بيروت ١٣٩١هـ .
ـ «مختصر سنن أبي داود» للمنذري ، ومعه «معالم السنن» للخطابي . مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٧هـ .
ـ «المزهر» للسيوطي . تحقيق محمد أحمد جاد المولىٰ وزميلَيْه . القاهرة .
ـ «المساعد» لابن عقيل . دار الفكر ١٤٠٠هـ ـ مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز .
ـ «المصباح المنير» للفيومي . تحقيق د/ عبدالعظيم الشناوي . دار المعارف .
ـ «معاني القرآن» للفراء . تحقيق نجاتي ، والنجار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .
ـ «معجم قبائل العرب» لعمر رضا كحالة . الثالثة ١٤٠٢هـ . مؤسسة الرسالة .
ـ «الممتع» لابن عصفور ـ تحقيق د/ فخرالدين قباوة . الثالثة . دار الآفاق الجديدة . بيروت .
ـ «مغني اللبيب» لابن هشام . تحقيق د/ مازن مبارك ، ومحمد علي حمد الله . دار الفكر بدمشق ١٣٨٤هـ .
ـ «المقاصد النحوية» للعيني . مصورة عن طبعة بولاق ١٢٩٩هـ . بهامش «خزانة الأدب» .
ـ «نهاية الأرب» للقلقشندي . دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولىٰ ١٤٠٥هـ .
ـ «النوادر» لأبي زيد . تحقيق د/ محمد عبدالقادر أحمد . الأولىٰ ١٤٠١هـ . دار الشروق .
ـ «النوادر» للقالي . تصوير دار الكتاب العربي .
ـ «همع الهوامع» للسيوطي ـ السعادة ـ الأولى ١٣٢٧هـ .

بالالتزامات . فكانت لها ذمة مالية خاصة . فثمة شواهد عديدة على أن المرأة كانت أهلاً لتَملك أموال تكون خاصة بها .

فقد رُوِي ـ مثلاً ـ أن غنّية بنت عفيف ـ وهي أم حاتم ـ كانت ذات يسار . كانت من أسخى الناس وأقراهم . وكانت لا تمسك شيئاً تملكه . فلما رآى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها . فمكثت دهراً لا يُدْفع إليها شيء منه حتى إذا ظنوا أنّها وجدت ألم ذالك أعطوها صِرْمَةً من إبلها ، فجاءتها امرأة من هوازن ، كانت تأتيها في كل سنة تسألها ، فقالت لها : دُونَكِ هذه الصِّرمة فخذِيها ، فوالله لقد عضني من الجوع ما لا أمنع منه سائلاً أبداً[1].

كذالك روي أن زوجة حاتم الطّائي عاتَبتْه على إسرافه فردَّ عليها قائلاً :

ذَرِيْني وَمَالي إنَّ مَالَكِ وَافِرٌ وكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى ماتَعَوَّدَا[2]

فالمرأة البدوية كانتْ إذَنْ أهلاً لتملك أموال خاصة ، بل كانت أهلاً لَتملك الإبل . ولما كانت الإبل تشكل ـ لدى البدو ـ أَهَمَّ عناصر الثروة فلابُدَّ أن المرأة كانت ـ من باب أولى ـ ، أهلاً لتَملك غيرها من الأشياء . فلابُدَّ أن المرأة كانت تَتملَّك ثيابها وحُلِيَّها والأوعية والأدوات التي تستخدمها في أغراض الحياة اليومية . ومن المحتَمل أن المرأة كانت ـ على الأقل في بعض الأحيان ـ هي مالكة الخيمة التي يقيم فيها الزوجان وأولادهما . ولعل المرأة كانتْ تأتي بالخيمة معها عند انتقالها إلى زوجها[×].

ومما يدل على أنَّ الخيمة كانت تُعَدُّ ملكاً للزوجة ماروي من أن من نساء الجاهلية مَنْ كُنَّ يطلِّقْنَ أزواجهن . وكان طلاقهن أنهن إن كن في بيت من شعر حَوَّلْنَ الـخِبَاءَ إن كان بابه من قبل المشرق حَوَّلْنَهُ قبلَ المغرب ، وإن كان بابه من قبل اليمن حولنه قبل الشام . فإذا رأى الرجل ذالك علم أنها طلقته فلم يأتها[3] فهذه الطريقة في تطليق الزوجة لزوجها لا يمكن تفسيرها إلا بافتراض أن الخيمة كانتْ من ممتلكات الزوجة .

كذالك كانت المرأة الحضرية أهلاً لتملك أموال خاصة ، تدلنا على ذالك

الشواهد التالية :

روي أن فكهة (بنت زيد بن كلدة بن عامر بن زريق) دخلت على تُبَّع وقد استوبأ بِئْرَهُ التي حفرها ، وشكا بطنه من مائِها . فانطلقت فأخذت قِرَباً وحمارَيْن حتى استَقَتْ له ماءَ رومة فشربه فأعجبه . قال : زِيدني من هذا الماء . فكانت تختلف إليه في كل يوم بماء رومة . فلما كان رحيله دعاها فقال لها : يا فكهة إنه ليس معنا شيء من الصفراء والبيضاء . ولكن لك ما تركنا من أزْوادِنا ومتاعنا . فيقال : إنه لم تزل فكهة أكثر بني زريق مالا حتى جاء الإسلام(٤).

كذالك كانت السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ من أكبر تجَّار قريش ، وأكثرهم مالاً ، وأوفرهم غنى(٥). وروي أن عبدالله بن أبي ربيعة كان تاجراً موسراً ، وكان متجره إلى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً ، وأن أمه أسماء بنت مخربة كانت عطارة يأتيها العطر من اليمن(٦).

فالشواهد السابقة ، وأخرى غيرها ، تدل في وضوح على أن المرأة العربية كانت تتمتع بأهلية تملك الأموال المختلفة .

وقد نتساءل عن مصادر اكتساب المرأة الأموال المختلفة ، وللإجابة على هذا التساؤل نقول : إن ثمَّة مصادر عديدة كان بِوُسع المرأة عن طريقها اكتساب الأموال . ونستعرض فيْما يلي بعضها :

١ ـ من النساء من كن يمارسن مِهَناً أو حِرَفاً أو صناعات تدرُّ عليهن مكاسب مالية . فمن النساء من كن يمارسن الكهانة أو العرافة أو السحر(٧). وكانت الكاهنة أو العرافة أو الساحرة تحصل على بعض المال مقابل خدمَاتِها . كذالك من النّساء من مارسن التّطبيب ، وتزيين النساء ، والتوليد ، وختان البنات ، وإرضاع الأطفال . وكانت المرأة تحصل مقابل خدماتها في هذه المجالات على أجرٍ كان لاشك يشكل مصدراً من مصادر ثروتها(٨).

٢ ـ من النساء من اشتغلن بالتّجارة . فمنهن من اشتغلن بالتجارة على مستوى متواضع . فكانت الفواقر من النساء ينتجعن الأسواق ، ويَرْتَدْنَ مختلف

الأحياء ، لابتياع التمر والعسل والسمن أو بيعها واستبدالها بأمثالها ، واعتراض الركبان في مغداهم ورواحهم بالقدور والأدم يبعنها عليهم[٩]. ومنهن من مارس التجارة على مستوى عال ، وبإمكانات كبيرة . كما هو الحال مثلاً بالنسبة للسيدة خديجة بنت خويلد ، وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب ، وأسماء بنت مخربة ، وغيرهن . فالتجارة كانت تمثل مَوْرداً ماليًا استطاعت عن طريقه بعض النساء تكوين ثروات خاصة بلغت في بعض الأحيان شأواً عظيماً .

٣ ــ كانت المرأة تحصل على الأقل في بعض الأحيان ـ على نصيب في الدية التي تدفع في حالة قتل أحد أقاربها الأقربين وبخاصّةٍ في حالة قتل أحد أولادها .

يدلنا على ذالك الخبر التالي : روي أنه قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري . رأيته قاعداً بفناء داره ، مُحْتَبِياً حمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتي برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابْنَكَ . فوالله ما حَلَّ حَبْوَتَهُ ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه فقال له : يابن أخي أثمت بِربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بنيَّ فَوارِ أخاك ، وحُلَّ أكتاف ابْن عمك ، وسُقْ إلى أمه مئة ناقة دية ابنها فإنها غريبة[١٠].

٤ ــ كانت الفتاة تحصل عادة بمناسبة زواجها على بعْض الهدايا من قبل أهلها وبخاصة من قبل أبيها . كما كانت تحصل على بعض الهدايا من قبل زوجها . بل كانت تحصل في بعض الأحيان على الأموال التي يدفعها الزوج على سبيل المهر .

يدلنا على ذالك الخبر التالي : رُوِي أن لَقِيط بن زُرارة نزع شَرِيداً إلى قيس بن خالد ذِي الجدَّيْن ، كريم العرب ، وأحد ملوكها ، فخطب إليه ابنته ، وتكلم بكلمات ، كشفت عن قلب ذكيٍّ ، وأنف حميٍّ ، ونسب سنيٍّ ، فزوّجه الملك ابنته لليلته ، وساق إليها المهر عنه[١١].

ولم يكن الزواج يستتبع أيَّ انتقاص من أهليَّة المرأة . فكانت المرأة المتزوجة ، شأنها شأن غير المتزوجة ، لها أموالها الخاصة . فكانت تحتفظ بالأموال التي كانت

لها ـ قبل الزواج ـ مسْتَقلّة ومنفصلة عن أموال الزوج . وكانت ـ باستطاعتها ـ تنمية أموالها الخاصة التي كانت لها من قبل ، أو اكتساب أموال أخرى جديدة .

كذالك كانت المرأة أهلاً لأن تكون لها أموال خاصة رغم كون أبيها مازال على قيد الحياة . فقد كانت للبنت ذمتها المالية الخاصة .

يدلنا على ذالك ماروي من أن سفانة بنت حاتم كانت من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يعطيها الصِّرمة بعد الصرمة من إبله فتُنهبها وتعطيها الناس . فقال لها حاتم : يابنيّة إن القَرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه ، فإما أن أعطي وتمسكي ، أو أمسك وتعطي فإنه لا يبقى على هذا شيء . فقالت : والله لا أمسك أبداً . وقال أبوها : وأنا والله لا أمسك أبداً . فقالت : فلا نتجاور . فقاسمها ماله وتباينا(١٢).

ثانياً ـ أهلية الأداء :

هناك من الشواهد مايدل على أن المرأة العربية كانتْ أهلاً لإجراء التصرفات القانونية المختلفة التي قد تكسبها حقاً أو تحمِلها بالتزام .

والفتاة شأنها في هذا شأن الفتى كانت تكتسب أهلية الأداء ببلوغها ، فسِنُّ البلوغ كانت تشكل عند العرب قبل الإسلام السنّة التي يعتبر معها الصغير ذكراً كان أم انثى أهلاً بمباشرة التصرفات القانونية .

وتشير الأخبار التي انتقلت إلينا من العصر الجاهلي إلى أن المرأة كانت في ذالك العصر تعد أهلاً لإجراء التصرفات القانونية بأنواعها المختلفة . فكان بِوُسْعِها إجراء التصرفات التي تنطوي على معاوضة كما هو الحال مثلاً بالنسبة للبيع والشراء ، والتصرفات التي تنطوي على تبرع كما هو الحال بالنسبة للهبة من زاوية الواهب . وهناك من الشواهد ما يدل على أن المرأة كانت تقوم بالأعمال التجارية . والاعتراف للمرأة بممارسة التجارة يشير في ثناياه إلى أنها كانت تتمتع بأكبر قدر من أهلية الأداء .

فهناك أولاً من الشواهد ما يدل على أن من النِّسَاء من كُنَّ يَقُمْن بالبيع والشراء . فقد كانت الفواقر من النساء يجمعن الكمأة ويبعنها . وكن ينتجعن بالأسواق ، ويرتدن مختلف الأحياء لإبْتِيَاعِ التمر والعسل والسمن أو بيعها ، أو استبدالها بأمثالها ، واعتراض الركبان في مغداهم ورواحهم بالقدور والأدم يَبِعْنَها عليهم . والطواف على الفِتيان والفتيات بالعطر يطيبنهم به ، والنداء بالأحياء بين النساء بالخرز لتحلية الثياب وبالعقود والدمالج والقرطة وودعات الأطفال[١٣] .

من ذلك مثلاً ما روي من أن امرأة كانت تحت رجل من بني جشم بن معاوية فبعثها بأنْحاء سمنٍ تبيعها له بعكاظ ، فباعت السمن وراحلتين كان عليهما ، وشربت بثمنها الخمر[١٤] .

وثمة شواهد على أن المرأة كانت أهلاً لإجراء التَّصرفات التبرعية . فكان باستطاعة المرأة أن تهب من أموالها ما تشاء لمن تشاء . فكان من الممكن للمرأة أن تهب بعض إبلها لبعض المحتاجين من الناس . فقد رُوي عن أم حاتم إنها كانت من أسخَى الناس وأقراهم للضيف وأنها كانت لا تمسك شيئاً تملكه . كذلك روي عن ابنته ، سفَّانة ، أنها كانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الصِّرْمة بعد الصِّرمة من إبله فتهبها وتعطيها الناس . وقد تتبرع المرأة ببعض أموالها إلى أحد المعابد . من ذالك مثلاً ماروي من أن مارية بنت ظالم بن وهب أهدت إلى الكعبة قُرْطَيْها وعليهما درتان كبيضتي حمام ، لم يَرَ الناس مثلهما ، ولم يَدْرُوا ما قيمتهما[١٥] . وقد بلغ من نفاستهما أن جرى المثل عند العرب : (خذه ولو بقرطي مارية) .

بل إن ثمة شواهد عديدة تدل على أن من النساء من كن يمارسن التِّجارة على مستوى عال . وممارسة التجارة لا يمكن لشخص أن يمارسها إلا إذا كان كامل الأهلية .

فقد روي أن هاشم بن عبد مناف خرج في عير لقريش فيها تجارات ـ وكان طريقهم إلى المدينة ، فنزلها بسوق النَّبط فصادفوا سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون

لها . فباعوا واشتروا ونظروا إلى امرأة على موضع مشرف من السوق . فرأى امرأة تأمر بما يشترى ويباع لها ، فرأى امرأة حازمة جلدة ، مع جمال[١٦].

وكانت السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ من أكبر تجار قريش ، وأكثرهم مالاً ، وأوفرهم غنى ، وكانت تستأجر الرجال في مالها وتضاربُهم إياه بشيء تجعله لهم . ترسل بأموالها إلى الشام وإلى عكاظ وحُبَاشة وغيرهما من أسواق العرب[١٧].

ولم يكن الزواج ـ عند العرب ـ يؤدِّي إلى الانتقاص من أهلية الأداء التي للمرأة . بل كانت المرأة تظلُّ رغم زَواجها متَمتّعة بأهليتها كاملة . فكان باستطاعتها التصرف في أموالها بكل أنواع التَّصرفات بما فيها التصرفات التبرعية . ولم تكن في تصرفها في مال من أموالها بِحاجة إلى إذن الزوج أو موافقته .

فالمرأة التي ذهبت تبيع السمن بعكاظ كانت امرأة متزوجة ، وأنابها زوجها في بيعه لحسابه . والسيدة خديجة كانت تمارس التجارة وهي متزوجة .

على أن المرأة إذا جَنَحت نحو الإسراف والتبذير ، وخشي أهلها أن تبدد ثروتَها حَجروا عليها ومنعوها من التَّصرف في شيء من مالها ومنعوها بخاصة من إجراء التصرفات التبرعية التي تنطوي على عطاء دون مقابل .

فقد روي أن اخوة غنية بنت عفيف أم حاتِم لما رأوا إتْلافها حجروا عليها ومنعوها مالها . فمكثَتْ دهراً لا يدفع إليها شيء منه حتى إذا ظنوا أنها وجدت ألم ذالك أعطوها صِرْمة من إبلها[١٨].

غير أن الحجر بسبب الإسْراف أو التبذير لم يكن إجراءًا مقصوراً على النساء وإنما كان من الممكن تطبيقه على الرجال أيضاً في نفس الظروف .

فقد روي مثلاً أن عبدالله بن جدعان ـ أحد أثرياء مكة ـ أسرف في أواخر عمره في إكرام الناس ، وبالغ في إعطائهم حتى حجر رهطه عليه لما أسنَّ ، فكان إذا أعطى أحداً شيْئاً رجعوا على المعطي فأخذوه منه[١٩].

وتمتع المرأة العربية - بدوية كانت أم حضرية - بأهلية الوجوب وأهلية الأداءِ لم يكن أمراً شذَّ فيه العرب عن غيرهم من الشعوب ، فتمتع المرأة بالأهلية هو الوضع السائد في المجتمعات البدائية ونعني بها المجتمعات التي تعتمد في حياتها على الجمع والقنص ، وفي المجتمعات القبلية ونعني بها المجتمعات التي تمارس الرعي أو الزراعة البسيطة أو تجمع بينهما . أما في المجتمعات المدنية وهي المجتمعات التي تطورت فيها الزراعة ، وازدهرت الصناعة وانتشرت التجارة فإننا نلاحظ اتجاهاً نحو الانتقاص من أهلية المرأة ، انتقاصاً يتفاوت مداه تبعاً للمجتمعات .

وسوف نستعرض فيما يلي بعض النماذج لكل من هذه الأنماط الثلاثة من المجتمعات البشرية :

أ ـ المجتمعات البدائيَّة :

تتمتع المرأة في المجتمعات البدائية بِشخصية قانونية مماثلة لشخصية الرجل . فللمرأة الحق في تملك أموال تكون خاصة بها ، ولها الحق في التصرف في أموالها كما يحلو لها . ونَضْرب فيما يلي بعض الأمثلة لهذه المجتمعات .

١ ـ (العوشمن) - ويقطنون في صحراء (كلهاري) في جنوب افريقية - :

يتصرف الرجل كما يحلو له في ثيابه وأسلحته وجلوده وأدوات زِيْنته وأوعيته . كذالك ، وبنفس الكيفية ، تتملك المرأة كل شيْء تصنعه بنفسها ، مثل أدوات زينتها وكل شيء تحصل عليه من زوجها مثل ثيابها . وليس للرجل أن يتصرف في أي مال من الأموال الخاصة بزوجته دون إذنها . وفي الواقع يجري العرف عندهم بترسيخ معنى الملكية الخاصة لدى الأطفال منذ نعومة أظفارهم . فبمجرد أن يبلغ الأطفال سن الإدراك ، يصنع لهم آباؤهم أقواساً صغيرة (للذكور منهم) وعِصِيّاً نباشة (للاناث) . . . الخ ويعلمونهم أنهم وقد أصبحوا ملاكاً لهذه الأشياء ، فمن واجبهم الامتناع من الآن فصاعداً عن أخذ أشياء الآخرين[٢٠] .

٢ ـ الاندامان - كانوا يعيشون في جزر (الاندامان) بين الهند وشبه جزيرة الملايو:

تتملك المرأة الجذور التي فتشت عنها والبذور التي التقطتها ، والأسماك والربيان (الجمبري) التي اصطادتها بشبكها ، والحيوانات الرخوية التي أتت بها من على أحجار الشاطيء الرملية ، وأي شيء تصنعه امرأة هو ملكها الخاص . وليس للرجل أن يتصرف في مال زوجته الخاص دون إذنها(٢١).

٣ ـ الأقزام ـ في غَابات وسط افريقية ـ :

تتملك المرأة الكوخ وكل السلال والأدوات المنزلية . ويتملك الرجل أسلحته . ولكل ثيابه وأدوات زِيْنَته . وكل امرىء يتصرف في أمتعته كما يحلو له(٢٢).

ب ـ المجتمعات القبلية :

تتمتع المرأة لدى الغالبية العظمى من المجتمعات القبلية بالأهلية المالية . وقلما نَجِدُ مجتمعاً قَبلِيًّا يضعُ قيوداً على أهلية المرأة في اكتساب الأموال أو التصرف فيها . والأمثلة على أهلية المرأة في المجتمعات القبلية عديدة نجتزيءُ منها مما يلي :

١ ـ (الترويرياند) ـ في ميلانيزيا ـ :

تتملك المرأة الأموال والأدوات التي تَتَعلق بعملِها ، ويمكنها التصرف فيها كما يحلو لها . فليس ثمة أموال للبيت مملوكة ملكية مشتركة(٢٣).

٢ ـ (الهوتنتوت) ـ قبائل رعوية في جنوب افريقية ـ :

تعتبر المرأة سيدة الخيمة التي تأتي بها عند زواجها ، وسيدة كل محتوياتها . وللزوجة ماشيتها الخاصة : بعضها أعطيته وهي مازالت طفلة ، والآخر ، أعطيته بمناسبة زواجها . ولا يجرؤ الزوج على أن يبيع أو يذبح حيواناً مملوكاً لزوجته دون إذنها أو أثناء غيابها ، بل إنه يستشيرها عندما يريد التصرف في شيء من قطِيعه الخاص(٢٤).

٣ ـ (التدنخا) ـ قبائل زراعية تقطن زامبيا ـ :

يمكن للمرأة اكتساب أموال بطرق متعددة . وتصبح هذه الأموال ملكاً لهن

وخَدَمُهُنَّ . ولا يكون للزوج أي حق عليها . فقد تتعاقد زوجة مع شخص آخر على أن تصنع له جَعَة من الذرة التي يمدها بها ، وقد تبيع قدوراً أو سلالاً . وإذا كانت طبيبة أو عرّافة فإن الهدايا التي تحصل عليها من عملائها تخصها هي ولا تخص زوجها . وقد تكتسب طيوراً أو حيوانات عن طريق الشراء أو الهبة أو حتى من زوجها ، ولا يكون للزوج أي حق على هذه الطيور أو الحيوانات ، أو على النقود التي تحصل عليها عند بيعها[٢٥].

جـ ـ المجتمعات المدنية :

الوضع السائد في المجتمعات البدائية والقبلية هو الاعتراف للمرأة بأهلية تملك الأموال وأهلية التصرف فيها . أما في المجتمعات المدنية فإننا نلاحظ اتجاهاً [نحو] الانتقاص من أهلية المرأة وإخضاعها للولاية أو الوصاية . ويقتصر الانتقاص من أهلية المرأة في بعض المجتمعات على المرأة المتزوجة ، وفي بعضها يمتد إلى المرأة متزوجة كانت أم غير متزوجة. وَيَنْصَبُّ الانتقاص من أهلية المرأة على أهلية الأداء بصفة خاصة . فيعترف للمرأة بحق تملك أموال خاصة ، لكن لا يعترف لها بأهلية التصرف في أموالها استقلالاً ، بحيث لا يصح تصرفها في مال من أموالها إلا بموافقة وليها إذا كانت غير متزوجة أو موافقة زوجها إن كانت متزوجة ، ومن ثَمَّ أصبحت المرأة خاضعة لولايةٍ أو وصايةٍ دائمة تَبقَى ما بقيتِ المرأة على قيدِ الحياة .

والأمثلة على المجتمعات المدنية التي أخضعت المرأة للولاية أو الوصاية الدائمة عديدة نقتصر منها على ما يلي :

١ ـ (أثينا) القديمة :

أخضعت المرأة في (أثينا) للولاية الدائمة . وكان وليُّ المرأة هو أقرب أقاربها من الذكور . ويعيّن القاضي ـ عند عدم وجود أحدهم ـ لها وصياً . وللوليِّ أن يختار لموليّته وَصِيًّا لما بعد وفاته . ولم تكن المرأة ـ متزوجة أم غير متزوجة ـ تستطيع أن تبيع أو تشتري ، أو تؤجِّر أو تستأجر ، أو تقرض أو تقترض ، أو تعير أو تهب أو

توصي أو أن تأتي غير هذه من التصرفات دون إجازة وليُّها أو وصيّها(٢٦).

٢ ـ دولة الروم :

ظلت المرأة عند الروم خاضعة للولاية الدائمة خلال فترة طويلة من تاريخهم . وخلال هذه الفترة لم تكن المرأة ـ متزوجة أم غير متزوجة ـ تستطيع مهما بلغت من السن إجراء أحدِ التصرفات الهامة ، دون إجازة وليها ، ومع الزمن أخذت الولاية الدائمة طريقها نحو الزوال في العصر البيزنطي(٢٧).

٣ ـ الهند :

لم يكن فقهاء الهندوس ينظرون بعين الارتياح إلى استقلال المرأة . ولذالك سعوا على مر العصور إلى إخضاعها لسيطرة الرجل . وكانوا يرون أن المرأة لا ينبغي أن تكون مستقلة أبداً ، وأن الرجال هم سادتها . فالآباء تكون لهم الولاية على النساء في صِبَاهن ، وللأزواج أثناء شبابهن ، وللأبْناء عندما تتقدم بهن السن . ورغم الاعتراف للمرأة بأهلية تمَلُّك أموال خاصة لم يكن باستطاعتها التصرف في شيْء منها إلا بموافقة وليها(٢٨).

من كل ماسبق يَتَّضح أن تطور أهلية المرأة سارٍ في اتجاه يخالف ماقد يتصوره الكثيرون . فالاعتقاد السائد هو أن التطور كان دائماً نحو التَّـحَسُّن المطرد لوضع المرأة . ويقوم هذا الاعتقاد على فكرة مسبقة مقتضاها أن وَضْعَ المرأةِ كان أسْوأ ما يكون في المراحل الأولى من التطور البشريِّ ، ثم أخذ يتحسن تدريجياً مع تقدم المجتمعات البشرية . ومع تقدم الدراسات (الانترلولوجية) تبين أن هذه الفكرة لا أساس لها من الواقع ، فقد تبين أن وضع المرأة في علاقتها بالرجل لم يكن في أية مرحلة من مراحل التطور البشري أفضل منه في أولى هذه المراحل . ومن مظاهر المساواة أن المرأة في المجتمعات البدائية كانت تتمتع بأهلية كاملة وعلى قدم المساواة مع الرجل . واحتفظت المرأة في معظم المجتمعات القبلية بهذه الأهلية الكاملة . أما المجتمعات المدنية وهي أكثر المراحل تطوراً ، فقد انقسمت إلى فريقين : اعْترف أحدهما للمرأة بالأهلية الكاملة (مصر القديمة وبلاد النّهرين

مثلاً) ، وأخضع الثاني المرأة للولاية أو الوصاية الدائمة (كما هو الحال في الصين والهند وأثينا وروما) .

فالمرأة العربية كانت إذَنْ تَتمتَّع بأهلية مالية كاملة . غير أن فرصة المرأة في إعمال هذه الأهلية كانت أضيق منها بالنسبة للرجل . وإذا كان بعض النساء في العصر الجاهلي استطعن تكوين ثروات كبيرة فإن ذالك لم يكن وضْعاً عادِيًّا بالنسبة للنساء ، وإنما كان ظاهرةً استثنائية تبررها لاشك ظروف خاصة .

ولعل من أهم الأسباب التي كانت تُؤدِّي إلى عدم التكافؤ بين الجنسين من حيث تملك الأموال ، ان المرأة في العصر الجاهلي لم يكن يعترف لها كقَاعدة عامة بأي حق في الميراث .

فقد كان أهل الجاهلية لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده ، ممن كان لا يلاقي العدو ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ولا النساء منهم ، وكانوا يخصون بذالك المقاتلة دون الذرية . (وكانوا لا يورثون البنات ولا النساء ولا الصبيان شيئاً من الميراث . ولا يورثون إلا من حاز الغنيمة وقاتَلَ على ظهور الخيل)[٢٩] .

وقد روى أن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كجة وثلاث بنات له منها . فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه ، يقال لهما سويد وعرفجة ، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته شيئاً ولا بناته . فجاءت أم كجة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك عليّ بنات وأنا امرأة وليس عندي ما أنفق عليهن ، وقد ترك أبوهن مالاً حسناً ، وهو عند سويد وعرفجة لم يعطياني ولا بناته من المال شيئاً وهنَّ في حِجْري ، ولا يطعماني ولا يسقياني ولا يرفعان لهن رأساً . فدعاهما رسول الله ﷺ ، فقالا : يارسول الله ولدها لا يركب فرساً ، ولا يحمل كَلًّا ، ولا ينكّى عدواً)[٣٠].

فمن الواضح أن حرمان المرأة من الميراث كان يحرمها من أحد المصادر الهامة للثروة .

وفي الجاهلية لم يكن المهر يعتبر حقاً للزوجة وإنما كان يُعَد حقًا لأوليائها ومن ثم لم تكن المرأة تحْصل - في الأعم الأغلب من الحالات - على شيْء من مهرها . وكان حرمان المرأة من الحصول على مهرها يحرمها من مصدر آخر لا يستهان به من مصادر الثروة .

كذالك كانت فرصة المرأة في ممارسة الحرف المختلفة ، أضْيَقَ منها بالنسبة للرجل . فعمل المرأة الأساسي هو رعاية شؤون بيتها . ولم يكن يقبل على ممارسة الحرف المختلفة ومباشرة البيع والشراء سوى النساء الفقيرات ، حتى يتمكنَّ من الحصول على مورد ينفقن منه على أنفسهن وأولادهن . أما الشرائف من النساء فكن يأنفن ممارسة الحرف ، وإن لم يمْنع ذالك البعض منهن من ممارسة التجارة على مستوى عال في مكة ويثرب .

وقد أقر الإسلام ما كانت تتمتع به المرأة العربية من أهلية كاملة . بل لقد أوجد الإسلام للمرأة مصادِرَ جديدة لكسب الأموال ، لم تكن مُتَاحة لها من قبل .

فقد اعترف الإسلام للمرأة بحق في الميراث . فللمرأة الحق في أن ترث من أقاربها بِناءً على قرابة النسب ، كما لها الحق في أن ترث من زوجها بناء على رابطة الزوجية . وقد كان منْحُ الإسلام المرأة الحق في الميراث سبباً في ازدياد ثروات النساء العربيات في صدر الإسلام .

كذالك جعل الإسلام من المهر حقاً خالصاً للزوجة . وبذالك أتاح لها مورداً ماليًا هامًا لتكوين ثروة خاصة .

كما أقر الإسلام حق المرأة في ممارسة التجارة ، ومباشرة الحرف والصناعات المختلفة . ومن الشواهد مايدل على أن المرأة العربية ظلت - في صدر الإسلام - تمارس الحرف المختلفة التي كانت تمارسها في العصر السابق باستثناء بعض الحرف القليلة التي نهى عنها الإسلام .

نخلص مما سبق أن المرأة كانت - عند العرب قبل الإسلام - تتمتَّعُ بأهلية مالية كاملة ، سواء من حيث الصلاحية لاكتساب الحقوق والتحمل بالالتزامات ، أم من حيث الصلاحية لمباشرة التَّصرفات القانونية المختلفة . وقد أقر الإسلام للمرأة

بالأهلية الكاملة ، بل لقد زاد الإسلام من فرصة المرأة في اكتساب الأموال ؛ بما قرره لها من حق في الميراث ، وبما قرره من جعل المهر حقًّا خالصاً لها .

الرياض د: محمود سلام زناتي

ثبت الهوامش :

(١) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب «الأغاني» جـ١٦ ، ص ١٨٩ .
(٢) د. أحمد الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٣٢٨ .
(×) كانت البدوية إلى عهد قريب هي التي تنسج بيت الشعر الذي يؤويها وزوجها وأولادها (العرب) .
(٣) أبو الفرج الاصفهاني: كتاب «الأغاني» جـ١٦ ، ص ٢٠٧ .
(٤) خير الدين الزركلي: «أعلام النساء» جـ٣ ، ص ١٣٦١ .
(٥) سعيد الأفغاني : «أسواق العرب» ص ١٣٢ .
(٦) أبو الفرج الاصفهاني: كتاب «الأغاني» جـ١ ، ص ٢٧٥ .
(٧) عبدالله عفيفي : «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» ص ٩٤ ومابعدها .
(٨) أحمد الحوفي (دكتور): «المرأة في الشعر الجاهلي» ص ٣٩٩ .
(٩) عبدالله عفيفي المصدر المشار إليه ، ص ٩٤ وما بعدها .
(١٠) أبو الفرج الاصفهاني: كتاب «الأغاني» جـ١٦ ، ص ١٩٠ .
(١١) عبدالله عفيفي: المصدر المشار إليه ، ص ١٥٩ .
(١٢) أبو الفرج الاصفهاني: كتاب «الأغاني» ، جـ١٦ ، ص ١٩٠ .
(١٣) عبدالله عفيفي: المصدر المشار إليه ، ص ١٠٠ و١٠١ .
(١٤) خير الدين الزركلي : المصدر المشار إليه ، ص ٢ ، ص ٩٨١ .
(١٥) الميداني: «مجمع الأمثال» جـ١ ، ص ١٥٦ .
(١٦) سعيد الأفغاني : المصدر المشار إليه ، ص ١٠٥ و١٠٦ .
(١٧) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
(١٨) أبو الفرج الاصفهاني: كتاب «الأغاني» جـ١٦ ، ص ١٨٩ .
(١٩) محمد بن حبيب: «المحبر» ص ١٣٨ .
(٢٠) Schapera (I). The Khoisan - Peoples of South Africa, P. 148.
(٢١) Rad cliffe - Brown, The Andaman Islanders, P. 41.
(٢٢) Seebesta, Les Pygmées du Congo Belge, P. 226.
(٢٣) Service (E.), Profiles in Ethnology, P. 244.
(٢٤) Schapera (I), Op. Cit., P. 251.
(٢٥) Colson (E.). Marriage and the Family among the Plateau Tonga of Northern Rhodesia, P. 116.
(٢٦) Beauchet (L.), Histoire du Droit Privé de la Republique Athénienne, Vol. 2, P. 325.
(٢٧) Monier (R.). Manuel élementaire de Droit Romain, Vol. I, P. 320.
(٢٨) Das (R.M.). Women in Manu and his seven commentators, P. 210.
(٢٩) محمد بن حبيب ، «المحبر» ، ص ٣٢٤ .
(٣٠) الواحدي النيسابوري ، أسباب النزول ، ص ٨٢ .

القبيلة وطبقاتها في الشعر الجاهلي

لقد كانت القبيلة في العصر الجاهلي قِوَامَ المجتمع ، فهو يتألف من قبائل عدة منتشرة في أرجاء الجزيرة العربية . وقد دفع مناخها الحارُّ وقسوةُ طبيعتها كثيراً من القبائل إلى التنقل وعدم الاستقرار ، طلباً لماء يروي ماشيتها ومرعى يطعم سوامها . بيد أن القبائل لم تكن كلها في حركة دائبة وتَنَقُّلٍ مستمر ، فثمة قبائل قد استقرت واستوطنت وشكلت حواضر عدة ، أهمها : مكة والطائف ويثرب .

وقد سعت هذه القبائل إلى إحلال الأمن بين ربوعها ؛ لأنها جعلت مصدر رزقها بعيداً عن قود الكتائب وجرّ الغارات وشنّها على القبائل الأخرى ، فاعتمدت على التجارة ، وعلى الزراعة في بعض الأحيان ، ولكنها ظلت مع ذلك تسير على النظام القبلي في حياتها ، وتتحكم فيها العلاقات الاجتماعية والأعراف السائدة في جزيرة العرب ، وكلها تتركز على طبيعة تكوين القبيلة وآصرة الدم التي تربط بين أفرادها ، والتي تشكل النسب الذي هو دعامة الحياة القبلية .

تكوين القبيلة :

قبل البحث في الأشعار التي ألمت بتكوين القبيلة وأقسامها ونظرة الإنسان العربي إليها لابد لنا من الاطلاع على بعض ماورد في هذا المجال لدى أهل الأخبار وعلماء الأنساب ، ذلك أن القبيلة تتكون من أسر عدة ترتبط فيما بينها برابطة نسب ترجعها إلى جد واحد . والعرب ليسوا بِدْعاً بين الأمم القديمة في هذا النظام ، إذ إن الشعوب السامية جميعاً تشارك العرب في هذه النظرة إلى النسب ، لِأَنَّ نظامها الاجتماعي قائم على القبيلة ، والقبيلة عندها كلها جماعة من بيوت ، ترى أنها من أصل واحد هو الجد الأعلى الذي تتسمّى به القبيلة(1) .

ويتقادم العهد بالقبيلة ، فتكبر على مر الزمان ، ويزداد أفرادها عدداً ، فتتشعب فروعها ، وتمتد غصونها ، وتتسع مساحة أراضيها ، وقد تبتعد جماعات منها عن القبيلة الأم ؛ وهذا ما أوجد مصطلحات للقبيلة ، تدل على مدى اتصالها بنسبها قرباً أو بعداً من الأصل الأول .

إن الأنساب في رأي العلماء تنقسم إلى طبقات ، وهذه الطبقات تتدرج في النسب من الأعلى إلى الأدنى . وأكثر الأقوال تجمع على أنها ستّ طبقات ، فقد ورد عن الزبير بن بكار أنها مرتبة على النحو الآتي : (شَعْب ، وقبيلة ، وعِمارة ، وبطن ، وفَخِذ ، وفصيلة ، فَمُضَرُ شَعْبٌ ، وربيعة شعب ، ومَذْحِجُ شعب ، وحِمْيَرُ شعب وأشباههم . وإنما سُمِّيَتِ الشعوبُ لأن القبائل تشعبت منها ، وسمّيت القبائل لأن العمائر تقابلت عليها ؛ أسد قبيلة ، ودوذان بن أسد عِمارة ، والشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعِمارة تجمع البطون ، والبطون تجمع الأفخاذ ، والأفْخاذ تجمع الفصائل ، كِنانة قبيلة ، وقريش عِمارة ، وقُصَيٌّ بطن ، وهاشم فَخِذ ، والعباس فصيلة)[٢] . وقد رتب الثعالبي الطبقات ترتيباً مماثلاً[٣]، وكذلك فعل الزمخشري[٤].

وهذا التقسيم مأخوذ من خَلْق الإنسان ؛ بدأ من أعلى الجسم حتى أدناه ، فالشعب أعظم الطبقات مشتق من شعب الرأس ، ثم القبيلة من قِبْلته ، وهي ما يُستقبل منه ، ثم العِمارة ، وهي الصدر ، ثم البطن ، ثم الفَخِذ ، ثم الفصيلة ، وهي الساق . ونقل ابن رشيق عن بعض العلماء : (أن الحيّ أعظم من الجميع ، لاشتمال هذا الاسم على جملة الانسان)[٥]، غير أن العلماء لا يعدون الحيّ في الطبقات في أكثر أقوالهم .

ويبدو أن ثمة طبقات أخرى وردت عن الذين بحثوا في الأنساب ، إذْ رُوي عن ابن الكلبي طبقة سابعة جعلها بين الفَخذ والفصيلة ، وهي العشيرة[٦]. وحينما تحدث النويري عن أنساب العرب بنى تقسيمه للطبقات على عشر فأصبحت لديه على النحو الآتي : الجِذْم ، وهي أعلى طبقة ، أو هي الأصل كقحطانِ وعدنان ، ثم الجماهير ، وهي جمع جمهور ، ثم الشعب والقبيلة ، والعِمارة ، والبطن ، والفَخِذ ، والعشيرة ، والفصيلة ، والرّهط ، وهي الرجل وأسرته[٧]. فالطبقات التي أضيفت عنده هي الـجِذْم والجماهير والرّهط .

الشعر وطبقات القبيلة :

إذا أردنا أن ندقق في المصطلحات السابقة ، استناداً إلى ورودها في الشعر الجاهلي ، فإننا لا نجدها بمدلولاتها كما وردت عن العلماء الذين ذكرناهم، وإنما نجد دلالة بعضها يرادف دلالة بعضها الآخر ، فضلاً عن أن بعض الطبقات لا تكاد تذكر في الشعر ، كالجماهير والفخذ والفصيلة .

كذالك فإن الشعب ذُكرت في القرآن الكريم على أنها أعم وأشمل من القبيلة ، على نحو قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الناسُ إنَّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا . . . ﴾[٨]. في حين أن الشعر الجاهلي استعمل القبيلة بدلاً من الشعب ، من دون أن يميز بدقّةٍ بينهما في كثير من الأحيان ، كما لم يميز أيضاً بين الحي والقبيلة والعِمارة في غير موضع منه ، فاستعملت هذه الألفاظ للدلالة على مجموعات من العرب تنتمي إلى جدّ واحد ، وتتسمى باسمه ، ونجد برهان ذلك في قول الأخنس بن شهاب التغلبي[٩]:

لِكُـلِّ أُنَـاسٍ من مَعَـدٍّ عِـمارةٌ ... عَـرُوضٌ إليها يَلْجَؤُوْنَ وجَـانِبُ
لُكَيْزٍ لها البَحْرَانِ والسِّيْفُ كلُّه ... وَإنْ يأتِهَا بأْسٌ مِنَ الهنْدِ كَارَبُ
وغَسَّانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ في سَـواهُمُ ... يُجَـالِـدُ عنهم مِقْنَبٌ وكَتَـائِبُ
وبَهْـراءُ حيٌّ قَدْ عَلِمْنَـا مَكَانَهُمْ ... لهم شَرَكٌ حَوْلَ الرُّصافةِ لاَحِبُ

وقد شرح الأنبارِيُّ العِمارَةَ ، في البيت الأول بأنها الحي العظيم الذي يقوم بنفسه وهذا المعنى غير مطابق لما ورد في تقسيم الطبقات لدى العلماء الذين يجعلون العِمارة أدنى طبقة من القبيلة . ثم ننتقل إلى (غُسَّان) فنجد أن الشاعر قد وافق العلماء حين عدّهم حَيًّا ، لكننا لا نلبث أن نراه قد أطلق على (بَهْراء) ، وهي قبيلة من قبائل حِمْيَرَ ، اسْمَ حَيٍّ أيضاً ، فلندرك عندئذ أن معاني القبيلة والعمارة والحي مترادفة في ذهن الشاعر ، أو أنه يستخدم الواحدة منها في معنى الأخرى .

وعلى هذا الغِرَارِ يبدُو أنَّ مصطلح العشيرة قد عُبِّر به عن معنى أشمل مما حدده

له مصنفو الطبقات ، نلمح هذا في قول هُبَيْرَةَ بْنِ أبِي وَهْبٍ المخزومي ، مخاطباً امرأته التي كانت قد أسلمت وفارقته على شركه(١٠):

وَعـاذِلـةٍ هبَّتْ بليـلٍ تلومُنِـي ... وتَعْـذِلُني بالليـلِ ضَلَّ ضَـلاَلُها
وتـزعمُ أنّي إنْ أطعْتُ عَشِيرتي ... سأُرْدَى وهَلْ يُرْدِيْنِ إلاَّ زِيَالُها
فـإني لَحـامٍ مِنْ وَراءِ عشـيرتي ... إذَا كان من تحت العوالي مَجَالُها

فمن الواضح أن الشاعر في أبياته لا يشير إلى عشيرته الأدنين بني مخزوم وحدهم ، وإنما يشير إلى قريش كلها ؛ لأن معظمهم كان لايزال على كفره بمكة ، ولم يكن بنو مخزوم هم الذين يواجهون الدعوة الإسلامية فقط ، وإنما كانت قبيلة قريش في أغلبها تحارب محمداً عليه الصلاة والسلام وأتباعه .

وزُهير بن أبي سُلْمَى لا يدع لنا مجالاً للشك في أنه يقصد بالعشيرة عَبْساً وذُبْيان ، وهما قبيلتان كبيرتان تتفرعان من أصل واحد هو غَطفان(١١):

سعى ساعِيَا غَيْظِ بن مُرَّةَ بعدما ... تَبَـزَّلَ مـابين العَشِيْـرةِ بـالـدَّمِ

وينطبق الأمْر في عدم تحديد المصطلحات على الرّهط أيضاً ؛ ذلك أن معنى الرهط هو الرجل وأسرته ، كما شرح في تقسيم الطبقات ، ومن العسير أن نجد هذا المدلول واضحاً دائماً في الشعر الجاهلي ، ونضرب لذلك مثلاً قول خالدِ بنِ نَضْلَةَ(١٢):

لَعَمْرِي لَرَهْطِ المـرءِ خَيْرٌ بقيَّـةً ... عليه، ولو عالوا به كلَّ مركبِ
من الجانبِ الأقصَى وإنْ كان ذَا نُدًى ... كثيرٍ، ولا يُنْبِيك مثلُ الـمُجَرِّبِ

فالشاعر لا يشير إلى أسرته فقط وإنما يشير إلى العشيرة والقوم أيضاً ، وهذا ينطبق على كثير من الشعراء حين يذكرون الرهط في أشعارهم .

إذَنْ فإننا لا نغلو حين نزعم أن ذلك التقسيم الواضح لطبقات العرب لم يرد في الشعر الجاهلي وخاصة على تلك الشاكلة من الترتيب الدقيق . ولعل سبب ذلك

يرجع إلى أن الشاعر كان يتوسع أحياناً في استخدام معاني ألفاظ الطبقات فيأتي بعضها دالاًّ على بعضها الآخر ، كما رأينا في الأمثلة السابقة .

الاعتداد بالنسب :

مهما يكن الأمْرُ حولَ مراتب القبيلة وطبقاتها فإنه يدل على مدى اهتمام الإنسان العربي بنسبه ، وتمسكه به تمسكاً شديداً ، وحفظِ تسلسله في شجرة الأسْرة ارتفاعاً إلى الجدود مهما علوا وبَعُدَ عهدهم . وقد عكس هذا الاهتمام بالنسب في أكثر أشعاره معبراً بها عن تلك العلاقة الوثيقة التي تشدُّ أبناءَ القبيلة بعضهم إلى بعض كما يشد الجسمُ أعضاءَهُ كُلَّهَا في وحدة لا تُفصم عراها .

وللحفاظ على تكوين القبيلة قويًّا متماسكاً فقد سعى الشاعر إلى الحرص على صراحة نسبها وصفائه ونقائه ؛ لأنه يعدّ ذالك من صراحة نسبه هو ، وهذا ما جعله يفخر بنفسه وبقبيلته فخراً عظيماً ، كما هو شأن ساعِدَةَ بْنِ جُؤَيَّةَ الهُذلي(١٣) :

وإنِّيْ، يـا أُمَيْمُ، لَـيَجْتَـدِيني بنُصْحَتِـهِ الـمُحَسَّبُ والـدَّخِيـلُ
ولا نسبٌ سمِعتُ بـه قـلاني أخـالِـطُه، أُمَيْمُ، وَلاَ خَلِيـلُ
وإنِّي لاَبْـنُ أَقْـوَامٍ، زِنَـادي زواخِـرُ، والغُصُونُ لهـا أصـولُ

فساعدة عربي صميم ، ذو نسب ثابت صريح ، لا يخالطه عرق آخر ، لذلك يعتمد على مشورته أصلاء النسب ودُخَلاَءَهُ ، لوثوقهم بشرف مَحْتِدِهِ ونقاءِ عنصره ، وكيف لا ؟ وهو ينتسب إلى قبيلة هُذَيْل ذات الجذور الراسخة والفروع المتعالية .

وكلما كانت القبيلة مُتَبَدِّيَةً ضاربة في القفر ، بعيدة عن الأمم الأعجمية المجاورة للجزيرة العربية ، وكان اعتمادها في معاشها على إبلها وغزوها ، استطاعت الحفاظ على نسبها من الاخْتلاط ، وظل صريحاً لا تشوبه شائبة . ولقد نَبَّه ابنُ خلدون على هذا الأمر حين قال : (واعتبر ذلك في مُضَرَ من قريش ، وكِنانة ، وثَقِيف ، وبني أسد ، وهُذيل ، ومَنْ جاورهم من خُزاعة ، لـمّا كانوا

أهل شظف ، ومواطنَ غيرَ ذاتِ زرعٍ ولا ضرعٍ ، وبَعُدُوا من أرياف الشام والعراق ، ومعادِنِ الأُدم والحبوب ، كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ، ولا عرف فيها شوب)[١٤].

وقد عُدَّ الطعن في الأنسابِ والتشكيك في صراحتها من أَسْوَإِ المثالب التي تنال من نفس العربي ، وهذا ماجعل الشعراءَ يُريشون منها سهاماً يرمون بها أعداءَهم وخصومهم ، على شاكلة قول بشْر بن عُلَيْق الطائي[١٥]:

بُنَيَّ الرِّقَاع مَا لِقَوْلِكَ ينتمي ... وكُنْتَ أَحَقَّ النَّاسِ ألاّ تَكَلَّما
عَهِدتُّكَ عَبْداً لَسْتَ مَنْ أَصْلِ مَعْشَرٍ ... عَنِ الْمَجْدِ مَقْطُوعَ السَّوَاعِدِ أَجْذَما
ومَا أَنْتَ مِنْ أَصْلٍ فَتَأْمَلَ نُصْرَةً ... فَأَيْقِنْ وما أيقنتَ حتى تَفَهَّما
فَتَعْلَمَ أن لَسْتُمْ إِلَى أَصْلِ مَعْشَرٍ ... وأنَّ لكم ثَدْياً أَجَدَّ مُصَرَّما

وهكذا نجد أن الشاعر على الرغم من عدم التزامه بمصطلحات علماء الأنساب التزاماً دقيقاً صور القبيلة على أنها تتكون من طبقات محددة ، تجعل أفرادها يعرفون مراتبهم في مدارج النسب إليها ، كما تجعل رابطة الدم بينهم رابطة قوية ، مبيناً أن ذلك ما دفعهم إلى الحفاظ على نسبهم صريحاً وعصبتهم متينة .

الدكتور عبدالغني زيتوني
مدرس الأدب العربي القديم بكلية الآداب ـ جامعة حلب

الحواشي والمصادر :

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»: ٣١٤/٤ ، للدكتور جواد علي ، ط. بيروت وبغداد ١٩٧٦ .
(٢) «العمدة»: ١٩١/٢ ، لابن رشيق القيرواني ، ط . بيروت ١٩٧٢
(٣) «فقه اللغة»: ص ٢٢٦ ، للثعالبي ، ط القاهرة ١٩٧٢ .
(٤) «نهاية الأرب في أنساب العرب»: ص ١٣ ، للقلقشندي ، ط القاهرة ١٩٥٩ .
(٥) «العمدة»: ١٩١/٢ .
(٦) «العقد الفريد»: ٣٣٥/٣ ، لابن عبد ربه ، ط القاهرة ١٩٦٥ .
(٧) «نهاية الأرب في فنون الأدب»: ٢٧٧/٢-٢٨٥ ، للنويري ، ط القاهرة ١٩٢٣ .
(٨) الحجرات : الآية ١٣ . وانظر «تفسير ابن كثير»: ٢١٧/٤ ، ط مصر .
(٩) «المفضليات»: ص ٤١٤-٤١٦ ، للمفضل الضبي ، شرح الأنباري ، ط بيروت ١٩٢٠ . ←

سلامان والشاعر الشنْفَرى

[انظر العرب - س ٢٤ - ص ٧٣]

كنت أجبت سائلاً وجه إليّ سؤالاً حول سلامان والشاعر الشنفرى ، فكان مما نقلت في « العرب » س ٢٤ ص ٧٥ : عن «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ما نصه : بنو مالك بن زهران منهم سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران ، بطن كان منهم الشنفرى الفاتك ، وكان يغير عليهم لأن رجلاً منهم قتل أباه فلم يطلبوا بثأره ، فلحق ببني فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر ، وكانوا أخواله ، وفي ذلك يقول :

جَـزَيْنَـا سَـلامَـانَ بن مُفْـرِجَ قَـرْضَهَـا بِمَـا قَـدَّمَـتْ أَيْـدِيْهِـمْ وَأَزَلَّـتِ
وهُـنِيءَ بِـي قَـوْمٌ وَمَـا إنْ هَـنَـأْتُـهُـمْ وَأَصْبَحْتُ في قَـوْمٍ وَلَيْسُـوا بِمَنْبَـتِي

وقد بعث الأخ الكريم الأستاذ محمد ظافر ، هذا البحث الوافي حول بني سلامان ولكنني كنت اطلعت في كتاب « أنساب العرب » للصحاري مخطوطة دار الكتب المصرية الورقة ١٣٩ ب ، تحت عنوان : أنساب نصر بن الأزد وانتشار ولده ، فذكر نسب نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، تفرع بنيه ، فذكر من قبائل نصر أزد شنوءة منهم دوس وزهران وغيرهم إلى أن قال : وكان مالك بن نصر بن الأزد قد ولد خمسة نفر عبدالله وميدعان وعمرو ومعاوية وهؤلاء في الحجاز ، ومويلك في اليمن ثم فرع بني ميدعان إلى ثلاثة عوف ومالك ومنهب ثم قال : وولد عوف بن ميدعان مفرج بن عوف ، فولد مفرج سلامان وهم رهط ابن أبي الكنود الفقيه ، فولد سلامان بن مفرج ستة مليل وعامر ومرتع والعصب وسعد وزمان ، وبعد أن ذكر حاجز بن عوف ، قال : الشنفري بن مالك واسمه مالك بن مالك ويقال بل اسمه عمرو بن مالك ، ثم استرسل في سرد أخباره وأشعاره .

ويظهر أنه قد سقط من ذكر نسبه ما يصل بين أبيه مالك ، وسلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان ، وعلى هذا النسب يتضح أن هناك من ينسب بني سلامان قوم الشنفرى إلى مالك بن نصر بن الأزد . وهذا ما أردت التثبت من بحثه بمراجعة مخطوطة دار الكتب المصرية من كتاب الصحاري ، فالذي نقل النص ليس على درجة من التثبت] .

الحمد لله القائل : ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ، وبعد : فما من أحد ينكر

← (١٠) «السيرة النبوية»: ٤٢٠/٢ ، لابن هشام ، ط مصر ١٩٥٥ .
(١١) «شرح القصائد العشر»: ص ١٧٣ ، للتبريزي ، ط حلب ١٩٧٣ .
(١٢) «الحيوان»: ١٠٣/٢ ، للجاحظ ، ط مصر ١٩٦٥ .
(١٣) «شرح أشعار الهذليين»: ١٤٤/٣ ، صنعة السكري ، ط القاهرة .
(١٤) «مقدمة ابن خلدون»: ص ١١٨ ، ط دار الشعب ، القاهرة .
(١٥) «قصائد جاهلية نادرة»: ص ١٨٨-١٩٠ ، مختارات من «منتهى الطلب» لابن ميمون ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط بيروت ١٩٨٢ .

الغموض الموجود في فروع كثيرة من أنساب القبائل ، وما ذالك إلا لطول الزمن الذي يربط بين الفرع والأصل ، مع ضعف في التدوين إن وجد ، وما يعتري ذالك من أخطاء كثيرة لانعدام ألسنة الثقة ، ومع مافي ذالك من صعوبة ومشقة تتبع ، إلا أن الله قد هيأ لأمة العرب من حفظ لها شيئاً من ذالك في قديم الزمان ، ثم هيأ لها من بعثه من مرقده ، ونفض عنه غبار النسيان ومنهم الشيخ الجليل حمد الجاسر .

لقد بذل الشيخ عمره ساعيا لتحقيق التراث وهو في تواضعه نادر بين الرجال ، إلا أنها صفات العلماء الذين يقدرون العلم ومصادره ، فهو لايزال - رغم علمه وأدبه الجم - يكرر بين الفَينة والأُخرى أنه لا يعدو كونه طالباً للعلم ، ثم إن همته لم تقصر به من أن يتابع رغم تقدم سنه ، رحلاته فيتنقل في البلاد منقباً وباحثاً ودارساً ، وهو لا يتحرج من أن يقف عند مسألة لم تتضح له ، ويطلب العون من غيره ، وهو في ذالك قدوة للعلماء والدارسين - حفظه الله ومتعه - . إن تحقيق التراث وخاصة أنساب القبائل ، من أصعب العلوم لقلة مصادره ، وانقطاع تدوينه أو فقدانه ، ثم إن تداخُلَ القبائل ، وانسياح بعضها على بعض في حلف أو مصاهرة أو موالدة ، أضاف كثيراً من التعقيد في تتبع أصول بعض القبائل وربطها ، ومن ذالك (سلامان) والذي جاء الشيخ حمد الجاسر ، على شيء من خبر هذا الأصل القبلي في رد له على أحد الإخوة السائلين في صحيفة « الجزيرة » (الأحد ٢/١/١٤٠٩هـ) ومن ثم في مجلة «العرب» - ج ١/٢ س ٢٤ - وأود أن ألخص بعض الملاحظات فيما يلي :

أولاً : إن تشابه الأسماء لا ينكره أحد ، وقد ورد في كتاب «الإيناس في علم الأنساب» للحسين بن علي الوزير المغربي (ت ٤١٨هـ) أن سلامان بطون توجد في طيء ، ومَذْحِجَ ، وقضاعة[١]، كما أن أبا جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ) قد ذكر أن (في قيس: سلامان بن منصور بن عكرمة)[٢]. وهذا مجرد مثال لا أَدَّعِي فيه الاستقصاء ، هذا بالإضافة إلى ماورد في «جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ، أو كما أفاد به الهمداني وغيرهما من أن سلامان من سكان

السراة ، وهم من سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران .

إن كلاً من هاؤلاء البطون بذاته ، يتبعه عشائر وقرى عديدة ، منها ماهو موجود الآن ، ومنها ما انقرض أو ارتحل من موطنه الأول ، وهنا تكمن صعوبة تتبع فروعُ أيِّ بطن منها .

ثانياً : لقد اتفق أكثر المؤرخين على أن سلامان بن مفرج بن مالك من زهران من الأزد . قال الهمداني يصف أرض السراة من الشمال إلى الجنوب : ثم يتلو مَعْدِنَ البرام ومطَارِ صاعداً إلى اليمن سراةُ عليٍّ وفهم ، ثم سراة بَجِيلة والأزد بن سلامان بن مفرج ، وألمع وبارق ، ودوس وغامد ، والْـحَجْر إلى جرش(٣) .

ولم يقع تحت يدي ممن شذ على الحاق بني مفرج في زهران إلا ما ذكره عبدالرحمن بن حمد المغيري الطائي في « المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب » حيث ألحقهم بثمالة في قوله : ومن بطون ثُمالة بنو مفرج ، وهو مفرج بن مالك بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر(٤) بن الأزد، إلا أن أقوال السابقين أوثق ، فثمالة بطن يلتقي مع زهران في كعب بن الحارث ، فهم بطن من الأزد من بني عوف بن أسلم بن أحجن بن كعب بن الحارث(٥)، وقد يكون لقوله وجه من الصحة إذا أراد التحاق بعض بني مفرج في ثمالة وارتباطهم بأرضهم الجديدة .

ونرى أيضاً أن محمد بن حبيب عَدَّ سلامانَ بن مفرج في دوس ، كما ذكر الشيخ حمد الجاسر نقلاً عن «المنمق» رغم أن دوس من بني عدثان بن عبدالله بن زهران ، فهم فرع آخر من زهران ، وكان محمد بن حبيب يتحدث عن حلف دوس مع قريش الذي كان في الجاهلية ، وفيه يقول حاجز الزهراني ممتدحاً الحلف ومشيراً إلى نسبه في سلامان(٦) :

قومي (سلامانُ) إذْ ما كُنْتِ سائلةً ... وفي قُرَيشٍ كريم الْـحِلْفِ والنسبِ
إنِّي مَتَى أَدْعُ مَخْزُوماً تَرِيْ عَنَقَا ... لا يَرْعَشُونَ بِضَرْبِ القومِ مِنْ كَثَبِ

وحاجز هذا هو ابن عوف بن الحارث بن الأصم بن عبدالله بن ذهل بن مالك

ابن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران[٧]. والذي أميل إليه أن محمد بن حبيب عند ذكره من حالف في قريش من دوس ومنهم سلامان بن مفرج كان ذالك من قبيل إطلاق الخاص على العام ، فقد كان لدوس من ذيوع الصيت ما طغى على القبيلة الأم (زهران) وقد ذكر الهمداني مثل ذالك وهو يتكلم عن سروات الحجاز ، فقال : ثم يتلو سراة عنز سراة الحجر بن الهنوء بن الأزد ومدنها الجهوة ومنها تنومة والشرع من باحان ، ثم يتلوها سراة غامد ، ثم سراة دوس ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الطائف[٨] فلم يقل في عبارته ثم سراة زهران ، بل قال ثم سراة دوس . وفي إطلاق الخاص على العام أو الفرع على الأصل أمثلة معروفة عديدة أخرى .

ثالثاً : هناك فرع كبير يدعى (سلامان) في قبيلة بني شهر ، والفرع الآخر هم بنو أثلة الذين تولوا رئاسة المنطقة على عهد الهمداني في القرن الثالث والرابع الهجري ، وكان رئيس القوم أوان ذالك الجابر بن الضحاك الربعي ، وهم يعودون إلى بني نصر بن ربيعة بن شهر[٩]، وقد انضوى تحت راية (الاثلية) عشائر أخرى لا تلتقي معها في النسب .

وفي العهد الماضي كان للعصبية دورها والعياذ بالله فكانت السلامية تحارب الأثلية ، ومع أن كل قرية في بني شهر خاصة تعرف اتجاهها ، إن كان أثلياً أو سلامياً ، إلا أن الباحث يجد أن الأمر لا يتعدى أن يكون تعصباً اقليمياً أو حزبياً لا دخل لنسب القرية أو القبيلة فيه ، فكثير من القبائل ذات الأصل الواحد تكون مقسومة إلى اتجاهين ، أثلي وسلامي ، والأغرب من ذالك أن تجد قبيلتين عَمْريتين مثلاً ـ وهما من الحجر ـ احداهما أثلية والأخرى سلامية ، فتعين القبيلة الاثلية مثلاً أختها الاثلية من القبيلة الشهرية على العمرية السلامية[١٠]. وهذا ما يؤيد وجهة النظر في أن التقسيم وجد سابقاً لأمر الرئاسة والتنافس عليها .

أما إذا سألنا أنفسنا من هو سلامان الحجري هذا ؟ فيكون الجواب صعباً للغاية لعدم وجود أدلة دامغة توضح نسبه ، فقد يكون من شهر بن الحجر أو من فروع الحجر بن الهنوء وليس تحت أيدينا حالياً ما يؤيد ذالك أو ينفيه ، وقد يكون

سلامان بن مفرج بن زهران ، إذا صدق حدس الشيخ حمد وكان لهذا النوع انفراد عن قبيلة زهران في العهد القديم ، وتمكنه في وطنه الجديد ودخول بعض القرى والعشائر تحت لوائه حلفاً .

وإذا توسعنا قليلاً في التمحيص فقد يكون سلامان بن سعد بن زيد بن ليث ابن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ـ ومنه الصحابي الجليل حبيب بن عمرو السلاماني ، وهو من الجناب (جناب اليمن) وهو رئيس وفد سلامان على رسول الله ﷺ كما ذكر ذالك ابن حجر نقلاً عن ابن سعد وعن الواقدي[١١] وغيرهما . علماً أن سلامان أحد وفود الأزد في ذالك الوقت ، وقد جاء في سبعة نفر[١٢]. فيكون سلامان هنا من قضاعة ولا يستبعد ذالك إذا علمنا أن بعض فروع قضاعة قد عاد إلى الجنوب مرة أخرى بعد رحيلها إلى مناطق شمالية .

لذا فالجزم بنسب سلامان الحجري غير وارد لما يكتنفه من غموض نأمل أن تكشف عنه الأيام.

رابعاً : بالنسبة للشنفرى ، فهو أحد الشعراء الجاهليين المشهورين ، وقد أخذ بعض حقه من الدراسة خاصة عند التعرض لشرح اللامية المنسوبة إليه . والشنفرى شاعر شهري حجري النسب بغض النظر إلى من يعود سلامان فهو من بني أثلة وليس من سلامان وبهذا ينتفي كونه من زهران ، فهو من بني الحارث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهنوء بن الأزد كما ورد في «الأغاني» (٢١/ ٩٢) وفي شعر الشنفرى ما يقر أنه من الأواس في رواية ، ومن الحجر في رواية أخرى وكلاهما يؤدي إلى الحجر بن الهنوء ، وبنو الحارث يكونون في الوقت الحاضر ربع قبيلة بني شهر وهم من ربيعة بن شهر[١٣].

أما القول الذي ورد عن ابن حزم عند حديثه عن سلامان بن مفرج ـ فهو مجمل لم يفصله نقل فيه أنهم (بطن كان منهم الشنفرى الفاتك) ومعلوم أن الشنفرى عاش في بني سلامان فترة من حياته وهذا لا يعني أن أصله منهم ، بل إن هناك طرفاً يؤيد قولنا أنه ليس منهم ، في تائيته التي أوردها المفضل الضبي قال

فيها : يصف أنه كان في سلامان ولكنهم لم ينتفعوا به وهو راغب عنهم :

وأصبحت في قوم وليسوا بمنبتي[١٤] وهُنِيءَ بي قوم وما ان هنأتهم

وفي رواية (ليسوا بمنبتي) .

قال أحمد بن عبيد : الرواية بمنبتي - أي بأصلي وعشيرتي ، ومن روى - بمنيتي - فقد صحف . وذكر المحققان أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ، أن رواية أحمد توافق رواية «الأغاني» و « منتهى الطلب » - من هنا نجد أن الروايات الموثوقة كالأغاني تفيد انكار الشنفرى أن يكون أصله في سلامان .

ان حياة الشنفرى في بعض مراحل عمره عند بني سلامان ثم عداوته لهم فيما بعد هو الذي أورد اللبس في منبته ، إلا أن اليقين ما صرح به الشاعر ، انه من الأواس أو من الحجر في رواية أخرى وهو ما حققه عبدالعزيز الميمني في الطرائف الأدبية :

أليس أبي خير الأواس وغيرها وأمي ابنة الأحرار لو تعلمينها[١٥]

وأضاف في نفس المصدر بعض شعره ، برواية أخرى حسب ما طاف حول سيرة الشنفرى من أخبار ومنه :

أنا ابن خيار الحجر بيتا ومنصبا وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها[١٦]

من هنا أجد أنه لا يوجد مجال للاجتهاد في نسب الشاعر بعد أن صرح به على أن مرد ذالك كما علمنا هو ما نقل من أن الشاعر كان في بني سلامان فترة من عمره .

أما ماحيك حوله من عداء لبني سلامان وتضارب الروايات في ذالك ومادار حول ذالك من قصص وموالاته أو استشاره في بني فهم واشتهاره بالتصعلك ورفقته لتأبط شرا وغير ذالك ، فقد تعرض له كثير من الباحثين في دراستهم لحياة الشنفرى سواء من السابقين أو اللاحقين[١٧] وأرى الموقف لا يتسع لاستعراض هذه الآراء والدراسات وموازنتها ، وقد يتيسر ذالك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

هذه بعض النقاط التي أحببت أن ألمسها بإيجاء من مقال شيخنا الغالي حمد الجاسر ، فله الشكر أولاً وأخيراً وللقراء تحيتي وتقديري .

الرياض : د. محمد ظافر بن عساف

الحواشي :

(١) الحسين بن علي الوزير «الايناس في علم الأنساب» ص ١٨٤ ـ طبعة النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٠هـ اشراف ـ دار اليمامة ـ .
(٢) محمد بن حبيب البغدادي «مختلف القبائل ومؤتلفها» ص ٣٣٧ ـ اشراف دار اليمامة ـ ١٤٠٠هـ .
(٣) الهمداني «صفة جزيرة العرب» ص ٢٦٠ تحقيق محمد بن علي الأكوع ـ ط دار اليمامة ١٣٩٤هـ .
(٤) عبدالرحمن بن حمد المغيري الطائي «المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب» ص ٢٣٣ ـ تحقيق د. إبراهيم محمد الزيد ، ط الأولى .
(٥) ورد ذالك في كتب ابن الكلبي ، وفي «الاشتقاق» ، و « نهاية الأرب » .
(٦) الاصفهاني في « الأغاني » (١٢/٤٩ ـ ط. بولاق) .
(٧) حمد الجاسر ـ في « سراة وزهران » ص ٢٤٧/٢٤٨ .
(٨) الهمداني ـ م.س ـ ص ٢٥٨ .
(٩) الهمداني ـ م.س ـ ص ٢٦١ . انظر أيضاً مقدمة ج ٣ من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » . ص.ث .
(١٠) مجلة العرب: ج ١١/١٢ س ١٩ ص ٨٤٠ .
ملاحظة : إلى عهد قريب تكون القرية على حالها من الاتجاه الأثلي أو السلامي ، فإذا طرأ لها ما يغضبها من قرية حليفة أو مشيخة تتبعها ، حولت إلى الجانب الآخر حسب المصلحة .
(١١) ابن حجر العسقلاني «الاصابة» رقم (١٥٩٢) .
(١٢) عن «تاريخ حياة سيد العرب» نقله عبدالله بن مسفر في «السراج المنير» ص ٢٣ .
(١٣) سماهم الهمداني (بلحارث بن شهر) كما تنطق تماماً الآن ، وذكر أنهم في أعلى وادي تنومة انظر ج ٣ من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ص.ج.
(١٤) الضبي «المفضليات» ص ١١٢ تحقيق أحمد شاكر ، وعبدالسلام هارون ط ٦/ دار المعارف .
(١٥) و (١٦) عبدالعزيز الميمني «الطرائف الأدبية» ص ٤١ ـ دار الكتب العلمية لبنان .
(١٧) بعض الدراسات التي تعرضت للشنفرى :
(الشنفرى شاعر الصحراء الابي) ـ د. محمود أبو ناجي .
(شرح لامية العرب) ـ لأبي البقاء العكبري تحقيق د. محمد الحلواني.
(الشعراء الصعاليك في الجاهلية) ـ د. يوسف خليف .

الشيخ صالح بن محمد بن حمد الشثري

قرأ على المشايخ عبدالرحمن بن حسن، وعبدالله بن عبدالرحمن (أبا بطين)، وعبداللطيف بن عبدالرحمن، وعبدالملك بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب .

ومن تلاميذه المشايخ إبراهيم بن عبدالملك ، وعبدالعزيز بن إبراهيم الشثري ، ومحمد بن عميقان .

ومن مؤلفاته : كتاب في الرد على دحلان مخطوط ، وكتاب في الرد على ابن دُعيج في تجويزه موالاة المشركين مخطوط ، وله كتاب في علم الفلك ، وكتاب في الأنساب والكتابان مفقودان .

ولما ناقش بعض العلماء الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في فتواه بإمامة سعود ابن فيصل ـ رحمهم الله جميعاً ـ احتج عليهم بمبايعة الشيخ صالح بن محمد ، والمشائخ للإمام سعود بن فيصل ، فقال في رسالته إلى الشيخ محمد بن علي آل موسى : (فالحاصل في هذا العصر بين أهل نجد له حكم أمثاله من الحوادث السابقة في زمن أكابر الأئمة الأربعة وغيرهم كما قدمنا، وصارت ولاية المتغلب ثابتة كما أشرنا ، ووقع اتفاق ممن ينتسب إلى العلم لديكم على هذا كالشيخ إبراهيم[١] والشثري[٢] في الحوطة ، وحسين[٣] وزيد في الحريق، وخطوطهم عندنا محفوظة معروفة ، فيها تقرير إمامة سعود ، ووجوب طاعته ، ودفع الزكاة إليه والجهاد معه ، وترك الاختلاف عليه ، كل هذا موجود بخطوطهم، فلا جرم قد صار العمل على هذا والاتفاق)[٤].

وكتاب الشيخ صالح الذي يشير إليه الشيخ عبداللطيف هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من صالح بن محمد الشثري ، وحمد وعيسى بن إبراهيم ، إلى الإمام المكرم سعود بن فيصل . . ساعده الله بالتوفيق ، وأجاره من موجبات التعويق آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وموجب الخط إبلاغك السلام والتحفي والاكرام ، وخطك الشريف وصل وصلك الله إلى الخير .

ما تضمنه من البشارة باجتماع المسلمين فالحمد لله رب العالمين ، وما أشرت إليه من الاهتمام بما يصلح الله به العباد ، فأنت فاهِمٌ أن الأغراض الدنيوية التي أكثر الخلق لها يعملون منتفية عنا بفضل الله ومنته ، وإنما القصد اجتماع المسلمين على كلمة التوحيد ، وما تقتضيه من الأقوال والأعمال ، ونفي التنديد ، فالذي وصيك به تقوى الله سبحانه ، الذي ولاك بلا سبب ممن يُحبُّك أو يَقْلاَك(؟)، فعليك بملاحظة مراده منك وتجديد النية ، وإصلاح الطوية ، والإحسان إلى الرعية ، وانظر إلى حال والدك ـ رحمه الله ـ مع الخلق ، ومعاملته لهم ، حيث أحبته قلوبهم ، واطمأنَّتْ به نفوسهم ، إذْ قابل السيئة بالحسنة ، وعمل بقوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فإذا الَّذي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كأنه وَلِيٌّ حَميم ● ومَا يُلَقَّاهَا إلَّا الذين صَبَروا وما يُلَقَّاها إلَّا ذُو حَظٍّ عظيم ﴾ ولم يصغ بإذنه إلى أهل القِيل والقال .

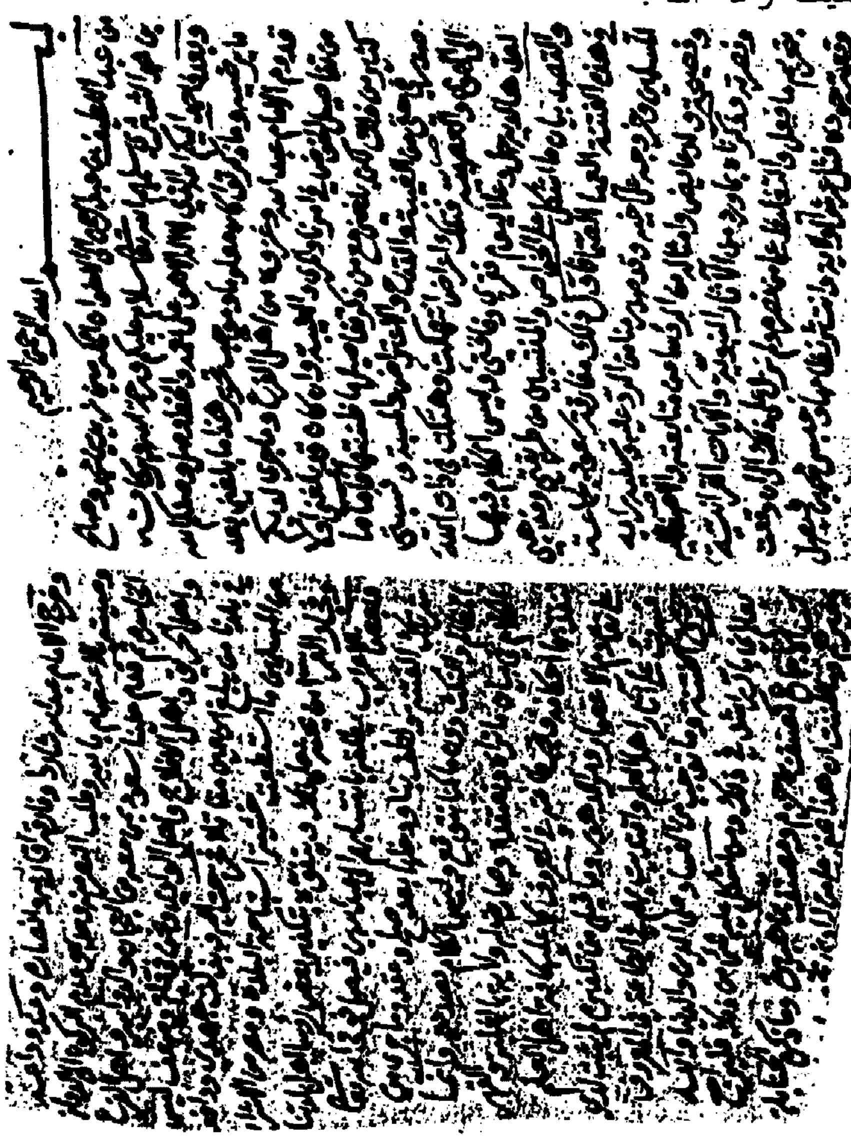
واعتبر بمن قَبْلك حيث أوغرت له من ذلك صدور الرجال ، وليكن لك اعتناء بتقديم أهل العقل والفقه في مناصب المسلمين ، تَحْمد العاقبة في العاجل ويوم الدين ، والله المسؤول أن يتولاك ، وأن لا يكلك إلى نفسك وهواك ، وأن يصلح بك مافسد ، وأن يطهر منك باطن الروح وظاهر الجسد .

كما أن الشيخ عبدالله العنقري في حاشيته على «الروض المربع» أورد فتوى للشيخ صالح بن محمد ماهذا نَصُّه :

(قال الشيخ صالح بن محمد الشثري : إذا وقف نخلة فبادت ، فالعرف ومقاصد الناس معتبر ، والعرف في وقتنا : أن الواقف لا يقصد إلا جذع النخلة ، وأنها لا تعاد إذا بادت ، مع أن القياس يقضي ذلك من أن الفرع لا يتبعه الأصل ، وأن الأصل يتبعه الفرع ، إلا أن يوقف بستاناً ونحوه ، فالقرينة تقتضي دخول الأصل والفرع معاً[٥]. انتهى .

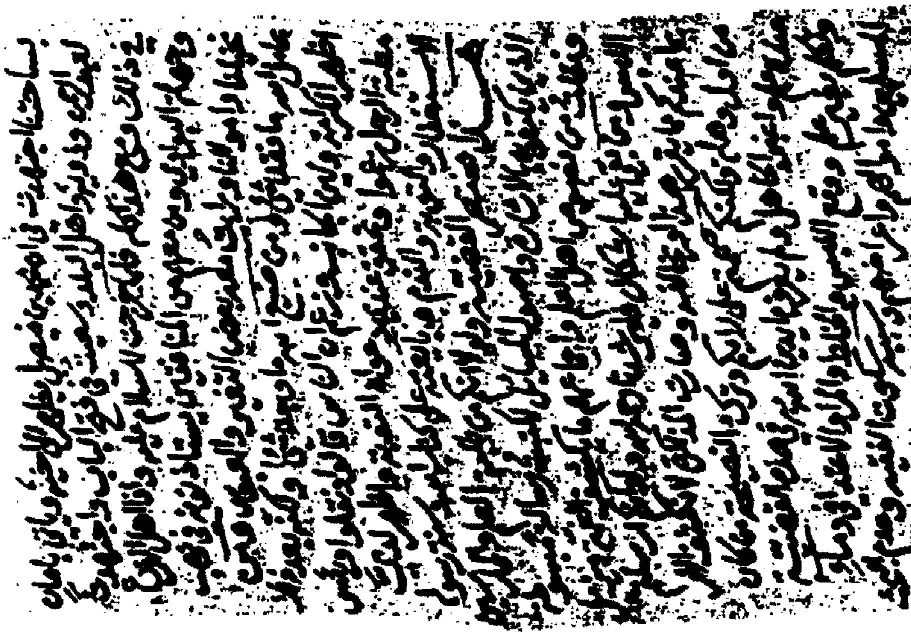
وقد توفي سنة ١٣٠٩هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه جنته .

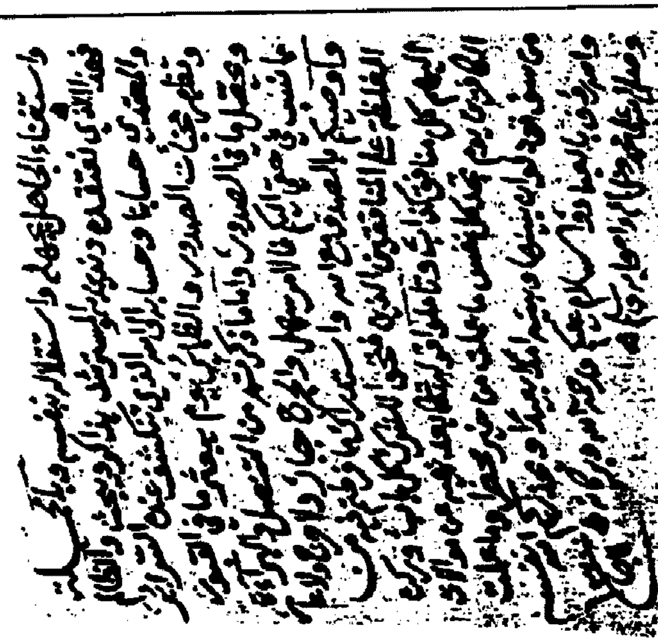
وتدعو المناسبة لإيراد نصّ رسالة من كبير علماء نجد في زمانه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الشيخين زيد بن محمد وصالح بن محمد الشثري وتُعَدُّ وثيقة في الخلاف الذي حصل بين أبناء الإمام فيصل بن تركي لصدورها من العالم الثقة شيخ مشايخ نجد في زمانه والذي سعى بالصلح بين الامامين ، وعلماء نجد وعامتهم كانوا تَبَعاً له في فتواه وقد ذكر الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية». أن هذه الرسالة هي آخر ما كتب الشيخ عبداللطيف رحمه الله .



وقد قيل سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم ولما مات الامام عبدالله
فقد نصحت له كما تقدم اشد النصح وبعد مجيئه لما اخرجه شيعة
عبدالله سعود ومن قدم من الاحساء فاكثرت في النصيحة وتذكيره
بآيات الله وحقه وايثار مرضاته والتباعد عن اعدائه واعداء دينه
اهل التعطيل والشرك البواح واظهر التوبة والندم واضمحل
امر سعود وصار مع شرذمة من البادية حول الاحساء والعجمان
وصار لعبدالله غلبة وثبتت بعلو ولايته عليها قرب الحنابلة وغيرهم
كما تعلم ان عليه اهل الناس من اعصار متطاولة ثم ابتلينا بسعود
وقدم الينا مرة ثانية وجرى ما بلغكم من الهزيمة على عبدالله وجنده
ومن البلد لو منهزما الا بلوكه الى احد عشر من البادية وعجلت
الى سعود كتابا في طلب الامان لاهل البلد وكف البادية عنهم
وباشرت بنفسي مدافعة الاعراب مع شرذمة قليلة من اهل البلد
ابتغي ثواب الله ومرضاته فدخل البلد وتوجه عبدالله الى الشمال وصارت
الغلبة لسعود والحكم بيده مع علته وامسك بعد وفاة سعود فقدم
الغزاة ومن معه من الاعراب العتاة والحضر الطغاة فخشينا
الاختلاف وسفك الدماء وقطيعة الارحام بين حمولة ال مقرن
مع غيبة عبدالله وتعذر ما يعتم بلد ومكاتبته ومن ذكرهم
يخشى على نفسه وماله فحسن ان يترك المسلمين ضعفائهم نهبا

وسبيا للاعراب والفجار وقد تحققوا بنهب الرياض قبل البيعة
وقد ابتها من هو اشر من عبدالرحمن واطغى ولا يمكن ممانعتهم ودفعهم
ومن الفهم اني وامثالي استطيع دفع ذلك مع ضعفي وعدم سلطاني
وناصري فهو من اسفه الناس واضعفهم عقلا وتصورا ومن
عرف قواعد الدين واصول الفقه وما يطلب من تحصيل المصالح
ودفع المفاسد لم يشكل عليه شيء من هذا وليس الخطاب مع الجهلة
الغوغاء انما الخطاب معكم معاشر القضاة والمفتين والمتصدرين
لافادة الناس وحماية الشريعة المحمدية فلهذا ثبتت بيعته
وانعقدت وصار من يشتغل غائبا لا تحصل به المصالح فيهم من
يقول بوجوب طاعة المنتظر وانه الامام الاول ثم ان حمولة آل سعود
صارت بينهم شحناء وعداوة والكل يرى له الاولوية بالولاية
ومرنا نتوقع كل يوم فتنة وكل ساعة محنة فلطف الله بنا وخرج
بن جلوي من البلد وقتل ما صنيتان وصار لي اقدام على
مصالحة عبدالرحمن في الصلح وترك الولاية لاخيه عبدالله فلم اجد له
في تحصيل ذلك والمشورة عليه مع اني قد كاتبت في ذلك حين
ولايته ولكنه رايته ضعيف العزم لا يستبد برايه فتيسر قبل
قدوم عبدالله بنحو اربعة ايام ان وافق على تقديم عبدالله وعزل
نفسه بشروط بعضها غير سائغ شرعا فلما نزل الامام عبدالله
بساحتنا





محمد بن ناصر الشثري ــ الرياض

الحواشي :

(١) الشيخ إبراهيم هو إبراهيم بن عبدالملك بن حسين ، قاضي الحوطة لمدة تزيد على نصف قرن .

(٢) الشثري هو الشيخ صالح بن محمد الشثري صاحب هذه الترجمة .

(٣) حسين بن حمد بن حسين قاضي الحريق وزيد أخوه .

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل ١٦٨/٣ .

(٥) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع للعنقري ص ٤٧٥ .

ـ ٦١ ـ

٢٧٥ ـ بَابُ الْـحَضْرِ ، والْـخُضْرِ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : بَعْدَ الْـحاءِ الْـمَفْتُوحَةِ ضَادٌ مُعْجَمَةٌ : مَدِيْنَةٌ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ ، كَانَتْ مَثَلاً فِـي الْـحَصَانَةِ وَالْإِمْتِنَاعِ ، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيْرٌ فِـي أَشْعَارِهِمْ ، وَقَالَ عَدِيٌّ :

وَأَخُو الْـحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ .

وَكَانَ سَابُورُ ذُوْ الأَكْتَافِ نَازَلَهَا وَأَرَادَ فَتْحَهَا فَأَعْيَتْهُ الْـحِيَلُ ، فَدَسَّ إِلَى ابْنَةِ رَئِيسِهَا مَنْ أَطْمَعَهَا حَتَّى فَتَحَ[٢].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : (بَابُ الْـحَضْرِ وَالْـخَصْرِ ، والْـحِضْنِ ، وحَضرٍ وَحَضَنٍ) .

(٢) نَصُّ كلامِ نَصْرٍ سِوَى الْقَوْلِ : (وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ) إِلَى (إِذْ بَنَاهُ) . وَهُوَ صَدْرُ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ الْعَبَادِيِّ .

وَأَخُو الْـحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وإِذْ دِجْـ ـلَةُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْـخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْـ ـساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ الْـمَنُونِ فَبَادَ الْـ ـمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

مِنْ قَصِيدَةٍ فِي دِيْوَانِهِ ـ ص ٨٨ ـ مَطْلَعُهَا :

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ لَكَ فَاعْلَمْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيْرُ

وعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ العبَادِيُّ التَّمِيمِي شَاعِرٌ حَضَرِيٌّ كَانَ يُحْسِنُ الْفَارِسِيَّةَ ، مَاتَ فِي سِجْنِ النُّعْمَانِ بنِ الْـمُنْذِرِ مَقْتُولاً فِي الحِيْرَةِ قبل الهجْرة بِنَحْوِ خَمْسٍ وثَلاثِين سَنَةً عَلَى مَافِي «الأَعْلَامِ» ولَهُ تَرجمةٌ مُفَصَّلَةٌ في أَشْهَرِ كُتبِ الأَدَب .

وَالْـحَضْرُ لا يَزَالُ مَوْقِعُهَا مَعْرُوفاً فِي الْعِرَاقِ بَيْنَ تَكْرِيتَ والْمَوْصِلِ والفُرَاتِ ، وقَدْ قَامَ عُلَمَاءُ الآثَارِ بالتَّنْقِيبِ عَنْ آثَارِهَا ودِرَاسَتِهَا دِرَاسَةً مُسْتَفِيْضَةً .

وَيُوْرِدُ يَاقُوتُ الْـحَمَوِيُّ ـ وغَيْرُهُ مِنْ مُتَقَدِّمِي الْـمُؤَرِّخِيْنَ ـ خَبَرَ مَدِيْنَةِ الْـحَضْرِ مَنْسُوباً إلى الشَّرْقِي بْنِ =

وأمّا الثّاني : أوّلُهُ خاءٌ مُعْجمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا صَادٌ مُهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ ـ : جَبَلٌ خَلْفَ شَابَةَ ، وَهُمَا بَيْنَ السَّلِيْلَةِ والرَّبذَةِ[٣].

وَقَالَ عامِرٌ الـخُنَاعِيُّ :

أَلَمْ تَسْلُ عَنْ لَيْلَى وَقَدْ نَفِدَ الْعُمْـرُ ... وَأَوْحَشَ مِنْ أَهْلِي الْـمَوَازِجُ والْـخَصْرُ[٤]

= الْقُطامي مُرْتَبِطاً بِتَفَرُّقِ قَبِيْلَةِ قُضَاعَةَ ، وأَنَّ فِرْقَةً مِنْهَا سَارَتْ إِلَى الْـجزِيْرةِ فَمَلَك أحَدُ رُؤَسَائِهَا الْـجَزِيْرَةَ كُلَّهَا إِلَى الشَّامِ ، وَنَزَلَ مَدِيْنَةَ الْـحَضْرِ ، وأَغَارَ عَلَى سَوَادِ الْعِرَاقِ ، فَأَخَذَ أُخْتَ سَابُور الْـجُنُودِ بْنِ أَرْدَشِيْرَ ، فَغَزَا هذَا الْـمَدِيْنَةَ ، وكَانَتْ أُخْتُ مَلِكِهَا ـ وتُدْعَى النُّضَيْرَةَ بِنْت الضَّيْزَنِ ـ فَعَشِقَتْهُ ، ودَلَّتْهُ عَلَى الطَّرِيْقَةِ الَّتِي يَفْتَحُ بِهَا الْـمَدِينَةَ ، فَتَمَّ لَهُ ذَالِكَ ، ولكِنَّهُ قَتَلَ النُّضَيْرَةَ أَسْوَأَ قِتْلَةٍ ، حَيْثُ لَمْ يَثِقْ بِهَا وقَدْ خانَتْ أَبَاهَا وَقَوْمَهَا ـ فِي قِصَّةٍ خُرَافِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي أَشْهَرِ كُتُبِ التَّأْرِيْخِ .

(٣) نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ : وأمَّا بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ وَصَادٍ مُهْمَلَةٍ ـ : جَبَلٌ خَلْفَ شَابَةَ ؛ وهُمَا بَيْنَ السَّلِيْلَةِ وَالرَّبذَة . انتهى . وَأَوْرَدَ يَاقُوتُ فِي « مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ » كَلَامَ الحازِمِيِّ كَامِلاً غَيْرَ مَنْسُوبٍ ، فِي رَسْمِ (الْـخَصْرِ) ولكِنَّهُ زَادَ : ويُرْوَى : الـحَضْرُ ـ بِالْـحَاءِ الـمُهْمَلَةِ وَالضَّادِ الْـمُعْجَمَةِ ـ ولكِنَّهُ لَـمْ يُعَرِّفْهُ فِي رَسْمِ (الـحَضْر) وَقَدْ وَرَدَ الاسْمُ فِي « رِسَالَةِ عَرَّام » ـ الْـحَضْرُ ـ فِي الرَّسْمِ ، ولَيْسَ مَضْبُوطاً بِالْـحَرْفِ فِي الْـكَلَامِ عَلَى أَبْلَى بهذَا النَّصِّ : (وَهِـي قِنَانٌ مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، قَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْـرِي هَـلْ تَغَـيَّرَ بَعْـدَنَـا ... (أُرُوْمٌ) فَـ(آرامٌ) (فَـشَـابَـةُ) والْـخَضْرُ

وَهَـلْ تَـرَكَتْ (أَبْـلَى) سَـوَادَ جِبَـالِـهَا ... وَهَـلْ ذَالَ بَعْدِي عَنْ قُنَيْنَتِهِ (الْـحَجْرُ)

وجِبَالُ أَبْلَى لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً ، ولكِنَّهَا غَرْبَ السَّلِيْلَةِ ، بِمَّا يَلِي مَعْدِنَ بَنِي سُلَيْمٍ (الْمَهْد) أَمَّا جَبَلُ الْـحَضْرِ ـ أَوِ الْـخَضْرُ ـ فَلَيْسَ مَعْرُوفاً ولكِنْ جَبَلَيْ أُرُوم وشَابَةَ مَعْرُوفَانِ ، وهُمَا وَاقِعَانِ فِي الْـمُنْتَصَفِ بَيْنَ الرَّبذَةِ والسَّلِيْلَةِ عَلَى طريق الْـمُتَّجِهِ غَرْباً ، شَابَةَ هَضْبَةٌ كَبِيرَةٌ تَقَعُ جَنُوبَ أُرُوْم الْـمَعْرُوف باسْم (رُوْم) غَرْبَ قَرْيَةِ سُخَيْبِرَةَ ، أَمَّا آرَامُ فَيُدْعَى الآنَ (أُمُّ الغِيْران) هَضَبَةٌ تكثر فِيها الْغِيْرَانُ ، جَمْعُ غَارٍ ، والْـجِبَالُ الثَّلَاثَةُ تُكَوِّنُ سِلْسِلَةً جَبَلِيَّةً مُتَّصِلَةً من الشَّمالِ إلى الْـجَنُوبِ قِبْلَةَ الرَّبذَةِ ، أَوَّلُهَا آرَامُ (أُمُّ الغِيْرانِ) ثم أُرُومُ ، ثُمَّ شَابَةُ أَمَّا الْـحَضْرُ فَلَيْسَ مَعْرُوفاً بِهَذَا الاسْمِ ـ عَلَى ما أَعْلَم ـ ولكِنَّ الجِبَالَ تَتَّصِلُ وتَتَقَاوَدُ غَرْباً إِلَى أَبْلَى وما بَعْدَهَا وَلَاشَكَّ أَنَّ الْـحَضْرَ مِنْهَا ، فِيمَا بَيْنَ شَابَةَ وأَبْلَى ـ وضَبْطُ الاسْمِ مُخْتَلَفٌ فِيْهِ كَمَا تَرَى .

(٤) وَمِمَّا يَنْبَغِي إِدْرَاكُهُ .

١ ـ بُعْدُ الْبِلَادِ الَّتِي تَقَعُ فِيْهَا تِلْكَ الْـجِبَالُ عَنْ بِلَادِ خُزاعة ، فهاؤلاءِ مَنَازِلُهُمْ فِي تِهَامَةَ قُرْبَ مَكَّةَ ، بِجِوَارِ هُذَيْلٍ وتِلْكَ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، فِي بِلَادِ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَهَذَا مِمَّا يَحْمِلُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ عَامِراً الْـخُنَاعِيَّ أَرَادَ بِـ(الْـخَضْرِ) مَوْضِعاً غَيْرَ الْوَاقِعِ بَيْنَ الرَّبذَةِ والسَّلِيْلَةِ .

٢ ـ أَنَّ الاسْمَ وَرَدَ فِي كِتَابِ « شَرْحِ أَشْعَارِ الْهُذَلِيِّيْنَ » لِلسُّكَّرِي فِي مَوْضِعَيْنِ ـ ٧٤٨ و ٨٢٧ ـ الْـحَضْرُ ـ بِالْـحَاءِ الْـمُهْمَلَةِ والضَّادِ الْـمُعْجَمَةِ ـ بِدُونِ ضَبْطٍ ، والْبَيْتُ مِنْ قَصِيْدَةٍ مَنْسُوبَةٍ فِي الْـمَوْضِعِ الأَوَّلِ لِلْبُرَيْقِ الْهُذَلِيِّ ، ولِعَامِرِ بن سَدُوْسٍ الْـخُنَاعِي بِرِوايَةِ الأَصْمَعِيِّ ، وَفِي الْـمَوْضِعِ الثاني لِعَامِر بن سَدُوْس الْـخُنَاعِـي ، مَعَ الإِشَارَةِ إِلَى نِسْبَتِهَا لِلْبُرَيْقِ ، وفِي الْقَصِيدَةِ أَسْمَاءُ مَوَاضِعَ عُطِفَتْ عَلَى الْـحَضْرِ فِي بِلَادِ هُذَيْلٍ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ تِهَامَة .

=

= ٣ ـ عَلَى أَنَّ اسم الحضر ـ أو الحصر ـ بإهمال الحاء في الموضعين ـ وَرَدَ في ذَالِكَ الْكِتَابِ ـ ٥٤٨ ـ في خَبَرِ خُرُوجِ الشَّاعِرِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَنَسٍ الْهُذَلِيِّ وَمَعَهُ رَجُلانِ مِنْ قَوْمِهِ في طَلَبِ نَفَرٍ مِنْ بَني عَدِيِّ بْنِ الدِّيْلِ بْنِ بَكْرٍ ، حَتَّى بَلَغُوا مِجْمَرَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَ عِلافٍ وَمَرٍّ ، ثُمَّ أَصَابُوا مِنَ الْقَوْمِ غِرَّةً فَقَتَلُوهُمْ وَاسْتَاقُوا شَاءَهُمْ ، وَسَارُوا حَتَّى أَصْبَحُوا بِعُرَنَةَ ، ثم إِنَّ بني عَدِي بن الدِّيْلِ خَرَجُوا حَتَّى حَلُّوا الْحَضْرَ ـ برِوَايةِ الْجُمَحِيِّ : الْحَضْرِ ـ فَوَجَدُوا بِعُرَسَ ـ الْجُمَحِي : بِعُرْش ـ غُلامَيْنِ مِنْ بَني عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ فَقَتَلُوا أَحَدَهُمَا ـ إلى آخرِ الْخَبَرِ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْحَضْرَ في بِلادِ هُذَيْلٍ في مَنَازِلِ بني عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ مِنْهُمْ ـ في تِهَامَةَ ـ وَأَوْرَدَ الْبَكْرِيُّ في «مُعْجَم ما اسْتُعْجِم» الْبَيْتَ لِلْبُرَيْقِ الْهُذَلِيِّ في رَسْمِ (الْحَضْر) .

وممَّا زَادَهُ نَصْرٌ :

١ ـ الْحِصْن : وَقَالَ في تعريفِهِ : وَأَمَّا بِكَسْرِ الْحَاءِ وسُكُونِ الصَّادِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ، وآخِرُهُ نُونٌ : ـ ثَنِيَّةٌ بِمَكَّةَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ دَارِ يَزِيْدَ بْنِ مَنْصُورٍ فَضَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْمَفْجَرُ ، وَهُوَ اسْمٌ لِبِلادٍ كَثِيْرَةٍ ، بَرِّيَّةٍ وبَحْرِيَّةٍ . انتهى . وَقَالَ يَاقُوتُ في «معجم الْبُلْدَان» : الْحِصْنُ ـ بِالْكَسْرِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْحَصَانَةِ وَهُوَ الْمَنَعَةُ ، وَهُوَ ثَنِيَّةٌ بِمَكَّةَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْمَفْجَرُ خَلْفَ دَارِ يَزِيْدَ بْنِ مَنْصُورٍ . وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بنِ مُوسَى ـ وَأَوْرَدَ نَصَّ كَلامِ نَصْرٍ ، وأَبُو بَكْرٍ هَذَا هُوَ الْحَازِمِيُّ ، وتَقَدَّمَ كَلامُهُ في (بَابِ حِصْنٍ وحَصَن) وَعَدَّ يَاقُوتُ حُصُوناً كَثِيرةً . ويزيد بن مَنْصُورٍ هُوَ الْحِمْيَرِيُّ خَالُ الْمَهْدِي بن الْمَنطور ، كَانَ مِن رِجَالِ الدَّوْلَةِ الْعَبَاسِيَّةِ وَمَشَاهِيرِ أُمَرَائِهَا من سنة ١٥٢ إلى سنة ١٦٣ ـ فَكَانَ عَامِلاً للبصرة سنة ١٥٢ ـ ثُمَّ لِلْيَمَنِ مِنْ سنة ١٥٣ إلى سنة ١٥٩ حَيْثُ وَلاَّهُ الْمَنْصُورُ الْمَوْسِمَ وحَجَّ بِالنَّاسِ ، وفي سنة ١٦٠ وَزَرَ لِمُوسَى بْنِ الْمَهْدِي ، وفي سنة ١٦١ وُلِّيَ سَوَادَ الْكُوفَةِ .

ويظهر أنه تملك في مكة غير دار ، حيث ذكر الأزرقي في «أخبار مكة» ـ ٢/٢٨٤ ـ : أَنَّه له داراً في السويقة بمقربة من شعب قُعَيْقِعَان . وهذه غير الوارِدَة في النَّصِّ .

أما المفجر فقد عرفه الأزرقي ـ ٢/٢٧٦ ـ بأنه مابين الثنية التي يقال لها : الخضراء ، إلى خلف دار يزيد بن منصور ، يهبط على حياض ابن هشام ، التي بمفضى المأزمين ، مأزمي منى . انتهى .

ويفهم من تعليقات محقق كتاب الأزرقي أن الثنية المذكورة في أصل ثبير غيناء ، وأن المفجر المضيق الواقع بين الجبلين في طريق منى . وعلى هذا فالحصن يقع فيها بين مكة ومنى ، وقد تجاوزه عمران مكة .

٢ ـ حَضَر : عَرَّفَهُ نَصْرٌ بِقَوْلِهِ : وَأَمَّا بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ والضَّادِ الْمُعْجَمَة وَرَاءٍ : فَفِي الشِّعْرِ ، وأَرَاهُ أَرَادُوا بِهِ حُضُوراً وحَضْرَمَوْتَ ، وكِلاهُمَا يَمَانٍ . انتهى . وَفي «مُعْجَم الْبُلْدَان» : حَضَرٌ ـ بالتَّحْرِيْكِ : مَوْضِعٌ في شِعْرِ أَعْشَى بَاهِلَةَ :

وَأَقْبَلَ الْخَيْلُ مِنْ تَثْلِيْثَ مُصْغِيَةً ... أَوْ ضَمَّ أَعْيُنَهَا رَغْوَانُ أَوْ حَضَرُ

وَلَمْ أَرَ يَاقُوتاً أَشَارَ إلى قَوْلِ نَصْرٍ ، وعَرَّفَ حَضُور بِأَنَّهُ بَلْدَةٌ بِالْيَمَنِ مِنْ أَعْمَالِ زَبِيْدَ ، سُمِّيَتْ بِحضُورِ بن عَدِيٍّ ـ وَسَاقَ نَسَبَهُ إلى حِمْيَرَ بْنِ سَبَإٍ ، ونَقَلَ قَوْلَ السُّهَيْلِيِّ : لَمَّا قَصَدَ بُخْتَ نَصَّرُ بِلادَ الْعَرَبِ وَدَوَّخَهَا وَخَرَّبَ الْمَعْمُورَ اسْتَأْصَلَ أَهْلَ حَضُوْرَاءَ ـ هكَذَا رَوَاهُ بِالأَلِفِ الْمَمْدُودَةِ ـ وَهُمُ الَّذِيْنَ ذَكَرَهُمُ اللهُ في قَوْلِهِ : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ وذَالِكَ لِقَتْلِهِمْ شُعَيْب بن عيفي ، وَيُقَال : ابن ضَيْفُون . انتهى .

وعلق القاضي اسماعيل الأكوع في كتاب «البلدان اليمانية عند ياقوت» بقوله : حضور جبل بالقرب من صنعاء على مسافة ثلاثين كيلا ، ويعرف أيضاً بجبل النبي شعيب ، وهو أرفع جبال اليمن ، وقد اطلق اسمه على ناحية حضور التي يقع فيها ، وهناك حضور الشيخ جبل آخر ، يعرف بحضور بني أزد في =

٢٧٦ ـ بَابُ حَفْرٍ، وَجَفْرٍ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ: بِفَتْحِ الْـحَاءِ وَالْفَاءِ ـ: قَالَ الأَزْهَرِيُّ: وَالأَحْفَارُ الْـمَعْرُوفَةُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ ثَلَاثَةٌ: فَمِنْهَا حَفَرُ أَبِي مُوسَى، وَهِيَ رَكَايَا احْتَفَرَهَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ عَلَى جَادَّةِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ نَزَلْتُ بِهَا، وَاسْتَقَيْتُ مِنْ رَكَايَاهَا، وَهِيَ بَيْنَ مَاوِيَّةَ وَالْـمِنْجِشَانِيَّاتِ، بَعِيدَةُ الأَرْشِيَةِ، يُسْتَقَى مِنْهَا بِالسَّانِيَةِ، وَمَاؤُهَا عَذْبٌ، وَرَكَايَا الْـحَفَرِ مَسْنُوِيَّةٌ(٢).

وَمِنْهَا: حَفَرُ ضَبَّةَ، وَهِيَ رَكَايَا بِنَاحِيَةِ الشَّوَاجِنِ، بَعِيدَةُ الْقَعْرِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ(٣).

وَمِنْهَا حَفَرُ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ، وَهِيَ بِحِذَاءِ الْعَرَمَةِ، وَرَاءَ الدَّهْنَاءِ يُسْتَقَى مِنْهَا بِالسَّانِيَةِ، عِنْدَ حَبْلٍ مِنْ حِبَالِ الدَّهْنَاءِ، يُقَالُ لَهُ حَبْلُ الْـحَاضِرِ(٤).

= المصانع، من أعمال ثلا، وقد وهم ياقوت حين عد حضور من أعمال زبيد، فبينهما أكثر من ثلاث مئة كيل. انتهى.

٣ ـ حَضَنٌ: قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا مِثْلُهُ ـ حَضَر ـ إِلَّا أَنَّ آخِرَهُ نُونٌ ـ: مِنْ جِبَالِ سَلْمَى، وأَيْضاً: جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى السِّيِّ إلى جَانِبِ دِيَارِ سُلَيْمٍ وَهُوَ أَشْهَرُ ـ إلى آخِرِ ماذَكَرَ مِمَّا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَضَنٍ، وأَنَّ الاسْمَ يُطْلَقُ عَلَى مَوَاضِعَ، الْـجَبَلِ الَّذِي فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ، مُشْرِفٍ عَلَى السِّيِّ (صَحْرَاءِ رُكْبَةَ) والْـجَبَلِ الْـمُتَّصِلِ بِجَبَلِ أَجَإٍ ـ لا سَلْمَى ـ وحَضَنِ نَجْرَانَ والثلاثَةُ لاتَزَالُ مَعْرُوفَةً، والرَّابِعُ فِي عِرْضِ شَمَامٍ ـ سَوَادِ بَاهِلَةَ، عَلَى مَا ذَكَرَ الْـمُتَقَدِّمُونَ.

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي كِتَابِ الْـجِيمِ: (بَابُ جُفْنٍ والْـحَفْنُ، والْـجَفْرِ والْـحَفْرِ).

(٢) قَالَ نَصْرٌ عَنِ الْـحَفْرِ: وأَمَّا بِفَتْحِ الْـحَاءِ الْـمُهْمَلَةِ وفَتْحِ الْفَاءِ ـ: هُوَ الْـحَفَرُ الْـمَنْسُوبُ إِلَى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قُرْبَ البَصْرَةِ، وحَفَرُ الرِّبَابِ، وحَفَرُ سَعْدٍ، مَوْضِعَانِ مِنْ دِيَارِهِم، وحَفَرُ السِّيْدَانِ عِنْدَ كَاظِمَةَ. انتهى. وكَلَامُ الأَزْهَرِيِّ فِي كِتَابِهِ «تَهْذِيبُ اللُّغَةِ» ـ ١٦/٥ ـ بِتَغْيِيرٍ يَسِيرٍ فِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ، فَفِي كَلِمَةَ (مَسْنَوِيَّة) فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: أَيْ يُسْتَقَى مِنْهَا بِالسَّانِيَةِ، وَهذَا كَقَوْلِهِمْ: زَرْعٌ مَسْقَوِيٌّ ـ أَيْ يُسْقَى، وَوَرَدَتِ الكَلِمَةُ فِي كِتَابِ الْـحَازِمِيِّ (مُسْتَوِيَة). وحَفَرُ أَبِي مُوسَى يُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ (الْـحَفَرِ) غَيْرِ مُضَافٍ، وقَدْ أَوْفَيْتُ الْكَلَامَ عَلَيْهِ، فِي (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي»، وَقَدْ أَصبَحَ الآنَ مَدِينَةً.

(٣) حَفَرُ ضَبَّةَ: يُنْسَبُ إلى القَبِيلَةِ الْـمَعْرُوفَةِ، والشَّوَاجِنُ فِي أَسْفَلِ الصُّمَّانِ، وَرَدَ تَعْرِيفُ الْـمَوْضِعِ فِي كِتَابِ «بِلَادِ العربِ» و«مُعْجَمِ البُلْدَانِ» بِأَنَّهُ وادٍ فِي دِيَارِ ضَبَّةَ، فِي بَطْنِهِ أَطْوَاءٌ كَثِيرة، منها لَصَافِ واللِّهَابَةُ وَثَبْرَةُ، والْقَرْعَاءُ وطُوَيْلِعُ، ولايزال أكثر هذه المناهل معروفة.

(٤) حَفَرُ سَعْدٍ: حَدَّدَهُ ياقوتُ في كتاب «المشترك» نقلاً عن ابْنِ أَبِي حَفْصَةَ أَنَّهُ بِبَطْنِ السِّيْدَانِ. وَهَذَا التَّحْدِيدُ يُخَالِفُ مَاهُنَا، فالسِّيْدَانُ فِي شَرْقِ الْـجَزِيرَةِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْكُوَيْتِ، والْعَرَمَةُ غَرْبَ الدَّهْنَاءِ، وأَخْشَى ان يَكُونَ وَقَعَ خَلْطٌ بَيْنَ حَفَرِ بَنِي سَعْدٍ وبَيْنَ حَفَرِ الرِّبَابِ الْوَارِدِ فِي كِتَابِ نَصْرٍ وَفِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» ـ ٢٩٤ ـ فَالْعَرَمَةُ أَقْرَبُ إِلَى بِلَادِ الرِّبَابِ مِنْهَا إلى بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ، ويُعْرَفُ الْـحَفَرُ الْقَرِيبُ مِنَ الْعَرَمَةِ الآنَ =

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : حَفَرُ السَّبِيْعِ مَوْضِعٌ بِالْكُوفَةِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَبُو دَاوُوْدَ الْـحَفَرِيُّ(٥).

وَأَمَّا الثَّانِي ـ : بِفَتْحِ الْـجِيْمِ وَسُكُونِ الْفَاءِ ـ : اسْمُ بِئْرٍ بِمَكَّةَ ، قَالَ الزُّبَيْرُ فِي ذِكْرِ آبارِ مَكَّةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ : وَاحْتَفَرَتْ كُلُّ قَبِيْلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي رِبَاعِهِمْ ، فَاحْتَفَرَتْ بَنُو تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ الْـجَفْرَ ، وَهِيَ بِئْرُ مُرَّةَ بن كَعْبٍ ، وَقَالَ أَيْضاً : حَفَرَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ فَسَمَّاهَا بِحَفْرِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ ، وَقَالَ أُمَيَّةُ :

أَنَا حَفَرْتُ لِلْـحَجِيْجِ الْـجَفْرَا(٦)

وَجَفْرُ الْهَبَاءَةِ مِنْ أَرْضِ الشَّرَبَّةِ(٧)
وَجَفْرُ الشَّحْمِ وَمَاءٌ لِبَنِي عَبْسٍ(٨).

= باسْمِ حَفَرِ الْعَتَكِ ، وَيَظْهَرُ أَنَّهُ حَفَرُ الرِّبَابِ لِقُرْبِهِ مِنْ دِيَارِهِمْ قَدِيْماً بِمَنْطقة (سُدَيْر) .

(٥) لَمْ يَرِدْ اسم حَفَرِ السبيع في كِتَابِ «الطبقات» تأليف محمد بن سعد طَبْعَة بيْرُوت ـ مع أنه ذكر أبا دَاوُود الْـحَفَرِيَّ عمر بن سعد ـ ٤٠٣/٦ ـ وأنه تُوُفِّيَ في الْكُوفَةِ سَنَةَ ثَلاثٍ وَمِئَتَيْنِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بنِ مَنِيعٍ (١٦٨/ ٢٣٠ تقريباً) هو كاتب الواقدي مؤلف كتاب «الطبقات الكبرى»، والسَّبِيعُ الْـمُضَافُ إليهم الْـحَفَرُ قَبِيلَةٌ منْ حَاشِدٍ مِنْ هَمْدَان ، كَانَ لَـهُمْ بِالْكُوفَةِ خُطَّةٌ مَعْرُوفَة .

(٦) الْـجَفْرُ : قال نَصْرٌ : وأمَّا بفتح الْـجِيْم وآخِرُهُ رَاءٌ : جَفْرُ الْهَبَاءَةِ مِنْ أَرْضِ الشَّرَبَّةِ ، وَبِبَطْنِ الرُّمَةِ حِذَاءَ أَكَمَةِ الْـخَيْمَةِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْـجَفْرُ جَفْرُ الشَّحْمِ لِبَنِي عَبْسٍ . انتهى ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْبِئْرَ الَّتِي بِمَكَّةَ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا يَاقُوتُ فِي «الْـمُعْجَم» فَأَوْرَدَ كَلامَ الزُّبَيْرِ كَمَا أَوْرَدَهُ الْـحَازِمِيُّ ، وذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» ـ ٢١٨/٢ ـ أَنَّهَا بِطَرَفِ أَجْيَادَ الْكَبِيرِ ، وَيُلاَحَظُ أَنَّ جَمِيْعَ آبَارِ مكَّةَ بِاسْتِثْنَاءِ زَمْزَمَ قَدْ دَرَسَتْ .

(٧) الْـجَفْرُ : لغة الْبِئْرُ الْوَاسِعَةُ الْقَعْرِ ، الَّتِي لَمْ تُطْوَ ، ومِنْ أَشْهَرِ الْـمَوَاضِعِ الَّتِي تُدْعَى الْـجَفْرَ مَوْضِعٌ كَانَ بِنَاحِيَةِ ضَرِيَّةَ ، فِيْهِ ضَيْعَةٌ لِسَعِيْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ نَوْفَلٍ الْـمُسَاحِقِيِّ ، الْقَاضِي فِي عَهْدِ الْـخَلِيْفَةِ الْـمَهْدِيِّ ، وقَدْ عُرِفَ بِالْـجَفْرِيِّ نِسْبَةً إِلَى ذَالِكَ الْـمَوْضِعِ .
أَمَّا جَفْرُ الْـهَبَاءَةِ : فَهُوَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ حُذَيْفَةُ وحَمَلُ ابنا بَدْرٍ الْفَزَارِيَّانِ في حَرْبِ دَاحِسٍ وَالْغَبْرَاءِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ والشَّرَبَّةُ : أَرْضٌ وَاسِعَةٌ في عَالِيَةِ نَجْدٍ بَيْنَ وَادِيَي الْـجَرِيْبِ (الْـجَرِيْرِ) والرُّمَةِ .

(٨) جَفْرُ الشَّحْمِ : مَاءٌ كَانَ لِبَنِي عَبْسٍ بِبَطْنِ الرُّمَةِ بِحِذَاءِ أَكَمَةِ الْـخَيْمَةِ عَلَى ماحَدَّدَ صاحبُ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» .
وقَدْ دَرَسَتِ الْأَجْفَارُ الْـمَذْكُورَةُ ، وَبَقِيَتِ الْـجِهَاتُ الَّتِي تَقَعُ فِيْهَا مَعْرُوفَةً .
وَمِمَّا زَادَ نَصْرٌ فِي هذا الْبَابِ مَوْضِعَيْنِ هُمَا :
١ ـ جَفْن .
٢ ـ حَفْن ـ وقَدْ أَوْرَدَهُمَا الحازِمِيُّ في (حَرْفِ الْـجِيْم) وتَقَدَّمَ تَعْرِيْفُهما في الْباب الـ(٢٠١) وذكر كَلَامَ نصْرٍ فيهما .

الأسبوع الذي أقامته (جامعة الإمام محمد بن سعود) في آخر شهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٠هـ عن (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) وأسس دعوته الإصلاحية ، وكانت المحاضرة بعنوان (المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) وقد نشرت في «العرب» س ١٥ ص ٢٦١ إلى ٣٨٨ ـ وما ذكر عن غالية مقتبس مما ذكره المؤرخ المصري محمود فهمي المهندس في كتابه « البحر الزاخر » ولغالية ترجمة موجزة في كتاب « الأعلام » للزركلي ـ رحمه الله ـ

٢ ـ ليست غالية مجهولة في بلدتها (تُرَبة) ولا عند قومها ، فقد ذكر لنا أستاذ جليل من أهل هذه البلدة أن من أحفادها في هذا العهد أحد وجهاء تلك البلدة فيحان بن حسين بن مقعد بن جاسر بن مُحَيِّي السُّناني الـمُوْركي المحمَّدي البَقمي ، وأن غالية هي أم جاسر ، وهي جدة حسين أبي فيحان .

٣ ـ لاشكَّ أن قوم غالية يتناقلون من أحاديث بطولتها وأخبارها ما قد يتوق القارئ إلى معرفته فحبذا لو أتحف أحد الكتاب قراء المجلة بطرف مما يعرف عنها .

المدارعة من آل الصقر من عَبيدة قَحطان

كتب الأخ الشيخ صقر بن سعد المدرع ، في أبها إلى مجلة «العرب» ما خلاصته: الأخبارُ تواترت من السلف إلى الخلف ، أن المدارعة انحدروا من بلاد قحطان بالجنوب بسبب ظروف ألمت بهم ، وتنقلوا في عدة أماكن ، حتى ألقوا عصا الترحال في وادي الدواسر ، حيث حالفوا الرجبان . ومن المواقع التي مروا بها ، موقع في عالية نجد بجوار جبل يسمى جبل الْـمُدَرِّع ، حيث حصل عليهم ومنهم عنده معارك ، وكان فيهم رجل شجاع لابس آلة الحرب التي هي (الدِّرْع) ففتك بالقوم فتكاً ـ ذريعاً ، فكانوا يتناذرونه ، ويبعدون عن وجهه ، إلى أن قالوا : ما ذَبَحْنا ولا أهلكنا إلا الـمُدَرِّع . من هذه المعركة سُمِّيَ الجدُّ الأعلى (الـمُدَرِّع) وبذلك سمي الجبل جبل المدرع . ولا يزال يحمل هذا الاسم إلى تاريخنا الحاضر .

كما ذكر ذالك الأساتذة حمد الجاسر، وعبدالله بن خميس في «المجاز» ص ١٢٥ وسعد بن جنيدل في « عالية نجد » ص ١١٦١ ـ ، وإضافة إلى هذا ، ذكر بعض المؤرخين : أن فايز بن مبارك المدرّع ، عائذي النسب ، وقد تولى امارة وادي الدواسر قبل عام ١٢٠٠ هجرية وهذا شاعرهم يقول :

لَابَتِي سَعدْ مَن هم مجْزَم لهْ   كاملينَ الثنا هو والذَّرَابَهْ
مدرع سعد من هو عِزْوةٍ له   مَا اخْبَلَ اللِّيْ نواهُمْ بالْحرابه
جدّهم عائذي في سجله   ساد نجد سهوله مع هضابه

أما المؤرخ/ أحمد بن حسن بن عبدالله النعمي ، فقد أورد في كتابه « عسير في مذكرات سليمان الكمالي » صفحة ٢٢ ، أن نسبة المدارعة ترجع إلى قبيلة بني هاجر قحطان ، وهو في الحقيقة لم يَعْدُ أن نسبهم إلى القبيلة الأمّ (القحطانية) إلا أنه التبس عليه الأمر بعض الشيء ـ فغفر الله له ـ بسبب صداقتهم للشيخ والشاعر والأديب عبدالله بن راشد آل حميد ، الذي هو من بني هاجر قحطان ، لكن الصحيح والثابت والمتواتر لدى الخاص والعام ، والتي تثبته المعلومات المخطوطة والمنقولة ، أن المدارعة يرجعون في نسبهم إلى قبيلة عائذ من آل الصقر من عبيدة قحطان ، يؤكد ما قاله الشيخ الفاضل الشاعر عبدالحميد بن سالم ، في قصيدة طويلة له نقتطف منها البيتين التاليين على النحو التالي :

مدارعة والحلف عهد وذمة   وقام وفاء بينهم طيلة الدهر

إلى أن قال :

إذا افتخر الأقوام يُشْرِق مجدهم   إذا قيل هذا عائذيٌّ وذَا عمرو

وهذا أحد الشعراء القحطانيين المسمى حسين القحطاني ، يؤكد هذه الأقوال في قصيدة طويلة ، ويؤكد سكناهم عند الجبل الذي سمي أخيراً باسم جبل المُدَرِّع ، ونقتطف منها هذه الأبيات :

ونعم بصقْرٍ، ونعم والله بلَابْتَهْ   أهل هَيَّةٍ في ماضي الوقت تنذكرْ
لهم عزوة يوم العربْ تنطح العربْ   ولهم وقعة يوم الجهل تقطع الظهرْ

جبال المدَرِّعْ تشهدْ بفعل جدهم | يوم الخوف والغارات ومواجهة الخطر
تدرع بدرع الحرب لمواجهة العدا | وغزا واعتزا في ماضي الوقت وانتصر
ومن الشجرة اللي كلنا نفتخر بها | ومن روس قوم ذكرهم يرفع النظر
من آل الصقر وآل الصَّقْر من عَبِيدةْ | ومن روس قحطان هل العلم والخبر

تلك بعض حقائق موجزة عن المدارعة العائد نسبهم إلى بني عائذ من آل الصقر قحطان .

وبالله التوفيق . . .

صقر بن سعد الـمُدَرِّع

حول كتاب « جمهرة أنساب الأسر » :

آل (أبو حيمد) لا (بو حيمد)

ورد إلى « العرب » ما ملخصه :

لقد اطلعنا على ما ورد عن أسرتنا (أبو حيمد) فوجدنا أنكم تفضلتم بذكرنا تحت حرف (أ) صفحة ١٩ وقد ورد ذكرنا تحت عنوان (آل أبي أحيمد (بو حيمد) وذكرتم أننا في عودة سُدَيْر ، وفي عشيرة ، وفي الرياض ، وفي الزُّبير من آل أبي هلال من المزاريع من بني عمرو من تميم .

وهذا صحيح عدا أن صحة الاسم كما ورد في مستندات آبائنا وأجدادنا القديمة هو أننا (آل أبو حيمد) والمفرد منا (أبو حيمد) بالألف وورود الاسم بالطريقة التي ذكرتم (بو حيمد) دون ألف يعمل لَبْساً مع أسرة أخرى في المنطقة الشرقية حيث يطلق عليهم (بو حيمد) دون ألف وكذلك مع من ذكرتم في الزُّلفي من السواكت وهم أناسٌ لا نعرفهم ولا تربطنا بهم علاقة .

كما ورد ذكرنا في صفحة ٨٩٥ من الجزء الثاني تحت حرف (هـ) : (آل أبو هلال) مع أبناء عمومتنا من الكلابا وآل دامغ وآل نُمَيّ وآل أبو وُهَيْب ، والهلالات ، والمجاجة ، وذلك تحت اسم (آل أبو أحيمد) وهذا يخالف ما ورد

في المستندات كما ذكرنا حيث أن الصحة هي (آل أبو حيمد) دون ألف بين الواو والحاء .

نأمل مراعاة ذلك مستقبلاً عند إخراج الطبعة الجديدة . مع شكرنا وتقديرنا لجهودكم الجبارة في هذا المجال . سائلين الله لكم بطول العمر وبدوام التوفيق .

الرياض - عبدالرحمن بن إبراهيم ابو حيمد

و « العرب » توجه الشكر الجم للكاتب الكريم ، وتعده بكتابة الاسم كما أراد .

هُذَيل في قبيلة مطير

استوضحت مجلة «العرب» من الأخ الكريم عبدالله بن ضاوي بن بادي الهذلي المطيري وهو من قراء مجلة «العرب» استوضحت منه عن جمع النِّسْبَتَيْنِ (الهذلي والمطيري) فأفضل مشكوراً بكتابة هذا نصها :

من ناحية (الهذلي) نسبة إلى فخذ الهِذلان مع الصُّعران من مُطَير ويقال لهم (مَطَارفة الطير) لأن جدنا حمود المطرفي الهذلي وأخاه محمداً هاجرا من وادي نخلة الشامية من ضواحي مكة المكرمة قبل حوالي ٣٠٠ عام لحادث قتل مع ابن عمهم ثم هاجر جدنا حمود الهذلي وحالف ابن بُصَيِّص المطيري شيخ الصُّعران ، وتزوج منهم وأنجب أبناء كثيرين يعرفون الآن باسم (الهذلان) مع مطير ، وموجودون الآن في القصيم ، وحَفَر الباطن ، والكويت .

أما محمد أخو جدنا حمود فذهب إلى ثرمدا ، وتحضر وتزوج منهم ، وأنجب ذرية كثيرة ومسكنهم البرة ، ورغبة ومرأة والـمَجمعة وهم أسر مشهورة منهم العجلان وآل عيد ، وآل جبير منهم الشيخ محمد بن جبير ، وآل حِجِّي أهل مراة ، وهاؤلاء كلهم أبناء عمنا من آل محمد بن علي بن عيد المطرفي الهذلي . ومحمد المذكور كان قاضي ثرمدا ، زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله تعالى - والآن آل حمود بن علي بن عيد المطرفي الهذلي مع الصعران من مطير (حلفاء) وكذالك أبناء عمنا آل محمد بن علي بن عيد ، كلنا حلفاء قبيلة مطير

منذ نحو ٣٠٠ سنة ، والأصل من قبيلة هذيل من نخلة الشامية ، ولنا حتى الآن صلة جيدة بقبيلة المطارفة من هذيل لكونهم أصلنا وبني عمنا .

وعشيرتنا الهذلان الآن خاصة آل حمود جماعة ابن بُصَيِّص المُطيري ، بعضهم يكتب في الحفيظة اسم (المطيري) فقط ويترك الهذلي ، وبعضهم يذكر (الهذلي) ولا يكتب المطيري لكونه معروفاً عند مطير ، وقليل منا يكتب (الهذلي المطيري) لأن الحفيظة لا بُدَّ أن يكون فيها الاسم خماسياً مثل (عبدالله بن ضاوي بن بادي الهذلي المطيري) أما ابن عمي فقد كتب (علي بن فالح بن عبيد الصعيري المطيري) ولكن إذا عددنا (الصعران) نجدهم الآن ثمانية أفخاذ وهم (البَصايِص ـ ذوي سعدون ـ الشُتيلات ـ ذوي غنْمِـي ـ الهذلان ـ العبادين ـ الحمادين ـ الشعالين) هؤلاء يقال لهم الصُعْرَان ، من مطير ، وعشيرتنا خاصة يقال لهم الهذلان من الصعران من مطير .

فبعض الجماعة يكتب (الصعيري المطيري) وقليل منهم أنا ووالدي وإخواني نكتب (الهذلي المطيري) ونحن غير مقتنعين بهذا ، ونعتبر هذا خطأ ، لأن (الهذلي) من قبيلة و (المطيري) من قبيلة ، وحصل انتقاد من بعض الجماعة وربما قريباً نقوم بتغيير (الحفائظ) ونكتب (الهذلي) فقط أو المطيري الصعيري .

وقد تحدث الأخ الأستاذ محمد بن علي بن هلال الحتيرشي قبل ٤ سنوات في مجلتكم الغراء عن قبيلة هذيل ، وذكر (مطارفة الطير) وقال : إنهم في نجد ، ولم يحدد مع أي قبيلة مما لفت نظري الآن إلى التعليق على كلام الأخ محمد بن علي بن هلال الحتيرشي ، لأوضح من هم (مطارفة الطير) وأين هم .

وسوف أرسل لكم بحثًا وافيًا إن شاء الله .

الكواضل والكملة

يحاول أخونا الكريم ماجد بن طاهر المطيري ، أن يوجد علاقة بين الكوامل أحد فروع بني عبدالله ، وبين الكملة الذين هم الربيع الكامل ، وعمارة الوهاب ، وقيس الحفاظ ، وأنس الفوارس ، أبناء زياد بن عبدالله بن سفيان من

بني عبس من غطفان ويستدل على ذالك بأن أصل بني عبدالله وأصل الكملة هاؤلاء واحد ، وهو غطفان ويسوق تفريع نسب بني غطفان .

ويضيف أن الكوامل اليوم هم أربعة فروع في بني عبدالله بن غطفان :

١ ــ ميمون .
٢ ــ الصعبة .
٣ ــ الشلالحة .
٤ ــ الهويملات .

ويضيف بأن الرواة والمسنين في القبيلة يعرفونهم بهذا الاسم ، وأنهم لا يوصلون النسب بأكثر من قولهم الكوامل وأولاد عباد ، وأولاد عباد يعنون بذالك بني عبدالله بن غطفان ، والكملة من بني عبس هم أبناء زياد بن سفيان بن عبدالله بن ناشب وهم وبنو عبدالله بن غطفان يرجعون إلى أصل واحد ، وأضاف إلى ذالك أيضًا أنه دخل فيهم كثير من الأحلاف حتى سموا بأحلاف بني عوف ، وكان يتزعم الأحلاف أبو قرنين من المزاد ، من ذوي سويعد ، من بني عون ، وفيهم يقول القائل :

إذا سألتنا عن جدودنا فانا حليف وأخو مزاد
أولاد وائل والجنيني أخونا إلا العريفي في الدمي سداد

العريفات : فرع كبير من بني عزيز بن وايل منهم المندهة شيخ بني عزيز ويحاول الأخ ماجد الربط بين أحلاف بني عوف وبين عوف بن بهثة بن عبدالله بن غطفان .

ويورد نصًا منسوبًا إلى « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم فيه ذكر الصحابي عقبة بن وهب من بني عوف بن بهثة ، أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة العقبة ، وهاجر إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، وكان حليفًا لبني الحبلى من بني سالم من الخزرج من الأنصار إلى آخر ما ذكر مما نقل عن كتب النسب القديمة .

←

« العـرب »

الفهارس العامة في خلال ٢٣ عاما (١٣٨٦/١٤٠٩هـ)

نشرت مجلة «العرب» فهارسها في خلال ثلاثة وعشرين عاماً ، متضمنة محتويات ما صدر من مجلداتها الثلاثة والعشرين ، الواقعة في ٢٣٣٨٤ من الصفحات ، من المباحث العامة ، وأسماء الكتاب والمعلقين ، والتراجم ، وأصول أنساب القبائل والأسر ، والآثار ، والكتب والصحف والمكتبات ودور النشر ، والشعر والشعراء والجغرافيا وتحديد المواضع .

ومع تحرِّي الدقة والحرص على الاستقصاء والشمول ، فقد فات واضع الفهارس كثير مما ينبغي ذكره .

ومن أمثلة ذالك :

١ ــ رحلة التجيبي وقد تكرر ذكرها في المجلدين التاسع ص ٣٣٣ والحادي عشر - ص ٧٢٨/٥٤ .

٢ ــ وذكر مؤلفها القاسم بن يوسف التجيبي (٦٦٦/ ٧٣٠) في المجلد الحادي عشر - ص ٥٤ - ولم يرد اسمه في فهرس (التراجم) .

٣ ــ كما لم يرد اسم محقق الرحلة الأستاذ عبدالحفيظ منصور الذي تكرر ذكره في المجلد التاسع ص ٣٣٣ والمجلد الحادي عشر - ص ٧٢٨/٥٤ - وكان مما

← والواقع أن مجرد تشابه الأسماء لا يكفي للحكم بصلة المسمين بتلك الأسماء ، وخاصة في مثل الأسماء التي لها شهرة وانتشار ورغبة بين القبائل العربية ، وليس فيما أورده الأخ ماجد ما يحمل على الجزم بصحة الصلة بين الكوامل المتأخرين والكملة المتقدمين من بني عبس .

وحرص المرء على أن يبرز مآثر قبيلته ومناقبها للعاطفة فيه أثر وينبغي أن لا يحول دون البحث عن الحقيقة . والله الموفق .

ينبغي ذكر اسمه مع (الأعلام) ممن لهم آثار جرى ذكرها . فقد تحدثت المجلة في المجلد الرابع ـ ص ١٧٥/٩١٧ ـ عن «فهرس مخطوطات الأحمدية بتونس» وهو من وضعه ـ كما نقلت المجلة عنه خبراً يتعلق بـ «ديوان ابن حزم» في المجلد السابع ص ٨٩٤ وفي المجلد الثامن ـ ص ١٥٤ ـ .

٤ ـ لم يرد ذكر «ديوان ابن حزم» في الفهرس ، مع أنه ورد ذكره في المجلدين السابع والثامن في موضعين ٨٩٤ و ١٥٤ .

٥ ـ ورد في الفهرس عند ذكر (محمد عبدالرزاق حمزة (١٤) : (٢١٦) وهذا الموضع ليس فيه ترجمة للمذكور ، بل طلب كتابة ترجمة ، والترجمة مفصلة في (١٨) : ٥٠٧ ـ على أنه ذكر في العنوان ما يفهم منه أن وفاته سنة ١٣٨٥ وهذا خطأ والصواب ١٣٩٢ ـ كما في آخر الترجمة .

وما أكثر ما فات غير ذالك ، وما أجدر من يستدرك بعضاً منه من القراء بالشكر الجزيل .

*** التعريف في الأنساب والتنويه بذوي الأحساب :**

هذا الكتاب يُعَدُّ من أُمَّهات كتب الأنساب ، فمؤلفه محمد بن أحمد بن إبراهيم الأشْعري النسب الزَّبِيْدِي الحنفي المذهب الذي عاش في القرن السادس الهجري من أئمة علماء النسب ، اثنى عليه عُمارة اليمني وغيره . وفي كتابه هذا على إيجازه تفصيلاتٌ وافية ، لا توجد في غيره من مؤلفات الكَلْبِيَّيْنِ هشامٍ وأبيه محمد ، ولا في ما وصل إلينا من مؤلفات الهمداني ، وخاصة في أنساب بعض قبائل تهامة والسراة ، كقبيلتي فَرَسانَ وعَسِير .

وقد كان لدى الوجيه المحترم الشيخ علي بن محمد بن علوان ، من سراة بلاد عسير ووجهائها ، مخطوطة قد تكون هي الفريدة لهذا المؤلف ، فقدمها للدكتور سعد عبدالمقصود ظلام ـ عميد كلية اللغة العربية في الأزهر ـ ليحققها ، ويظهر أنه ليست لديه دِرْبَةٌ ولا طولُ مُعاناة في قراءة المخطوطات القديمة ، وليس ذا سعة اطلاع على كتب الأنساب ، يضاف إلى هذين الأمرين التحريف السَّيِّء في المخطوطة ، ومن هنا برز تحقيقه لهذا الكتاب بصورة يصبح بها ـ هذا الكتاب ـ عديم الجدوى ، ولا يصح الاعتماد على كثير من نصوصه ، حتى يُهَيِّئَ الله له ←

فهارس السنة الرابعة والعشرين

١ ـ الكتاب والمعلقون .   ٢ ـ الموضوعات العامة .
٣ ـ الأعـــلام .   ٤ ـ الأسر والقبائل والجماعات .
٥ ـ الكتب والصحف والمجلات .   ٦ ـ المواضـــع .
٧ ـ الشعـــر

أولاً : الكتاب والمعلقون

← تحقيقاً يبرزه بالصورة الصحيحة .

ولا يتسع المجال لإبداء ما وقع فيه من التحريف والتصحيف والأخطاء الشنيعة ، وقد أُحاول مرة أخرى تصحيح بعض مافيه من تصحيف في الأسماء وفاءً وشكراً لِيَدٍ عَليَّ أَذْكُرُها فأشكرها للسيد الكريم علي بن محمد بن علوان الذي أكرمني ـ أكرمه الله وأغدق عليه واسع فضله ـ فقدم الكتاب باسمي ، وأطراني في المقدمة بما لا أستحق مِعْشَارَهُ من الثناء ، ولكن الفاضل دائماً ينظر إلى غيره بعيني نفسه .

وقد قام (نادي أبها الأدبي) بنشر هذه المطبوعة نشراً جَيِّداً من حيث الورق والحروف ، وجاء بمقدمته التي وصفها محققه ، وبما ألحق به في ٣٠٨ صفحات بالقطع الكبير ، وصدر سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) مطبوعاً بمطبعة الثغر في أبها طباعة حسنة . وحَبَّذَا أَنْ يكون عملُ النادي بنشر هذه المخطوطة من تراثنا سُنَّةً تحتذى من النوادي الأدبية الأخرى ، التي أولت جُلَّ اهتمامها من حيث النشر ـ إن لم يكن كله ـ للمؤلفات الحديثة التي لا تضيف إلى ثقافتنا العربية روافِدَ من تُرَاثنا القديم .

ثانيا : الموضوعات العامة

ثالثاً: الأعـــلام

رابعاً: الأسر والجماعات والقبائل

خامساً : الكتب والصحف والمجلات

سادساً : المواضع

سابعا : الشعر والشعراء